

الجمهـــورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالـــي والـبحــث العلمـــي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كليــة العلــوم الإنسانيــة

قسم التــاريخ

دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف خلال العصر الحمادي ما بين 395-547هـ/1005-1153م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتورة:

- سعيدة لوزري - لطيفة بشاري زوجة بن عميرة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعـة	الصفـة
أ.دة/نبيلة عبد الشاكور	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.دة/لطيفة بشاري (بن عميرة)	جامعة الجزائر 2	مقررا
أ.د/العيفــة الحـــاج	جامعة الجزائر 2	عضوا
أ.د/ عــلاوة عمـــارة	جامعة قسنطينة	عضوا
أ.د/ مـــوسى هصـــام	جامعـــة المدية	عضوا
د/ عبد الحميد خالدي	جامعة الجزائر 2	عضوا

السنــة الجامعيــة: 1438-1439هـ/2017-2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى روح أمي الطاهرة

إلى أبي

إلى إخوتي

إلى أخواتي

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

أهدي له هذا العمل المتواضع

قائمة المختصرات العربية

الكلمة	اختصارها	الكلمة	اختصارها
تحقيق	تح	الصفحة	ص
تخريج	تخ	الطبعة	ط
ترجمة	تر	ظهر	ظ
تصحيح	تص	العدد	ع
تعليق	تع	قسم	ق
تقديم	تق	نص محذوف	(...) أو (.....)
الجزء	ج	مجلد	مج
دراسة	درا	مراجعة	مرا
دون تاريخ	د. ت	نشر	نش
السّفر	س	وجه	و
السنة	س	Encyclopédie de l’Islam	(E. I.)


مقدمة

يعتبر كتاب "**الموطأ**" للإمام مالك بن أنس(ت.179هـ-795م) أوّل ما دُوِّن في المذاهب السنية إلى ووصل إلى بلاد المغرب، تضمن "حديث رسول الله(β)، وأقوال الصحابة وأقوال التابعين" ورأي مالك وإجماع أهل المدينة، ويعتبر "**الموطأ**" أساس فقه الحجازيين. وبشهادة الإمام مالك فاق المغاربة المشارقة في الاهتمام بعلمه والأخذ عنه، والدليل على ذلك أن الرواية المشهورة والكاملة للموطأ كانت لأحد المغاربة وهو يحي بن يحي الليثي الأندلسي(ت.234هـ-849م). ولهذا لا نستغرب من إتباع غالبية المغاربة مذهب الإمام مالك، وليس غريبا كذلك أن يساهم فقهاء بلاد المغرب نشر المذهب المالكي بفضل رحلاتهم الحجية والعلمية إلى المشرق.

لقد مثلت مدن المغرب الأوسط محطات استراحة للفقهاء والتجار إذ كانوا ينزلون بها ثم يرحلون منها إلى إفريقية أو المشرق برا وبحرا. وساعدت هذه الرّحلات في إدخال موطأ الإمام مالك بن أنس إلى بلاد المغرب. وكان للفقهاء الأوائل السّبق في السّماع عن الإمام مالك وفي إدخال موطأه ونشره وترسيخه بين عامة النّاس قراءة وفهما وعملا، واجتهد من جاء بعدهم في شرحه وتفسيره واختصاره.

وتوسعت الحركة الفقهية ببلاد المغرب وظهرت مؤلفات جديدة في فروع المذهب، اجتهد أصحابها في تدوينها دون الخروج عن أصول المذهب المالكي منها "**المدونة**" للإمام سحنون(ت.240هـ-855م) بإفريقية، و"**الواضحة**" لعبد الملك بن حبيب(ت.238هـ-853)، و"**المستخرجة**" أو "**العتبية**" لمحمد العتبي(ت.255هـ-869م)، بالأندلس و"**النوادر والزيادات**" لابن أبي زيد القيرواني(ت.386هـ-996م) وغيرها، وهي كلها نتاج دراسة "**الموطأ**".

وساهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء المذهب المالكي بمؤلفاتهم، وفتاويهم، وإجازاتهم التي منحوها لطلبة العلم مغربا ومشرقا. فمنهم من شرح ومنهم من اختصر "**الموطأ**" و"**المدونة**"، ومنهم من ألف في علوم القرآن، وعلم الحديث والفقه وأصوله. ومنهم من اجتهد فألف في علم الفتاوى. والبعض منهم ألف في علم اللغة والأدب لعلاقتهما بالفقه وأصوله والفتاوى، أما البعض الآخر فألف في الرياضيات والفرائض والفلك لعلاقته بالعلوم الشرعية. وتعددت ظروف وطرق تأليفها منها: ما أتمها أو جمعها التلاميذ لشيوخهم، ومنها ما أنجز بطلب من الحاكم أو ألفت لأجله، أو بطلب من أهل المنطقة. وفرضت ظروف سياسية ومذهبية على الفقيه وضع تآليف. ونتيجة لذلك ظهرت عدة كتب زخرت بها المكتبات المغاربية والدولية وفهارسها خير دليل على وجود مخطوطات ألفها فقهاء مالكية المغرب الأوسط، فمنها ما بقي مخطوطا ينتظر من يزيل اللثام عنه بالتحقيق، والنشر، ومنها وما حقق والبعض الآخر بقي في حكم المفقود.

وبناء على كل ما ذكر فقد ارتأيت القيام بدراسة حول فقها المغرب الأوسط أتناول فيها

- التعريف بأهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط قبل الدولة الحمادية وأثناءها.

- إبراز دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف المالكي قبل العهد الحمادي وأثناءه.
- التعرف على الرّحلات العلمية لفقهاء المغرب الأوسط، ونظرائهم.
- تسليط الضوء على طرق نقل العلم عند فقهاء المغرب الأوسط من نظرائهم المغاربة والمشارقة ما بين القرنين2-6هـ/8-12م، وتلك التي منحوها بدورهم إلى الفقهاء لمن ثبت له التحصيل العلمي.
- التعرف على مجالس فقهاء المغرب الأوسط العلمية في قلعة بني حماد خاصة وفي مدن بلاد المغرب والمشرق عامة.
- الكشف عن المجالس العلمية لفقهاء بلاد المغرب والمشرق حضرها فقهاء مالكية المغرب الأوسط.
- توضيح العلاقات العلمية والمذهبية لفقهاء مالكية المغرب الأوسط ونظرائهم من المغاربة والمشارقة.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت موضوع" **دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف خلال العصر الحمادي ما بين (395-547هـ/ 1004-1153م)**" للأسباب التالية:

- أردت أن أواصل وأتوسع في ما بدأته في الفصل الرابع من مذكرة الماجستير الذي كان حول الدولة الحمادية وألقي الضوء على نشاط فقهاء مالكية هذه الدولة ومعرفة ما أضافوه من خلال مؤلفاتهم.
- نقص الدراسات المتعلقة بالحياة الثقافية، والاهتمام أكثر بالناحية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وعزوف بعض الباحثين من المغرب الأوسط عن دراسة الإنتاج الفقهي أيام الدولة الحمادية.
- نقص كبير في الدراسات التاريخية المتعلقة بالمذهب المالكي، وكيفية تجذره في المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية مقارنة بالدراسات المتعلقة بالتصوف.
- قلّة الدراسات التاريخية المتعلقة بفقهاء مالكية المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، وانعدام كتب التراجم الخاصة بهم، وهذا ما دفعني إلى الاستعانة بالمؤلفات الخاصة بالكتب التراجم المغرب الأدنى والأقصى والمؤلفات الأندلسية والمشرقية. ولا شك أن هذه العملية استوجبت بذل مجهودات كبيرة إذ كثيرا ما خصصت حيزا زمنيا طويلا ولم أضفر إلا بمعلومات قليلة حول أحد فقهاء المغرب الأوسط.

- ولأني أنتمي إلى منطقة المغرب الأوسط ارتأيت أن أجتهد في هذا المجال وأساهم بدراسة متواضعة، للتوصل إلى معرفة كيفية استقرار المذهب المالكي بالقلعة وبجاية، والإنتاج العلمي الذي خلّفه مالكية المغرب الأوسط.

إشكالية الموضوع

بقي نشاط فقهاء مالكية المغرب الأوسط مغمورا ولإبرازه طرحت مجموعة من التساؤلات أهمها:

1- أين تكمن جهود فقهاء مالكية المغرب الأوسط في نشر المذهب المالكي في العهد الحمادي؟ وماهي إسهاماتهم؟.

2- ماهو أثر الرّحلات العلمية والحجية لفقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى المناطق المغربية والمشرقية؟

3- ماهو دور المجالس العلمية لفقهاء مالكية المغرب الأوسط في بلاد المغرب والمشرق؟

4- ماهي أهم مجالات التصنيف التي عرف بها فقهاء مالكية القلعة وبجاية؟

5- ماهي طرق نقل العلم عند فقهاء المغرب الأوسط، وماهي المجالات التي اهتموا بها؟

6- ما مدى التأثير بفقهاء مالكية المغرب الأوسط وما مدى تأثرهم بنظرائهم في مناطق بلاد المغرب الأخرى والمشرق؟

7-وتتمثل الإشكالية المركزية في إبراز خصوصية المغرب الأوسط ومدى إضافاتهم إثراء التأليف في مختلف الحقول المعرفية.

خطة الموضوع

قسّمت هذه الدراسة التي عنونتها "**دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف خلال العصر الحمادي ما بين 395-547هـ/1005- 1153م)** إلى ستة فصول وخاتمة.

تناولت في **الفصل الأوّل** الموسوم ب"**الأوضاع التعليمية: فقهية وعلمية في المغرب الأوسط ما بين القرنين 2-4هـ/8-10م**"، أوضاع المغرب الأوسط بين القرنين 2-4هـ/8-10م، والمؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا ومدارس، ومظاهر النشاط العلمي من مناظرات ومجالس علمية، وقدمت مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط.

وتعرضت في **الفصل الثاني** الموسوم ب"**الرحلات العلمية لفقهاء المغرب الأوسط ونظرائهم خلال العصر الحمادي**"، رحلة فقهاء المغرب الأوسط إلى: إفريقية، والمشرق، والمغرب الأقصى، والأندلس. ورحلة نظرائهم من: الأندلس، والمغرب الأقصى، والمشرق، وإفريقية نحو المغرب الأوسط.

وخصصت **الفصل الثالث** الموسوم ب"**نشاط المالكية في المغرب الأوسط خلال العصر الحمادي**" للحديث عن التعليم، والكتب المدرسة، والإجازات أما العنصر الأخير فتطرقت فيه إلى المجالس العلمية والمناظرات.

وتناولت في **الفصل الرابع** الموسوم ب"**المؤلفات المالكية في علوم القرآن والحديث**" أولا: علوم القرآن من علم القراءات والتفسير، ثانيا: علم الحديث.

وفي **الفصل الخامس** الموسوم ب"**المؤلفات المالكية في الفقه وأصول الفقه والدين**" تناولت الفقه والنوازل الفقهية، وعلم أصول الفقه والدين (علم الكلام).

وفي الفصل الأخير الموسوم ب"**المؤلفات المالكية في العلوم الإنسانية والطبيعية**" تطرقت إلى العلوم الإنسانية من لغة وآداب وتاريخ وجغرافيا وفلسفة وعلوم طبيعية كعلم الطب والكيمياء وعلم الفلك والتنجيم.

وختمت هذه الدراسة بإبراز أهم النتائج التي توصلت إليها.

منهج الدراسة

اعتمدت في انجاز هذه الدّراسة أساسا على المادة التاريخية التي جمعتها من المصادر وأهمها: كتب التراجم والطبقات، والمناقب والمعاجم، والفهارس، والبرامج، والأثبات، وكتب التاريخ، والرحلة والجغرافية، وكتب الفقه والنوازل والحديث ذات الصلة المباشرة بالموضوع حسب ترتيبها الزمني، كما حرصت على توظيفها حسب ما اقتضته مواضيع الفصول، وقمت بالتحليل، والمقارنة، والإحصاء.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث

اعتمدت في انجاز هذه الدّراسة على مصادر عديدة مخطوطة ومحققة، وبعض الدراسات المرجعية منها:

1- الكتب المخطوطة

اعتمدت على ما ألفه فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين عاصروا الدولة الحمادية، في علوم القرآن والحديث والفقه والنوازل وعلم الفلك، وجدت بعضها يمثل النزر القليل في المكتبة الوطنية، وأكثرها في مكتبة السليمانية بتركيا، والبعض الآخر من مكتبتي تونس والمغرب، زودني بها بعض الزملاء الأساتذة من البلدين ومن الجزائر، والأخرى حملتها من مواقع المكتبات(المكتبة الوطنية الفرنسية)، وألحقت بعضها في ملاحق الدراسة.

2 - كتب المذاهب:

اعتمدت على مجموعة من كتب المذهبية منها: كتاب"**الفرق بين الفرق**" للبغدادي(عبد القادر ابن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني، ت.429-1038م)، وكتاب "**الملل والنحل**" للشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت.548هـ-1153م) أفادتني بتعريفات: أهم المذاهب التي كانت موجودة في بلاد المغرب، وأئمتها؟ وأين كان منبعها.

3-كتب الطبقات والتراجم والمشيخة والفهارس والبرامج:

اعتمدت على مجموعة من هذه المؤلفات فبدأت بما كتبه المغاربة من أهل العدوة الجنوبية منها: مؤلفات القاضي عياض(أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت.544هـ-1149م) الذي عايش الدولة الحمادية واحتك بفقهائها، أولها: كتاب"**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**"، استقيت منه معلومات غزيرة وجد هامة عن تراجم فقهاء المالكية، في المغرب والأندلس والمشرق بصفة عامة، والمغرب الأوسط خاصة، وعن أهم التيارات المذهبية السنية والخارجية والشيعية، ومن خلاله أيضا استطعت التعرف على المساهمات التي قام بها فقهاء المغرب الأوسط خاصة ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين، في نشر العلم بين طلبة المغرب والمشرق، واعتمدت عليه بشكل أكبر في ترجمته للإمام مالك بن أنس التي كانت وافية مستوفية، وشيوخه، ومن تتلمذ عليه من الطلبة، ومن كان له السّبق من المغاربة في أخذ كتابه"**الموطأ**" وأهم رواة الموطأ عن الإمام مالك وعن غيره ممن تتلمذ عنه وفقهاء المذهب، والأسباب التي جعلت الإمام مالك بن أنس يضعه.

ثانيا: كتاب"**الغنية**" وهو فهرسة لشيوخه ممن تلقى عنهم العلم، استفدت منه في معرفة شيوخه من فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين تتلمذ عليهم وتحصل بواسطتهم على إجازات علمية عن أمهات الكتب المعتمدة في الفقه المالكي، فقد قرأ وسمع عنهم وناظرهم خاصة حول الموطأ والمدونة. وأخذ عنهم رواية مصنفاتهم أو روايات لمؤلفات غيرهم من كتاب "**موطأ**" الإمام مالك وكتاب"**مدونة**" سحنون وكتاب"**صحيح** " مسلم... وغيرها من التصانيف.

ثالثا: كتاب"**الإلماع إلى معرفة أصول الرواية**" أفادني في بعض التعريفات في علم الحديث.

واطلعت كذلك على كتاب"**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" للدبّاغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، ت.**690هـ-1296م**) أفادني ما كتبه حول القيروان وعن فقهاء المدينة والذين وفدوا إليها ممن هاجروا إلى بلاد المغرب عامة وإلى قلعة بني حماد خاصة أثناء النزوح الهلالي إليها، وأهم المناظرات التي كانت بين الفقهاء المالكية من جهة والشيعة من جهة أخرى.

وكتاب"**عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" للغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت.714هـ-1314م)، اعتمدت على تحقيق ابن أبي شنب وعادل نويهض، فالأول أعانني على معرفة بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. ومعرفة شيوخهم من البجائيين أو من المغاربة، والمشارقة، الذين حطوا الرّحال بها في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، و طريقة المجالس العلمية التي كانت تقام بقلعة بني حماد وإجازات الفقهاء، والكتب المصنفة بها، وأهم كتب الفقه والأدب والتصوف التي كانت تُدرّس في مجالسها العلمية، أما التحقيق الثاني فاستفدت من هوامشه الغزيرة بالمعلومات التي سمحت لي بمعرفة بعض التراجم، ونسبة بعض عناوين الكتب إلى أصحابها التي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة.

أما فيما يتعلق بفقهاء العدوة الشمالية أي الأندلسية، فقد اعتمدت على بعض مؤلفات المكتبة الأندلسية التي ساعدتني في معرفة بعض فقهاء المنطقة من المالكية، وفقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى مدن الأندلس للاستزادة من علمائها فمنهم من استقر بها، ومنهم من رجع بعلم وافر، وبإجازات منحت لهم من علمائها. وقد جعلت معظم هذه المؤلفات فقهاء المغرب الأوسط ونظرائهم من المغاربة والمشارقة ضمن الغرباء، ولكن هذا لا يمنع من وجودهم ضمن تراجم أندلسية. ومن أهم هذه المصادر:

- كتاب "**تاريخ علماء الأندلس**" لابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت.403هـ-1012م)، جمع فيه تراجم فقهاء الأندلس وعلمائهم ورواتهم، وقصد الاختصار وغرضه ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، ساعدني في جمع معلومات حول عدد من فقهاء مالكية بلاد المغرب ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين، وهو الأصل الذي اعتمد عليه من جاء بعده.

واعتمدت على كتاب كتاب "**الصلة**" لابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت.578هـ-1182م). ومجموعة كتب ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت.658هـ-1260م) منها كتاب"**التكملة لكتاب الصلة**"[1] وكتاب"**المعجم**". وكتاب"**الحلة السيراء**".

واستفدت كثيرا من كتاب"**الذيل والتكملة**" لابن عبد الملك(أبو عبد الله بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، ت.703هـ-1304م) في معرفة تراجم فقهاء مالكية المغرب الأوسط خاصة وغيرهم من المغاربة والمشارقة عامة في ما بين القرنيين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر

---

[1] – ندب الفقيه أبو الربيع بن سالم ابن الآبار إلى وضع كتاب"التكملة"، فقد صحبه بضعا وعشرين سنة.(انظر: الغبريني(الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت.714هـ-1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. محمد بن شنب، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص.145).

الميلاديين عن طريق الترجمات المطولة دون إطناب أو إسهاب. وأشار محقق الجزء الثامن بقسميه إلى أن الكتاب يعتبر من" أكبر معاجم الأعلام التي ألفها الأندلسيون والمغاربة قديما". أما قيمته التاريخية فهي"واضحة للعيان سواء بالنسبة إلى التاريخ الخاص أو بالنسبة إلى التاريخ العام". وأعانني في معرفة بعض أخبار المغرب الأوسط الذي يحتمل أنه تلقاها في مدينة أغمات من واليها أبي عمر بن الفقيه أبي العباس بن عثمان المتوسي الملياني وقد فر من مدينة مليانة بعد اقتحام الحفصيين لها إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق وتعرف عليه ابن عبد الملك هناك وأصبح من المقربين، كما أنه كان ينتقل بين أغمات ومدينة تلمسان وقد توفي في هذه الأخيرة. أما أخبار المشرق الذي لم يزره ووصلت إليه بواسطة أصحابه الرحالة كالعبدري وابن رشد السبتي. والسبب الذي جعلني أعتمد عليه دون غيره بسبب نصوصه التي نقلها عن غيره ممن عاصره ونقلها هؤلاء عنه، واطلاعه على مصادر إخبارية ووثائق رسمية أصلية بخطوط أصحابها ومن المحتمل أنه لم يتحصل عليها غيره، ونقل عنه الكثير، منهم: ابن مرزوق الجد في كتابه"**المسند الصحيح الحسن**" والتجيبي الذي لم يشر إليه في ترجمته وابن غازي وابن القاضي المكناسي.

وكتاب"**صلة الصلة**" لابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العامي الغرناطي، ت. 708هـ-1309م)، أجزاء منه ناقصة ورغم ذلك يعتبر أشهر كتب ابن عبد الملك، استفدت من تراجم فقهاء المغرب الأوسط خاصة ومن غيرهم من المغاربة والمشارقة الذين حطوا الرّحال به، وتحصلوا على الرئاسة العلمية، ونقلت عنه بعض الأخبار لم أجدها عند غيره ممن عاصره.

أما في مجال التصنيف فقد أفادتني كتب الطبقات المشرقية منها "**معرفة القراء الكبار**" للذهبي(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت.748هـ-1347م)، وكتاب"**غاية النهاية في طبقات القراء**" لابن الجزري(شمس الدين أبي الخير بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي، ت.833هـ-1430م)، وكتاب "**طبقات المفسرين**" للداوودي(الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت.945هـ-1539م) في ترجمة المهتمين بعلم القراءات والتفسير من علماء المشرق وبلاد المغرب بداية من ظهور هذه العلوم، ومعرفة من صنفوا فيها.

وكتاب"**فهرست**" ابن خير(أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن الخليفة الأموي، ت.575هـ-1180م) استفدت منه في معرفة تراجم فقهاء مالكية المغرب الأوسط وأهم الدواوين المصنفة في أبواب العلم والمعارف التي أخذها ابن خير عن نظرائه إجازة ورواية، وكان حضور بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط ضمن أسانيد الروايات المشهورة في الحديث خاصة.

وكتاب"**البرنامج**" للتُجيبي(الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ت.610هـ-1214م)، وكتاب"**برنامج**" شيوخ الرعيني(أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي، ت.666هـ-1268م) أفادتني في معرفة طبقة الإسناد التي أخذها عن فقهاء المغرب الأوسط.

وتتمثل المصادر المشرقية في المعاجم، ككتاب" **معجم السّفر**" للسّلفي(الحافظ أبي طاهر أحمد ابن محمد، ت.576هـ- 1180م)، ذكر فيه المؤلف مجالسه العلمية ومشيخته وتلاميذه من المغاربة والمشارقة عامة ومن المغرب الأوسط خاصة ممّن حضر مجلسه أو عن طريق من روى عنهم من نظرائهم. والسلفي مشرقي إلاّ أنه ذكر بعض أحداث الدولة الحمادية حدثه بها بعض المغاربة والمشارقة الذين حضروا مجالسه، لذلك جاءت مادته المصدرية أساسية وموثوق بها، و لهذا يمكن القول بأن ما حصلت عليه من معلومات يكاد يكون منعدمًا عند غيره.

4-الكتب التاريخية:

ولقد اطلعت على عدة كتب إخبارية أهمها كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى(أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت.712هـ-1312م)، الذي نقل معلوماته من تاريخ الطبري(ت.310هـ-922م) ومن كتب ابن رشيق(ت.463هـ-1071م)، وكتاب الرقيق القيرواني (ت.417هـ-1026م) وكتاب البكري(ت.487هـ-1094م) ومن كتاب"**الذّيل**" لابن شرف، ومن كتاب ابن أبي صلت، ومن كتاب "**مختصر في التاريخ**" للأشيري(ت. بعد 579-1173م) ومن كتاب البيذق (ت.7هـ-13م) ومن غيرهم ممّا يطول ذكرهم. لذلك يعتبر "**البيان المغرب**" أهم المصادر المغربية التي استفدت منها في تعريف أهم مدن بلاد المغرب، وأهم الدول التي تعاقبت على مناطقه والحكّام الذين تداولوا على السلطة، بدءً بدولة الأغالبة بالمغرب الأدنى وجزءً من المغرب الأوسط، والدولة الرستمية التي امتدت إلى نفوسة بطرابلس والجريد بافريقية، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى والدولة الأموية بالأندلس، ثم دولة الفاطميين ودولة الزيريين والحماديين، وأهم التيارات المذهبية التي انتشرت بها، وعن الفقهاء المالكية خاصة أولئك الذين عاشوا في كنف الدولة الفاطمية وأساليب مقاومتهم للشيعة، والمحن التي تعرضوا لها، وأفادني أيضا بمعلومات عن ملوك الطوائف وعن أخبار المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس، وعلاقة حكام الدولة الحمادية بالدول المجاورة وبالرعية، وعن الأثر الذي تركه الهلاليون أثناء دخولهم القيروان والقلعة فيما بعد.

وكتاب ابن خلدون(عبد الرحمن، ت.808هـ-1406م): "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، وهو من المتأخرين زمنيا بالنسبة للمصادر التي اعتمدت عليها في تاريخ المغرب، ومع ذلك فقد استفدت منه بمعلومات عن أصل البربر ومواطنهم. ومن الناحية السياسية ذكر أهم الدول التي تعاقبت على بلاد المغرب والثورات التي شهدها. أمّا مذهبيا فاستفدت ممّا ذكره من أسباب جعلت أهل المغرب يأخذون بمذهب الإمام مالك ابن أنس دون غيره من المذاهب، ويعتبر الجزء الأول من "مقدمة تاريخه"، فقد

فصل ابن خلدون في كتابة أصناف العلوم بكل أنواعها ممّا جعلني اعتمد عليه في التعريف بها وانتقالها إلى المغرب والأندلس.

وأفادني كتاب ابن الخطيب(لسان الدين، الوزير الغرناطي) "**القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**" في معرفة حكام الدولة الحمادية الذين تعاقبوا عليها ومقتطف من ترجمتهم، وقد انفرد ابن الخطيب في وضع ترجمة مقتضبة لكل حاكم، ولم يسبقه غيره إلى ذلك.

ومن المصادر المشرقية المتأخرة نسبيا عن فترة دراستنا اعتمدت على: كتاب "**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت.630هـ-1233م)، الذي استفاد من كتاب"**الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان**"[1] لابن شداد الصنهاجي الذي كان حيا سنة 571هـ-1176م وعاصر أحداث الدولة الحمادية، فأَرَّخَ ابن الأثير لبلاد المغرب وكتب عن أهم أحداثها السياسية، والمذهبية، أهمها العهد الفاطمي، والزيري، والحمادي. وكتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" للنويري(شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب، ت.732هـ-1332م)، اعتمدت عليه خاصة في ما كتبه عن الدولة الفاطمية والدولة الزيرية والحمادية، ذلك أنّ معظم نصوصه مأخوذة من كتاب الرقيق القيرواني[2] الذي عاش في كنف الدولة الصنهاجية مترددا على بلاط أمرائها وكان كاتبا خاصا للمنصور وباديس والمعز، خدمهم في الحروب العديدة التي خاضوها بالمغرب الأوسط ضد المتمردين من البربر أو عند مواجهتهم للدولة الحمادية، وكتاب ابن عساكر(الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت.571هـ-1176م) "**تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلها**" أفادني في معرفة رحلة فقهاء المغرب الأوسط نحو المناطق المشرقية، والمناصب التي أسندت إليهم من بعض الحكام، والكتب التي تحصلوا عليها من شيوخهم المشارقة وابن عساكر كان من بينهم.

5-كتب الفتاوى والنوازل

لهذه الكتب أهمية كبرى، لاحتوائها على مادة خبرية هامة، لهذا كان المستشرقون هم السباقون في الاعتماد عليها في دراساتهم التاريخية، وقد ذكر المستشرق الألماني جوزاف شاخت Schacht

[1] – ونقل عنه التجاني في كتابه، (انظر: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، ت. 8هـ- 14م)، **الرحلة**، قدّم لهل حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م، ص.14-15، 341، 346-347)؛ و(انظر أيضا: Charbonneau(M.A), **voyage Dans La Régence de Tunis**, quatrième Série, T.XIX, 1852, Paris, p.66.

[2] – op. cit., p.81.

(J.) في أحد أبحاثه أن النوازل الفقهية منجم كبير لا بد من دراسته للاستفادة من مادته التاريخية الخام لكل من يريد فهم المجتمع الإسلامي.[1]

واعتمدت على كتاب"**فتاوى**" للمازري(أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، ت.536هـ-1142م)، وكتاب "**فتاوى**" لابن رشد(أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي، ت.520هـ-1126م)، وكتاب"**المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" للونشريسي(أحمد بن يحي، ت.914هـ-1508م). ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المتأخرة في الفتاوى لكنه يحتوي على رصيد هام من فتاوى فقهاء المغرب الأوسط التي قد لا نجدها عند غيره من جهة وقد نجد بعضها لم يجمعه صاحبه أو تلامذته في كتاب مستقل من جهة أخرى فنقلها الونشريسي ضمن فتاويه، أفادتني هذه الكتب في معرفة مجال اجتهاد فقهاء مالكية المغرب الأوسط، وأثر هذه المؤلفات على الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة.

6- كتب الأنساب:

وقد اطلعت على أشهر ما دون في كتب الأنساب من ذلك: كتاب"**الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**" لابن ماكولا(الأمير الحافظ، ت.475هـ-1083م)، وكتاب "**الأنساب**" للسمعاني(أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت.562هـ-1167م)، وذلك أنهما من القرن الخامس والسادس الهجريين وعاصرا الدول التي كانت قائمة بالمغرب والمشرق، لهذا زودتني ببعض المعلومات النادرة عن فقهاء المغرب الأوسط ونظرائهم ممن عاشوا في تلك الفترة، ومما جعل البحث فيها صعب في مصادر أخرى، وساعدني هذان المصدران في ربط نسب بعض الفقهاء إلى مناطقهم الأصلية.

7 - كتب الجغرافيين والرحالة:

اعتمدت على مجموعة من الكتب الجغرافية وكتب الرحلة لمؤلفين زاروا بلاد المغرب، والآخرون نقلوا عمّن سبقهم، ومن بين هذه الكتب نذكر: كتاب "**المسالك والممالك**" للإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت.346هـ-957م)، الذي زودني

---

[1] – محمد استيتو، "النوازل وطبيعة مصادرها وحدود وتوظيفها في الكتابة التاريخية"، **منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة**، ع.5، س. 1995 ص. 127 وهـ. 2و3، ص.139.

بمعلومات مفيدة عن مدن بلاد المغرب. وكتاب "**صورة الأرض**" لابن حوقل(أبي القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ-978م)، أمدّني بمعلومات عن مدن المغرب الأوسط، وعن أخبار الدولة الفاطمية التي عايش أحداثها حتى قيل عنه أنه من جواسيسها، وكتاب "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" للمقدسي(أبو القاسم شمس الدين بن أبي عبد الله محمد النصيبي، ت.388هـ-998م) الذي أفادني عن أهم المدن التي زارها وعن المذاهب السنية المنتشرة ببلاد المغرب والتعايش بينها ومجالسها العلمية من مناظرات وغيرها.

وقد استفدت من كتاب"**المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**" للبكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ابن عمر أبو عبيد، ت.487هـ-1094م) في التعريف بمدن بلاد المغرب عامة، ويعد البكري أول الجغرافيين والرحالة الذي ظهر عنده مصطلح "المغرب الأوسط"، وقد وصف بعض القرى ونسب إليها بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط، وذكر المذاهب المندثرة ومكان ظهورها. واعتمدت على جغرافيين عاشا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس، ق.6هـ-12م) صاحب كتاب "**المغرب العربي من نزهة المشتاق**"، والمؤلف المجهول(مراكشي، ق.6هـ-12م)، صاحب كتاب"**الاستبصار في عجائب الأمصار**"، وفي التعريف ببعض المدن، وفي أخبار عن الدولتين الزيرية والحمادية.

أما كتب الرّحالة فاستعنت بعدد منها أهمها: "**ترتيب الرحلة لترغيب الملة**" وهو في حكم المفقود واختصره صاحبه في كتاب "**قانون التأويل**" وكلا الكتابين للقاضي أبي بكر بن العربي (محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي، ت.543هـ-1148م)، وكتاب "**الرحلة**" لأبي عبد الله العبدري، ت.700هـ-1300م، وغيرهما ممّن مروا بمدن بلاد المغرب والمشرق منها بجاية وبونة وتلمسان والقيروان والمهدية والإسكندرية والحجاز ودمشق وبغداد وبيت المقدس، ووصفوا الحياة العلمية الموجودة بها، وكتبوا عن أشهر الفقهاء من مالكية وغيرهم ممن التقوا بهم في هذه المناطق، وعن الكتب التي لقيت رواجا في تلك الفترة منها" الإحياء" للغزالي،عن المذاهب والفرق المخالفة لأهل السنة كالشيعة والقدرية.

8- الدراسات الحديثة

أ-المراجع

اعتمدت على المؤرخين المتخصصين في المذهب المالكي ببلاد المغرب (افريقية - المغرب الأقصى-والأندلس)، منهم كتاب عمر الجيدي "**محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب**

الإسلامي"، وكتاب نجم الدين الهنتاتي"**المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ-11م**"، وكتاب أبي العزم داود محمد "**الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**" و كتاب عبد الحليم عويس"**دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**" وكتاب **رشيد بورويبة** "**الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، وما كتبه الباحث علاوة عمارة ضمن مؤلفه" **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي و**غيرها من المراجع فقد قارنت بين ما جاء فيها وبين المصادر التاريخية المتخصصة، وكيف كانت قراءتهم لهذه المادة الكثيرة التي تتعلق بإفريقية والمغرب الأقصى. وحاولت استخلاص بعض المعلومات المتعلقة بالمغرب الأوسط.

ومن المراجع التي اعتمدت عليها كثيرا وأفادتني في معرفة علماء الجزائر ما ألفه عادل نويهض في كتابيه أولهما: " **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**" ثانيهما:" **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**"، فقد أورد ترجمة لأشخاص كل حسب المدينة التي ينتمي إليها مع الترتيب الكرونولوجي لتاريخ الوفاة، كما تضمنت كل ترجمة مجموعة من المصادر والمراجع اعتمدت عليها لانجازه لهذه الدراسة، وكتاب "**الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي**" لمحمد العَلمي سهل لي عملية البحث في تصنيف كتب فقهاء مالكية المغرب الأوسط ونظرائهم، وعناوين مؤلفاتهم قاموا بتأليفها،.

واعتمدت على مجموعة من كتب الفهارس رغم كبر حجمها منها: كتاب "**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**" **للكتاني**(عبد الحي بن عبد الكبير)، وكتاب "**تاريخ التراث العربي**" للعالم الألماني فؤاد سزكين، وكتاب "**كشف الظنون**" للعالم التركي حاجي خليفة أو الكاتب الجلبي(مصطفى بن عبد الله)، وكتاب"**معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطة والمطبوعة**" لمؤلفه التركي الرضا قرة بلوط وأحمد طوران قرة بلوط، وكتاب"**هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**" وكتاب "**إيضاح المكنون**"، للبغدادي إسماعيل باشا وغيرها.

كما لا يمكن تجاهل الأبحاث التي قام بها مجموعة من الباحثين وهي على التوالي: -عبد الكريم عزوق **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه، وبوعقادة عبد القادر" **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرن الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد**"، مذكرة ماجستير، و"**الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنيين 7- 9هـ/ 13-15م**"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه لنفس الباحث، وعبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي "**الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل في القراءات الخمسين**" ، رسالة الدكتوراه في التفسير وعلم القرآن. وعلياء هاشم ذنون محمد المشهداني "**فقهاء المالكية**

دراسة في علاقتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد"، أطروحة دكتوراه.

كما زودتني بعض **الكتب الفرنسية بأقلام عربية أو إستشراقية،** في دراستي سواء ما تعلق بالمذهب المالكي ورجالاته أو بالقلعة وبجاية، منها كتاب"**الدولة الصنهاجية**" لهادي روجي إدريس.

وكتاب**:** -Général (L. De B.)**, La Kalaa des Beni –Hammad une capitale Berbère de L'Afrique du nord au XI e Siècle.**

وكتاب: -Golvin **(L.), Le Magrib Central a L'époque Des Zirides,** Recherches d'Archéologie et d'Histoire, Arts et métiers graphiques.

واعتمدت على **مقالات باللغة الأجنبية** كتبها مؤرخون متخصصون في تاريخ المذهب المالكي وتاريخ القلعة وبجاية نذكر منها:

- Abdeljaouad(L.)**, Les relation entre les Zirides et les Fatimides à la lumière des documents épigraphiques**.
- Allaoua (A.), **L'annimation de la façade maritime du maghreb central**,
- Schacht (J.), **sur la transmission de la doctrine**, dans les écoles juridiques de l`Islam.
- Idris (H. R.)**, Deux juristes Kairouanais de l`époque Ziride : Ibn Abi Zaid Al- Qabisi X^e^- XI^e^**.

ب- المجلات والملتقيات

1 - المجلات

من أهم المجلات التي استفدت منها: مجلة "**الأصالة**" ومجلة "**دعوة الحق**" ومجلة"**التاريخ العربي**" ومجلة"**الكراسات التونسية**" باللغتين الفرنسية والعربية، التي تتعلق بالدولة الحمادية والمرابطية والزيرية من جهة، وبالمذهب والمؤلفات المالكية من جهة أخرى. وصحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، زودتني بمعلومات هامة حول المذهب المالكي والحركة العلمية بافريقية وبلاد المغرب.

2 - الملتقيات

منها: الملتقيات التي نظمتها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، كالملتقى الوطني للمذهب المالكي، وملتقيات المغرب الأدني كملتقى "**القاضي النعمان**" وملتقى "**الإمام سحنون**" وملتقى "**القيروان**" وملتقى "**ابن أبي زيد القيرواني**"، وكذلك ملتقيات المغرب الأقصى كملتقى "**القاضي عياض**" وملتقى "**الإمام مالك**" وغيرهما...

الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الدراسة

لقد واجهتني عدة صعوبات في انجاز هذا البحث نذكر منها:

- نقص المادة التاريخية المتعلقة بالمغرب الأوسط، والتي كتبها أصحابها ممّن عايشوا أحداث الدّولة الحمادية منها كتاب تاريخي ألفه حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي للعزيز بالله بن منصور بن الناصر بن علناس، وقد اطلع عليه ابن الأبار.[1] وأشار الغبريني إلى مودع كان ببجاية تودع فيه كتب منها كتب القضاء، وقد اطلع بنفسه على بعض التسجيلات المدونة على بعض الكتب هي في حكم المفقود.[2]

- نقص المادة التاريخية المتعلقة بالمغرب الأوسط من الناحية الثقافية في ما بين القرنين الرابع والسادس/الهجريين العاشر والثاني عشر الميلاديين، وإن وجدت فهي مبعثرة في طيات المجلدات التي يتراوح عدد أجزائها 29 جزء ككتاب "**الوافي بالوفيات**" للصفدي و80 جزء ككتاب "**تاريخ دمشق**" لابن عساكر، أما متوسطها فيتكون من 4 مجلدات إلى 8 ككتاب "**معالم الإيمان**" للدباغ و"**الذيل والتكملة**" لابن عبد الملك و"**تاريخ الأدب العربي**" لبروكلمان وغيرها من المصادر والمراجع التي أتعبتني في استخراج المادة المصدرية الموجودة بها والمتعلقة بالبحث فاستغرق جمعها وقتا طويلا.

- ومن الصعوبات أيضا عدم وجود المادة ضمن تراجم خاصة بعلماء المغرب الأوسط، فمنها ما نجده ضمن ترجمة لأحد المغاربة أو المشارقة يكون صاحبها إما أحد شيوخه أو تلاميذه أو ممّن التقى بهم في رحلاته أو في المجالس العلمية بالقلعة أو بجاية وبإحدى المدن المغربية أو المشرقية. كما أنه يستوجب على الباحثة أن يستوعب تاريخ دول كل حقبة ولا تكتفي بالدول القائمة في المغرب الأوسط، إذ لا بد من الاطلاع على تاريخ الدول القائمة في المغرب الأقصى والأدنى، والأندلس والمشرق في فترة الدراسة.

- بما أن القبائل التتنقل بين المناطق المغاربية بحثا عن مكان آمنا للعيش فيه وتتوفر فيه مصادر الرزق فإننا نجد عناصر من كتامة بالمغرب الأقصى وأخرى بإفريقية وعادة ما يكون اسم الفقيه مقرونا بالقبيلة التي ينتمي إليها، فنخطأ إذا ما ألحقنا بالمغرب الأوسط كل المنتمين إلى قبيلة كتامة. وكذلك الشأن بالنسبة إلى قبيلة صنهاجة التي انتشر فروع منها بالمغرب الأوسط وإفريقية

---

[1] - ابن الأبار (الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت.658هـ-1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تح. عبد السلام هراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج.1، ص.111؛ الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت.696هـ-1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت. 839هـ-1435م)، تح. محمد ماضور، ج.3، ص. 120.

[2] - الغبريني، الدراية (ط. الجزائر)، ص. 95.

ومن الخطأ أن نلحق كل صنهاجيا بالمغرب الأقصى، إلا إذا وجدت قرائن تثبت نسبة الفقيه إلى إحدى مناطق بلاد المغرب.

-عرف عن المشارقة إلحاق صفة المغربي إلى كل المغاربة دون استثناء، وعدم إلحاق كل فرد بالبلد أو المدينة الذي ينتمي إليه، وهي أيضا من الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة.

-إلحاق الفقيه بالمغرب الأوسط بحيث نجد بعض الفقهاء أصلهم من المغرب الأوسط فرحلوا واستقروا في إحدى المدن المغربية أو المشرقية كابن الرمامة في المغرب الأقصى، والحسن بن رشيق بالقيروان، وعائلة الطبني وابن حرب المسيلي بالأندلس، وابن قرقول بالمغرب الأقصى فألحقت كل هؤلاء ومن على شاكلتهم بفقهاء مالكية المغرب الأوسط.

وألحقت بعض الفقهاء الأندلسيين وغيرهم الذين استقروا مدة طويلة بالمغرب الأوسط به، اتبعت في ذلك بعض المؤلفين منهم: القاضي عياض عندما ألحق الفقيه أبو عمران الفاسي بالمغرب الأدنى حيث نشأ ولم يلحقه بالمكان الذي ولد فيه.

كما ألحقت مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط رغم أنها كانت تحت حكم المرابطين، والسبب أن الحركة العلمية في بلاد المغرب لم تكن محصورة في حدود معينة، كما أنّ رحلة جل فقهاء مالكية المغرب الأوسط كانت بين مدينتي بجاية وتلمسان، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الفقيه أبا مدين شعيب، والفقيه أبا بكر ابن العربي الذي عبر من مدينة بجايةُ أثناء ذهابه إلى المشرق وعند إيابه مرّ بمدينة تلمسان.

-ومن الصعوبات التقييد بوقت لانجاز هذه الرسالة، لذا تعذر علي توظيف بعض المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع.

وبناءً على هذه صعوبات اجتهدت في انجاز هذا العمل المتواضع على ما يعتريه من نقص، وقد تكون نقطة انطلاق لباحثين آخرين العمل على إثرائه، خاصة إذا ظهرت بعض المخطوطات المفقودة والمتعلقة بتاريخ الدولة الحمادية ككتاب ابن الأشيري وكتب ابن حماد الصنهاجي(ت.628هـ-1231م) منها: "**النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية**"، الذي اعتمد عليه ابن خلدون في تدوين تاريخ قبيلة صنهاجة، ونشر نبذة منه المشرق الفرنسي ليفي بروفنسال في كتابه نبذة تاريخية في أخبار البربر طبع سنة 1933م، وشربنو في المجلة الأسيوية 1852-1855، والمستشرق الإيطالي ميخائيل أماري في المكتبة العربية الصقلية.[1]

---

[1] - **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، جمعها وحققها المستشرق الإيطالي ميخائيل ليبسك، دار صادر، بيروت، 1857م، ص.317؛ الغبريني **الدراية** (ط.ببيروت)، ص.220؛ **journal Asiatique** quatrième série T.XIX, 1852-1855, Paris, p.472.

الشكر والعرفان

يطيب لي في نهاية هذه الدراسة أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورة المشرفة لطيفة بشاري زوجة بن عميرة التي لم تبخل علي بنصائحها القيمة وتوجيهاتها، وأشكر كل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع من أساتذة القسم وخارجه(الجزائر–المغرب–تونس—تركيا–السعودية)، وأعضاء الإدارة، وهيئة التدريس التي لم تبخل علي بالكتب وإرشادات والنصائح، وعمال المكتبات الجزائرية منها المجلس الإسلامي الأعلى والمكتبة الوطنية والمكتبة المركزية، ومكتبات المملكة المغربية بالرباط والدار البيضاء، منها المكتبة الوطنية بقسميها(المخطوطات والكتب، الدوريات)، ومكتبة آل سعود والخزانة الحسنية. والمكتبات بتركيا منها المكتبة السليمانية ومكتبة الفاتح للمخطوطات ومكتبة أرسيكا ومكتبة إيصام، دون أن أنسى الذين سيساعدونني من أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بتوجيهاتهم.

الفصل الأول

الأوضاع التعليمية: فقهية وعلمية في المغرب الأوسط بين القرنين 2-4هـ/8-10م

أولا: المؤسسات التعليمية

أ- الكتاتيب

ب- المساجد

ج- المدارس

1- مدرسة المدينة المنورة

2- مدرسة مصر

3- مدرسة القيروان

4- مدرسة الأندلس

ثانيا: مظاهر النشاط العلمي

أ - التعليم

ب - الكتب المدرسة

ج - طرق نقل العلم عند فقهاء المغرب الأوسط

د - المجالس العلمية والمناظرات

1- الحلقات

2- المجالس العلمية

3- المناظرات

هـ- الفتاوى

ثالثا: مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط

الأوضاع التعليمية: فقهية وعلمية في المغرب الأوسط بين القرنين 2-4هـ/8-10م

انتشر بالمغرب الأوسط[1] بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين المذهبان الإباضي،[2] والشيعي،[3] المختلفان فقهيا،[4] وعقائديا،[5] وبعد فترة ساد المذهب المالكي السني،[6] وهنا تُطرح عدّة أسئلة منها: ماهي المراحل التي مرّ بها المغرب الأوسط حتى أصبح مالكيا؟ ومن له الفضل في إدخاله إلى هذا المجال المغاربي؟، ومن هم أهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط ما بين القرنين 2-4هـ/8-10م؟.

لقد دخل المذهب المالكي إلى الغرب الإسلامي خلال منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وانتشر بين الكثير من النّاس بطرق مختلفة، إما بمساهمة السلطة مباشرة، مثل ما حدث بالأندلس[7] في عهد الخليفة هشام بن عبد الرحمن (172-184هـ/788-800م)[8] الذي ألزم النّاس جميعا بمذهب الإمام مالك(ت.179هـ-795م)[9]، فساد القضاء والفتيا، بينما كانت الفتيا والرّواية يومئذ لصعصعة بن

---

[1] – ظهر هذا المصطلح أوّل مرة عند الجغرافي البكري،(انظر:(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت.487هـ-1094م)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، وهو جزء من المسالك والممالك، نشره البارون دوسلان، الجزائر،1957م، ص.76).

[2] – تنتسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض المري التميمي، ظهرت في النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة في البصرة، على يد جابر بن زيد التابعي، ومن البصرة تفشى مذهبه مشرقا ومغربا، أخذ علمه عن ابن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وأنس بن مالك(رضي الله عنهم)، وعنه أخذ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثاني فقهاء المذهب بعد جابر بن زيد، الذي أخذ عنه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط. ويرى الإباضية أنّ مخالفيهم كفار غير مشركين، فمناكحتهم جائزة ومواريثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، ودعوة الإسلام تجمعهم وقتلهم غير جائز، إلاّ بعد إقامة الحجة عليهم، ودارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون لا مؤمنون،(انظر: ابن الصغير.(حي ق.3هـ-9م)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. وتع. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، 1986م، هـ.1، ص.28؛ الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت.548هـ-1153م)، **الملل والنحل**، تح. أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، ط.6، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ج.1، ص.156-157).

[3]– يطلق هذا الاسم على أتباع علي(رضي الله عنه)، حيث يرون أنّ الخلافة في أهل بيت النّبي(صلى الله عليه وسلم) وأنّه أحق بخلافته، وأنّ النبي(صلى الله عليه وسلم)عيّنه بنصوص الأحاديث منها: "من كنت مولاه فعلي مولاه" و" أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي" و"لأَعْطِين الراية غدا رجلا يفتح الله على يده" وغيرها ممّا استدلوا بها. وتنقسم فرق الشيعة إلى ثلاثة: المغيرية(البجلية)، الموسوية(الإثنى عشرية)، الإسماعيلية(الشيعية)، وأسس أتباع هذه الأخيرة دولة سنة 297هـ-909م ببلاد المغرب على يد الداعي أبي عبد الله الشيعي، بعد فشل محاولتهم تولى السلطة في المشرق. ولجأ أئمتهم بعد جعفر الصادق(ت.148هـ-765م) إلى مبدأ التقية، وهم أتباع إسماعيل الذين يقولون بإمامته بالنص من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والإمامة لا يتولاها إلا ابن الإمام، ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين. وهم الذين نجحت دعوتهم في المغرب وقامت الخلافة بفضل دعاتهم المهرة الوافدين إليه من المشرق،(انظر: ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد ت.456هـ-1064م)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح. محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط.2، دار الجيل، بيروت، 1996م، ج.5، ص.35 وما بعدها؛ ابن خلدون(عبد الرحمن، ت.808هـ-1405م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج.1، ص.246 وما بعدها؛ محمد أحمد عبد المولى، **القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار المعرفة، مصر، 1984م، ج.1، ص.89 وما بعدها؛ موسى هصام، **التّمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10-12م)**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م، ج.1، ص.96-146؛ Madelung (W.), art « **ISMAILIYYA**»dans E.I, nouvelle Edition, par Lewis (B.), Ménage (V.L.), Pellat (CH.) et Schacht(J.), Leyde Brille (E.J), Paris, (G.-P.) Maisonneuve Larose (S.A.), 1990, T.3, pp. 206-215).

[4] – المذاهب الفقهية مثل: المذهب مالكي والمذهب الإباضي

[5] – المذاهب العقدية مثل: العقيدة السنية والعقيدة الإباضية

[6] – ينسب إلى الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني، كنيته أبو عبد الله، واخْتُلف في نسبه قال القاضي عياض:" إلاّ أنه في الأخير يقول أنّ لا خلاف من أنّه ولد قحطان"، واختُلف في تاريخ ولادته، يذكر الشيرازي أنّه ولد سنة 95هـ-713م، و ذكر غيره أنه ولد بين سنة 90هـ-708م، و97هـ- 715م، والأرجح ما رُوي عن بكر من أنّه ولد سنة 93هـ-711م في خلافة سليمان بن عبد الملك(96-99هـ/714-717م)، من أبوين عربيين من قبائل يمنية فأبوه ينتهي إلى قبيلة ذي أصبح، واسمه أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، كان عالما فقيها، وأمه هي العالية بنت أبي بكار شريك الأزدية، وَجَدُ أبي مالك من أصحاب الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ممّن شهد المغازي كلها ما عدا بدراً، نزل جد مالك المدينة فاستقر بها، وكان من كبار التابعين، وجلة فقهائهم، روى عن الخليفتين عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان. وطلحة بن عبيد الله، وعائشة أم المؤمنين، وعن آخرين(رضي الله عنهم). وكان عماه ربيع ونافع، عالمين ومحدثين، فمالك إذًا من عائلة أصحاب العلم والرواية وأثار الصحابة وفتاويهم. ونشأ مالك في المدينة المنورة، دار الهجرة، وموطن الرسول(صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين من بعده(رضي الله عنهم)، فتأثر مالك بآرائهم وأفكارهم، وحفظ فتاويهم ومسائلهم، وتتبع أخبارهم وتعرف على أقضيتهم وأحكامهم، وكان حريصا على الأخذ بما جرى به عمل أهل المدينة وجعله حجة في الأحكام الشرعية العملية، فكان يرى سلوك أهلها من سلوك الرسول(صلى الله عليه وسلم)، والعمل به يضيء الطريق أمام الفقيه للوصول إلى استنباط الأحكام الشرعية وتطبيقها. أخذ الإمام مالك علمه عن جلة شيوخ المدينة، أبرزهم ربيعة الرأي، وابن هرمز، وشهاب الزهري ونافع، وقيل عن هذا الأخير أنّه "أصح أسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر"، وقد اختلف في سنة وفاته وعلى الأرجح هي سنة 179هـ-795م في خلافة هارون الرشيد،(انظر: ابن سعد الواقدي(محمد بن منيع الهاشمي البصري، (ت.230هـ-845م)، **الطبقات الكبرى**، تح. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ج.7، ص.570؛ (أبو إسحاق الشافعي، ت.479هـ-1086م)، **طبقات الفقهاء**، تح. إحسان عباس، دار رائد، لبنان، 1970م، ص.67-68؛ (عياض ابن موسى بن عياض السبتي، ت.544هـ-1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ط.2، تح. محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الشؤون الدينية، المغرب، 1983م، ج.1، ص.112 وما بعدها؛ السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، ت.911هـ-1505م)، **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، المكتبة الثقافية، بيروت، ج.1، ص.2 وما بعدها).

[7] – كان يطلق على شبه جزيرة الأندلس قديما" إبارية" من وادي "إبرة"، ثم سميت" باطقة"، نسبة لوادي بيطي وهو الاسم القديم لوادي الكبير وهو نهر بقرطبة، ثم أخذت اسم إشبانية نسبة إلى رجل ملكها اسمه إشبان، وقيل نسبة إلى السكان الأوائل الذين ملكوها، وسميت بعدها بالأندلس من الأنْدَلِشْ الذين سكنوها فيما بعد،(انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح. عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1917م، ص.57-58؛ وجعلها الإصطخري ضمن بلاد المغرب فقال:"فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غربيه، فهو برقة، وإفريقية...أما الغربي فهو الأندلس وجمعتهما في التصوير"، (انظر:(أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي، ت.346هـ-956م)، **مسالك وممالك**، تح. ي، دي خويه، إصدارات فؤاد سزكين، فرانكفورت، ألمانيا، 1992م، ص.46؛ وجعلها ابن حوقل من جملة المغرب، (انظر:(أبو القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ-977م)، **صورة الأرض**، دار الحياة، بيروت، 1992م، ص.65).

[8] – تولى الحكم بعد أبيه يكنى أبا الوليد، جعل المراكشي(عبد الواحد، ت.625هـ-1228م) وفاته سنة 180هـ-796م، (انظر: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تق. وتح. وتع. محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994م، ص.29).

[9] – القاضي عياض، المدارك، ج.1، ص.26-27.

سلام(ت.192هـ-807م)[1] إمام الأوزاعية.[2] أو بمساهمة فقهاء المغاربة العائدين من الحرمين الشريفين بعد سماعهم للإمام مالك فقيه المدينة، الذي كان يقال عنه "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"،[3] ومن كبار أصحابه والاحتكاك بهم.

وتمتزج أحيانا جهود السّلطة والفقهاء معًا، مثل ما حدث بالمغرب الأقصى حيث تأخر انتشار المذهب المالكي هناك مقارنة بدول المغرب الأخرى، كما أنه لا يُستبعد ميلهم في البداية إلى المذهب الحنفي،[4] ثم تحول أهله إلى المذهب المالكي في عهد إدريس الثاني(188-213هـ/804-828م)[5] إذ جعله مذهب الأدارسة[6]، فحمل النّاس على قراءة "**الموطأ**" قائلا لهم:" نحن أحق بهذا الكتاب- **الموطأ**- وقراءته" [7]. وساهم الأندلسيون الوافدون إلى المغرب الأقصى إثر موقعة

---

[1] – هو صعصعة بن سلام الشامي يكنى أبا عبد الله، وسمي بالأندلسي لاستقراره فيها، روى عن الأوزاعي ، وهو أوّل من أدخل مذهبه إلى الأندلس، فكانت الفتيا والرّواية عنه، زمن عبد الرحمن بن معاوية، وابنه هشام بن عبد الرحمن، وروى عنه عبد الملك بن حبيب، (انظر: ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، ت.403هـ-1012م)، **تاريخ علماء الأندلس**، دار الهيئة، مصر، 2008م، ص.203-204؛ الحميدي(أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت.488هـ-1095م)، **جذوة المقتبس**، تح. روحية عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م، ص.244-245).

[2] – نسبة إلى الإمام الأوزاعي صاحب المذهب، وهو عبد الرحمن بن محمد، اسمه عبد العزيز ثم غيّر اسمه إلى عبد الرحمن، اختلف في أصله هل هو عربي؟ أم أعجمي؟ اشتهر بعلمه وبشدة تمسكه بالسيرة النبوية، ولد ببعلبك سنة 88هـ- 707م، تتلمذ على كبار التابعين منهم عطاء بن أبي رباح، والزهري وطبقتهما، وحدث عنه أكابر المحدثين، فقد كان ثقة، مأمونا، فاضلا، خيِرًا، كثير العلم والفقه، روى عنه العديد، توفي في بيروت في صفر 157هـ-773م في آخر خلافة أبي جعفر المنصور.(انظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص.172؛ بوعقادة عبد القادر،"**المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد**"، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، الجزائر، 2004م، ص.198 وما بعدها).

[3] – حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله(β) وهو حديث حسن، باب ما جاء في عالم المدينة، رقم الحديث2680، (انظر: (أبو محمد بن عيسى، ت.279هـ-892م)، **الجامع الكبير**، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص.411-412).

[4] – عباس الجراري، "**وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**"، رمضان 1395هـ-1975م، مطبوعات الجمعية المغربية، دار الثقافة، الرباط، 1976م، ص.15، 26،29.

[5] – إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(Δ)، ولد سنة 177هـ-793م، كنيته أبو القاسم، أمه كنزة-أَمَة-، شاعرا، أديبا، عالما بكتاب الله قائما بحدوده، محدثا، فقيها، ورعا تقيا، جوادا، كريما، لما بلغ عمره إحدى عشر سنة وخمسة أشهر، عزم مولاه راشد أخذ البيعة له لكن الأمير إبراهيم بن الأغلب أرسل لراشد من يدس السم فقتله، وتولى بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدي فنجح في الأخذ بيعة له سنة 187هـ-803م، وذكر البكري رواية أخرى مفادها أنّ مولاه راشد أخذ بيعة البربر لأبي خالد، (انظر: **المسالك**، ص.122؛ ابن القاضي(أحمد المكناسي، ت.960هـ-1553م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1973م، ج.1، ص.160-161).

[6] – نتج عن الصراعات التي كانت في المشرق بين العباسيين والعلويين هروب إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)إلى مدينة وليلي بالمغرب الأقصى، إثر وقعة فخ الشهيرة (169هـ-785م)، فنزل عند إسحاق الأوربي سنة 172هـ-788م، الذي جمع له زعماء قبيلة أوربة، فرحبوا به وبعدما عرّفهم بنسبه وفضله وقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بايعوه أميرًا عليهم يوم الرابع من شهر رمضان سنة 172هـ-788م، بمدينة وليلي، وقالوا له:"الحمد لله الذي أثنى به شرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده ونموت بين يديه"، ثم بايعته قبيلة مغيلة وصدينة، وخطب في النّاس قائلا:"لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا"، بعدها وفدت عليه قبائل زناتة والبربر، من بينهم زواغة وزواوة، وسدراتة، وغياثة، ومكناسة، وغمارة، فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته، (انظر: الرقيق(إبراهيم بن القاسم القيرواني، ت.417هـ-1026م)، **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تح.عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص.179 وما بعدها؛ ويتفق ابن أبي زرع والناصري حول سنة دخول إدريس الأول إلى المغرب ومبايعته، في 4 رمضان 172هـ-788م، (انظر: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، ط.2، الرباط، 1999م، ص.19؛ **كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح. وتع. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج.1، ص.210)؛ لكن ابن أبي دينار جعل المبايعة في رمضان دون تحديد اليوم، (انظر:(محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط.3، دار المسيرة، لبنان، 1993م، ص.102)؛ واكتفى ابن عذارى بتحديد السنة، (انظر:(أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت. ق.8هـ-14م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. ومرا. ج. س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، 1983م، ج.1، ص.83)؛ أما بوبة مجاني فقد جعلت البيعة يوم 14 رمضان، (انظر: **أثر العرب اليمنية**، جامعة منتوري، قسنطينة،1987م، ص.118)؛ وجعل السيد أبو العزم البيعة في منتصف رمضان، (انظر: **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985م. ص.162).

[7] – التازي عبد الهادي، "**جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**"، ط.2، دار المعرفة، الرباط، 2000م، ص.118-119؛ وذهب عباس الجراري إلى أن إتباع الأدارسة للمذهب المالكي يرجع إلى سببين أولها: أن مالكا كان يروي في موطأه عن عبد الله الكامل والد إدريس، ثانيها: موقف الإمام مالك من العباسيين لصالح محمد النفس الزكية، حيث أفتى الأمام مالك بأن بيعة أبي جعفر المنصور لا تلزم لأنها كانت على إكراه، وضرب وقتها، (انظر: عباس الجراري، "**وحدة المغرب المذهبية**"، ص.15-16).

الربض (202هـ-817م)،[1] وعدد من فقهاء إفريقية في نشره،[2] خاصة أن بعض فقهاء الأندلس كانوا بطانة إدريس الثاني.[3] ومن الذين ساهموا في نشره: أبو القاسم جبر الله بن القاسم الأندلسي (ق.4هـ-8م)،[4] وعبد الله بن محمد بن محسود الهواري (ق.4هـ-8م)،[5] وأبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي (ت.357هـ-968م)،[6] وابن العجوز عبد الرحيم بن أحمد السبتي (ت.413هـ-1022م).[7] وتتلمذ على هذا الأخير أبو عثمان بن أبي سوار (ق.4هـ-10م)[8] من قلعة بني حماد.[9] وقد امتد حكم إدريس الأوّل (172-177هـ/788-973م)[10] إلى مدينة تلمسان[11] ويبدو أن المذهب المالكي قد انتشر بها في عهد إدريس الثاني.

---

[1] – ثار جماعة من الفقهاء من بينهم يحي بن يحي الليثي صاحب مالك والراوي للموطأ، وطالوت الفقيه وغيرهما، فخلعوا الحَكم وبايعه بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة، فقاتلهم الحكم وفرّ الباقون إلى مدينة فاس، وقدّرت عدد البيوت الوافدة بثمانية ألاف بيت، (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.56؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.27؛ الناصري، المصدر السابق، ج.1، ص.223؛ الهنتاتي، "إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التوجه المذهبي بالغرب الإسلامي"، **التاريخ العربي**، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، بمساهمة من مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ع.55، دار البيضاء، المغرب، 2011م، ص.125؛ وقدر عباس الجراري عددهم بأربعة ألاف بيت ولا يُدرى ماهي المصادر التي اعتمد عليها في هذا التقدير، (انظر: "لماذا لم يتشيع المغاربة؟"، **الأكاديمية المغربية**، ع.23، الرباط، 2006م، ص.87).

[2] – جاءت إلى إدريس في سنة 189هـ-805م وفود من افريقية والأندلس في نحو خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومذحج وبني يحصب والصدف وغيرهم، ثم وفدت بعدها ثلاثمائة عائلة من القيروان أيضا، (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.57،35؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ-11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م، ص.129).

[3] – عيّن إدريس الوافدين إليه من الأندلس في مناصب سيادية، وذات أهمية في دولته، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري الأزدي. واستقضى سعيد بن محمد القيسي، وكانوا ممّن سمعوا من مالك، (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.32؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.27؛ الجزنائي(علي، ت.766هـ-1364م)، **جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح. عبد الوهاب بن منصور، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص.18؛ بوبة مجاني، **أثر العرب اليمنية**، ص.251).

[4] – من فقهاء المالكية المتقدمين، الذين نزلوا عدوة الأندلسيين بفاس، له الفضل في إدخال المذهب المالكي بها، حافظ لمسائل ابن مواز، ولما جاء دراس بكتابه إلى فاس، طلب منه جبر أن يذكر له المسائل فكلما ذكر له مسألة إلا وأجابه عنها بما يحفظ، وإن تعذرت إجابته يقيسها على أصول مذهب الإمام مالك، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.85؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.174-175).

[5] – ولي قضاء عدوة الأندلسيين، كان عادلا في أحكامه ورعا لا تأخذه في الله لومة لائم، رحل إلى القيروان ولقي بها ابن أبي زيد القيرواني وشاهده وهو يؤلف كتابه "**النوادر والزيادات**"، (انظر: الجزنائي، المصدر السابق، ص.59).

[6] – الفقيه والحافظ، معروف بالعلم والصلاح له رحلة إلى الحج، لقي بالإسكندرية الفقيه علي بن عبد الله بن أبي مطر، سمع منه كتاب "**الموازية**"، ومن ابن اللباد وغيرهما، أخذ عنه خلف بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن العجوز، وابن أبي زيد القيرواني الذي كان نزيله. وهو أوّل من أدخل "**المدونة**" إلى فاس وبه اشتهر مذهب مالك، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.146؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.194؛ ابن مخلوف (محمد بن محمد، ت.1360هـ-1641م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2007م، ج.1، ص.153-154؛ الضبي(أحمد بن يحي بن عميرة، ت.599هـ-1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الهيئة، 2008م، ص.251).

[7] – كانت له ولأبيه رئاسة في العلم، وهو من المفتيين، الذين يشد الرحال إليهم، رحل إلى الأندلس وإلى إفريقية ولازم الفقيه ابن أبي زيد القيرواني، وسمع منه كتبه منها:"**النوادر والزيادات**" و"**المختصر**"، وجاء بهما وبغيرهما إلى سبتة، سمع من درّاس والأصيلي ووهب بن مسيرة الحجازي، روى عنه جماعة من فقهاء سبتة وفاس، وأبو عمران من القلعة الحمادية بالمغرب الأوسط، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.278 وما بعدها؛ ابن فرحون المالكي(ت.799هـ-1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. محمد بن الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د. ت، ج.2، ص.4).

[8] – المصدر السابق، ج.7، ص.279، ج.8، ص.77؛ وذُكرت كنيته في الديباج بأبي عمران، (انظر: ابن فرحون، ج.1، ص.5).

[9] – وتسمى قلعة حماد أو قلعة أبي طويل بناها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد على جبل تقربوست، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.49؛ الإدريسي (عبد الله محمد بن محمد، ت.ق6هـ-12م)، **المغرب العربي من نزهة المشتاق**، تح. تر. إلى الفرنسية محمد حاج صادق، الديوان الوطني، الجزائر، ص.109)، في سنة 370هـ-980م حسب ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله، ت.626هـ-1229م)، **معجم البلدان**، ط.3، دار صادر، بيروت، 2007م؛ أما الحميري فيرى أنها بنيت سنة 398هـ-1008م، (انظر:(محمد بن عبد المنعم، ت.900هـ-1494م)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، **معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، هـ.2، ص.71).

[10] – توفي مسموما سنة 177هـ-793م على يد سليمان بن جرير، الذي أرسله الخليفة هارون الرشيد ظنا منه أنه عندما وصل إدريس إلى تلمسان سيغزو إفريقية ومنها إلى المشرق، (انظر: الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك، ت.764هـ-1363م)، **الوافي بالوفيات**، طالعه يحي بن يحي الشافعي، تح. واعتناء أحمد أرناؤوط، وتركي مصطفى، دار الإحياء التراث، لبنان، 2000م، ج.8، ص.207-208؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.18 وما بعدها).

[11] – مدينة قديمة، سماها ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت.272هـ-885م) "تلمسين"، (انظر: **المسالك والممالك**، تح. محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت، 1988م، ص.82)؛ وكتبها ابن حوقل"تنمسان"، (انظر: المصدر السابق، ص.88).

وقد يرجع الفضل في انتشار المذهب المالكي في بإفريقية إلى علي بن زياد التونسي (ت.183هـ-799م)،[1] وابن الأشرس (ت.170هـ-786م)،[2] والبُهلول بن راشد (ت.182هـ-798م)،[3] وابن غانم (ت.190هـ-805م)،[4] وأسد بن الفرات (ت.214هـ-829م)،[5] وسحنون بن سعيد (ت.240هـ-854م)،[6] إمام أهل المدينة بالمغرب،[7] وصاحب "**المدونة**" في الفقه المالكي، وهي نتاج "**الأسدية**" لابن الفرات، حيث عرف المذهب وقتئذ انتشارا واسعا ورسخ بين عامة النّاس وخاصتهم، في فترة كان فيها الأغالبة (184-196هـ/800-811م) في إفريقية على المذهب الحنفي، وهو مذهب الخلفاء العباسيين في المشرق والنّاس على قدم إمامهم.[8]

---

[1] – التونسي العبسي، أصله من العجم، ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس، وقيل إنّه من عبس، فقيه ثقة، سمع في المشرق من الإمام مالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن لهيعة وغيرهم، وفي إفريقية من خالد بن أبي عمران، وسمع منه بإفريقية البهلول بن راشد وسحنون وأسد بن الفرات. عُرض عليه قضاء إفريقية لكنه رفض، وهو أوّل من أدخل "**موطأ مالك**" إلى هذه البلاد سنة 150هـ-767م، (انظر: الإمام مالك، **الموطأ رواية علي بن زياد التونسي العبسي**، تح. محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية، تونس، 1978م، ص.7، وهي أوّل رواية دخلتها، (انظر: أبو العرب(محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت.333هـ-945م)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتح. محمد بن شنب، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2006م؛ القاضي عياض، المدارك، ج.3، ص.80 وما بعدها).

[2] – أبو مسعود عبد الرحمن بن الأشرس التونسي من الأنصار، ثقة درس عن الإمام مالك وابن القاسم، نُسب إليه كتاب علي بن زياد التونسي "**خير من زينته**"، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.253؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.85-86).

[3] – أبو عمرو أصله من القيروان ولد سنة 128هـ-745م، فقيها، وقاضيا، من الثقات والمجتهدين، مستجاب الدعوة. سمع من الإمام مالك والليث بن سعد وسفيان الثوري بالمشرق، وبافريقية سمع عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وأخذ عنه سحنون، وصنف ديوانا في الفقه غالبيته في المذهب المالكي. وكان سبب وفاته أنه وعظ محمد بن مقاتل العكي أمير افريقية، فضربه بأكثر من عشرين سوطا ما أدى إلى وفاته، (انظر: **طبقات**، ص.52؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.87 وما بعدها؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.264 وما بعدها).

[4] - هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني، أبوه من العرب الذين دخلوا إفريقية أيام بني أمية، ولد سنة 128هـ-745م، روى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وخالد بن عمران، أوصى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة روح بن حاتم لمّا ولاه الخليفة هارون الرشيد ولاية إفريقية، أن يولي ابن غانم القضاء. وكان من أصحاب الإمام مالك، فقد كان يجلسه بجانبه، وحين ترد عليه مسائل وابن غانم معه يقول له:" أجب يا عبد الله فيجيب... ثم يلتفت إلى أصحابه فيقول هذا فقيه المغرب...". عرض عليه الإمام مالك الزواج بابنته شرط أن يقيم عنده، لكن ابن غانم رفض طلبه وعاد إلى إفريقية، (انظر: **طبقات**، ص.42-43؛ **المدارك**، ج.3، ص.65 وما بعدها؛ **معالم**، ج.1، ص.288 وما بعدها).

[5] - يكنى أبو عبد الله مولى بني سليم بن قيس، من مدينة نيسابور في خرسان، وُلد بنجران سنة 142هـ-759م وقيل سنة 145هـ-762م، لازم علي بن زياد التونسي فتعلم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلى الإمام مالك بالمشرق سنة 172هـ-788م، فسمع منه. وكان طلبه للعلم كثير، فقد ذكرت المصادر أنّه لما طلب من مالك أن يزيده قال له:"حسبك ما للنّاس". سمع من أصحاب أبي حنيفة: القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو وغيرهم. درس الفقه على عبد الرحمن بن القاسم، بمصر وكان أسدا يسأل وابن القاسم يجيب بما حفظه عن مالك بقوله:" وفيما شك قال، أخال، واحسب، وأظن به، ومنها ما قال فيه، سمعته يقول في مسألة كذا وكذا، ومسألتك مثله، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك، ودون ما سمعه عنه في مؤلف سماه "**الأسدية**". ذكر القاضي عياض أنّ أسدا قال لزيادة الله لما ولاه فتح جزيرة صقلية:"...من بعد القضاء والنّظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟ فقال:...وليتك الإمارة، وهي أشرف، وأبقيت لك اسم القضاء..."توفي ابن الفرات وهو محاصر سرقوسة، واختلفت المصادر في تاريخ وفاته بين 213هـ-828م، 214هـ-829م، 217هـ-832م، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.81 وما بعدها؛ **المدارك**، ج.3، ص.291 وما بعدها؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.3 وما بعدها).

[6] – هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن الحبيب التنوخي، واسمه عبد السلام، و"سمي سحنون باسم طائر (حديد) لحدته في المسائل"، من صليبة العرب، أصله من مدينة حمص، قدم أبوه إلى افريقية مع الجند، كان مولده سنة 161هـ-777م. جمعت فيه خصال لم تجمع في غيره، الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهد في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماح، و"كان أوّل من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حلقات للصفرية، والإباضية، وظاهرين لزيغهم، ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه". أخذ علمه عن علي بن زياد التونسي، وابن غانم، وابن الأشرس، ومعاوية الصمادحي وغيرهم. رحل إلى المشرق لطلب العلم سنة 188هـ-804م، وحسب أبو العرب والخشني، فقد ذكر ابنه محمد أنّه سافر إلى مصر سنة 178هـ-794م، وإذا كان هذا صحيح فإن لسحنون رحلتان: الأولى سمع منها من ابن نافع من المدنيين، والثانية من ابن القاسم، ثم سمع من ابن وهب، وأشهب، وسفيان بن عيينة، وابن ماجشون وغيرهم، قال عنه الشيرازي:"إليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب"، ولاه الأمير الأغلبي محمد القضاء على القيروان، فلم يباشر ذلك إلاّ بعد مضي حول، وبعد اتفاقهما على شروط وضعها سحنون. توفي وهو قاض، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب، (انظر: **طبقات**، ص.101-103؛ **المدارك**، ج.4، ص.45 وما بعدها؛ **معالم**، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ومحمد الماضور ج.2، ص.353 وما بعدها).

[7] – نفس المصدر، ص.201.

[8] – الناصري، المصدر السابق، ج.1، ص.198.

وقد امتد سلطان الأغالبة إلى عدة أقاليم من المغرب الأوسط،[1] وكان قاضي القيروان يعين قضاة الأقاليم، فقد عيّن الإمام سحنون بن سعيد سليمان بن عمران على بجاية[2] وباجة[3] (Beja) والأربس،[4] وعيّن قضاة آخرون منهم الفقيه أبا خالد يحي بن خالد السهمي (234-240هـ/848-854م) على قضاء الزّاب[5]، والفقيه أبا العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي (ت.387هـ-997م)،[6] والفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يونس المشهور بابن الخشاب (ت.308هـ-920م) على الزاب أيضا،[7] أمّا القاضي أبو عبد الله حمدون بن عبد الله المعروف بابن الطبنة (ت.280هـ-893م)، فتولى القضاء بمدينة طبنة،[8] ممّا يفيد أنّ سحنون ساهم في ترسيخ المذهب المالكي في الجهة الشرقية للمغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

ومن جهة أخرى دخل المذهب المالكي من الأندلس نحو المغرب الأوسط عبر مدنه الساحلية، التي عرفت تمركزا للجالية الأندلسية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أكثرها في مدينتي تنس ووهران.[9] وقد كانت مدينة تنس مقصدا للأندلسيين بمراكبهم، يأتون بتجارتهم إليها وينتقلون منها إلى ما سواها من المدن،[10]وسكنها فريقان من الأندلسيين[11] القادمين من مدينتي إلبيرة[12](Elvira)وتدمير[13](Todmirh). وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد

---

[1] – ابن سحنون (محمد بن سحنون بن سعيد، ت.256هـ-870م)، **كتاب الأجوبة**، تح. حامد العلويني، دار سحنون، تونس،2011م، ص.27؛ المراكشي، **المعجب**، ص.287؛ ذكر الحميري من مدن الزاب: المسيلة، نقاوس، طبنة، بسكرة، تهودة، (انظر: المصدر السابق، ص.281).

[2] – هي مدينة ساحلية أزلية، على ضفة البحر، عامرة بأهل الأندلس، بينها وبين بسكرة أربعة أيام، وبينها وبين قسنطينة مرحلتان، عُمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين فانتقل أهلها إليها، بناها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود 457هـ -1065م، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.7؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.58؛ عبد الحليم عويس، "بجاية الجزائرية وريثة القيروان وحاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون"، **مجلة الدارة**، ع.3، س.8، ربيع الثاني- جمادى الأول- جمادى الآخرة 1403هـ، جانفي- فيفري- مارس، الرياض، 1983م، ص.160-161؛ بجاية، سلسلة "**الفن والثقافة**"، نصوص وصور وتصميم تنشرها وزارة الأخبار، الشركة الوطنية للنشر، مطبعة ألتاميرا-روتوبريس ش.م، مدريد، إسبانيا، ديسمبر1970م، ص.16-19؛ رشيد مصطفاي، بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، س.1، ع.1، محرم 1391هـ- مارس 1971م، ص.84)، ذكرها الإصطخري "بجانة"، (انظر: المصدر السابق، ص.38)؛ و(انظر أيضا: البكري، **المسالك**، ص.82؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.116، 117، 125، 127؛ مجهول(كاتب مراكشي ت. ق6هـ- 12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وترجم قسم منه إلى فرنسية سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت، ص.128-129)؛ لكن ابن خلدون جعل بناءها سنة 460هـ-1068م، (انظر: المصدر السابق، ج.6، ص.231؛ دومنيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي 1067-1510**، تر.علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م، ج.1، ص.47 وما بعدها؛ علاوة عمارة، "التطور العمراني لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، ع.26، رمضان 1429هـ- سبتمبر 2008م، ص.228 وما بعدها).

[3] - هي اسم مدينتين واحدة بالأندلس، والأخرى بإفريقية وتسمى بباجة القمح أيضا، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.25، 55؛ السلفي(الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد، ت.576هـ-1180م)، **معجم السَّفر**، تح. عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، لبنان، 1992م، ص.36، 232).

[4] – بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، (انظر: المصدر السابق، ص.46؛ الحميري، المصدر السابق، ص.25).

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.404-405؛ إبراهيم بحاز، **القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية(96-296هـ/714-908م)**، الياقوت، الأردن، 2001م، ص.499.

[6] – إبراهيم بحاز، **القضاء**، ص.499.

[7] – لما عزل قاضي القضاة ابن طالب تعرض قضاته إلى محن، وكان ابن الخشاب الذي سجنه إبراهيم بن الأغلب من بينهم، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.176، **المحن**، تح. وهيب جبوري، ط.2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص.361، ص.72؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.350؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.185؛ إبراهيم بحاز، **القضاء**، ص.499).

[8] – والده عبد الله بن الطبنة، (انظر: المصدر السابق، ص.162)؛ ومدينة طبنة من مدن الزاب، فيها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم، والبربر، فُتحت على يد موسى بن نصير، بينها وبين بجاية سبعة مراحل، (انظر: اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت.284هـ-897م)، **البلدان**، دار إحياء التراث، تح. محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م، ص.107؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.172؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص.21).

[9] – بنيت سنة 262هـ-876م، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.78؛ الحميري، المصدر السابق، ص.138).

[10] – المصدر السابق، ص.78؛ البكري، **المسالك**، ص.61-62؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.104-105؛ علاوة عمارة، التطور العمراني، ص.227، وانظر أيضا: Allaoua (A.), ‹‹L'animation de la façade maritime du Maghreb central››, **Revue des Lettres et sciences Humains**, N=° 2, 2005, p.22).

[11] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.78؛ البكري، **المسالك**، ص.61؛ الحميري، المصدر السابق، ص.38.

[12] – من كور الأندلس، أسسها عبد الرحمان الداخل وأسكنها مواليه والعرب، (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص.28).

[13] – من كور الأندلس، سميت باسم ملكها تدمير، (انظر: المصدر السابق، ص.131-132).

بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحارة،[1] الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع قبائل نفزة[2] وبني مسقن وهم من أزداجة، فاستوطنوها سبعة أوام، وازداد عددهم فيما بعد فاستقروا في مدينة بونة[3] وبجاية ومرسى الفروخ. ودون شك أن إحدى أبواب تاهرت[4] سمي "باب الأندلسيين" لعبورهم منه.[5]

أمّا المغرب الأوسط، مجال الدراسة، فقد دخله المذهب المالكي كغيره من مناطق بلاد المغرب، لكن يُجهل لمن يعود الفضل في ذلك خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد، فالنّصوص التاريخية المتعلقة به شحيحة جدا، مقارنة بما يوجد بالمغربين الأدنى والأقصى والأندلس، إلاّ أنّه توجد إشارات في عدد من الرّوايات إلى كيفية دخوله هذه المنطقة وانتشاره بها. علما بأنه قبل أن يسود المذهب المالكي اجتمعت فيه عدة تيارات من خوارج (صفرية وإباضية)، ومعتزلية،[6] وواصلية،[7] وشيعية (الزيدية- إسماعلية)، وانتهت في الأخير إلى تأسيس دولة إباضية مستقلة بالمغرب الأوسط عاصمتها تاهرت على يد عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ/777-787م)،[8] وإمارة علوية بمدن حمزة،[9] تنس، والخضراء،[10] وشلف، وتلمسان وسهول متيجة.[11]

---

[1] – بنيت سنة 290هـ-903م، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.78-79؛ البكري، **المسالك**، ص.70؛ الحميري، المصدر السابق، ص.612).

[2] – من أكبر القبائل البربرية البترية بالمغرب والأندلس، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.71؛ **الإستبصار**، ص.133-134؛ الحميري، المصدر السابق، ص.612؛ وهم من "قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بالشاطبة"، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.232).

[3] – ذكر الحميري أنّها مدينة قديمة، وبها أثار كثيرة، وأكثر تجارها أندلسيون، (انظر: المصدر السابق، ص.115).

[4] – من مدن المغرب الأوسط الكبيرة والخصبة، كانت في ما سبق مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، أحدثها عبد الرحمن بن رستم، لها مرسى على الساحل تحط فيه المراكب يسمى "مرسى فروخ"، أو "مرسى فروج"، أو "مرسى الدجاج"، لها ثلاث أبواب باب الصبا وباب المنازل وباب الأندلس. وصفها اليعقوبي ب"عراق المغرب"، (انظر: المصدر السابق، ص.109 وما بعدها)؛ وذكر أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل ابن علي، ت.732هـ-1331م) أنها:"كانت قاعدة المغرب الأوسط"، (انظر: **تقويم البلدان**، دار الكتاب العربي اللبناني، بغداد، 1840م، ص.138؛ البكري، **المسالك**، ص.66 وما بعدها؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.7 وما بعدها؛ الباروني(سليمان بن عبد الله باشا، ت.1359هـ-1940م)، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، ط.3، 2002م، ق.2، ص.17 وما بعدها).

[5] – البكري، **المسالك**، ص.66؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.25-26.

[6] – سموا بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية. فهم يقولون بالقدر خيره وشره، وقد نفوا عدة صفات لله تعالى منها أنه عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق، ونفوا رؤيته بالأبصار، ونفي التشبيه عنه، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها،(انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج.1، ص.56 وما بعدها).

[7] – كان مجمع الواصلية قريب من تاهرت، يسكنون في بيوت كبيوت الأعراب ويقدر عددهم بثلاثين ألفا، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.67؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.9؛ الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.670هـ-1272م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح. إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م، ج.1، ص.42؛ الباروني، المرجع السابق، ق.2، ص.154؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الرؤية، مصر، 2010م. ص.260.

[8] – هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن مسرى، ولد بالعراق في بداية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، يَنسبه البعض إلى أكاسرة ملوك الفرس، فهم أجداده، والبعض الأخر ينسبونه إلى اللذارقة ملوك الأندلس. سافر مع أبيه وأمه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وتوفي أبوه هناك، ثم تزوجت أمه برجل مغربي، فسافر بهما إلى القيروان. نشأ عبد الرحمن بالقيروان وتعلم مبادئ العلوم، فصادف الدعوة الإباضية هناك، ثم سافر إلى المشرق للاستزادة من تعاليم الإباضية سنة 135هـ- 752م، ثم عُيّن واليا على القيروان وقاضيا في دولة أبي الخطاب المعافري (140-145هـ/757-762م) بعدها عُقدت له الإمامة، (انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.28 وما بعدها؛ أبو زكريا(يحي بن أبي بكر)، **كتاب السيّر المعروف بتاريخ أبي زكريا**، ط.3، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1984م، ص.54 وما بعدها؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص.81-82؛ الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.928هـ-1521م)، **كتاب السيّر**، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ-9م، تح. ودرا. محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، د.ت، ص.42-43؛ إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م. ص.247-248.

[9] – مدينة صغيرة عليها سور، بينها وبين البحر نحو ميل، وهي تابعة لصنهاجة، نزل بها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي فاتخذت اسمه، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.65؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.229)؛ وهناك من المغاربة من لا يعرف موضعها حسب ما ذكره الدمشقي. ومصطلح "الحمزي" يعود أيضا إلى إتقان حرف حمزة في القراءات، نسبة لأبي بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي، (انظر: ابن ناصر الدين شمس الدين القيسي، ت.842هـ-1438م)، **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، تح. وتع. محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ج.2، ص.4021-4022).

[10] – مدينة بالمغرب الأوسط تتصل بها عدة مدن منها مليانة وتنس، يسكنها قبائل من البربر مدغرة وبنو دمّر ومديونة...ملكها محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(Δ)، (انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص.109؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص.89؛ البكري، **المسالك**، ص.75).

[11] – بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديده ثم باء مثناة من تحت ثم جيم، مدينة بالقرب من جزائر بني مزغنة من أعمال بني حماد، هي على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين، ولها مزارع ومسارح، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.5، ص.53؛ الحميري، المصدر السابق، ص.163،523؛ علاوة عمارة، "مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف في الجزائر الحمادية (395-547هـ/100-1152م) مقاربة سوسيولوجية"، ضمن كتاب **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2008م، ص.99).

واجتمعت بتاهرت إباضية بلاد المغرب وحطّت بها وفود من القبائل رحالها، لِما من عدل وتسامح وتعايش سلمي بها، وقد أكّد ذلك المقدسي بقوله:"إنها بلخ المغرب انتعش فيها الغريب واستطابها اللّبيب فيها أخلاط من الناس وفيها الإباضيون وهم الغالبون عليها"[1]. وشاهد ابن الصغير الوفود من كل الأمصار وأقاصي الأقطار تصل إلى تاهرت بقوله:"ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وبنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله...". [2] وفي فترة الدولة الرستمية اتخذ الإمام أبو اليقظان محمد(261-281هـ/875-894م) مجلسا للمشورة ضم إلى جانب القبائل وأعلام الإباضية كثيرا من الحنفية والمالكية.[3]

ازدهرت الحركة العمرانية بتاهرت، وشيدت المساجد والدور ولكثرتها اتخذت أسماء المترددين عليها والقاطنين بها من كوفيين وبصريين وقرويين،[4] لتمييزهم عن بعضهم البعض، والمتعارف عليه أنّ الأسماء المذكورة مرتبطة بالمنطقة أو المذهب الذي ينتمون إليه، فمثلا مدينة البصرة [5] والكوفة انتشرا بهما المذهبان الحنفي والمالكي[6] وبالقيروان أيضا.

ولما تراجعت الرّحلات العلمية المشرقية بوفاة الإمام مالك، أصبحت إفريقية التي هي امتداد للمدرسة المالكية بالمدينة المنورة ومصر وجهة لطلاب العلم، فأخذوا أصول المذهب عن الإمام سحنون، فتكوّنت بذلك طبقة جديدة من فقهاء مالكية المغرب الأوسط منهم: الفقيه أبو جعفر مروان ابن أبي شحمة المسيلي (ت.242هـ-856م)[7]وهو مولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والفقيه بكر بن حماد بن إسماعيل الزناتي التاهرتي(ت.296هـ-909م)،[8] الذي

---

[1] – (شمس الدين أبو عبد الله الحنفي المعروف بالبشاري، ت.387هـ-997م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح. محمد مخزوم**، دار إحياء التراث، بيروت، 1987م، ص.189.

[2] – لما تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة، كانت سيرته حسنة، كان يجلس في مسجد للأرملة والضعيف لينظر في أمورهم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، حتى شاع خبره في مشارق الأرض ومغاربها، (انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.32-36).

[3] – المصدر السابق، ص.116؛ الشماخي، المصدر السابق، ص.199؛ محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.430-431.

[4] – نفسه.

[5] – هما بصرتان : الكبري بالعراق بناها الخليفة عمر بن خطاب (رضي الله عنه) سنة 17هـ-638م، والأخرى بالمغرب الأقصى أسست هي أصيلة في نفس الفترة أو قريبة منها استحدثها يحي بن إدريس، وقد مدح أحمد بن فتح المشهور بابن الخراز التاهرتي أبا العيش بن إبراهيم بن القاسم، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.81؛ البكري، **المسالك**، ص.110-111.

[6] – إذا كان نبوغ المذهب المالكي بالمدينة فيها تفجر ومنها انتشر...، واستقر ببلاد العراق بالبصرة فغلب عليها ابن مهدي والقعنبي(عبد الله بن مسلمة(ت.221هـ-836م) وغيرهما، والمقصود بالقعنبي صاحب الرواية الشهيرة عن الموطأ الإمام مالك، فإذا قلنا: البصريون فلا يكون القصد منه أصحاب المذهب الحنفي دون غيرهم، فقول القاضي عياض يؤكد وجود المالكية وبكثرة، (انظر: **المدارك**، ج.1، ص.24، ج.3، ص.198 وما بعدها؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.11؛ الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، ومنشورات قسنطينة، الجزائر، 2003م، ص.158)؛ أما الكوفيون سموا بذلك نسبة إلى مدينة الكوفة وهم أتباع الإمام أبي حنيفة، واستقراره هناك، وانتشار مذهبه بها.(انظر: السيوطي، **طبقات الحفاظ**، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص.80-81).

[7] – من أصحاب سحنون، كان من الفضلاء المتقدمين والعباد المجتهدين، قال عنه أبو العرب:"كان فقيها عالما بالفقه، والمناظرة، ثقة حسن العقل"، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.115-116؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.395).

[8] – أبو العرب، طبقات، ص.37 ومن هنا وهناك.

أخذ عنه أبو العرب تميم(ت.333هـ-945م) صاحب كتاب "**طبقات إفريقية**"، والفقيه أبو عبد الملك الملشوني وابنه إسحاق(حي سنة 226هـ-841م) [1] وغيرهم من فقهاء هذه الطبقة.

حاول الفاطميون ببلاد المغرب القضاء على المذهب المالكي، فاستعملوا كل السّبل لاستئصاله من جذوره بشتى الطرق، ممّا أدى إلى هجرة بعض فقهاء المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إلى مناطق أخرى وخاصة إلى الأندلس،[2] للحفاظ على مذهبهم من جهة، ولأنها بعيدة عن الخطر الشيعي من جهة أخرى.

فقد رحل أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي المشهور بالخياط (ت.393هـ-1003م) إلى الأندلس، قاصدا الجهاد ثم استقر بها حتى وفاته.[3] ورحل أيضا الفقيه أبو محمد قاسم ابن عبد الرحمن التاهرتي (حي سنة 317هـ-929م)، وهو من جلساء بكر بن حماد [4] إلى الأندلس سنة 318هـ-929م، وولاّه الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-977م) القضاء،[5] وأخذ معه ابنه أبا الفضل أحمد (ت.395هـ-1004م) وكان سِنّه لا يتجاوز ست سنوات، درس على فقهاء الأندلس، واشتغل بالتأليف،[6] واستقر فيها إلى آخر حياته. [7]

ومن أبرز فقهاء المالكية الذين ساهموا في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الأوسط القاضي أبو الفضل أحمد بن أبي عون الوهراني (ت. بعد 341هـ-952م) الذي رحل مع عدد من فقهاء المغرب الأوسط إلى الأندلس، ولم يذكر ابن الأبار (ت.658هـ-1260م) أسماءهم[8]. والفقيه أبو زكريا بن بكر بن أحمد الغساني التاهرتي (ت.393هـ-1002م) المشهور بابن الأشج الذي دخلها مع أبيه وأخيه سنة 326هـ-938م. [9] أما الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي (ت.387هـ-997م)، فقد دخل قرطبة (cordova)

---

[1] – وملشون قرية للعجم بتهودة، (انظر: نفس المصدر، ص.98؛ البكري، **المسالك**، ص.52).

[2] – انظر جدول فقهاء مالكية المغرب الأوسط ما بين القرنين 2-4/8-10، بعد ص.37 من هذا الفصل.

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.110؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.63؛ منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي، **علماء الأندلس في القرنيين الرابع والخامس الهجريين دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2002م، ص.440.

[4] – ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت.578هـ-1182م)، **الصلة**، دار الهيئة، القاهرة، 2008م، ق.1، ص.47؛ ابن عبد الملك الأوسي المراكشي(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، ت.703هـ-1304م)، **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، تح. وتق. وتع. القسم الأول محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دار الثقافة، لبنان، 1984م، س.8، ص.60[2]؛ الباروني، المرجع السابق، ج.2، ص.100.

[5] – الضبي، المصدر السابق، ص.394؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.313؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض، لبنان، 1980م، ص.131.

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.80؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.172؛ الضبي، المصدر السابق، ص.132.

[7] – الضبي، المصدر السابق، ص.171- 172، ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.47.

[8] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.111؛ نويهض، **أعلام**، ص.348؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.137.

[9] – جعل وفاته صاحب البغية سنة 524هـ-1130م، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ الضبي، المصدر السابق، ص253؛ الباروني، المرجع السابق، ق.2، ص.98؛ نويهض(المستدرك)، **أعلام**، ص.361.

هاربا من الشيعة، وسكن مدينة الزهراء[1] (Medina Azahara) فكلف بالفتوى. قال عنه الضبي (ت.599هـ-1300م):"كان يفتي في جامع الزهراء، وقد حدّث بحكايات من أمالي أبي علي القالي" البغدادي (ت.356هـ-967م).[2] ورحل إليها أيضا الفقيه أبو محمد قاسم بن موسى بن يونس الضني (حي. سنة 390هـ-1000م)[3] من مدينة جزائر بني مزغنة.[4]

رغم هجرة فقهاء مالكية المغرب الأوسط فقد حافظ المذهب على مكانته، وحسب الإصطخري الذي توفي سنة 346هـ-956م فإن:"الغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث، وأغلبهم عليهم في الفتيا مذهب الإمام مالك بن أنس..."،[5] فالغلبة إذا كانت للمالكية، وإذا سلّمنا بهذه الرّواية فإن المذهب المالكي لم ينقطع إبان وجود الفاطميين بل استمر إلى عهد الخليفة القائم بأمر الله (323-335هـ/935-946م)، وقد علّق الباحث محمد الشريف على هذه الرّواية بقوله إن عبارة "أهل المغرب" الواردة في النص- فيما يعتقده تخص المذاهب السنية حصرا.[6]

والملاحظ أن بعض المصادر التاريخية على اختلافها ترجمت لعدد لابأس به من فقهاء مالكية المغرب الأوسط ومن معظم مدنه، فمثلا مدينة المسيلة[7] منذ بنائها كانت مقصدا للعلماء والشعراء،[8] وأشار النويري (ت.732هـ-1331م) إلى ذلك بقوله:"وامتلأ البلد بالعلماء والفقهاء..."،[9]وكان حكام الفاطميين والزيريين (361-543هـ/972-1148م)

---

[1] - مدينة قريبة من قرطبة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، (انظر: الرشاطي(أبو محمد، ت.542هـ-1147م) و(ابن الخراط الإشبيلي، ت.581هـ-1185م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تق. وتح. إيميليومولينا وخاثينيو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م، ص.41-42، 145).

[2] - الحميدي، المصدر السابق، ص.187؛ الضبي، المصدر السابق، ص.47؛ العسقلاني(شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن محمد بن حجر، ت.852هـ-1448م)، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تح. علي محمد البجاوي، مرا. محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان، 1967م، ج.1، ص.152؛ منيرة بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص.440.

[3] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.474.

[4]- ذكرت بأسماء مختلفة عند الجغرافيين:"جزيرة بني مزغناية" عند المقدسي، المصدر السابق، ص.63 وهنا وهناك؛ "جزائر بني مزغنّان" عند ابن حوقل، (انظر: المصدر السابق، ص.65 وما بعدها)؛ "الجزاير بني مزغنى" عند البكري، (انظر: **المسالك**، ص.66-82)؛ "جزاير بني مزغنّاي" عند أبي الفدا، (انظر: المصدر السابق، ص.126-137؛ **الإستبصار**، المصدر السابق، ص.132)؛ "جزائر بني مزغنة" عند الزهري، (انظر: المصدر السابق، ص.107) وهي مدينة الجزائر في وقتنا الحالي.

[5] - الإصطخري، المصدر السابق، ص.45.

[6] - "جغرافية التيارات المذهبية بالمغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن 4هـ-10م"، ضمن كتاب **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م، ص.109.

[7] - أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله المهدي سنة 313هـ-925م، وقام ببنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي المعروف بابن الأندلسي، وبقي القائم فيها إلى أن مات في ثورة مخلد بن كيداد، وسكنها بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.59؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.108-119؛ **الاستبصار**، ص.171-172؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.215).

[8] - الحميري، المصدر السابق، ص.66.

[9] - (أحمد بن عبد الوهاب، ت.732هـ-1331م)، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية والمغرب والأندلس-صقيلية واقريطش) (27-729هـ/647-1328م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح. وتع. مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص.305.

يتنقلون بينها وبين مدينة أشير،[1] خوفا من خطر المالكية الذي كان يهدد الدولة من جهة، والزناتيين الذين قويت شوكتهم بمساندة الأمويين لهم من جهة أخرى.[2]

ويبدو أنّ ما قام به الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي (297-322هـ/909-936م) [3] من استبدال العاصمة الأولى رقادة[4] بالمهدية،[5] يعبر عن خوفه من الأخطار التي قد تهدده في أي لحظة من مالكية بلاد المغرب وقد ظهر ذلك في قوله:"اليوم أمنت على الفاطميات – يعني بناته-..."،[6] وأشار القاضي النعمان(حي سنة 363هـ-974م) إلى هذا النص وكان المقصود منه خطر فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري(332-336هـ/944-948م).[7]

وقد تحصن أبو القاسم القائم بأمر الله (322-334هـ/936-946م) بالمهدية عند حصارها من طرف مخلد بن كيداد ومن معه من المالكية، الذين رأوا فيما بعد أنّ القضاء على الحركة الشيعية التي لا تمت بأية صلة للإسلام إلاّ بالثورات، فشرعية ثورة صاحب الحمار أخذها – مخلد ابن كيداد – من فقهاء المالكية الذين كانوا الفئة الغالبة عدديا.[8] ورأت بعض الدراسات أنّ سبب رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ-972م ناجم عن هذه

---

[1] – وقد تداول على هذه الأخيرة أبو البهار وأخواه يطوفت وحماد، وهذا الأخير تولاها سنة 387هـ-997م، (انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.248؛ النويري، المصدر السابق، ص.324)؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.227)؛ وانفرد ابن الأثير على أنّ باديس استعمل حماد على أشير سنة 386هـ-996م، (انظر:(أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري، ت.630هـ-1233م)، **الكامل في التاريخ**، تح. أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج.7، ص.485؛ و(انظر أيضا: إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1980، ص.91).

[2] – فرح القائم بأمر الله الفاطمي عندما سمع أنّ زيري بن منّاد سيقوم ببناء مدينة أشير، وقال:" مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر، فأرسل له رجل ممن له شهرة كبيرة بهذه الصناعة بإفريقية، فأعانه بالحديد ومواد أخرى، (انظر: النويري، المصدر السابق، ص.304-305).

[3] – ذكر في المصادر الشيعية الخليفة المهدي ب"عبد الله"، أما المصادر السنية ب"عبيد الله"، يبدو أنّه للتحقير، (انظر: القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، حي سنة 363هـ-974م)، **افتتاح الدعوة**، تح. فرحات الدشراوي، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1986م، ص.293-294 وغيرها من الصفحات؛ وذكره ابن حماد ب"عبد الله"، (انظر: (أبو عبد الله محمد بن علي، ت.628هـ-1231م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح. ودرا. التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1981م، ص.35 وما بعدها).

[4] – هي من حواضر القيروان تبعد عنها حوالي أربعة أميال، بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبي، انتقل إليها من القصر القديم، وبنى فيها قصورا عجيبة وجامعا، ثم أقام فيها عبيد الله المهدي قبل بناء المهدية،(انظر: البكري، **المسالك**، ص.29،27؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص.143؛ Vonderheiden (M.), **La Berberie Orientale sous la dynastie des Benou`L-Arlab, (184-296 H/800-909)**, Libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927, p.51.

[5] – مدينة بناها عبيد الله المهدي فنسبت إليه، وهي في جهة البحر وتحوّل إليها من رقادة القيروان في سنة 308هـ- 920م، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.73؛ البكري، **المسالك**، ص.29)؛ أطلق عليها بعض الفقهاء المالكية اسم "المردية" و"المهدية"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.300).

[6] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.6، ص.489.

[7] – أشارت نصوص سنية وشيعية إلى ما أنذر إليه عبيد الله المهدي، (انظر: القاضي النعمان، **كتاب المجالس والمسايرات**، تح. إبراهيم شبوح وآخرون، ط.2 منقحة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1997م، ص. 294-295، 499-500؛ الجوذري (أبو علي منصور العزيز)، **سيرة الأستاذ جوذر**، تح. محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر، مصر، د.ت، تع. رقم 135، ص. 53،189؛ البكري، **المسالك**، ص.49؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص.53؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص. 12 وما بعدها).

[8] – أظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد في بداية الأمر أن حركته سنية، فترحم على أبي بكر وعمر، وحث على قراءة مذهب مالك والالتزام به، وأنه يستند في تطبيق الشرع على الكتاب والسنة. لذا انضم إليه عدد كبير من المالكية ماعدا الفقيه أبو ميسرة أحمد بن نزار بسبب العمى، ولم يتفطنوا لتدبيره وحيلته لذلك اخلصوا القتال معه حتى قتل عدد كبير منهم في هذه الفتنة، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.27؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص.54؛ موسى لقبال، "التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط"، **مجلة الأصالة عدد خاص عن تاريخ منطقة الأوراس بمناسبة انعقاد الملتقى 12 للفكر الإسلامي**، ع.60-61، س.7 رمضان- شوال/أوت-سبتمبر، 1978م، ص.57، موسى هصام، المرجع السابق، ج.1، ص.389-446).

الثورة،[1]حيث أنه:"لا سبيل إلى فرض دولة على الناس يقاطعونها مقاطعة تامة ويعيشون بعيدا عنها"،[2] وأنّه لا مكان للشيعة في هذه البلاد التي غالبية أهلها سنة.

يبدو أن الفاطميين لم يشترطوا على بلكين بن زيري خليفتهم في بلاد المغرب أن يكون شيعيا أو أن يستمر في الدعوة إلى مذهبهم،[3] ويبدو أيضا أن الزيريين كانوا أتباعهم ظاهريا فقط، وهو ما يفسر قضاءهم على دعاة الشيعة الذين لم ينقطع إرسالهم. ويدل على رفضهم لهذا المذهب المناقض للمذهب السني.

بدأ الزيريون يظهرون تمسكهم بالمذهب المالكي تدريجيا، وانتهوا إلى مقاطعة الفاطميين سنة 440هـ-1049م[4] وعادت الدعوة للعباسيين[5]، وقد ظهر ذلك جليا في عهد المنصور ابن بلكين(374-386هـ/985-996م)[6] الذي تقرب منهم وأنصت إليهم، فاستطاع بذلك أن يجلب محبة النّاس عامة والمالكية خاصة، فأحسن إليهم وأسقط الخراج عنهم، وأحب الصلحاء والفقهاء حتى أنه لمّا مرّ بقرية القاضي عيسى بن مسكين(ت.275هـ-889م)[7] صلى في محله ركعتين وأوصى عامله هناك بالحفاظ عليه. واستقبل قضاة وشيوخ القيروان وغيرهم من الوافدين إليه من مدينة أشير[8] بقوله:"لقد شق علي تعبكم وحركتكم غير أنّ سروري في رؤيتكم"[9]، وكافأهم على ذلك، وقال لهم" إنّ أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا،

---

[1] – المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت.474هـ-1082م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، من الفتح العربي إلى آخر سنة 300هـ، تح. حسن مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة،1951م، ص.17.

[2] – نفس المصدر، ص.18.

[3] – فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية في بالمغرب**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص.403.

[4] – اختلف النصوص في تحديد تاريخ القطيعة على عدة أقوال، فابن بسام جعل القطيعة وخطبة المعز للفاطميين سنة 446هـ-1054م، (انظر: (أبو الحسن علي بن بسام، ت.542هـ-1147م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ق.4، ص.89)؛ أما ابن الأثير والنويري جعلاها في سنة435هـ-1044م، (انظر: **الكامل**، ج.8، ص.265؛ النويري، المصدر السابق، ص.341، وفي موضع آخر جعلها ابن الأثير سنة 440هـ-1049م(**الكامل**، ج.8، ص.286)؛ وهو تاريخ القطيعة عند ابن عذارى سنة 440-441هـ/1049م، (انظر: المصدر السابق، ج1، ص.276-277)؛ و(انظر أيضا: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.277).

[5] – اعتمد الزيريون على نقود الفاطميين بعد رحيلهم إلى المشرق لكنهم لم يستمروا بالتعامل بها إذ أنه في سنة 441هـ-1040م قاموا بوضع الآية القرآنية﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران، الآية 85) بدل من" محمد رسول الله وعلي صديقه"، وبعد نزوح الهلاليين حسب المستشرق Aimèe Launois فإن الزيريين عادوا إلى التبعية الفاطمية، لكنهم لم يداوموا عليها ففي سنة 449هـ-1058م قاطعوا الفاطميين، وبناءً على الدراسة التي قام بها المستشرق Farrugia de Candie سنة 1936م اكتشف من خلالها نقودًا سكّها المعز بعد القطيعة، (انظر: ‹‹Influence des Docteurs Malékites sur le monnayage Ziride de type Sunnite et sur celui des Almoravides››, **Arabica**, Revue d'études arabes, T. XI, 1964, pp. 127,145.)؛ وأشار روجي إدريس في دراسته إليها أيضا، (انظر: **الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق.10إلى ق.12م)**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج.2، ص.259).

[6] – لم تذكر المصادر معلومات عن المنصور، بل لم تلمح إلى وظائفه قبل توليه عمل أشير سوى أنّه كان سفيرا بهدية إلى الحاكم الفاطمي بالمشرق، وهو أوّل خروج له، (انظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.97؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.98).

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.331؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح. تع. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م ج.6، ص.996.

[8] – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.97؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1؛ ص.98.

[9] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.240؛ ابن أبي دينار، نفس المصدر.

وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان وما أنا في هذا الملك ممّن يولى بكتاب ويعزل بكتاب لأنّي ورثته عن أبائي، وأجدادي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير"[1]، ولكن رأت بعض الدراسات في قتله لبعض الدعاة ونفيه للبعض الآخر تظاهرا منه.[2]

ومهما يكن من أمر فقد المنصور قلّل من طاعته للفاطمين، فأصبح يخالفهم في بعض الأوامر[3] منها: تخلصه من عبد الله الكاتب (المختال)[4] الذي حاول بكل ما يملك من قدرة حمل علماء مالكية القيروان وغيرها على المذهب الشيعي،[5] وقد وجه العزيز بالله الحاكم الفاطمي (365-386هـ/976-996م) خطابا للمنصور يعلمه فيه بأنّه عهد بمهمة "الدعوة" لعبد الله الكاتب[6]، وأمره أن يطيعه في ذلك،[7] لكن العلاقة بين المنصور وعبد الله الكاتب تأثرت حين ساعد هذا الأخير الداعي أبا الفهم لما قدم المغرب سنة 370هـ-981م[8]، وظهور هذا الأخير يوحي كأنّه الممثّل الشّخصي للخليفة الفاطمي[9].

حسب نص ابن عذارى والنويري فإنّ المنصور"كان ملكا كريما جوادًا صارما، وكانت أيامه أحسن أيام وأطيبها ومازال مظفرا منصورا لا ترد له راية"،[10] فقد أسقط الخراج عن الرّعية حتى صلحت أحوالهم ونصّب قضاة ذوي ورع ودين وصلابة في الحكم.[11] وقد خالف الفاطميين الذين لم يتوقفوا عن نشر مذهبهم مشرقا ومغربا،[12] وتتبع أبا الفهم وأتباعه في كل من مدينتي ميلة[1] وسطيف[2] وغيرهما

---

[1] – نفسه؛ النويري، المصدر السابق، ص.317؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.98؛ و(انظر أيضا: Launois (A.), op. cit., p. 131).

[2] – محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.405.

[3] – المقريزي (تقي الدين بن علي، ت.845هـ-1442م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح. جمال الدين الشيال، ط.2، القاهرة، 1996م، ج.1، ص.263؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.240-241؛ وجاء عند النويري أنّ أحدهما كتامي والأخر رجل من عبيدهم، (انظر: المصدر السابق، ص.321).

[4] – جاء القاضي وشيوخ القيروان للمنصور ليحتجوا على قتله عبد الله الكاتب فقال لهم:"ما قتلت عبد الله على مال ولا شيء اغتنمه وإنّما خفته على نفسي فقتلته..."، (انظر: النويري، المصدر السابق، ص.320).

[5] – روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.103؛ و(انظر أيضا: Launois (A.), op. cit., p. 133.

[6] – قام بطعنه المنصور وأخيه عبد الله برمحيهما، وقتل ابنه يوسف حين استغاث، (انظر: النويري، المصدر السابق، ص.320؛ وانظر أيضا: (Launois (A.), op. cit., pp. 130-131.

[7] – المصدر السابق، ص.323؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1 ، ص.104 .

[8] – لما ملك الفاطميون مصر والشام أظهروا مذهبهم وسبّوا الصحابة– رضي الله عنهم، ولم تنقطع دعوتهم في بلاد المغرب. ففي عهد المنصور أُرسل الداعي أبو الفهم إلى كتامة، وفي عهد باديس بسبب شدة العنف والغلظة التي استعملها أحد الدعاة، قام أهل القيروان بقتله، وبالغت إحدى الرّوايات في وصف مقتله بالقول:"أكلوا لحمه ولم يتركوا إلا رجليه"، وهذه الرواية فيها إفراط في المدافعة، لأن المذهب السني يحرّم أكل لحم البشر، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.26-27؛ النويري، المصدر السابق، ص.321).

[9] – روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.104.

[10] – المصدر السابق، ج.1، ص.247؛ المصدر السابق، ص.323.

[11] – الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.26.

[12] – نفسه؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج.1، ص.263.

وقـاتلهم أبشع قتـال، وقتل أحد عبيده لـقذفـه الصحـابة رضوان الله عليهم[3]. وتـوحـي تصرفـات الـمنصور هذه إلى رغبتـه فـي كسب ثقـة أهل الـمغرب و"تهدئـة الـخواطـر ومجـاملـة المـالكيـة".[4]

وظهرت معاملة باديس بن منصور(386-406هـ/996-1016م) للمالكية بعد وفاة أبيه من خلال شكاوى التي قُدّمت لأبي محرز العابد الزاهد(ت.413هـ-1022م)[5]ضده وهي تخص بعض الرّجال والطلبة الذين لحقهم ظلم من مؤدبيهم،[6] ولمكانة هذا الأخير عند باديس فقد أصبح الوسيط بينه وبين الرّعية فهو ممّن لا يرفض له طلب. ومن خلال ما تقدم، يظهر أن المنصور وابنه باديس أحسنا التّعامل مع الفقهاء المالكية، بل شرّكوهم أحيانا الحكم بشكل غير مباشر.

ويظهر مما سبق أنّ المذهب المالكي ترسخ في المغرب الأوسط نتيجة لعدة عوامل نذكر منها: دور الأندلسيين في نشر المذهب المالكي في المدن الساحلية التي شيدوها وتمركزوا بها مما أدى إلى ظهور فقهاء مالكية كان لهم دور كبير في نشر علم الفقه والحديث. وأرسى فقهاء مدن الزاب أصول المذهب به، ويرجع الفضل في ذلك إلى الإمام سحنون بن سعيد الذي عينهم قضاة به. وساعدتهم الرحلات الأندلسية والمشرقية على التّعرف على أشهر رجال المذهب فسمعوا منهم وأخذوا عنهم رواياتهم، ونشروها بين النّاس عند عودتهم إلى منطقتهم. [7]

وبالرغم من أن الغلبة كانت للمذهب الإباضي بتاهرت فالملاحظ أنّ عدد فقهاء المالكية بها قد فاق عدد الذين استقروا بمدن المغرب الأوسط الأخرى حسب ما هو مبين في الجدول أدناه. ويستنتج أيضا أنه رغم وجود المذهب الفاطمي في المنطقة إلاّ أنّ ذلك لم يؤثر على المالكية التي تمسك أصحابها بمذهبيتهم.

---

[1] – كانت ميلة أوّل مدينة صادفت المنصور، فخربها وأمر أهلها بالمسير إلى باغاية، (انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.243؛ الحميري، المصدر السابق، ص.568).

[2] – مدينة قديمة أزلية، كان عليها سور خربه أبو عبد الله الشيعي مع الكتاميين الذين تشيعوا، بينها وبين ميلة مرحلة، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.76؛ الحميري، المصدر السابق، ص.318).

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.246.

[4] – روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.107.

[5]– هو أبو محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي المعروف بالعابد من صلحاء علماء افريقية، كان متقشفا فاضلا زاهدا في الدنيا، ومن الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وكان يقيم الشرع حتى لو عرض نفسه لحد السيف فيقول:"الصراط أحد من السيف"، (انظر: أبو طاهر الفارسي، **مناقب محرز بن خلف**، تر. وتح. روجي إدريس، جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1956م، ص.140، 144 وما بعدها، ص156؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، 264-269).

[6] – هناك روايتان وفيهما اختلاف طفيف، (انظر: أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.140،157؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.268- 269؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.216).

[7] – العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج.1، ص.152.

فقهاء مالكية المغرب الأوسط ما بين القرنين 2-4هـ/8-10م

اسم ولقب الفقيه	المنطقة التي رحل إليها	مجال تخصصه	مصادر ترجمته
أبو القاسم الزواوي (ق.2هـ-ق.8م)	المدينة	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص. 154؛ المالكي، رياض النفوس، ج.1، ص.248.
أبو خالد يحي بن خالد السهمي(240هـ/854م)	مصر	القضاء على الزاب	أبو العرب، طبقات، ص.120-121؛ القاضي عياض، المدارك، ج.4، ص.404-405.
أبو جعفر مروان بن أبي شحمة المسيلي(242هـ-856م)	القيروان	الحديث، مناظر	أبو العرب، طبقات، ص.115-116؛ القاضي عياض، المدارك، ج.4، ص.395؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج.2، ص.106.
عبد الله بن الطبنة(ت.260هـ-874م)	القيروان	طبنة	القاضي عياض، المدارك، ج.4، ص.231.
محمد بن القاسم الزواوي (ت.280هـ-893م)	القيروان	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.154؛ المالكي، رياض النفوس، ج.1، ص.248.
أبو عبد الله حمدون بن عبد الله المكفوف والمعروف بالطبنة (ت.280هـ-893م)	القيروان	الحديث، القضاء	أبو العرب، طبقات، ص.162؛ القاضي عياض، المدارك، ج.5، ص.100-101.
أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن إسماعيل التاهرتي (ت.296هـ-908م)	المشرق	الحديث- الشعر	أبو العرب، طبقات، ص.37 وما بعدها؛ البكري، المسالك، ص.67؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.92.
أبو زيد عبد الرحمن بن بكر بن حماد التاهرتي(حي296هـ-908م)	الأندلس - المشرق	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.37 وما بعدها؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.92.
الطبني (ق.3-ق.9م)	القيروان	القضاء	الجودي، قضاة القيروان، ص.78.
أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله التميمي التاهرتي (ق.3-ق.9م)	لم يعثر عليها	فقيه	عادل نويهض، أعلام، ص.59.
إسحاق الملشوني(ق.3هـ-ق.9م)	القيروان	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.98؛ البكري، المسالك، ص.52.
القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي (ق.3هـ-ق.9م)	لم يعثر عليها	فقيه	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.84؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.100.
أبو محمد عبد الله بن حمود ابن هلوب بن داود بن سليمان التاهرتي(ق.3هـ-ق.9م)	طنجة	شعر في مناسك الحج	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.299؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.98.
أبو مروان عبد الملك بن سيانح (ساختج-شاختج-) البجائي(ق.3هـ-	مصر- الشام	فقيه- مناظرا- اللغة العربية	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.274؛ القاضي عياض، المدارك، ج.6، ص.156-

ق.9م)			157؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.110؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.20.
عبد الرحمن بن مروان بن أبي شحمة (ق.3هـ-ق.9م)	لم يعثر عليها	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.115.
العباس بن خالد أخو يحي السهمي(ق.3هـ-ق.9م)	لم يعثر عليها	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.120-121.
أبو القاسم عبد الله بن محمد الزواوي ت.304هـ-919م	لم يعثر عليها	الحديث	القاضي عياض، المدارك، ج.4، ص.414-415، ج.5، ص.107.
أبو إسحاق إبراهيم بن يونس الخشاب(ت.308هـ- 922م)	الزاب	القضاء على الزاب	أبو العرب، طبقات، ص.176، المحن، ص.361؛ المالكي، رياض النفوس، ج.2، ص.72؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج.2، ص.350؛ ابن عذارى، البيان ج.1، ص.185؛ الجودي، تاريخ قضاة القيروان، ص.96.
أحمد بن يحي بن خالد السهمي(ت310هـ—922م)	القيروان	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.120-121؛ القاضي عياض، المدارك، ج.5، ص.125.
أبو محمد عبد الله التاهرتي(ت.313هـ-925م)	القيروان- سوسة	فقيه	المالكي، رياض النفوس، ج.2، ص.182.
أحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي(ت.332هـ-943م)	فاس- مليلة- قرطبة، إفريقية	القضاء	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.61؛ البكري، المسالك، ص.110 ،117؛ ابن عذارى، البيان، ج.1، ص.103.
أبو الفضل أحمد بن أبي عون الوهراني(ت. بعد 341هـ-952م)	الأندلس	القضاء	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.111.
أبو محمد بن نصر بن أبي البار الميلي (حي 354هـ-965م)	لم يعثر عليها	الفقه	المالكي، رياض النفوس، ج.2، ص.462
أبو محمد بن نصر بن أبي البار الميلي (حي 354هـ-965م)	لم يعثر عليها	الفقه	المالكي، رياض النفوس، ج.2، ص.462.
أبو محمد عبد الله بن عيسى ابن محمد ابن أبي رمين المري التنسي(ت.359هـ-969م)	قرطبة	الفقه	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص. 231.
محمد بن أحمد بن محمد ابن الفرج الجزائري(368هـ-978م)	مصر	الرواية	الحموي، البلدان، ج.2، ص.132.
أبو محمد قاسم بن موسى بن يونس الضني الجزائري (ت.370هـ-981م)	لم يعثر عليها	الحديث	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.474.
سعيد بن خلف الوهراني(حي375هـ-986م)	بغداد	الحديث	الزبيدي، تاج العروس، ج.14، ص.386.

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي(ت.387هـ-997م) أو(307-919)	مدينة الزهراء	الإفتاء	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.19؛ الضبي، بغية الملتمس، ص.187؛ الحموي، البلدان، ج.2، ص.49 ؛ العسقلاني، تبصير المنتبه، ج.1، ص.152؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.60.
أبو العباس إسحاق بن إبراهيم ابن عبد الرحمن الأزدي (ت.387هـ-997م).	قرطبة- مدينة الزهراء	لم يعثر عليه	الحميدي، جذوة المقتبس، ص.187؛ الضبي، بغية الملتمس، ص.47.
أبو عمر أحمد بن الحسين بن محمد الطبني(ت.390هـ-1000م).	الأندلس- المشرق	الحديث	ابن ماكولا، الإكمال، ج.5، ص.263؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.63.
أبو جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني التاهرتي ابن الأشج (ت.393هـ-1003م)	الأندلس - مصر	الحديث، القضاء	الضبي، بغية الملتمس(وفاته 524هـ-1129م)، ص.253؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص. 152؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.84؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.100.
أبو جعفر أحمد بن خلوف (خلف)المسيلي الخياط(ت.393هـ-1003م)	الأندلس	عالم بالمسائل	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.63؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.110.
محمد بن حسين الطبني	الأندلس	شاعر	ابن حيان، المقتبس(تح.محمد حجي)، ص.60.
أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التاهرتي البزاز(ت.395هـ-1004م)	الأندلس	الحديث	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.84؛ ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.80؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص.100.
أبو عبد الملك الملشوني(ق.4هـ-ق.10م)	القيروان	الحديث	أبو العرب، طبقات، ص.98؛ البكري، المسالك، ص52،45.
أبو محمد بن عبد الله التلمساني ق.4هـ- ق.10م	لم يعثر	لم يعثر	الضبي، بغية الملتمس، ص.84.
ابن الصبار (ق.4هـ- ق.10م)	القيروان	لم يعثر	أبو العرب، طبقات، ص.217.

ملاحظة: الجدول يوضح عدد فقهاء مالكية المغرب الأوسط مابين القرنين(2-4هـ/ 8-10م) من خلال المصادر المغربية والمشرقية، وربما فاق ما ورد في الجدول.

أولا: المؤسسات التعليمية:

أوّل سورة خاطب بها الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) جاءت تحث على العلم، ومن كرمه أنّه علّم الإنسان ما لم يعلم حيث قال﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ

عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،[1] وجاء في الأثر عن الإمام مالك "أنَّه بلَغهُ، أنَّ لُقمَان الحكيمَ أوصَى ابْنَه فقال: يا بنيَّ جَالس العُلماء، وزاحمهم بِركبتكَ، فإنَّ الله يحيي القلوبَ بنُورِ الحكمةِ كما يحيِي الله الأرضَ الميْتة بوابِلِ السَّماءِ"،[2] ومن أقواله أيضا:"لا ينبغي لأحد له علم ويترك التّعليم"[3]. فهذه كلها أدلة تحث على العلم، ومجالسة العلماء، لأخذ ما ينفعهم في الدارين الدنيا والآخرة ، فماهي المؤسسات العلمية التي ساهمت بنشر العلم والمعرفة بالمغرب الأوسط؟.

أ- الكتاتيب

سمّى المبرد الكتّاب بالكتائب: جمع كتيبة، لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض. ويقال: تكتَّب القوم إذا تضاموا ومنه أُخذ الكِتاب لانضمام حروفه،[4] أو المَكتَب، وهو موضع الكتاب، والمكتب والكُتّاب موضع تعليم الكِتاب، والجمع كتاتيب ومكاتب.[5] ومنه الكلمتين: المكتب والكتّاب، استعملتا للدلالة على مكان تعليم الصبيان.

والكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في بلاد الإسلام، ويبدو أنها ظهرت في عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فقد أمر بتنزيه المساجد من الصبيان، والعلة في ذلك "أنّهم يسوّدون حيطانها، وينجّسون أرضها، إذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات"،[6] وأن يتخذ المسلمون حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق للتعليم.[7] وقد أفتى أبو الحسن القابسي(ت.403هـ-1012م) بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد، وهو قول الإمامين مالك وسحنون، والمانع أنهم"لا يتحفظون من النجاسة"،[8] إلا في حالات الضرورة كانهدام مكانه مثلا، فيتخذ مكانا من المسجد حتى يتم الإصلاح، وقد يصلح البيت للتعليم أيضا.[9]

---

[1] – سورة العلق، الآية 1- 5.

[2] – الإمام مالك، **الموطأ رواية يحي بن يحي المصمودي**، إعداد وتق. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2003م، ص.614.

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.26.

[4]– المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت.285هـ-898م)، **الكامل**، تح. وتع. وصنع فهارسه محمد أحمد الدالي، ط.3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ج.1، ص.126، ج.3، ص.1328.

[5] – ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، مادة "كتب"، ج.43، ص.3818.

[6] – الشزري، **نهاية الرّتبة في طلب الحسبة**، تح. محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ص.266.

[7] – جواز اتخاذ الحانوت مكانا للتعليم، (انظر: القابسي (أبو الحسن علي بن محمد المعافري، ت.403هـ-1012م)، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، درا. وتح. وتع. وفها. وتر. فرنسية أحمد خالد، المكتبة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص.145؛ الشزري، المصدر السابق، ص.266).

[8]– نقل القابسي قول الإمام مالك عن ابن القاسم وعن سحنون عدم جواز تلقين الصبي في المسجد فقال:" إن كان بلغ موضع الأدب، وعرَف ذلك، ولا يعبث في المسجد فلا أرى بأسا"، (انظر: **الرسالة المفصلة**، ص.145).

[9] – نفسه.

انتقلت الكتاتيب إلى افريقية وما جاورها من بلاد المغرب على يد الفاتحين في أواسط القرن الأوّل للهجرة/السابع للميلاد عند اختطاط مدينة القيروان، فأول ما قام به هؤلاء به هو إنشاء الدور والمساجد، والاهتمام بتعليم الصبيان فبنوا لهم "كُتّابا" بسيطا،[1] لتلقينهم كتاب الله العزيز من قراءة وحفظ وسماع، وتعليم اللغة العربية. وذكر الدباغ عن غياث بن أبي شبيب، قال:"إنّ سفيان بن وهب من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن [غلمة] في الكتّاب".[2]

فالكُتّاب يعتبر أوّل مكان انتصب بإفريقية، كملحقة للمسجد، كما وُجد في دور الأعيان، والأغنياء، وقصور الوزراء والأمراء.[3] وكثر عدد الكتاتيب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كما ازداد معها عدد المعلمين، الذي بلغ في صقلية(Sicilia) وحدها حوالي ثلاثمائة معلم،[4] ويبدو أنّ هذا العدد مبالغ فيه، وإن تأكد ذلك فكم بلغ عددهم في المدن المغربية الكبرى؟.

واجتهد بعض فقهاء مالكية بلاد المغرب في وضع أسس وضوابط للمعلم والمتعلم، دونوها في كتب يعتمد عليها المؤدب في التّلقين، وواصل هؤلاء بهذا العمل من كان قد قام به من سبقهم من الفقهاء كالإمام سحنون بن سعيد التنوخي، وابنه محمد (ت.256هـ-870م)، الذي كان له السّبق بتصنيف مُؤَلَفه " **كتاب آداب المعلمين**".[5]

وألف ابن أبي زيد القيرواني(ت.386هـ-997م) كتابه "**الرّسالة**"،[6] لتبسيط المذهب المالكي، للمبتدئين والصبيان من أولاد المسلمين الذين يصعب عليهم فهم النصوص الشرعية المعتمدة لدى فقهاء السنة، حيث جاء في متن هده الرسالة:"إنك سألتني أن أكتب جملة مختصرة من واجب أمور الديانة بما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعلمه الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب منها، وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب مالك بن أنس(رحمه الله تعالى)، وطريقته مما سهل

---

[1] – ابن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تح. حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي، مرا. إبراهيم بن مراد، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2010م، ص.38.

[2] – ابن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، ص.39؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.151.

[3]– نفس المصدر، ص.42؛ حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مرا. وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، طبع باشتراك بيت الحكمة تونس ودار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ص.57.

[4] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.120.

[5] – حققه حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي وراجعه إبراهيم بن مراد، ط.3، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون" بيت الحكمة"، تونس، 1432هـ- 2010م.

[6] – ألفها ابن أبي زيد القيرواني في سنة 327هـ-939م، وسنه وقتها سبعة عشر بطلب من أبي إسحاق السبائي، بينما يرى ابن ناجي أنّ الشيخ المؤدب محرز بن خلف(ت.413هـ-1022م) من سأله تأليفها، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.111؛ Idris (H.R.), ‹‹Note sur l'identification du dédicataire d'Ibn Abi Zaid al-Qairawani››, **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, Tunis, T.I, 1953, p.64.

سبيل ما أشكل من ذلك تفسير الراسخين وبيان المتفقهين لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان، كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته، وتحمد لهم عافيته، فأجبتك إلى ذلك...".[1]

وألف القاضي النعمان كتابه "**دعـائم الإسلام**" في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت الرسول عليه وعليهم أفضل السـلام، وهو عمدة الفقه الإسماعيلي، صنفه أبو حنيفة بطلب من الـمعز لدين الله الفاطمـي، وأصّل له أصولا وفرّع له فروعـا، فكـان يعرض عليه أبوابه فيثبت منها ما يستدرك ويشيـر بمـا يرى إصلاحه،[2] وكان المعز يأمر بقراءته وجعله في مجالس قصره للسّماع والقراءة والاستفادة، وسمح بنسخه والتعلم منه. وقد تكون رسالة ابن أبي زيد على أغلب الظن غير موجهة للعلماء والفقهاء المتبحرين في العلم، بل للمبتدئين من أولاد المسلمين الذين يعسر عليهم فهم النصوص الشرعية المعتمدة لدى فقهاء السنة، والمخالفة للمفهوم الشيعي الذي يعتمد على تأويل النصوص.[3] ونظرا لأهمية "**الرسالة**" فقد انتشر هذا الكتاب في سائر البلاد شرقا وغربا، كالعراق واليمن والحجاز والشام ومصر وصقلية وبلاد السودان.[4]

ومن جهة أخرى ألف أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي كتابه "**الرسّالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**"[5]، فاعتمد فيها على كتاب"**الموازية**" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت.281هـ-894م)، الذي احتوى على آراء الإمام مالك وسحنون وابن حبيب (ت.238هـ-854م) وغيرهم،[6] وخصّها للمعلم والمتعلم معا، وقام أيضا بتلخيص كتاب "**الموطأ**"،[7] لتسهيل قراءته واستيعاب ما ورد فيه من أحكام.

---

[1] - ابن أبي زيد(أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ت.386هـ-997م)، **الرسالة في فقه الإمام مالك**، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص.6.

[2] - القاضي النعمان، **المجالس**، ص.278؛ سعيدة لوزري، "الفكر المالكي في مواجهة المد الشيعي ببلاد المغرب"، **حولية المؤرخ**، مجلة دورية محكمة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع. 13-14 السداسي الثاني 2011م، ص.216.

[3] - عن الفوارق بين كتاب"**الرسالة**" وكتاب"**دعائم الإسلام**"، (انظر: عبد المجيد التركي، "الجدل الديني وكتابا الرسالة والجامع لابن أبي زيد القيرواني"، ضمن محاضرات **ملتقى عبد الله بن أبي زيد القيرواني 24-25-26 شوال 1413هـ-16-17-18 أفريل 1993م**، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1994م، ص.57 وما بعدها؛ سعيدة لوزري، **الفكر المالكي**، ص.209-210).

[4] - الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.111.

[5] - القابسي، **الملخص**، رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، تح. وتع. ونشره محمد علوي بن عباس المالكي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004م؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.136، عبد القادر بوعقادة، "دور علماء الغرب الإسلامي في مجال التربية والتعليم"، **مجلة التاريخ العربي**، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، ع.56، ربيع 1432هـ-2011م ، ص.328-330.

[6] - القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.122.

[7] - رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، تح. وتع. ونشره محمد علوي بن عباس المالكي، المجمع الثقافي أبو ظبي،2004م.

وذكر أبو الحسن الشوشاوي في كتابه" **الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**"،[1] أنّ أبا بكر ابن العربي ألف"**كتاب آداب المعلمين**"،[2] الذي أفاد به الباحث الشيخ محمد بن أبي بكر التطواني، للباحث محمد سليماني محقق كتاب"**قانون التأويل**".[3] وألف الفقيه عبد الحق الإشبيلي البجائي كتاب سمّاه "**تلقين الوليد**".[4]

ودون شك، فإن جهود هؤلاء الفقهاء في التأليف، كان نتيجة إدراكهم لأهمية التّعليم في بلاد المغرب، وخوفا من تأثرهم بالمذاهب غير السنية، فقد كان مقصدا للتيارات بمختلف أنواعها.

ومن الشروط والصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم تحليه بالأخلاق حسنة، والعدل في تعامله مع الصبيان، والمساواة بين الفقير والغني، وبين ابن الوزير والأمير وغيرهم من الطبقات الدنيا، وأن يُعرف اتجاهه الديني، وقد قال الجبنياني (ت.369هـ-980م) في ذلك:" لا تعلموا أولادكم إلاّ عند رجل حسن الدّين، لأنّ دين الصّبي على دين معلّمه"،[5] خوفا من تلقينهم تعاليم لا علاقة لها بالمذهب المالكي، وهو ما حدث في عهده، فقد أخفى أحد المعلمين ممّن يقولون بخلق القرآن، ولقن ذلك للصبيان.[6] كما وضعوا بعض الضوابط في المعاملات منها ما تخص المتعلمين كأن لا يؤذي بعضهم بعضا، ولهم الحق في عطلة يوم الجمعة من كل أسبوع، وعطلة يومي عيد الفطر والأضحى وهو المشهور عرفا، أو عطلة من أجل ختم حفظ القرآن.[7] ومن المعاملات أيضا: ما يخص علاقة المعلم بالمتعلم كأن: ينهاهم عن بعض مسائل البيوع كالربا.[8] وأخرى خاصة بالمعلم منها: أنّه لا يجوز له أن

---

[1] - الكتاب لأبي الحسن بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، ت.ق9هـ-ق.15م، تح. إدريس عزوزي، نشرته وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1989م، أي بعد تح. محمد سليماني كتابه "**قانون التأويل**" يظهر أنّه اطلع عليه وهو مخطوط، ولم يشر عبد القادر بوعقادة إلى أنه محقق بل ورد عنده أنّه مخطوط بعنوان"**الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة**"، (انظر: **دور علماء الغرب الإسلامي**، ص.343).

[2] - الكتاب مفقود، جاء ذكره في كتاب "**الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة**"، ص.305.

[3] - ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي، ت.543هـ-1148م)، **قانون التأويل**، درا. وتح. محمد سليماني، ط.2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ص.153.

[4] - الإشبيلي البجائي(أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، ت.582- 1186م)، تح. تخ. وتق. أبي الفضل بدر العمران الطبحي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص.17؛ وسمع الكتاب من مؤلفه الفقيه علي بن إدريس الزناتي ببجاية، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.193؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.194).

[5] - ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.49، 51؛ اللبيدي (أبو القاسم عبد الرحمن الحضرمي، ت.440هـ- 1048م)، **مناقب أبو إسحاق الجبنياني**، تح. وتر. هادي روجي إدريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1956م، ص.25.

[6] - ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.49، 51

[7] - نفس المصدر، ص.135-136.

[8] - نفس المصدر، ص.132.

يشتغل بغيرهم، أو يرسل أحدهم لقضاء حوائجه وغيرهما،[1] وعدم الاشتراط عليهم جعلا على الإقراء باستعمال أسلوب الضغط.[2]

ومن أجل ذلك وضعت فتاوى تتعلق بأجرة المعلم والمقابل الذي يدفعه الصبي من أجل تحصيله العلمي، وقد سئل الإمام مالك "عن رجل يدفع للرجل عشرين دينارا، يعلم ابنه الكتابة والقرآن حتى يحذقه، فقال:" لا بأس بذلك، وإن لم يضرب أجلا".[3] فقد تعرض بعض المؤدبين إلى الضرر بأسرهم بسبب كرههم تحديد الأجرة ممّا اضطر أحدهم أن يرفع شكوى إلى الإمام مالك، الذي أمره أن يشرط للتعليم، وقد قال:"...مَنْ يُمحِّط لنا صبياننا؟ ومن يُؤدبُهم لنا؟ لولا المعلمون أيَّ شيءٍ كنا نكون نحن؟...".[4] ولكن هناك من يؤدب الصبيان مجانا كالفقيه أبي علي شقران بن علي الهمداني (ت.168هـ-784م)، الذي من مواعظه قوله:"كُلْ من كدّ يمينك ممّا عرق فيه جبينك. ولا تأكل بدينك، فإن ضَعُف يقينك فاسأل الله يعينك".[5]

ويلتحق الصبي بالكُتّاب في سن الخامسة أو السادسة[6]، واختلفت النصوص في شروط وكيفية تعليم الصبيان، فالفقيه محمد بن سحنون مثلا سماها بالفنون وقسمها إلى قسمين أولها: إجباري ويتمثل في وجوب تعليم القرآن الكريم مع إعرابه، ورسمه بالشكل، وإتقان الهجاء، والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل، وأن تكون بقراءة الإمام نافع، وهو مذهب الإمام مالك في القراءات،[7] وأكثرها انتشارا في بلاد المغرب. ثانيها: لم يجبر المؤدّب عليها ما دام اشترط الأولياء دراستها وهي: على التوالي الحساب، والشعر، وأخبار العرب، والنحو، والغريب،[8] والعربية، ثم الخط الحسن[9]، وزاد ابن سحنون على هذه الفنون تدريب الصبيان فن الخطاب.[10]

---

[1] – ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.140 وما بعدها.

[2] – من الشيوخ من كان يشترط جعلا للطلبة مقابل إقرائهم، ويضغط على الذين تأخروا في ذلك، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.649).

[3] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.99.

[4] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.100.

[5] – من مشاهير المؤدبين بإفريقية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، (انظر: ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص. 59؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.279).

[6] – نفس المصدر، ص.51.

[7] – ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.45، 92.

[8] – الغريب أي غريب اللغة، وهي صفة لمفردات اللغة الغامضة التي لا تبين معناها إلا بالبحث عنه في متون اللغة، (انظر: ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.47).

[9] – نفس المصدر، ص.47، 93.

[10] – نفس المصدر، ص.47، 92.

وكان رأي الفقيه أبي الحسن القابسي شبيها برأي الفقيه محمد بن سحنون تقريبا في وجوب تعليم القراءة، والكتابة، وقبلهما تلاوة القرآن عن ظهر قلب. أما دراسة الشريعة وسائر العلوم الأخرى، فإنها تقوم على الفهم لا الحفظ. وشمل برنامجه التّعليمي على: إعراب القرآن، والشكل، والهجاء، والخط، والقراءة الحسنة، والتوقيف والترتيل...[1]

واعتنى بعض المعلمين بتلقين الصبيان قصيدة الشاطبي في القراءات الشاملة لأسماء القراء، بهدف استيعابها وتسهيل حفظها.[2] ونصح أبو الحسن القابسي المعلمين بتلقين الصغار الحساب، بل اعتبره إجباريا في برنامجه لأهميته.[3] أما الشعر والغريب، والعربية، وجميع النّحو، وكلام العرب وأخبارها، ليست واجبا بل تطوعا.[4]

وأوردت المصادر أسماء المعلمين الذين برزوا في المغرب الأوسط وعملوا على تعليم الصبيان، أولهم: من الخوارج أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي، الذي اهتم بتعليم صبيان تاهرت القرآن والمذهب النكاري لمن ارتاحت نفسه له.[5] والثاني: أبو عبد الله الشيعي(ت.298هـ-911م) الذي نُصب في بعض مساجد إيكجان لتعليم الصبيان، وتحقيق لطموحاته ورغباته التي أبداها لحجيج كتامة[6] في مصر،[7]والثالث: ابن تومرت بمعية عبد المؤمن بقرية فنزارة بمنطقة متيجة.[8]

ويلاحظ مما سبق اتفاق غالبية الفقهاء على أن قراءة القرآن، والتلاوة، والكتابة هي شروط أساسية في تعليم الصبيان، وتنتهي هذه المرحلة من التعليم بأن يختم الصبي جزءا أو كل القرآن الكريم، ثم الانتقال إلى مرحلة أخرى، وهي تلقين الفقه على مذهب الإمام مالك.

واتفق علماء الأمصار جميعهم على أن القرآن أصل التّعليم، الذي ينبغي على الصبي حفظه، ولأن التّعليم في الصغر أشد رسوخا. أما الاختلاف بينهم فيكمن في طريقة التعليم. ولم يختلف أهل المغرب في الاقتصار على تعليم القرآن حسب ابن خلدون،[9] الذي كانت له

---

[1] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.20، 92، 120.

[2] – انتشر هذا النوع من التعليم في أمصار المغرب والأندلس، (انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص.553).

[3] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.20، 113.

[4] – نفس المصدر، ص.113- 144.

[5] – ابن حماد، المصدر السابق، ص.54؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.7، ص. 188؛ خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.18.

[6] – هي أكبر القبائل البربرية من البرانس، (انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص.65؛ الحميري، المصدر السابق، ص.441) و(انظر أيضا: Allaoua (A.), ‹‹Texte méconnu sur deux groupes hérétiques du Maghreb Médiéval››, **Arabica**, T.L II,Fascicule 3, juillet, Brill, 2005, pp.359-361).

[7] – ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص. 62؛ القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.36-37.

[8] – المراكشي، **المعجب**، ص.158.

[9] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.740-741.

أراء في العلم والتعليم، فهو يرى أن المغاربة امتازوا عن غيرهم بقصرهم على القرآن وعن ملة اللّسان، وعلته في ذلك أنّ:"القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكةٌ لمَا أنّ البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها. وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وخطه الجمود في العبارات وقلة التصّرف في الكلام".[1]

إنّ الابتداء بتعلم القرآن يُمكّن المتعلم من اكتساب ملكة في اللغة لا يحصل عليها في غيره، إذ أنّ البشر يعجزون عن الإتيان بما يحتويه من البلاغة. وتساءل ابن العربي كيف يُؤخذ الصبي بكتاب الله في أوامره وهو "يَقرأ مالا يفهم ويَنْصِبُ في أمر غيره أهم ما عليه منه"،[2] يبدو هنا أن ابن العربي اتبع رأي بعض المحدثين الذين كانوا يكرهون أن يعلموا الصبي حتى يعقل، [3] لكن الحفظ في الصغر يبقى راسخا في الذهن، كما يقال: العلم في الصغر كالنقش على الحجر.

ب-المساجد

المسجد هو أوّل بناء قام به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد الهجرة النبوية. كان يتلقى فيه المسلمون الأوائل القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه. وقد اهتم عليه الصلاة والسلام بالعلم والتّعلم، فقد ثبت عنه أنّه مر بمجلس في مسجده فوجد قوما يدعون الله تعالى، ويرغبون إليه، وقوما يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال:"كِلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه. أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل، إنما بعثت معلما"، ثم جلس فيهم.[4] ورافق عقبة بن نافع في حملته الأولى لبلاد المغرب ثمانية عشر صحابيا وعدد من التابعين،[5] أمّا في الثانية فكانوا خمسة وعشرون صحابيا[6] وعدد من التابعين، فهؤلاء وغيرهم ساهموا في

---

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.741- 742.

[2] – نفس المصدر، ص.742؛ عبد القادر بوعقادة، **دور علماء الغرب الإسلامي**، ص.331.

[3] – ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، حقَّق عدَّة أجزاء منها عبد العزيز بن باز ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة جديدة منقحة ومقابلة على طبعة بولاق والطبعة الأنصارية والطبعة السلفية، دار السلام الرياض، دار الفيحاء دمشق، 1997م، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، مج.9، ص.105.

[4] – حديث رواه الترمذي عن أبي سعيد الخُذريّ عن الرسول(β) وهو حسن غريب، باب "ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عزوجل ما لهم من الفضل"، رقم 3379، (انظر: المصدر السابق، ج.5، ص.390)؛ عبد المجيد بن حمدة، **ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري**، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1997م، ص.146.

[5] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.20.

[6] – نفس المصدر ، ج.1، ص.23.

نشر القرآن بين البربر ولو بالشيء القليل، وكان السبب في انضمام بعضهم إلى صفوف الفاتحين.

واهتم الفاتحون الأوائل ببناء المساجد منذ أن وطئت أقدامهم بلاد المغرب لاعتباره اللبنة الأولى، التي من خلالها تعرف سكان المنطقة على الدين الإسلامي، وكان المسجد مميزا له. واجتمعت به مختلف الأجناس من عرب وبربر، واستطاع عبد الله ابن أبي سرح أثناء حملة العبادلة (27هـ-647م) أن يبني أوّل مسجد ببلاد المغرب،[1] وسار على نهجه من جاء بعده من الصحابة والتابعين. وحرصا منهم على نشر الدين الإسلامي فما إن تُفتح منطقة إلا وبنوا فيها مسجد،[2] فهو الرابط الذي يجمع بين أهل المنطقة وبين المسلمين. فقد كان البربر من قبل يرتدون عن الإسلام كلما غادر الجند الفاتح إفريقية. فقد نقل ابن عذارى قول عقبة:"إنّ إفريقية، إذا دخلها إمامٌ، أجابوه إلى الإسلام؛ فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر! فأرى لكم، يا معشر المسلمين! أن تتَّخذوا بها مدينة تكون عِزًّا للإسلام إلى آخر الدهر!".[3] ولهذا فقد بنى عقبة بن نافع أوّل حاضرة إسلامية (50-55هـ/670-675م) بإفريقية، وشيد بها المسجد الأعظم ا[4].

وبعد أن عمرت القيروان بالدور والمساكن والمساجد وعظم أمرها، أصبحت مقصدا لطلاب العلم من كل حدب وصوب، وتحقق بذلك دعاء القائد عقبة بن نافع بقوله:"ياربّ! أملأها عِلما وفقها! وأملأها بالمطيعين لك! واجعلها عزًّا لدينك، وذُلاًّ على من كفر بك!".[5] وبالمسجد الأعظم درس عدد من فقهاء مالكية المغرب الأوسط منهم: أبو الوليد مروان بن أبي شحمة المسيلي الإفريقي،[6] ومنهم من درّس بهذا المسجد مثل الفقيه بكر بن حماد الذي جلس فيه لإملاء دروسه في الحديث والأدب.[7]

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، تح. بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج.1، ص.67.

[2] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.64-65؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.27-33؛ يوسف بن أحمد حواله، **الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري"90/450هـ"**، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000م، ج.1، ص.222.

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1؛ ص.19.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.10 وما بعدها، وعن بناء المساجد بإفريقية، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.30 وما بعدها).

[5] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.21.

[6] – المالكي، المصدر السابق، ج.1؛ ص.392.

[7] – أبو العرب، **طبقات**، ص.105، 111.

ومن المرافق التي بناها أبو المهاجر دينار(55-62هـ/675-681م) أثناء الفتح، مسجدا للمسلمين في مدينة ميلة[1] بناه على أنقاض كنيسة رومانية أطلق عليه فيما بعد اسم مسجد سيدي غانم.[2]

ويبدو أن منطقة إيكجان كانت تابعة سياسيا لمدينة ميلة[3] دون سطيف. وهي أوّل مدينة محصنة سقطت بيد الداعي، فهي محصنة طبيعيا بشهادة اليعقوبي الذي قال عنها إنّ:" لها حصن دون حصن".[4] وقد برز فيها عدد من العلماء الذين اتصل بهم موسى بن العباس صاحب المدينة ليناظروا أبا عبد الله الشيعي عندما كان بين بني سكتان.[5] وهؤلاء العلماء هم نتاج المساجد التي بنيت بميلة، منها مسجد أبي المهاجر دينار الذي تم توسيعه.[6]

وكانت المساجد تنسب إلى فقهائها كمسجد أبي المهاجر دينار ومسجد البهلول بن راشد، ومسجد محمد بن سحنون وغيرها، وقد ذكر المالكي بعضها في كتابه "**رياض النفوس**".[7]

وكان دور المسجد في البداية يتمثل في التّعبد والتّعليم. لكن هناك من اتخذ مسجد ابن نصر في القيروان مكانًا لتعليم الخياطة لبعض الصبية، فقد روى أحدهم أنه كان يخيط وهو غلام حديث السّن عند معلم في المسجد المذكور، إذ أقبل عليهم الفقيه إسماعيل بن رباح الجزري (ت.212هـ-827م)،[8] فقال لمعلمه:" بكم اكتريت الحانوت"، فقال له المعلم:"هو ليس حانوت إنما هو مسجد".[9]

واسْتُغل المسجد في بلاد المغرب لنشر دعوة الخوارج(الصفرية-الإباضية)، والشيعة. فقد كان عكرمة مولى ابن عباس(ت.105هـ-724م) من أعلام الفقه والحديث على الطريقة السنية، لكنه

---

[1] – تقع شرقي قلعة بني حماد وهي قريبة من قسنطينة، في سنة 378هـ- 988م خرج المنصور بن القائم لقتال أهل ميلة، فخرجت إليه النساء والعجائز والأطفال، فلما رآهم بكى وأمر بنقلهم إلى باغاية ولم يقتل منهم أحدا، ثم أمر بهدم سورها، (انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص.107؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص.85،91؛ البكري، **المسالك**، ص.76؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.72، 121-122؛ الحموي، **البلدان**، ج.5، ص.244).

[2] – بناءً على كشف الحفريات التي جرت بالمسجد في عامي 1969-1970م، (انظر:عبد الحق معزوز، جامع سيدي غانم، **مجلة آثار**، يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، ع.8، 2009م، ص.69،67، 79؛ الطاهر طويل، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس**، مطابع حسناوي، الجزائر، 2011م ، ص.93).

[3] – موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م ، ص. 154.

[4] – اليعقوبي، المصدر السابق، ص.107؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص.118.

[5] – إدريس(عماد الدين، ت.872هـ-1468م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص.91.

[6] – يذكر الباحث عبد الحق معزوز أن التوسعات التي أقيمت في المسجد وقعت في العهد الحمادي، وبقي حتى العهد الحفصي ثم حوّل سنة 1837م إلى ثكنة عسكرية، (انظر: المرجع السابق، ص.74،79).

[7] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.207، 436.

[8] – أبو العرب، **طبقات**، ص.67؛ عبد المجيد بن حمدة، **ثقافة المجتمع القيرواني**، ص. 148.

[9] – نفس المصدر، ص.68.

مال إلى المذهب الصفري، وكان له مجلسًا في مؤخرة المسجد الجامع بالقيروان لتلقين الطلبة،[1] وممّن تلقى عنه العلم ميسرة المطغري، وأبو القاسم سمكو بن واسول "مقدم الصفرية" وهو من قبيلة مكناسة. ويظهر أن المذهب الخارجي قد انتشر في بلاد المغرب بفضل المساجد الذي تلقوا فيها تعاليمهم، والتي نتج عنها نجاح الدعوة التي انتهت بتأسيس أوّل دولة صفرية بسجلماسة سنة 140هـ-758م. [2]

وأرسل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، إمام الكتمان في البصرة، بعد جابر بن زيد الأزدي (ت.96هـ-714م)، سلمة بن سعيد للدعوة للمذهب الإباضي في بلاد المغرب، فنشر المذهب في المغرب الأدنى والأوسط في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وكانت انطلاقته من المسجد الذي تعلم فيه، ونتج عن هذه الدعوة قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط على يد مؤسسها عبد الرحمن بن رستم، أحد حملة العلم الخمسة.[3]

وساد المغرب الأوسط في عهد عبد الرحمن بن رستم التعايش السلمي والحرية الدينية بين كل الفئات، التي كان لكل منها مسجد خاص بها. فللقرويين مسجد، وللبصريين مسجد، وللكوفيين مسجد أيضا. ولا يُعلم سبب إغفال ابن حوقل عن ذكرها، فقد ذكر الجامعين الموجودين بتاهرت فقط أحدهما: في المدينة القديمة والآخر في المدينة المحدثة، وأضاف أنّ لكل منهما إمام وخطيب،[4] وقد يفهم من كلامه أن الجامع الأول هو لغير الإباضية. وجامع آخر بمدينة الخضراء.[5]

ومن مظاهر التسامح والتعايش السلمي أنّ الإباضية لم يمنعوا المالكية وغيرهم من الصلاة في مساجدهم إلا المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه من يرفع يديه منعوه وزجروه فإن عاد ضربوه، وكانت تعقد به مناظرات ومجادلات بين الإباضية وغيرهم. ومن أتى منهم إلى حلق الإباضية، قربوه، وناظروه ألطف مناظرة، ومن أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله ذلك.[6] فكانت لابن الصغير المالكي عدة محاورات ومناظرات مع مشايخ الإباضية،

---

[1] – نفس المصدر، ص.19؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.145-146؛ وتعرضت الباحثة لطيفة بن عميرة في مقال لها حول مذهبية عكرمة مولى ابن عباس من خلال نصوص مصدرية منها ما تؤكد مذهبه الصفري، والأخرى تنفي ذلك، (انظر: "أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله بن عباس"، **مجلة الدراسات التاريخية**، يصدرها قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، ع.13، 2011م، ص.26).

[2] – حسب البكري تكون قد بنيت سنة 140هـ-757م، وبنى اليسع بن منصور بن أبي القاسم سورها سنة 199هـ- 815م، من ماله الخاص وهو يحتوي على 12 بابا، (انظر: **المسالك**، ص.148-149؛ محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.75-79).

[3] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص.30؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص.81-82.

[4] – **صورة الأرض**، ص.86؛ وذكر المقدسي الجامعين أيضا، (انظر: المصدر السابق، ص.189).

[5] – نفس المصدر، ص.89.

[6] – محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.478.

في العديد من المسائل الفقهية والمذهبية، دون أن يتعرض للاضطهاد أو القتل، وهذا خلاف ما حدث في افريقية لما تولى سحنون بن سعيد القضاء، وبدأ في نشر المذهب المالكي فيها، فقد منع المذاهب الأخرى سواءً كانت المذاهب السنية (حنفي) أو غيرها كالصفرية،[1] والإباضية والمعتزلة،[2] وذهب ألفرِّد بل إلى أنّ هدف هذه المناظرات إقناع علماء أهل السنة باعتناق النحلة الإباضية، ما يجعل شأن تاهرت في نظره شأن القيروان وتونس حاضرتي العلم على مذهب أهل السنة.[3]

وجاء الداعيان أبو سفيان والحلواني[4] لنشر الدعوة الشيعية في بلاد المغرب، وأوّل عمل قاما به كل واحد منهما، هو بناء مسجد يكون مركز الدعوة للمذهب الشيعي، فكان أهل تلك النواحي يأتون من كل حدب وصوب، ليسمعوا عنهما فضائل أهل البيت، وما تعرضوا له من اضطهاد، فكسب الداعيان أعدادا كبيرة من الناس من قبائل ومناطق مثل مرماجنة، والأربس، ونفطة،[5] وكتامة، ونفزة وسماتة.[6] وكان أوّل نجاح حققه أبو عبد الله الشيعي لما نزل قبيلة كتامة إبعاد معلم الصبيان من دخوله المحراب عند صلاتي الظهر والعصر، وهذه ميزة المغاربة فهم يقدّمون من يرونه أعلم منهم.[7] ممّا جعل الإمام يترك المسجد نهائيا لأبي عبد الله الشيعي للإمامة وتعليم الصبيان دون مقابل، ولم يكن الشيخ الكتامي الذي استقبل أبي الله يعلم هدفه إلاّ بعد رفضه أخذ النقود، وبعد أن كشف له عن حقيقته،[8] ولهذا يمكن

---

[1] – الصفرية إحدى فرق الخوارج، أصحاب زياد بن الأصفر وقيل إنّ الصفرية ينسبون إلى "عبيدة"، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في مسألة قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، إذا كانوا على نفس الدين والاعتقاد، واتفقوا على انّ أصحاب الذنوب مشركون، وأنّ الأعمال التي يقع فيها الحد يتسمى صاحبها باسمها كالزاني، والسارق والقاذف وقاتل العمد، وليس كافرا ولا مشركا، أمّا الأعمال التي ليس فيها حد كالصلاة والصوم فصاحبها كافر ومن أقوال زعيمهم الشرك شركان: شرك طاعة الشيطان وشرك عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان: براءة من أحد الحدود سنّة، وبراءة من أحد الحدود فريضة، وظهرت أفكارهم في المغرب بواسطة دعاتهم، عكرمة مولى بن عباس، وعبد الأعلى بن جريح، وسلمة بن سعد في أوائل القرن الثاني الهجري، (انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج.1، ص.159–160؛ البغدادي(عبد القادر بن طاهر بن محمد الإسفرائيني، ت.429هـ–1038م)، **الفرق بين الفرق**، ط.2، تح. محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1993م، ص.90 وما بعدها؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص.153؛ موسى لقبال، **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط.3، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م، ص.158).

[2] – كانت تعقد حلقات ومناظرات جامع القيروان، ورغم ما عرف من تعصب المالكية وبغضهم لمخالفيهم، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في إفريقية، حتى مجيء سحنون فمنعها، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.409؛ محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.478–479).

[3] – ألفرِّدبل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر. عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ص.149.

[4] – هما الداعيان اللذان أرسلا إلى المغرب، لينشرا الدعوة لآهل البيت، قبل أن يأتي صاحب البذر فيجد الأرض قد هيئت له، وصاحب البذر هو أبو عبد الله الشيعي، وقد اختلفت المصادر في من بعثهما إلى المغرب فابن خلدون يقول في موضع أنّ الشيعة بعثتهم دون تحديد الاسم، وفي موضع آخر أنّ أبا جعفر الصادق بعثهما، (انظر: المصدر السابق، ج.3، ص.450 وج.4، ص.41؛ وانظر أيضا: (Vonderheiden (M.), Op, Cit., pp. 284-285.

[5] – ذكر القاضي النعمان أن أبا سفيان تشيع على يديه أهل مرماجنة، والأربس ونفطة، والحلواني، أهل كتامة، ونفزة وسماتة، (انظر: **افتتاح الدعوة**، ص.27؛ بوبة مجاني، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي**، (296–362هـ/908–972م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسنطينة، 1995م ، ص.19).

[6] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.29؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.41؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.6، ص.450.

[7] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص. 36.

[8] – نفس المصدر، ص.37.

القول أن الدعاة الشيعة استغلوا المساجد لنشر دعوتهم وبها حققوا أهدافهم المذهبية والسياسية المتمثلة في تأسيس الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

بعد دخول عبيد الله المهدي القيروان واستيلاء بني عبيد على إفريقية وما وراءها، وبعد أن أصبحت الخطبة لهم في المساجد، قاطع فقهاء المالكية صلاة الجمعة،[1] ورغم المضايقات التي مارستها الشيعة ضدهم، فإن البعض منهم استمر في حضور المجالس العلمية والفتيا في المساجد. وبعضهم الآخر كان يقوم بذلك سرا، من ذلك أنّ أبا محمد بن أبي زيد وأبا محمد بن التبان وغيرهما كانوا يأتون إلى ابن اللباد(ت.333هـ-944م) خفية، وكانوا" ربما يجعلون الكتب في أوساطهم وحُجُرهم...خوفًا...على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه...".[2]

واستعمل آخرون أسلوب التقية في تعاملهم، فقد كان أبو الحسن بن علي بن محمد بن مسرور الدباغ لا يقول "حي على خير العمل" في آذان بني عبيد إلا مرة واحدة، وكان يقول للناس" تمادوا على الآذان السني تمادوا على الأذان على سنته، في أنفسكم. فإذا فرغتم فقولوا: حي على خير العمل"، ذلك أنّ الشيعة هدفها هو إخلاء المساجد من المالكية.[3]

وممّا سبق يبدو أنّ المسجد في بداية الدولة الإسلامية كان يضطلع بمهمة العبادة والتّعليم، ثم أصبح فيما بعد مركزا لنشر دعوة الخوارج والشيعة، الذين نجحوا في ذلك فتأسست دولة بني مدرار ودولة بني رستم وبعدهما الدولة الفاطمية التي استطاعت الاستيلاء على معظم بلاد المغرب بفضل جهود دعاة مهرة.

والغريب في الأمر أن المصادر الجغرافية أغفلت ذكر مساجد وجوامع المغرب الأوسط التي بنيت في القرون الهجرية الأولى، منها مسجد أبي المهاجر دينار بإستثناء ما ذكره البكري(ت.487هـ-1094م) في نصين أولهما: أنّ "بها جامع وأسواق وحمامات..."، والثاني: أنّ"لمدينة ميلة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الإمارة"،[4] ولعل هذه إشارة إلى دار الإمارة والمسجد اللذان قام ببنائهما أبو المهاجر دينار.

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.377.

[2] - المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.287؛ القاضي، **المدارك**، ج.6، ص.211؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.64.

[3] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.211.

[4] - البكري، **المسالك**، ص.64.

وتحدث ابن حوقل عن جامعين في مدينة تاهرت، وجامع المدينة الخضراء فقط دون الإشارة إلى المساجد والجوامع الأخرى، ومما يلفت الانتباه أنّ ابن الصغير المالكي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أشار إلى مساجد الكوفيين والبصريين والقرويين، ولا يستبعد من أنّها لأتباع المذاهب السنية من حنفية ومالكية وغيرهما.

ج- المدارس

المدارس العلمية التي كان لها تأثير في وصول المذهب المالكي للمغرب الأوسط بشكل غير مباشر، ومن عوامل التي ساعدت على ذلك نذكر منها: الرحلة، والرواية بسماع وقراءة، ودخول بعض المؤلفات المالكية إلى هذه الربوع.

1- مدرسة المدينة المنورة

كانت مدرسة الحجاز تمثل الوجهة الأولى للفقهاء الأوائل لطلب العلم من عالم المدينة الإمام مالك بن أنس. فقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الرحلة نحو المدينة بقوله:" إنّ رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا الأخذ عن علماء المدينة"[1]. واشتهر من مدرسة المدينة عدد من الفقهاء الذين ذاع صيتهم مشرقا ومغربا كعبد العزيز بن مسلمة (ت.185هـ-801م)، وابن ماجشون (ت.212هـ-827م)، ومطرف بن عبد الله (ت.220هـ-835م). ونظرا للمكانة العلمية التي تمتع بها الإمام مالك فقد كُتب عنه وعن موطئه[2] قصيدة ذكرها القاضي عياض(ت.544هـ-1150م) منها هذه الأبيات:[3]

أقول لمن يروي الحديث ويكتب — ويسلك سبيل الفقه فيه ويطلب

إذا أحببت أن تدعى لدى الخلق عالمًا — فلا تعدُ ما تحوي من العلم يثرب

أتترك دارًا كان بين بيوتها — يروح ويغدو جبرئيل المغرب

ومات رسول الله فيها وبعده — بسنّته أصحابه قد تأدّبوا

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.568.

[2] – سمى مالك مؤلفه الموطأ لأنّه عرضه على سبعين فقيها كلهم وطأه عليه، قال ابن فهر:" لم يسبق مالكا أحد إلى هذه التسمية ممّن ألف في زمانه، بعضهم سمي بالجامع وبعضهم بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، ولفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح"، فكان أوّل من استعمل هذا الاسم ودرّسه للفقهاء واعتمدوا عليه لأهميته، (انظر: السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.7).

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.77 وما بعدها؛ التواتي بن التواتي، "الإمام مالك رائد مدرسة المدينة"، **أعمال الملتقى الثالث للمذهب المالكي، 17-18 أفريل 1428هـ/ 2007م**، دار الثقافة، عين الدفلى، الجزائر، ص.53 وما بعدها من عدة صفحات.

وفرق شمل العلـــم فـي تآلــــيفهم   وكل امرئ منهم لـــه فيـه مذهب
فخلصــه بالسبــك للنّـــاس مــــالك   ومنـه صحيح فـي المحبس وأجدب
فـأبــرى بتصحيــح الروايـــــة داءه   وتصحيحهـــا فيــــه دواء مجـرب
ولو لم يلح نـور الموطأ لمـــــن يرى   بليل عمـــاه ما درى أيـــن يذهب

ومن ناحية أخرى أشار القاضي عياض في كتابه إلى رواة "**الموطأ**" وهم من الأجلة، والأئمة المشاهير، والثقات منهم ثمانية وستون راويا ممّن رووا عنه مباشرة من المشرق والمغرب، ومن أشهرهم: علي بن زياد التونسي وابن الأشرس والبهلول بن راشد، ومن بعدهم أسد بن الفرات،[1] ويحي بن يحي الليثي الأندلسي،[2] وشبطون بن عبد الله الأندلسي، والغازي ابن قيس، وقرعوس بن العباس الأندلسي(ت.220هـ-835م)، وسعيد بن عبدوس. وذكر القاضي عياض رواة "**الموطأ**" ممن" بلغه نصا سماعه له منه وأخذه له عنه، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه".[3]

ومن فقهاء الـمغرب الأوسط، ممّن سمع عن مالك، أبو القاسم الـزواوي(ق.2هـ-ق.8م) روى عنه حديث وهو من شيـوخ سحنون.[4] والفقيــه عبد الرحمن بن موسى الـهواري (ق.2هـ- ق.8م)[5] عند رحلتهما إلى المشرق. وقد استغرق مالك في تدوين الموطأ حوالي أربعين عاما. ولمّا عُرِض الموطأ على مالك في أربعين يومًا قال:" كنت ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما قلّ ما تتفهمون فيه"، وتم ذلك في سنة 159هـ-776م .[6]

ولم تنقطع الرحلة العلمية إلى الحجاز، بموت الإمام مالك، بل استمرت، ذلك أن أهل الحجاز كانوا أكثر رواية للحديث من غيرهم، ولأنّ المدينة دار الهجرة ومأوى الصّحابة.[7] ومن أشهر الطلبة الذين لم يروه واقتصروا على الأخذ عن تلاميذه: موسى بن معاوية

---

[1] - الإمام مالك، **الموطأ رواية علي بن زياد**، ص.62-63؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص202-203؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.8.

[2] - يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس بن شمل بن صيغا، يكنى أبا محمد، ذكر ابن الفرضي أنّ أباه من البربر من مصمودة ينتمي إلى بني ليث، دخل الأندلس مع جيش طارق بن زياد، تفقه في البداية على زياد بن عبد الرحمن ، حتى برع وبعد مدة قال له:" إنّ الرّجال الذين حملنا العلم عنهم يدفنون، وعجز بك أن تروي عمّن دونهم"، فرحل إلى مالك سنة 179هـ -795م وهي السنة التي توفي فيها الإمام مالك، سمع منه الموطأ إلا باب الاعتكاف شك فيها وبقي يرويها عن زياد، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر من ابن القاسم فتفقه عنه، وبالمدينة من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب، ثم عاد إلى الأندلس فعادت الفتيا بعد عيسى بن مسكين إلى رأيه وقوله، قال أبو عمر بن عبد البر:"به وبعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك"، وهو صاحب الرّواية المشهورة عن موطأ الإمام مالك، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.557-558؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.381 وما بعدها).

[3] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.82.

[4] - إذ كان ممن سمع من الإمام مالك والإمام سحنون فهو محمد بن القاسم الذي توفي في أواخر القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، لأن الذي ذكره القاضي عياض توفي سنة 304هـ-916م أي بين وفاته ووفاة الإمام مالك 125سنة، أما محمد بن القاسم الذي ذكره المالكي توفي سنة 280هـ-893م والفرق بين وفاته 101سنة، وعلى الأرجح أنّ أبو القاسم الذي ذكره أبو العرب هو مختلف عمّا ذكره المالكي والقاضي عياض، (انظر: **طبقات**، ص.154؛ **رياض النفوس**، المصدر السابق، ج.1، ص.248، **المدارك**، ج.5، ص.107، 414-415).

[5] - ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.257-258؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.187.

[6] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.75؛ مناع القطان، **تاريخ التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.26، 1998م، ص.289.

[7] - ابن خلدون، **المقدمة**، ص.562.

الصمادحي (ت.225هـ-840م)، وعون بن يوسف الخزاعي(ت.239هـ-853م)، وسحنون بن سعيد، وعبد الملك بن حبيب[1] صاحب "**الواضحة**"،[2] ومحمد العتبي(ت.255هـ-869م)، صاحب "**العتبية**"[3] وتسمى أيضا "**المستخرجة**" من الساماعات، أو"**المستخرجة**" من الأسمعة مما ليس في "**المدونة**" أو "**العتبية**"،[4] وهؤلاء جميعا كان لهم دور هام في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب.

2- مدرسة مصر

كانت مصر الوجهة الثانية للفقهاء المغاربة بعد الحجاز في حياة الإمام مالك وبعدها. فقد رحل إليها أسد بن الفرات لما تم سماعه كتاب"**الموطأ**" عن علي بن زياد التونسي.[5] رحل إلى المشرق سنة 172هـ-788م، فحضر مجالس مالك وسمع منه "**الموطأ**" مباشرة، وكان يقول عن مالك:"إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس"،[6] وبما أنه كان من الفقهاء المكثرين في طلب العلم ومن المهتمين بأقوالهم، نصحه الإمام مالك أن يرحل إلى العراق حيث يوجد أصحاب أبي حنيفة بقوله:"إن أردت هذا فعليك بالعراق"، فنزل أسد الكوفة ولزم محمد بن الحسن الشيباني(ت.189هـ-805م)، صاحب أبي حنيفة وتلميذ مالك بن أنس، يسمع منه بالنهار مع العراقيين ويبيت عنده ليسمع منه وحده.[7]

ولما عاد أسد بن الفرات إلى المدينة كان الإمام مالك قد توفي، فالتحق بمصر للسماع من أصحابه ما فاته عند رحيله إلى العراق، ومن هؤلاء ابن وهب(ت.197هـ-812م)،[8] وابن القاسم(ت.191-807م).[9]

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.122 وما بعدها؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.195.

[2] - تح. وتع. ميكلوش موراني على "**كتب الصلاة وكتب الحج" من كتاب الواضحة**، دار السلام، لبنان، 1431هـ-2010م.

[3] - العتبي هو من جمع المستخرجة، وقد قال ابن لبابة عن المستخرجة أنها:" كثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الشادة، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.253؛ محمد العلمي، **الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي**، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، الرباط، 2012م، ص.61 وما بعدها).

[4] - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صخر بن حرب قرطبي. جمع العتبي عددا من الروايات والأسمعة عن الإمام مالك، قال عنه ابن لبابة "لم يكن هاهنا أحد يتكلم مع العتبي في الفقه ولا كان يفهم فهمه إلا من تعلم عنده"، "لم ير له نظير في البراعة وجودة الحفظ ودقة الذهن"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.252-253؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.196-197.

[5] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.291.

[6] - نفس المصدر، ج.1، ص.77.

[7] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.293.

[8] - تفقه عن الإمام مالك وابن القاسم وابن ماجشون، (انظر: نفس المصدر، ج.3، ص.228 وما بعدها).

[9] - عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جناده العتقي المصري، كان زاهدا عالما، تفقه عن الإمام مالك بن أنس ونظرائه، له روايات عنه والليث وعبد العزيز بن الماجشون. استمرت صحبته لمالك عشرون سنة، وكان مولده سنة 132هـ-749م، (انظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص.150).

ورحل بعده الإمام سحنون لطلب العلم سنة 188هـ-804م، وحسب ما ذكره أبو العرب وابن الحارث الخشني (ت.361هـ-971م)، عن ابنه أنّه سافر إلى مصر سنة 178هـ- 794م، وإذا كان هذا صحيحًا فإن للإمام سحنون رحلتان: الأولى سمع منها من ابن نافع من المدنيين والثانية من ابن القاسم من المصريين، وسمع من ابن وهب، وأشهب (ت.204هـ-819م)، وسفيان بن عيينة (ت.198هـ-813م)، وابن ماجشـون وغيرهم. قال عنه الشيـرازي (ت.476هـ-1083م) :"وحصلت له رئاسة العلم " بالمغرب بكتب "**الأسدية**".[1]

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين تركوا أثرا في مصر الفقيه أبو جعفر محمد بن عمر البسكري بعدما جال بعض المناطق لسماع الروايات، وقد توفي غريبا بالقاهرة.[2] ورحل الفقيــه محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج الــجزائري إلى مصر وروى عن أبي القــاسم علي ابن الحسن المصري ابن قُديد (ت.321هـ-924م).[3] وسمع أبو جعفر زكريــا بن بكر بن أحمد الغساني التــاهرتي بمصر من أبي قتيبــة مسلم بن الفضل (ت.276هـ-889م)، وأبي محمد الحسن بن رشيق الــمصري (ت.370هـ-981م). والتقى بأبــي الـطيب المتنبــي وأخذ عنــه ديوان شعره روايــة.[4] واستقر عدد من الـطبنيين بمصر ذكــر مــعظمهم ابن ماكولا، منهم: علي بن منصور الطبني كتب عنه غندر المصري (ت.358هـ-969م)، وأبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطبني وقال عن هذا الأخير:"له عقب بمصر حدث عنه ابن المقرئ"، ومحمد بن الحسن التميمي الحماني الطبني الزابي.[5]

وذكر العسقلاني أيضا بعض العائلات من مدينة تنس انتقلوا إلى مصر وكان" آخرهم قاضي المالكية بمصر، ناصر الدين أحمد التنسي"المتوفى سنة801هـ-1399م)، وممّن

---

[1] – **طبقات الفقهاء**، ص.156؛ و(انظر أيضا: أبو العرب، **طبقات**، ص.101-103؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.45 وما بعدها من عدة صفحات؛ الدّباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.353 وما بعدها).

[2] – الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.132.

[3] – نفسه؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ج.14، ص.435.

[4] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152.

[5] – ابن ماكولا (الأمير الحافظ، ت.475هـ-1082م)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، اعتنى بتص. وتع. ج.1، ج.2، ج.3، ج.4 عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط.2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت. وج.7، اعتنى بتص. وتع. عليه نايف العباس، وج.8 رخيل بن صالح بن وخيل اللحيداني، د. ت، ج.5، ص.262-263؛ ذكره السمعاني علي بن منصور، أما ابن عساكر ذكره علي بن محمد الطبني وكليهما يحدث عن ابن مخارق، (انظر:(أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت.562هـ-1167م)، **الأنساب**، ج.1، ج.2، ج.3، ج.4، ج.5، ج.6 تح. وتع. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1980م، ج.8، ص.212؛ ابن عساكر(الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي، ت.571هـ-1175م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلها**، درا. وتح. محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة، 1995م، ج.65، ص.321).

سبقه الفقيه أبو عبد الله محمد بن المعز التنسي، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي الذي سمع من وهب بن مسرة (ت.322هـ-834م).[1]

3- مدرسة القيروان

مثّل هذه المدرسة في البداية الفقيه علي بن زياد التونسي وابن الأشرس والبهلول بن راشد وأسد بن الفرات، وجاء بعدهم سحنون بن سعيد، حيث انتقل العديد من فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى افريقية، إما للعبور منها إلى المشرق، أو للاستقرار بها، أو لطلب العلم من فقهائها، وكان أشهر هؤلاء الإمام سحنون، الذي استفاد منه عدد كبير من طلبة العلم، وكسبوا ثقته حتى أنه عين العديد منهم في منصب القضاء أكثرهم بالزاب،[2] وعُد حمدون بن عبد الله المعروف بابن الطبنة من أصحابه. فقد لازمه مدة طويلة وله سماع منه، إذ أنه"كان من أهل العناية بالعلم، معدودا في الفقهاء، قليل العناية بالحديث".[3] وتغلب علم الفقه والحديث عند أصحاب مدرسة إفريقية.

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين سكنوا مدينة سوسة الفقيه أبو محمد عبد الله التاهرتي. فقد كان محتسبا للحرس على المسلمين.[4] وبالقيروان الفقيه بكر بن حماد الذي تتلمذ عن سحنون، واستفاد منه أهل افريقية فيما بعد من بينهم أبو العرب التميمي. كما حضر من جاء بعدهم من الفقهاء مجالس سحنون بل سمع منهم هذا الأخير وابنه محمد.[5]

4- مدرسة الأندلس

نبغ بالأندلس فقهاء مالكية تتلمذوا عن الإمام مالك مباشرة ولهم الفضل في إدخال "**الموطأ**" إليها في وقت مبكر. ويعتبر الفقيه شبطون أوّل من أدخل علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه، والأحكام.[6] وأيضا الفقيه قرعوس بن العباس،[1] والغازي بن

---

[1] - **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، ج.1، ص.152.

[2] - أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.100؛ و(انظر: بعد ص.25 من هذا الفصل).

[3] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.100.

[4] - المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.182.

[5] - أبو العرب، **طبقات**، ص.98، 107، 154؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.248،401؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص. 414-415.

[6] - هو زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشدة بن لخم بن عدي، يلقب بشبطون وهو فقيه الأندلس من قرطبة، على مذهب الإمام مالك سمع منه الموطأ وله عنه في الفتاوى كتاب"**سماع**" معروف بسماع زياد، قال عنه الشيرازي:" كان أهل المدينة يسمون زيادًا فقيه الأندلس"، عُرض عليه القضاء فلم يقبل، توفي بالأندلس، واختلف في تاريخ وفاته، قيل سنة(194هـ-810م)، أو(193هـ-809م)، أو سنة(204هـ-819م)، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.154؛ **طبقات الفقهاء**، ص.152؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.191-192).

قيس(ت.199هـ-814م)،[2] ويحي بن يحي الليثي (ت.234هـ-848م) وعبد الله بن حبيب. ولم يُعرف عمّن أخذ عن هؤلاء من فقهاء مالكية المغرب الأوسط لكنهم أخذوا ممّن جاء بعدهم. ومن بين الأسباب التي رحلوا من أجلها إلى الأندلس: الوجود الشيعي بالمنطقة من جهة، وتشجيع عبد الرحمن الناصر للعلماء من جهة أخرى، أو من أجل طلب رواية الحديث عن أشهر فقهائها. وكانت مدينة قرطبة أكثر الأمكنة التي قصدها الفقهاء، ومن هؤلاء القاضي أحمد بن أبي عون الوهراني دخلها سنة 341هـ-952م.[3]

واختار الطبنيون المدرسة الأندلسية مثل ما اختاروا المدرسة المصرية[4] وهم: أبو الحسن علي بن مروان بن علي الأسدي بن عبد الملك البوني روى عن أبيه بالأندلس[5] واستقر بها. ومن مدينة تنس الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي استقر بمدينة الزهراء وسمع من وهب ابن مسرة وأبي علي القالي،[6] وعاش الفقيه أبو محمد عبد الله بن عيسى بمدينة المرية (Almaria) وسمع بها عن علي بن الحسن المري وابن فحلون، وبمدينة قرطبة عن الرعيني وابن أبي دليم حيث توفي بها.[7]

والملاحظ أن فقهاء مالكية المغرب الأوسط رحلوا واستقروا حيث عرف المذهب المالكي رواجا وانتشارا، كما أنهم لم يقتصروا على مدرسة واحدة، فهم يتنقلون بين المدارس مشرقا ومغربا للرواية والبحث عن السند العالي في الحديث. وقد قصد أبو عمر أحمد بن الحسين الطبني(ت.390هـ-1000م) الأندلس وسمع بقرطبة من القاسم بن الأصبغ وابن دليم ونظرائهما. ثم رحل حاجا سنة 342هـ-953م وسمع هناك أيضا الحديث، كما استفاد منه

---

[1] – هو قرعوس بن العباس بن عبيد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي، أحد فقهاء الأندلس، من طليطلة، أبوه عبدوس مولى هشام بن الحكم، لقي مالكا وسمع منه الموطأ، وكان مفتي بلده في وقته، ومن أهل الفقه والعلم، وولي قضاء طليطلة. وكان لأبيه عبدوسا رأيا عند لأمير الحكم، (انظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص.152؛ الحميدي، **جذوة المقتبس**، دار الهيئة العامة للكتاب، 2008م، ص.333؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.347).

[2] – أموي يكنى أبا محمد، رحل إلى المشرق في صدر الإسلام أيام عبد الرحمن بن معاوية، سمع من مالك " الموطأ" وسمع من عبد الملك بن جريح والأوزاعي وغيرهم، قرأ القرآن على نافع بن الأنعم قارئ أهل المدينة وانصرف إلى الأندلس. فكان يقرأ عليه، وقيل إنه يحفظ الموطأ عن ظهر قلب، وربما عرض عليه القضاء فأبى، في أيام الأمير الحكم، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.272؛ الحميدي، المصدر السابق ص.291؛ الضبي، المصدر السابق، ص. 384).

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.111؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.348.

[4] – ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.263.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.242؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ج.1، ص.212.

[6] – الحميدي، المصدر السابق، ص.187؛ الضبي، المصدر السابق، ص.47؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.49.

[7] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص. 231.

ابن الفرضي ت.403هـ-1012م، وكانت وفاته بقرطبة.[1] و انتقل الفقيه عبد الملك بن سابخ(سيانح) البجائي، من المدينة المنورة إلى الأندلس ومنها رجع إلى مصر ثم الشام.[2]

ودخل الفقيه القاسم بن عبد الرحمن المحدث وابنه أحمد قرطبة، روى هذا الأخير عن كبار شيوخها منهم: قاسم بن الأصبغ، وأبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري، وأبي عبد الملك بن أبي دُليم واختار قرطبة سكنا له بجانب مسجد مَسرور.[3] وقد توفي بقرطبة عدد من مالكية المغرب الأوسط منهم: على سبيل المثال لا الحصر أبو جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني التاهرتي المشهور بابن الأشج،[4] والفقيه أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي الذي دفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي أحمد بن عبد الله بن ذكوان.[5]

وممّا يلاحظ أن المدارس كفضاء علمي قد تأخر تأسيسها بالمغرب الأوسط مقارنة بالدول المجاورة له أو بالمشرق، وأشار الذهبي إلى أنّ جلوس الفقهاء كان بدار السلطان، وكانت أجرة أكثر الفقهاء تقطع من بيت المال بقوله:"الجلوس بدار السلطان، ولأكثره أرزاق مقررة على بيت المال، إذ لا مدارس هناك ولا أوقاف إلا أوقاف المساجد".[6] وكان الجامع الأعظم بالقيروان أوّل الجوامع ثم أصبح فيما بعد جامع الزيتونة141هـ-758م بإفريقية، وجامع القرويين الذي أسست فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري عام 245هـ-859م بالمغرب الأقصى، وجامع الأزهر الذي بناه جوهر الصقلي عام 359-360هـ/970-971م، واتخذ جامع الأزهر فيما بعد صفة المدرسة، تقليدا للحاكم العزيز بالله الفاطمي الذي كان له درس به، وهكذا تكون قد سبقت المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك السلجوقي(ت.486هـ-1093م).[7]

ثانيا: مظاهر النشاط العلمي

أ- التعليم

اهتم الفقهاء الأوائل من الصّحابة والتّابعين الذين دخلوا بلاد المغرب أثناء عمليات الفتح الإسلامي بتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية. وحرصا على نشر الإسلام كان

---

[1] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.63؛ ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.263؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.201.

[2] – نفس المصدر، ص.274؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.156-157؛ السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح. أبو الفضل إبراهيم، ط.2، دار الفكر، لبنان، 1979م، ج.2، ص.110؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.20.

[3] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84.

[4] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152.

[5] – نفس المصدر، ص.63؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.110.

[6] – **تاريخ الإسلام**، ج.13، ص.32.

[7] – عن تاريخ المدارس، (انظر: عبد العزيز بنعبد الله، " تاريخ التعليم الإسلامي"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة العموم والأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، س.4، ع.1، جمادى الأولى 1380هـ-أكتوبر 1960م، ص.53-56).

المسلمون يشيدون المساجد في المناطق التي يفتحونها. وقد ترجمت المصادر لعدد لا بأس به من الفاتحين القرّاء والمفسرين الذين حطوا الرّحال بافريقية، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن أبي سرح(27-35هـ/648-655م).[1]

وورد في بعض المصادر المغربية معلومات عن الطريقة التي يعتمد عليها المعلم في التلقين، من بينها ما أورده الفقيه عبد الحق الإشبيلي البجائي في كتاب "**تلقين الوليد الصغير**"، حيث خصص بابا ذكر فيه أحاديث عن الترغيب والترهيب لطالب العلم، منها قوله عليه الصلاة والسلام:"من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وأن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر".[2] وقوله:"من تعلم علما مما يُبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة". يعني ريحها.[3]

وعن الرّسول أيضا:" إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منكم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون، فيُفتون برأيهم فيَضِلون ويُضلون".[4] وغيرها من الأحاديث.

انطلق الدعاة من غير مالكية بلاد المغرب إلى المساجد لنشر دعوتهم، مثل عكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد من الخوارج ونتج عن ذلك تأسيس الدولتين الصفرية والإباضية ببلاد المغرب.[5] أما الحلواني وأبو سفيان وأبو عبد الله الشيعي فقد جاؤوا بعد ذلك، فكان لهم الفضل في تأسيس دولة قوية سنة 297هـ-910م.واعتمد أبو عبد الله في البداية على تعليم الصبيان في المسجد كما استطاع الوصول إلى عقول النّاس بكسب ثقتهم، فأقنع أتباعا كثيرين في مناطق عديدة من البلاد. ونجح المرابطون في إقامة دولتهم

---

1 - المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.60 وما بعدها؛ محمد بن عميرة، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م ، ص.36 وما بعدها.

2 - رواه الترمذي عن أبي الدرداء عن الرسول(صلى الله عليه وسلم)، في باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم 2682، المصدر السابق، ج.4، ص.414؛ عبد الحق الإشبيلي، **تلقين الوليد**، ص.20.

3 - رواه أبو داود عن أبي هريرة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، رقم 3664، إسناده حسن، (انظر:(سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت.275هـ-888م)، **السنن**، تح. وضب. نصه وتخ. أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، دمشق، 2009م، ج.5، ص.505؛ عبد الحق الإشبيلي، **تلقين الوليد**، ص.20.

4 - رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كتاب العلم، باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس، رقم 7307، (انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت.256هـ-870م)، **صحيح البخاري**، طبعة جديدة ومضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2002م، ص.1705؛ عبد الحق الإشبيلي، **تلقين الوليد**، ص.21.

5 - عبد القادر بوعقادة، "**دور علماء الغرب الإسلامي**"، ص.324-325.

بالدعوة التي قام بها الفقيه عبد الله بن ياسين الجازولي (ت.451هـ-1059م) في المسجد. ويمكن القول ممّا سبق أنّ جل دول بلاد المغرب نهضت بفضل جهود دعاة مهرة أخذوا من التعليم وسيلة ناجحة لتأسيس دول. وقد فشلوا من قبل في تحقيقها بالمشرق ويبدو أنهم اتعظوا من الفشل الذي كان نصيبيهم في كل مرة.

وقد أشار أحد الباحثين أنّ عقبة بن نافع في حملته الثانية(62-63هـ/682- 683م) هو الذي حث على التّعليم، حيث عيّن من أصحابه من يعلم النّاس القرآن وشعائر الإسلام. واعتمدت سياسة موسى بن نصير الرشيدة على تعليم القرآن ونشر الوعي الإسلامي في سائر الطبقات[1]. وقد ساعد النشاط العلمي الديني الذي قام به الفاتحان في انتشار القرآن في بلاد المغرب. لكن هذه الفترة التي تحدث عنها الباحث سعيد أعراب تعتبر متقدمة نسبيا ولا يمكن حصرها في ذلك. فالعمل الذي قام به كل منهما يعبر عن امتداد المرحلة الأولى من التّعليم وفق قواعد أساسية متبعة. ثم عززته البعثة العلمية المتكونة من عشرة تابعين التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز أثناء حكمه سنة 99هـ-718م وقيل سنة 100هـ-719م[2]، فانتشر القرآن الكريم بفضلهم ورسخ بين أهل المغرب وعلّموا البربر الحلال والحرام.[3] ولا يستبعد من أنّ هؤلاء الفقهاء قد توزعوا على الأقاليم الأخرى للمغرب غير القيروان. وقد جاوز صيتهم كل الحدود فانتشروا في المغرب الأوسط والأقصى، وربما كانوا هم الذين يفصلون في المنازعات والخصومات في تلك الأقاليم، فكان البربر يهرعون إليهم يستشيرونهم فيما أشكل عليهم من مسائل في العلاقات الاجتماعية والمعاملات.[4]

وفي عهد الأغالبة تأسست بمدينة القيروان بيت الحكمة أو خزانة كتب أو دار علوم جلب إليه من مصر وبغداد علماء في الطب وعلم الفلك والموسيقى، وفتح إلى الوافدين إليها من جميع الأنحاء،[5] وقد يكون هناك عامل آخر رحل من أجله المتعلم لاستزادته بالكتب.

وهكذا يبدو أنّ الظروف التي مرّ بها المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا جعلت جهود فقهاء المالكية تنصب على تعليم الصبيان لمواجهة خطر التّشيع الذي يعتمد على

---

[1] – سعيد أعراب، **القراء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989م، ص.7.

[2] – أبو العرب، **طبقات**، ص.20؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.99؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.203؛ وقسم الباحث الطاهر المعموري في دراسته البعثات العلمية إلى أربع وهي: بعثة عقبة بن نافع، وبعثة حسان بن النعمان، وبعثة موسى بن نصير وأخرها بعثة عمر بن عبد العزيز معتمدا في ذلك على نصوص مصدرية، (انظر: "البعثات العلمية بين القيروان والمشرق خلال القرون الأولى"، ضمن كتاب **ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بَينَ المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4-5- 6 ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م**، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 1995م، ص.260-267).

[3] – الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص62؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.48.

[4] – المصدر السابق، ص.61؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص.48 ؛ إبراهيم بحاز، **القضاء**، ص.137.

[5] – نص ابن الأبار في ترجمة لأبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني (ت.298هـ-910م) عن بيت الحكمة بقوله:"كان أَيَّام زِيَادَة اللَّه بن عبد اللَّه آخر ملوك الأغالبة عَلَى بيت الحِكْمَة"، (انظر: **التكملة**، ج.1، ص.147)؛ وتوصل الباحث مختار العبيدي إلى استنتاج أن "بيت الحكمة" كانت مجرد غرفة في أحد قصور بني الأغلب، فيكون المقصود بها خزانة للكتب، (انظر: "هل كان للقيروان بيت حكمة في القرن الثالث الهجري؟"، **ضمن إشعاع القيروان عبر العصور من وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل 1430هـ-2009م**، نشرته وزارة الثقافة، بيت الحكمة، قرطاج، 2010م، ج.3، ص.934، 939، 968)؛ ونسبه حسن حسني عبد الوهاب إلى الأمير إبراهيم الثاني(261-289هـ/875-902م) وبُني البيت في مدينة رقادة، (انظر: **خلاصة تاريخ تونس**، طبعة جديدة ومزيدة ومنقحة تق. وتح. حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م).

تأويل النصوص،[1] وكان يهدد المنطقة حتى بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، فعمل بعض العلماء على وضع أسس وضوابط للمعلم والمتعلم دونوها في كتب يعتمد عليها المؤدب في التّلقين، فيكون هؤلاء بهذا العمل قد واصلوا ما كان يقوم به من سبقهم من الفقهاء كالإمام سحنون بن سعيد التنوخي وابنه محمد.

وكان ابن دليم(ت.372هـ-982م) يرى أن طالب العلم لا يسمى" فقيهاً حتى يكتهل ويكمل سنه ويقوى نظره، ويبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث، ويتميز فيه، ويعرف طبقات رجاله، ويحكم عقد الوثائق، ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف، ويعرف مذاهب العلماء والتفسير ومعاني القرآن"،[2] فإذا اجتمعت فيه هذه الصفات يستحق عندئذ أن يسمى فقيهاً، وإن تعذر ذلك فأليق له أن يحتفظ باسم الطالب وأضاف أنّ "دعاء الداعي له باسم الفقيه: سخرية"،[3] وفي نص آخر يشير ابن عبد الملك إلى دليل تسمية الفقيه بقوله:"فهذا ممّا يدلك على قدم طلبه العلم ولقاء حملته وأخذه عنهم".[4]

لم يكن للطالب سن معين للتعلم،[5] فقد بدأ أبو الفضل أحمد بن القاسم التاهرتي في طلب العلم وسنّه خمس وعشرين سنة،[6] بينما رحل بكر بن حماد إلى البصرة وهو صغير السن،[7] ورافق غالبيتهم أباءهم في رحلاتهم العلمية فاستغلوا ذلك في التعلّم والاستفادة من بعض الشيوخ.[8] أما أوقات التعليم فتختلف من فقيه إلى آخر، فمنهم من يجلس مع الطلبة إلى صلاة العصر ثم بعدها يقوم بتعليم أقرب الناس إليه من أبنائه وأقربائه القرآن وغيره من العلوم.[9]

ووضع القابسي منهاجا يسير عليه المعلم في تلقين القرآن الكريم، إذ لا بد عليه أن يتفقد الطالب في التعليم والعرض، وأن يخصص لذلك وقتا معلوما ويكون آخر الأسبوع أي عشية

---

1 - عبد المجيد التركي، المرجع السابق، ص.45؛ سعيدة لوزري، **الفكر المالكي**، ص.209-210).
2 - ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.203.
3 - نفسه.
4 - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.445.
5 - نفس المصدر، س.8، ص.327.
6 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84.
7 - عادل نويهض، **أعلام**، ص.58.
8 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.253؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84.
9 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.394.

يوم الأربعاء والخميس، ولا ينتقل من سورة إلى أخرى حتى يحفظها بإعرابها وكتابتها ويستظهر ذلك، كما يبرمج لهم وقتا لتعلّم الكتابة، ويشجعهم على التنافس فيما بينهم.[1] أما الحديث فتختلف طريقة تلقينه فالفقيه بكر بن حماد مثلا كان يكتب لقاسم بن عبد الرحمن بن محمد التميمي التاهرتي كل يوم أربعة أحاديث ويطالبه بأن لا يأتيه إلا وحفظها.[2]

ولأهمية التعليم ترك بعض الفقهاء رسائل وقصائد في فضل العلم، ووصيا لأبنائهم تحثهم على التعليم والتعلّم، وأنواع العلوم التي يجب أن يتلقوها، منها: ما كتبه ابن أبي زيد القيرواني إلى بعض طلبته القاصدين الرحلة إلى المشرق للحج، وإلى العراق لطلب العلم يوصيهم فيها على بعض الأمور التي يستفيد منها المتعلم في رحلته، بقوله:"عليك بالأخذ بالحزم فيما أنت بسبيله من سفرك" و"لا تغفل عن التعاهد لتلاوة القرآن" و"ارغب في كل بلد ترده في خلطة خياره وأهل الديانة منه. واقنع بهم وإن قلّوا".[3] ونظم الفقيه ابن عمار الكلاعي نزيل بجاية قصيدة يوصي فيها ابنه بالعلم منها هذين البيتين:

ألا فاعلم فإن العلــــــم وصف ... به رفع الإلـــه العـالمينـــا

وبعض العلم في الأعيــان فرض ... وجملتـــه فريضة عاملينــــا[4]

ومن أجل التعلّم، فقد اعتمد أهل المغرب الأوسط في القرون الأولى أساسا على الرحلة إلى الحواضر المغربية والمشرقية التي انتشر فيها المذهب المالكي، وأكثر رحلتهم كانت إلى حاضرتي القيروان وقرطبة، والسبب أنّ الأولى كان بها الإمام سحنون الذي تعلم عنه أغلب فقهاء المغرب الأوسط، أما الثانية فبسبب الأوضاع الداخلية التي كان يمر بها هذا البلد من جهة، وتشجيع حكام الأندلس العلمي للوافدين إليه من الفقهاء من جهة أخرى. أما المشرق فلا يقل شأنا من غيره فقد رحل إليه عدد من طلاب العلم بداية من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

ب- الكتب المدرسة

---

[1] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.131 وما بعدها.

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.80.

[3] – محمد العلمي، "رسائل ونصوص ملحقة بالجزأين الثاني والثالث من كتاب الذب من مذهب مالك"، **مجلة مرآة التراث**، ع.3، ربيع الأول 1435هـ/ جانفي 2014م، الرباط ، ص.135؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (1) و (2).

[4] – الوصية ضمن كتاب عبد الحق الإشبيلي، (انظر: **تلقين الوليد**، ص.73؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.326-327، ج.3، 90-91)؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (3).

تنوعت الكتب التي خصها فقهاء مالكية المغرب الأوسط بالدّراسة في القرون الأربعة الأولى من كتب فقه وحديث ونحو وغيرها، فكان طالب العلم يتحصل عليها إما عن طريق شيوخ البلد، أو ممّن التقى بهم أثناء رحلته المغربية أو المشرقية.

واشتهر فقهاء مالكية المغرب الأوسط برحلاتهم إلى الحواضر المغربية والمشرقية، للتّحصيل العلمي، لكن هذا لم يَمنع من وجود نزلاء بالمغرب الأوسط من بعض الأمصار من بينهم: الفقيه المحدث أبو عثمان سعيد بن فحلون بن سعيد(ت.346هـ-957م) الذي أقام ببجاية وانفرد برواية كتب عبد الملك بن حبيب: "**الواضحة**" وغيرها.[1] والمقرئ أبو محمد عبد الله بن محمد القضاعي(ت.378هـ-988م)المشهور بمقرون، فقد سكن مدينتي بجاية ووهران، ومما لا شك فيه أنه درّس وأخذ عنه بعض طلاب العلم في مجال القراءات. وممّن روى عنه المقرئ أبو الفضل عبد الحكم بن إبراهيم القروي إمام في رواية ورش،[2] وقد يكون من بين ما رواه عنه بهما كتاب "**الأداء**" في القراءات لشيخه أبي محمد بن خيرون،[3] وروى هذا الأخير عن أبي الحسن علي بن مروان الأسدي البوني الذي روى كتب والده، فيكون ممّا رواه كتابه "**تفسير الموطأ**"وكان ذلك بمدينة بلنسية(Valencia).[4] ولم يقتصر فقهاء المغرب الأوسط على القراءات السبع المشهورة دون غيرها، فقد تلا الفقيه علي بن حسين بن فروخ التميمي بالقراءات الثمان على أبي زكريا الهوزني بإشبيلية(Sevilla) .[5]

واهتم الفقهاء الأوائل بعلم الحديث حفظا ورواية وقراءة وسماعا. وطغى هذا العلم على غيره من العلوم لارتباطه بالسنة النبوية. ووردت في المصادر نصوص بينت حرص فقهاء المغرب الأوسط على رواية الحديث عن شيوخهم الذين تتلمذوا عنهم. فقد حدث الفقيه أبو عبد الملك الملشوني "عن مقاتل بن سليمان وغيره".[6] وروى الفقيه أبو الفضل أحمد بن القاسم بقرطبة عن أبي محمد قاسم بن أصبغ البياني (ت.340هـ-951م)، وأبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري (حي سنة 350هـ-961م) وهو آخر من حدث بكتب الطبري منها كتابه المشهور"**بذيل المذيل**" وكتاب" **صريح السنة**" و"**فضائل الجهاد**" و"**رسالته**

---

[1] - ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.392.
[2] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.139.
[3] - نفس المصدر، ج.3، ص.139، 173.
[4] - نفس المصدر، ج.3، ص. 242؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.212.
[5] - نفس المصدر، ج.3، ص.249.
[6] - أبو العرب، **طبقات**، ص.98؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.401؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.132، ج.4، ص.21.

إلى طبرستان" المعروفة "**بالتبصير**".[1] وروى أيضا عن أبي عبد الملك بن أبي دليم، ومحمد ابن معاوية القرشي، ومحمد بن عيسى بن رفاعة.[2] وذكر ابن عبد البر (ت.463-1071م) عن القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي[3] أنّه" سمع منه تواليفه كلها" ذلك أنه كان من الملازمين له.[4]

وحدث أبو زكريا بن الأشج التاهرتي بكتاب "**صحيح البخاري**" بالأندلس، وله رحلة إلى مصر فسمع من فقهائها، ويظهر أنّه سمع الصحيح لما كان بالمشرق، وأخذ هناك "**ديوان**" المتنبي رواية،[5] وأصبح هذان الكتابين يدرسان بالقلعة الحمادية فيما بعد.

وأغفلت المصادر ذكر الكتب التي سمعها بعض فقهاء المغرب الأوسط أو حدثوا بها بل حتى الشيوخ الذين تتلمذوا عنهم، إذ وهم ممّن شهد لهم بعلو الإسناد في علم الفقه على مذهب الإمام مالك.[6] كالفقيه مروان بن أبي شحمة الذي "سمع من وكيع بن الجراح ومن عبد الرحمن بن مهدي" [7]

واعتنى عدد من فقهاء المغرب الأوسط بأمهات الكتب الفقهية المؤلفة في المذهب المالكي، بالحفظ والسماع والقراءة، منها كتاب "**المدونة**"، فقد ذكرت النصوص المصدرية أنّ الفقيه أبا القاسم عبد الرحيم بن جعفر التلمساني لا يوجد أحفظ منه للمسائل الفقهية إلا القليل من الرجال.[8] وسمع الفقيه أبو جعفر زكريا بن بكر الغساني التاهرتي "**المدونة**" في مدينة

---

[1] – الضبي، المصدر السابق، ص.170.

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.58.

[3] – تولى قضاء الجماعة في زمن الحكم المستنصر بالله، وكان فقيها، أديبا بليغا، وخطيبا على المنابر والمحافل. (انظر: الحميدي، المصدر السابق، ص.315.

[4] – نفس المصدر، ص.216؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.58.

[5] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

[6] – نفس المصدر، ص.63؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.110.

[7] – أبو العرب، **طبقات**، ص.115؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.392.

[8] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.63؛ الذهبي، **المستملح من كتاب التكملة**، تح. وضبط نصّه وتع. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص.260.

قرطبة من الفقيه محمد بن عبد الملك بن أيمن.[1] وبلغ بالسماع كتاب "**الذب عن مذهب مالك**"[2] لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني الفقيه جعفر بن إبراهيم البوني.[3]

ومن الكتب الفقهية التي عنيت بالدراسة "**الواضحة**" و"**الموازية**"، فقد استخرج منهما الفقيه أبو مروان عبد الملك بن ساخنخ[4] مسائل في الأحكام أغفلها سحنون في كتاب"**المدونة**" والعتبي في كتابه "**المستخرجة**" أو "**العتبية**"،[5] ويبدو أن إلمام أبو مروان بالعربية وحفظه للرأي ساعده على معرفة الأحكام ممّا يصعب على غيره معرفتها إلا من كان متبحرا في علم اللغة.

وقد أكثر الفقيه بكر بن حماد الأخذ عن الإمام سحنون بن سعيد ومحمد عون ابن يوسف الخزاعي،[6] وقد قرأ كتب ابن وهب على هذا الأخير من بينها كتابه "**الأهوال**" التي أخذها عن مؤلفها قراءة دون إجازة.[7] وسمع بكر بن حماد أيضا الحديث من الفقيه أبي سنان زيد بن سنان الذي لقي الفقيه المحدث سفيان بن عيينه (ت.198هـ-813م).[8] ونظرا لمكانة سفيان بن عيينة في الحديث فقد نقل الذهبي عن الإمام الشافعي قوله:"لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز"،[9] ويحتمل أن بكر بن حماد سمع من سفيان بن عيينة الحديث. وكذلك من محمد بن رزين وهو من المكثرين لرواية الحديث حسب أبي العرب،[10] ومن الفقيه علي بن كثير وكان هذا الأخير قد سمع من علي بن زياد التونسي.[11] ويحتمل أن يكون من بين ما سمعه منه كتاب "**الموطأ**"، وأخذ بكر بن حماد روايته عنه. كما أخذ حديث "شهادة الصبيان على الصبي جائزة"،[12] وكذلك كتاب "**مسند**"،[13] عن شيخه مُسدَّد الأسدي

---

[1] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152.

[2] – ويحتوي الكتاب في ثلاثة أجزاء متوسطة، ألفه ابن أبي زيد القرواني للرد عل مؤلف من الظاهرية ينتقد فيه مذهب الإمام مالك وينقض مسائل مذهبه سماه"التنبيه والبيان عن مسائل اختلف فيها مالك والشافعي"، (انظر: ابن أبي زيد القيرواني، **مقدمة الذب عن مذهب مالك**، في غير شيء من أصوله، وبعض مسائل من فروعه، وكشف ما لبَّس به بعض أهل الخلاف، وجهله منى محاجّ الأسلاف، درا. وتح. محمد العلمي، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2011م، ج.1، ص.12 وما بعدها؛ محمد العلمي، **رسائل ونصوص**، ص.122).

[3] – وجدت اسم الفقيه جعفر بن إبراهيم البوني في أخر الجزء الأوّل من الكتاب، وبحثت عن ترجمته فلم اعثر عليها، (انظر: ابن أبي زيد، **الذب عن مذهب مالك**، ج.1، ص.439).

[4] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.274؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.20؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.110.

[5] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.20؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.110.

[6] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.385.

[7] – أبو العرب، **طبقات**، ص.105؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.387؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص. 58.

[8] – نفس المصدر، ص.116.

[9] – **سير أعلام النبلاء**، ج.8، ص.457 وما بعدها.

[10] – **طبقات**، ص.119.

[11] – أبو العرب، **طبقات**، ص.122.

[12] – ابن أبي زيد، **الذب عن مذهب مالك**، ج.2، ص.446.

[13] – ذكر الذهبي أن للمُسدّد " **مسند**" في مجلد رواه عنه معاد بن المثنى، و"مسند" آخر صغير يرويه عنه أبو خليف، (انظر: **سير أعلام النبلاء**، ج.10، ص.594).

(ت.228هـ-843م)[1] بالعراق حيث سافر إليه سنة217هـ-832م، وقال أبو عمر بن عبد البر: " قرأت على عبد الوارث بن سفيان بن جبرون حديث مسدد بن مسرهد في عشرة أجزاء، أخبرني به عن قاسم بن أصبغ عن بكر بن حماد عن مسدد"،[2] وقد كتبه عنه أثناء رحلته المشرقية،[3]ويرويه ابنه أبو زيد عبد الرحمن بن بكر بن حماد التاهرتي.[4]

ولا تقل عناية فقهاء المغرب الأوسط بكتب اللغة والآداب عن كتب الحديث والفقه، فقد كان الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد التنسي يحدث عن حكايات من كتاب "**الأمالي**"[5] لأبي علي القاسم القالي[6] الإمام في اللغة وعلوم الآداب.[7] وممّا لا شك فيه أنه رحل إلى قرطبة فسمعها منه هناك ورواها عنه بمدينة الزهراء. ورحل الفقيه سعيد بن خلف الوهراني(حي سنة 375هـ-985م)، الحافظ العالم بالحديث ورجاله إلى بغداد ودرس على شيخ مالكيتها أبي بكر الأبهري(ت.375هـ-985م).[8]

ومما سبق يظهر أن فقهاء المغرب الأوسط اعتمدوا في دراستهم مثل غيرهم على أمهات كتب الفقه المالكي، وكان كتاب "**الموطأ**" للإمام مالك بن أنس أولهم باعتباره أوّل تأليف في المذهب، ثم "**المدونة**" للإمام سحنون بن سعيد، ويليهما كتاب "**الواضحة**" وكتاب"**المستخرجة**" وكتاب"**الموازية**". أما كتب الحديث فهي قليلة إذا ما قورنت بغيرها، وقد يكون السبب نقص في الرحلات المشرقية، أو عدم شهرة أصحابها، أو بعد المسافة، أو لعائق آخر. ورغم ذلك فإن المصادر أشارت إلى كتابين هامين، هما: "**مسند**" مُسدَّد الذي نقل عنه البخاري، وكتاب "**صحيح البخاري**". وقد توجد كتب أخرى لم تشر إليها المصادر أخذها فقهاء مالكية المغرب الأوسط كلها أو جزءا منها.

والملاحظ أيضا أن اللغة العربية رغم أهميتها في الدراسات القرآنية والحديث والفقه، إلاّ أن المصادر أغفلت ذكر أسماء الكتب التي عنيت بالدراسة بين القرنين الثاني والرابع

---

[1] – بضم الميم وفتح السين وتشديد الدال الأولى وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مرعبل الأسدي المصري، كنيته أبو الحسن حدث عنه الإمام البخاري وأبو داود وغيرهما، (انظر: نفس المصدر، ج.10، ص.593).

[2] – الضبي، المصدر السابق، ص.392-393؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.3، ص.15؛ االحميدي، المصدر السابق، ص.298.

[3] – السمعاني، المصدر السابق، ج.3، ص.15.

[4] – نفسه.

[5] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.19؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.187؛ الضبي، المصدر السابق، ص.47؛ العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج.1، ص.152.

[6] – جده سليمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي، ولد بِمَنَازْجِرد من ديار بكر سنة 288هـ-901م، نشأ بها ثم رحل إلى العراق لطلب العلم، وسبب تسميته بالقالي نسبة إلى" قالي قلا " من أعمال أرمينية. دعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الأندلس، وحظي عنده حظوة كبرى، وبمدينة قرطبة أملى تصانيفه، (انظر:(أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، ت.356هـ-967م)، **كتاب الأمالي**، ويليه" **الذيل والنوادر**" للمؤلف وكتاب" **التنبيه**" لأبي عبيد البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ج.1، ص.3).

[7] – نفسه؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.84.

[8] – العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج4، ص.1485؛ الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت.816هـ-1413م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح. عبد العزيز مطر، ط.2، الكويت، 1994م، ج.14، ص.386.

الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين إلا ما ذُكر عن التنسي وكتاب "**الأمالي**" للقالي الذي كان يحدث به.

ج- طرق نقل العلم عند فقهاء المغرب الأوسط ما بين القرنين2-4هـ/8-10م

تنوعت طريقة تحمّل أو نقل العلم أو الرواية عن الشيوخ فجاءت بطرق مختلفة، وهي ثمانية أنواع ذكرها القاضي عياض،[1] وتحصل فقهاء مالكية المغرب الأوسط على البعض منها ذكرتها بعض المصادر المغربية والمشرقية.

أولا: السماع من لفظ الشيخ، وينقسم إلى إملاء أو تحديث، وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه. وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الكثير، لكن الإمام مالك سوّى بين "القراءة" و"العرض" بقوله:"إن القراءة على الشيخ أعلى مراتب الحديث".[2] وروى القعنبي أحد رواة كتاب "**الموطأ**"عن مالك أنّه قال له:"قراءتك عليّ أصح من قراءتي عليك".[3]

ومن سماع من لفظ الشيخ ما سمعه أبو حاتم يحي بن خالد السهمي بمصر من سعيد بن عثمان، وحدث عنه ابنه أحمد وعبد الرحمن بن محمد القصطلاني وأخوه العباس بن خالد عن أسد ابن الفرات.[4] وحدث أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم عن بكر بن حماد منها: ما دونه في كتابيه"**طبقات**" و"**المحن**"[5]، والأخرى أُخبر بها ابن أبي زيد القيرواني عن أبي العرب عن حماد عن مسدد منها حديث" شهادة الصبيان".[6]

وتحصل أكثر فقهاء مالكية المغرب الأوسط على الرّواية بالسّماع وهي مدونة في المصادر دون ذكر "من لفظ الشيخ". فمن المحتمل أن تكون عادة المؤلفين عدم ذكرها أو الإغفال عنها. من بين الفقهاء الذين لهم سماع: أبو مروان عبد الملك بن ساخنج[7] وحمدون ابن عبد الله المعروف بابن الطبنة له سماع من سحنون ومن أصحابه.[8] وحدث الفقيه

---

[1] – هي: السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والمناولة والكتابة والإجازة والإعلام للطالب بأن هذه الكتب رواية، وصية بكَتْبها له، الوقوف على خط الرّاوي فقط، (انظر: **الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع**، تح. السيد أحمد الصقر، دار التراث والمكتبة العتيقة، القاهرة وتونس، 1970م، ص.68).

[2] – القاضي عياض، **الإلماع** ، ص. 69.

[3] – نفس المصدر، ص.70.

[4] – أبو العرب، **طبقات**، ص.120-121.

[5] – نفس المصدر، ص.37، وهنا وهناك؛ **المحن**، ص.56 وهنا وهناك.

[6] – ابن أبي زيد، الذب **عن مذهب مالك**، ج.2، ص.446.

[7] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.274؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.20؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.110.

[8] – القاضي عياض، المدارك، ج.5، ص.100-101.

إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي بكتاب" **الأمالي**" لأبي علي القالي،[1]وسمع أبو عبد الله بن عيسى بن أبي رمين المري التنسي ببجانة[2] من علي بن الحسن المري وابن فحلون، وبقرطبة من محمد بن عبد الملك والرعيني وابن دليم وغيرهم.[3] وروى أبو الفضل أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن التاهرتي بقرطبة عن قاسم بن أصبغ، وأبو بكر أحمد بن الفضل الدينوري، وأبي عبد الملك ابن أبي دليم ومحمد بن معاوية القرشي ومحمد بن عيسى بن رفاعة وغيرهم.[4]

وسمع أبو جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني بمدينة تنس من أبي الخصيب، وبقرطبة من قاسم بن أصبغ، ومن محمد بن عبد الملك بن أيمن كتاب"**المدونة**"، وبمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة مسلم بن الفضل، ويعقوب بن مبارك، وابن ألون، وأبي محمد الحسن بن رشيق وابن أبي الموت. وحدث بكتاب "**صحيح**" البخاري بالأندلس لما رجع من رحلته المشرقية، وأخذ عن أبي الطيب المتنبي ديوان شعره رواية.[5] وسمع منه كثيرا من طلاب العلم من هؤلاء ابن الفرضي وذكر ذلك بقوله:"سمعنا منه كثيرا".[6]

ثانيا: وتتمثل الطريقة الثانية في نقل العلم هي القراءة على الشيخ. قال عنها القاضي عياض أنها "سواء كنت أنت القارئ، أو غيرك وأنت تسمع، أو قرأت في كتاب من حفظ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله ولا خلاف أنها رواية صحيحة".[7] وروي عن الإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) أنّه قال:"قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواء، إذا أقرّ لك ذلك"، وقال أيضا:" القراءة عليه بمنزلة السّماع منه"، وكان الإمام أبو حنيفة يقول:" القراءة على العالم وقراءته عليه سواء".[8]

ومن القراءة ما سأل عنه بكر بن حماد شيخه عون بن يوسف الخزاعي عندما فرغ من قراءة كتب ابن وهب عليه بقوله:"كيف كان سماعك من ابن وهب"، وكان القصد من السؤال الإجازة، فقال له:"يا بني، أقال لك أحد فينا شيئا؟...والله ما أحب أن يعذب الله أحدا من أمة

[1] – الحميدي، المصدر السابق، ص.187؛ الضبي، المصدر السابق، ص.47؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.49؛ العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج.1، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.84

[2] – بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس مشهورة في القديم قبل مدينة المرية، (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص.79).

[3] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.231.

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84.

[5] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

[6] – نفسه.

[7] – القاضي عياض، **الإلماع**، ص.70.

[8] – نفس المصدر، ص.71.

محمد (صلى الله عليه وسلم) بسببي بالنار؛ أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر عمله إن كنت أخذتها من ابن وهب إلا [قراءة]: قرأت عليه أنا وقرأ عليّ، ولو كانت إجازة لقلت إنها إجازة"، بمعنى أنّ الإجازة تكون بالفظ على أنه أجازه، ثم وضح له ذلك في رواية لما كان حاضرا عند ابن وهب، أتاه رجل بكتبه في تليّس فقال له:"يا أبا محمد، هذه كتبك "فقال له ابن وهب:"صححت، وقابلت؟" فقال:"نعم" فقال له:" اذهب فحدّث[بها] فقد أجزتُها لك، فإني حضرتُ مالكا[1] وقد فعل[مثل] ذلك"،[2] وقد يُحمل من سؤال بكر بن حماد من أنه يريد من عون أن يجيزه في قراءة الكتب ليستطيع روايتها عنه، أو ليستفسر عن كيفية الإجازة وكيف يتحصل عليها طالب علم.

ثالثا: المناولة، وقد كثر هذا النوع من تحميل الرواية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، ولم يعثر على نص في المصادر حول المناولة في ما بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين.

رابعا: الكتابة وهي:"أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئا من حديثه، أو يبدأ الشيخ بكتاب ذلك مفيدا للطالب بحضرته أو من بلد آخر وليس في الكتاب ولا في المشافهة والسؤال إذن ولا طلب للحديث بها عنه".[3] وقد كان بكر بن حماد يكتب في كل يوم أربع أحاديث ويقول لأبي أحمد قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي:" لا تأتيني إلا وقد حفظتها".[4] وسمع الفقيه أبو عمر أحمد بن الحسين بن محمد الطبني بقرطبة من قاسم بن أصبغ وابن أبي دليم ومن نظرائهما، وبالمشرق سماعا يسيرا، وقد حدّث وكتب عنه ابن الفرضي أحاديث.[5] وحدّث ابن الأشج برواياته بالأندلس سمعها وكتبها عنه الكثير منهم ابن الفرضي فقال:"سمعنا منه كثيرا وكتب عنه غير واحد".[6] وكتب أبو العرب عن أبي حمدون بن عبد الله المشهور بابن الطبنة عن عبد المؤمن الجزري.[7]

وخامسا: الإجازات[8] هي جمع لكلمة إجازة، يقال جَوّز له ما صنع تجويزا، وأجاز له، أي سوّغ له ذلك،[1] وهي مأخوذة من جواز الماء الذي تُسقاهُ الماشية والحرث ويقال:"استجزته

---

[1] – ذكر القاضي عياض الرواية عن عون بن يوسف عن ابن وهب قال:"كنت عند مالِكِ بن أنس فجاءه رجل يحمل الموطأ في كسائه فقال له يا أبا عبد الله هذا موطؤك قد كتبته وقابلته فأجزه لي قال قد فعلت قال فكيف أقول حدثنا مالك أو أخبرنا مالك قال قل أيهما شئت، (انظر: نفس المصدر، ص.90).

[2] – أبو العرب، **طبقات**، ص.105؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.105.

[3] – القاضي عياض، **الإلماع**، ص.83.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.80.

[5] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.63؛ ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.263؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.201.

[6] – نفس المصدر، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.101.

[8] – السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، تح. أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط.2، مزيدة ومنقحة، مكتبة الكوثر، لبنان، 1996م، ج.1، ص.447 – 448.

فأجازني إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك، كذا طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه. فيجوز أن يقال أجزت فلان مسموعاتي وكذلك هناك من جعل الإجازة إذنا". وينبغي على المجيز أن يكتب ويتلفظ بالإجازة، فإن اقتصر على الكتابة مع القصد صحت.[2]

وفي اصطلاح العلماء: هي"إذن في الرّواية لفظا أو خطًا، يفيد الإخبار الإجمالي عرفًا"،[3] فيقال:"أجزت له رواية كذا، كما يقال:" أذنت له وسوّغت له". فالإجازة هي إذنٌ ورخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، وبهذه تكون الإجازة طريقة من طرق نقل الحديث، أو أي مادة علمية، وتحمّله من الشيخ إلى من أباح له نقل ذلك عنه، وقد تكون الإجازة أيضا بطريق المشافهة.[4]

يتحصل الفقيه أو طالب العلم عن طريقها على حق الرّواية عن شيخه، واقتصرت في البداية على العلوم الشرعية، كتلاوة القرآن الكريم أو رواية الحديث النبوي[5]، ومعمرور الوقت أخذت شكلا آخر حيث شملت مختلف العلوم كالأدب والنحو والشعر وغيره. وبإحراز الفقيه الإجازة يكون قد نال الإذن في رواية ما أجيز له من جهة، والمساهمة في نقل شتى العلوم ونشرها بين الناس من جهة أخرى.

ومن خــلال عمليــة البحث عن التــراث المخطوط فــي المكتبــات الوطنيــة والدوليــة، وما خلفــه علمــاء المغرب الأوسط، توجــد مخطوطــات عليهــا إجــازات تدل على أنّ الـكتاب قد أجازه الشيخ لتلامذته بالمناولة وقد أجازها الإمام مالك.[6] أو بالسّماع [7] أو بالمشافهة [8] أو بالمكاتبة[1] أو بالقراءة [2]، فقد تكون الإجازة من شيخ واحد أو أكثر ويصل

---

[1] – السبكي (محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف)، **المختار من صحاح اللغة**، مادة "جوز"، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، مصر، د.ت، ص.87.

[2] – السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.466.

[3] – أركانها أربعة: المجيز، المجاز له، المجاز به، ولفظ الإجازة، (انظر: السيوطي، **تدريب الراوي**،ج.1، ص.467؛ الخيرأبادي محمد أبو ليث، **معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين**، دار النفائس، الأردن، 2009م، ص.14).

[4] – عبد الواحد دنون، "الإجازات العلمية الموقعة على مخطوطات التراث العربي"، بحث مقدم إلى **مؤتمر المخطوطات الموقعة من تنظيم مكتبة الإسكندرية**، 26-28 أفريل 1426هـ-2005م، مصر، ص.2.

[5] – صلاح الدين منجد، "إجازات السماع في المخطوطات القديمة"، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، الكويت، 1955م، ص.233- 234.

[6] – وصورتها: أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه ويقول له:" هذه روايتي عن فلان فارْوِيهِ عني" ثم يبقيه معه إمّا تمليكا أو إعارة لينسخه، ويؤديها التلميذ بلفظ "ناولني" أو "ناولني وأجازلي" أو "حدثنا مناولة" أو"أخبرنا مناولة وإجازة"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.27؛ السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.467؛ الخيرآبادي، المرجع السابق، ص.153).

[7] – أورد القاضي عياض أنّ المهدي سأل مالك أن يسمع منه كتبه فقال:"هذا شيء يطول عليك، ولكن أكتبها لك وأصححها وأبعث بها إليك"، يعني أنه يطول في القراءة على القاضي عياض، (انظر: المدارك، نفس المصدر)؛ وصفته ما ذكره ابن عات في "**ريحانة النفس**" عن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد أنّه كان يقول:"الإجازة عندي وعند أبي وجدي كالسّماع"، ولا خلاف في أن يقول السامع:"حدثنا" و"أخبرنا" و"سمعت"و"قال لنا" و"ذكر لنا فلان"، (انظر: السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.450 وما بعدها من عدة صفحات؛ صلاح الدين منجد، المرجع السابق، ص.234 وما بعدها).

[8] – تكون الإجازة مشافهة أيضا بحضور المجاز أو عدمه، (انظر: أبو عبد الله العبدري، ت.700هـ-1301م)، **الرحلة**، قدم لها وحققها علي إبراهيم كردي، وقدم لها أيضا شاكر فخام، ط.2، دار سعد الدين للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 2005م، هـ.4، ص.86)؛ واستعمل المتأخرون الإجازة بلفظ "شافهني"، (انظر: السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.478).

أحيانا عددهم إلى خمسين شيخا[3]، ممّن تتوفر فيهم صفات تؤهلهم لمنحها، وهي: أن يكون عالما، ثقة،...، ولا تحدد الإجازة بعدد معين، فقد تكون واحدة أو أكثر، ويفصل بينها بخط أو توضع داخل إطار[4] أو ترِد في بداية نص الكتاب، وقد تكون إجازتين أو أكثر دون الفصل بينهما، يكتبها المصنفون في الورقة الأولى للمخطوط أو في آخره،[5] أو في الحواشي عند عدم اتساع كتابتها في أوّل الكتاب أو في آخره، وتسمى هذه الإجازات "إجازات السّماع" وكثيرا ما تسمى "السّماعات". [6]

وممّا لا شك فيه أنّ بعض المهتمين بتحقيق التراث المخطوط، لا يدركون قيمة هذه الإجازات العلمية، إذ لا يشيرون إليها أحيانا أو لا يلحقونها بالكتاب، وإن فعلوا ذلك فيذكرون جزءًا منها فقط، وقد يشيرون إليها دون ثبتها، وأحيانا تذكر ضمن ترجمة صاحبها في كتب خاصة، وقد تكون مقتضبة.

يمنح الشيخ هذه الإجازات بعد انتهائه من سماع كل الكتاب أو بعضه من تلامذته، وقد يكون هذا المصنَّف من تأليفه، أو من تأليف أحد شيوخه، الذين ذاعت مصنفاتهم بين الفقهاء في بلاد المغرب أو المشرق لقيمتها العلمية، مثل كتاب "**الموطأ**" للإمام مالك بن أنس، أو"**المدونة**" للإمام سحنون بن سعيد، أو "**النوادر والزيادات**" لابن أبي زيد القيرواني،[7] أو كتب "**الصّحاح**" للبخاري ومسلم... وغيرها.، ويكون هذا السّماع بمثابة شهادة من الشيخ تسمح وتجيز للتلميذ أو الفقيه رواية هذه الكتب عنه.

ففي القرون الهجرية الأربعة الأولى لم تكن الإجازة تدوّن على المخطوط، إذ أنّ الفقهاء كانوا يعتمدون في ذلك على الرّواية الشفوية حسب صلاح الدين منجد،[8] وأنّه لم ير فيما اطلع عليه من: "مخطوطات إجازة سماع من القرن الثالث أو الرابع"، وصيغتها كأن

---

[1] – صفتها أن يكتب الشيخ شيئا من الحديث أو مادة علمية أخرى أو يكتبه عنه غيره من الحضور أو لمن غاب، فإن أذن له في روايته عنه فهو كالمناولة المقرونة بالإجازة، (انظر: ابن كثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، ت.774هـ-1372م)، **الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث**، شرح أحمد محمد شاكر وتع. ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ج.2، ص.353-354).

[2] – هذا ما ذهب إليه الإمام مالك بن أنس واتبعه عدد من المحدثين: أنّ الإقراء عليه يعطيه حكم الإجازة وهو نوع من الإجازات، ذلك أن القارئ يعرض قراءته على شيخه، كما يعرض القرآن على المقرئ، (انظر: ابن سعد، **طبقات**، ج.7، ص. 172- 173؛ القاضي عياض، **الإلماع**، ص.71-72؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج.1، ص.379؛ السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.423؛ عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص.5-6).

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج. 3، ص.97.

[4] – انظر: نموذج عن كتابة الإجازة في بداية المخطوط ونهايته ضمن الملحق رقم (4).

[5] – الإشبيلي (أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، ت.582هـ-1186م)، **الأحكام الكبرى**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم لا له لي LALELI 395، لوحة رقم 1؛ عبد الحق الإشبيلي البجائي، **كتاب مختصر الأحكام الشرعية**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 399، لوحة، 2؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (5)، والملحق رقم(6).

[6] – السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.422؛ صلاح منجد، المرجع السابق، ص.232.

[7] - كتب ابن أبي زيد القيرواني إجازة لمحمد بن مجاهد الطائي البصري المالكي المتكلم الأشعري لكتابيه"**المختصر**" و"**النوادر والزيادات**" ، وانظر أيضا: الملحق رقم (7) و(8).

[8] – المرجع السابق، ص.232.

يقول:" فلان قرأ على فلان أو تفقه به أو أخذ عنه دون إثبات ذلك على المخطوط".[1] يبدو أنه لم تكن له دراية كاملة بما كتب على ظهر المخطوطات وهذا يستحيل معرفته، وقد ثبت أن كتاب"**الأم**" للإمام الشافعي يحتوي على إجازة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي نصها"أجاز الربيع بن سلمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة...في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه".[2]

وظهر في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في نهاية مخطوط "الذب عن مذهب مالك" رسالة هي جواب ابن أبي زيد القيرواني على رسالة ابن مجاهد المالكي(ت.370هـ-980م) مجيزا إياه "**مختصره على المدونة**" وبعضا من كتاب"**النوادر والزيادات**".[3] وذكر القاضي عياض في نصها. وفي نص آخر أنّه"استجازه ابن مجاهد البغدادي وغيره من أصحابه البغدايين"،[4] ورسالة ابن أبي زيد هي رد عليها، وهذا دليل آخر على أنّ كتابة الإجازات على المخطوط يعود إلى القرون الأولى.

وتحصل الكثير من طلاب العلم على الإجازة منحها لهم أبو جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني بالأندلس على روايته التي سمعوها منه. وقد أورد ابن الفرضي نصا وهو أحد هؤلاء الذين سمعوا منه وكتبوا عنه الكثير كقوله:"كان حليما طاهرا وأجاز لنا جميع ما رواه".[5]

سادسا: الإعلام للطالب بأن هذه الكتب رواية، وهو ما وضحه مسدد لبكر بن حماد لما سأله عن طريق رواية الحديث.[6]

سابعا: الوقوف على خط الرّاوي فقط. وقد عرّف هذه الطريقة القاضي عياض بقوله:"الوقوف على كتاب بخط محدّث مشهور يعرف خطه يصحّحه وإن لم يلقه ولا سمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا وكذلك كتب أبيه وجدّه بخط أيديهم"، وصيغتها تكون بقولهم:"وجدت بخط فلان، وقرأت في كتاب فلان بخطه".[7]

---

[1] - ألحق عبد السلام هارون في كتابه "**تحقيق النّصوص ونشرها**" صورة سمّاع أبي القاسم أحمد بن الحسن على أحمد بن فارس صاحب مقاييس اللغة، تاريخه 372هـ-983م، وأوضح أنّ هذا السّماع مسجل على نسخة مكتبة المنصورة من كتاب إصلاح المنطق لابن سكيت (ط.7، مكتبة الخانجي، 1998م، ص.131)، وقد علّق صلاح الدين منجد قائلا أنّ المؤلف ذكر خطأ أنها سماع، (انظر: نفس المرجع، ص. 232-233).

[2] - كتب الربيع بن سلمان "**الرسالة**" في حياة الشافعي، ويبدو أنه لم يجزها من قبل.(انظر: الشافعي(محمد بن إدريس المطلبي، ت.204هـ-819م)، تح. وشرح أحمد محمد شاكر، ص.601).

[3] - محمد العلمي، **رسائل ونصوص**، ص.131؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (7).

[4] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص. 197-198،216.

[5] - ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

[6] - القاضي عياض، **الإلماع**، ص.90.

[7] - نفس المصدر، ص.116-117.

ومن المحتمل أن ما وُجد في آخر الجزء الأول من كتاب "**الذب عن مذهب مالك**" من أنّ محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي كتب من كتاب الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، في شعبان من سنة 371هـ-981م [و] إبراهيم بن بكر البرقي وبلغ بالسّماع جعفر بن إبراهيم البوني هي إحدى طرق "الوقوف على خط الراوي".[1]

لقد نقلت بعض المصادر نصوصًا عن خطوط بعض الفقهاء من أمثلتها ما قرأه ابن الأبار حول قراءة الفقيه قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي على بكر بن حماد "بخط أبي عمر ابن عبد البر".[2] وحَدّثَ أبو زيد عبد الرّحمن بن بكر بن حمّاد التاهرتي عن أبيه و"كتب عنه غير واحِد".[3] و"كتب عن أبي جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني أيضا "غير واحد" من طلاب العلم ذكر ذلك ابن الفرضي وهو من بينهم.[4]

ولأبي الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي روايات عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري المطوعي (حي سنة 346هـ-957م) وهو أخر من حدث عنه، وأَخبر بها من سمع منه من فقهاء المغرب والأندلس، منهم المؤرخ ابن الفرضي وابن عبد البر،[5] وسمع عنه من إفريقية الفقيه أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى.[6]

وسند ابن عبد البر في رواية الحديث متصل بأبي الفضل التاهرتي، وقد ذكر بعضها في كتابيه"**الاستيعاب**" منها: قول النبي (صلى الله عليه وسلم):"لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"،[7] وقوله عليه الصلاة والسلام:"إنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي فِي أُمَّتِي كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إلا بِالْمِلْحِ"، وفي سنده المحدث محمد بن إسماعيل الترمذي(ت.276هـ-889م).[8] وكتاب"**الإنتقاء**" بسند الترمذي أيضا، حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) "يضرب الناس أكباد الإبِلِ فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"،[9] وقول عبد الله بن وهب عن الإمام مالك "لو لا أني أدركت مالكا والليث بن سعد لضللت".[10]

---

1 - ابن أبي زيد، **الذب عن مذهب مالك**، ج.1، ص.439.

2 - ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.80.

3 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.268.

4 - نفس المصدر، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

5 - الحميدي، المصدر السابق، ص.125؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.196.

6 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.611؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.124.

7 - ابن عبد البر(أبو عمر يوسف النمري الأندلسي، ت.463هـ-1071م)، **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، دار الفكر، لبنان، 2006م، ج.1، ص.9.

8 - نفس المصدر، ج.1، ص.16.

9 - ابن عبد البر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء مالك بن أنس الأصبحي المدني**، محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وعيون أخبارهم الشاهدة وإمامتهم وفضلهم في آدابهم وعلمهم، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدّة ، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1997م، ص.53.

10 - نفس المصدر، ص.61.

قرأ ابن عبد البر على شيخه كتاب "**الطبقات**" لابن سعد الواقدي وصرح بذلك في قوله:"أن كتاب (**الطبقات**) له فقرأته على أحمد بن قاسم التاهرتي عن مُحَمَّد بن معاوية القرشي، عن إبراهيم بن موسى بن جميل، عن مُحَمَّد بن سعد كاتب الواقدي، عن الواقدي.[1]

ومن أسانيد ابن عبد البر عن شيخه أبي الفضل التاهرتي ما نقله المؤرخون المشارقة في كتبهم منها كتاب "**بغية الطلب**" وسنده متصل بالإمام مالك بن أنس عن عائشة(رضي الله عنها) أنها قالت:"إن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليصلي الصبح فينصرف النساء متلففات بمروطهن ما يعرفن من الغلس".[2]

وأورد الضبي نصًا عن ابن عبد البر بقوله:"أخبرنا أحمد بن قاسم بكتاب"**صريح السنة**" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وبكتاب"**فضائل الجهاد**" له، و"**رسالته إلى أهل طبرستان**" عن أبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري عن الطبري".[3] ومن الكتب التاريخية التي سمعها ابن عبد البر كتاب "**المختصر الأوسط**" لعبد الله بن عبد الحكم عن الحبيب بن إبراهيم عن سعيد بن حسان.[4] وبكتاب"**القناعة**" لأبي بكر بن أبي الدنيا، وبكتاب "**حلم معاوية**"، وبكتاب "**مواعظ الخلفاء**" كل هذه الكتب عن أبي بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرشي المشهور بابن الأحمر[5] عن ابن جميل عن أحمد بن القاسم(ت.300هـ-912م).[6]

والملاحظ أنّ النصوص المصدرية المتعلقة بفقهاء مالكية المغرب الأوسط المتوفرة في كتب التراجم والطبقات عددهم ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/ الثامن والعاشر الميلاديين فاق العشرين فقيها، غالبيتهم رحلوا إلى المدن المغربية والمشرقية والتقوا بكبار شيوخها، منهم من يشهد لهم بشهرة واسعة النطاق في شتى العلوم من علوم القرآن(القراءات-التفسير) والحديث، وعلم اللغة والآداب، إلا أن النصوص الإخبارية شحيحة من حيث طرق تحمل الروايات التي تحصلوا عليها مغربا ومشرقا، مقارنة بنظرائهم بالدول المجاورة، أو بعدد التي تحصل عليها فقهاء القلعة وبجاية فيما بعد، فمن المحتمل أن السبب راجع إلى المذاهب التي كانت منتشرة به آنذاك وأكثرها غير سنية، أو إلى عدم تدوينها على الكتب، أو إلى عدم وصولها إلى من كتب عن أخبار الرجال وطبقاتهم من قراء ومفسرين ومحدثين.

---

[1] – ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج.1، ص.20.

[2] – الإمام مالك، **الموطأ**، ص.34؛ ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت.660هـ-1262م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح. وتق. سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، د.ت، ج.8، ص. 7548.

[3] – الضبي، المصدر السابق، ص.169 وما بعدها؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.125.

[4] – الحميدي، المصدر السابق، ص.175.

[5] – له رحلة إلى العراق وحضر مجالس أبي عبد الرحمن النَّسائي بمصر وغيره من المحدثين سنة 347هـ-958م، واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته بين 356هـ-967م و358هـ- 968م(انظر: نفس المصدر، ص.347-348؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.304؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.8، ص.130).

[6] – نفس المصدر، ص.20-21.

د-المجالس العلمية والمناظرات

1- الحلقات

لغة: الحلقة هي كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب وذلك هو في الناس. وجمعها حِلَقٌ وحِلاَقٌ، وهي جماعة من النّاس مستديرون كحلقة الباب وغيرها.[1]

بدأ ظهور الحلقات العلمية بالمشرق في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكانت له حلقة بالمسجد،[2] وكذلك في عهد الصحابة والتابعين من بعده.[3] وكان الصحابة يختارون أحسن حلقة في المسجد ليجلسوا إليها ويستفيدون منها،[4] وشجع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الصحابة على ذلك، عندما مرّ عليهم وهم بحلقة فقال لهم:" إنّ الله يباهي بكم الملائكة".[5]

وحضر الإمام مالك بن أنس إلى حلقات شيوخه أبي عثمان ربيعة بن فروخ رأي(ت.136هـ-753م) والإمام نافع، وكتب عنهما ما سمعه من حديث وأثار الصحابة ثم اعتزلهم بحلقة خاصة به. وجلس فقهاء المدينة في حلقاته وسنّه سبعة عشرة سنة.[6] وفاق شيوخه أحيانا في عدد الحضور،[7] وقلده تلاميذه من بعده.[8] وكانت بالعراق حلقات للحنفية يذكرون فيها مالك، قال عنها أسد بن الفرات إنهم:"كلهم يوقل مالك"[9]. وانتشرت حلقات العلم فيما بعد في كل الحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا، وغالبا ما كانت تقام بالمساجد، إلا أن بعض الفقهاء اعترض قيامها به، ذلك أنّه اتخذ للصلاة. وقد ورد سؤال عن "التحليق في المسجد الجامع للفتيا ومذاكرة العلم" في كتاب الونشريسي، فكان الجواب أن المساجد اتخذت للصلاة، والخوض فيها في العلم وضروبه جائز من فعل الأئمة. وقد ورد عن الإمام مالك أنه يتحلق في مسجد النبي(صلى الله عليه وسلم) يوم

---

[1] – ابن قرقول(أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، ت.569هـ-1174م)، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح المبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها** وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، تح. دار الفلاح، قطر، 2012م، ج.2، ص.292؛ ابن منظور، المصدر السابق، مادة" حلق"، ج.11، ص.967.

[2] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.29، ص.29،31.

[3] – ابن خيثمة(أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، ت.279هـ-892م)، **التاريخ الكبير(تاريخ ابن خيثمة)**، تح. صلاح بن فتحي هلل، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م، ج.1، ص.267، ج.2، ص.48؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج.9، ص.398؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.2، ص.213.

[4] – نفسه.

[5] – الترمذي، المصدر السابق، ج.5، ص.390.

[6] – مشهور بربيعة الرأي، اختلف في تاريخ وفاته، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.19).

[7] – ابن خيثمة، المصدر السابق، ج.1، ص.351، ج.2، ص.341، 343-344؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.140 وما بعدها.

[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.264.

[9] – نفسه.

الجمعة حتى يخرج الإمام فإذا خرج قطع الفتيا واستقبل الإمام.[1] ولم تقتصر هذه الحلقات على أصحاب المذهب المالكي فقط.[2]

وممّا لا ريب فيه أن سكان بلاد المغرب قلّدوا الإمام مالك في ملبسه ومشربه وقلّدوه في مجالسه العلمية التي لها وقع خاص على أنفسهم بما تميزت به من انضباط، لكنه لم يُعثر على نصوص تشير إلى ترأس فقهاء مالكية المغرب الأوسط للحلقات التي كانت بالغرب الإسلامي في القرون الهجرية الأربعة الأولى، أو حضورهم للسّماع أو الإقراء أو التفقه.

وكان موضوع الحلقات يتعلق بالأمور الفقهية منها الفتاوى، فكان رئيسها يجيب عن الأسئلة التي يسأل عنها، ويدوّن إجابتها من يحضرها من فقهاء،[3] أو للمناظرات الفقهية، أو للقرآن للإقراء والإسماع، بل حتى في اللغة العربية والشعر. [4] ولم تنقطع حلقات المالكية بجامع القيروان في عهد الدولة الفاطمية وفي أيام أبي يزيد مخلد بن كيداد أيضا فقد "أظهروا السنة وحلقوا بالجامع". وكانت لأبي الأزهر عبد الوارث بن الحسن الأسدي (ت.372هـ-982م) وأخيه وابن أبي زيد القيرواني وغيرهم حلق به، واستمرت بعد وفاتهم. وقد تجتمع عدة حلقات في المسجد الواحد حول مواضيع مختلفة. [5]

2-المجالس العلمية

والجلوس: هو القعود ونقول جلس يجلس جلوسا فهو جالس، والمجلس: هو موضع الجلوس، وهو أيضا: جماعة الجلوس، ويقال يجالس في المجالس، وجلس الشيء أي أقام.[6]

ولا يمكن معرفة مجالس فقهاء مالكية المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة إلاّ إذا تم التعرّف على جذورها المشرقية. ولأهميتها في العلم والتّعلم، كان النبي(صلى الله عليه وسلم) حريصا عليها، فروي عنه أحاديث عديدة أبرز فيها عدة أحكام وبيّن فيها أدب المجالسة وحق الجليس، وقد جمع بعضها أبو عمر بن عبد البر في كتابه "**بهجة المجالس**"، منها ما كان

---

[1]- الونشريسي(أحمد بن يحي، ت.914هـ-1509م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1981م، ج.9، ص.27.

[2] - من حنفية وشافعية وحنابلة وغيرهم من أصحاب المذاهب، (انظر: ابن عبد البر، **الانتقاء**، ص.209، القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.264، ج.4، ص.154؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج.9، ص.4181).

[3] - ابن عبد البر، **الانتقاء**، ص.209؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.19؛ القزويني (الحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن خليل الخليلي، ت.446هـ-1054م)، **كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث**(من تجزئة السلفي)، درا. وتح. وتخ. محمد سعيد بن عمر ادريس، مكتبة الرشد، الرياض، 1989م، ج.2، ص.484.

[4] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.190؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.1، ص.328، ج.7، ص.216، ج.29، ص.119.

[5] - نفس المصدر، ج.5، ص.307، ج.6، ص.265-266.

[6] - ابن منظور، المصدر السابق، مادة "جلس"، ج.8، ص.657.

الفقيه بكر بن حماد التاهرتي في سندها. وتحصل على هذا الإسناد في مجلس شيخه مسدد أثناء رحلته إلى المشرق.[1] ويبدو أنّ الحلقات والمجالس في المغرب والأندلس هي امتداد لتلك التي كانت في المشرق.

واتخذت البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى المغرب مجالسا لها في المساجد لتفقيه أهل المنطقة في الدين ومعرفة حلاله من حرامه، وتعلم اللغة العربية. واتخذها الدّعاة لنشر مذاهبهم، مثل ما فعل ذلك أبو عبد الله عكرمة مولى بن عباس الذي كان يتحلق في مؤخر جامع القيروان غربي الصومعة، وهو من التابعين والمفسرين، وله روايات عديدة عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقد روى عنه الإمام مالك في "**الموطأ**"[2].

خصص الإمام مالك المسجد النبوي بالمدينة المنورة وبيته للمجالس العلمية فاستقبل طلبة العلم مقلدا في ذلك شيوخه.[3] ومن فضائله العلمية أنه لا يجمع من يأتيه من الأمصار في مجلس واحد،. فكان يخصص لكل مصر مجلسا خاصا لاختلاف بيئة الوافدين. وإذا ما سأله الغرباء عن مسألة يجلسه إليه ويخرج الحضور منه. وعند انتهائه من إجابة السائل، يعود أصحابه إلى مجلسهم. ولا يجيب إلا ما كان يراه نافعا فيستفيد ويمتنع بالرّد عن ما سواه، ولا يحبذ أن يستحوذ بعض الطلبة على المجلس بكثرة الأسئلة فيستفيد السائل دون غيره من علم مالك.[4]

قال أسد بن الفرات في الرحلة لطلب العلم:"ضربنا في طلب العلم خلف آباط الإبل، واغتربنا في البلدان ولقينا العلماء، وغيرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه، ويريدون أن يلحقوا بنا".[5] وفسّر بعض العلماء حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لا تنقطع الدنيا حتى يكون عالمٌ بالمدينة تضرب إليه أكباد الإبل، ليس على ظهر الدنيا أعلم منه"، على أن المقصود منه مالك بن أنس صاحب المذهب، وقد اجتمعت فيه عدة صفات تؤكد ما ذهب إليه العلماء منها: أنه الوحيد الذي لم يخرج من المدينة إلى غيرها من المدن، وأخذ عنه الكثير من "أهل المشرق والمغرب"، واعْتُبر هذا الحديث من معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم). ووضع القاضي

---

[1] – ابن عبد البر، **بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تح. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1981م، ج.1، ص.39 وما بعدها.

[2] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.145-146.

[3] – ابن خيثمة، المصدر السابق، ج.1، ص.275.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.29-30.

[5] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.267.

عياض حججا تدل أن المراد من الحديث مالك بن أنس،[1] ولا يستغرب إلى ما ذهب إليه العلماء، إذ لا يوجد عالم فاق الإمام مالك في عدد الرجال الذين رحلوا إليه أو رووا عنه. ومن بين فقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا إليه وحضروا مجالسه أبو القاسم الزواوي،[2] وعبد الرحمن بن موسى الهواري[3].

وممّا لا شك فيه، أنّ الرّحلات العلمية التي قام بها الفقهاء المغاربة نحو المشرق لحضور المجالس العلمية للإمام مالك، إمام دار الهجرة مباشرة، أو تلاميذه للتّفقه والتّعلم،[4] بلغوا بها درجة عالية في رواية كتاب"**الموطأ**"، بداية من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وهم من الطبقة الثانية من أمثال علي بن زياد التونسي العبسي، الذي يعتبره محمد الشاذلي النيفر "مؤسس المدرسة التونسية بأجلى مظاهرها التي لا تزال إلى اليـوم ممتدة الفروع، ثابتة الأصول"[5]. والبهلول بن راشد وعبد الله بن غانـم، وأسد بن الفرات، والإمام سحنون الذي انتهت إليه الرئاسة في العلم بالقيروان. ومن الأندلسيين زياد بن عبد الرحمن، وغازي ابن قيس ويحي بن يحي الليثي، وعبد الملك بن حبيب وغيرهم. وقد ساهمت هذه الرحلات العلمية إلى الحرمين، بشكل مباشر، في توسع وانتشار علم مالك في أنحاء المعمورة، والإمام مالك على قيد الحياة. [6]

وبعد وفاته استمرت رحلات المغاربة إلى المشرق خاصة إلى مكة والمدينة، ومصر، والشام وغيرها، للأخذ عن تلاميذه، وبمرور الوقت أصبحت القيروان مركز استقطاب للفقهاء خاصة بعد ظهور الإمام سحنون، الذي يرجع إليه الفضل في نشر المذهب المالكي ببلاد المغرب.

وأخذت القيروان المركز الرابع بين المدن المشرقية حسب ما أشار إليه الدباغ عن الفقيه أبي مهدي عيسى بن مرزوق الصميلي عند مراسلته لأصحابه بقوله:"ما زلت أبحث في

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.70 وما بعدها؛ بدر الدين الكتاني، "دراسة في كتاب الموطأ للإمام مالك (رضي الله عنه)"، **حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ع.2، 1985م، ص.24.

[2] – أبو العرب، **طبقات**، ص.154؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.248.

[3] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.257-258؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.187.

[4] – في بداية الفترة الفاطمية ببلاد المغرب، أصبح المشرق مقصدا للطلاب والعلماء للحج والدراسة والاستقرار، ما نتج عن تسمية الأماكن التي يتردد إليها المغاربة باسمهم في كل من دمشق والقاهرة والقدس ومكة المكرمة والإسكندرية، (انظر: علاوة عمارة، مكانة الفكر العقدي، ص.105؛ Louis (P.), ‹‹Maghrébins à Damas au VII/XIIIe siècle››, dans **le Bulletin D'études orientales** T. XXVII, Damas, 1974, pp.167- 199.

[5] – مالك بن أنس، **قطعة من موطأ عليا بن زياد التونسي العبسي**، تح. محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، 1978م، ص.26؛ محمد أبو الأجفان، "المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان"، بحوث **الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي**، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2004م، ص.228.

[6] – الطبقة الثالثة والرابعة من فقهاء القيروان، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.200 وما بعدها).

الأثار والأخبار فوجدت أنّ القيروان رابعة الثلاثة: المدينة ومكة وبيت المقدس،[1] وانفردت عن غيرها من مدن المغرب الإسلامي في نشأة الحياة الفكرية وازدهارها، كونها أوّل منطقة ببلاد المغرب دخلها الصّحابة والتّابعين من بعدهم (رضوان الله عليهم) فاستقر بعضهم بها، فظهر فقهاء يروُون بعض الأحاديث عن القيروانيين في مكة، بل توجد سماعات لعبد الرحمن بن زياد بن أنعم في مكة، رواها سفيان الثوري وعبد الله بن لهيعة وعبد الله بن وهب وأبو عبد الرحمن المقري وغيرهم لم ترو عن غيره.

وحضر بكر بن حماد التاهرتي[2] إلى القيروان، مجالس الإمام سحنون وسمع منه ومن عون بن يوسف.[3] ورحل أيضا إلى البصرة سنة 217هـ-832م،[4] وحضر مجالس مسدد الأسدي[5] وأخذ عنه "**مسنده**"، وتفقه عن عمر بن مرزوق وابن الأعرابي والرياشي وأبو حاتم السجستاني وغيرهم. ورحل بعده الفقيه أبو حاتم يحي بن خالد السهمي إلى مصر في القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي وتفقه عن عثمان بن صالح[6] بينما اقتصر آخرون على مدن الغرب الإسلامي[7] وساهموا مع غيرهم في نشر مذهب الإمام مالك في المغرب الأوسط. وازدادت الرّحلات نحو المشرق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[8] الذي انتشرت به في هذه الفترة مجالس في مذاهب متعددة بل كان مجلس واحد يجمع الفرق كلها، من أهل السنة والبدعة، ومن مجوس ونصارى ويهود وغيرهم من الديانات ولكل واحد منهم رئيسا يتكلم حسب مذهبه، لكن يرفضون مناظرة السنيين لأنهم يعتمدون على الكتاب والسنة، فقاطع بعض الفقهاء مثل هذه المجالس.[9]

وعرفت المناظرات الفقهية في المجالس انتشارا كبيرا في بلاد المغرب، وحرص القاضي أبو العباس عبد الله بن طالب عليها في مجالسه، فهو يجمع بين مختلفين في مسألة فقهية للتناظر، ويغري بينهم لتظهر الفائدة ويستفيد الحضور، ولو بيّتهم عنده وسامرهم.[10] وكان

---

[1] - تجاوزت حجات الفقيه أبو مهدي عيسى بن مرزوق الصميلي إحدى عشرة حجة، (انظر: الدباغ، المصدر السابق ج.1، ص.7، وج.4، ص.156).
[2] - المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.21؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.281.
[3] - نفس المصدر، ج.2، ص.22 وما بعدها.
[4] - الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.281.
[5] - السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص.184-185؛ الضبي، **بغية الملتمس**، منشورات دار الهيئة ، ص.448.
[6] - أبو العرب، **طبقات**، ص.120-121.
[7] - نفس المصدر، ص.115-116، 161؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.281.
[8] - نفسه.
[9] - الحميدي، المصدر السابق، ص.96-97.
[10] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.308-309، 313؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.422.

ابن الحارث الخشني في مجلس الفقيه أبي جعفر أحمد بن نصر (ت.314هـ-926م) "شعلة يتوقد في المناظرة".[1]

وترأس بعض فقهاء المغرب الأوسط مجالس علمية بالمغرب والأندلس والمشرق أيضا، منها مناظرات فقهية جرت بين حماس وحمدون بن طبنة قاض الزاب بالقيروان، في مسألة "الصلح من عيب بعبد على عرض إلى أجل والعبد غير فائت".[2] وناظر أبو مروان عبد الملك بن ساخنج وأبو زكريا بن بكر الغساني المشهور بابن الأشج نظرائهم بالمشرق، في مجالس الفقه والحديث. وحدّث ابن الأشج بأحدها برواية "**كتاب البخاري**".[3] ولأبي عمر أحمد ابن الحسين الطبني مجلس حدّث فيه وكتب عنه الحاضرون ما كان به منهم ابن الفرضي.[4]

وكان الفقيه قاسم بن عبد الرحمن أحد تلاميذ بكر بن حماد ممّن كان يحضر مجالسه الحديثية ويكلفه في كل مجلس أن يحفظ عددا معينا من الأحاديث، وفي المجلس الذي يليه يأتيه وهو حافظ لها.[5] واتخذ قاسم بن عبد الرحمن من مسجد سريح مجلسا لإسماع الحديث به رغم أنه كان يسكن بالقرب من مسجد مسرور.[6] ومجلس الإفتاء كان للفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي في جامع الزهراء بالأندلس يفتي فيه.[7] ولقاضي الزاب أبي العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي من أصحاب محمد بن سحون مجلسا للإفتاء زكاه قاضي القضاة ابن طالب للجلوس والإفتاء به.[8]

ولما قامت الدولة الشيعة ببلاد المغرب، تراجعت مكانة القيروان ونقصت مجالسها بسبب الاضطهاد الذي مارسه أتباعها ضد المالكية، ورغم أنّ بعض الفقهاء صمدوا إلا أن عددا منهم اضطر للخروج من المدينة وانتقلوا إلى المغرب الأوسط والأقصى وغادرها بعضهم إلى الأندلس.

ولمّا استولى الفاطميون على بلاد المغرب، استعملت الشيعة كل الوسائل، من أجل مقاومة أصحاب المذهب المالكي والقضاء عليهم، لكن محاولتها في كل مرة تنتهي بالفشل

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.183؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.268.
[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.101-102.
[3] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152، 274؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.110.
[4] – نفس المصدر، ص.63؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.201.
[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.80.
[6] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.84.
[7] – الضبي، المصدر السابق، ص.187؛ العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج.1، ص.125؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.84.
[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.101-102.

الذريع، إذ لا يتأتى لها ذلك إلّا إذا استأصلت فقهاء المالكية، فاتخذت من القتل، والحبس، والتنكيل، والضرب الوسيلة الناجعة حسب سياستهم.[1] لكن بعضهم وجد في الهروب الملاذ الآمن،[2] أما البعض الآخر فاختار التأليف، والرّد على معتقداتهم الدينية، والفقهية كأنجع السّبل، منهم أبو إسحاق القلانسي(ت.359هـ-970م) صاحب كتاب"**الإمامة والرد على الرافضة**" وابن أبي زيد القيرواني صاحب كتاب "**الرسالة**" وكتاب"**الإمامة**"[3] وأبو الحسن القابسي، والسيوري(ت.460هـ-1068م) والداودي(ت.402هـ-1012م) وغيرهم.

والملاحظ أن هناك تشابه في الحلقات والمجالس العلمية فهي مخصصة لتلقين العلم، عن طريق المناظرات والفتاوى والفقه والأصلين والقراءات والتفسير والحديث وغيرها من العلوم. والفرق بينهما أن عدد المجالس لا يزيد عن واحد ويكون في علم واحد كالفقه مثلا أو الحديث، ويكون في المساجد أو الحانوت أو في بلاط الأمير بحضرته وبترؤسه. بينما تتعدد الحلقات لكنها لا تتجاوز عشرين حلقة في المسجد الواحد.[4] وما ذُكر عن الإمام الشافعي لما دخل بغداد كان في الجامع نيف وأربعون حلقة أو خمسون.[5] ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه، وإن صح ذلك فكم تكون مساحة المساجد لاستيعاب عدد تلك الحلقات؟. كما أن الحلقات لا تقتصر على علم أو مذهب دون آخر. وقد لا يزيد عددها على واحدة إذا كانت في بيت أحدهم أو في حانوت أو غيرهما من الأماكن.

3 - المناظرات

لغة: من النّظر ومعناه تأمل الشيء ومعاينته.[6] وعرّفها الجرجاني لغة:"من النظير أو نظر بالبصيرة"[7]. أمّا ابن منظور فقال : التّناظر هو التَّرَاوُض في الأمر، ونظيرك: الذي يُرَاوِضك وتناظره، وناظره من المناظرة.[8]

---

1 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.300 وبعدها، ج.6، ص.34.

2 - شهدت الأندلس ازدهارا في التعليم في عهد الناصر، ووصل ذروته في عهد الحكم المستنصر لحرص هذا الخليفة وتشجيعه للعلماء، أكرمهم واستقبلهم في بلده من جميع الأقطار، مشرقا ومغربا، فشجع الكتابة ونسخ الكتب كما أمر بشراء الكتب ونسخها من المشرق، (انظر: بوباية عبد القادر، "وهران مدينة من الجزائر"، **إنسانيات مجلة جزائرية في الأنثربولوجية والعلوم الاجتماعية**، ع. 23-24، س.8، وهران، الجزائر، 2004م، ص.73؛ منيرة بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص.51).

3 - كتب في العراق بماء الذهب وأهدي للخليفة العباسي، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.287؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.64)؛ وعن معارضة الشيعة للفقهاء ومؤلفاتهم، (انظر: عبد مجيد التركي، المصدر السابق، ص.57 وما بعدها؛ موسى هصام، المرجع السابق، ج.2، ص.519-524؛ سعيدة لوزري، **الفكر المالكي**، ص.207-208).

4 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.291.

5 - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.51، ص.343.

6 -الرازي (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت.395هـ-1005م)، **معجم مقاييس اللغة**، مج.2، ص.567.

7 - الجرجاني (علي بن محمد الشريف، ت.816هـ-1413م)، **كتاب التعريفات مع الفهرست**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص.250.

8 - ابن منظور، المصدر السابق، مادة " نظر"، ج.49، ص.4467.

واصطلاحا: هي النّظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب.[1] وقد وردت في كتب التراجم والفهارس عن أخبار الفقهاء ألفاظ تدل على المناظرة منها:" ناظر ونوظر ونظر ونظرت وناظرت والنظر ونظارا والمناظرة..."وغيرها من الألفاظ.

والمناظرة هي تصحيح الفهم وسلامته، وبيان الغلبة في إظهار الحق، ويراد بها إقناع المناظر أو المحاور. ولفظ "المناظرة" في العصر الوسيط تعبر عن طريقة من طرق التّعليم أو ضرب من ضروب الأخذ عن الشيوخ، أو عن نظرائهم من أصحاب العلم.[2] وتبث أنها كانت تجرى في المساجد، أو قصور الأمراء، وتتعلق بالآيات القرآنية والحديث والفقه[3] والأدب، وفي الرّد على أصحاب المذاهب المبتدعة وفي العقائد المتعلقة بالربوبية وصفات الله وبالنبوة.[4]

وذكر الباحث عبد السلام مختار أن"المناظرة في العلم لا تتأتى إلاّ للراسخين فيه، وغايتها إيضاح المعاني المبهمة وتصحيح المفاهيم التي تحتاج إلى تصحيح لإزالة كل إشكال والتباس عندما تدقق معاني العلم وتتشابك ويقع الوهم أو الإبهام"،[5] كما أنه لابد من توفر بعض الشروط لانعقادها منها: الإحاطة بعلم المناظرة والمعرفة بقواعد المناظرات والإحاطة بآداب المناظرة.

وبدأت المناظرات في عهد الإمام مالك بن أنس، فقد قاد بعضها في بلاط الخليفة هارون الرشيد(170-194هـ/786-809م).، فكان مناظرا في بعضها وناب عنه تلاميذه في البعض الآخر. وممّن ناظرهم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، وجماعة أخرى من الفقهاء منهم عثمان بن عيسى بن كنانة مولى عثمان بن عفان، والمغيرة المخزومي وعبد الرحمن ابن عبد الله العمري وسعيد بن سليمان المساحقي العامري،[6]

وطلب الفقيه أبو يوسف من الخليفة هارون الرشيد أن يناظر مالكا في مسألة الصداق لكن هذا الأخير رفض، فقام ابن ماجشون وطلب من الرشيد أن يناظره هو، فقال له

---

[1] – الجرجاني، المصدر السابق، ص.250.

[2] – عبد السلام مختار شُقور، "المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية"، **بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية**، 2005م، ص.103.

[3] – القاضي عياض، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، تح. محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م، ص.394.

[4] – ذكر أبو العرب أربع مجالس لأبي عثمان سعيد بن الحداد، ناظر فيها أصحاب الشيعة، (انظر: **طبقات**، ص.199-212) و(انظر أيضا: الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.88 وما بعدها؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.298؛ عبد العزيز المجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، نشر وتوزيع دار سحنون ودار ابن حزم، بيروت، 2008م، ص.167).

[5] – عبد السلام مختار شُقور، المرجع السابق، ص.103.

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.113- 114، ج.3، ص.5، 21.

مالك:"إن العلم ليس كالتحريش بين البهائم والديكة"، ولمّا رأى ما آلت إليه المناظرة لم يقوى على الصمت وأدلى بدلوه فأعجب به الخليفة.[1]

وذهب الباحث عبد الله الترغي إلى أنّ أصول المناظرات في بلاد المغرب جاءت من جهتين. أولها: من علماء العراق وفقهائه خاصة، وقد استفاد منهم فقهاء المغاربة في رحلاتهم المشرقية، حيث جالسوا كبار علمائه وفقهائه النظار من المالكية وغيرهم، واستفادوا منهم طريقة الحوار والجدل والمناظرة، وأخذوا عنهم إعمال النظر في معالجة المسائل بالاعتماد على الرأي والحجة في ذلك. ثانيها: استفادتهم من حذاق علماء القيروان من جمع النصوص في المسألة الواحدة والوقوف عند ألفاظها وصيغها بالشرح والتأويل والمقارنة بينهم.[2]

وحفظ أبو العرب في كتابه مناظرة في حديث بين التابعي يزيد بن أبي منصور والوالي محمد بن الأشعث، وكان الخلاف بينهما في شيء ذكر عن النبي(صلى الله عليه وسلم).[3]

وبرز في إفريقية عدد من فقهاء المناظرين، من بينهم عبد الله بن فرّوخ وكان من" أهل النظر والإستدلال". وأشارت كتب الطبقات إلى أنه اختلف في مسائل مع ابن غانم وغيره من فقهاء المغرب، لكن هذه لم تشر إلى مناظراته التي عقدها في بلاد المغرب. واكتفت بذكر إحدى مناظراته في المشرق، وقد رُوى عنه أنّه ناظر زفرا(ت.185هـ-801م) من كبار أصحاب أبي حنيفة مما جعله يسْتَصغر ابن فروخ لكونه مغربيا، لكنه فوجئ بما وجده لديه من حجج عند مناظرته، والتي سمحت له بالتغلب عليه.[4]

لـقد برز عدد من فقهاء مالكية الـمغرب الأوسط فـي المنـاظـرة منـهم مـروان بن أبـي شحمة الذي سمع منه الفقيه أحمد بن مروان الصواف "العالم بالفقـه والمنـاظرة عليـه".[5] ورُمي ابن أبي شحمة بشيء من التشبيه وهو بعيد عنه، وسئل الإمـام سحنون عن ذلك فقـال:"مروان لا يقـول إلا مـا روى".[6] وطلبـه الأميـر محمد بن الأغـلب إلـى قصره ليسأله عن مذهبـه ويستفسر منـه مـا قيل عنـه من التشبيـه، فأجابـه ابن أبـي

[1] – نفس المصدر، ج. 2، ص.119.

[2] – عبد الله المرابط الترغي، "درس تهذيب المدونة في الغرب الإسلامي على عهد المرابطين الأثر والتواصل"، **ضمن أعمال الندوة الدولية" دور المذهب المالكي في تجربة الوحدة المرابطية لدول الغرب الإسلامي الكبير**"، أيام 7-8-9 ربيع الثاني 1431 الموافق 23-24-25 مارس 2010م، مطبعة البلابل، فاس،2011م، ج.2، ص.285.

[3] – لم يذكر أبو العرب موضوع الخلاف، (انظر: **طبقات**، ص.22)؛ عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص.152.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.176 وما بعدها؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.106؛ عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص.152.

[5] – أبو العرب، **طبقات**، ص.116؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.395.

[6] – نفس المصدر، ص.115.

شحمة بأحسن رد وهو قراءته ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)** اللَّهُ الصَّمَدُ...﴾[1] إلى نهاية السورة.[2] والملاحظ أن ابن أبي شحمة كان عارفا بسبب طلبه، ذلك أنه قبل دخوله على الأمير وجد خصي واقف وبيده عود أو طنبور فأخذه وكسّره، فشكاه الخصّي عند الأمير، فعوتب ابن أبي شحمة بما فعل، فأجاب بقوله:"رأيت منكرا فغيرته"،[3] ويظهر من هذا الفعل كأن هذا الأخير يريد إيصال رسالة للأمير.

وفي القرون الهجرية الأولى انتشرت في بلاد المغرب أنواع من المناظرات، منها ما كانت بين المالكية، وتتعلق بالمسائل الفقهية التي وردت في كتابي "**الموطأ**" و"**المدونة**" وكتاب"**التهذيب**" وهو مختصر المدونة للبرادعي.[4] أو بين أصحاب المذاهب السنية(الحنفية، والمالكية، والشافعية)، وأخرى بين هؤلاء وبين غيرهم من غير السنيين.

وكان الفقهاء المالكية يتناظرون في مجالسهم فيلقون بمسائل ثم يتناظرون فيها،[5] وهو ما حدث في مسألة الإيمان بين أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني وعبد الله أبي محمد بن إسحاق المعروف بابن التبان(ت.371هـ-981م).[6] وكان الفقيه محمد بن الحارث بن إسماعيل الخشني شعلة يتوقد في المناظرة في مجلس الفقيه أحمد بن نصر القيرواني.[7]

4-المناظرات بين المذاهب السنية.

اختلفت النصوص الخبرية المتعلقة بالمذاهب السنية ببلاد المغرب حول العلاقة التي كانت بينها، فالمقدسي يتحدث عن التعايش بين المذهبين الحنفي والمالكي في القيروان بقوله:"ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية".[8]وكان أسد بن الفرات إذا سرد أقوال العراقيين في مجالسه يقول له مشايخ المدنيين:"أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله. فيسرد أقوال المدنيين"،[9] لكن تشير بعض الروايات إلى خلاف ذلك، ويرجع السبب إلى القضاة من حنفية

---

[1] – سورة الإخلاص، الآية 1-2.

[2] – أبو العرب، **طبقات**، ص.115؛ ذكر الدباغ كل السورة، (انظر: المصدر السابق، ج.2، ص.106).

[3] – ذكر أبو العرب أنّه كان:" معاديا لأهل الأهواء"، (انظر: نفس المصدر؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.392).

[4] – القاضي عياض، **الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح. ماهر زهير حرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م ص.28؛ عبد الله الترغي، **درس تهذيب المدونة**، ص.285.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.264.

[6] – أشد الفقهاء بغضا لبني عبيد وأكثرهم تشهيرا بهم، من المناظرين لهم، فقد جرت بينه وبين عبد الله المختال مناظرة في فضائل أهل البيت، وقد ألف كتابا في ذلك، وبينه وبين ابن أبي زيد القيرواني في مسألة الإيمان، (انظر: نفس المصدر، ج.6، ص.248-257؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.88-96؛ موسى هصام، المرجع السابق، ج.2، ص.520).

[7] – نفس المصدر، ج.6 ، ص.266.

[8] – **أحسن التقاسيم**، ص.186-187.

[9] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.302؛ سعد غراب، المرجع السابق، ص.44.

ومالكية الذين عينهم أمراء الدولة الأغلبية. والسؤال المطروح: لماذا طلب الأمير محمد بن الأغلب(242-249هـ/856-863م) من سحنون تولي منصب القضاء؟ وألح عليه في ذلك مدة سنة، فحلف له بأشد الأيمان وأعطاه العهد أنه يطلق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمه وحاشيته، وينفّذ عليهم الحق أحبّوا أم كرِهوا.[1] ولماذا قاموا بتولية قضاة من المالكية عوضا من الحنفية؟ ولماذا عيّن قضاة من الحنفية بالموازاة مع قضاة مالكية؟. يبدو أن ما أقدمت عليه الدولة في هذا المجال نتج عن عجزها في التّحكم في زمام أمور رعيتها التي كان معظمها مالكية. وقد وجد الأحناف في الانسياق لها خدمة لمصالحهما معا، ونجم شقاق بين الجانبين نتيجة المناقشات والمناظرات التي كانت تجرى بينهما في المساجد وأحيانا في بلاط الأمراء.[2]

وتحدثت المصادر عن تولي قاضيين في القيروان، فكان سنة حنفيا وسنة مالكيا"،[3] وكان ذلك ثلاث مرات في فترات متقطعة في عهد الأغالبة، الأولى في عهد الأمير زيادة الله الأوّل ابن إبراهيم، الذي أبقى القاضي أبا محرز محمد بن عبد الله الكناني(191-214هـ/807-829م) على مذهب الإمام مالك، وجعل معه سنة 203هـ-818م أسد بن الفرات بن سنان وكان قاضيا حنفيا.[4] والثانية في عهد الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم (226-242هـ/841-856م) الذي عيّن قاض ثاني من المغرب الأوسط اسمه الطبني مع سحنون بن سعيد لكسر شوكته واقتداء بسنة عمه زيادة الله الأول.[5] وفي المرة الأخيرة عيّن الأمير زيادة الله الثالث -أواخر عهد الأغالبة سنة 293هـ-906م- حماس بن مروان المالكي وأبي العباس محمد بن عبد الله بن جيمال الحنفي.[6]

وهكذا يكون الأغالبة قد ابتكروا طريقة جديدة في تعيين القضاة وذلك لإرضاء الرّعية، فتنافس أصحاب المذاهب حول اختيار القاضي الحنفي والمالكي والمعتزلي. ولما تولى

---

[1] - تولى سحنون القضاء سنة 234هـ-849م، (انظر: نفس المصدر، ج.4، ص.56؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.109).

[2] - أبو العرب، **طبقات**، ص.89؛ الدباغ ، المصدر السابق، ج.2، ص.92 وما بعدها.

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص.195؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.155؛ عمر الجيدي، "محاربة المذهب المالكي في المغرب"، **مجلة دعوة الحق**، ع.225، أكتوبر- نوفمبر، وزارة العموم والأوقاف، الرباط، 1982م، ص.70، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1987م، ص.43 وما بعدها.

[4] - المالكي، المصدر السابق، ج1، ص.274؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.304؛ محمد الطالبي، **الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة 184-296هـ/800-909م**، تح. ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، منشورات سوتيميدي، تونس، 2017م، ص.22.

[5] - لم تذكر كتب الطبقات ترجمة له واكتفت بذكر الطبني.

[6] - القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.201؛ الجودي (أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي القيرواني، ت.1373هـ- 1943م)، **تاريخ قضاة القيروان**، تق. وتح. أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، 2004م، ص.96.

سحنون القضاء ساعد على انتشار المذهب المالكي،[1] وقام بتغييرات جذرية في الدولة الأغلبية، منها أنّه عيّن إماما في المسجد الجامع يصلي بالنّاس وكان قد اختص بذلك الأمراء دون غيرهم، كما جعل الودائع عند الأمناء دون القضاة،[2] وكانت في ما سبق في بيوتهم، واهتم بالبوادي فجعل عليها أمناء أرسلهم من القيروان لينظروا فيما يصلح من السلع وما يغش منها، إذ أنّه قبل ذلك كان الصلحاء من أهلهم هم الذين يكلفون بذلك.[3] وقام ببناء بيتا لنفسه في الجامع حتى يسهل عليه الحكم بين الخصمين، وبقي هذا البيت يستعمله القضاة المالكية من بعده، فإذا وُلي قاضي حنفي هدمه وإذا ولي مالكي بعده فأعاد بناءه،[4] فهذه الأشياء وغيرها جعلت الناس يلتفون حول سحنون بن سعيد ويأخذون منه المذهب المالكي.

ونصّت كتب التراجم والطبقات عن بعض المناظرات، منها ما جرت في بلاط الأمير زيادة الله الأغلبي،[5] ويكون فيها الأمير أحيانا شاهدا كالتي جمعت بين الفقيهين أسد بن الفرات وأبي محرز في مسألة "النبيذ المسكر"، فذهب الأوّل إلى تحريمه، بينما ذهب الثاني إلى تحليله.،[6] وأحيانا أخرى يكون الأمير مناظرا، فقد طلب من الفقيه أبي محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي(ت.227هـ-841م) أن يناظره في المسألة ذاتها، فقال له الأمير:"ما تقول" فقال له:"أصلح الله الأمير، كم دية الْعَقْل؟ فَقَال الأمير:"وماذا مِنْ هذا؟ فقال له: بِجَوَابِكَ يَنْتَظِمُ سُؤَالِي، فَقَالَ الأمير: دِيَةُ الْعَقْلِ أَلْفُ دِينَارٍ، فقال لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الأَمِيرَ، فَيَعْمِدُ الرَّجُلُ إلى ما فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَيَبِيعُهُ بِزُجَيْجَةٍ تَسْوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ؟ فَقَال الأمير: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّهُ يَزُولُ وَيَرْجِعُ، فقال له: بَعْدَ مَاذَا أَصْلَحَ اللَّهُ الأَمِيرَ؟ بَعْدَ أَنْ قَاءَ فِي لِحْيَتِهِ، وَكَشَفَ سَوْءَتَهُ إِلَى أَهْلِهِ، وَسَبَّ هَذَا، وَقَتَلَ هَذَا، وَضَرَبَ هذا؟ فقال الأمير: صَدَقْتَ وَاللَّهِ، صَدَقْتَ.[7] وهذا المجال ألف محمد بن سحنون كتاب"**تحريم النبيذ**".[8]

---

[1] – عُيّن أسد بن الفرات شريكا مع محرز في القضاء فكان ابن الفرات أغزر علما وفقها وكان أبو محرز أسداهما رأيا وأكثرهما صوابا، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.476؛ إبراهيم بحاز، **القضاء**، ص.196-197).

[2] – الدباغ ، المصدر السابق، ج.2، ص.87.

[3] – المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.276؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.87؛ بوبة مجاني، **النظم**، ص.247؛ لقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها**، ط.2، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1412هـ-1991م، ص.50.

[4] – الدباغ، المصدر السابق ،ج.2، ص.88.

[5] – أبو العرب، **طبقات**، ص.89؛ الدباغ، المصدر السابق، ص.92 وما بعدها.

[6] – نفس المصدر، ص.88؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.304، 315.

[7] – أبو العرب **طبقات**، ص.88-89؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.315.

[8] – الطالبي، **الصراع اللاهوتي**، ص.23.

وكانت إحدى مناظرات فقهاء مالكية المغرب الأوسط، جرت بين القاضي حمدون بن الطبنة وحماسا في مسألة فقهية "الصلح من عيب بعبد على عرض إلى أجل، والعبد غير فائت"، وهي مسألة من أنواع العقود التي يدخل فيها الربا، وجاء نصها في"**المدونة**" في كتاب الصلح. وكانت في" رجل يشتري العبد فيجد به عيبا فينكر البائع ثم يصطلحان من دعواهما على مال".[1] فذهب حماسا لعدم الجواز، والعلّة في ذلك أن تحول دنانير وجبت له أن يردّ العبد في عرض إلى أجل، وغير معجل. أما حمدون فأجازها، وكان أعطاه عرضا مؤجلا وعبدا معجلا بمائة دينار يعجلها، وهو مذهب الإمام مالك في ذلك، وثبت عند ابن القاسم في هذين القولين معا.[2]

واشتهرت ببلاد المغرب مناظرات في مسألة "خلق القرآن"[3] بين الفقهاء الحنفية والمالكية، ولم يكن الفقيه أسد بن الفرات، الذي مثل الحنفية في بعض المسائل يقول بخلق القرآن، وقد برأه الإمام سحنون ممّا نُسِب إليه بقوله:"والله ما قاله، لو قاله ما قلناه".[4]وكانت أيضا سبب محنة سحنون مع ابن أبي جواد، فقد امتنع عن الصلاة خلفه،[5] فبلغ ذلك الأمير زيادة الله، فأمر عامل القيروان، أن يضرب سحنون خمسمائة سوط، وبحلق رأسه ولحيته.[6] علما أن نهاية ابن أبي جواد كانت على يد سحنون لما تولى القضاء بعده، وكانت دعوته"اللهم لا تمتني، حتى أراه بين يدي قاض عدل يحكم فيه بالحق" وقد تحققتدعوته فامتحنه، فقيل:"أجيبت دعوته".[7] وقد ضيّق سحنون على أهل الأهواء[8] في المساجد بل قام بتفريقهم من المسجد الجامع، لكن لما توفي عادوا للظهور، فرفضوا الصلاة عليه بحجة أنه كفّرهم وكانت غالبيتهم من المعتزلة.[9]

وامتحن أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (ت.226هـ-841م) عند القاضي ابن أبي جواد في مسألة "خلق القرآن" أيضا، فقال أبو جعفر:"سمعت

---

[1] – الإمام مالك، **المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ويليها مقدمات ابن رشد(ت.520هـ-1126م)**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م، ج.3، ص.391؛ القاضي عياض، **تراجم أغلبية**، ص.374 و هـ.6 منها.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.101.

[3] – أول من قال ب"خلق القرآن"جعد بن درهم، أصله من خرسان، يقال إنه من موالي بني مروان، طلبه بنو أمية فهرب من دمشق وسكن الكوفة، وتعلم عنه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه فرقه الجهمية، (انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.72، ص.99).

[4] – أبو العرب، **طبقات**، ص.82؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.301.

[5] – لا تصح الصلاة خلف القائل بخلق القرآن، ويستحل قتل، (انظر: الطالبي، **الصراع اللاهوتي**، ص.57).

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.70.

[7] – نفس المصدر، ج.4، ص.55،61 وما بعدها.

[8] – وذكر أن أهل الأهواء عند مالك، هم أهل الكلام منهم: القدرية، والرافضة والجهمية والمرجئة، (انظر: الطالبي، **الصراع اللاهوتي**، ص.63).

[9] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.85.

فلانـا وفلانـا وذكـر جمـاعـة من أهل الـعلم، يقـولـون لـمن قـال الـقرآن مخلـوق فـهـو كــافر".[1]

وتنــاظر الفقيهـان أبو زكريـا الجعفري والعنبري في بلاط الأغلبـي، فـالجعفري ينكر أن القرآن مخلوق والعنبري يقـول غير ذلك. فلمـا دخل عليهما الفقيـه أبو محمد عبد الله بن أبي حسـان قـال الجعفري:" قد جاء شيخنا أبو محمد يعيننـا عليكم، فجلس أبـو محمد وقـال للعنبري:" مَا أنت وذا، هذا بحر عميق عليك بجربان الْبصرة، يَعْنِي: النخل. وقَال الجعفري: إن كـان معك أبو محمد فهذا الأمير معي، فقـال أبـو محمد:"وما للملـوك وللكـلام في الدين؟ فأحفظـه ذلك. فقـال الجعفري:"وكذلك من أتـى إلى السلطـان فهو مثل السلطان، فقـال له أبـو محمد:" إنّمـا أتـاكم الآتي لأنّكم خير ممّن هو شر منكم، ولـو أتى من هو خير منكم لأتـاه النّـاس ولم يأتـوكم. فقـال الجعفري:"ومن خير منّا؟ فقال أبو محمد:" لو نزل عيسى بن مريم أكـان حسنـا يتركونـه ويأتـونكم؟ لو نزل عيسى أتـاه النّاس ولم يأتـوكم.[2]

5-المناظرات بين المالكية والإباضية

تنوعت المنـاظرات في الدولـة الرستمية، بين مختلف الفـرق وأصحـاب المذاهب الـسنيـة الموجـودين بتـاهرت، فكـان لابن الصغير المـالكي عدّة محـاورات ومنـاظرات مع مشـايخ الإباضيـة[3] في الـعديد من المســائل الفقهيــة والمذهبيـة ذكر نصهـا في كتـابه[4] ، دون أن يتعرض للاضطهاد أو القتل[5]، فمن أتى منهم إلى حلق الإباضية، قربوه، وناظروه ألطف مناظرة، ومن أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله ذلك.[6] وهذا نقيض لما حصل في افريقية لما تولى سحنون بن سعيد القضـاء وبدأ فـي نشر المـذهب

---

[1] – نفس المصدر، ج.4، ص.94؛ عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص.113؛ ذكر الطالبي رواية عن الفقيه عبد الله بن المبارك أنه كان يقرأ شيئا من القرآن ثم قال:" من زعم أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم، (انظر: **الصراع اللاهوتي**، ص. 56 وما بعدها من عدة صفحات).

[2] – أبو العرب، **طبقات**، ص.89؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.312.

[3] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص.118.

[4] – يعتبر كتاب أخبار الأئمة الرستميين من أقدم الكتب التي أرّخت للدولة الرستمية، نشر سنة 1885م، في حوليات الجامعة التونسية تحت رعاية كلية الآداب جامعة الجزائر، نشره المستشرق البولندي موتيلانسكي، وطبع الكتاب ضمن أعمال المستشرقين للمؤتمر الرابع عشر الذي انعقد بالجزائر سنة 1323هـ-1905م، ثم طبع بعدها ضمن الكراسات التونسية ع.26، سنة(1395-1396هـ/ 1975-1976م)، قدّم له محمد الطالبي، يحتوي على نص باللغة الفرنسية ويقابله نص آخر باللغة العربية، وقد ذكر محمد الطالبي:"أنّ النص الكامل للمخطوط توجد منه نسخة وحيدة حسب علمه في منطقة ميزاب" بالجزائر وفي نفس السنة، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، التونسية،ع.11؛ Talbi (M.), ‹‹Chronique d`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert››, **les cahiers de Tunisie**,3em et 4em trimestres, 1975, pp.321 - 368 ; E.I, art « Ibn Saghir » T. III, Paris, 1975, p.949.

[5] – نفسه؛ محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.479.

[6] – ابن الصغير، المصدر السابق، 117.

المـالكي فيهـا، وكان أوّل ما قام به هو تشريد أهل الأهواء من المسجد الجامع. [1] فقد منع المذاهب الأخـرى سواءً كـانت المذاهب السنية (حنفي) أم غيرها كالصفرية،[2] والإباضية والمعتزلة. وذهب ألفراد بل إلى أنّ هذه المناظرات كانت تعقد لإقناع علماء أهل السنة باعتناق النّحلة الإباضية، وشأن تاهرت في نظره حال القيروان وتونس حاضرتي العلم على مذهب أهل السنة.[3]

وجرت في إحدى مساجد تاهرت مناظرة في مسألة خيار البنت بين ابن الصغير المالكي وبين الشيخ الإباضي أبي الربيع سليمان الهواري،[4] فقال الشيخ:"من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم، من الحجازيين والعراقيين،[5] أنّ الرجل إذا زوّج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أنّ لا خيار لها في نفسها وأنتم تقولون إنّ الرجل إذا زوّج أمته وعُتقت أنّ لها الخيار ولا فرق بين الأمة والصغيرة لأنّ الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وإنّما كان الحكم لسيدها فلَما عُتقت صار الحكم إليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأن الحكم لأبيها فلما أدركت صار الأمر إليها فلم منعتموها ما أجزتم للأَمة والمعنى واحد؟...".[6]

6-المناظرات بين المالكية والشيعة

وقد دارت مناظرات في بلاد المغرب حول المسائل الفقهية والأصولية، ومناقب الصحابة -رضوان الله عليهم- ، ومراتبهم وبعض المسائل الكلامية ذات الطابع السياسي،[7] منها: مسألة خلق القرآن، والقياس، وقيام الليل، والإمامة، ومسألة تفضيل علي (رضي الله عنه)، وتكفير الصحابة وغيرها.[8] التي فسرها البعض بمفهوم خاطئ معتمدين على التأويل لظاهر

---

[1] – أبو العرب، **طبقات**، ص.102؛ محمد بن موسى حسن، "المناظرات بين الإباضية الوهبية والفرق الأخرى ببلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين"، **ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات جامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2008م، ص.55.

[2]– كانت تعقد حلقات ومناظرات في مساجد إفريقية، وفي جامع القيروان ذاته، ورغم ما عرف من تعصب المالكية وبغضهم لمخالفيهم، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في إفريقية، حتى مجيء سحنون فمنعها، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.409؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.55-192؛ محمود إسماعيل، **الخوارج**، ص.477).

[3] – الفرادبل، **الفرق الإسلامية**، ص.149.

[4] – ذكرت المصادر العديد من الأشخاص بهذا الاسم والكنية، إلاّ أنّهم من النفوسيين، والأقرب إلى فترة ابن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الرّبيع، وهم من الطبقة السابعة(300-350هـ)، (انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.118؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج.2، ص.349-350).

[5] – يقصد بالحجازيين أصحاب الإمام مالك بن أنس أي أصحاب المذهب المالكي، أمّا العراقيون فهم أصحاب أبي حنيفة، (انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، هـ.3،2، ص.118).

[6] – نفسه؛ محمد بن موسى، المرجع السابق، ص.46-47؛ عن المناظرة، وانظر أيضا: الملحق رقم (8).

[7] – محمد اليعلاوي، "الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين"، **ضمن كتاب ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بَينَ المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة**، 4-5- 6 ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، ص.270.

[8] – شكك الشيعة في إيمان الصحابة (رضي الله عنهم) لقوله تعالى﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (سورة آل عمران، الآية 144)، فأولوا الآية واستنتجوا من قوله تعالى أنّ الصحابة ارتدوا بعد وفاته(صلى الله عليه وسلم)استشهد أحدهم أنّ عمر بن الخطاب لما توفي الرسول(صلى الله عليه وسلم) قال:"إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي الرجال وأرجلهم"، (انظر: محمد

النصوص(القرآن والسنة)، وحسب ما تمليه عليهم ميولاتهم ومعتقداتهم. ولولا وقوف أهل النّظر والجدل ومعرفتهم للأحاديث والآيات القرآنية وإدراكهم لمعانيها ومدلولاتها، وتبحرهم في اللغة العربية والنّحو لمّا استطاعوا التّغلب على هؤلاء.

واستغلت الدولة الفاطمية من الأوضاع التي كان يعيشها أهل المغرب الأوسط لتشريقهم منها: قلة الدخل الذي أدى بسكان المنطقة إلى العيش في فقر مزري، وقد أكد ابن حوقل ذلك عند حديثه عن التغير الذي حلّ بتاهرت فقد أصبح:" أهلها وجميع من قاربها من البربر...فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت".[1] ويبدو أن الفاطميين استغلوا هذه الحالة في الضغط على بعض فقهاء مالكية المنطقة لتشريقهم مقابل الحصول على مناصب عليا في الدولة. وكان من بين هؤلاء: الفقيه علي بن منصور الصفار قاضي مدينة ميلة وصاحب سعيد بن الحداد، وهو من المتقنين لعلم الكلام وممّن يجادلون فيه، وفي معاني الفقه.[2]

وكانت بداية المناظرات بين دعاة الشيعة وبين فقهاء المغرب الأوسط، عندما أظهر أبو عبد الله الشيعي مذهبه وشاع أمره في كتامة، وطُلب منه أن يناظرهم مرتين، أولها: طلبه أخو الشيخ الكتامي أن يناظر معلم الصبيان وأولاده، فدبر لهم الشيخ ومن اتبعه مكيدة فقتلوا عن آخرهم.[3] ثانيها: طلب منه موسى بن العباس صاحب ميلة وعلي بن عسلوجة صاحب سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة وبعض بطون كتامة من بني سكتان تسليمه ومناظرته،[4] لكنهم رفضوا ذلك، واختفى أبو عبد الله الشيعي بعدها عن الأنظار. فقد يعود رفضه للمناظرة خوفا من أن ينكشف أمره ويقتل، ويفشل المشروع الذي دخل من أجله إلى بلاد المغرب وهو قيام دولة شيعية.

وقاطع فقهاء المالكية والعامة قضاة وعمال الشيعة ورفض بعضهم دفع المال لهم رغم توفره، فأحس الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي أنّه غير مرغوب فيه في هذه البلاد فحاول إرغامهم بحد السيف،[5] ثم غيّر سياسته نحوهم وظن أنّه يستطيع أن يقنعهم بالرأي لأنّ سياسة العنف لم

أحمد عبد المولي، المرجع السابق، ج.2، ص.263؛

Brunschvig (R.), ‹‹Le Fiqh Fatimide et histoire de l`Ifriqiya››, **Dans les études d`Islamologie**, Édition G. P. Maisonneuve et larose, 1976, Paris, T.1,pp.63-71).

[1] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.93.

[2] – ذكره أبو العرب ضمن "باب من تشرق ممّن كان ينسب إلى علم من أهل القيروان".(انظر: **طبقات**، ص.215 ،217).

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.128؛ Vondesrheiden (M) , op, Cit.,p.288

[4] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.91؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.451 وكذا: Ibid

[5] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.291.

تجدي نفعا، وهو لا يعرف المستوى العلمي الذي يتمتع به فقهاء المالكية. وكان عبيد الله المهدي ودعاته أبو عبد الله الشيعي وأخوه العباس وقاضيه محمد بن عمر المروذي،[1] ممّن عقدوا مناظرات مع المالكية، وعملوا على إقناعهم وإلزامهم بالحجة، وحاولوا ترجيح أرائهم الشيعية.[2]

وبدأت تعقد المجالس بين دعاة الشيعة وفقهاء المالكية، وكانت الغلبة فيها حسب ما ذكرته المصادر السنية للفقيه أبي عثمان سعيد بن الحداد الذي كان"معظّما لمالك"، لكنه اختار "المذهب الشافعي من غير تقليد له، بل كثيرا ما يخالفه"، حتى أنه ألف كتابا في الرد عليه. أما أبو حنيفة فإنه "كان يسيء الرأي فيه وأصحابه".[3]

ورد الفقيه أبو عثمان على أهل البدع من المخالفين للسنة. وقد مثّل المسلمين في المناظرة أحسن تمثيلا، حتى شبهه أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنته (خلق القرآن)، فكانت له مناظرات مع أبي عبد الله الشيعي في مسألة "التفضيل" أي أفضلية أئمة أهل البيت على غيرهم من الصحابة. فقال له مرّة:" أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم"[4]، فرد عليه أبو عثمان:" أي أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل؟ أو اثنان الله ثالثهما؟".[5] ولم يكن أبو عبد الله الشيعي يتوقع هذا الرّد، فاستغرب من إجابة ابن الحداد له، وعقد معه مناظرة أخرى حول إثبات ولاية علي (رضي الله عنه) بنظرية الخاتم فقال فيها أبو عبد الله الشيعي لابن الحداد:" إنّ القرآن يقول: إنّ محمدا ليس بخاتم النبيين فقال:" وأين ذلك؟ قال في قوله تعالى﴿ وَلَكِنَ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَبِيِّينَ﴾[6]وخاتم النبيين غير رسول الله فقال له ابن الحداد: هذه "الواو" ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من واوات العطف، كقوله تعالى﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،[7] فهل أحد يوصف بهذه الصفات غير الله.[8]

وكانت للخليفة عبيد الله المهدي مناظرة مع ابن الحداد حول حديث موالاة علي(رضي الله عنه) ودلالته، فذكر عبيد الله المهدي الحديث:"من كنت مولاه فعلي مولاه"،[9] ثم قال ما بال النّاس لا يكونون عبيدًا لنا؟ ، فقال ابن الحداد:" لم يرد بولاية رق، وإنّما أراد بها ولاية الدين وذكر قوله تعالى﴿ ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَاب وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن

---

[1] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.292.

[2] – أشار الباحث عبد الحميد خالدي إلى المناظرين الشيعيين من دعاة وقضاة، (انظر: **العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50-646هـ/670-1266م**، رسالة دكتوراه في تاريخ الوسيط، إشراف حساني مختار، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص.169 وما بعدها).

[3] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص. 296-297.

[4] – أصحاب الكساء هم: محمد (β)والحسن والحسين، وعليا، وفاطمة، أما غيرهم معناها: أبو بكر، (انظر: نفس المصدر، ج.2، ص.298)

[5] – نفسه.

[6] – سورة الأحزاب، الآية 40.

[7] – سورة الحديد، الآية 3.

[8] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.300؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.283؛ عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص.150.

[9] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.300؛ ابن عذارى، نفس المصدر؛ عبد العزيز مجدوب، نفس المرجع.

دُونِ اللهِ ولَكِن كُونُوا ربَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِمُوْنَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسلِمُونَ﴾.[1] وقال له :" فما لم يجعله الله عزوجل لنبي لم يجعله لغير نبي، وعلي لم يكن نبيا، وإنّما كان وزيرا للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)"، فضربه المهدي ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن تعهد بكتم المجلس على لسان أبي جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي.[2]

وكان القاضي المروذي يرسل في طلب الفقهاء المالكية والحنفية ليناظرهم في بعض المسائل عسى أن يرجعهم إلى مذهبه، ومن هذه المسائل قيام رمضان فكان يقول لهم:"إن وجبت لكم الحجة رجعنا إليكم وإن وجبت لنا رجعتم إلينا".[3]

وقال موسى القطان في شأن سعيد بن الحداد:" لو سمعتم سعيد بن محمد في تلك المحافل -يعني مناظراته للشيعي- لتمنيتم أن لا يسكت".[4] وقد تميز المناظرون بالشجاعة والقدرة العظيمة على المواجهة. فذكر الدباغ أنّ أبا عبد الله الشيعي أمر خادمه الصقلي، حين يجتمع إليه النّاس، أن يأذن لهم بالدخول عليه، فلما جاء سعيد بن الحداد أذن له في الدخول، فقال الشيعي:"ألم أقل لك إذا اجتمع الناس فأذن لهم" فقال الصقلي:" هذا هو النّاس كلهم! فقال الصقلي:" فأنا فعلت ما أمرتني به"، فالصقلي كان سنيا وكان يعجبه علم ابن الحداد الغزير، لكن الشيعي قتل الصقلي لما علم مدحه لسعيد ابن الحداد.[5]

والغاية من هذه المناظرات إمّا الترجيح لما قالته الشيعة أو نفيه من الفقهاء المالكية. وذهب بعض الباحثين إلى القول إنّ سياسة الفاطميين مع الفقهاء المالكية أمر طبيعي، فكل دولة تريد فرض سلطانها ومبادئها، وتتبع من أجل ذلك سياسة خاصة بها، ولو أدى ذلك إلى تعذيب وتشريد وقتل من خالفها.[6] فليس من الطبيعي أن تقوم هذه الدول فيمن خالفها في الرأي والعقيدة، بل لابد لها من إقناعهم بالحجة والبرهان لأن العنف لا يجدي نفعا، فكل حركة تقاوم تزداد عنفا. وكانت المالكية في أعنف مظاهرها وأشد صمود مع بني عبيد رغم ما نالهم من قتل وتعذيب.

---

[1] - سورة آل عمران، الآية، 79-80.

[2] - الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.299-300؛ عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص.151.

[3] - نفسه.

[4] - نفس المصدر، ج.2، ص.309؛ محمد أحمد عبد المولى، المرجع السابق، ج.1، ص.369.

[5] - نفسه.

[6] - أبو العزم، المرجع السابق، ص.184.

ونتجت عن هذه المجالس هزيمة عبيد الله المهدي ودعاته من طرف فقهاء المالكية الذين أفحموهم بالحجة بعد الحجة ممّا أدى إلى زيادة شدة كراهية أهل إفريقية للعبيديين، فاستهانوا بأمرهم واستعدوا للانقلاب عليهم، وإزاء ذلك فكّر عبيد الله المهدي في مغادرة القيروان وبناء مدينة خاصة به وبأبنائه فبنى المهدية، وترك القيروان للمالكية، لكن القاضي النعمان ذكر بناء المهدية سنة 303هـ-915م بسبب ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد فلا يصل إليها ولا يدخلها، فيعتصم بها هو وأنصاره،[1] ووافقته بعض المصادر السنية في ذلك.[2]

والملاحظ أن فقهاء مالكية بلاد المغرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين تميزوا عن نظرائهم من أحناف وإباضية وشيعة بالتفوق في المناظرات والجدل والكتابة، رغم مساندة السلطة لهم أحيانا في عدة مواقف.[3] وبرع المالكية في مواقفهم بما تمتعوا به من أساليب الرد، وما يملكون من حجج منحتهم الغلبة في كل مرة. وأولى الفقهاء عناية خاصة للتأليف لما له من أهمية، فقد ألف محمد بن سحنون، كتابًا في المناظرة سمّاه "**ما يجب على المتناظرين من حسن الأدب**"، يحتوي على جزأين، وكتاب"**الرد على أهل البدع**".[4]

هـ- الفتاوى

عرف طاش كبرى زادة (أحمد بن مصطفى)، علم الفتاوى بأنّه:"علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم".[5]

ولغة عرفت الفتاوى بأنّها الإبانة والإجابة، يقال أفتاه في الأمر أي أبانه له. وأفتى الرّجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً، وهي إخبار بحكم شرعي. وأفتى المفتي إذا أحدث حكما.[6] والفُتيا والفُتوى والفَتوى ما أفتى به الفقيه، والفتوى بالفتح عند أهل المدينة.[7]

---

[1] - القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.327-328.

[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.49؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.6، ص.49-50.

[3] - اهتم بنو الأغلب بمسألة خلق القرآن، حتى أن أبا العباس بن الأغلب كتب" سجلات بخلق القرآن"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.343).

[4] - ويبدو أنها رسالة حسب ما ذُكر في كتاب "**آداب المتعلمين**" لابن سحنون، (انظر: المصدر السابق، ص.32؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.207؛ عبد الحميد حاجيات، "إسهام المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية"، **ضمن وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، بمناسبة الاحتفالات بحلول القرن الخامس عشر ميلادي، جامعة دمشق، كلية الآداب، من 16إلى 22 جمادى الآخرة 1401هـ- من 20 إلى 26 نيسان1981م، سوريا، ص.4).

[5] - **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ج.2، ص.557.

[6] - انظر: لسان العرب، مادة "فتا"، ج.38، ص.3348.

[7] - حميد بن محمد لحمر، **فتاوى الإمام ابن أبي زيد القيرواني(ت.386هـ-996م)**، دار اللطائف، القاهرة، 2012م، ص.8).

لم تكن الفتوى وليدة العصر، بل ظهرت معالمها بظهور الرّسالة المحمدية، وتولى الله أمرها بنفسه في كتابه العزيز الحكيم في قوله تعالى﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾،[1] أي أنّ الله يبين لكم حكم ما سألتم. وروى الأشهب عن مالك بن أنس قال:" كان النبي(صلى الله عليه وسلم) يسأل فلا يجيب حتى ينزل الوحي.[2] وقول الله تعالى أيضا﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وهُو يَرِثُهَا إِن لَمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ﴾،[3] أي يسألونك للتعلم. وتولى النبي (صلى الله عليه وسلم) الفتوى وتبعه في ذلك الصّحابة والتّابعون (رضوان الله عليهم).

واصطلاحا الفتوى هي:"إخبار بحكم شرعي من غير إلزام"[4]. وذكر البرزلي في أحكام الاستفتاء أنّه:"طلب الفتوى...والمستفتي هو طالب الفتيا وهو المقلد. والتقليد العمل بقول غير من غير حجة...وليس الرجوع لقول الرسّول(صلى الله عليه وسلم) والإجماع والقياس إلى القول بتقليد لاستنادهم إلى الحجة. والمفتي: هو الفقيه وهو العالم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال".[5] ولا يشترط على الفقيه اتخاذ مكان معين للفتوى، فقد تبث عن محمد ابن سعيد(العصفري)(ت.363هـ-974م) أنّه كان مفتيا في السوق ومناظرا في الجامع.[6]

ونقل الإمام مالك عن شيخه ابن هرمز أنه "ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يروي قال لا أدري".[7] وثبت عن مالك أيضا أنه كان يفتي في مجالسه لكنه كان يقول:"إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".[8] وسئل في أحد مجالسه عن ما يزيد عن عشرين مسألة فأجاب في واحدة فقط، بل قيل عنه أنه حتى لو يُسأل عن مائة مسألة فإنه يجيب عن خمس أو عشر منها، ويقول في الباقي لا أدري.[9] وبسبب فتواه في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور(ت.147هـ-764م) المتمثل في نهيه عن الحديث "ليس على مستكره طلاق"، تعرض الإمام مالك إلى محنة،

---

[1] – سورة النساء، الآية 126.

[2] – القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت.671هـ-1273م)، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي شارك في تح. هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، بيروت، 2006م. ج.7، ص.160.

[3] – سورة النساء، الآية 176.

[4]– الرعيني(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب، ت.954هـ-1548م)، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،1995م، ج.1، ص.34.

[5] – البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت.841هـ- 1438م)، **فتاوى البرزلي**(جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام)، تق. وتح. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج.1، ص.62.

[6] – أخذ بعض الفقهاء السوق للإفتاء به، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص. 148، 306، ج.7، ص.8-9).

[7] – القاضي عياض المدارك، ج.1، ص.182.

[8] – نفس المصدر، ج.1، ص.182-183.

[9] – نفس المصدر، ج.1، ص.183.

فدّس له ممّن لم يكن يخشاهم، فسأله سرًا فأفتاه "أنّ يمين المكره لا يلزم"، فوصل الخبر إلى جعفر بن سليمان بن عم الخليفة، فأمره بضربه سبعين.[1]

ارتبط فقهاء المالكية بالفتوى ارتباطا وثيقا، فقلّ ما نجد فقيها مالكيا سكت عن الفتوى، وإن حصل يكون ذلك عند عدم امتلاكه لحجة مقنعة، أو أُشكل عليه الأمر كأن يكون بين متخاصمين مثل ما حدث للفقيه ابن غانم فقد كان يرسل بنوازل الخصوم إلى الإمام مالك أو إلى أبي يوسف القاضي مع أحد الرجال لمن أراد الحج، ولا يفتي فيها حتى يعود الجواب من عندهما،[2] فعندما يستلم ابن غانم الجواب يتم تصنيف كل مسألة مع جوابها وبعد مراجعتها تختم ويكتب عنوان المرسل إليه.[3]

وسار الإمام سحنون بن سعيد على منهج من سبقه في الرّد على الأسئلة التي كانت ترِد إليه دون تسرع، وثبت عنه أنه قال:"أنا أحفظ مسائل، سمّاها، تبلغ ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة..." [4] فلم يتسرع قط في الإجابة ونصه يفيد التعجب حين قال أيضا:"فكيف ينبغي لي أن أعجل بالجواب حتَّى أتخيَّر، فلِمَ أُلامُ في حبس الجوابِ؟".[5] واشترط القابسي في جواز الفتوى أن يحفظ كتاب"**المدونة**" والتّفقه فيها مع مذاكرتها مع شيخه وإلا لا يجوز له الإفتاء. وفي مكان آخر سئل عنها وعن كتاب "**الموازيه**" فكان جوابه:" إن تفقه فيهما وذاكر الأشياخ جاز له وإلا لم يجز".[6] وكان ابن سهل (ت.486هـ-1093م) يحفظها و"**المستخرجة**" لِما تحتويه هذه الكتب من مسائل فقهية.[7]

وأوّل من كتب في الفتاوى وأصولها الإمام مالك بن أنس وكان ذلك من خلال"**رسالته إلى أبي علي غسان محمد بن مطرف في الفتوى**"، رواها عنه بعض الفقهاء منهم أبي علي غسان ونقل عنه البعض الآخر.[8] وجمعت فتاويه في ألف جزء وقد جمعها أبو بكر المعيطي

---

[1] – فقد قيل إنّ الخليفة بعث جعفر بن سليمان ابن عمه ليسكّن الهوجاء التي كانت بالمدينة ويجدّد له البيعة، فقدم المدينة وهو يتوقد على من خالف أبا جعفر، فأظهر الغلظة والشّدّة عليهم، (انظر: أبو العرب، **المحن**، ص.264 وما بعدها؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.130؛ الكتاني، **دراسة في كتاب الموطأ**، ص.26).

[2] – الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص.213، 272.

[3] – نفس المصدر، ص.272.

[4] – ابن العرب، **طبقات**، ص.103.

[5] – نفسه.

[6] – البرزلي، المصدر السابق، ج.10، ص.63؛ روجي إدريس، المرجع السابق ، ج.2، ص.179.

[7] – ثبت عن ابن سهل أنه أتقن في حفظهما، (انظر: ابن سهل(أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ت.486هـ-1093م)، **الإعلام بنوازل الأحكام**(الأحكام الكبرى)، تح. نورة محمد عبد العزيز التويجري، المملكة المغربية 1995م، س.1، ص.24).

[8] – ذكرها القاضي عياض في باب ذكر تواليف مالك غير الموطأ، (انظر: **المدارك**، ج.2، ص. 92 و ج.3، ص.33؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.314.

القرشي(ت.337هـ-948م) وأبو عمر بن المكوي الإشبيلي(ت.401هـ-1010م) في كتاب "**الإستيعاب**".[1]

وللفقيه شبطون كتاب عن الإمام مالك في الفتاوى يسمى"**كتاب سماع**" المعروف بسماع زياد،[2] قال عنه ابن الحارث:"أخذ عنه كتابا واحدا من رأي مالك هو معروف بسماع زياد".[3] وأفتى مالك في مجالسه على حسب الأمصار، وفي رواية "إن لأهل البلاد قولا وإن لأهل المدينة قولا، ولأهل العراق قولا قد لا تعدوا فيه طورهم".[4] وأشار المالكي إلى نازلة تتعلق بأبي مسعود العباس بن الأشرس الأنصاري وهي في رجل طلبه السلطان ليقتله فحلف ابن الأشرس بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم له موضعا، وهذا الحلف كان إشفاقا على الرجل وحقنا لدمه، ويكون ابن الأشرس قد حنث حسب قول مالك في ذلك، ورغم ذلك انتقل البهلول بن راشد يسأله عنها، فأخبره بحكم مالك في المسألة الذي لم يكن يخفى عليه، ثم ذكر له قول الحسن البصري أنّه"لا حنث عليك".[5] والملاحظ أنه يمكن الانتقال من حكم إلى آخر في الفتوى لجلب المصلحة ودرأ المفسدة.

لقد أخذت كتب الفتاوى تسميات عدّة منها "**المسائل**" و"**الأسئلة**"، و"**الجوابات**"، و"**الأجوبة**"، و"**النوازل**" و"**الفتاوى**" أو"**الأحكام**" و"**مسائل الأحكام**"[6] ومعناها واحد، كما أنّها لا تختلف من حيث المضمون وتتدرج ضمن فقه النوازل. وقد اختلف مؤلفو كتب التراجم في تسميتهم كتاب ابن رشد (ت.520هـ-1126م)، فكل واحد سمّاه حسب نظره إليه،[7] وذلك نظرا لأن مؤلفه لم يجمع فتاويه بنفسه من ناحية وعدم وجود مقدمة المؤلف التي عادة ما يظهر فيها اسم الكتاب.

وتختلف طريقة فقهاء المالكية في الأجوبة عن المسائل، فمنهم من تكون أجوبتهم مبسطة مدعومة بالحجج أو بآراء من سبقه من الفقهاء. وأحيانا تكون معقدة ممّا يؤدي إلى نقدها وتمحيصها والاعتراض عليها. لذا اهتم المغاربة بوضع مؤلفات في هذا الفن تلبية لحاجة

---

[1] – نفس المصدر، ج.7، ص.121، 128 وما بعدها؛ بشير ضيف، **مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا وهو تقييد لأهم وأشهر كتب المذهب المالكي المطبوع أو المخطوط- نظما ونثرا**-، دار ابن حزم، لبنان، 2008م، ص.45.

[2] – نفس المصدر، ج.3، ص.116؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.43.

[3] – الخشني(محمد بن الحارث، ت.361هـ-971م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، درا و تح. ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م، ص.95.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص. 72.

[5] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص. 252- 253.

[6] – الشاطبي(أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، ت.790هـ-1388م)، **فتاوى الإمام الشاطبي**، تح. وتق. محمد أبو الأجفان، ط.2، مطبعة الكواكب، تونس، 1985م، ص.84؛ و(انظر أيضا: Allaoua (A.), **Texte méconnu**, p.349.

[7] – جمع فتاوى ابن رشد تلميذه أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن الوزان(ت.543هـ-1149م) صاحب الصلاة بجامع قرطبة كان معنيا بتقييد الأثار، حسن الخط والوراقة، (انظر: ابن الأبار، **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، منشورات الهيئة المصرية، القاهرة، 2008م، ص.160؛ ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المالكي، ت.520هـ-1126م)، **فتاوى ابن رشد**، تق. وتح. وجمع وتع. المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987م، ص.35 وما بعدها؛ أحمد الخاطب، **التيارات الفكرية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطي**، أطروحة الدكتوراه، إشراف محمد حمام، جامعة محمد الخامس، 2003-2004، الرباط، ص.482).

النّاس فيما يخدم مصالحهم الدينية والدنيوية ولجلب المصلحة ودرأ المفسدة من خلال أجوبتهم على مسائل الأحكام المستجدّة التي ليس لها حكم شرعي في مصادر التشريع الإسلامي، فاقتضت الحاجة إلى استنباطها. لذلك أصبحت بعض كتب الفتاوى مصادر المعتمدة في الإفتاء في الفقه المالكي عند المغاربة مثل كتاب "**فتاوى**" ابن رشد،[1] أو"**الدرر المكنونة**" للمازوني(ت.883هـ-1478م)،[2] أو"**المعيار المعرب**" للونشريسي(ت.914هـ-1508م) أو "**الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير**"[3] وغيرها من كتب الفتاوى والنوازل. وبيّن البرزلي ذلك في مقدمة كتابه بقوله:" قصدت فيه جمع أسئلة اختصرتها من نوازل ابن رشد وابن الحاج... وغيرهم من فتاوى المتأخرين من أئمة المالكيين من المغاربة والإفريقيين ممّن أدركناه وأخذنا عنه أو غيرهم ممن نقلوا عنهم...".[4]

ودوّنت مجموعة من فتاوى لفقهاء المالكية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ضمن كتاب "**العتبية**" لمحمد العتبي القرطبي، منها نوازل سئل عنها عيسى بن دينار (ت.212هـ-827م)،[5] ونوازل سئل عنها مطرف بن عبد الله الهلالي(ت.214هـ-829م)[6]، ونوازل سئل أصبغ بن الفرج المصري (ت.225هـ-840م).[7] ونوازل سئل عنها سحنون بن سعيد التنوخي(ت.240هـ-854م).[8] وقد نقل عن العتبي من جاء بعده كابن

---

[1] – اعتمد محقق كتاب"**المسائل**" على ستة نسخ مخطوطة كل نسخة يختلف عنوانها عن الأخرى، **الأولى:** وجد به "كتاب فيه مسائل، سئل عنها الشيخ الفقيه الإمام، القاضي...أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد"، وفي **الثانية:**" إلى هنا انتهى ما جمعته من المسائل التي سئل عنها وأجاب عليها الفقيه الإمام القاضي أبو الوليد شيخنا (رضي الله عنه)، مما عنيت بجمعه"، **والثالثة:** "كتاب فيه النوازل التي سئل عنها، وأجاب عليها، الفقيه الإمام، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد"، **والرابعة:** يقول المحقق لعلها أقرب النسخ إلى المؤلف لأنها تتحدث في التقديم عن الأسئلة والأجوبة بضمير المتكلم، **والخامسة:** كتبت على ظهر الورقة الأولى عنوان"أجوبة ابن رشد، و**السادسة:** تحمل في الصفحة الأولى:"نوازل ابن رشد"، وتثبت هذه النصوص أن ابن رشد لم يجمع فتاويه بنفسه إلا في نسخة واحدة التي تحتوي على ضمير المتكلم، (انظر: ابن رشد، **مسائل أبي الوليد ابن رشد(الجد)**، تح. على ستة نسخ خطية مع دراسة عن المؤلف والكتاب، تح. محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة، تطوان، 1993م، ج.1، ص.71، 74- 75-76، 78.

[2] – المازوني (أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي، ت.883هـ-1478م)، مخطوط بالمكتبة الوطنية يحمل 518 ورقة، تحت رقم 1335، وحقق عدد من أجزائه منها:"**مسائل الطهارة ومسألة النزاع بين طلبة غرناطة**" تح. بركات إسماعيل، إشراف عبد العزيز فيلالي مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1430-1431هـ/2009-2010م)؛ "**مسائل الجهاد والأيمان والنذور**"، تح. ودرا. قموح فريد، إشراف إبراهيم بحاز، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1431-1432هـ/ 2010-2011.

[3] – هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الشهير بأبي الحسن الصغير، رتب الكتاب وبوبه وذيله بأقوال العلماء ابن هلال إبراهيم بن هلال ت.903هـ-1498م، طبعة حجرية محفوظة بالمكتبة العامة، الرباط تحت رقم 2511 A، ص.2.

[4] – البرزلي، المصدر السابق، ج.1، ص.61.

[5] – كان محمد بن سحنون إذا استفتي، فإنه يطلب من عيسى بن يفتي، وأورد القاضي عياض عنه نصا أنّه كان"إذا تفاخر أهل المدينة وأهل العراق برجالهم، فقيل لأهل العراق: عندكم مثل عيسى بن مسكين؟ يفخمونه ويقولون: ذاك أفضلنا وأفضلكم"، (انظر: **المدارك**، ج.4، ص.333).

[6] – ابن رشد، **الفتاوى**، ج. 2، ص.352، ج.3، ص.321- 324، ج.7، ص.488؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.314.

[7] – نفس المصدر، ج.11، ص.119-121، 360-361، و ج.13، ص.307؛ محمد العلمي، نفس المرجع.

[8] – ابن رشد(أبو الوليد القرطبي، ت.520هـ-1126م)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، وضِمْنَهُ المستخرجة في الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي(ت.255هـ-869م)**، تح. أحمد الحبابي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج.11، ص.274؛ محمد العلمي، نفس المرجع.

رشد في كتابه "**البيان والتحصيل**".[1] ويتم ترتيب الفتاوى عادة على أبواب الفقه من الطهارة والعبادات إلى الأنكحة والطلاق إلى البيوع والشركات... وغيرها وتختم بمتفرقات فقهية.[2]

وسلّط محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي (ت.256هـ-870م)، في كتابه "**الأجوبة**"، الضوء على ما استجد من مسائل في إفريقية وغيرها،[3] بوضع أجوبة لها معتمدا على أقوال من سبقه من الفقهاء وعلى ما استُجد من أحداث في عصره.[4] وألف ابن الحارث الخشني كتابا كثيرة منها "**الفتيا**".[5] وكان الفقيه لا يفتي في المسائل إلا إذا سمح له القاضي بالإفتاء بعد اختباره. فحدث أن امتحن القاضي ابن طالب أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي[6] قاض بنواحي الزاب وبمدينة باغاية للقاضي عيسى ابن مسكين، في زمن إبراهيم بن الأغلب بعد أن بلغه أنه يفتي وهو لا زال شابا، فاستدعاه فألقى عليه في المرة الأولى أسئلة من "**كتاب الجوائح**" [7] فأحسن الإجابة عنها، ثم "**كتاب القراض**"[8] ثم "**كتاب الصرف**"[9] ثم ألقى عليه "**مسألة الخلخالين**".[10] ولما ثبت حفظه قال له:"الحمد لله الذي رأيت لأصحابنا شابا مثلك، نعم يا بني، امض واجلس في مجلسك وأفت، واتق الله ربك".[11] وأضاف ابن ناجي و"هذا فعل أهل الدين؛ مَنعه لحق المسلمين؛ لاحتمال أنه لا يصلح، فلما اختبره وتبين أنه يصلح في الفتيا أذن له في ذلك". وكان قاضي القضاة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين أعلى من قاض الإفتاء ذلك أنّ "القاضي-ولو كان من أدين خلق الله- لا بد أن يشتكي به بعض المحكوم عليهم، فلا بد

---

[1] – ابن رشد، **البيان والتحصيل**، **ج.11**، ص.255، 262، 337؛ **محمد العلمي**، نفس المرجع.

[2] – البرزلي، المصدر السابق، ج.1، ص.46.

[3] – ابن سحنون، "**كتاب الأجوبة**"، ط.2، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011م؛ وتح. ثاني موسوم ب "**فتاوى ابن سحنون**"، تح. مصطفى محمود الأزهري، نشرته دار ابن عفان ، مصر، ودار ابن القيم للنشر والتوزيع، السعودية، 2011م، اعتمد كلاهما في تحقيق الكتاب على نسخ مختلفة من المخطوط؛ وتوجد نسخة أخرى جمعها أبو عبد الله عبد الله محمد بن سالم، خط مغربي تحتوي على 109 ورقة، وهي النسخة التي هذبها وصححها بنفسه قبل موته بعامين وفصلها بعشرين فصلا، (انظر: **فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة ببجاية**، إعداد جمال الدين مشهد مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004م).

[4] – **الدليل**، ص.313 وما بعدها.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.267.

[6] – فقيها ثقة، ولي قضاء طرابلس لحماس زمن زيادة الله ونواح من الزاب لعيسى بن مسكين، هو ممّن امتحنه القاضي المرودي الشيعي، ضربه وحبسه بعدما عزله عن قضاء طرابلس، لكن عبيد الله المهدي أطلقه لما سمع بذلك، والسبب أنه عندما كان مارا بطرابلس عند مجيئه من المشرق بنية دخوله بلاد المغرب تخاصم مع مجموعة من الحمالين، وكان أبو العباس قاضيا بها فقال له آنذاك وهو لا يعلم أنه الإمام المهدي:" وكل من يخاصم عنك، ونزه نفسك عن المناظرة" فحفظ له المهدي ما قام به نحوه، (انظر: نفس المصدر، ج.5، ص.102").

[7] – هو الكتاب يشمل عدة كتب منها "كتاب الجوائح"، ويحتوي على مسائل عديدة تتعلق بالجوائح ، والجائحة مأخوذة من الجوح، وهو الهلاك والمراد بها: ما أتلف من الثمار والنبات بعد بيعه بسبب قاهر معجوز عن دفعه كالريح والبرد والمطر والجراد والحريق وغيرهم، (انظر: الغرياني الصادق عبد الرحمن، **مدونة الفقه المالكي وأدلته**، مؤسسة الريان، لبنان، 2002م، ج.3، ص.268).

[8] - هو الكتاب يشمل عدة كتب منها "كتاب القراض"، ويحتوي على مسائل عديدة تتعلق بالقراض، والقراض له إسمان، أولها: القراض في لغة أهل الحجاز، ثانيها: مضاربة وهي لغة أهل العراق، وهو من القرض أي القطع لأن صاحب المال يقطع قطعة من ماله لمن يعمل فيه بجزء من الربح، والمضاربة هو من الضرب في الأرض وهو السفر للتجارة، (انظر: نفس المرجع، ج.3، ص.500).

[9] – الكتاب يشمل عدة كتب منها "كتاب الصرف"، ويحتوي على مسائل عديدة تتعلق بالصرف، والصرف في اللغة هو النقل والزيادة، وفي الاصطلاح بيع الأثمان بعضها ببعض وهي ثلاثة أنواع: بيع عين بعين ليست من جنسها، وبيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة ولهما نفس حكم الصرف، ويؤخذ من تعريف الفقهاء للصرف أنه ما وقع على جنس الأثمان في عرف الشرع وهو الذهب والفضة وتلحق بهما الأوراق النقدية، (انظر: نفس المرجع، ج.3، ص.267).

[10] – ومسألة الخلخالين ضمن كتاب الصرف، فصل في استحقاق المصوغ في عقد الصرف، (انظر: ابن أبي زيد القيرواني، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح. محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، 1999م ، ج.5، ص.379؛ اللخمي(أبو الحسن اللخمي القيرواني، ت.478هـ- 1086م)، **التبصرة**، تح. أحمد بن عبد الكـريم نجيب، مركز نجبويه للمخطوطـات وخدمة التراث، وزارة الأوقاف، قطر، ط.2، 2012م، ج.5، ص.2831-2732؛ ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج.7، ص.47).

[11] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.102؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص. 331.

أيضا من "ناظر فوقه ينظر في أموره، وذلك: المفتي، فهو الذي يرتهن في قاضي الجماعة".[1]

صَدَر عن فقهاء مالكية المغرب الأوسط نوعين من الفتاوى منها ما تتعلق بمسائل فقهية في المذهب المالكي التي ليس لها حكم شرعي، وأخرى تتعلق بالشيعة ومذهبهم وذلك تزامنا مع وجودهم ببلاد المغرب.

وكان من أبرز فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين اهتموا بالفتاوى في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي المشهور بالخياط، فقد كان "عالمًا بالمسائل، حافظا على مذهب مالك، حسن التكلم في الفقه".[2] والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي كان من المفتيين له سماع من وهب من مسرة.[3]

منع عبيد الله المهدي فقهاء المالكية من الإفتاء بمذهب مالك، ولا يكون ذلك الإفتاء بمذهب الشيعة الذي يعتقد أنه مذهب أهل البيت. وغلُظ الأمر على المالكية، حتى أنهم منعوا من المجالس والفتيا، ممّا اضطر بعضهم إلى الأخذ عن فقهائهم والتذاكر سرّا وعلى حال خوف وريبة.[4]

وذكر القاضي عياض أنّ الفقيه أبا محمد بن الكراني من فقهاء القيروان سئل إذا خيّره بنو عبيد بين الدخول في دعوتهم، أو القتل؟ فقال:"يختار القتل، ولا عذر أحد بهذا، إلاّ من كان أوّل دخولهم البلد، فيسأل إن يعرف أمرهم، وأما بعد، فقد وجب عليه الفرار، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأنّ المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع، لا يجوز، وإنّما أقام من هنا من العلماء والمتعبدين على المباينة لهم، لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم فيفتي لهم عن دينهم وعلى هذا كان الفقيه القطان وأبو الفضل الممسي..."،[5] وغيرهم ممّا قيل فيهم الكثير لِما أصابهم من العبيديين. فهذا ابن ناجي يقول"...جزى الله مشيخة القيروان خيرًا هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة".[6]

---

[1] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.332.

[2] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.63؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.110؛ أحمد الخاطب، المرجع السابق، ص.483.

[3] – الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.49؛ العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج1، ص.152.

[4] – القاضي عياض، **تراجم أغلبية**، ص.393.

[5] – نفس المصدر، ج.7، ص.276؛ وانظر أيضا: Idris (H. R), ‹‹Deux juristes Kairouanais de l`époque Ziride : Ibn Abi Zaid et Al-Qabisi X$^{e}$- XI$^{e}$››, **annèles de l`institut d`études Orientales**, Faculté des lettres de l`université d`Alger, 1954, T. XII, p.127.

[6] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.292.

لقد أفتى فقهاء مالكية المغرب الأدنى والأوسط في مسائل كان الهدف منها توعية العامة ضد الشيعة، فقد كفّروهم واستحلوا دماءهم، بل أجمع كل من الفقيه ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي، وأبي زكريا الطبني، وأبي بكر بن عذرة أن:"حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة، بما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزندقة...".[1] وأفتى ابن أبي زيد القيرواني أيضا أنّ:"مَن نوى الدخول في دعوتهم على أساس أنّه سيكره على ذلك، ثم لم يدخلها يعتبر كافرا".[2]

وكان الفقيه أحمد بن نصر الداودي أشد بغضا وكرها للعبيديين فقد سبق وأن أنكر على معاصريه من الفقهاء سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين أظهرهم، فكتب إليهم بذلك، إلاّ أنهم عارضوه، وسبب ذلك حسب رأيهم أن بقاءهم مع عامة النّاس يكون لتثبيتهم على الإسلام، ولو خرجوا من افريقية لتشرق من بقي من العامة الألف والآلاف، فاختاروا ماهو خيرا لهم وللأمة جميعا.[3]

وأفتى أحمد بن نصر الداودي أيضا في خطباء بني عبيد قائلا:"خطيبهم الذي يخطب لهم يدعو يوم الجمعة كافر يقتل، ولا يستتاب وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين، وتعتق أمهات أولاده...إن تاب قبل أن ظهر الندم، ولم يكن أخذ دعوة القوم، قبلت توبته...:".[4] ونتج عن تصدي فقهاء مالكية المغرب الأدنى والأوسط رحيل 200 عائلة شيعية من المهدية يريدون صقلية.[5]

وقد جرى في القيروان تقاطع وتهاجر[6] في مسألة الإيمان بين طائفتين فذكر أحمد بن نصر الداودي عن ابن التبان أنّه إذا سئل عن غيره هل يقول: هو مؤمن عند الله أم أن يسكت فكان يقول هو مؤمن عند الله. وذهب إلى رأيه طائفة وخالفه أبو محمد بن أبي زيد. وقال إنما يقول(أي ابن التبان)، إذا كانت سريرتك، علانيتك، فأنت مؤمن عند الله. ولم يطمئن الفقيه أحمد بن نصر الداودي لهذه الفُرقة بين ابن التبان وأبي محمد بن أبي زيد اللذان كانا من المتصدرين لمناظرة الشيعة.[7] وقد طرح أحمد بن نصر المسألة على ابن

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.277.

[2] – نفسه.

[3] – نفس المصدر، ج.7، ص.103؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.47.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.275.

[5] – وكان ذلك سنة 413هـ–1022م، (انظر: هادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.186؛Launois (A.), op. cit., p.135 ؛ قد يكون خروجهم بسبب قتل حماد والمعز في ما بعد للشيعة أو بسبب المجاعة التي حلت بإفريقية حسب ما أشار إليها ابن الأثير، (انظر: **الكامل**، ج.8، ص.138).

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7. ص.103.

[7] – نفس المصدر، ج.4، ص. 219، ج.6، ص.255.

التبان فقال له:" كيف نقطع على غيبة"، فقال:" فإن كان سريرته مثل علانيته، كان كذلك، يقال هذا مؤمن في حكم الله تعالى" ثم تلا قوله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ﴾[1] . فذهب إلى محمد ابن أبي زيد فأخبره عن رأي ابن التبان فعلم أنّ رأيهما واحد.[2]

يلاحظ أن الفتوى قبل مجيء الفاطميين إلى بلاد المغرب كان أكثرها في المسائل الفقهية التي تتعلق بالمعاملات بين عامة الناس وخاصتهم التي لا يوجد فيها حكم شرعي من الكتاب أو السنة، لكن بعدها طغت عليها فتاوى تتعلق بالوجود الشيعي ومن اتبع ملتهم وبمعتقداتهم كمسألة النبوة وصفات الله... وغيرها.

ثالثا: مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط

تنوعت مؤلفات فقهاء مالكية بلاد المغرب بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين بالتأليف في الفقه والحديث وعلوم القرآن والعقيدة والشعر والسيرة. واستأثر التأليف في الرّد القسط الأكبر من إبداعات الفقهاء، إذ عكف الأوائل منهم على الرّد لمن خالف الإمام مالك، بل في الرّد على المخالفين من الكوفيين وعلى الشافعي تلميذ مالك.

فقد ألف أبو العباس عبد الله بن طالب المكي القاضي(ت.275هـ-888م) كتبا رد فيها على الإمام الشافعي تلميذ مالك،[3] كما ألف يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكندي(ت.289هـ-902م) كتابا سمّاه "**رد على الإمام الشافعي**".[4] واشتهر ابن الحداد بغزارة التأليف، واختلف في مذهبه، فقد أورد القاضي عياض نصين متضاربين أحدهما: أنه من الفقهاء الشافعية :"نزع آخر إلى مذهب الشافعي من غير تقليد له، بل كثيرا ما خالفه"،[5] والثاني نقله عن أبي العرب والخشني اللذين جعلاه من المدنيين ولم يذكروا فيه أنه مال إلى المذهب الشافعي.[6] وله تأليف في **الرد على الشافعي**، "قال عنه أبو العرب أنّه:"لم يظهر على أيدي الناس وأراه لم يأخذ نسخته وكان مقدار تأليفه على الشافعي شفتين كل شفة منها تسمى ثلث قرطاس فملأها ظهرا وبطنا،[7] وبعث بكتابه هذا إلى أبي إبراهيم إسماعيل بن

---

[1] – سورة الممتحنة، الآية 10 .

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.255.

[3] – أبو العرب، **طبقات**، ص.198؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.309-310؛ ابن فرحون، **الديباج**، ج.1، ص.422.

[4] – نفس المصدر، ص.135؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.358.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.79.

[6] – أبو العرب، **طبقات**، ص.150؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.79.

[7] – أبو العرب، **طبقات**، ص.150.

يحي المزني(ت.238هـ-852م) من أشهر أصحاب الشافعي، لطلب النصيحة والاسترشاد به، وكان ابن الحداد قد اطلع من قبل على "**ديوان**" الشافعي، فقد يكون عن طريقه توصل إلى سبب الخلاف بينه وبين الإمام مالك لذا رجح رأيه. واهتم المزني بقراءة كتاب ابن الحداد حيث قال عنه:"أما أنا فقرأته ... فمن كان عنده علم فليتكلم".[1]

يبدو أنّ أبا عثمان سعيد بن الحداد خالف كثيرا الإمام الشافعي في مسائله، ويحتمل أنه أصاب لما ذهب إليه، وسكوت المزني ماهو إلا دليل على ذلك، فلو لم يصح ذلك لعرضه ونقد هذا الكتاب. وألف ابن سحنون كتابا أيضا في "**الرد على الشافعي**"، وأهل العراق، وهو كتاب الجوابات في خمسة كتب.[2]

امتاز فقهاء مالكية المغرب الأوسط عن غيرهم في العديد من المؤلفات حيث استقى كثير من فقهاء المغرب والأندلس في القرنيين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين نصوصا إخبارية مشرقية منها ماهو خاص بالمحن والمقاتل والمناقب نقلوها عنهم، فقد أخذ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت.333هـ-944م) في كتابي "**المحن**"[3] كثيرا من الروايات التاريخية عن بكر بن حماد التاهرتي[4] بعضها أحاديث في المحن، منها ما رويت عن مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)،[5] وما كان من عدد القتلى يوم موقعة الجمل، وذكر مقتل حُجْر بن عَديّ ومن معه من أصحابه،[6] ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أحاديث عنه،[7]ومقتل عبد الله بن الزبير، وعبيد الله بن زياد والي العراق زمن يزيد بن معاوية وممن شهد الحرة،[8]وذكر من قتل يوم الجماجم[9] من أهل العلم،[10] وأورد ما امتحن به محمد بن عجلان (ت.148هـ-765م).[1]

---

[1] – نفس المصدر، ص.150-151؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.295- 297.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.207.

[3] – حققه عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1984؛ ويحي وهيب الجبوري، ط.3 مزيدة ومنقحة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2006م.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.325؛ ابن فرحون، **الديباج**، ج.2، ص.198.

[5] – أبو العرب، **المحن**، ص.58، ص.86.

[6] – نفس المصدر، ص.112، 120.

[7] – نفس المصدر، ص.136، 138-139.

[8] – أبو العرب، **المحن**، ص. 170-174.

[9] – أو "دير الجماجم" وهي خروج القراء على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان فيهم أبو البختري سعيد بن فيروز الطائي ثقة في الحديث، (انظر: نفس المصدر، هـ.1، ص.178؛ الأصفهاني (أبو النعيم أحمد بن عبد الله، ت.430هـ-1039م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر والطباعة للنشر، 1996م، ج.4، ص.379).

[10] – هي روايات ذكرها بكر بن حماد بسند الإمام أحمد بن حنبل، وممّن قتلوا وذكرهم: أبو البختري سعيد بن فيروز الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو الجوزاء، وعقبة بن عبد الغافر، وعبد الله بن غالب، وكان ذلك سنة 83هـ-702م، (انظر: أبو العرب، **المحن**، ص.178).

ويلاحظ أن ما نقله أبو العرب في كتابه"**المحن**" عن بكر بن حماد معظمه حوادث تاريخية حدثت في القرون الهجرية الأولى بعضها أيام الخلافة الأموية(132هـ-749م) والأخرى أيام الخلافة العباسية، ويظهر أنّ بكرا أخذ هذه الروايات أثناء رحلته المشرقية وحدّث بها في بلاد المغرب.

وكتاب "**طبقات علماء إفريقية**"،[2] نقل فيه أبو العرب عن بكر بن حماد تراجم لبعض الرجال ممّن سمع منهم، وهم من رواة إفريقية ممن رووا عن جلة من التابعين، وممن التقوا بالإمام مالك بن أنس[3] وتلاميذه من المغاربة كابن فروخ وأسد بن الفرات والمشارقة كابن وهب وسفيان بن عيينة، وسمعوا منهم رواياتهم،[4] في إثبات أو نفي بعض الأخبار عنهم، كمسألة "الإرجاء"[5] و"خلق القرآن" وغيرهما،[6] وأخبار بعض المقرئين والمحدثين في إفريقية.[7] ويبدو أن بكرا سمع بعض هذه الأخبار من شيخه عون بن يوسف الخزاعي[8] أو ممّن التقى بهم في بلاد المغرب أو المشرق.

ونقل أبو عمر بن عبد البر في غالبية كتبه،[9] وأبو بكر المالكي (ت.474هـ-1081م) والقاضي عياض وغيرهما، روايات عن أبي العرب التي نقلها عن بكر ابن حماد في بعض كتبهم.[10]

لم يشر المؤرخون إلى ما ألفه بكر بن حماد سوى "**ديوان شعر**"،[11] رغم ما نقل عنه أنه كان عالما برواية الحديث وتمييز رجاله وحفظ الأخبار.[12] فكان ثقة يروي عنه أهل السنة، ويروي عنه من الخوارج الباروني،[13] الذي اعتبره من المشكوك في مذهبهم، وحسب الدلائل

---

[1] – وسبب ذلك أنه وعظ وليا كان على المدينة في طول ثيابه، فأمر بقطع يده فلما كلمه أهل المدينة أعفاه وهو ممن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب النفس الزكية، (انظر: نفس المصدر، ص.324).

[2] – جزءان مع الترجمة الفرنسية طبع بباريس سنة (1915-1930م)، (انظر: ابن شنب، **العلامة محمد أبو شنب**، مجلة المجمع العلمي العربي العراقي، ص.239؛ ونشر بالمدرسة الثعالبية بالجزائر سنة 1914م، وأعاد نشره ديوان المطبوعات الجامعية، 2006م).

[3] – أبو العرب، **طبقات**، ص.72،78، 91.

[4] – نفس المصدر، ص.37، ومن هنا وهناك.

[5] – للإرجاء معنيين. أولهما: التأخير لقوله تعالى﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**﴾ (سورة الأعراف، الآية 111)، أي أمهله وأخره. ثانيها: إعطاء الرجاء، والمعنى الأول أصح حسب الشهرستاني، لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد، وقيل إنّ الإرجاء هو تأخير علي (Δ) من الدرجة الأولى إلى الرابعة، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.161-162).

[6] – أبو العرب، **طبقات**، ص.37، 82، 91.

[7] – منهم المقرئ أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد دخل إلى إفريقية سنة 156هـ-773م، والمحدث حامد بن عمر الذي رحل في طلب الحديث وقد روى عنه بكر بن حماد، (انظر: نفس المصدر، ص.81).

[8] – نفس المصدر، ص.105؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.84.

[9] – كتاب"**جامع البيان وعلمه**"، وكتاب"**الاستيعاب**"، كتاب"**الانتقاء**" وكتاب"**الكفاية في علم الرواية**" وكتاب"**بهجة المجالس وأنس المُجالس**"وغيرها من الكتب.

[10] – **الاستعاب**، ج.1، ص.197، ج.2، ص.64، 66؛ **رياض النفوس**، المصدر السابق، ج.1، ص.387،507-508، ج.2، ص.21-26، 420؛ **المدارك**، ج.3، ص.301 ،323، ج.4، ص. 50، 89،191، ج.5، ص.323، ج.6، ص. 158.

[11] – نقل عن ابن عبد البر بعض من شعر بكر بن حماد في كتابه" **بهجة المجالس**"، (انظر: نفس المصدر، ج.1، ص.143، 158، ج.2، ص.300.

[12] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.65.

[13] – **الأزهار الرياضية**، ق.2، ص.90 من هنا وهناك.

فإنه يستبعد أن يكون بكرا غير مالكي وهو من رثى الخليفة علي بن أبي طالب بأشعار، ورد على الشاعر عمران بن حطان الخارجي بقوله:

قل لابن ملجم والأقـــدار غالبــة   هدمت وَيلكِ للْإِسْلَام أركانــا

قتلت أفضل من يمشي على قدم   وأول الناس إسلامـا وإيمانــا[1]

يظهر ممّا سبق أنّ بكر بن حماد كان مرجعية لفقهاء عصره، ولمن جاء بعده من الفقهاء والمؤرخين، وقد ساهم في مؤلفات غيره من المغاربة والمشارقة وأمدهم بالمادة الخبرية النادرة أحيانا، منها ما تعلق بالأخبار التاريخية التي حدثت في النصف الأوّل من القرن الأول الهجري، تحصل عليها من الرواة الثقات، ويعتبر هو أيضا أحد منهم، فقد ذكره العِجْلِي نزيل طرابلس الغرب في كتابه.[2]

واعتنى كثير من العلماء كذلك بالسنة النبوية فدونوا كتبا تتعلق بها، وبرجالها من الصحابة (رضي الله عنهم) الذين نقلوا عن النبي(صلى الله عليه وسلم) وانتقلت بعدهم إلى كافة النّاس، فحافظوا عليها. وقد اهتم أبو عمر بن عبد البر الأندلسي بتدوين ذلك في كتابه "**الاستيعاب**"، فاعتمد على روايات مشهورة سندها بعض فقهاء المغرب الأوسط. واهتم أيضا بتدوين فضائل بعض أصحاب المذاهب السنية، وشجع على قراءة سيرتهم بقوله:"... فمن قرأ فضائل مالك، وفضائل الشافعي، وفضائل أبي حنيفة، بعد فضائل الصحابة والتابعين، وعني بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم، كان ذلك له عملا زاكيًا، نفعنا الله بحب جميعهم"،[3] وقد" أثني عليه- أبي حنيفة- جماعة من العلماء وفضلوه، ولعلنا إن وجدنا نشطة أن نجمع من فضائله، وفضائل مالك، والشافعي،... كتابا أملنا جمعه قديما في أخبار أئمة الأمصار إن شاء الله"، ثم انتهى لتدوين كتابه"**الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**"،[4] وأورد في مقدمة هذا الكتاب:"اعتمدت في هذا الكتاب-الانتقاء- على الأقوال المشهورة عند أهل العلم بالسير وأهل العلم بالأثر والأنساب وعلى التواريخ المعروفة التي عليها عوّل العلماء في معرفة الإسلام وسير أهله"[5] وكان أبو الفضل أحمد بن قاسم من بينهم. [1]

---

[1] – الصفدي، المصدر السابق، ج.18، ص.174، ج.21، ص.183.

[2] – العِجْلِي(أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي، ت.261هـ-875م)، **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، بترتيب الإمامين تقي الدين أبي الحسن علي ابن عبد الكافي السُّبْكي(ت.756هـ-1355م)، ونور الدين أبي الحسن على بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي(ت.807هـ-1404م) ، مع زيادات الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت.852هـ-1448م)، درا. وتح. عبد العليم عبد العظيم البَستوي، السعودية، 1984م، ج.1، ص.414، ج.2، ص.254.

[3] – ابن عبد البر، **الانتقاء**، ص.6.

[4] – ابن عبد البر، **الانتقاء**، ص.53، 61.

[5] – ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج.1، ص.7.

وممّن اهتم بالمغازي والسير الفقيه أبو عبد الملك إسحاق بن الملشوني، فقد قال عنه أبو العرب:"كان صاحب أخبار ومغاز في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وفي البديء"،[2] كان أمراء بني الأغلب يستدعونه في مجالسهم في شهر رمضان" ليحدثهم بتلك العجائب حتى يقطع بهم طول النهار"، ويدفعون له مقابل جلوسه مالا، علما بأن الإمام سحنون هو الذي نصح الأمير محمد بن الأغلب بذلك لما لا حظ خلو مجلسه في أول يوم شهر رمضان.[3]

ونسب القاضي عياض للبزاز التاهرتي مؤلفا على كتاب "**الموطأ**"،[4] ذكره عقب تأليف الدار قطني في الأحاديث التي خولف فيها مالك قال:" وللبزاز تأليف في نحو هذا".[5] لكن أغفلت المصادر عن ذكره، وهو في حكم المفقود.

واستخرج عبد الملك بن ساخنج من كتاب "**الواضحة**" وكتاب "**الموازية**" ما لم يكن في كتاب"**المدونة**" ولا في "**المستخرجة**" من مسائل.[6] وألف أبو محمد عبد الله بن حمود بن هلوب بن داود بن سليمان التاهرتي الطنجي قصيدة في "**مناسك الحج**" .[7]

واهتم يهودا من قريش التاهرتي اللغوي(ق.4هـ-10م)، باللغة بأنواعها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لكنه لا يعلم مذهبه، إلا أنه برع في اللغة العربية والعبرية والآرامية والبربرية والفارسية ويقارن بينها، وقد ألف كتابه باللغة العربية.[8]

وممّا لا شك فيه أن توسع الرّقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وامتزاج العرب بغيرهم من الأجناس حتم على المؤلفين معرفة اللغات الأخرى حتى يتيسر لهم فهم بعض النّصوص الشرعية، والإطلاع على كل مؤلفات من سبقهم من الأدباء واللغويين والشعراء.

ويحتمل أن التأليف في القرن الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين ببلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة قَلَّ بعد قيام الدولة الفاطمية، وربما يكون ذلك نتيجة إلى مصادرتها للمؤلفات المالكية، لاعتبارها أكبر خطر يهدد المنطقة. وخشي الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي (ت.346هـ-957م) من الخليفة الفاطمي أن يأخذ كتبه التي تقدر بسبعة قناطير كلها بخط يده ماعدا كتابين ويمنع الناس من الانتفاع بها، فحبسها على المسلمين وقسمها أثلاثا، ولم يسلم منها بعد وفاته إلا تلك التي كانت عند

---

[1] – نفس المصدر، ج.1، ص. 9، 16، 20.

[2] – والبديء أي العجيب، (انظر: المالكي(ط.بيروت)، هـ.3، ج1، ص.401).

[3] – أبو العرب، **طبقات**، ص.98؛ المالكي، **رياض النفوس**(ط. بيروت).

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.82.

[5] – نفسه.

[6] – نفس المصدر، ج.6، ص.156.

[7] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.299؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.110.

[8] – عادل نويهض، **أعلام**، ص.61؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، مرا. عثمان بدري، ط.2، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص.349؛ الميلي (مبارك بن محمد)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ج.2، ص.80.

ابن أبي زيد القيرواني أما الثلثين فصادرهما الخليفة.[1] كما أدت فتنة أبي يزيد مخلد بن كداد إلى ترك بعض المهتمين بالتأليف شراء الرق لاختلاط أملاك النّاس في الغنم.[2]

وممّا سبق ذكره يمكن أن نستخلص أن المغرب الأوسط لم يتأثر بشكل كبير بالمذاهب الأخرى (إباضية-الشيعة) التي كانت موجودة بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين. وظهر ذلك جليا في مؤلفات الفقهاء الذين عملوا على ترسيخ المذهب المالكي ونشر العلوم من علوم القرآن والفقه والحديث، وساعدتهم في ذلك عوامل نذكر منها: المدن الساحلية التي بناها الأندلسيون وتمركزوا بها، ومدن الزاب التي يرجع الفضل أيضا للإمام سحنون.

ومهما اختلفت أسباب رحيل فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى القيروان وقرطبة مصر والحجاز، فقد استفاد هؤلاء من كبار شيوخ تلك المناطق ممّن التقوا بهم أثناء رحلاتهم، فأخذوا عنهم بعض العلوم والروايات. وبهذه المعارف التي اكتسبوها منهم استطاعوا أن يقلدوهم في مجالسهم العلمية وفي حلقاتهم، كما برعوا في المسائل الفقهية واستنباط الأحكام عن طريق الفتاوى التي عرفت رواجا أثناء الوجود الفاطمي.

ودونوا مؤلفات رغم قلتها إذا ما قورنت بما ألفه غيرهم في الغرب الإسلامي، إلا أنها متنوعة المواضيع منها ماهو في الفقه والحديث والسير واللغة والشعر، ونقل عنهم من جاء بعدهم من فقهاء المغرب والأندلس وحتى من المشرق في مؤلفاتهم، ورغم أنّ المنطقة كان يغلب عليها المذهب الإباضي ثم الشيعي، وأن أصحاب المذهب المالكي كانوا يشكلون القلة نسبيا.

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.331؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.53؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.12، ص.505.

[2] - اللبيدي، **مناقب الجبنياني**، ص.10.

الفصل الثانـي

الـرحـلات العلميــة

أولا: الرحلة من المغرب الأوسط إلى :

1- إفريقية

2 - المشرق

3- المغرب الأقصى

4 - الأندلس

ثانيا: الرحلة نحو المغرب الأوسط من :

1- الأندلس

2- المغرب الأقصى

3- المشرق

4- إفريقية

الرّحلات العلمية

في الفترة الإسلامية الأولى أصبح المغاربة يشدون الرّحال إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج من جهة وللاستزادة من التفقه على علماء المنطقة والوافدين إليها من جهة أخرى. وبذلك احتلت مكة والمدينة الصّدارة في مستوى المناطق الجاذبة للرّحالة.

واتخذت الرّحلات أشكالا مختلفة حسب الغاية منها، فكانت إما فردية أو جماعية. وقد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية رحلات لم يقم أصحابها بتدوينها، فوصلت إلينا عن طريق نصوص خبرية ذُكرت فيها رحلاتهم، أو رواها عنهم أصحابهم.[1] علما أن أوّل رحلة دوّنت في العهد الإسلامي كانت لابن فضلان سنة 309هـ-922م[2] لمّا أرسله الخليفة العباسي المقتدر(ت.295-320هـ/908-932م) إلى البلغار[3](Bulgars) ليفقه أهلها في الدين الإسلامي، فكتب كل مشاهداته وسماعاته. ثم رحلة أبي بكر بن العربي المعافري(ت.543هـ-1149م)، وهو أوّل من وضع أسس هذا العلم[4] وذلك لاعتبارين اثنين أولهما: تدوينه لرحلته، وثانيهما: عودته إلى بلاده بعلم وفير لم يسبقه إليه أحد حسب شهادته حيث قال:"كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي (ت.474هـ-1081م)". [5] إن انتشار علمهما في بلاد المغرب هو دليل على تفوقهما العلمي على أهل المنطقة. وحسب ما صنّف من أدب الرّحلة عند المغاربة كان الغرض من غالبيتها التّوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج بالدرجة الأولى،[6] واستمر ذلك إلى العهد الزياني ورحلة المقري إلى المشرق وبقائه إلى موسم الحج وأدائه الفريضة ماهو إلاّ دليل على استمرارية الغرض الذي من أجله رحل الفقهاء.[7]

واشتهرت بعض الرّحلات التي قام بها المغاربة منها رحلة أبي بكر بن العربي، ورحلة أبي حامد الغرناطي (ت.565هـ-1170م)، ورحلة ابن جبير (ت.614هـ-1218م)،

---

[1] – حسين مؤنس، "الجغرافيا والجغرافيون"، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، مدريد، 1959- 1960م، مج.7-8، ص.199 وما بعدها؛ إبراهيم كردي علي، **أدب الرحل في المغرب والأندلس**، وزارة الثقافة، سوريا، 2013م، ص.9-10.

[2] – (أحمد بن العبّاس بن راشد بن حمّاد)، **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921م**، تح. سامي الدّهان، دمشق، 1954م، ص.11.

[3] – بُلغار بالضم والغين المعجمة، مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا ينقطع عنها سقوط الثلوج صيفا وشتاءً، أسلم أهلها في أيام الخليفة المقتدر بالله، (انظر: الغرناطي(أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع المازني القيسي الأندلسي، ت.565هـ-1169م)، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تح. إسماعيل العربي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1993م، ص.137 وما بعدها؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.485 وما بعدها).

[4] – المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت.1041هـ-1632م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، طبعة مزيدة ومنقحة، تح. علي عمر، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ج.3، ص.58 وما بعدها؛ إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص.10.

[5] – نفس المصدر، ج.3، ص.59.

[6] – علي إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص.40 وما بعدها.

[7] – عبد القادر شرشار، "كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري"، **مجلة التراث العربي**، دمشق، ع.98 جمادي الأوّل 1426هـ- حزيران 2005م، س.25، ص.185 وما بعدها.

ورحلة العبدري (ت.700هـ-1301م)[1]، ورحلة ابن رشد (ت.721هـ-1321م)، ورحلة التُجيبي (ت.730هـ-1330م)[2]...وغيرهم ممّن صنف في أدب الرحلة[3]، جابوا الأرض مشرقا ومغربا فدوّنوا رحلاتهم في مصنفات اتخذها من جاء بعدهم مصدرا من مصادر كتبه، فنقلوا عنها حوادث وتراجم لعلماء وحكّام غفل عنها من اختص بتدوينها، كما أنها تعتبر ثروة فقهية لاحتوائها العديد من النوازل. ومن الرّحالة من حمل كتاب غيره في رحلته واسترشد به[4]، بينما اهتم آخرون باختصارها.[5] وقام الفقيه ابن فكون القسنطيني(حي بعد سنة 602هـ-1206م)[6] برحلة بين مدينتي قسنطينة[7] ومراكش،[8] وزار بجاية فأحسن وصفها،[9] وكتب بها قصيدة قيّدها العبدري في كتابه"**الرّحلة المغربية**"[10]

[1] – يرى محمد الفاسي ناشر طبعة الرباط أن العبدري سمّى رحلته ب "**الرحلة المغربية**" والمقصود منها أنه قطع كل البلاد المغربية برًا ليس مثل الرحالة ابن جبير مثلا، (انظر: كتاب **المحاضرات الثقافية الأسبوعية**، ج.1، ص.14، 1969م نقلا عن علي إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص.86).

4- اختلفت تسمية مصنفات الرحلة فكل مؤلف يضع عنوانا يناسب رحلته فابن العربي سمّاها "**ترتيب الرحلة للترغيب في الملة**"؛ والغرناطي دوّنها في كتابين الأوّل:"**تحفة الألباب ونخبة الأعجاب**" والثاني: "**المعرب عن بعض عجائب المغرب**"؛ وابن جبير سمّاها"**رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**"؛ والعبدري "**الرحلة المغربية**"؛ ابن رشد" **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**"، طبع جزء من رحلة التجيبي بعنوان"**مستفاد الرحلة والاغتراب**"، حاولت المستشرقة راشيل أرييه في مقالها عن الرحالة المغاربة تبين فيه غرض الرحلة والمسالك ومسالكها...ووضعت سحر عبد العزيز سالم تعليقات جد مهمة على هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق بانتشار الإسلام في الأماكن البعيدة التي قصدها هؤلاء، وإلى أهمية الملاحة البحرية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، كما أنّها لم تُصب في نسب بعض رحلات إلى أصحابها، (انظر: سحر عبد العزيز سالم، "رحالة من المغرب إلى المشرق"، **ضمن كتاب الأندلس والبحر المتوسط**، غرناطة، 1995م، ص.167-191).

[3] – لقد تحدث المستشرق الجغرافي كراتشفسكي عن أهمية الأدب الجغرافي العربي بقوله:"إذا حاولنا حصر مزايا الأدب الجغرافي العربي وعيوبه فإنه يجب الاعتراف على أية حال بأهميته العلمية القصوى والتنوع الكبير في فنونه وأنماطه"، (انظر:(اغناطيوس يوليانوفتش)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، مرا. إيغور بلياييف، جامعة الدول العربية، 1957م، ج.1، ص.24-25).

[4] – ابن بطوطة(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت.779هـ-1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تق. وتح. ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي، المملكة المغربية، المغرب، 1997م، ج.1، ص.64.

[5] – نفسه.

[6] – لم يشر العبدري إلى تاريخ وفاته وحسب النص فإنه مجهول المولد والوفاة، وهذا ما أورده المحقق في هـ.4 إذ أنّه لم يقف على تاريخ وفاته ورجح أنها كانت في بداية القرن السابع، (انظر: المصدر السابق، ص.96؛ المقري، **أزهار الرياض**، مج.3، ج.4، ص.259).

[7] - هي مدينة كبيرة قديمة، حصينة، بينها وبين القل مرحلتان، وهي آخر مدينة بجاية وأوّل إفريقية، تقع بين مدينة تيجس وميلة، (انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص.121-125،122؛ **الاستبصار**، المصدر السابق، ص.165؛ الحميري، المصدر السابق، ص.480-481).

[8] – حاضرة بلاد المغرب، شمال أغمات أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ-1067م، وبنى سورها ابنه علي سنة 514هـ-1120م، وسقطت في يد الموحدين سنة 541هـ-1147م، (انظر: **الاستبصار**، المصدر السابق، ص.208-209؛ الحميري، المصدر السابق، ص.540).

[9] – مدح بني عبد المؤمن ببجاية، وله قصيدة مطلعها:

دَع العِرَاق وبَغْدَادَ وشَامِهَا فالنَّاصِرِيَة مَا إنْ مِثْلهَا بَلَد

أيضا:

حي الدار للفِكر والأبْصَارِ تتقد إن تَنْظُر البر فالأزهار يانعة

لا يعرف تاريخ وفاته إلاّ أنّه كان حيا سنة 602هـ-1206م، (انظر: العبدري، المصدر السابق، ص.95؛ الغبريني، **الدراية** (ط. الجزائر)، ص.160 وما بعدها؛ الحفناوي(أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي، ت.1334هـ-1906م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، **مطبعة بيير فونتانة الشرقية**، الجزائر، د.ت ، ق.2، ص.124؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.253-254).

[10] – نفسه؛ الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)؛ عادل نويهض، **أعلام**.

والغبريني (ت.714هـ-1314م) في كتابه "**الدّراية**"،[1] وكانت رحلته متأخرة بالنسبة للرّحالة المغاربة.

ورحل عدد من فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى مدن مغربية ومشرقية واختلفت مدة الاغتراب من فقيه إلى آخر، فاستغرقت عدة أشهرا أو سنة أو تزيد. وكان الغرض من هذه الرّحلات التّفقه وحضور مجالس كبار مشايخها طمعا في الحصول على إجازة، وإثراء مكانتهم العلمية بين نظرائهم وأهلهم، وإبراز مستواهم في شتى العلوم كالفقه والأصول وعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة من نحو وأدب كلٌ حسب اختصاصه. فقد زاروا خلال رحلاتهم مناطق مختلفة واكتشفوا طرقا ومسالكا، وتعاملوا مع عامة النّاس وخاصتهم وأسندت إليهم بعض المناصب، وتحّملوا أثناءها متاعب وصعاب غير مبالين بمشقتها، فرووا قصصا امتزجت فيها الحقيقة بالخيال، وقد شارك بعضهم في الحروب الصليبية.

وحضر عدد من مالكية المغرب الأوسط، من الصعب إحصائهم، مجالس الفقهاء مغربا ومشرقا فسمعوا وقرأوا عنهم، وتحصلوا منهم على إجازة لهم ولأهل بلدهم عن تآليفهم، وتعرفوا على فقهاء من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة. فقد ذكرت كتب التراجم والفهارس والبرامج رحلات إلى المشرق قام بها فقهاء المغاربة عامة، وفقهاء المغرب الأوسط خاصة من مالكية وشافعية[2] غالبيتها قُورنت بالعلم.

واختلفت أسباب وظروف رحلة الفقهاء إلى البلدان الأخرى، فمنها من كانت نتيجة للأوضاع الداخلية طاردة للبلاد تجبره للرحيل، كهروب بعضهم عند دخول جيش عبد المؤمن ابن علي الموحدي(524-558هـ/1130-1163م) بجاية والاستيلاء عليها سنة 547هـ-1153م، أو للجهاد أو للتجارة والتفقه معاً، فعادة ما يعود طالب العلم إلى وطنه محمّلا بكتب كثيرة وعلم وفير ينشره بين أهل بلده[3] ، وقد يستقر في إحدى المدن حتى وفاته أو يبقى ملازما لأحد الشيوخ.

---

[1] - **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.160.

[2] - رحل بعض الفقهاء الشافعية إلى المشرق لانتشار مذهبهم هناك، فالفقيه علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي(ت.551هـ-1156م) من كبار فقهاء المذهب بالقلعة الحمادية، استوطن العراق وأخذ عن كبار فقهائه، ثم انتقل إلى خرسان وتوفي بأسفرائن، قال عنه السمعاني أنّه:" إمام فاضل عالم بالمذهب بحر في الحساب"، (انظر: ابن العماد الحنبلي(شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي، ت.1089هـ-1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تح. وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، وتح. وتع. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، 1986م، ج.6، ص.263؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.267).

[3] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.89؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.124-125؛ الذهبي، **المستملح**، ص. 283، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.55.

أولا: الرّحلة من المغرب الأوسط إلى:

1- إفريقية

منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي أصبحت القيروان أكثر المناطق الجاذبة لطلاب العلم من المغرب والأندلس لكونها أقدم مركز إشعاع في بلاد المغرب منذ تأسيسها على يد الفاتح عقبة بن نافع إلى أن توقفت بعد خربها من طرف الهلاليين[1]. ورصدت لنا كتب التراجم والطبقات عددا لا بأس به من مالكية المغرب الأوسط الذين قصدوها إما للتّعلم أو للاستقرار أو للعبور منها إلى مدن المشرق، فهي بوابة المشرق ومقاما لعلماء أندلسيين ومغاربة الذين حطوا الرّحال بها لاشتهارها بعلماء أفذاذ منذ دخول المذهبين السّنيين الحنفي والمالكي إليها.

وتخوف بعض مالكية بلاد المغرب من الرّحلة إلى افريقية أثناء الوجود الفاطمي، وبدأ هذا الهاجس يزول بعد رحيل الفاطميين إلى المشرق، وانفصال الزيريين عنهم بعد رفضهم المذهب الشيعي. ولذا يمكن القول أن الزيريين كانوا أتباع المالكية. ثم انفصل الحماديون عن الزيريين وتسلّم حماد ولاية أشير منهم سنة 395-1005م[2] وكل المناطق التي يتم استرجاعها من الزناتيين[3] شريطة أن لا يدخل حماد القيروان حسب قرار باديس،[4] ويحتمل ما فعله هذا الأخير هو مكافئة حماد على الانتصارات التي حقّقها ضد الزناتيين من بني يفرن ومغراوة،[5] الذين كانوا يشكّلون الخطر الأكبر على المنطقة، أو ليتخلص من الحروب التي كانت تهدد المغربين الأوسط والأدنى[6]، وينطبق قول القائم في شأنها:"مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر".[7] أو لانشغاله

---

[1] – سمّاهم إسماعيل العربي ب"الغزاة"، (انظر: **دولة بني حماد**، ص.138).

[2] – اختلفت الدراسات حول تاريخ استقلال الحماديين عن الزيريين إلى ثلاثة أراء أولها: أنه سنة 395هـ-1005م وهي بداية انفصال الحماديين عن بني عمومتهم وأصحاب هذا الرأي علاوة عمارة، ثانيها: في سنة 398هـ-1108م وهو بناء القلعة الحمادية أما ثالثها: سنة 405هـ-1015م لمّا خرج حماد عن طاعة معز بن باديس، (انظر: "الحكم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي(395-547هـ/1004-1152م)"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،ع.4، رمضان 1425هـ-أكتوبر 2004م، ص.265؛ عبد الحليم عويس، "العلاقات بين بني حماد والمسيحيين"، **مجلة الأصالة**، ع.89-90، س.10، صفر-ربيع الأول/جانفي فيفري، 1981م، ص.142؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.137 وما بعدها).

[3] – النويري، المصدر السابق، ص.324؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.227؛ ابن الخطيب، **القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح. وتع. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ق.3، ص.69.

[4] – ابن الخطيب، نفس المصدر.

[5] – القبيلتان هما من بطون زناتة، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.102-103؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.111).

[6] – النويري، المصدر السابق، هـ.49، ص.324.

[7] – نفس المصدر، ص.304-305.

بالمجــاعة التي شهدتها افريقيـــة في تلك الفترة[1] والتـي تسببت في موت الكثير من أهل الـــعلم والتّجار والنّســاء والصّبيـان وهجرة البعض منهم إلـــى جزيرة صقلية[2].

واختط حماد القلعة سنة 398هـ-1008م [3]بجبل كتامة، أو جبل عجيسة حسب ابن خلدون[4]، وهما منطقتان مختلفتان حسب الداودي،[5] ونقل إليها أهل المسيلة وحمزة وخربهما[6]، وقبائل جراوة[7]، فكثرت بها المساجد التي كانت بمثابة دور للعلم ومقصدا للطلاب من أقاصي الأقطار، والفنادق والأسواق فعجت بالتّجار والصّناع وأصحاب الحرف من كل الأقطار. لكن علاقة حماد بباديس لم تدم طويلا فقد سعت بطانة هذا الأخير لإفسادها[8]. وازدادت تفاقما لمّا رفض حماد التّنازل على عمل تيجس[9] والقصر الإفريقي[10] وقسنطينة[11] لولده المنصور ولي العهد "عزيز الدولة"[12]، وبعد سماع حماد أخيه إبراهيم ما كان من ابن أخيهم باديس، وتشجيعه على الخلاف الحاصل بينهما[13]، أجبر على نقض الولاء له.

خلع حماد لباديس وأظهر له العصيان، واستولى على الأموال والعدّة التـي كانت بيد هاشم ابن جعفر وهو بقلعة شقنبارية[14] بعد حرب جرت بينهما[1]. وخالف الدعوة الفاطميـــة[2]،

---

[1] – نفس المصدر، ص.328.

[2] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.257.

[3] – عزا ياقوت الحموي القلعة– قلعة أبي طويل– إلى ملك بني حماد بلكين بن يوسف الملقب بُلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وهو:"أوّل من أحدثها في حدود سنة 370هـ-981م"، ثم يضيف"إنّما اختطها حماد لتّحصن والامتناع"، (انظر: **البلدان**، ج.4، ص.390؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.227). وعن موقع أشير والقلعة وبجاية، انظر: الملحق رقم (10).

[4] – حول عجيسة، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.59؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.226)؛ وفصل الباحث علاوة عمارة في دراسته من خلال المصادر عن قبيلة عجيسة، (انظر: Allaoua (A.), **Texte méconnu**, p.357-358).

[5] –(أبو جعفر أحمد بن نصر، ت.402هـ-1012م)، **الأموال**، درا. وتح. محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، مركز الدراسات الفقهية، دار السلام، 2001م، ص.235.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.227 .

[7] – نقل حماد أهلها إلى مدينة أشير، (انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.226 و ج.7، ص.12). ويقصد بها جراوة مكناسة لأنّ القبائل البربرية التي حولها هي: مطغرة وبني يفرن وغيرها، (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص86، 162-163).

[8] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.86؛ النويري، المصدر السابق، ص.330؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.261؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.228.

[9] – هي مدينة قريبة من تيفاش، لها ربض وأسواق وجامع وحمام، وتسكنها قبائل بربرية وهي: نفزة، وورغروسة، وبنو ونموا كزيانة وهم من زناتة، وكانت بين الأمير محمد بن الأغلب وأهلها وقعة مشهورة، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.63، الحميري، المصدر السابق، ص.146).

[10] – ويعرف بالقصر الكبير موجود برباط المنستير بناه هرثمة بن الأعين سنة 180هـ-796م، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.36، 84؛ الحميري، المصدر السابق، ص.551).

[11] – نفسه؛ النويري، المصدر السابق، ص.329؛ عند ابن عذارى"عمل أبي زعبل قصر الإفريقي ومدينة قسنطينة"، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.261)؛ أمّا عند ابن خلدون "تيجست وقسنطينة"، (انظر: المصدر السابق، ج.6، ص.209،228).

[12] – في سنة 405هـ-1015م أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمي رسلان هما: عبد العزيز بن أبي كدية وأبو القاسم بن الحسين إلى المنصور بن باديس يحملان خلع سنية وسيف مكلل وسجل بولاية ما يتولاه ابنه في حياته وبعد وفاته ولقبه بعزيز الدولة، (انظر: النويري، المصدر السابق، ص.329).

[13] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.86؛ النويري، المصدر السابق، ص.330.

[14]– نفس المصدر، ج.8، ص.87؛ شقنبارية،(انظر: **الاستبصار**، ص.164)؛ النويري، المصدر السابق، ص. 330.

وقتل عدد من الرّافضة[3] بالقلعــة، وأظهر بذلك اتجاهه السنـــي، فرضي عن الشيخين أبي بكر وعمر- رضي الله عنهمـــا-، وأصبحت الدعوة لآل عباس ابتداءً من سنة 405هـ-1015م،[4] ثم زحف نحو باجة مقاتلا بعدما أمنهم وطمأنّهم[5]، واستطـــاع أن يحرّض أهل مدينة تونس بالقيـــام بثورة ضد المشـــارقة الرافضـــة[6].

وممّا لا شك فيه أنّ رواية أبي الطاهر الفارسي عن أبي علي حسن[7] أنّه:"قيل للمؤدب- محرز بن خلف- ما الذي تراه بهذا السلطان بالمغرب وبالمشارقة قد قتلوا ونحن قعود..."[8]، يبدو أنّ السلطان هو حماد لأنّه الوحيد الذي تجرأ على قتل الرافضة[9]، وفي رواية ابن خلدون(ت.808هـ-1406م) أنّ حماد:"دسّ إلى أهل تونس الثورة على المشارقــة والرافضــة" فحمل أهل تونس على تقتيل هؤلاء لتطهير الأرض منهم ومن أعمالهم[10]، لكن باديس حين بلغه الخبر قال:" تكون الأرض ولا تكون تونس"،[11] وتراجع عن الخروج إليهم إمّا خوفا من أبي محرز بن خلف الزاهد أو هذا الأخير وحماد اللذان إشعالا نار الفتنة.

حاول حماد تحسين علاقته بباديس فأرسل له كتبا تنفي خروجه عن الطاعة[12]، لكن دون جدوى،[13] بسبب ما قام به نحو مدن المغرب الأوسط. التي عادت بالنفع على باديس، فقد كسب ثقة أهلها، وانضم عدد كبير من جند حماد[14] إليه الذي كان معظمه من التلكاتيين[1]،

---

[1] - نفس المصدر، ج.8، ص.86؛ وطمئن إبراهيم ابن أخيه باديس على قبول حماد هذا الطلب وقال له:"يجد سيّدنا من عبيده أفصح له ولا انهض بخدمته"، فضمن له ذلك ويكون ما طلبه في أقل من 20 يوما، (انظر: النويري، نفس المصدر؛ أما رواية ابن عذارى نصها:"لا يجد مولانا عبدا من عبيده أنهض بخدمته مني"، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.261).

[2] - وحسب بعض النصوص فإنّ القائد بن حماد رجع إلى طاعة العبيديين لما نقم منه المعز بن باديس، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.25؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.229؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.141؛ موسى هصام، المرجع السابق، ج.2، ص.589).

[3] - حسب عباس الجراري المقصود بالرفض هو التشيع، ويطلق اسم الرّوافض على الذين رفضوا بيعة الأمويين والعباسين، وليس على الذين رفضوا الرسالة المحمدية كما زعم غلاة من خصومهم، وقال الشافعي:

وإن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

(انظر: عباس الجراري، **لماذا لم يتشيع المغاربة؟**، ص.91).

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.228؛ Launois (A.), op. cit., p. 134

[5] - ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.86؛ النويري، المصدر السابق، ص.330؛ Ibid, p.135.

[6] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.228؛ موسى هصام، المرجع السابق، ج.2، ص.583؛ Ibid, p.134.

[7] - لم يعثر على ترجمته.

[8] - أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.133.

[9] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.228.

[10] - أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.133.

[11] - وقال المؤدب محرز:" تكون الأرض ولا يكون باديس"، (انظر: أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.155).

[12] - ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.86؛ وذكر النويري أنّ حمادا أرسل كتابا مع أبي مغنين الوتلكاتي يذكر فيه أنه على الطاعة، (انظر: المصدر السابق، ص.331؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.99).

[13]- نفس المصدر، ج.8، ص.86-87؛ نفس المرجع، ص.100.

[14] - نفس المصدر، ج.8، ص.87؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.149.

وبني توجين.[2] وعاقب إبراهيم من بقي بالقلعة من الأطفال والنّساء،[3] ويبدو أنّ طلب الطاعة ماهو إلا تمويه استعمله حماد فالنية لم تكن صادقة فلو كانت عكس ذلك لسلّم المناطق التي طلبها منه باديس.

منح باديس أهل المسيلة العدل والأمان فاستقبلوه أحسن استقبال وفرحوا بقدومه، وأرسل جيشا إلى القلعة فخربها. واستمر في محاربة حماد تحت شعار"إما الصّبر أو الموت"،[4] فاشتد غضب حماد وكراهيته لأهل دكمة[5] فاتهمهم بجناية لم يقترفوها فقتل منهم ثلاث مائة رجل، وكلّفت الفقيه أحمد بن أبي توبة[6] حياته في وعظ وتخويف حماد بالله[7] بقوله:" يا حماد إذا لقيتَ الجيوش انهزمت وإذا قادمتك الجموع فررت وإنّما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك"،[8] فضرب عنقه وفعل نفس الشيء مع شيخ صالح من المدينة لمّا أراد أن يعظه بهذا القول:" ياحماد!اتق الله! فإني حججت حجتين!" فقال له:" أنا أزيدك عليها!"[9]، ولم ينجو التجار الغرباء من حماد فقد عاقبهم لمحاولتهم الدفاع عن أهل المدينة بقولهم:"نحن قوم غرباء، ولا ندري ما جنى أهل هذه المدينة عليك "فقال لهم:"اجتمعوا وأنا أعرفكم!" واجتمع معهم غيرهم ممّن يريد الصلاح فقتلهم جميعا.[10]

لقد بالغ حماد في استعمال العنف ضد سكان المغرب الأوسط، وإلا كيف نفسر طلب قضاة وأعيان أشير من كرامت بن المنصور البقاء بعد وفاة أخيه باديس وانتصاره على عمّه حماد. وقد كلف عددا كثيرا منهم القتل،[11] عاقبهم حماد لمّا منعوه من دخولها سابقا. إنّ المنصور وباديس استعملا العدل واللّين مع عامة الناس وخاصتهم في كل من المغربين

---

[1] – بطن من قبيلة صنهاجة أي من الزيريين والحماديين، وامتدادها من شرشال إلى مرسى الدجاج ومن وادي شلف إلى القبائل الكبرى ومن وادي شلف إلى البيان وناحية الحضنة تتولى شؤون أشير ومليانة والجزائر والمدية وحمزة والمسيلة، (انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.63،54 ؛ رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص9،158؛ Allaoua(A.), **Texte méconnu**, p.355).

[2] – نفس المصدر، ج.6، ص.208؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.149.

[3] – ابن الاثير، **الكامل**، ج.8، ص.87؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.263؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.149؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.102.

[4] – نفسه.

[5] – هي مدينة من المغرب الأوسط، من أعمال بني حماد، تقع على نهر كبير ذات مزارع ومسارح، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.54؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.459).

[6] – لم يعثر على ترجمة له.

[7] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.265؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.105.

[8] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.87؛ واختلف نص الرّواية عند ابن عذارى في قول ابن أبي توبة:" ياحماد! إذا لاقيت الجموع هربت منها، وإن قاومتك الجيوش فررت عنها! وإنّما قدرتك وسلطانك على أسير يكون في يدك لا ناصر له عليك!"، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.264–265).

[9] – نفس المصدر، ج.1، ص.265.

[10] – نفسه.

[11] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.89.

الأوسط والأدنى، لذلك كسبوا ثقتهم ومحبتهم فوقفوا معهم في حروبهم وأخذوا منهم الشرعية في قتال حماد ومطاردته.

وما يستغرب من نص عبد الواحد المراكشي(ت.625هـ-1228م) أنه أشار إلى كون حماد وأحفاده كانوا من شيعة بني عبيد وأتباعهم والقائمين بدعوتهم،[1] فهذا الأمر مستبعد لأنّ عبد الواحد المراكشي يؤرخ للدولة الموحدية الناشئة على حساب الأخرى الآيلة للسقوط، وإذا سُلّم بصحة هذه الرّواية التي يتم النفي عن حماد ما ذكره ابن حزم (ت.456هـ-1064م) وابن الخطيب(ت.776-1375م) من أنه اهتم بالعلم فقرأ الفقه في القيروان ونظر في كتب الجدل[2]، لكن المصادر المستخدمة في هذا البحث أغفلت ذكر شيوخه الذين تتلمذ عنهم، وكان محافظا على السّنة فكان يصوم شهري رجب وشعبان ولا يشرب الخمر[3]. كما أولى حماد اهتماما كبيرا للعمران فأكثر من بناء المساجد والفنادق والقصور والقصاب المنيعة والبساتين الأنيقة، التي أصبحت مقصدا لطلاب العلم وأصحاب الصناعات والحرف من جميع الأقطار،[4] قد أثر الفن الصنهاجي بالفن المشرقي من عراقي وفارسي ومصري... حسب المستشرق مارسيه[5] والأندلسي. وقد وصف ابن الخطيب حمادا بقوله:"... حماد نسيج وحده، وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا ثبتًا وداهية حصيفا"[6]، لكن ميله للقتال والتوّسع في المغربين الأوسط والأدنى طغت معاملته أطياف النّاس، ويتجلى ذلك في ما فعله مع أهل باجة وأشير ومسيلة ودكمة وباغاية التي لم تنج هي أيضا من أفعاله التعسفية فقد عاتب أهلها بشن غارات عليها.

ممّا لا شك فيه، أن بعض النّصوص المتعلقة بحماد تصفه بالسياسي والمحارب الدموي، وبعضها الآخر يصفه بالقاضي العادل، فقد حكم في قضية الشيخ الذي خرج مع زوجته الشابة قاصدين قلعة بني حماد صحبة شاب، اتفق مع زوجة الشيخ على الإدعاء بأنّها زوجته...فاستطاع حماد كشف الحقيقة بسهولة لتضلعه في علم الجدل.[7] فعاقبهما على فعلتهما.

---

[1] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.174.

[2] – ابن الخطيب، **أعلام**، ق.3، ص.85.

[3] – ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت.456هـ-1064م)، **رسائل ابن حزم**، تح. إحسان عباس، ط.2، المؤسسة العربية للدّراسات، لبنان، 1987م، ج.2، ص.91.

[4] – ابن الخطيب، **أعلام**، ق.3، ص.71.

[5] – جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر. محمود عبد الصمد هيكل، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص.216؛ رشيد مصطفاي، "بجاية في عهد الحماديين"، **مجلة الأصالة**، س.1، ع.1، محرم 1391هـ- مارس 1971م، ص.86؛

[6] – **أعلام**، ق.3، ص.86.

[7] – الرّواية الكاملة عند البكري، **المسالك**، ص.184 وما بعدها؛ عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.207.

وقضية ابنة صديق له نشأ معه بالقيروان وكانا متلازمين في أُنسهما، إلى أن أصبح حماد حاكما، الأمر الذي جعلهما يفترقان عن بعضهما البعض وصعب وصول أحدهما إلى الآخر، وقد فاق دهاء ابنة صديقه دهاءه باعترافه حيث قال:"ما تداهى أحد قط على ولا خدعني إلا امرأة وكعاء من البربر"، استطاعت أن تتخلص من نفسها فكرت بخدعة فكانت سبب هلاكها[1].

وممّا سبق ذكره قد يُطرح تساؤلا لماذا عرضت هذه الوقائع؟ يبدو أن بعضها له علاقة برحيل بعض مالكية المغرب الأوسط إلى إفريقية هروبا من هذه الأحداث التي كان حماد بطلها. وهو ما أدى بالباحث الشاذلي بويحي بوصف المغرب الأوسط بأنّه"مسرح للحروب المستمرة التي خاضها الأمراء الثلاثة الأولى من الصنهاجيين"[2]، وانتهت بمعاهدة سلام سنة 408هـ-1018م بين حماد والمعز وباعتراف هذا الأخير بالدولة الحمادية.

وبفضل تصرفات الزيريين تشجع الفقهاء والأدباء على الرحيل إلى دولتهم والعيش في كنفها بل منهم من عاش في بلاط أمرائها، وقد وصف البرزلي(ت.841هـ- 1438م) إفريقية بأنها:"مشهورة بالفقه قديما وحديثا إلى أن أضر بها العرب"،[3] واستقطابها للفقهاء وغيرهم ماهو إلا تأكيد للدور الذي قامت به في المجال العلمي والمعرفي.

فقد قصد العديد من فقهاء المغرب الأوسط إفريقية منهم: أبو محمد عبد الكريم النهشلي التميمي المسيلي (ت.405هـ-1015م)،[4] الذي دخل القيروان ودرَس عن علمائها، ومدح المنصور وابنه باديس اللذان كان يسرُّهما حضوره بالبلاط ومرافقته لهما حروبهما بالمغرب الأوسط.[5] وتعلم أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد التميمي التاهرتي (ت.420هـ-1029م) المشهور بابن الرَّبيب وبالقاضي التاهرتي عن كبار علمائها.[6] كما عاش أبو الحسن علي بن أبي

---

[1] – الرواية عند البكري، المسالك، ص.187-188؛ الحميري، المصدر السابق، ص.77،471؛ لخضر بولطيف، "ملامح المنظومة القيمة للمجتمع القلعي الحمادي منطلقات الفكر وأنماط السلوط"، **ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م**، أيام 9-10-11 أفريل 2007م، مسيلة، ص.364.

[2] – الشاذلي بويحي، **الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري الدولة الصنهاجية 362-555هـ/973-1160م)**، تر. محمد العربي عبد الرزاق، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة"، تونس، 1999م، مج.1، ص.48.

[3] – البرزلي، المصدر السابق، ج.5، ص.349.

[4] – ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن بن رشيق، ت.463هـ-1071م)، **كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه**، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، 2003م، ص.553؛ Chadly (B.),‹‹ Le Livre de Abd Al-Karim Al-Nahšali ″Retrouvé″›› , **Arabica**, T. X, pp.(237-252).

[5] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.16.

[6]– الصفدي، المصدر السابق، ج.12، ص.148-149؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.525؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.158؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957م، ج.1، ص.582؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.188 وما بعدها.

الرّجال التاهرتي القيرواني (ت.426هـ-1035م) في بلاط الزيري حتى وفاته. [1] ولازم أبو عبد الملك مروان بن محمد البوني ابن أبي زيد القيرواني. [2] ونزل أبو علي حسن بن رشيق المسيلي(ت.456هـ-1064م)[3] القيروان أيضا.[4] وتأدب أبو موسى عمران ابن إسماعيل بن تميم الدّارمي(ت.415هـ-1024م) المشهور بابن القاضي المسيلي بالمنصورية.[5] ولا يمكن حصر عدد من عبر إفريقية من أجل الرحلة العلم أو أداء فريضة الحج،[6] مثل أبو الطيب أحمد بن الحسين المهدوي المسيلي(ت.538هـ-1144م).[7]

تسببت قطيعة الحماديين والـزيريين للفاطميين في تزايد انتشار الـمذهب المالكي. فقد وضع حكام القلعة بعد حماد ثقتهم في فقهاء المالكية فقربوهم إليهم ومنحوا لهم مناصب إدارية عليا في الدولة. وفي سنة 438هـ-1047م أرسل القائد بن حماد (419-446هـ/1028- 1054م)[8] الفقيه أبو الـقاسم بن مـالك رسولا إلى الـمعز بن بـاديس في الـقيروان لإنابته فمثّله أحسن تمثيل. ونقل الـقاضي عياض نصا من تـاريخ ابن شرف الـقيروان (ت.460هـ-1068م) واصفا فيـه الفقيـه حيث قال أنه"...خـاطب بأبلـغ خطاب وأحسنه وألـطفه، ولـقي مسرة من السلطـان..."، [9] إذ أنّ مـا كـان يهم الفقيـه هو نجاحـه في مهمتـه التـي كُلف بالقيـام بهـا، ولـم يهتم بطلب نفقـة سفره... [10]

---

[1] – تاريخ وفاته موجود على شاهد قبره، وهو شاهد حجري محفوظ لمعهد الآثار والفنون بتونس، وإلى ابن أبي الرجال كتب الحسن بن رشيق كتابه"**العمدة**" وكانت تجمعه به روابط الانتماء إلى الوطن من جهة، وباعتباره "زعيم الكرم وواحد الفهم الذي نال الرياسة وحاز السياسة وانفرد بالبسط والقبض واتّحد في الإبرام والقبض" من جهة أخرى، ذكره في عدة صفحات، (انظر: ابن الرشيق، **العمدة**، ص.11 وهنا وهناك؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، ص.170؛ بشير خلدون، **الحركة النقدية على أيام ابن الرشيق المسيلي**، طبعته وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص.22).

[2] – ابن خير الاشبيلي(أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، ت.575هـ-1180م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، المصدر السابق، ص.76، 392؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.61؛ الضبي، المصدر السابق، ص.402؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.339؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ج.1، ص.274؛ المنتوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، ت.834هـ-1431م)، **فهرسة المنتوري**، درا. وتح. محمد بنشريفة، الرابطة المحمدية للعلماء مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث سلسلة التراجم والفهارس والتراجم والرحلات، المملكة المغربية، 2011م، ص.259.

[3] – اختلف في تاريخ وفاته بين سنة 456هـ-1064م وسنة 463هـ-1071م، (انظر: ابن الرشيق، **أنموذج، الزمان في شعر القيروان**، جمع وتح. محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م. ص.5-12، 439-442).

[4] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.191 وما بعدها من عدة صفحات.

[5] – نفس المرجع، مج.1، ص.305؛ والمنصورية مدينة بناها المنصور بن القائم سنة 337هـ-949م، وسماها باسمه بعد ، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.25؛ مجهول، **الاستبصار**، ص.151).

[6] – ورُصد عدد فقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى افريقية وقد يزيد عددهم، انظر: الملحق رقم (11).

[7] – ابن دحية (ذو النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن (ت.633هـ-1236م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح. إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، لبنان، 1955م، ص.41-45؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.318.

[8] – ذكر ابن عذارى انه توفي سنة 441هـ -1050م، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص. 278).

[9] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.78.

[10] – نفسه.

يبدو أن حكام القلعة بعد حماد غيّروا سياستهم الخارجية مع دول بلاد المغرب فأكسبتهم ثقة حكامها وفقهائها، وظهر ذلك جليا في عهد الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م) وابنه المنصور(481-498هـ/1088-1104م)، اللذان استطاعا بحنكتهما القضاء على الفوضى التي كانت تهدد الأمن الداخلي للدولة،[1] وعملا على توسيع حدود الدولة من الناحية الشرقية فوصل نفوذها إلى القيروان وتونس،[2] وضمنت ولاء عدّة مناطق جنوبية منها بلاد قسطيلية ووارجلان[3] وازدهر العمران الذي تأثر بالحضارة الأندلسية والمشرقية.

إن إبرام اتفاقية صلح بين الحماديين والزيريين سنة 470هـ-1078م من ناحية، وزواج الناصر بن علناس من بلارة ابنة تميم بن المعز(453-501هـ/1061-1108م) التي بنى لها قصرين أحدهما بالقلعة والآخر ببجاية وسماهما باسمها من ناحية أخرى،[4] أدى إلى انطفاء نار الفتنة التي كانت بينهما، وزالت العقبة التي كانت تقف في وجه الحماديين والزيريين والخلفاء الفاطميين من جهة والقبائل الزناتية وبطون عجيسة من جهة أخرى.

2-المشرق

أوردت المصادر نصوصا إخبارية حول رحلات فقهاء المغرب الأوسط إلى المشرق لأداء فريضة الحج أو للتّفقه والتعّلم والاستفادة من فقهائه، أو هروبا من الشيعة التي كانت تطارد المالكية حيث ما وجدوا.[5]

وقد ساهمت رحلة فقهاء المالكية المغاربة عامة وبشكل كبير في انتقال روايات فقهاء المغرب الأوسط إلى الإسكندرية، التي كانت همزة وصل بين المغرب والمشرق، وإلى بيت

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.227 وما بعدها.

[2]– ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.377؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ عبد الحليم عويس، "بجاية الجزائرية، وريثة القيروان وحاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون"، **مجلة الدارة**، ع.3، س.8، ربيع الثاني- جمادى الأول- جمادى الآخرة 1403هـ، جانفي – فيفري- مارس، الرياض، 1983م، ص.163.

[3] – عن إشكالية توسع الفضاء السياسي للدولة الحمادية، (انظر: Allaoua (A.), **Pouvoir, économie et société dans le Maghreb Hammadide**, thèse de doctorat, Université Paris Sorbonne, 2002, vol.I, p. 202-218. نقلا عن علاوة عمارة، **مكانة الفكر العقدي**، ص.102).

[4]– ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.415؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.300؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ عبد الحليم عويس، **بجاية الجزائرية**، ص.197؛ لخضر بولطيف، **ملامح المنظومة**، ص.363.

[5] – الزبيدي، **تاج العروس**، ج.14، ص.386 مادة"وبر"؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.208؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.137.

المقدس الذي نزله العديد منهم، فروايات السّماع والإقراء الموجودة على المخطوطات ماهي إلا دليل على انتقال مؤلفات فقهاء المغرب الأوسط إلى المشرق وحضورها[1] في مجالس أشهر فقهائه في تلك الفترة كابن عساكر(ت.571هـ-1176م) وأبي طاهر السّلفي (ت.576هـ-1181م).

وذكر ابن بشكوال (ت.578هـ-1182م) أنّ أبا جعفر الداودي وابن أبي زيد القيرواني رحلا إلى المشرق والتقيا ببعض الفقهاء الذين سمعوا عنهما، ومن بينهم الفقيه أبو عمر أحمد ابن سعيد الأنصاري القادسي المعروف بابن الحجال(ت.428هـ-1037م)[2]، والفقيه أبو بكر أحمد بن محمد القيسي السبتي(ت.429هـ-1038م).[3] بينما سمع الفقيه أبو القاسم أحمد بن محمد بن ملاّس الفزازي الإشبيلي(ت.435هـ-1044م) فقد أخذ عن الفقيهين أبي الحسن بن جهصم وأبي جعفر الداودي[4]، ومن ناحية أخرى أشار ابن بشكوال إلى أنّ ابن أبي زيد القيرواني رحل إلى المسيلة،[5] والداودي رحل إلى القيروان،[6] ويبدو أن الباحث الحسين محمد ابن شواط اعتمد على الرواية الثانية لينسب الداودي إلى علماء المدرسة القيروانية.[7]

وحدث الفقيه أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية الطبني(ت. قبل 412هـ-1021م)[8] بمصر عن ابن المقرئ وأخذ عنه أبي سعد أحمد بن محمد الأنصاري المليني(ت.412هـ-1022م) وحدث عنه[9]. ورحل الفقيه العالم الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الزهري الأشيري السرقسطي (ت.435هـ-1044م)،[10] إلى المشرق فالتقى بالفقيه طاهر بن غلبون فأخذ عنه. ورحل الفقيه أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطان البوني(ت. قبل 440هـ-1049م)[11] إلى المشرق لكن النّصوص لم تخبرنا عن الغرض من رحلته أو المدن

---

[1] – عبد الحق الإشبيلي، **الأحكام الوسطى**، لوحة.2، 210.

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.43.

[3] – نفس المصدر، ق.1، ص.45-46.

[4] – نفس المصدر، ق.1، ص.50.

[5] – نفس المصدر، ق.1، ص.21.

[6] – نفس المصدر، ق.1، ص.49.

[7] – **مدرسة الحديث بالقيروان**، ج.2، ص.795؛ عبد العزيز الصغير دخان، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م، ج.1، ص.44 وما بعدها.

[8] – ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.262؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.8، ص.212؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص.21؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.203.

[9] – السمعاني، المصدر السابق، ج.8، ص.212.

[10] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.95؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.253.

[11] – اختلف في السنة التي توفي فيها أكان ذلك قبل سنة 440هـ-1049م أم بعدها، وذهب الضبي وابن بشكوال وابن مخلوف إلى أنه توفي قبل 440هـ-1049م، (انظر: المصدر السابق، ص.402؛ المصدر السابق، ق.2، ص.617؛ المرجع السابق، ج.1، ص.247؛ أما عادل نويهض ذكر أنه توفي سنة 439هـ-1048م، (انظر: **أعلام**، ص.52).

التي زارها أو الشيوخ الذين روى عنهم أو سمع منهم أو صاحبهم، واقتصرت على ذكر إجازة مصنفاته التي تحصل عليها لغيره[1].

وقصد الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني الخراز[2] (ت.413هـ-1010م)[3] قرطبة للتجارة فكان في كل سنة "يجلب كتبه ويقرأ عليه في خلال ذلك"[4]، وزار العديد من المناطق في رحلته بداية من إفريقية ومصر والحجاز والعراق وخرسان والجبل[5] ونيسبور وبلخ،[6] دامت رحلته حوالي عشرين سنة[7]، فأجاز له من التقى بهم من العلماء من بينهم أبي محمد الحسن بن رشيق المصري المحدث الحافظ،[8] وأبي بكر القطيعي (ت.368هـ-979م)، ولقي بالبصرة الفقيهين أبا يعلى البصري وأبا عبد الله بن عطية،[9] وتتلمذ على أبي بكر الأبهري (ت.375هـ-986م) إمام المالكية في عصره ولازمه عدة سنوات ليدرس كتبه ثم اعتكف مع الفقهاء لدراستها ثانية، فكتب "**رسالة**" عنه.[10] ولم يكتف أبو القاسم الوهراني بهذا القدر من العلم فلما رجع إلى الأندلس استزاد من كبار فقهائها: فروى عن الإمامين الحافظين ابن عبد البر وابن حزم الظاهري (ت.456هـ-1064م) وسمع منه حاتم الطرابلسي.[11]

وفي سنة 425هـ-1034م رحل الفقيه أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد ابن عقيل بن سوادة الهذلي المغربي البسكري (ت.465هـ-1073م)[12] مارا بإفريقية إلى مصر والحجاز والشام والعراق وأصبهان وخرسان وإلى ما وراء النهر وإلى إقليم الترك. وقد بلغ عدد من التقى بهم في المشرق من الشّيوخ في علم القراءات ثلاثمائة وخمس وستون

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.616؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.76، 392؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.259.

[2] - المعروف بالوهراني وبالبجاني، ويعرف أيضا بابن الخراز، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.218-219؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.317؛ الضبي، المصدر السابق، ص.319؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.232؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349)

[3] - اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، فقد قال قاسم بن إبراهيم الخزرجي أنّه توفي سنة 411هـ-1021م بالمرية، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.317)؛ أما الذهبي ذكر أنه توفي بعد 400هـ-1010م، (انظر: **سير أعلام النبلاء**، ج.17، ص.332).

[4] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.317.

[5] - بفتح أوّله، وضمّ ثانيه وتشديده، كانت مدينة ثم أصبحت قرية في عصر الحموي وهي بين بغداد وواسط، (انظر: **البلدان**، ج.2، ص.103).

[6] - نفس المصدر، ج.7، ص.218؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349.

[7] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.219.

[8] - رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.548.

[9] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.219.

[10] - نفسه؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349.

[11]- ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.7، ص.401؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.256؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.317؛ الضبي، المصدر السابق، ص.319؛ الحموي، **البلدان**، ج.5، ص.386؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.348-349.

[12] - هو من ذرية أبي ذؤيب الهذلي، تعلم على عدة شيوخ منهم القاسم الزبيدي، وبدمشق وقرأ على أبي علي الأهوازي وغيره وله تصنيف سجل فيه أسماء شيوخه ممّن تلقى العلم عنهم، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.422؛ الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تح. طيار ألتي قولاچ، اسطنبول، 1995م، مج.2، ص.816 وما بعدها؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.29، ص.115؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.4، ص.172.

شيخا دوّن أسماء مائة واثنان وعشرون منهم في كتابه"**الكامل**". قال عنه الذهبي (ت.748هـ-1347م):"وهذا الأمر لم يتهيأ لأحد قبله ولا بعده فيما علمت".[1] والغريب في الأمر أن ابن عساكر لم يتعرض لرحلته إلى دمشق واقتصر كلامه على ذكر أنه" صاحب كتاب الكامل في القراءات". [2]

وبقي الفقيه أبو الحسن علي بن عطية بن علي بن الحسن الطبني(ت.ق5هـ-11م) بمكة المكرمة مدة طويلة للاستزادة من علمائها.[3] وبفضل المستوى العلمي الذي وصل إليه فقهاء المغرب الأوسط وحبهم للتفقه، كسبوا محبة علماء المشرق حتى أن فيهم من لم يتحمل فراقهم، فقد أنشد أبو عبد الله محمد بن أبي السعادات المَرْوَرُوذي الخرساني بثغر الإسكندرية للفقيه أبي العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي المسيلي (ت.ق 5هـ-11م)[4] عند وداعه إياه قائلا:

السّمُ من ألسُنِ الأفاعي أعذبُ من قُبلة الوَدَاعِ

وَدَّعتم والدُّموع تجْرِي لمّا دعـا للوَدَاعِ داعِ[5]

ورحل من مدينة قسنطينة الفقيه أبو الحسن علي بن أبي القاسم المتكلم الأشعري (ت.519هـ-1125م) فتنقل بين العراق ودمشق.[6] ومن تلمسان رحل الفقيه الشاعر اللغوي أبو الحسن خطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب بن خليفة (ت. بعد سنة 520هـ-1126م)،[7] إلى المشرق وزار بغداد سنة 520هـ-1126م.[8] ونقل صاحب "**الخريدة**" أنّ الفقيه أبا الحجاج الدمشقي بن محمد بن مقلد التنوخي قد قال عنه أنه:"كان إمامًا فاضلاً" وأورد له أبياتا في كتابه.[9] وكان الفقيه أبو عبد الله عبد الحق بن سليمان القيسي التلمساني(ت.571هـ-1176م)[10]، قاضي تلمسان جليل القدر عظيم الوجاهة له سماع من أبي بكر بن العربي، الذي اختار في آخر حياته الزهد ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج

---

[1] – الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص.816.

[2] – **تاريخ دمشق**، ج.74، ص.274.

[3] – ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.264؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.8، ص.212؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.203.

[4] – لم تذكر المصادر تاريخ وفاته، وبما أنه أخذ عن أبي سعد بثغر الإسكندرية، وممّا لا شك فيه أنّه أبا سعد أحمد بن محمد الأنصاري الMليني(ت.412هـ-1022م)، وبذلك يكون من فقهاء القرن الخامس الهجري/الثاني عشر ميلادي، (انظر: عادل نويهض، **أعلام**، ص.203).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.56؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.238- 239؛ المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت.1041هـ-1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج.2، ص.598؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.61.

[6] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.43، ص.135، ج.74، ص247؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص.349.

[7] – الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.44.

[8] – السمعاني، المصدر السابق، ج.3، ص.71؛ الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.44؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.68.

[9] – وذكر المنقحون في جزء الثاني للخريدة، هـ.2 أنّه رغم أنّ الأصفهاني نقل كثيرا عن السمعاني والدمشقي في الخريدة، إلاّ أنّ هذا الأخير لم يعثر على ترجمة له، (انظر: الأصفهاني(أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، ت.597هـ-1201م)، **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب**، تح. العروسي المطوي، ج.18، ص.341).

[10] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3 ، ص.124-125؛ الذهبي، **المستملح**، ص.283).

لكنه أجهد نفسه كثيرا في العبادة من صلاة وصوم وطواف فتوفي هناك. وقد أغفلت المصادر ذكر رواته إلاّ التي تحدث عنهم ابنه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق.[1]

وذكر ياقوت الحموي والدمشقي في كتابيهما أن الفقيه أبي القاسم عبد الملك بن عبد الله ابن داود الحمزي المغربي(ت.527هـ-1133م)، كان من فقهاء وصلحاء مدينة حمزة بالمغرب الأوسط وهو نزيل بغداد، له سماع بها عن أبي نصر الزَّيْنبِي وبالبصرة عن أبي التستري،.[2] وقد روى عنه أبي القاسم الدمشقي المشهور بابن عساكر في مدينة دمشق.[3]

ومن مدينة طبنة رحل الفقيه أبو الفضل عطية بن علي بن عطية القرشي الطبني المعروف بابن لاذخان (ت.532هـ-1138م)[4] إلى مكة وجاورها سنين وأصبح من متقدم في الحديث[5]، وقد قال عنه السمعاني:"لا يدري أبو الفضل ولد بها أو حمله والده من المغرب صغيرا ونشأ بمكة؟"[6]، وأنشد من شعره أبو الحسين عبيد الله بن المعمر الحسني ممّا أملاه عليهم أبو الفضل ببغداد عند انتقاله إليها[7]. وحدّث أبو الفضل الطبني عن أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري وللسّلفي سماع منه[8]، وله قصيدة مدح فيها عميد الدولة محمد بن محمد جهير الوزير(ت.493هـ-1100م)،[9] وأخرى في تهنئة ملك الشام بركيارقْ (ت.488هـ-1095م).[10]

ومن مدينة تاهرت رحل الفقيه أبو محمد عبد الله بن سليمان التاهرتي(ت.553هـ-1158م) إلى المشرق، وكان يكثر من رواية الحديث، وهو أديب وشاعر، وذكر السّلفي أنّه ينسب إلى الولجة،[11] وسمع عنه الكثير من علم الحديث بالإسكندرية ومن غيره من علماء المشرق ولمّا عاد إلى المغرب الأوسط نشره بين أهله[12].

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3 ، ص.124-125؛ الذهبي، **المستملح**، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.492.

[2] – **البلدان**، ج.2، ص.302؛ **توضيح المشتبه**، ج.2، ص.422.

[3] – **تاريخ دمشق**، ج.1، ص.238، 244؛ **توضيح المشتبه**، ج.2، ص.422،424.

[4] – ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.264؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.8، ص.213؛ الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج.1، ص.309؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص.21.

[5] – ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.5، ص.264؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.8، ص.213؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.203.

[6] – المصدر السابق، ج.8، ص.213؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.598.

[7] – نفسه؛ الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج.1، ص.319؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**.

[8] – نفس المصدر، ج.5، ص.264؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**.

[9] – الأصفهاني، **خريدة القصر**، ق.1، ص.319 وما بعدها؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.202-203.

[10] – ملك الشام توفي أثناء معركة بينه وبين ابن أخيه تتش سنة 488هـ-1095م، (انظر: نفس المصدر، ق.1، ص.320).

[11] – هي من أعمال تاهرت، والولجة أيضا موضع بالعراق بينها وبين القادسية فيض من فيوض نهر الفرات، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.149؛ الحموي، **البلدان**، ج.5، ص.383).

[12] – نفسه؛ وجعله الباروني ضمن علماء غير الإباضية، (انظر: المرجع السابق، ق.2، ص.102؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.60).

ومن أشير رحل الفقيه والمحدث والأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي الأشيري[1] إلى الشام، إثر وفاة عبد المؤمن الموحدي فنهبت كتبه، وربما يكون من الأسباب التي جعلته يقوم بهذه الرّحلة، وذكر ياقوت الحموي(ت.626هـ-1229م) أنّ هذا الفقيه استدعي من طرف الوزير عون الدين أبو المظفر يحي بن محمد بن هُبيرة وزير المقتفى والمستنجد "طلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فسيّره إليه..." [2] لإقراء وتدريس علم الحديث ببغداد، وقد أشار إلى ذلك ابن عساكر قائلا:" سمع مني وكتب عني كتابا ألفته لأجله ولم أسمع منه حديثا مسندا لنزول روايته...".[3] ثم توّجه لمدينة حلب سنة 558هـ-1163م، ومنها إلى الحجاز فجاور مكة، ودفن في مدينة حمص[4]، حَدّث ببغداد وحُدّث عنه، ويذكر أنه من الثقات والحفاظ.[5]

ورحل أبو العباس أحمد بن مكي بن أحمد بن قمودة البسكري إلى مصر سنة 516هـ-1122م طالبا للعلم.[6]ورحل أيضا الحافظ أبو محمد عبد الوهاب بن عيسى البسكري(ت.554هـ-1159م) إلى دمشق وتنقل بينها وبين بعلبك ولم يتجاوز سنه الخمسة والثلاثين بعدما درس على يد مجموعة من فقهاء المغاربة. وفي المشرق خلف الفقيه يوسف ابن دوناس الفندلاوي المغربي(ت.543هـ-1148م)[7] في حلقاته في المذهب المالكي، وكان يجيد في الفتاوى فحاز مكانة عند بعض الأمراء المشارقة من بينهم الأمير أُنُر(ت544هـ-1150م)[8] وعطاء ابن حافظ السلمي الحمصي والملك العادل، وقام هذا الأخير ببناء دار الحجر الذهب (مسجد)، وجعلها دارا للمالكية، وولّى الحافظ أبو محمد البسكري لتدريس بها.[9]

وتوجه من مدينة جزائر بني مزغنة الفقيه أبو يوسف حجاج بن سكاتة الجزائري(ت.561هـ-1166م)[10] إلى المشرق لأداء فريضة الحج روى عن عتيق بن علي

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.304-305؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.203؛ الذهبي، **المستملح**، ص.229؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.16-17؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص.285.

[2] – الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.203.

[3]– **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.234-235.

[4] – توجد مدينتان ينسب لهما هذا الاسم الأولى بالأندلس والأخرى بالشام ذكرها السّلفي في كتابه عدّة مرات وقد تعود التسمية نسبة لأهل مدينة حمص بالشام دخلوا الأندلس إما مع جند الفاتحين أو مع عبد الرحمن الداخل، فاستقروا بها فأخذت تسميتهم، (انظر: المصدر السابق، ص.503، ومن هنا وهناك).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.305؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.234-235؛ الذهبي، **المستملح**، ص.229؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص.285.

[6] – لم أعثر على تاريخ وفاته، (انظر: ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.1، ص.459؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.42).

[7] – رحل إلى الشام وكان خطيبا بها بجامع بانياس، ثم انتقل منها إلى دمشق ودرّس به المذهب المالكي، وحدث بكتاب"**الموطأ**" وكتاب" **التلخيص**" لأبي الحسن القابسي، (انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.74، ص.234).

[8] – كان السلطان يحب العلماء والصلحاء، صاحب المدرسة المعينية، وابنته عصمت الدين خاتون صاحبة المدرسة الخاتونية وزوجة الملك نور الدين محمود زنكي، (انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.852).

[9] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.37، ص.342.

[10] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.122؛ الكتاني(عبد الحي بن عبد الكبير)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ط.3، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ج.2، ص.973؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.99.

بن خلف المريطري المعروف بأبي بكر بن قنترال، ولقد ذكر ابن عبد الملك(ت.628هـ-1231م) في كتابه إنّه:"قرأ عليه وناظر عنده".[1]

وفي أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي كانت بجاية مركز استقطاب للعلماء مشرقا ومغربا، فقد اختارها الفقيه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي المشهور بابن الخراط (ت.582هـ-1187م) للاستقرار بها سنة 550هـ-1155م بعدما كان غرضه الانتقال منها لأداء فريضة الحج، فأصبحت الرّحلة إليه من كل الأقطار للتّحصيل العلمي وكان أكثرهم من المغرب الأقصى والأندلس إذ من الصعب المرور من بجاية دون حضور مجالس عبد الحق أو أبي مدين شعيب أو فقيه آخر من نظرائهما. وقد روى عنه الكثير وأجاز للبعض رواياته وتصانيفه.[2]

لقد طغى على الرّحلات المشرقية فريضة الحج ثم الاستزادة من العلم والاستفادة من أشهر الفقهاء والبحث عن الأسانيد العالية في الرّواية، وكان مسار رحلتهم المشرقية من القيروان والمهدية مرورا بالإسكندرية التي تعتبر همزة وصل بين المشرق والمغرب ومنها إلى الحجاز والشام وخرسان وبغداد. وكل ما كانت رحلة الفقهاء طويلة إلا واستزادوا أكثر في مختلف العلوم، وكان علم الحديث أكثر العلوم طلبا، ثم علم القراءات والفقه وأصوله وعلم الكلام، فيعودون إلى بلدانهم بما استزادوا به من علم وينشرونه بين الناس. ونتج عن الرحلات إرساء للمظاهر الفكرية والاجتماعية والعمرانية، فظهر كبار المحدثين والقراء والأصوليين والنّحاة والأدباء والشعراء، وعلا نجمهم وذاع صيتهم وأصبحوا حجة في العلم والتوثيق والضبط فيؤخذ برأيهم وتشد الرّحال إليهم.[3]

ويلاحظ كذلك ممّا سبق أن جل فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق في القرن الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين كانوا من الزاب، واقتصر اهتمامهم على علمي الحديث والقراءات. أما في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي فقد انطلق الفقهاء من مختلف مدن المغرب الأوسط وكان لفقهاء مالكية القلعة الحظ الأوفر في هذه الرحلات تليها مدن بسكرة وهران وتلمسان.[4]

[1] – نفسه؛ عادل نويهض، نفس المصدر.

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.120-121؛ الذهبي، **المستملح**، ص.279-280؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.59 وما بعدها؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.378- 379.

[3] – عن المالكية الذين رحلوا إلى المشرق، (انظر: الجدول الخاص برحلة فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى المشرق)، وانظر أيضا: الملحق رقم (12).

[4] – انظر: جدول مالكية المغرب الأوسط إلى المدن المشرقية. ضمن الملحق رقم (12).

3- المغرب الأقصى

ساعدت عوامل عديدة في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب الأوسط من بينها قرب تلمسان من المغرب الأقصى، ممّا سهل عملية انتقال الفقهاء بين حواضر المنطقتين، وأشارت كتب التّراجم والطبقات إلى الفقهاء الذين اتخذوا من مدن فاس وسبتة ومراكش مقر لهم أو للعبور منها إلى العدوة الأندلسية. وتعددت أغراض الرّحلة بين الرغبة في اكتشاف المنطقة أو التجارة أو الجهاد. إضافة الاستزادة بعلم المنطقة وهي أكثر الأهداف التي من أجلها رحل مالكية المغرب الأوسط.

وتعتبر مدينة تلمسان بوابة للمغرب الأقصى،[1] فهي المحطة التي ينتقل منها فقهاء المغرب الأوسط وإفريقية والمشرق إليه أو إلى الأندلس، وهي نفسها التي ينطلق منها الرّحالة الأندلسيون والمغاربة إلى المدن المجاورة أو المشرقية، فابن العربي والعبدري مثلا دخلا منها المغرب الأوسط.

وقد بدأت رحلة فقهاء المالكية إلى المغرب الأقصى في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي فالفقيه أبو جعفر أحمد بن خلف المسيلي المشهور بالخياط (ت.393هـ-1003م).[2] قد نسبه القاضي عياض إلى المغرب الأقصى، أما ابن الفرضي (ت.403هـ-1013م) فجعله من الغرباء ولم يذكر نسبه رغم أنه بقي في الأندلس عدة سنوات حتى وفاته.[3] ومهما اختلف انتماؤه فقد كانت له دراية بعلم المسائل. ورحل الفقيه أبو عثمان بن أبي سوار من قلعة بني حماد إلى مدينة فاس للاستزادة من علم فقهائها بعد تحصيله العلمي من علماء منطقته ومن أشهر شيوخه هناك عبد الرحيم بن العجوز السبتي.[4]

وممّا يذكر في المصادر أنّ بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط تولوا منصب القضاء في الدولة المرابطية، فالفقيه أبو محمد عبد الله بن حمو المسيلي (ت.473هـ-1081م)،[5] العالم بأصول وفروع المذهب المالكي قد تولى قضاء مدينة سبتة وأصبح من أكبر فقهائها

---

[1] - ذكر العبدري "باب تلمسان" والأرجح المكان الذي يدخل منه أهل المغرب الأوسط بما فيهم العلماء، ذلك أنّه لما ذكر تلمسان قال: فلما وقفنا على باب تلمسان صادفتنا العادة الكريمة من لطف المولى سبحانه، فألفينا قافلة تخرج، وهي كبيرة..."، (انظر: **الرحلة**، ص.563؛ عبد القادر زمامة، "رحلة العبدري"، **دعوة الحق**، 1961م، س.5، ع.2، ص.49).

[2] - أورده ابن الفرضي "خلوف"، (انظر: المصدر السابق، ص.63؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.110).

[3] - نفسه.

[4] - ذكر عند القاضي عياض باسمين مختلفين الأوّل: "أبو عثمان بن سولب"، (انظر: **المدارك**، ج.7، ص.279)، والثاني: "أبو عثمان ابن أبي سوار"، (انظر: **المدارك**، ج.8، ص.77).

[5] - نفس المصدر، ج.8، ص.173-174؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298.

ومدرسيها.[1] وذكر القاضي عياض أنّه"اتهم بمخاطبته للمرابطين" في سبتة فانتقل منها هاربا إلى مدينة المرية بالأندلس فاستوطنها حتى وفاته.[2]

وأورد أبو القاسم الزياني ترجمة للشيخ أحمد القسنطيني (حي سنة 494هـ-1101م) ذكر فيها أنه تولى القضاء بمنطقة دكالة إذ يقول في أحد نصوصه:"لما دخلت المغرب في رحلتي له توجهت لقضاء دكالة".[3] فذكر موقع المنطقة ووصف أرضها وزرعها وضروعها وقراها ومدنها ومساجدها ومدارسها بقوله:"ومدينتها العظمى في وسطها وبها خمسة وعشرون مسجدا، وخمسة وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة، أهلها قل ما تجد فيهم من يتكلم العربية"،[4] ومن خلال هذا الوصف يبدو أن القسنطيني كأنّه من الرحالة الذين يدونون كل ما يشاهدونه ويسمعونه، لكنه بالغ في ذكر عدد المساجد والمدارس وفي عدم وجود من يحسن التّكلم باللغة العربية. ولم نعثر في كتب القاضي أبو بكر بن العربي(الذي التقى به) نفس المعلومات التي أوردها القسنطيني حول هذه المنطقة التي جابها القاضي في رحلته العلمية بالمغرب الأقصى.

ودوّن القاضي عياض في كتابه "**الغنية**" أسماء عدد من شيوخه[5] الذين تتلمذ عنهم، ومن منهم فقهاء من المغرب الأوسط. فقد دَرَس وروى عنهم وأجازوا له تآليفهم، من بينهم القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن حسين بن أبي السعد بن سيد الدارين يوسف التميمي المعروف بابن الدقاق التاهرتي(ت.505هـ-1112م)[6]. ويذكر أنّ هذا الأخير قد انتقل به جده من تاهرت إلى فاس ثم نزل سبتة وتولي القضاء بهما وله ثلاث رحلات إلى الأندلس أولها: إلى إشبيلية حيث أخذ الأدب عن أبي بكر بن قصير وثانيها: إلى المرية سنة 480هـ-1088م حيث أخذ عن أبي عبد الله بن المرابط وأجاز له بها أبو العباس العذري

---

[1] - نفس المصدر، ج.8، ص.173.

[2] - نفس المصدر، ج.8، ص.174؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146.

[3] - الزياني(أبو القاسم ت.1249هـ- 1833م)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع. عبد الكريم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991م، ص.78.

[4] - نفسه.

[5] - تتجلى أهمية الكتاب لاحتوائه على عدد من أسماء فقهاء بلاد المغرب خاصة والعلوم التي أخذها القاضي عياض عن شيوخه والكتب التي أجازوها له ومدح المقري الكتاب بقوله:

غنية القاضي عياض   غنية عما سواها

حلة موشية بل   روضة طاب جناها

جمعت أعلام علم   قدرهم ما إن يضاهى

وذكر المقري أثناء رحلته إلى مدينة تلمسان أنه وجد بها نسخة من كتاب"**الغنية**" وترك بها نسخته، بينما بحث عنها طويلا بفاس فلم يعثر عليها، (انظر: **أزهار الرياض**، مج.3، ج.4، ص.289).

[6] - اختلف في مولده بين 428هـ-1037م و429هـ-1038م، (انظر: نفس المصدر، ص.27-28، **المدارك**، ج.7، ص.42؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص.101-102؛ المقري، **أزهار الرياض**، ج.3، ص.159).

وثالثها: إلى قرطبة سنة 488هـ-1095م أين سمع من أبي مروان بن سراج وأبي الحسن العبسي وأبي علي الجياني ومن نظرائهم، ومنحه أبو علي الصدفي(ت.514هـ-1120م) إجازة بسبتة عند عودته من المشرق.[1] ودرس القاضي عياض كثير من كتب النحو والأدب بسبتة عن الفقيه أبو علي الحسن بن علي بن طريف(ت.501هـ-1108م) .[2] ورحل الفقيه أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المشهور بابن زكون التلمساني (ت.553هـ-1158م) إلى قرطبة وسمع بها عن ابن عتاب وعن أبي محمد بن أبي جعفر بمرسيه (Murcia)، وروى عن ابن ملجوم بفاس.[3] وسكن الفقيه أبو علي الحسن بن حجاج ابن يوسف الهواري البجائي(ت.598هـ-1202م)[4] مراكش، ويبدو أن المنطقة ساعدته في رحلاته العديدة إلى الأندلس.

وتولى الحافظ أبو محمد بن أبي عُرْجون التلمساني(ت.534هـ-1140م)[5] القضاء في عدّة مدن، وقد قال عنه ابن بشكوال:"كان يميل إلى الحديث ويحفظ كثيرا منه"[6]، سمع منه أبو علي الغساني وغيره وأخذ النّاس عنه كثيرا. [7]

استقر بعض فقهاء القلعة في فاس منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر ابن أحمد القيسي ابن الرمامة (ت.567هـ-1172م)[8] وتفقه عن كبار المالكية كأبي الفضل النحوي(ت.513هـ-1119م) واستفاد منه أثناء ملازمته واعتمد عليه في أكثر رواياته. وكذلك أبي إسحاق إبراهيم بن حماد وخاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشرة (ت.567هـ-1172م) بجزائر بني مزغنة، وعن أبي حفص عمر بن أحمد التوزري وأبي محمد المقري[9]. دخل الأندلس للتجارة والعلم معا فسمع بقرطبة من أبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد(ت.595هـ-1199م)، وأبي بحر الأسدي وابن

---

[1] – ابن الأبار، نفس المصدر.

[2] – نفس المصدر، ص.74؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.413.

[3] – نفس المصدر، ص.75؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.532.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.219؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.2، ص.120.

[5] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.300؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.243؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.212؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.231.

[6] – نفسه؛ عادل نويهض، نفس المصدر.

[7] – نفسه؛ عادل نويهض، نفس المصدر.

[8] – الفاسي(أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ت.603هـ-1207م)، **المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح. محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م، ق.2، ص.171 وما بعدها؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.326 وما بعدها، س.8، ص.502-503؛ ابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي، ت.708هـ-1309م)، **كتاب صلة الصلة** ، تح. عبد السلام الهرّاس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغرب، 1994، 1995م، ق.3، ص.21-22؛ الذهبي، **المستملح**، ص.156؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.152-153.

[9] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ج.1، ص.326 وما بعدها، ج.8، ص.502-503؛ لم يذكر صاحب صلة الصلة أنّه تفقه عن أبي محمد المقرئ، (انظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.21-22).

طريف من نزلاء بجاية،[1] وحدث عنه أبو ذر الخشني وأبو الحسن بن المفضل، وأبو القاسم ابن بقي شبيه ابن الأبار.[2] روى ودرّس ابن الرمامة بفاس وكان شيخ المفتيين، تولى القضاء بها سنة 536هـ-1142م، لكن "لم تحمد سيرته لأنه كان غير صالح للخطة"،[3] يبدو أن السبب إعفاءه من خطة القضاء لاهتمامه بتآليف الإمام الغزالي(ت.505هـ-1111م) سيّما كتابه "**البسيط**".[4]

وأقام الفقيه والأديب والمحدث أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن قُرْقُول الحمزي(ت.569هـ-1174م)[5] بالمغرب الأقصى ثم رحل إلى الأندلس فزار مدينة المرية وجزيرة شقر[6] (Jucar) ومدينة مالقة[7](Malaga) وأخذ عن الفقيه ابن غزلون،[8] وله روايات كثيرة عن فقهاء الأندلس كأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد الرّشاطي وأبي عبد الله ابن وضاح وأبي الأصبغ عبد العزيز وغيرهم ممّن أكثر لقاءهم فاستزاد من علمهم. وكتب إليه بالإجازة أبو محمد بن عتاب، وأبو طاهر السّلفي وأبو عبد الله الإمام المازري(ت.536هـ-1142م) رغم أنه لم يلتقي بهم ،[9] واهتم بالتّصنيف وكان أكثره في علم الحديث.[10] لقد اختار الاستقرار بالمغرب الأقصى فزار مكناسة وسبتة وسلا وتوفي بمدينة فاس. وتولى أبو الحسن علي بن أبي القاسم التلمساني (ت.577هـ-1182م)[11] المشهور بابن

---

[1] – الذهبي، **المستملح**، ص.156.

[2] – نفسه.

[3] – قد يكون السبب أيضا يتعلق باحتمالين أولها كونه كان مائلا إلى المذهب الشافعي وهذا مستبعد لأن هذا الأخير من المذاهب السنية، فالشافعي أحد تلاميذ الإمام مالك وقد خالفه في بعض المسائل، والاحتمال الثاني وهو الأقوى قد يكون تأثر بمؤلفات الإمام الغزالي.

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.381.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.130-131؛ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت.681هـ- 1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، طبعة جديدة منقحة ومصححة ومفهرسة تق. محمد عبد الرحمن المرعشلي اعتنى به مكتب التحقيق أعدّ فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، دار الإحياء العربي، بيروت، 2009م، ج.1، ص.62-63؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.109؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص88-89؛ البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، اسطنبول 1951م، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د. ت، ج.1، ص.9؛ كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تر. حليم النجار، ط.5، جامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج.6، ص.277-278؛ فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي**، تر. محمود فهمي حجازي ورا. عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبد العزيز، السعودية، 1990م، مج.1، ج.1، ص.255، 275.

[6] – هي جزيرة بشرقي الأندلس قريبة من الشاطبة، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.3، ص.354؛ الحميري، المصدر السابق، ص.349).

[7] – تقع في الساحل الشرقي من جنوب الأندلس، (الرشاطي، المصدر السابق، ص.56؛ الحميري، المصدر السابق، ص.520)

[8] – ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.89؛ وذكر الحفناوي أنّه" خرج من إشبيلية إلى تلمسان"، (انظر: المرجع السابق، ق.2، ص.17)

[9] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.130؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.248؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.88-89؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.2، ص.17.

[10] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.130؛ الدمشقي، المصدر السابق، ج.2، ص.423.

[11] – اختلف في تاريخ وفاته بين سنة 557هـ-1162م وسنة577هـ-1182م، وقد أورد ابن الأبار اسمه"ابن أبي جقون" وأنّه كان حيا "آخر عشرة الثمانين وخمسمائة"، (انظر: **المعجم**، ص.300)؛ و(انظر أيضا: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.657).

أبي جنون قضاء مدينة مراكش أيضا،[1] ورحل جد محمد بن عيسى بن حسين بن سيد الدارين يوسف التميمي التاهرتي الأصل إلى فاس، وكان مولده سنة 428هـ-1037م.[2]

ومن أشهر الذين زاروا المغرب الأقصى أبو علي حسن بن علي بن عمر بن فكون القسنطيني[3] صاحب الرحلة الذي زار مراكش،[4] وقد نظم قصيدته المشهورة في مدح بني عبد المؤمن.[5]

يبدو أن رحلة فقهاء مالكية الـمغرب الأوسط في القرون الأولى إلى المغرب الأقصى كانت نتيجة لارتباط المسالك البرية والبحرية بالعدوة الأندلسية من جهة، ولأنّ المنطقتين لهما السبق في دخول وانتشار المذهب المالكي بهما مقارنة بالمغرب الأوسط الذي كان أغلب سكانه من الإباضية. فحفّزت هذه الظروف فقهاء مالكية المغرب الأوسط على الانتقال إلى المغرب الأقصى والاستزادة من فقهائه أمثال دراس وابن العجوز وآخرين ممّن جاء بعدهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين كالقاضي عياض وغيره الذين كان لهم اهتمام بالفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام.

لقد كان جل فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى من الحواضر مثل المسيلة وحمزة ووهران وتلمسان وبجاية وتاهرت وقسنطينة، فذاع صيت أغلبيتهم مغربا ومشرقا، وترك بعضهم عدة تصانيف منها ما حقق فأصبح في متناول الباحثين ومنها ما ينتظر التحقيق وبقي قسم منها في حكم المفقود،[6] ومع ذلك يمكن القول أنّ هذه الرّحلات عادت بالفائدة على بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، عن طريق الرّواية والسّماع والقراءة وتبادل الإجازات.

ولا نستبعد أن حنكة ونباهة فقهاء مالكية المغرب الأوسط هي التي دفعت الحكام المرابطين توليتهم خطة القضاء في أكثر من حاضرة مغربية (فاس وسبتة ومراكش).

4-الأندلس

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.165، 246-247، ج.4، ص.33، **المعجم**، ص.300-301؛ الذهبي، **المستملح**، ص.338-339.

[2] – لم أجد له ترجمة في المصادر إلا ما ذكره القاضي عياض، وقد علق المحقق حول تاريخ ميلاده وصوابه سنة 338هـ-950م، (انظر: **المدارك**، ج.7، ص.42).

[3] – واعتبر المقري ابن فكون أحد شيوخ العبدري فكيف يكون ذلك وهذا الأخير لم يكن على دراية بتاريخ مولده ووفاته في زمانه، (انظر: **أزهار الرياض**، مج.3، ج.4، ص.259).

[4] – العبدري، المصدر السابق، ص.96-97؛ المقري، **أزهار الرياض**، مج.3، ج.4، ص.259.

[5] – نفس المصدر، ص.67 وما بعدها؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.160 وما بعدها؛ المقري، **أزهار الرياض**، مج.3، ج.4، ص.260 وما بعدها.

[6] – عن رحلة هؤلاء انظر: الملحق رقم (13).

شهدت الأندلس ازدهارا في التعليم في عهد عبد الرحمن الناصر ووصل ذروته في عهد الحكم المستنصر الذي حرص على تشجيع العلماء، فقد أكرمهم واستقبلهم كما شجّع الكتابة ونسخ الكتب وأمر بشرائها ونسخها من المشرق،[1] وتعتبر هذه البيئة مشجعة على هجرة علماء المغرب الأوسط إلى المدن الأندلسية إضافة إلى خوفهم من التعذيب والتنكيل والقتل في فترة الوجود الشيعي، واختار من لا يملك القدرة على الرّحيل المقاومة بوسائل شتى، لكن هناك من أغرته المناصب العليا في الدولة فتشرق وحصل عليها.

وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر تغيرت أسباب رحلة فقهاء المالكية إلى الأندلس، وهذه الأسباب أذكر الحرب التي دارت بين الحماديين والزيريين التي من نتائجها قطيعة حماد للفاطميين بالمشرق والدعوة على المنابر للعباسيين، وسخطه على كل من عارض أو خالف أوامره من الحماديين أو غيرهم من جهة. وقتله الرّافضة في مدينة باجة بإفريقية من جهة أخرى. فتضاعفت الرحلات في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي في أواخر الخلافة الأُموية وبداية عصر الطوائف(422هـ-1031م)،[2] فاختار جل الفقهاء مدينة قرطبة مركز الخلافة والعلم والعلماء، فأخذت بذلك مكانة المدرسة القيروانية التي كانت في سابق عهدها النواة الأولى للعلم والعلماء ببلاد المغرب والتي لا تضاهيها مدارس أخرى. أما في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي إثر النزوح الهلالي نحو إفريقية والمغرب الأوسط رحل فقهاء من مدن أخرى نحو الأندلس، وكان أكثرهم من مدينة وهران وتنس وطبنة ومسيلة وباغاية وأشير.[3] واستقر أكثرهم في مدينة قرطبة التي انتهج أصحابها سياسة حكيمة، ثم اشبيلية ثم المرية وبلنسية(Valencia) ومرسيه وغيرها من المدن.

اشتهر فقهاء مدينة طبنة بالرّحلة المبكرة إلى المدن الأندلسية، فقد انتقل إليها الفقيه والمتأدب والمحدّث أبو الحسن عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي بن الحسين الطبني (ت.401هـ-1011م) مع أبيه فاستوطناها، وقد ذكر ابن بشكوال، نقلا عن حديث أخيه مروان أنّه:"كان له فضل وأدب وزهد وتنسك وروى الحديث"[4]. وعرف عن أبي مضر زيادة الله بن علي التميمي الطبني(ت.415هـ-1024م)[5] أنه روى عن أبيه ونظرائه، وروى عنه

---

[1] – بوباية عبد القادر، **وهران مدينة من الجزائر**، ص.73؛ منيرة بنت المهدي، المرجع السابق، ص.51.

[2] – نفسه.

[3]- رصد في جدول عدد فقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا منه إلى المدن الأندلسية، وقد يزيد عددهم مما ذكر، انظر: الملحق رقم (14).

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.309؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.202.

[5] – الطبنيون هم الأوائل الذين استقروا بالأندلس، (انظر: نفس المصدر، ق.1، ص.192؛ الضبي، المصدر السابق، ص.255؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1 ، ص.267؛ سزكين، المرجع السابق، مج.2، ج.5، ص.32).

أبو علي الغساني بعض أخبار أبيه وأبو القاسم ابن النّخاس المقرئ(ق.4هـ-11م)[1]، وألف للمنصور محمد بن أبي عامر كتابا سمّاه "**الحمام**".[2]

ومن جهته رحل في عهد ابن أبي عامر أيضا أبو عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن الحسين الطبني (ت. بعد سنة 426هـ-1035م) وكان من المترددين على مجالس أبي الحزم بن جهور (364-435هـ/975-1044م) وابنــه أبي الــوليد، وصحب الأديب والشــاعر ابن شهيد الأندلــسي (312-426هـ/925-1035م)،[3] ذكر له الــحميدي بعض الأبيــات الشعريـــة، خاطب فيهـــا محمد علي بن حزم.[4] كما رحل إلى الأندلس أحد أفــاضل علمــاء الحديث أبو الأصبغ عبد العزيز بن زيادة الله بن علي التميمي الطبني (ت.436هـ-1045م) أخو عبد الرحمن بن زيادة الله الــمتقدم، الذي كانت لـــه عدّة سماعات من قـاضي قرطبة أبي الوليد يونس بن عبد الله (ت.338-429هـ/949-1038م) وغيره، وهو ممّن روى عنــه، قـال عنه ابن بشكوال:" كان لـه فضل وسخاء".[5]

وذاع صيت الفقيه أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الحماني الطبني[6] (ت.457هـ-1065م)[7] الذي دخل قرطبة وروى عن القاضي يونس بن عبد الله وأبي مطرف القنازعي وأبي محمد مكي المقرئ ومن نظرائهم، وتفقه بالقيروان عن القاضي أبي الحسن بن صخر المكي وبن بندار الشيرازي وجماعة كثيرة، علما أنه رحل إلى المشرق مرتين زار خلالهما مكة ومصر. وحسب الباحث عادل نويهض أنّه قد أدى فريضة الحج[8]،

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.267.

[2] – الضبي، المصدر السابق، 255؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.201؛ سزكين، المرجع السابق، مج.2، ج.5، ص.32.

[3] – أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن الشهيد الأندلسي ولد سنة 312هـ-592م أبوه عبد الملك بن أحمد من شيوخ الدولة العامرية، وجده ذو الوزارتين، (انظر: ابن خاقان(الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد ابن عبيد الله القيسي الإشبيلي، ت.529هـ-1135م)، **مطمع الأنفس ومسرح التأنُس في ملح أهل الأندلس**، درا. وتح. محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983م، ص.189؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، مج.1، ص.191-192؛ الحموي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ج.1، ص.358-359).

[4] – الضبي، المصدر السابق، 126؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.203.

[5] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.370؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.202.

[6] – سكن طبنة من الفقهاء المشهورين، تفقه عن أحمد بن نصر الداودي وكان ملازما له، روى عنه حاتم الطرابلسي وأبو عمر بن حذاء، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.259؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.360 وما بعدها؛ الضبي، المصدر السابق، ص.330؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.729؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.2، ص.243؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.626؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.274)، وعن مسألة الطبني الذي أصبح في داره بقرطة مقتولا، (انظر: ابن سهل، المصدر السابق، ص.702 وما بعدها).

[7] – اتفق صاحب "**بغية الملتمس**" و"**بغية الوعاة**" على سنة الوفاة المذكورة أعلاه، (انظر: الضبي، المصدر السابق، ص.330؛ السيوطي، المصدر السابق، ج.2، ص.729)، أما الباحث بشير ضيف صاحب كتاب "**فهرست معلمة التراث الجزائري**" فقد ذكر أنه توفي سنة 436هـ-1045م، (انظر: المرجع السابق، ص.111)؛ وهناك اختلاف في سبب وفاته، سكت صاحب الصلة والبغية عن سبب وفاته، بينما ذكر كل من السيوطي وعادل نويهض أنّه وجد مقتولا، (انظر: **بغية الوعاة**، ج.2، ص.729؛ **أعلام**، ص.202).

[8] – لم يذكر ابن بسام عدد رحلات أبي مروان والشيوخ الذين أخذ عنهم حيث قال عنه أنّه:"رحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين في مصر والحجاز"، (انظر: المصدر السابق، مج.1، ص.537)؛ وذكر القاضي عياض أنه أدى فريضة الحج (**المدارك**، ج.7، ص.259) و(انظر أيضا:عادل نويهض، **أعلام**، ص.202).

فقيّد عمّن لقيهم من العلماء وكان أكثره في علم الحديث، وبرع في علم اللغة والأدب والشعر وله إنشادات ذكرتها العديد من المصادر.[1] وأشار ابن بشكوال أنّ الحميدي التقى به في المرية بعد حجته الأخيرة[2]، ولما عاد إلى قرطبة اجتمع حوله عدد لا يحصى من طلبة العلم فاستفادوا منه ومن مجالسه التي أملى فيها تقييداته. ولكثرة الحضور أنشد:

إنّي إذا احتوشتني ألف محبرة يكتبن حدّثنـي طـورًا وأخبرنـي

نادَتْ بعقوتَى الأقلام معلَنَـة هذيُ المفاخِرُ لا قعبان من لبَن[3]

ويبدو أنّ سبب رحلته إلى المشرق يعود إلى أنّ أباه أرسل له بيتين من مصر ينصح الأندلسيين بالرّحلة إلى هناك وهما:

يا أهل الأندلس ما عندكـم أدبٌ بالمشرق الأدب النّفـاحُ بالطيب

يُدعى الشباب شيوخا في مجالسهم والشيخ عندكم يُدعـى بتلقيب[4]

ويعتبر الفقيه أبو عبد الله محمد بن حسين بن أحمد بن حبيش بن أسد التميمي الحماني القرطبي الطبني(ت.491هـ-1098م)، من المتأخرين الذين رحلوا إلى الأندلس، وأخذ عنه ابن عبد البر مؤلف أبو شبيث.[5] ورحل من مدينة مسيلة أبو حسين بن سلمون المسيلي(ت.431هـ-1040م) وهو ممّن ولي الشورى بقرطبة وكان أحد المفتين والحفاظ للمسائل.[6]

وجمع الفقيه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني(حي سنة 429هـ-1038م) بين التّجارة والرّحلة، وبين العلوم النقلية والعقلية. فقد كان عارفا بعلم الحديث والحساب والطب. ويبدو أنه سار على نهج من سبقه من العلماء. وكان دخوله إلى إلى الأندلس سنة 429هـ-1038م فسكن إشبيلية وقت السّيل الكبير وروى عن شيوخ إفريقية من بينهم ابن أبي زيد القيرواني.[7]

---

[1] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، مج.1، ص.542-543؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.361-362.

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.361.

[3] – نقلتها حرفيا من كتاب الحميدي، (انظر:المصدر السابق، ص.330)؛ وقد اختلف في نص البيتين بين ابن بسام، (انظر: المصدر السابق، ق.1، مج.1، ص.543) وابن بشكوال (انظر: المصدر السابق، ق.2، ص.361).

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.362.

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.169.

[6] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص130؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.74.

[7] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349.

ومن المسيلة أيضا هاجر الفقيهان أبو علي حسين بن سلمون (ت.430هـ- 1039م)،[1] وأبو محمد عبد الله بن حمو(ت.473هـ-1081م)،[2]الأوّل: ولاه سليمان بن حكم (403هـ-1013م) الشورى بقرطبة، وكان يحسن المناظرة في المسائل أكثر من غيرها من العلوم[3]، فبرز في الفتوى واشتغل فيها إلى أن توفي،[4] وقد كان:"حسن التّفقه وقد نوظر عليه في المسائل".[5] أما الثاني: فكان عارفا بأصول وفروع المذهب، واشتغل بالقضاء في مدينة سبتة وهو من أكبر فقهائها ومدرسيها،[6] و"اتهم بمخاطبته للمرابطين" حسب ما أورده القاضي عياض، فانتقل إلى المرية هاربا[7]. استفاد منه الطلبة منهم أبو عبد الله بن عيسى التميمي وأبو عبد الله بن عبد الله وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد.[8] ولازمه إسحاق بن يربوع كثيرا وانتفع منه في الفقه وله عدّة سماعات منه.[9]

ومن مدينة تاهرت أبو حفص عمر بن إبراهيم بن مالك الأنصاري، روى بقرطبة عن أبي عبد الله بن مطرف الكناني، وروى عنه أبو محمد بن هذيل الفهري سنة 446هـ-1055م،[10] وغير هؤلاء الفقهاء الذين جاء ذكرهم رحلوا إلى الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وكان أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي(ت.401هـ-1011م)[11] "ربانيا في علوم الإسلام، جم الرواية، شديد الحفظ، آية في ذلك، لم يخلف بعده أحدا يفوقه في علوم القرآن..."، [12]واختص بالتأليف فيه. زار مصر وسمع بها عن أبي الطيب ابن غلبون وأبي بكر الأدفوي ومن نظرائهم، وانتقل إلى الأندلس سنة 376هـ-987م

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.271؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.22؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[2] – نفس المصدر، ج.8، ص.173-174؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298.

[3] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.271.

[5] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.22؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[6] –القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.173.

[7] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.174.

[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.174.

[9] – نفس المصدر، ج. 8، ص.173؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[10] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.2، 442-443.

[11] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.85-86؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.198؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.174-175؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.362.

[12] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.325؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.362.

وخلف ابن المكوي في الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة[1]، واستأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن (ت.392هـ-1002م) ثم عزله، وجعله المؤيد بالله هشام بن الحكم (400-403هـ/1010-1013م) على خطة الشورى خلفا لأبي عمر الاشبيلي، ولمّا توفي خلفه ابنه أبو بكر محمد (ت.470هـ-1078م). [2]

وشغل الفقيهان المحدثان والحافظان أبو عمران موسى بن عيسى المري التلمساني المشهور بابن الصيقل (حي بعد سنة 514هـ-1121م) صاحب كتاب"**الشفوف**"، وأخوه أبو الحسن يحي[3] القضاء. وأشار إلى ذلك ابن الأبار بقوله:"وولي القضاء بعد ذلك ولا أعرف موضع ولايته". ورحلا إلى مدينة مرسيه بعد سنة 490هـ-1097م طلبًا للحديث، فسمعا من المحدّث أبي علي الصّدفي وكتبَا عنه رواياته.[4] وتولى الفقيه أبو محمد عبد الله ابن خليفة بن أبي عُرْجون التلمساني (ت.534هـ-1140م)[5] منصب القضاء في عدّة مدن ببلاد المغرب، واختص بالحديث وهو من الحّفاظ المشهورين "كان يميل إلى الحديث ويحفظ كثيرًا منه"[6]، وسمع من أبي علي الغساني وغيره من الفقهاء وأخذ عنه كثير من النّاس[7]. وروى المحدث يوسف بن علي التلمساني عن أبي بكر بن العربي تآليفه بإشبيلية.[8]

وازدادت رحلات فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى المدن الأندلسية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وكان أكثرها إلى مدينة قرطبة التي انتهج أصحابها سياسة حكيمة، ثم اشبيلية ثم المرية وبلنسية(Valencia) ومرسيه وغيرها من المدن.

وقد استقر عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري البلنسي الزواوي(حي سنة 505هـ-1112م)[9] بالأندلس. ونزل أبو عبد الله محمد بن سليمان بن مروان بن يحي القيسي البوني (ت.536هـ-1142م) بلنسية وغيرها، وكانت له"عناية كبيرة بالعلم والرّواية

---

[1] – بناء على نص القاضي عياض وابن فرحون فإن وفاة ابن المكوي وأحمد بن علي كانت في نفس السنة، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.325؛ فرحون، المصدر السابق، ج.1. ص.174). ذكر في **المدارك** المكوى هل هي نفس الشخصية؟ ، (انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج.2، ص.91).

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.85؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325.

[3] – روى عن القاضي أبي علي الصدفي، وذكره عبد الله بن عبد الحق التلمساني في فهرسته، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.412؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.247).

[4] – ابن الأبار، **المعجم**، ص.198؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.198.

[5] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.300؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.231.

[6] – نفسه؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.531.

[7] – نفس المصدر، ق.1، ص.300؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.231.

[8] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.200؛ ابن خلدون (أبو زكريا يحي، ت.737هـ-1337م)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق. وتح. وتع. عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص.114.

[9] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.223؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.250.

والدين".[1] واستقر الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي المسيلي(حي سنة 539هـ-1145م)[2]، بإشبيلية واشتهر بها في علم القراءات واستزاد عنه كثير من الطلبة مغربا ومشرقا.[3]

ورحل الفقيه والمحدث أبو عمران موسى بن الحجاج الأشيري(ت.589هـ-1193م) إلى الأندلس قبل سقوط قلعة بني حماد، وبقي بها خمس سنوات، فسمع من أبي بكر بن العربي سنة 535هـ-1141م وعن أبي عبد الله بن اصبغ وأبي مروان بن مسرة وغيرهما بقرطبة، وبإشبيلية عن أبي الحسن شريح بن محمد وبالمرية من أبي محمد عبد الحق بن عطية، وسمع من أبي عبد الله بن وضاح كتاب"**المشكل**" لابن قتيبة سنة 537هـ-1143م، وقد اطلع ابن الأبار على سماعه، ثم رجع إلى مدينة جزائر بني مزغنة وتولى بها الإمامة لصلاة الفريضة، وأُخذ عنه رواية الحديث بها وبمدينة تدلس سنة 588هـ-1192م.[4]

ورحل إلى المنكب (Almunécar) الفقيه والمحدث والأديب أبو الحسن علي الترشكي البوني(حي سنة 536هـ-1142م)، وروى عنهم الإمام أبو عبد الله المازري وروى عنه أبو القاسم ابن سمجون وقال عنه أنّه"اجتاز عليها مسافرا في البحر فتناولنا منه عدة كتب وتحصل منه على إجازات".[5]

وازدادت رحلات فقهاء المغرب الأوسط بعد بناء مدينة بجاية (457هـ-1065م)[6]، نتيجة حرب الناصر بن علناس ومن معه من صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والأثبج، ضد المعز بن زيري ورياح وزغبة وسليم،[7] التي انتهت بهزيمة الناصر وتكبده خسائر كبيرة في الأرواح[8] والأموال، وقتل في هذه الحرب أخو الناصر القاسم بن علناس[9]،

---

[1] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.584؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.303؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.660.

[2] – ابن خير، المصدر السابق، ص.34، 398؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.427؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص.951-952؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.7، ص.262.

[3] – حدد الذهبي وفاته في حدود سنة 540هـ-1146م، (انظر: **معرفة القراء**، مج.2، ص.952)؛ (وانظر أيضا: ابن الجزري(شمس الدين أبي الخير بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي، ت.833هـ-1430م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب الذي عني بنشرها سنة 1932م ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006م، ج.1، ص.107).

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص. 182-183.

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.553؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.155-156؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.51،26.

[6] – ذكر الحموي أنها بنيت سنة 457هـ-1065م بناها ناصر بن علناس، (انظر: **البلدان**، ج.1، ص.339؛ علاوة عمارة، **التطور العمراني والتجاري**، ص.234).

[7] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.372.

[8] – حسب ان الأثير عدد من قُتل من صنهاجة وزناتة قدر ب 24 ألف قتيل، (انظر: **الكامل**، ج.8، ص.373).

[9] – نفسه.

وقد يكون السبب خوضه الحرب ضد ابن عمه عدم استماع لنصيحة وزيره أبي بكر بن أبي الفتوح.[1]

وبتنقل الفقهاء إلى الأندلس قويت الرّوابط الثقافية بين المنطقتين، فقد رحل إليها من مدينة بجاية عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي ويعرف بالتاملغي، قصد قرطبة وأخذ عن الفقيه أبي الحسن العبسي وأبي علي الغساني فروى عنهما، وحدّث عنه من فقهاء المغرب الأوسط أبو الحسن بن طاهر بن محشرة خال ابن الرمامة، فقد اطلع ابن الأبار على سماعه سنة 513هـ- 1119م[2].

ورحل الأصولي أبو عبد الله محمد بن داود العكي القلعي (ت.525هـ-1131م)[3] الذي تفقه عن أبي عبد الله المازري الذكي(ت.516هـ-1122م) وعبد الجليل الديباجي البجائي (حي سنة 478هـ-1085م) ومن نظرائهم. انتفع كثيرا من علم الجياني، وولي قضاء مدينة تلمسان ثم مدينتي اشبيلية وفاس، وذكر القاضي عياض أنّه:"صحبه كثيرا ودرس عليه أصول الفقه وكان جليلا فاضلا فقيها ذكيا..."[4]، وهو من الشيوخ الذين أجازوا للفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي بفاس.[5]

ويمكن القول أن غالبية فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى الأندلس كلفوا بوظائف عديدة كالشورى والقضاء والإقراء، وهناك من اشتغل بالتجارة والعلم. وذلك بسبب تشجيع الخلافة الأموية لعلماء المالكية فقد عملت على استقطابهم إليها.

ثانيا- الرحلة نحو المغرب الأوسط من:

1- الأندلس

أفتى فقهاء مالكية بلاد المغرب سقوط فريضة الحج خوفا من مخاطر الطريق البرية والبحرية التي قد تعترض الحاج أثناء رحلته. وقال بعضهم أنّ هذه الفتوى خاصة بأهل الأندلس. فقد سأل الأمير يوسف بن تاشفين الفقيه ابن رشد عنها بقوله:"هل الحج أفضل

---

[1] - تمثلت النصيحة في أن يتفق النّاصر مع ابن عمه تميم الذي يكن له محبة خاصة، على محاربة العرب سويا لإخراجهم من بلاد المغرب، (انظر: نفس المصدر، ج.8، ص.374).

[2] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.304؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.363.

[3] - القاضي عياض، **الغنية**، ص.64؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.255؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.86؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.284.

[4] - نفسه.

[5] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.223.

لأهل الأندلس أم الجهاد؟.[1] و سأل أمير سبتة أيضا سنة 515هـ-1122م عن أهل العدوة هل تشملهم هذه الفتوى أم لا؟ فكانت إجابته:" إنّ من سوى أهل الأندلس من أهل العدوة سبيلهم سبيل أهل الأندلس". لقد سوى ابن رشد في فتواه بين الأندلسيين والمغاربة عند عدم الآمان في الطريق، بينما استثنى الذين لا يخافون على أنفسهم ولا على أموالهم الوصول إلى مكة، لكن الأولوية للجهاد لأنه أفضل من تعجيل الحج، حسب الإمام مالك الذي يقول بالتراخي.[2] ويبدو أنّ هذه الفتوى خاصة بأهل الأندلس والمغرب الأقصى بسبب الحروب التي شهدتها المنطقة مع النصارى، ويبدو أنّها لا تشمل المغربين الأوسط والأدنى.

وسمع العبدري أثناء مروره بقسنطينة في مجلس الشيخ أبي علي حسن ابن القاسم بن باديس[3] فتوى الإمام أبي الحسن اللخمي (ت.478هـ-1086م)[4] في حكم السّفر إلى الحج مع فساد الطريق، هل الأولى تركه احتياطا على النفس أو الاستسلام؟ فأجاب بالتّرك[5]. وأجمعَ كل من حضر المجلس أنّ الأولى تحمل الخطر في التوّجه والإعراض عن تلك العوائق.[6] ومهما اختلف الفقهاء في الفتوى إلا فقهاء الأندلس لم ينقطعوا من الرّحلة نحو المشرق إما لأداء فريضة الحج، أو التّعلم والاستزادة من علم العلماء.

كانت للحماديين علاقات سياسية بالأندلسيين. فقد اقتطع المنصور بن الناصر بن علناس مدينة تدلس لمعز الدولة بن صمادح بعد فراره من مدينة المرية إلى مدينة بجاية هروبا من المرابطين.[7] وقد أخذ معز الدولة بوصية والده بقوله:"أَمْتَسِكْ في هذه القصبة طول مقام ابن عَبَّاد في ملكه بإشبيلية ما استطعت فإن رأيت ابن عبّاد قد خرج، فلا تتربص ساعة واحدة، وانج بنفسك إلى القلعة، وادخل البحرَ بما قدرت عليه من الذخائر، إذ لا مطمع لك

[1] – ابن رشد(أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي، ت.520هـ-1126م)، **فتاوى**، تق. وتح. وجمع، وتع. المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص.1021- 1022.

[2] – اللخمي، **فتاوى الشيخ أبي الحسن القيرواني**، جمع وتح. وتق. حميد بن محمد لحمر، دار المعرفة، المغرب، د.ت، ص.62؛ ابن رشد، **فتاوى**، ص.1025.

[3] – العبدري، المصدر السابق، ص.95-96؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.124-125.

[4] – هو أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي وهو ابن بنت اللخمي القيرواني، كان فقيها فاضلا أديبا، تفقه على ابن محرز والتونسي والسيوري وغيرهم، كانت له الرئاسة في العلم في إفريقية، وتفقه عنه أبي عبد الله المازري وأبي الفضل النحوي، صنف كتاب"**التبصرة**"، (انظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.104-105؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.283؛ الدّباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.199-200؛ ابن قنفذ القسنطيني(أبو العباس أحمد ابن حسن بن علي بن الخطيب)، **الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين**، تح. وتع. عادل نويهض، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983م، ص.258. وهـ.2 من نفس الصفحة.

[5] – اللخمي، **فتاوى**، ص.63-64؛ العبدري، المصدر السابق، ص.95-96.

[6] – العبدري، المصدر السابق، ص.96.

[7] – عبد الله بن زيري، **مذكرات**، نشر وتح. إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م، ص.167؛ ابن الخطيب، **أعلام**، ق.3، ص.97.

في البقاء بعده".[1] ولم تكن هذه العلاقة وليدة هذا العصر فقد كانت منذ الإمارة واستمرت حتى سقوط غرناطة(Granada). ويمكن هنا طرح عدّة تساؤلات منها: فيما تمثلت الرّوابط الثقافية بين البلدين؟ من هم أهم الفقهاء الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الأوسط عامة وإلى القلعة وبجاية خاصة؟ وهل تأثر الوافدون على القلعة وأهلها بالفقهاء الأندلسيين؟ وفيما يتجلى ذلك؟.

لقد عرف المغرب الأوسط استقرار الأندلسيين منذ نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكان عددهم في تزايد من فترة إلى أخرى. وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين برزت القلعة وبجاية كمركزين هامين في استقطاب مالكية الأندلس[2]. ويمكن اعتبار ذلك امتدادا للحركة العلمية الأندلسية.

وممّا لا شك فيه، أنّ رحلة فقهاء الأندلس إلى المغرب الأوسط،[3] كانت نتيجة الصّراعات والفتن التي عرفها الأمويون، وانتهت بسقوط الخلافة سنة 422هـ-1031م وانقسام البلاد إلى ممالك مستقلة عن بعضها البعض، وأصبح لكل مدينة أمير مستقل اتخذ لقب الملك أو الأمير أو الوالي أو القاضي تبعا لحجم المدينة التي يحكمها،[4] وأُطلق عليها مصطلح "دويلات الطوائف"[5] أو"ملوك الطوائف".[6] ومن شدة روع هذه الفتن توقف المؤرخ ابن حيان عن التّدوين وقال عنها:" ففاضت أهوالها تعاظمًا، أذهلني عن تقييدها، ووهمني ألاّ مخلص منها، فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها، نفس الخناق وبلل الرماق فاستأنفت يومئذ تقييد ما استقبلته من أحداثها... ".[7]

---

[1] – عبد الله بن زيري، المصدر السابق، ص.167-168.

[2] – قدر الباحث علاوة عمارة عدد الشخصيات الأندلسية التي نشأت بالمغرب الأوسط ووارجلان 146 دون تحديد مذهبية هؤلاء قد يكون العدد المذكور خاص بالمالكية وغيرهم ، أما إذا كان المقصود منه المالكية فقد يكون العدد مبالغ فيه نوعا ما، (انظر: **مكانة الفكر العقدي**، ص.105).

[3] – وصل عدد الشخصيات العلمية الأندلسية الواردة إلى المغرب الأوسط 50 شخصية حسب الباحث علاوة عمارة، (انظر: **مكانة الفكر العقدي**، ص.104).

[4] – يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر. وتع. محمد عبد الله عنان، تق. وتنويه سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006م، ج.1، ص.31.

[5] – عبد الوهاب خليل، "أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة(399-422هـ/1009-1031م)"، **مجلة الآفاق للثقافة والتراث**، ع.25-26، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ربيع الأوّل-جويلية، 1999م، ص.103؛ عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتب الخانجي، القاهرة، 1997، ج.1، ص.281.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.200؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.149.

[7] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، ص.576؛ عبد الوهاب خليل، المرجع السابق، ص.103.

ولم تستقر أوضاع هذه الممالك كثيرا، لاتسامها بالطابع العدائي في التّعامل فيما بينها، وضعفت عقيدتهم الدينية[1]، وحاولت كل مملكة توسيع رقعتها على حساب الأخرى. واستنجد البعض ضد البعض الآخر، فتضاءلت قوتها ممّا أدى إلى خضوع بعضها إلى الممالك النصرانية أو طلب المساعدة منها في تلك الصراعات. وتغيرت موازين القوى وأصبح المسلمون يدفعون الجزية للنصارى.[2] ووصل الأمر بهؤلاء إلى طلب اقتطاع الأراضي من الممالك الإسلامية مستغلين ضعفهم الداخلي والخارجي. واستولى ألفونسو السادس على مدينة طليطلة(Toledo) التي كانت تحت إمرة عبد القادر بن ذي النون سنة 478هـ-1085م[3] وعلى غيرها من المدن.[4] فهذه الظروف وغيرها دفعت الفقهاء للتّنقل بين المدن مغربية ومشرقية بحثا عن الآمان[5]، لكن تعرض بعض العلماء إلى القتل أو السّجن أو النّفي[6]، وكان من أبرزهم المؤرخ والفقيه أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي، صاحب كتاب"**تاريخ علماء الأندلس**" سنة 403هـ-1013م.[7] وتعرض أبو محمد بن حزم إلى محنة أشار إليها بقوله:"شُغلنا بعدَ قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنّكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتحانا بالاعتقال والتَّرقيب والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت (اشتدت) الفتنة وألقت باعَها وعمَّت النّاس، وخصَّتنا ...".[8]

لم تنج المكتبات من الفتن أيضا بما فيها مكتبة الخليفة المستنصر، فقد اضطر حاجب الخليفة هشام المؤيد واضح الصقلبي إلى بيع قسم منها بأرخص الأثمان أثناء محاصرة الجند المغاربة لقرطبة، وقضى هؤلاء بقيادة الخليفة المستعين سنة 403هـ-1013م على الباقي.[9]

---

[1] – العبادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ت، ص.111).

[2] – كان القادر بن ذي النون يدفع للسيد مبلغ عشرة آلاف دينار سنويا لقاء حمايته من الشعب في بلنسية، (انظر: العبادي، المرجع السابق، ص.111؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج.1، ص.46).

[3] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.4، ج.1، ص.167؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.439؛ منيرة بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص.58 وما بعدها؛ ذكر صاحب كتاب **الأنيس المطرب** أن ألفونسو ملك مدينة طليطلة سنة 477هـ- 1085، (انظر: ابن أبي زرع، ص.174؛ بوباية عبد القادر، **وهران مدينة من الجزائر**، ص.73؛ سعدون عباس نصر الله، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة، بيروت، 1985م، ص.117).

[4] – نتجت عنها هجرات داخلية متفاوتة بين المدن الأندلسية تعود إلى طلب العمل وهو أشدها إلحاحا أو الفتنة أو الخوف من الحكام أو الزهد أو الجهاد، (انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج.1، ص.369-370؛ منيرة بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص.121-122).

[5] – مثاله ما حدث للمؤرخ والجغرافي عبيد الله البكري ومن أمثاله من العلماء كالعذري وابن حزم وابن حيان وابن بسام، ممّن عاصروا أحداث الفتنة التي حدثت بعد سقوط الخلافة وما نجم عنها، (انظر: حسين مؤنس، **الجغرافيا والجغرافيون**، مج. 11-12، 1963-1964م، ص.105؛ عبد الوهاب خليل، المرجع السابق، ص.103).

[6] – توّجه الفقيه أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي الغرناطي إلى الحجاز قادما من الأندلس بعد مروره بالإسكندرية، نحو الحجاز بنية الاستقرار بسبب ما حدث لبلده غرناطة من القتل والنهب والخراب، لكنه توفي بمصر سنة 555هـ-1160م، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.40).

[7] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.79.

[8] – ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص.153-154؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، ص.439؛ بوباية عبد القادر، **وهران مدينة من الجزائر**، ص.73؛ عبد الوهاب خليل، المرجع السابق، ص.104 وما بعدها.

[9] – عبد الوهاب خليل، المرجع السابق، ص.107.

وبيعت أيضا كتب أبي المطرِّف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس(ت.420هـ-1029م) بسبب الغلاء والفتنة أيضا،[1] ونهبت مكتبات أخرى.

وقرر بعض فقهاء مالكية الأندلس الهروب والاستقرار بإحدى مدن العدوة الجنوبية. واقتصرت الباحثة منيرة بنت عبد الرحمن في دراستها على ذكر الوافدين إلى المغرب الأقصى والمشرق وإفريقية حيث بلغ عددهم 39 عالما أي بنسبة 12%[2] ويعود ذلك حسب الباحثة يعود إلى قطيعة المعز بن باديس للفاطميين والدّعوة للعباسيين على المنابر وإظهار المذهب المالكي.[3] ولم تتعرض الباحثة إلى الفقهاء الأندلسيين الذين نزلوا مدن المغرب الأوسط بينما أوردت المصادر أكثر من ثمانية علماء الذين حلوا بهذه المنطقة في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين،[4] إضافة إلى الذين سمعوا أو رووا عن فقهاء المغرب الأوسط بالمكاتبة أو جاهلين المكان، مثل الفقيه أحمد بن نصر الداودي وابن أبي زيد القيرواني.[5]

وقد يصعب أحيانا على الباحث إلحاق بعض الفقهاء إلى أصلهم، لعدم معرفتهم بعض مناطق بلاد المغرب أو لتشابهها. فقد نسب القاضي عياض وابن الزبير(ت.708هـ-1309م) وابن الآبار ومن طبقتهم بعض مالكية المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى[6] والبعض الأخر إلى المغرب الأقصى أو الأندلس. وسبب عدم الدقة في الألقاب يعود إما لعدم وجود مصطلح المغرب الأوسط الذي ظهر عند البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، أو عدم التثبت عمن نقلوا عنهم ولم يبدلوا جهدا في التحقق منها فتركوها على أصلها.[7] ومن كتب الطبقات والتراجم التي نقلوا عنها كتاب"**طبقات علماء إفريقية**" لأبي العرب وكتاب"**رياض النفوس**" لأبي بكر المالكي وكتاب "**تاريخ علماء الأندلس**" لابن الفرضي وغيرهم.

---

[1] – الداوودي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت.945هـ-1519م)، **طبقات المفسرين**، را. النسخة وضبط أعلامها نخبة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983م، ج.1، ص.292.

[2] – منيرة بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص.126-127.

[3] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.89؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.275؛ النويري، المصدر السابق، ص. 342؛ لطيفة بنت محمد البسام، **الحياة العلمية في افريقية في عهد بني زيري**، رسالة دكتوراه الرياض، كلية الآداب جامعة ملك سعود، 1993م، ص.16.

[4] – وانظر أيضا: بعد ص.36، والجدول الخاص برحلة فقهاء مالكية الأندلس نحو المغرب الأوسط ضمن الملحق رقم (15).

[5] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.49، 86.

[6] – نفس المصدر، ق.1، ص.49، 86 و ج.2، ص.398.

[7] – إنّ عدم استقرار حدود المغرب الأوسط جعل المؤلفين يخلطون في نسب بعض فقهائه إلى غيره من البلدان، وخير دليل الدراسة التي قامت بها منيرة بنت عبد الرحمن في عدم وجود رحلة فقهائه في القرن الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين إلى الأندلس، (انظر: جدول رحلة علماء المغرب الأوسط إلى الأندلس)، وانظر أيضا: الملحق رقم(14)، الذي يبين رحيل عدد معتبر من فقهاء المغرب الأوسط إلى الأندلس.

واستغل الفقهاء وجودهم بالمناطق التي رحلوا إليها للاستفادة من أشهر علمائها، فتزودوا بالعلم وتحصلوا على إجازات عن طريق الرّواية،[1] ومن هؤلاء أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي (ت.400هـ-1010م)[2] المشهور بابن ميمون، سمع بمدينة قرطبة مع نظيره أبي إسحاق بن شنظير عن أبي عون الله وأبي عبد الله بن مفرج وخلف بن محمد الخولاني وغيرهم ممّن يطول ذكرهم.[3] وقد عرف بكثرة ملازمة الشيوخ وجمعه للعلم بالسّماع منهم والإقراء عليهم، وروى بمدينة طليطلة عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد ومحمد بن عمرو بن عيشون وعبد الله بن وارث وغيرهم ومن القادمين إليها[4].

وتميز الفقيهان أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي وأبو إسحاق بن شنظير مثل غيرهم بحب العلم والعلماء فتحملوا مشقة الرّحلة إلى أقاصي البلاد مغربا ومشرقا، ولم يكتفيا بما أخذاه من العلم فقد سافرا إلى المشرق لإداء فريضة الحج، فاستغلا ذلك بالسّماع بمدينتي مكة والمدينة ووادي القرى وبايلَة وبالقُلْزم ومصر وطرابلس والقيروان، وسمعا بالمسيلة عن محمد بن أبي زيد القيرواني وأبي جعفر الداودي" .[5] وأخذا ابن عبيدة الأموي وأبو إسحاق بن شنظير بمدينة تنس عن أبي القاسم سوّار بن كيسان ورجعا إلى بلديهما بعلم وفير وكتب عديدة في مختلف الفنون. وكانت جل كتب ابن عبيدة الأموي بخط يده" منتخبة مضبوطة صحاحا أمهات لا يدع فيها شبهة مهملة وقل ما يجوز عليه فيها خطأ..."[6]، ما جعلها من أصح كتب مدينة طليطلة في تلك الفترة. [7]

واعتنى الفقيه أحمد بن محمد بن يحي القرشي المشهور بابن الصقلي بطلب العلم في الأندلس وغيرها من المناطق، واستقر في القيروان إلى آخر حياته، ويعتبر أبو محمد بن زيد القيرواني وأبو الحسن القابسي وأبو جعفر الداودي المسيلي وعتيق بن إبراهيم (ت.429هـ-1038م) وغيرهم من شيوخه الذين ذاع صيتهم مغربا ومشرقا.[8]

---

[1] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.258-259.

[2] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.20 وما بعدها؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.8، ص.82.

[3] - نفسه؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.17، ص.150.

[4] - نفسه.

[5] - تعدد ذكر الداودي وابن أبي زيد عند ابن بشكوال مغربا ومشرقا في عدة مواقف من كتابه، تغلب على نصوصه بعض من الغموض بحيث مرة يذكر الداودي بالمشرق، ويذكر القيرواني في المسيلة وهذا أغلفت عنه المصادر الأخرى، (انظر: المصدر السابق، ق.1، ص.21).

[6] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.21.

[7] - نفس المصدر، ق.1، ص.22؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.17؛ ص.158.

[8] - نفس المصدر، ق.1، ص.86.

ورحل الفقيه أبو العباس أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الواعظ الألبيري (ت.432هـ-1041م) إلى قرطبة ثم سكن القيروان ويعتبر من القدماء الذين اعتنوا بطلب العلم بالأندلس فروى بها عن الفقيه ابن أبي زمنين، وسمع عن أبي سليمان بن بطال البطليوسي كتابه"**أدب الهموم**" وكتاب "**الدليل إلى طاعة الجليل**". وكان النّاس يبكرون إلى مجالسه بالمسجد الأعظم بقرطبة حتى ازدحمت بهم لتفقهه بالمذهب المالكي. وفي طريقه إلى الحج أخذ عن أبي الحسن القابسي وعن أبي جعفر الداودي.[1]

واستوطن بعض فقهاء الأندلس إحدى مدن المغرب الأوسط كالفقيه أبي حفص عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي (ت. بعد سنة 442هـ-1051م)، الذي تفقه عن أبي عمران الفاسي (ت.430هـ-1039م) وأبي القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي وغيرهم من طبقاته، واستوطن مدينة بونة ودرس عنده الفقيه أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي البوني فذكره هذا الأخير ضمن شيوخه الذين التقى بهم في المشرق وأثنى عليه في فهرسته.[2]

ولما اشتدت الفتن بالأندلس أصبحت القلعة وغيرها من الحواضر المغربية الملاذ الآمن للعلماء ومنطقة للاستقرار، للحفاظ على أنفسهم وعلمهم كما تَضمن لهم الاستزادة بعلم الفقهاء من المالكية، والقادمين إليها من الدول المجاورة أو المشرقية. وقد كانوا في سابق عهدهم بعد تحصيلهم العلمي في بلدهم، يرحلون إلى العدوة الجنوبية ثم يعودون بالعلم إلى بلدهم للاستقرار ونشره بين أهلهم. فالفقيه أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري القرطبي رحل إلى القيروان ولازم الفقيه أبو الحسن علي بن أبي طالب العَابر فأخذ عنه معظم رواياته وتآليفه وعن نظرائه، ثم عاد بها إلى بلده ونشرها، ثم استوطن مدينة دانية لكنه لم يكتف بما استزاد به، فرحل ثانية إلى القلعة سنة 450هـ-1058م وكانت ملتقى العلماء والطلاب من شتى الأقطار، ولتداول مختلف العلوم كالفقه والحديث وعلم اللغة والقراءات والتفسير...وغيرها فبقي بها وانتشرت تصانيفه إلى أن توفي[3].

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.49؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.9، ص.582.

[2] - نفس المصدر، ق.2، ص.398.

[3] - نفس المصدر، ق.1، ص.59، ق.2، ص.398.

ونزل الفقيه أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي المالكي[1] الميورقي (ت.485هـ-1092م) بجاية، ثم رحل إلى القيروان فتفقه في المذهب المالكي عن شيوخها كالسيوري، وأخذ علم الكلام والأصول عن أبي القاسم عبد الجليل الديباجي وأبي عمرو بن سراج وأبي عبد الله الصيرفي. وأخذ عن علماء صقلية ومكة ومصر، ولقي في هذه الأخيرة أبا طاهر البغدادي سنة 429هـ-1038م[2]، ثم عاد إلى بجاية وترأس بها علوما عديدة كعلم الحديث والأدب... لكن كان يغلب عليه علم التوحيد والكلام وله تصانيف منها كتاب "**الأعلام**" في علم الكلام والتوحيد[3] وقصيدة[4] في "**الحكم والمواعظ**". ومن شدة كراهيته لبني عبيد أوصى ابنه على أن لا يسكن منطقة بها قوم مثلهم، لأنهم الكافرون حسب رأيه. وذكر المقري بيتين له فقال:

وطَاعَةَ مَن إلَيه الأَمْرُ فَالْزَمْ وإنْ جَارُوا وكَانوا مُسْلِمِينا

فَإن كَفَرُوا كَكفر بَنِي عُبَيدٍ فَلاَ تَسْكُن دِيار الكَافِرِينَا [5]

ونظّم قصيدة يحث فيها على أتباع المذهب المالكي ذكر القاضي عياض بعض أبياتها:

وكن فِي ذِي المذاهب مالكيا مدينيـــا وسنيـــا متينـــا

مدينة خير من ركب المطايا ومهبط وحي رب العالمينـا

بها كل نبـي وخير صحب وأكـثرهم بهـــا أضحـــى

ومالك الرضى لا شك فيـه وقد سلك الطريق المستبينا

نظرنا في المذاهب ما رأينا كمذهب مالك للناظرينـــا[6]

ازداد توافد مالكية الأندلس إلى بجاية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكانت تلمسان وجهتم باعتبارها بوابة المغرب الأوسط. وتغيرت المدن الأندلسية التي وفد منها الفقهاء فاحتلت قرطبة الصدارة فبعدما كان العلماء من مشارق الأرض ومغاربها يفدون إليها باعتبارها مركز الخلافة والعلم دون منافس، فأصبح الخروج منها أمرا حتميّا للظروف التي عاشتها، وقل عدد الوافدين من مدن أخرى كإشبيلية وبلنسية. فالفقيه يخرج من هذه من مدينة إلى أخرى[7] تنعم بالأمان ولو ظاهريا، فيجالس فيها ما استطاع من العلماء، ويأخذ

---

1 - ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.326-327؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.159؛ ابن العربي، **ترتيب الرحلة للترغيب الملة ضمن كتاب مع القاضي أبي بكر العربي**، تح. سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص.193-194؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.60).

2 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.159.

3 - نفسه.

4 - ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.327؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.60.

5 - المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.60.

6 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.167.

7 - ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.6؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.153،169؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج. 11، ص.864، **معرفة القراء**، مج.2، ص.119، **المستملح**، ص.50.

عنهم ما يحتاجه من العلم، وينتقل بعدها إلى مدن العدوة المغربية، إما بإرادته أو تحت ضغط الأوضاع الداخلية. [1]

وهكذا اتجه العديد من فقهاء الأندلس من المالكية وأتباع المذاهب الأخرى،[2] نحو مدن المغرب الأقصى على رأسها مدينة فاس، فالبعض منهم استقر هناك والبعض الآخر خرج منه ليستقر في إحدى مدن المغرب الأوسط،[3] بسبب الفتن، والغلاء، الذي ساد المنطقة أثناء الوجود المرابطين[4] وبعدهم[5].

وزمن الفتنة انتقل مضطرا الفقيه عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت.432هـ-1141م) من الأندلس إلى بجاية فاستقر بها إلى غاية وفاته، [6]وينتمي من البيوتات العلمية المشهورة بقرطبة، فقد تفقه على أبي محمد الباجي ونظرائه. واستقر أبو بكر وقيل أبو الحجاج محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف اللخمي (ت.544هـ-1150م) في مدينة وهران إلى أن توفي بها[7]. وانتقل الفقيه الظاهري محمد بن الحسين الأنصاري الميورقي[8] إلى بجاية هروبا من المرابطين فسجن مع الفقيه أبي الحكم بن برجان وأبي العباس بن العريف مدة، ولما فك أسره وأُخلى سبيله، انتقل إلى المشرق، ثم رجع إلى بجاية واستقر بها فحدّث وسُمع منه[9].

وتعد تلمسان أكثر مدن المغرب الأوسط استقبالا لفقهاء الأندلس، إذ أنها الأقرب إلى المغرب الأقصى من جهة، وتابعة للمرابطين من جهة أخرى[10]، فالفقيه النازح إليها لم يكتف بعلم فقهاء بلده، أو يختص بعلم واحد، بل نجده مهتما بعدة علوم في آن واحد، من أمثال

[1] – خرج الفقيه محمد بن جعفر بن صاف اللخمي من الأندلس في" الفتنة بعد انقراض دولة الملثمين"، (انظر: ابن الأبار، نفس المصدر؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.153).

[2] – من أصحاب المذهب الظاهري، (انظر: نفس المصدر، ج.1، ص.359؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.170؛ الذهبي، **المستملح**، ص.42؛ المقري، نفح **الطيب**، ج.2، ص.155).

[3] – السّلفي، **المعجم**، ص.206؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.359؛ **المعجم**، ص.144؛ الذهبي، **المستملح**، ص.42.

[4] – من الفقهاء الأندلسيين الذين فروا من الأندلس إلى مدينة سبتة بسبب الفتن وغلاء المعيشة، الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الرماك الأموي الصقلي من أهل إشبيلية وكان ذلك سنة 541هـ-1146م، (انظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.179-180).

[5] – ذكر المحققان في مقدمة كتاب "**صلة الصلة**" أن انقضاء دولة لمتونة بمراكش كان في شوال سنة 541هـ-1147م، بينما ذكره ابن الزبير في النص المحقق أنه في شوال سنة 544هـ-1150م، وكان دخول الموحدين إلى فاس في نفس السنة، (انظر: **مقدمة الكتاب**، ق.3، ص.13، 225).

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص. 26-27؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.269-270.

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.6 ابن الزبير، المصدر السابق، س.6، ص.153.

[8] – كان الأمير على بن يوسف بن تاشفين ينفق الكثير على كتب الفقه في مذهب الإمام مالك وينبذ ما سواها، (انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.673).

[9] – ذكر بن عبد الملك أنه توفي سنة 537هـ- 1143م، (انظر: المصدر السابق، س.6، ص.170)؛ أما مصادر أخرى أنّه حدث ببجاية سنة 537هـ-1143م، (انظر: ابن الأبار، **المعجم**، ص.144؛ الذهبي، **المستملح**، ص.42؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.155).

[10] – كانت تلمسان في يد المرابطين، فهيأ المنصور بن علناس جيشا سنة 494هـ-1101م ثم أقلع عنها صلحا، وقد اضطر ابن تاشفين للتراجع عن مدينتي تنس ووهران بعد أن وقفوا على مشارف مدينة الجزائر، (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص.97؛ عبد الحليم عويس، **بجاية الجزائرية**، ص.163).

الفقيه محمد بن أغلب بن أبي الدوس المرسي (ت.511هـ-1117م)[1]، الذي تجول كثيرا بين مدن بلاد المغرب "يعلم ويقرأ" [2]. أقرأ العربية بتلمسان[3]، وله تآليف وتقييدات كثيرة إلاّ أنه "اشتهر بالإقراء"[4] وبالحديث، روى عنه ابنه أغلب وشيخه أبو الأصبغ بن سهل وغيرهما. وروى عن أبي علي الغساني وعبد الدائم بن مرزوق القيرواني وغيرهم من الفقهاء،[5] واختلفت المصادر في مكان وفاته بين مدينة تلمسان ومراكش. [6]

وانتقل الفقيه محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باقٍ الجذامي(ت.538هـ-1144م) حفيد ذي الوزارتين الفقيه محمد بن أحمد[7] من مدينة سرقسطة(zaragoza) إلى غرناطة وسكن بها،[8] ثم دخل مدينة تلمسان وأخذ الناس عنه[9]. وروى عن محمد بن الحكم أيضا الفقيه أبو إسحاق بن قرقول الحمزي[10] بالأندلس وقد يكون بمدينة فاس، كما يمكن أن تكون الرواية مكاتبة. والتقى بمحمد بن عبد الحكم الفقيه محمد بن الحسين بن أبي البقاء(ت.535هـ-1141م) الأندي بتلمسان فروى عنه أيضا،[11] وحدث القاضي أبو بكر بن جزي بتآليف محمد ابن حكم إلى المنتوري التي ذكرها في فهرسته بسند تلميذه أبي محمد بن دحمان.[12]

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.335-336؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.133-134؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.388؛ الزركشي(العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، را. عبد الوهاب بن منصور، 1419هـ-1998م، ج. 4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254.

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.133.

[3] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.388.

[4] – لم يبين المؤرخون هل الإقراء كان في علم اللغة بمعنى القراءة، أم في علم القراءات الخاص بقراءة القرآن، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.336؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254).

[5] – نفس المصدر، ج.1، ص.335-336؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.134؛ الزركشي، **الإعلام**، ج. 4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254.

[6] – ذكر ابن الزبير أنه توفي بتلمسان لكن ابن عبد الملك قال:" ليس بشيء"، (انظر: المصدر السابق، ق.5، ص.388؛ المصدر السابق؛ س.6، ص.134)، وعزى بعض المؤرخين لما ذهب إليه ابن عبد الملك، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.336؛ الزركشي، **الإعلام**، ج.4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254).

[7] – كان جده صاحب مدينة سالم ذو الوزارتين، قتل بها سنة 420هـ-1029م، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.360؛ الذهبي، **المستملح**، ص.43، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.691).

[8] – جعل ابن الزبير وفاته سنة 530هـ-1136م، (انظر: المصدر السابق، ق.5، ص.394، ونقل عنه السيوطي تاريخ وفاته لكن عنده سنة 538هـ-1144م وهي الأرجح، (انظر: السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.96؛ وصاحب جذوة الاقتباس جعلها سنة 533هـ-1139م، (انظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.256).

[9] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.394؛ السيوطي، **بغية الوَعاة**، ج.1، ص.96.

[10] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.284؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.256.

[11] – بعض المؤرخين جعلوا وفاته في مدينة تلمسان، أمّا ابن عبد الملك وهو ما نقله عنه ابن الزبير قال:"وقيل في تلمسين- وهو الأصح-"، (انظر: المصدر السابق، س.6، ص.178؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.394؛ وهو ما ذكره ابن الأبار، (انظر: **التكملة**، ج.1، ص.360)؛ والذهبي (انظر: **المستملح**، ص.43، **تاريخ الإسلام**، ج.11 ص.476)؛ وابن القاضي، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.256)؛ أما السيوطي ورضا كحالة جعلاه ممّن توفي بفاس، (انظر: **بغية الوعاة**، ج.1، ص.96؛ **معجم المؤلفين**، ج.3، ص.266).

[12] – المنتوري، المصدر السابق، ص.310؛ وذكر شيخه في المصادر التي ترجمت لمحمد بن حكم.

ونظرا لإمكانياته العالية في حفظ الفقه ومسائل المدونة و"محسنا عقد الشروط ضابط لما رواه وقيده" فقد ولي الفقيه أبو البقاء الأحكام والصلاة والخطبة بتلمسان،[1] وهو الذي روى عن كبار فقهاء الأندلس منهم الفقيه أبي بكر بن العربي، والفقيه أبي الحسين شريح وغيرهما ممّن لقيهم بها أو بالمدن المغربية، وأخذ عنه من لقيه.

وأجبرت الظروف الداخلية الفقيه المحدّث والقاضي أبو بكر بن العربي على الرحيل إلى المشرق حيث الأمان والهدوء بعد سقوط دولة بني عباد واستيلاء المرابطين على اشبيلية[2]. وبعد حصوله على موافقة الأمير يوسف بن تاشفين[3]، واستشارة شيخيه والفقيه أبي القاسم الهوزني[4] خرج لأداء فريضة الحج[5].

واعتمادا على روايته التي ذكر فيها أنه حضر إحدى المجالس العلمية بالأندلس مع بعض المعلمين وكان أبوه من بين الحاضرين، إذ دخل عليهم أحد السماسرة حاملا بيده رزمة من الكتب من بينها تأليف السمساني[6] والباجي[7]، وكتب هذا الأخير جلبها من المشرق، وسمع من الحضور أن" فقهاء بلادنا –الأندلس–لا يفهمون عنه (الباجي) ولا يعقلون"، فكان الدافع القوي لرحلته إذ يقول :"ونذرت في نفسي طيّة لئن ملكت أمري لأُهَاجِرَّن إلى هذه المقامات، ولأفدن على أولاء الرجالات، ولأَتمرَّسْن بما لديهم من المقاعد والمقالات..."[8]، يبدو أنّ هذه من صفات الفقهاء الذين يرغبون في الاستزادة من العلم. وقد نهجها من سبقه من العلماء كعبد الرحمن بن زياد، ويحي بن يحي الليثي وابن حبيب وغيرهم ممّن رحلوا إلى المشرق.

وقبل خروج أبو بكر بن العربي ووالده من الأندلس لأداء فريضة الحج، مرّا بثلاث مدن أندلسية، وقد ذاكر ابن العربي مع الفقيه أبي مطرف عبد الرحمن بن قاسم(ت.497هـ–

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.356؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.171.

[2] – تم المصادرة على أموال الأمراء والوزراء عند استيلاء المرابطين عليها وكان من بينهم الفقيه أبي محمد بن العربي، فلم يستطيع تحمّل هذه الأوضاع، فترك السياسة جانبا، ورأى أن يرحل إلى المشرق حيث الهدوء والاطمئنان، (انظر: ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.13، **قانون التأويل**، ص.420).

[3] – حسب ما ذكره سعيد أعراب فإنّه "ربما اقترح على يوسف بن تاشفين أن يقوم له بالدعاية في الخارج وينشر مناقبه ومزاياه"، (انظر: ابن العربي، **الرحلة**، ص.13)، وهذا الأمر مستبعد لرجل مثله لما يتمتع به من صيت في بلاد المغرب فهو لا يحتاج لابن العربي أو غيره من الفقهاء لينشر مناقبه ومزاياه، وإذا فرضنا ذلك فابن العربي كان في عنفوان شبابه وهذه المهمة ثقيلة لفقيه في سنه، لكن عبد الله بن العربي وابنه ندبا نفسيهما وخاطبا الخليفة العباسي لتولية يوسف بن تاشفين على المغرب والأندلس، (انظر: حسين مؤنس، **الجغرافيا والجغرافيون**، مج.11–12، ص.133).

[4] – ابن خير، المصدر السابق، ص.100؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.257.

[5] – ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.13.

[6] – هو القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناني مقدم الأشعرية في وقته، شنع عليه ابن حزم كعادته في الانتفاض من الأشاعرة له تصانيف في الفقه وعلم الكلام، ت.444هـ–1053م، (انظر: ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، نشره حسام الدين المقدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م، ص.259؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، ج.18، ص.304).

[7] – أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي، من الذين حددوا مناهج البحث وطرق التفكير في الأندلس له تصانيف كثيرة في الفقه والكلام والزهد، ت.474هـ–1082م، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.117؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.200؛ الذهبي، **النبلاء**، ج.18، ص.535).

[8] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.424–425، **ترتيب الرحلة**، ص.13.

1104م) بمدينة مالقة، ولم يجد ضالته بغرناطة[1]، وجالس القاضي أبا الحسن عبد العزيز ابن عبد الملك بن شفيع المقرئ(ت.514هـ-1121م) في مدينة المرية،[2] ومنها أبحر إلى بجاية سنة485هـ-1092م [3]، فوجد بها الفقيه أبو بكر بن عمار الميورقي شيخ الإقراء فسمع منه،[4] وبعد حضور بعض مجالسه قال عنه أنه:"رأسا فيهم(مشاركًا) في المعارف والحديث، والمسائل والأدب" و"ربما كانت عنده في الأصول إشارة على منوال الباجي ونظرائه"،[5] والتقى بها بالفقيه والمحدث والأديب القاسم بن عبد الرحمن أيضا.[6]

وقد التقى بمدينة بونة الفقيه المالكي سعد[7] من أصحاب السيوري "شيخ متوسط الطريقة"،[8]ودخل تونس وسوسة، والمهدية، والقيروان، فأخذ بها أصول الدين وناظر فيه، وجالس ابن الحبيب واللبيدي وأبو الحسن علي بن محمد الخولاني المهدوي المقرئ، والأديب، والمتكلم المعروف بالحداد(ت.497هـ-1104م). [9] وذكر حسين مؤنس أنّ ابن العربي قال:"كنت أحضر عليه كتابه المسمى بالإشارة وشرحها من تأليفه"[10]، على أنّ سماعه كان ببجاية لكن النصوص تشير إلى أنه التقى به في المهدية في شهور من سنة 485هـ-1092م.[11] ولم يَفته السّماع من أبي عبد الله المازري بإفريقية. [12]

ولما وصل ابن العربي إلى مصر حضر مجالس المناظرة، واستفاد من فقهائها[13]، وناظر الشيعة والقدرية هناك، واختلفت مناظرات بيت المقدس عن مصر إذ شملت المسائل الفقهية في المذهبين الحنفي والشافعي واستفاد منها في أساليب الجدل. [14] وما تميز به ابن

---

[1] – لم يفصح عن العلماء الذين التقى بهم بغرناطة، كما أنّه لم يطل البقاء بها، وقد يكون مرد ذلك لعدم وجود حاجته هناك، (انظر: ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.14).

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.373؛ الضبي، المصدر السابق، ص.373؛ البغدادي، **غاية النهاية**، ص.1، ص.394.

[3] – أي إلى الميناء الذي لم يمض على إنشائه مدّة طويلة، اختطه محمد بن البعبع أمير البحر لتميم بن باديس بن زيري، (انظر:حسين مؤنس، **الجغرافيا والجغرافيون**، مج. 11-12، ص.123)؛ وقد قام الباحث علاوة عمارة بدراسة مطولة حول بناء بجاية ومينائها معتمدا على نصوص لاتينية وشواهد أثرية التي تؤكد الماضي القديم لبناء مدينة بجاية، ومكانها غير بعيد عن موقعها الحالي، أما الميناء فقد كان مستعملا في زمن الفنيقيين، (انظر: **التطور العمراني والتجاري**، ص.229 وما بعدها؛ Allaoua (A.), **L'animation de la façade maritime**, p.10 .

[4] – ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.193-194؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.327؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.60.

[5] – نفس المصدر، ص.194-195.

[6] – لم يجد كل من محمد سليماني محقق كتاب قانون التأويل وسعيد أعراب في ترتيب الرحلة لابن العربي ترجمة له.

[7] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.426؛ لم يقف على ترجمته في ترتيب الرحلة ص.196، هـ.116.

[8] – ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.196.

[9] – نفس المصدر، ص.198؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.28.

[10] – **الجغرافيا والجغرافيون**، مج. 11-12، ص.123.

[11] – ابن خير، المصدر السابق، ص.288؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.285.

[12] – ابن خلكان، المصدر السابق، ج.3، ص.413؛ المقري، **أزهار الرياض**، ج.3، ص.165.

[13] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.433.

[14] – نفس المصدر، ص.433،436.

العربي أنه لا يبرح مجلسا للمناظرة حتى يستوعبها ويفهم ما دار بها من جدل، والوصول إلى ترجيح أحدهما، و"كان يفاوض"الكرّامية والمعتزلة والمشبّهة واليهود...وخاصم النصارى بها"[1].

استفاد ابن العربي من رحلته كثيرا فقد لازم فخر الإسلام أبو بكر الشاشي[2] بالمدرسة النظامية بالعراق، والإمام الغزالي فكان يلقاه في الصباح والمساء والظهيرة والعشاء[3]. ووصف ملازمته للغزالي" كمن يدخل المعدن فيجمع النضار[4] برغامِهِ[5]"، فاختص به بالقراءة والسّماع والمباحثة والتتبع للمشكلات بالكشف عن خباياها[6]. ولما أكمل ابن العربي رحلته وحقق هدفه. دخل مدينة تونس سنة 494هـ-1101م، وانتقل منها إلى مدينة تلمسان وألف بها رسالة لأهلها في موضوع الرؤيا "**محاسن الإحسان في جوابات أهل تلمسان**" [7]، ذكرها في كتاب "**العارضة**"[8]، واعتبره جزءً من كتاب "**العوض المحمود**"[9].

واجتمع في فاس[10] بالشيخ أحمد القسنطيني[11]، وانتقل بعد ذلك إلى الأندلس واستقر بإشبيلية وبدأ يعقد المجالس العلمية بها، فاستفاد منه الكثيرون. ودوّن رحلته التي دامت إحدى عشر سنة في كتاب سماه" **ترتيب الرحلة**". إنّ ما ألفه ابن العربي كان تسجيلا لمشاهدته للمدن المغربية والمشرقية، أو استجابة لطلب من تلامذته، أو الرد على إنكار بعض العلماء في طرق تعلم.[12]

لقد عادت رحلة ابن العربي بالمنفعة على أهل بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة. فمن خلالها تعرفنا على بعض فقهاء المالكية الذين التقى بهم في حواضر بلاد المغرب ممّن كان لهم باع في الفقه والحديث واللغة، وظهر ذلك جليا خلال المناظرات التي عقدها بحواضرها، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الحركة الفقهية والعلمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين في كل من بجاية

---

[1] – نفس المصدر، ص.437.

[2] – نفس المصدر، ص.449. [2]

[3] – نفس المصدر، ص.450.

[4] – النضار: الجوهر الخالص نقلا عن **قانون التأويل**، ص.451.

[5] – رغامه: الرغام هو الرمل المختلط بالتراب، ابن العربي، نفس المصدر.

[6] – نفسه.

[7] – نفس المصدر، ص.148،471.

[8] – ابن العربي، **عارضة الأحوذي**، ج.9، ص.93

[9] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.471.

[10] – نفس المصدر، ص.88.

[11] – الزياني، المصدر السابق، ص.78.

[12] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.111 وما بعدها من عدة صفحات.

وبونة وتلمسان والقيروان. كما أنه قد أخبرنا عن المغاربة الذين أُبهر بما يتمتعون به من كثرة العلم حتى قال عنهم"كأني سمعت كلامهم ما قرأت ما يعني ولا يكفي في المطلوب ولا يغني".[1]

وجال الفقيه والمقرئ والنحوي والأديب والشاعر عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي الاشبيلي(حي سنة550هـ-1155م) مدن المغرب الإسلامي وتصدر للإقراء بها، وتعليم اللغة العربية، والآداب. ونقل السيوطي قول الصفدي أنّ عبيد الله الإشبيلي قد:"أحكم العربية". فأُخذ عنه بمدينتي مراكش ومكناسة، وتصدر للإقراء وتعليم اللغة والآداب بجامع تلمسان سبع سنين، ولازمه الفقيه أبو ذر بن أبي ركب بها فسمع منه، وعن غيره من فقهاء علم القراءات والآداب.[2]

وروى الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني عن العديد من فقهاء الأندلس. فسمع "**موطأ**" الإمام مالك بها عن عبد الله مولى الطلاع بقراءة أبيه. وسمعه أيضا برواية ابن بكير من الفقيه أبي حامد الغزالي دون أن يستجيزه أثناء لقائه لأداء فريضة الحج في سنة 500هـ-1107م. فأخذ القراءات عن أبي الحسن العبسي، وتلا عليه بالسبع، فأصبح ممّن يشهد لهم، إذ أصبح لا يمر بمدينة من مدن المغرب أو المشرق إلا وقد تصدر للإقراء بها. زار العديد من المناطق كالمهدية، وطرابلس، والإسكندرية، ومصر، ومكة والعراق، وأقرأ ببيت المقدس تسعة أشهر.[3]

ونزل الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر القرطبي الطليطلي[4] المشهور بابن حنين[5] (ت.569هـ-1174م)[6] ببعض حواضر المغرب الأوسط فروى بمدينة تلمسان عن

---

[1] – نفس المصدر، ص.439.

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.311؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.127؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.649؛ البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف محمد شرف الدين بالتقابا، دار الإحياء التراث العربي، لبنان، د.ت، ج.2، ص.547؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص.353.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.210؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150؛ الكتاني(الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، ت.1274هـ-1345م)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح. عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،2004م، ج.1، ص.398؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.480.

[4] – نفس المصدر؛ ابن عبد الملك، نفس المصدر؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.397؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.480.

[5] – حَنِين بفتح الحاء المهملة وكسر النون هم من عرب كنانة، إحدى بيوت فاس اشتهروا بالفقه والثروة ولهم زقاق بها، (انظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.367)؛ واستوطنها الفقيه علي بن أحمد فجدد مسجدا منسوبا لعائلته(لابن حنين) والتزم الإمامة والتدريس به، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150).

[6] – ذكر ابن عبد الملك الاختلاف الواقع في تاريخ وفاته، (انظر: المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.152).

أبي بحر الأسدي الأندلسي وابن عبد الحق التلمساني، وفي القلعة الحمادية عن أبي بكر عتيق بن محمد الردائي.[1]

تأثرت مدينة بجاية وتلمسان بالفقيهين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي البجائي[2]، وأبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي البجائي(ت.594هـ-1198)[3]، وأبو عبد الله محمد البلنسي،[4] من خلال ما صنفوه من الكتب في بجاية، منها ما هو مفقود ومنها ما وصل إلينا مخطوطا، وبعضها حقق والبعض الأخر ينتظر إماطة اللثام عليه. ورصيد المكتبات المغربية والعالمية يثبت ذلك.

وشدهت مدينة تلمسان وبجاية عددا كبيرا من الفقهاء المالكية الأندلسيين الذين احتكوا وتناظروا مع غيرهم، وأخذوا عنهم العلوم من بينها علم الحديث والقراءات وعلم أصول الفقه وعلم اللغة والأدب. ورووا عنهم روايات بسند عال، وأدخلوا إلى القلعة كتبا ممّن اشتهر عن أصحابها التفوق في التأليف، وظهر ذلك جليا فيما أنتجته القلعة وبجاية فيما بعد، بواسطة فقهاء مهرة كأبي الفضل النحوي وعبد الجليل الديباجي وابن الرّمامة ومن طبقتهم.

2- المغرب الأقصى

حسب نصوص المصادر فإن غالبية فقهاء المغرب الأقصى الذين انتقلوا إلى المغرب الأوسط معظمهم ينتمون إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تولى بعضهم منصب القضاء بينما البعض الآخر اهتم بالتّعلم أو التّدريس وهما هدفهم الأسمى. فالفقيه و الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الطنجي (ت.539هـ-1145م)[5]، من بيوت بني سمجون المشهورة التي توّلت قضاء بتلمسان. فقد أورد ابن عبد الملك نقلا عن الملاحي أنّهم رحلوا إليها قبل سنة 490هـ-1097م وأصلهم من طنجة. وقد انتقل أبو الحسن إلى مدينة تلمسان وولي القضاء بها خلفا لعمه أبي محمد عبد الله بن سمجون اللواتي (ت.524هـ-1130م)،[6] الذي غُرّب إليها مع أبي بكر غالب بن عطية.[1]

---

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.151.

[2] – الضبي، المصدر السابق، ص.341؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.120-121؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.5-6؛ الذهبي، **المستملح**، ص.272؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.378- 379.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.137-138؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ق.4، ص.128-129؛ الغبريني، **الدراية** (ط.الجزائر)، ص.8 وما بعدها؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.397.

[4] – لم اعثر على تاريخ وفاته، إلا أنّه من أصحاب أبي مدين شعيب، (انظر: الفاسي، **المستفاد**، ق.2، ص.129).

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.177-179؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.154

[6]– نفس المصدر، ج.7، ص.178، **مذاهب الأحكام**، ص.35؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.61، ص.154- 155.

ورحل من مدينـة فـاس الفقيـه أبـو عبد الله محمد بن عبد الله الزرهونـي والمعروف بـابن الزق[2] (ت.564هـ-1169م).[3] فقد انتقل إلـى الأندلس واستقر بمدينـة مرسيـه فقرأ بها اللغة العربية عن ابن حميد وروى عنه وعن ابن حبيش وأبي الوليد بن رشد وأبي عبد الله بن مسعود، ومنها رحل إلى بجاية فأخذ عن الفقه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي، وبها دَرَس أصول الفقـه عن الفقيه أبي عبد الله إبراهيم الأصولي، فـانتفع من علمه الكثير من النّاس. وكانت لـه مصنفات في مختلف العلـوم، منها في اللغة "**معلقات وتنبيهات على كتاب سيبويه**" وغيره،[4] ثم عاد إلى بلده بعلم وفير نشره بين أهلها إلى أن توفي.[5]

ورحل الفقيه أبو عمرو عثمان بن عبد القيسي المشهور بالسلالجي نسبة إلى بني السلالجي (ت.564هـ-1169م) إلى بجاية،[6] الذي وصل في علم الاعتقاد إلى مرتبة أبي المعالي الجويني (ت.478هـ-1085م). وتخصص في علم الكلام وأصول الفقه. فقد تفقه عن ابن حرزهم وأبي الحسن بن خليل، وابن الرمامة. وكانت نيته الذهاب إلى بجاية ومنها إلى المشرق عن طريق البحر[7]، لكنه لازم علي بن أحمد اللخمي المعروف بالإشبيلي، وتفقه عنه في كتاب" **الإرشاد**"، ثم دخل مدينة مراكش، واستقر في الأخير بمدينة فاس، لتعليم أهلها،[8]خاصة في علم الاعتقاد.

ومن مدينة أغمات[9] توجه الفقيه أبو يوسف يعقوب بن محمود التلمساني (حي سنة511هـ- 1118م)، إلى الأندلس، حيث لقي بمدينة مرسيه أبو علي الصدفي وتفقه عنه ثم دخل تلمسان فحدث بها، وأخذ عنه الفقيه أبو يحي بن عصفور وغيره من الفقهاء.[10]

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.303-304.

[2] – نسبة إلى زرهون وهو جبل بالمغرب من حوز مكناسة، (انظر: نفس المصدر ، س.8، ص.508).

[3] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.508 و س.8، ق.1، ص.307.

[4] – ويقصد ب"**سيبويه**" هو كتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان الأديب والنحوي ويقال له أبو الحسن، مولى بني الحارث بن كعب ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي. وسيبويه لقبه ومعناه رائحة التفاح ومعنى "سي" ثلاثون و"بوي" الرائحة ومن رآه كأنما رأى ثلاثين رائحة طيب، أصله فارسي دخل العراق في عهد الخليفة هارون الرشيد واستقر بالبصرة، وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر، واختلف في تاريخ وفاته بين 161هـ-778م و 108هـ-726م، (انظر: الحموي، **الأدباء**، ج.5، ص.2123 وما بعدها).

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.307،508؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.28.

[6] – وزاد صاحب كتاب"**الجذوة**" في سبب شهرته بالسلالجي لأنّ له أملاكا بجبل سليلجو فكان يتردد إليها، (انظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.458).

[7] – نفسه؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.2، ص.205 وما بعدها.

[8] – توفي بفاس، وذُكر أنّه دفن خارج باب الفتوح، بجانب قبر الفقيه درّاس بن إسماعيل، (انظر: **جذوة الاقتباس**، ج.2، ص.458؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص.363).

[9] – وهي آخر دولة بني زيري بفاس، (انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.62).

[10] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.425.

وأقام أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي[1] (578هـ-1183م) بمدينة تلمسان وتفقه عن علمائها،[2] وتولي أولاده من بعده قضاء مدينتي بجاية وتلمسان.[3]

كان عدد فقهاء مالكية المغرب الأقصى في المغرب الأوسط ضئيلا إذا ما قورن بالأندلسيين الذين حطوا الرّحال بالقلعة الحمادية أو حضروا مجالسها العلمية.[4] ويبدو أنّ وجود عدد كبير من المتصوفة بالقلعة أثر في رحلة فقهاء المغرب الأقصى إليه من جهة، أو الاهتمام بالإمام الغزالي وبالفتوى التي بسببها عاد أبو الفضل النحوي إلى القلعة،[5] وتدل بعض الإشارات على أن عددا من فقهاء مالكية المغرب الأقصى قد مروا من بعض حواضر بالمغرب الأوسط وإفريقية دون الاستقرار بهما فكانتا بذلك منطقتين للعبور إلى المشرق بينما كانت مصر والإسكندرية منطقتي استقرار وعبور معا.

وجاء ذكر بعض الفقهاء من فاس وسبتـة ومكنـاس ومراكش لكن تاريخ دخولهم إلى بجايـة كان متأخرا نسبيـا، فالبعض منهم ولد في أواخر الدولة الحماديـة والبعض الآخر توفي في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع/الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين. وقد ذكر ابن الأبار بعضا منهم أمثال الفقيه بدر بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن عبد الله (ت. قبل سنة 600هـ-1204م) من مدينة فاس تفقه عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي وأبي محمد عبد الله الديباجي.[6] والفقيه عمر بن عبد الله السلمي أصيل جزيرة شقر ولد بأغمات وولي قضاء مدينة تلمسان[7]. والفقيه عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي (ت.607هـ-1210م) من مدينة مراكش، تصدر للإقراء بجزائر بني مزغنة من أعمال بجاية.[8] وزار أبو عبد الله محمد بن عثمان بن تقميش الفاسي (ت.608هـ-1212م)، ومحمد بن قاسم بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت.641هـ-1244م)، وموسى بن عيسى ابن دافال المكناسي (ت.618هـ-1221م) بجاية وتفقهوا على عبد الحق الاشبيلي.[9] وقد

---

[1] – نسبة إلى القبائل المجاورة والقريبة من مدينة تلمسان، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.160)؛ أو هي من حوز رباط تازى، (انظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.59).

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.17؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.59.

[3] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، هـ.1-2، ص.256.

[4] – بناءً على الجدول الذي أحصي فيه عدد فقهاء مالكية المغرب الأقصى، انظر: الملحق رقم (16).

[5] ـ انظر حول هذه الفتوى الفصل الخامس من هذه الدراسة.

[6] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.421.

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، 162- 163.

[8] – نفس المصدر، ج.4، ص.18؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.246 وما بعدها؛ الذهبي، **المستملح**، ص.346-347؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.238.

[9] – نفس المصدر، ج.2، ج.162؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.323، 352 وما بعدها؛ س.8، ق.2، ص.382.

ذكر الغبريني في "**الدّراية**" والرعيني في "**البرنامج**" عدد من فقهاء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي الذين دخلوا إلى المغرب الأوسط.

إنّ ما ذكره الغبريني والرعيني في كتابيهما يدل على ضآلة رحلة فقهاء مالكية المغرب الأقصى إلى بجاية. فقد يكون مرد ذلك إلى نقص في المادة المصدرية المتعلقة بتاريخ المنطقين فيما يتعلق بالدولة الحمادية والمرابطية على حد سواء، بينما المصادر التي أرخت للدولة الموحدية أعطت عناية كبيرة لرحلة فقهاء المنطقة.

3- المشرق

لا تخلو منطقة إسلامية اشتهرت بالعلم والعلماء إلاّ ورحل إليها الطلبة، إمّا للتفقه أو حبا للاستكشاف أو التجارة. ويعتبر المشرق بالنسبة لبلاد المغرب منطقة بعيدة، لكنه يتميز بمهبط الوحي وكثرة العلماء به، كانت الرّحلات الحجازية إليه في وقت مبكر، وأصبح بذلك مركز استقطاب للعلماء وازداد عددهم خاصة بعد ظهور علماء أجلاء، منهم الإمام أبي حنيفة والإمام مالك وغيرهما ممّا جاء بعدهم من العلماء من أصحاب المذاهب. في البداية كانت الرحلة إلى العراق والمدينة المنورة، فالأولى لوجود أبي حنيفة وأصحابه من بعده، أما الثانية فلوجود الحرمين الشريفين والمالكية بها. وعلى عكس ذلك فإن الرحلات من المشرق إلى بلاد المغرب قد قلّت بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة التي كثرت فيها الفرق والمذاهب غير السنية.

لقد كان المذهب المالكي أكثر انتشارا من المذاهب الأخرى ببلاد المغرب في العصرين الزيري والحمادي، ولمّا كانت قلعة بني حماد مركزا لاستقطاب العلماء مغربا ومشرقا رحل إليها الفقهاء من المشرق للاستزادة من العلم وللحصول على إجازات من شيوخها، لكن المصادر لم تشر إلاّ للنزر القليل منهم.[1] فقد توّجه الفقيه والأديب أبو بسام موسى بن عبد الله بن أبي جعفر الكوفي الأشعري (ت.486هـ-1093م)[2] في بداية رحلته إلى صقلية، ثم انتقل منها إلى الأندلس للجهاد، فلم يمنعه ذلك من أن يفيد الناس، فقد أُخذ عنه في مدينة

---

[1] - بعد إحصاء عدد فقهاء المشرق نتج قلة عددهم، انظر: الملحق رقم (17).

[2] - حسب الباحث علاوة عمارة أن أبا بسام الشخصية العلمية المشرقية الوحيدة التي دخلت قلعة بني حماد، (انظر: **الفكر العقدي**، ص.104).

ميورقة[1] (Mallorca) أو (Majorca) ودخل إلى القلعة الحمادية فامتحن بها وقتل ذبحا. ونقل ابن بشكوال نص هذه الرّواية عن كتاب القاضي عياض الذي أرسله إليه بخطه[2]. ويبدو أن قتله كان بسبب اهتمامه بعلم الكلام على الطريقة الأشعرية[3]، وقد ظهر ذلك أثناء مناظراته العلمية.

وقصد بعض الفقهاء من الشافعية مدينة بجاية، ومنهم من كان يحضر مجالس أبي طاهر السلفي بالإسكندرية وقد اشتهر بها المغاربة. ولعل لقاءهم حفز علمائها على الرّحيل إلى بلاد المغرب، فالفقيه الأصولي والمتصوف الزاهد، والمشهور بالأصفهاني أبو زكريا يحي بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي (ت.608هـ-1212م)، دخل بجاية في الفترة التي كان فيها الاتجاه الصوفي قد غلب على فقهائها، فأجاز لأبي محمد عبد الحق البجائي الإشبيلي وحظه هذا الأخير على الوعظ والتذكير[4] الذي اشتهر بهما الإشبيلي وله فيها تآليف.

4- إفريقية

يبدو أنّ ما قام به الشيعة بإفريقية تجاه المالكية كان أقل ضررا مقارنة بما فعله الهلاليون بها، فقد استعملت الشيعة كل الوسائل لمقاومة أصحاب المذهب المالكي والقضاء عليهم، حيث اعتقد الشيعة أنّ نجاح دعوتهم يكمن في استئصال أصحاب المذهب المالكي، فاتخذوا من القتل والحبس والتنكيل والضرب وسيلة لتطبيق سياستهم لكن محاولتها باءت بالفشل،[5] فإن وجد بعض الفقهاء الهروب من القيروان إلى مكان آمن هو الحل الأنجع.[6] فإن هناك من كان مقتنعا بضرورة البقاء بإفريقية ومواجهة الخطر الشيعي فاختار التأليف في الرّد على معتقداتهم الدينية، والفقهية كأنجع السّبل للمقاومة،

---

1 - ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.57.

2 - انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2 ص. 613؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.524؛ ولم أعثر على هذه الرواية في كتب القاضي عياض التي اطلعت عليها.

3 - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.524؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.57.

4 - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.409-410؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.196-197.

5 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.300 وبعدها، ج.6، ص.34.

6 - فالفقيه محمد بن الحارث الخشني (ت.361هـ-972م) أحد الذين حضروا مجالس أحمد بن نصر الداودي، فقد هاجر إلى الأندلس سنة 312هـ-925م، وهاجر الفقيه محمد بن يوسف الوراق القيرواني(ت.362هـ-973م) صاحب كتاب الجغرافية "**المسالك والممالك**" الذي نقل عنه البكري إليها أيضا، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.81 وما بعدها؛ محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج.2، ص.205 وما بعدها، ج.5، ص.126).

ومثّل هذا الاتجـاه ثلة من فقهاء المذهب منهم ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي والسيوري وغيرهم.[1]

ولم يصمد الشيعة كثيرا فاختاروا الرحيل إلى مصر، وعزت بعض الدّراسات سبب ذلك إلى مقاومة فقهاء المالكية. ونتج أيضا عن تصدي فقهاء مالكية المغرب الأدنى والأوسط رحيل 200 عائلة شيعية نحو صقلية،[2] أما رحلة المالكية في هذه الفترة نحو المغرب الأوسط فتكاد تنعدم إذ أنّ أحوال هذا الأخير مشابهة لجارته إفريقية.

دخل الهلاليـون إلى إفريقيـة بعدمـا أعلن المـعز بن بـاديس (406-453هـ/1016-1061م) قطيعـة الفـاطميين[3] وأظهـر المذهب المـالكي علنـا[4]، ولا غرابـة أن يتخذ رجـل تربـى في حجر أحـد فقهـاء المـالكية "الكـاتب، زعيـم الكـرم، وواحـد الـفهـم، الـذي نـال الرّياسـة، وحـاز السّيـاسة... وعلم بالمـوارد والمصـادر، ونظر في الأوائـل والأواخـر، وتتبع لآثـار من سلف، من أهـل القدر والشرف..."[5] قرارا كـاد أن يزيـل دولة الـزيريين إنــه أبـا الحسن علي بن أبــي رجـال التـاهرتي[6] الكـافل ثم وزير المـعز بن بـاديس،[7] أدبـه على مذهب مـالك وعلى السنـة والجمـاعة،[8] وارجع أيضا المستشرق (Aimée

---

[1] – تنوعت مؤلفات المالكية قبل الوجود الفاطمي في الفقه والحديث وعلوم القرآن والعقيدة والشعر والجهاد فقد ألف ابن سحنون كتاب"**الإمامة**" فكان له صدى بين الشيعة والسنة، كتبه في العراق بماء الذهب وقدم هدية للخليفة العباسي، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.287؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.64؛ عبد المجيد التركي، **الجدل الديني**، ص.57 وما بعدها؛ سعيدة لوزري، **الفكر المالكي**، ص.207-208.

[2] – هاجرت 200 عائلة شيعية إلى صقلية، (انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.269؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ص.186؛ Launois (A.), op, cit., p. 135.)؛ وقد يكون خروجهم بسبب قتال الذي دار بين حماد والمعز أو بسبب المجاعة التي حلت بإفريقية حسب ابن الأثير، (انظر: **الكامل**، ج.8، ص.138).

[3] - اختلفت النصوص المصدرية في تحديد تاريخ القطيعة على عدة أقوال، فابن بسام جعل القطيعة وخطبة المعز للفاطميين سنة 446هـ-1054م، (انظر: المصدر السابق، ق.4، ص.89)؛ أما ابن الأثير والنويري فجعلاها في سنة435هـ-1044م، (انظر: **الكامل**، ج.8، ص.265؛ النويري، المصدر السابق، ص.341، لكن ابن الأثير وفي موضع آخر جعلها سنة 440هـ-1049م (المصدر السابق، ج.8، ص. 286)؛ وتاريخ القطيعة عند ابن عذارى: سنة 440-441هـ/1049م، و(انظر أيضا: المصدر السابق، ج1، ص.276-277)؛ و(انظر أيضا: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.277؛ سعيدة لوزري، **المذهب المالكي**، ص.204)؛ وقد ضرب المعز السكة سنة 445هـ-1053م، انظر: الملحق (18).

[4] – ابن حماد، المصدر السابق، ص.104؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.277 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.18، 211؛ إسماعيل العربي، "سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية"، **مجلة الأصالة**، س.4، ع.19، مارس-أفريل 1974- عدد خاص بجاية عبر العصور، ص.21.

[5] – ابن رشيق، **العمدة**، ص.11.

[6] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.169 وما بعدها.

[7] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.273؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ Idris(H. R.), ‹‹Sur le retour des Zirides à l'obédience fatimide››, **annales de l'institut des études orientales**, Alger, T.XI, 1953, p.27; Launois (A), op, cit., p.135.

[8] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 273؛ محمد العروسي المطوي، **سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي**، دار الكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص.66؛ Idris (H.R.), ‹‹Une des phases de la lutte du malikisme contre le shiisme sous les Zirides››, **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, 4e trimestre, N=° 16, Tunis, 1956, p. 508.

Launois) القطيعـــة أيضـا إلى جهـود الفقهاء المالكية الذين أثّروا على السلطتين الزيرية[1] والمرابطية،[2] ويمكن القول أن هذه المرحلة تمثل تجدرًا للمذهب المالكي في بلاد المغرب.

إن المعز لم يتّبع مذهب الرافضة(الشيعة)، والنَّاظر إلى أفعاله يدرك أنه مالكي، وظهر ذلك جليا للعيان بداية ولايته فقد قتل الرافضة وهو ما شجع العامة على إتباعه.[3] وكبوة فرسه أيضا التي استغاث حينها بالخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما،[4] حينها لم يعاتبه الخليفة الفاطمي بمصر الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1021م) بل الغريب في ذلك أنّه لقبه بشرف الدولة[5]، وهو الذي أمر بإعلان القطيعة على المنابر بلعن العبيديين في يوم عيد الفطر.[6] إلا أن بعض المصادر أشارت إلى أن القطيعة تعود إلى الفقيهين أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي(ت.432هـ-1041م) وأبي عمران الفاسي من خلال المسائل التي كانت ترسل إليهما من المعز.[7]

وكانت رد فعل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427-487هـ/1036-1094م) بعد المقاطعـة أنّه أرسل للمعز خطابا يرغبه ويرهبه بقوله:"هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء..." وتوّعده بإرسال الجيوش إليه آخذا بنصيحة وزيره أبي القاسم أحمد بن علي الجرجاني (ت.486هـ-1093م)[8] الذي تسبب في دخول العرب الهلالية إلى إفريقية[9]، لكن المعز رد عليه بخطاب ذكّره فيه أنّ ما زعمه من ملكهم إنّما هو ملك لأجداده بقوله:"إنّ آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك، ولهم عليه من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخرجوهم لتقدموا بأسيافهم".[10] زاد هذا الخطاب من حدة غضب الخليفة

---

[1] – أوردت كتب الطبقات أسماء بعض الفقهاء المشارقة الذين يرجع لهم الفضل في الدعوة لبني العباس، فقد خرج الفقيه أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي سنة 454هـ-1062م بأمر من أمير المؤمنين القائم بأمر الله، فدخل القيروان أيام المعز بن باديس للدعوة وخرج منها إلى الأندلس عند النزوح الهلالي إلى المنطقة، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.598؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.4، ص.51-52؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.3، ص.111-112).

[2] – Launois (A), op, cit., p.128.

[3] – عن هذه الأحداث، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.25).

[4] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.89؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.268، 273-274؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.18،210؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.180.

[5] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.269؛ Alfred, Op. cit., p. 199.

[6] – عن الخطبة، انظر: الملحق رقم (19).

[7] – المالكي، المصدر السابق، ص.40؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.168؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.181؛ سعيدة لوزري، **المذهب المالكي**، ص.208-209. لكن روجي إدريس يعزو القطيعة إلى سبب اقتصادي، (انظر: Idris (H. R.), **Sur le retour des Zirides**, p. 30).

[8] – ذكر ابن عذارى انه توفي سنة 436هـ- 1045م ، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.276).

[9] – ابن حماد، **أخبار بني عبيد**، ص.103-104؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.288؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.19،211؛ وصفها المؤرخون المعاصرون بعدة صفات فقال إسماعيل العربي أنها:"قوة همجية من القبائل"، (انظر: سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية، ص.21)؛ وانظر أيضا: De Mas Latrie(M. L), **traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de L'Afrique septentrionale au moyen Age**, paris, 1868, p. 13.

[10] – النويري، المصدر السابق، ص.342.

المستنصر، فنفذ وعيده وتمّ تهجير القبائل العربية من بني هلال وبني سليم إلى إفريقية[1]، وأمرهم :"بالعيث والإخراب"[2]، فدخلوها سنة 442هـ- 1050م.[3]

قلّل المعز من خطورة زحف بني هلال[4]، وبعث بعض الفقهاء ومعهم مكاتبات وشروط ووصايا لملاقاتهم" فأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة"[5]، لكن نقض العرب العهود فلما صادفتهم أوّل قرية اعتقدوا أنهـــا القيروان[6] فخربـــوها وأفسـدوا عمرانهـا،[7]حتى وصفهـــا الدبـــاغ في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ما جرى بها "من نهب العرب لها، وسبي حريمها، ودخولها بالسّيف؛ ولم يبق بها دار إلا دخلت" ولم تنج من أيديهم حتى الآبار فقد هدموا كل ما اعتقدوا أنّه مخبأ".[8]

ودار قتال بين الجيش في منطقة حيدران[9] وانتهت المعركة بهزيمته في"يوم العينين"[10]، ولهول الهزيمة أنشد علي بن رزق الشاعر قصيدة من أبياتها:

ثلاثون ألفا منكم هزمتهم ثلاث ألاف إن ذا لَمُحال[11]

وفشل المعز مرّة ثانية في معركة مصلى القيروان،[1] ففتح المجال للعرب لنهب القيروان وخُربت العمارة "في ساعة واحدة" حسب ما أشار إليه ابن عذارى.[2] وتدل هذه الإشارات على

---

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص.288؛ علاوة عمارة، **الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب**، في دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص.7 وما بعدها؛ Alfred(B.), **La Religion Musulmane en Berbérie, Établissement et développement de l`Islam en Berbérie du VII^e au XX^e siècle, libraire Orientaliste Paul Geuthner**, Paris, 1938, p. 199 ; De Mas Latrie(M. L.), op, cit., pp. 13-14.

وجعلها ماسلتري ضمن حوادث(440-444هـ/1048-1053م)، (انظر: .De Mas Latrie(M .L.), op, cit., p.13)

[2] – النويري، المصدر السابق، ص.343؛ ولم تنج المؤلفات التي كانت موجودة بالقيروان، فقد ذهب محمد حسن في دراسته إلى أن ما بقي من المؤلفات إلا النزر القليل إثر خراب القيروان، لكنها تجددت في العهد الحفصي، حسب ماهو مبين في سجل قديم عثر عليه في المسجد الجامع، (انظر: **القيروان في عيون الرّحالة**، المجمع التونسي للعلوم والآداب في الفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص.15؛ إبراهيم شبوح، "سجل قديم لمكتبة جامع القيروان"، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، مج.2، ج.2، نوفمبر 1956م، ص.339-372).

[3] – **الكامل**، المصدر السابق، ج.8، ص.295؛ ذكر ابن خلدون أنّ دخولهم افريقية كان سنة 443هـ-1051م، (انظر: المصدر السابق، ج.6، ص.20).

[4] – النويري، المصدر السابق، ص.343؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.288.

[5] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص.289.

[6] – تناول إبراهيم جدلة في مقال له شارك به في ملتقى القيروان تأسيس مدينة القيروان إلى أن خربت على يد الهلاليين، متتبعا المراحل التي مرّت بها المدينة بداية من حملة عقبة بن نافع الثانية وما قام به أبو المهاجر دينار من بناء مدينة جديدة ونقل أهل القيروان إليها، ثم في عهد الأغالبة فكان كلما جاء حاكم جديد إلا واستحدث مدينة جديدة جعلها مركز حكمه، وزيادة عن ذلك هدم سور المدينة أيام إبراهيم بن الأغلب لمّا ثار عليه عمران بن مجالد وعبد السلام بن مفرج ومنصور الطنبدي، وفي العهد الفاطمي أيضا بنيت مدن جديدة اتخذها حكام الفاطميون مركز سلطتهم واستغنوا عن القيروان أوّل حاضرة إسلامية في بلاد المغرب، أما في العهد الزيري فتعرضت إلى الوباء والجفاف فمات العديد من الفقهاء والنساء... ما لا يحصى عددهم... فنتج عن هذه الأحداث كلها أنّ الأمراء وفي كل مرة كانوا سببا في خرابها حتى أصبحت سهلة المنّال، (انظر: "القيروان والمجد الضائع"، **ضمن وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25أفريل 2009م**، طبعة المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2010م، ج.1، ص. 223-238).

[7] – ابن حماد، المصدر السابق، ص.104؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.289.

[8] – الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.15.

[9] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ النويري ذكرها "حندران"، (انظر: المصدر السابق، ص.345؛ وانظر أيضا: Laurois(A.), **Monnayage Ziride**, p.145).

[10] – سمى النويري ذلك اليوم ب" أبي العينين"، (انظر: المصدر السابق، ص.346)؛ ويذكر أنّه سمي بذلك الاسم لأنّ الجيش الهلالي كان يرتدي الدروع والخودات، فلا يمكن التغلب عليهم إلا إذا طعنوهم في أعينهم ومنه أخذت المعركة هذه التسمية، (انظر: روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.257).

[11] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.290؛ وذكرها النويري "غلبتهم"، (انظر: المصدر السابق، ص.446؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.21).

شراستهم، فهدم العرب "الحصون والقصور، وقطعوا الثمار، وخربوا الأنهار..."[3]، فأخذت القلعة بذلك مكانة القيروان حيث أنها عُمّرت بالهاربين من فقهاء وشعراء[4]وعامة الناس. [5]

ونظم شعراء القيروان أبياتا يصفون فيها المدينة وحالهم بعد نزوح العرب إليها منهم:

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد الكناني الذي قال:

كنتِ أمّ البلاد شرقًا وغربًا فمحا الدَّهر وشْيَكِ المَرْقُومَا

نحن أبنَؤها ولكن عقَقْنَــا بعد أن لم نُطِقْ بها أن نقيما

دِمنٌ كانت البروج وكنّــا أقمرًا في قِبَــابهَــا ونجُومًــا

ووصف ابن شرف خلاءها بقوله:

ترحّل عنها قاطنوها فلا ترى سوى سائر أو قاطن وهو سائرُ

تكشفت الأستار عنهم وربّما أقمت ستورٌ[دونهم] وستـــائر

وقال أيضا:

يا قيروان وددت أنّى طائر فأراك رُؤيةَ باحث متأمّلِ[6]

ونظم أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني قصيدة مطولة تحدث فيها عن علماء القيروان حين نزح إليهم عرب بني هلال وما حل بهم وبمدينتهم التي فقدت مكانتها حتى هاجروها وما تسبب في حزن بعض الأقطار لما أصابها :

وأئمـــة جمعــوا العلــوم وهذّبــوا سنن الحديث ومشكـل القرآن

علماء إن سائلتهم كشفـوا العمى بفقـاهـــةٍ وفصاحـــة وبيَـــانِ

وإذا الأمور استبهمت واستغلقت أبوابُهـــا وتنـــازع الخصمـان

حلّوا غوامض كل أمر مشكــل بدليـل حق واضح البرهـــان

هجروا المضــاجعَ قانتين لربِّـهم طلبًـــا لخير معرَّسٍ ومَعَـــانِ

وأيضا:

كانــت تعــدّ الـقيروان بـــهم إذا عـدّ المنـــابر، زهرةَ البـــلدان

---

[1] – النويري، المصدر السابق، ص.347.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.292؛ إسماعيل العربي، **سياسة الناصر بن علناس في بلاط المهدية**، ص.22.

[3] – البكري، **المسالك**، ص.39؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.297؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.217.

[4] – منهم أبو القاسم عبد الخالق بن إبراهيم القرشي الخطيب المشهور بابن الفكّاه(حي سنة 460هـ-1068م) غادر إفريقية إلى قلعة بني حماد ومدح الناصر بن علناس قبل هجرته إلى الأندلس، (انظر: الصفدي، المصدر السابق، ج.18، ص.56؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.235)

[5] – النويري، المصدر السابق، ص.349؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.217؛ رشيد مصطفاي، المرجع السابق، ص.84

[6] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.4، ص.233؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.17.

وزهت على مصرٍ وحقّ لها، كما   تَزهُو بـهم، وعلت على بغدان

وأيضا:

حزنت لها كـور العراق بأسرها   وقرى الشامِ ومصر والخرسَان

وتزعزعت لمصابـها وتنكّـدت   أسفًـا، بلاد الـهند والسّنـدان

وعفا من الأقطـار بعد خلائـها   مـا بين أندلـسٍ إلـى حلـْوانِ[1]

وانتقل المعز ورعيته من المنصورية إلى المهدية للتّحصن بها، ولعجزه عن حمايتهم سنة 449هـ-1057م،[2] انتشر البعض الآخر في المدن الساحلية حتى اكتظت بهم، وحتى المساجد الموقوفة لم تسلم من الاكتظاظ أيضا ممّا جعل الفقيه السيوري يفتي بتوسيعها.[3] وانتقل البعض الآخر إلى المغرب الأوسط والأقصى فتحصن أكثرهم بالقلعة ظنا منهم استحالة وصول العرب إليهم كونها تقع في جبال وعرة.[4] وفي نص للدباغ أنّها"بقيت خالية لا أنيس بها...وفرَّ الخليل عن خليله،...ولم يبق بالقيروان غير رجل واحد حمّال يعفف بالعبّود..."،[5]وهذا وصف لبشاعة ما حل بالقيروان ومن المستبعد خلوها من كل أهلها بما فيهم من لا استطاعة له.

ونتج عن سوء علاقة المعز بالناصر حرب سنة 457هـ- 1065م، ولإبعاد خطر هذا الأخير حرّض المعز العرب ضدّه بقوله:"أنتم تعلمون أنّ المهدية حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبرحة يحميها أربعون رجلا..."[6]، فتحالفت معه قبائل رياح وزغبة وسليم،[7] ومع النّاصر صنهاجة وزناتة وبني هلال والأثبج وعدي،[8] فنتج انهزام هذا الأخير في سبيبة لاختلال توازن القوة.[9]

وبعد الأحداث التي شاهدتها القيروان ثم القلعة من بعدها، اضطر بنو حماد إلى بناء بجاية سنة 460هـ-1068م لتكون أكثر تحصنا وأهمية، وتفي بالغرض المطلوب، فقد اتفق

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.17-20.

[2] - ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص. 297،376؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.294؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ Launois (A.), op, cit., p. 145.

[3] - انتقل القيروانيون إلى المدن الساحلية بسبب تخريب العرب للمدن الداخلية، فلم تستوعب المساجد عددهم، فدعت الحاجة لتوسيعهم، (انظر: حسن حسني عبد الوهاب، **الإمام المازري**، منشورات البعث الثقافي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1955، ص.37؛ الهنتاتي، "الأحباس في إفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ- 12م"، **الكراسات التونسية**، ع. 174، الثلاثية الثالثة، 1996م ، ص.107).

[4] - ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.372؛ وذكر عبد الواحد المراكشي أخبارا عن افريقية أنّ "طائفة عظيمة" قصدت المغرب الأقصى، (انظر: المصدر السابق، ص.288؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.217).

[5] - الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.15.

[6] - النويري، المصدر السابق، ص.350؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.372.

[7] - نفس المصدر، ص.349.

[8] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.299.

[9] - ذكرت سبيبة "سبتة" عند ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص373؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.230.

غالبية المؤرخين من المتقدمين والمتأخرين أنّها نتاج موقعة "سبيبة" الشهيرة سنة 457هـ-1065م[1]، ورأى البعض الأخر أنّها للسّيطرة على التجارة البحرية معتمدين في ذلك على نص البكري بقزله أنّها:"مقصد التجار وبها تحل الرّحال من العرّاق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب".[2] انتقل إليها عدد كبير من سّكان القلعة[3]، وأعفى الناصر السّكان الجدد من دفع الضرائب،[4]وكان الانتقال إليها سنة461هـ-1069م، وأخذت تسمية "لؤلؤة المغرب" بلا منازع،[5] و"مكة الصغيرة" لمدة طويلة من الزمن.[6]

وجراء الهجوم الهلالي والحروب مع النورمان، فقَدَ الزيريون السّيطرة على بلادهم فسادت الفوضى. أما المرابطون الذين توغلوا إلى تلمسان بدأت تتدهور أوضاع دولتهم بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، فاضطروا إلى التّراجع عن مدينتي تنس ووهران بعد وقوفهم على مشارف مدينة جزائر بني مزغنة.[7] ومهما يكن فإن النزوح الهلالي نحو المغرب الأوسط أتى ببعض النتائج الإيجابية منها توسعه شرقا فأصبحت صفاقس وقسطيلية وتونس فيما بعد تدين للناصر بن علناس بالولاء.[8]

وانتقل عدد من فقهاء وأدباء وشعراء القيروان إلى مدن مغربية[9] ومشرقية،[10] بعدما فقدوا صمودهم وصبرهم في مواجهة الظروف التي مرّت بها المنطقة. فيشير ابن ناجي(ت.839هـ-1436م) إلى انقضاء الطبقة من فقهاء المالكية بقوله:"ولم يبق بالقيروان من له اعتناء بتاريخ استيلاء مفسدي الأعراب على إفريقية وتخريبها وإجلاء أهلها عنها إلى سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع...إلى أن منّ الله على النّاس بظهور دولة

---

[1] - **الاستبصار**، ص.128-129؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.373؛ النويري، المصدر السابق، ص.351 وما بعدها؛ علاوة عمارة، "قلعة بني حماد نشأة وأفول حاضرة إسلامية"، **ضمن كتاب دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص.89؛ عبد الحليم عويس، **بجاية الجزائرية**، ص.159، **دولة بني حماد**، ص.99 وما بعدها؛ وانظر أيضا: De Mas Latrie(M. L.), op, cit., p.13.

[2] - وذكر البكري أيضا أنّ أبا يزيد مخلد بن كيداد تحصن بها عند ملاحقته من طرف القائم بأمر الله الفاطمي، (انظر: **المسالك**، ص.49؛ علاوة عمارة، **قلعة بني حماد**، ص.8؛ De Mas Latrie(M. L.), op, cit., p. 18.

[3]- المهدي البوعبدلي، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، مج.2، ص.505.

[4] - **بجاية**، المرجع السابق، ص.28، 56.

[5] - نفس المرجع، ص.8؛ Idris (H. R.), **La berbèrie orientale sous les Zirides**, Du X au XII Siècle, Paris,1962, pp.267-268.

[6] - **بجاية**، ص.56؛ Féraud(C.L.), **Histoire Des villes de la province de Constantine**, extrait du recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, Alger, Paris, 1869,pp.216, 15-16.

[7] - عبد الحليم عويس، **بجاية وريثة القيروان**، ص.136؛ وانظر أيضا: De Mas Latrie (M. L.), op,cit., p. 25.

[8] - علاوة عمارة، **مكانة الفكر العقدي**، ص.102.

[9] - ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.372؛ وشدة كثرة النازحين إلى القلعة قال هادي روجي إدريس في دراسته أنه "تحوّلت جموع من أهل إفريقية إلى مملكة بني حماد الغربية"، (انظر: المرجع السابق، ج.1، ص.245).

[10] - جال أبو الحسن علي بن فضال الفرزدقي(ت.479هـ-1087م) المفسر والمحدث والنحوي وعالم البلاغة والبيان وأديبا ومؤرخا العديد من المدن واستقر بعدها في نيسابور، (انظر: الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.346-347).

الموحدين...فظهر بظهورها بإفريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الأخماس سنة خمس وخمسين وخمسمائة"،[1] لكن العبدري نفى عودة القيروان إلى سابق عهدها فلم ير فيها:"إلاّ رسوما محتها يد الزمان، وأثار يقال عنها: كان وكان والأحياء من أهلها جفاة الطباع ما لهم في رقة الحضارة باع... خفت نفس العلم بينهم فلم يبق به رمق... ومتى ذُكر علماؤه فليس إلا التسليم... ولم أر بالقيروان ما يؤرخ...".[2] بل حتى الكتب والوثائق لم تنج من هذه الحادثة، فقد تعرضت للتلف بسبب خراب المدينة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وما بقي منها قد يعود إلى العهد الصنهاجي.[3]

وبدخول الهلاليين انتهى عهد القيروان كعاصمة فكرية، لكن تأثيرها الحضاري والعلمي انتقل إلى مناطق أخرى بانتقال فقهائها إليها، وكان سببا في نشر العقيدة الأشعرية بها،[4] فانتقل بعضهم إلى المغرب الأقصى كالفقيه والمقرئ والشاعر أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحُصري (ت.488هـ-1095م).[5] والفقيه أبو عبد الله محمد بن سعدون القيرواني(ت.486هـ-1093م) المتصوف له دور في التعريف بالمذهب الأشعري به، فقد تفقه عن اللبيدي والسيوري وأبي عبد الله بن عبد الرحمن المالكي وأبي إسحاق التونسي وأبي عبد الملك البوني وغيرهم من طبقاتهم. وجال محمد بن سعدون بلاد المغرب والمشرق فأخذ العلم عن فقهائها، وأخذ عنه ابن أخيه عبد السلام العالم الصالح المتوفى بمدينة تلمسان،[6] وقد يكون أبو عبد الله زار قلعة بني حماد. إلا أن النصوص لم تشر إلى ذلك ويبدو أنه خرج من القيروان للتجارة وبسبب النّزوح الهلالي إليها وأرغم بالبقاء في أغمات إلى وفاته،[7] وقد

---

[1] – الدبّاغ، المصدر السابق، ج.3، ص.203-204؛ Abdel-Magid(T.), ‹‹consultation Juridique D'AL-IMĀM AL-MĀZARI sur le cas des Musulmans vivant en Sicile sous L'autorité des normands››, **Mélanges de L'université Saint-Joseph**, T.L (V.II), Dar El-Machreq Sarl- Beyrouth (Liban), p.697.

[2] – العبدري، المصدر السابق، ص.157 وما بعدها.

[3] – من خلال كتب الطبقات والتراجم كتاب" **معالم الإيمان للدباغ**" أكمله ابن ناجي وعزاه لصاحبه أعطى للقيروان حقها في التعريف بها، (انظر: محمد حسن، **القيروان في عيون الرحالة**، ص.14)، وبقيت بعض الكتب والمخطوطات بالمكتبة منها تحبيس مصحف المعز وتحبيس فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن أحمد حُبست سنة 295هـ-908م، (انظر: الملحق رقم (20) 1و2.

[4] – الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.135.

[5] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.390 وما بعدها.

[6] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.285.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج. 8، ص.112-113؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.198؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.340؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.284- 285.

ألف كتاب" **تأسّي أهل الإيمان بما طرأ على مدينة القيروان**"،[1]و كتاب في "**ذم بني عبيد وأفعالهم القبيحة بالقيروان**"[2] لشدة كرهه لهم.[3]

اتخذ بعض مالكية القيروان الأندلس مكانا آمنا لهم، فالفقيه والمؤرخ، والأديب أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني أحد شعراء بلاط المعز بن باديس، روى بالقيروان عن صاحبيه الفقيه أبي الحسن القابسي وأبي عمران الفاسي، وأثنى عليه أبو الوليد الباجي"بالعلم والذكاء". حدث عنه ابنه أبو الفضل جعفر بن محمد(ت.534هـ-1140م)، وخرج منها مع ابنه جعفر إلى مدينة المرّية سنة 447هـ-1056م،[4]وكانت سبب المنافرة بينه وبين الحسن بن رشيق، وكيف **أن** يجتمع العدوان بالطريق، ويجوزا معاً إلى الأندلس؟.[5] يظهر أن ابن شرف أُرغم على الرّحيل إلى الأندلس دون رغبة منه في البقاء بها، إلا أن ظروف القيروان أجبرته على ذلك، وقد نظم قصيدة في اشتياقه للقيروان وهو يندبها إذ يقول:

يا قيروان ودّدت أني طائر   فأراك رؤية باحث متأمل [6]

وخرج الفقيه أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي القيرواني(ت.455هـ-1063م) وانتقل أيام المعز بن باديس أثناء الفتنة إلى مدينة طليطلة بالأندلس، ولمكانته العلمية والأدبية حظي عند ملوكها فاستقر بها إلى وفاته في عهد المأمون يحي بن ذي النون.[7]

واختار فقهاء القيروان جزيرة صقلية فأقام أكثرهم في مَازَر، منهم الفقيه الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني،[8] الذي ذاع صيته بها وبغيرها من مدن المغرب والمشرق، ولازم كبار فقهائها وأدبائها منهم عبد الكريم النهشلي المسيلي الذي مدح المعز بن باديس في شعر نظمه له[9]. وكانت بينه وبين ابن شرف منافرة لطلب هذا الأخير للهجرة نحو الأندلس هروبا

---

[1] – الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.198؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.342.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.113؛ ابن حمادة المالكي المغربي، **مختصر ترتيب المدارك للقاضي عياض** وقد سمّاه"**بغية للراغب ودليلا للطالب**"، مخطوط بالمكتبة الأزهرية وهو مبتور الآخر، تحت رقم (خاص.208- عام. 6097). ورقة 102.

[3] – نفس المصدر، ج.8، ص.112-113؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.340؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.284- 285.

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، 131و ق.2، ص.604؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.19؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.214.

[5] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.4، ص.171؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.234.

[6] – الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.193-194.

[7] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.598.

[8]– السّلفي، **المعجم**، ص.281؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.552 وما بعدها؛ رشيد مصطفاي، المرجع السابق، ص.84؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.151.

[9] – ومن كثرة ملازمته للمعز بن باديس تأثر لغيابه في العيد وكان ممطرا، وكأنّ السّماء أمطرت كأنّها بكت هي أيضا ومنه هذان البيتين:

تجهم العيـد وانهلت بـــــوادرهُ   وكنت أعهدُ منه البشر والضحكا

كأنّه جاءَ يطوي الأرض من بُعْدٍ   شوقًــا إليك فلما لم يجدك بكـى

(انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.552 وما بعدها).

من نزوح الهلاليين إلى القيروان، فرفض ابن رشيق واختار مدينة مازر للاستقرار إلى أن توفي بها.[1]

وتوّجه إلى القلعة الحمادية عدد لا بأس به من مالكية القيروان[2] الذين ذاع صيتهم مشرقا ومغربا، منهم أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي الديباجي الصابوني، وقد وصف الحادثة ب"فاجعة القيروان"، حيث أضّرت بالمقربين إليه إذ يقول:"وما رميت به من فَقْدِ الأهل والجيران"،[3] روى عن كبار فقهاء عصره كأبي عمران الفاسي وأبي القاسم الخولاني وأبي عبد الله الأزدي صاحب القاضي أبي بكر الطيب الباقلاني.[4] وكان يغلب عليه علم أصول الفقه وعلم الكلام. استفاد المغاربة من علم عبد الجليل الديباجي، فقد تفقه عنه الكثيرون ومنح بعضهم إجازات، فمن المغرب الأقصى الفقيه أبي الحجاج يوسف بن عيسى ابن ملجوم السبتي منحه إجازة سنة 478هـ-1085م[5]، وأجاز للقاضي عياض كتاب"**اللمع**" لشيخه الأذَري،[6] وأبو بكر يعلى بن محمد بن وليد بن عبيد المعافري(ت.483هـ-1090م) رحل إليه لما كان بإفريقية فروى عنه كتبه،[7] وأخذ عن الديباجي أبو عبد الله بن داوود بن عطية بن سعيد العكي القلعي شيخ القاضي عياض.[8]

وانتقل الفقيه أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف القيرواني التوزري[9] التلمساني الأصل المشهور بابن النحوي المجتهد إلى مدينتي سجلماسة وفاس[10] لكنه عاد إلى القلعة واستقر بها فانتشر علمه بها وبغيرها مغربا ومشرقا، وانتشر علمه عن طريق الفقهاء الذين رحلوا إليه ودرسوا عليه، وكثر الحديث عن فقهه وإنشاداته الشعرية في

[1] – ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.233 وما بعدها؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.504؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.151؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.552 وما بعدها.

[2] – حدد الباحث علاوة عمارة عدد الشخصيات العلمية الذين استقروا بالقلعة وبجاية بعد سقوط القيروان تحت يد القبائل الهلالية21 شخصية، (انظر: **مكانة الفكر العقدي**، ص.104).

[3] – الربعي(أبو محمد عبد الجليل بن أبي بكر القروي)، **التسديد في شرح التمهيد لأبي بكر بن الطيب الباقلاني**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، ضمن مجموع أصول الفقه تحت رقم يازمة باغشلر Yazma BaGislarar 1885 نسخت سنة 576هـ-1181م ضمن مجموع من ظ.1 إلى و.93؛ سزكين، المرجع السابق، ج.1، ص.609؛ رمضان شِشِ، **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**، دار الكتاب الجديد، 1980م، ص.33-34، وانظر أيضا: الملحق رقم (21).

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.255، ج.3، ص.133؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.429- 430؛ الذهبي، **المستملح**، ص.288.

[6] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.76.

[7] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.20.

[8] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.606؛ القاضي عياض، **الغنية**، ص.64.

[9] – جعل صاحب كتاب"**هدية العارفين**" مدينة توزر من المغرب الأقصى، (انظر: البغدادي، المرجع السابق، ج. 2، ص.551).

[10] – ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.552؛ الزركلي، المرجع السابق، ج.8، ص.247.

مجـالس أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندريـة[1] بواسطة القلعيين الذين تتلمذوا عليه من بينهم: الفقيه أبي محمد عبد الله بن سليمـان بن منصور التاهرتي (ت.536هـ-1142م) الذي قرأ عنه بالقلعـة وأنشده بعض الأبيـات،[2] وذكره بالإسكندريـة ماهو إلا دليل على اتساع روايته.

واشتهر ابن النحوي بفتواه حول إحراق كتاب "**إحياء علوم الدين**" للغزالي فكان من المدافعين عنه،[3] ولكثرة تبحره في العلم وصفه الشاعر والمؤرخ ابن حماد الصنهاجي بقوله "كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا"[4]. تتلمذ ابن النحوي على أشهر فقهاء بلاد المغرب الذين ذاع صيتهم به وبالمشرق، منهم أبي حسن اللخمي وأبي عبد الله محمد المازري الذكي وأبي زكريا يحي بن علي التوزري الشقراطسي،[5]وعبد الجليل الديباجي،[6] وغيرهم ممّن سكنوا القيروان.

اهتم ابن النحوي بأصول الفقه والدين والميل إلى النّظر والاجتهاد ولا يرى التقيلد، وممّن حدّث عنه محمد بن علي بن الرمامة وأبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي مفتي فاس، وأبو عبد الله بن المعطي الأذني وغيرهم من الفقهاء.[7] ولمكانة أبي الفضل أوصى والد الفقيه أبو الحسن إسماعيل بن حرزهم أن يقبّل يده كلما لقيه حتى لو التقى به مائة مرة.[8] أمّا ابن زيات فإنه عاد "إلى القلعة أخذ نفسه بالتقشف وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف وكانت جبته إلى ركبته".[9]

ورحل المحدث أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التوزري المشهور بابن عزرة (حي سنة 532هـ-1138م) إلى أشهر المدن الأندلسية لطلب العلم وكلما حطّ رحاله بإحداها إلاّ وأخذ عن علمائها الروايات والمصنفات، لقي بقرطبة أبو محمد بن عتاب وأبا الحسن بن سراج وأبا الوليد العتبي وأبا بحر الأسدي وغيرهم من الفقهاء، وبمرسيه من أبي علي الصدفي، وبشّاطبة أبا عمران بن أبي تليد، وذكر ابن الأبار أنّه:"أكثر عن أبي علي

[1] – جاء ذكر ابن النحوي في مجالس السلفي عن طريق القلعيين الذين حضروا مجالسه فاستفاد منهم وقيد الكثير عنهم، (انظر: المصدر السابق، ص.149 ومن هنا وهناك).

[2] – نفس المصدر، ص.149،231.

[3] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.308.

[4] – عادل نويهض، **أعلام**، ص.329.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.226؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.436 وما بعدها؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.552، وترجع تسميته بالشقراطسي نسبة إلى قصيدة مدح فيها الرّسول(β) والصحابة رضوان الله عليهم، شرحها جماعة من العلماء وخمسها آخرون، (انظر: ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.283؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.289-290).

[6] – نفسه؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.434؛ الذهبي، **المستملح**، ص.427؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.308؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.552-553 .

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.435؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.308.

[8] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.2، ص.308؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.552.

[9] – عادل نويهض، **أعلام**، ص.329.

وأطال ملازمته"،[1] وغالب الظن أنه يقصد أبو علي الصدفي، وبالمرية عن أبي الأصبع عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع، وله رواية عن القاضي أبي بكر بن العربي[2]، ودخل بجاية ونشر علمه بين الناس وأخذه عنه الكثيرون، وحدث عنه ابنه محمد وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حبوس التميمي، وأبو عبد الله بن الرمامة وغيرهم ذكرهم صاحب الذيل والتكملة،[3] ووجد ابن الأبار تقييد سماع عنه سنة 532هـ-1138م[4].

وبعد دخوله إفريقية رحل الفقيه والمؤرخ والمحدث والشاعر أبو الحسن علي بن عبد الله ابن محبوب الطرابلسي (ت.521هـ-1127م)[5] إلى قلعة بني حماد وهو من بيت صلاح ورئيس منطقته وكبيرها في العلم والجود، ويبدو أنّه خرج منها بسبب الفتنة، ويمكن الاعتقاد أن سبب تحبيسه للكتب بالقلعة كان بوازع خوفا من ضياعها، ثم خرج منها إلى الإسكندرية حيث حضر مجالس أبي طاهر السلفي، ولم يحج إذ أدركته المنية بمكة.[6]

ويبدو أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي فرج المازري الذكي[7]، قد انتقل إلى القيروان بسبب استيلاء النورمان على جزيرة صقلية سنة (485هـ-1092م)[8] من جهة وفتوى المازري حول السفر إلى صقلية ...؟[9] من جهة أخرى. مما اضطره إلى البقاء بها وانتقل بعدها إلى القلعة الحمادية بسبب النزوح الهلالي. وهو من كبار الحفاظ حتى قال عنه شيخه السيوري أنّه:"أحفظ ما رأيت". سكن القلعة وخلف بها مصنفات، اهتم بعلم القراءات وأخذ عنه أبو الفضل النحوي وأبو عبد الله بن داود الذي قال عنه:"شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران ومن كل مالكي"بل فضله على إسماعيل بن إسحاق القاضي. رحل المازري إلى العراق واستقر بإصفهان حتى وفاته.[10]

---

[1] - الضبي، المصدر السابق، ص.354؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.161، **المعجم**، ص.281؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.214-215؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.76.

[2] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.214.

[3] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.161؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.215.

[4] - ابن الأبار، **المعجم**، ص.281 وما بعدها؛ ابن عبد الملك، نفس المصدر.

[5] - السلفي، **المعجم**، ص.272.

[6] - ينتمي إلى طرابلس إلا أنني جعلته ضمن فقهاء إفريقية الذين رحلوا إلى القلعة بسبب النزوح الهلالي، واختار حمل كتبه إلى القلعة رغم بعد المسافة والمشقة وخوفا من أن تضيع كبقية الكتب والمكتبات، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.272).

[7] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.101-102؛ الدبّاغ، المصدر السابق، ج.3، ص.203؛ القفطي (الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف، ت.624هـ-1227م)، **أنباه الرواة على أنباء النحـاة**، تح. محمد أبـو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القـاهرة، ومؤسسة الكتب الثقـافية، بيروت، 1986م، ج.3، ص.73-74؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.210-211؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.79.

[8] - غادر عدد كبير من لمسلمين صقلية بعد استيلاء النورمان عليها، (انظر: ابن الخطيب، **أعلام**، ق.3، ص.129، 132 ؛ وانظر أيضا: Abdel-Magid(T.), op, cit., p.693.

[9] - المازري، **فتاوى**، ص.364؛ وانظر أيضا: Ibid, pp.692,701.

[10] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.101-102؛ الدبّاغ، المصدر السابق، ج.3، ص.203.

وأشار بروكلمان إلى أن أشهر شعراء صقلية ابن حميدس الأزدي السرقسطي (ت.527هـ-1133م) قضى أعوامه الأخيرة ببجاية بعد وفاة المعتمد بن عماد وهو صاحبه في رحلته إلى المغرب الأقصى.[1]

يبدو أن كتب الطبقات والتراجم والمشيخة اقتصرت في تراجمها على أشهر فقهاء القيروان الذين رحلوا إلى القلعة فساهموا بشكل كبير في التأصيل الفقهي المالكي من خلال مجالسهم العلمية المقامة هناك والتي حضرها القلعيون وغيرهم من الوافدين من المغاربة والمشارقة. وانتشر علمهم عن طريق الرّوايات والإجازات التي منحوها لغيرهم من الطلبة أو منحها الشيوخ لمن تتلمذ عندهم، وهكذا انتقل العلم إلى فقهاء ممّن جاءوا بعدهم. وهكذا استفادت القلعة من رحلة فقهاء القيروان، فأصبحوا ممّن يعتمد عليهم في تلقين أهل المنطقة بشتى أنواع العلوم كعلم القرآن والحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام وغيره من خلال تآليفهم ورواياتهم.

لقد برز التأثير القيرواني في المغرب الأوسط منذ القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي في حياة الإمام سحنون بن سعيد ولم ينقطع في العهدين الفاطمي والزيري وأكثره كان في العهد الحمادي. وفي هذا المجال توصل الباحث نجم الدين الهنتاتي إلى الاستنتاج أن التأثير القيرواني في المغرب الأوسط برز في الجهة الشرقية منه، والأندلسي في الجهة الغربية وقد ساهم المرابطون في نشر المذهب المالكي،[2] لكن حركة علماء المغرب الأوسط والوافدين إليه شملت كل مدنه إذ كانت عبارة عن حلقة وصل بين المدن الشرقية كبجاية وطبنة وبونة والغربية كتلمسان ووهران والوسطى أيضا، وقد برزت رحلة الأندلسيين للمغرب الأوسط أكثر من غيرها، وتنوع التخصص العلمي لكل فقيه منهم.[3]

ونتج عن الدراسة التي قام بها الباحث نجم الهنتاتي أيضا أن سيطرة المذهب المالكي تأخر في المغرب الأوسط وحسب رأيه تم ذلك في عهد الزيانيين، لكن عند تقصي لمالكية المغرب الأوسط في القلعة وغيرهم من المغاربة والمشارقة من العابرين أو المستقرين، ومن خلال كتب التراجم والمشيخة والرّحلات وُجد أنّ عددهم لا يحصى من جهة، وأن من دخلها من أشهر المالكية على العموم فعرف بهم المذهب وساهموا في ترسيخه وذيوعه مشرقا ومغربا ومن هؤلاء أبي بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي وأبو مدين شعيب

[1] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.336؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.114.

[2] – نجم الدين الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.137.

[3] – وظهر ذلك جليا في جدول الخاص برحلة الأندلسيين نحو المغرب الأوسط، انظر: الملحق رقم (22).

وغيرهم، وما خلفه مالكية المغرب الأوسط من مصنفات المذهب ماهو إلا دليل على ترسيخه بداية من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.

ونتج عن النّزوح الهلالي إلى إفريقية وإخراج فقهائها من سكناهم، دون المساس بعقيدتهم السّنية ولم يحاربوا مذهبهم المالكي، ورغم ما خلفته من الضرر المادي في تخريب بعض المدن إلا أنّ وجودهم بالمنطقة ساعد على نشر اللغة العربية[1] وهي المفارقة بينهم وبين الشيعة التي حاولت نشر عقيدتها، فوجدت مقاومة عنيفة تزعمها فقهاء مالكية بلاد المغرب بسبل مختلفة، وتعتبر إحدى الأسباب المساعدة على إخراجها من المنطقة وعودتها إلى المشرق، فيعتبر نجاح باهر لفقهاء مالكية بلاد المغرب.

[1] – لم يشر الباحث لطفي بن ميلاد في دراسته أن من بين ما أفرزت عنه هجرة الهلاليين نزوح فقهاء مالكية القيروان إلى المغرب الأوسط، (انظر: **إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ-11م إلى مطلع القرن 10هـ-16م**، تق. محمد حسن، تونس، 2011م ، ص. 337،325).

الفصل الثالث

نشاط المالكية في المغرب الأوسط خلال العصر الحمادي

أولا: المجالس العلمية

1 – المجالس العلمية لفقهاء المغرب الأوسط بالحواضر المغربية

2 – المجالس العلمية لفقهاء المغرب الأوسط بالحواضر المشرقية

ثانيا: التعليم

ثالثا: الكتب المدرسة

رابعا: الإجازات

1– إجازات فقهاء المغرب الأوسط لبعضهم البعض

2– إجازات فقهاء المغرب الأوسط لنظرائهم من المغرب والمشرق

3– إجازات المشارقة والمغاربة لفقهاء المغرب الأوسط

خامسا: المناظرات

نشاط المالكية في المغرب الأوسط خلال العصر الحمادي

أولا: المجالس العلمية

لم تنقطع الحلقات العلمية للفقهاء في القلعة وبجاية في المساجد، واتصفت بعظمتها لكثرة عدد الحضور،[1] ونقل عن الطبني أنّ للمغاربة حلقات بمصر بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط،[2] وقدرت بعض حلقات المالكية فيه دون غيرهم نحو عشرين حلقة في الحديث والفقه.[3] وكان كتاب "**التهذيب**" أكثرهم وجودا في الحلقات العلمية، فقد ذكر القاضي عياض أنّ:"المناظرة في جميع حلق بلداننا إنما كانت بكتاب البرادعي". وانتشرت فتاويه في المشرق والمغرب، وللبرادعي مجلس في داره يجلس فيه للمذاكرة والسّماع من غدوة إلى صلاة الظهر، واعتنى الطلبة بعلمه "فلا يتكلم بشيء إلا كتب عنه".[4]

وخصّ حكام القلعة مكانًا بقصر بجاية يرتاده الفقهاء للتّعلم سمّي"بيت الكتّاب" وقد قرأ أبو عبد الله بن حماد الصنهاجي به عن الفقيه أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي (ت.584هـ-1188م) وأشار إليه ابن حماد بقوله:" قرأت عليه "**معيار العلم**" من أوّله إلى أخره قراءة تفهم وتعلّم في بيت الكتّاب من قصر بجاية"،[5] واستُدعي فقهاء قلعة بني حماد إلى بلاط الأمراء لإقامة مجالسهم العلمية هناك، منها ما حدث في عهد العزيز بالله الحمادي.[6]

ومن كثرة المجالس العلمية التي اشتهر بها فقهاء مالكية القلعة وبجاية، أصبحت مركزا إشعاعيا في بلاد المغرب عامة. واتخذ الفقيه أبي علي المسيلي وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي والفقيه أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي المعروف بابن قريشة من حانوت مكانا لمجالسهم العلمية، فلم تمنعهم درجتهم العلمية من الاستفادة من بعضهم البعض. وطغى علم علم الحديث في مجالسهم على غيره من العلوم، ولكثرة اجتماع هؤلاء الثلاثة بالحانوت سُمي ب "**مدينة العلم**".[7] ويمكن تسمية بجاية ب "**مدينة العلم والعلماء**" لأنها محطة للعلماء من جميع الأقطار وفي جميع فنون العلم.

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.222.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.218؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.274.

[3] – نفس المصدر، ج.7، ص.291.

[4] – نفس المصدر، ج.7، ص.245؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.351.

[5] – لم يذكر الغبريني اسم القصر الذي قرأ فيه الكتابين " **معيار العلم**" و" **المقاصد**" لحجة الإسلام الإمام الغزالي، (انظر: **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.95).

[6] – ابن القطان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، ت.628هـ-1231م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط.2، درا. وتق. له وتح. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ص.39-94؛ علاوة عمارة، **الحكم والاقتصاد**، ص.274.

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.16.

واعتبر المنزل من الأمكنة التي اتخذها فقهاء بجاية للمجالس العلمية لإقراء وسماع الكتب به،[1] واستحسن بعض الطلبة ذلك، في استدعاء الشيخ إلى منازلهم للاستفادة منه، وللانفراد به كي لا يشغلهم شاغل للسّماع عنه وأخذ رواياته.[2] وأخذ آخرون سقيفة بيوتهم مكانا للدّرس فيجتمع فيها خواص طلبته.[3] واستغل بعضهم السفينة أثناء سفرهم لأداء فريضة الحج للتعلم فاتخذوا من ظهرها مكانا للسّماع من الشيوخ المرافقين لهم.[4]

وأَخذت العلوم الشرعية من علم التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والأصلين، وعلوم التذكير، الحظ الأوفر في هذه المجالس، واختلفت طريقة الفقهاء في استفتاحهم للمجالس، فمنهم من استفتحه "بالتفسير بعد الخطب، ويوسط بذكر شيء من أخبار الصالحين..."، ويقرأ ما تيسر من فصول بعض الكتب، ويكون بداية المجلس التالي من حيث توقف في المجلس الذي قبله[5]. ويبدأ البعض الآخر في مجالسه بالوعظ والتذكير، فقد تغلب على مجالس أبا زكريا الزواوي ببجاية طابع التخويف إذ "ما يمر بمجلسه إلاّ ذكر النّار والأغلال والسعير وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه"[6]. وكان للفقيه أبي تمام الواعظ مجلسا بالجامع الأعظم خصّه لعلم التّذكير واسترشاد النّاس إلى الله تعالى وتميز أيضا بالتخويف، وكان يحضره عدد كبير من الطلبة لتأثير كلامه في النّفوس.[7]

واستفتح البعض الآخر من فقهاء بجاية مجالسهم بقراءة الرّقائق، ويعتقد أنّ هذه الطريقة كانت معمولا بها ممّن سبقهم من فقهاء بلاد المغرب فهي تعبر عن امتداد لهم،[8] وقد ثبت عن أبي محمد بن التبان أن طلبته عاتبوه عندما قطعه أياما رغم اعتذاره لهم،[9] وفي غير موضع صرّح الغبريني أنّه قرأ وسمع عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبادة القلعي (ت.696هـ-1297م) وأنّه كان:"يبدأ في مجلسه بالرقائق" [10] ثم يقرأ العلوم الأخرى من فقه وحديث وغيره، واستحسن بعضهم افتتاح المجلس بقراءة قارئ بشيء من القرآن العظيم.

---

[1] – نفس المصدر، ص.37.

[2] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.34.

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.99؛ استغل القابسي سقف بيته للتعليم، (انظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.345).

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.110؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.28.

[5] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.35.

[6] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.62.

[7] – نفس المصدر، ص.92.

[8] – عبد الحق الإشبيلي، **تلقين الوليد**، ص.20 وما بعدها.

[9] – الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.89.

[10] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.33.

وعادة ما تختم هذه المجالس بشيء من الحكايات والنوادر والإنشادات لترويح بعض الشيء عن النفس، فقد قال ابن صلاح :" ذلك حسن بوّب له الخطيب في الجامع واستدل له بما روى عن علي (رضي الله عنه) قال:"روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة"،[1]

وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري(ت.682هـ-1283م) يبدأ مجالسه بقراءة الرقائق أوّلا ثم الفقه والأصول ثم تقرأ عليه مجموعة من الكتب،[2] فيقيد الطالب ما يقوله شيخه، فإذا منعه من التقييد فعليه أن يتبع نواهيه. وحاول ابن حماد الصنهاجي في أوّل مجلس له سنة 531هـ-1137م أن يقيّد سمّاع كتاب" **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**" بأكمله قراءة وتفقها من شيخه أبي مدين شعيب في داره ببجاية ، لكن أبي مدين منعه من ذلك.[3] قد يكون سبب المنع أن أبا شعيب لا يدرك بعد المستوى العلمي الذي وصل إليه ابن حماد وهذا لا يظهر إلا بالمداومة والاختبار.

ومن المألوف عند فقهاء القلعة أنه إذا شارك فقيهان في شيخ يمكن أن يروي أحدهما عن الآخر، وهو ما حدث لابن حماد الصنهاجي أنه روى عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي مباشرة وروى عنه عن طريق أبي ذر مصعب بن محمد، وجواز ذلك لما يتمتع به ابن حماد الصنهاجي من العلم وقد زكاه الغبريني بقوله:"من رعونات النّفس والحق أن الإنسان كيف ما وجد تلقاها".[4]

ويحرس الشيخ على مواظبة حضوره المجالس ولا يغيب عن التّدريس إلاّ لعارض قاهر يمنعه[5]، وتختلف أنواع المجالس منها ما تكون للحديث والأخرى للإملاء، أو العرض[6] والمقابلة، أو للمذاكرة أو للسّماع والإقراء، ويكون درس بالغداة ودرس بين الصلاتين ودرس بين العشاءين، ولا يلتزم الشيخ في إعطاء الدّرس في مكان واحد، كأن يكون الدرس الغداة بالمسجد الأعظم والدرس الثاني في مسجد آخر.[7]

---

[1] – السخاوي(شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت.902هـ-1497م)، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، درا. وتح. عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 2005م، ج.3، ص.276.

[2] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.46.

[3] – نفس المصدر، ص.101.

[4] – نفسه.

[5] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.35

[6] – وتتمثل مجالس المعارضة أن يجلس الشيخ فيحضر بين يديه الكتب المقروءة عليه فيفتح الطالب كتابه ويأخذ هو الكتاب في يده ثم يبدأ الطالب بالقراءة وتتم المعارضة، ويشرح الشيخ منه لما يقرأه القارئ، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.47).

[7] – نفس المصدر، ص.31.

ومن الأندلسيين الذين حضروا بعض المجالس العلمية بالمغرب الأوسط وأفادوا أهله بما لهم من علم أبو بكر بن العربي ووالده،[1] بعدما التقوا بأشهر شيوخ المدن الأندلسية مالقة، والمرية، وغرناطة،[2] ثم اتجه نحو بجاية فيما بعد[3] التي وجدوا بها عددا لا بأس به من العلماء، منهم الفقيه أبو بكر بن عمار الميورقي،[4] والفقيه القاسم بن عبد الرحمن المحدث والأديب[5] فحضر مجالسهما وسجلت عنهم مناظرات دونت في المصادر.[6]

وفي رحلته المشرقية لا يمر بمنطقة إلا إذا وقف عند أشهر فقهائها، ثم يختص بأحدهم فقد لازم بالمدرسة النظامية في العراق فخر الإسلام أبا بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي (ت.485هـ-1092م)،[7] والإمام الغزالي فكان يلقاه في الصباح والمساء والظهيرة والعشاء[8]، ووصف ملازمته له" كمن يدخل المعدن فيجمع النضار برغامِهِ"، فاختص به للقراءة والسّماع والمباحثة والتتبع للمشكلات بالكشف عن خباياها[9]، وغيرهم ممّن التقى بهم وحضر مجالسهم.

وكانت للفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد هرّاس التامقلتي قاضي قلعة بني حماد مجالس في الجامع في شهر رمضان وكان أبو الفضل النحوي من المترددين إليها،[10] واتخذت بعض المساجد أسماء نسبت إلى شيوخها سواء كانوا من القلعيين أو من غيرها كمسجد أبي زكريا الزواوي أو مسجد المرجاني لجلوس هؤلاء بها.[11]

وبعد سقوط بجاية على يد الموحدين، لم تنقطع المجالس التي كانت تقام بمساجد القلعة، وأشارت بعض النصوص أن عبد المؤمن كان يحضر في السابع والعشرين من شهر رمضان في الجامع الأعظم، ويختار مجالس الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري

---

[1] - لاحظ حسين مؤنس أنّ ابن العربي لم يؤدي فريضة الحج أثناء رحلته، (انظر: **الجغرافيا والجغرافيون**، ع.11-12، ص.131؛ ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.80 وما بعدها).

[2] - لم يفصح عن العلماء الذين التقى بهم بغرناطة، كما أنّه لم يطل البقاء بها، وقد يكون مرد ذلك لعدم وجود حاجته من العلم هناك، وقد تكون لأسباب قاهرة، (انظر: ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.194).

[3] - ويقصد هنا ميناء بجاية لم يمض على إنشائه مدّة طويلة، اختطه محمد بن البعبع أمير البحر لتميم بن باديس بن الزيري، (انظر: حسين مؤنس، **الجغرافيا والجغرافيون**، ع.11-12، ص.123؛ و(انظر أيضا: علاوة عمارة، **التطور العمراني والتجاري**، ص.229؛ 232).

[4] - ابن العربي، **الرحلة**، ص.194-195؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.327؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.60.

[5] - لم يعثر على ترجمة له.

[6] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.82.

[7] - الشيرازي، المصدر السابق، ص.18؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.4، ص.103.

[8] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.449-450.

[9] - نفس المصدر، ص451

[10] - السّلفي، **المعجم**، ص.161.

[11] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.82.

ليتلو القرآن ويصلي بهم.[1] وكان الفقيه إبراهيم الأصولي يذاكر بين يديه في قصره، وكان غليظا على الأصولي ولا يسامحه في شيء، لكن طلبته كانوا يقفون إلى جانبه،[2] وممّا لا ريب فيه أن عبد المؤمن حذا حذو حكام القلعيين في مجالسهم العلمية، بل قرّب إليه بعضهم ومنحهم مناصب، فالفقيه عبد السلام بن محمد الكومي الندرومي(ت.557هـ-1162م) ولاه الوزارة سنة 553هـ-1158م ولقب بالمقرب لشدة اتصاله وقربه بعبد المؤمن.[3]

1 - المجالس العلمية لفقهاء المغرب الأوسط بالحواضر المغربية

رحل بعض الفقهاء إلى الأمصار بغية الاستزادة من العلم وحضور المجالس العلمية لأشهر الفقهاء الذين كانوا يتصدرونها ممّن ذاع صيتهم مغربا ومشرقا، وتبقى المدن المشرقية أكثر توافدا للطلبة من جميع الأقطار من غيرها من المدن المغربية والأندلسية.

وتعتبر فاس من الحواضر المغربية التي قصدها فقهاء المالكية وغيرهم من أصحاب المذاهب السنية، ودون شك فالسّبب يرجع غالبا إلى الاستزادة بالعلم من فقهائها أو من القادمين إليها من المدن المغربية أو الأندلسية، أو للعبور منها إلى العدوة الشمالية كونها قريبة منها، فمنهم من بقى بها وتصدر مجالسها العلمية.

انتقل الفقيه ابن الرّمامة إلى القلعة الحمادية وأصبح من كبار شيوخ فاس، وكانت له مجالس بها، غالبيتها في علم الحديث والمسائل الفقهية، وكان أكثر خروجا إلى المسجد القريب من بيته لإقراء الحديث أو لإفادة من يطلب منه ذلك، ولا يعود إلى منزله إلا بعد انقضاء مجلسه، وأحيانا لا يرجع إلى بيته حتى طلوع الفجر. وحسب نص الفاسي أنّ لابن الرمامة مجلسين أولهما صباحا حتى الزوال و"ربما طال المجلس إلى قرب الزوال أو أكثر من ذلك"، وثانيهما: بعد صلاة المغرب، ويُستخلص ذلك من معنى النص التالي أنه: "إذا انقضى المجلس عاد إلى منزله، فلا يخرج منه حتى يطلع الفجر".[4] وبما أن صلاة الجماعة تكون في المساجد ويؤمها عادة الشيوخ، فلا يمكن لابن الرمامة مثلا أن يصلي العصر في المسجد ويعود إلى منزله دون برحه لصلاة المغرب والعشاء.

وفي إفريقية لم ينقطع فقهاء مالكية المغرب الأوسط من حضور مجالس مشـايخ إفريقيـة منذ القرون الهجرية الأولى، وهو ما أكدته كتب الطبقات والتراجم والمناقب، وكان عددهم في

---

[1] - نفس المصدر، ص.64.

[2] - نفس المصدر، ص.65-96.

[3] - عادل نويهض، **أعلام**، ص.329.

[4] - الفاسي، **المستفاد**، ق.2، ص. 171.

تزايد مستمر لولا النزوح الهلالي إلى المنطقة الذي وقف حاجزا ضدهم. ومن الحواضر التي انتشر صداها مدينة تونس، التي اشتهرت مجالسها بالفقيه أبي محرز بن خلف الذي كان له دور إجابي في محاربة التشيع ولا يخاف في الله لومة لائم، فكان يراسل الأمراء الزيريين ويشكوهم بعض مظالم الطلبة،[1] أو ينتقدهم في بعض الأحكام التي جاروا فيها،[2] وراسل أبو بكر الأبهري شيخ المالكية بالمشرق ليجيبه عن بعض المسائل الفقهية منها: "عما يأخذه بنو عبيد من الزكاة"، كما صد بعض أوامر الشيعة المخالفة للمذاهب السنية. وعرفت مجالسه بكثرة الحضور من بينهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط منهم: إبراهيم البسكري،[3] والشاعر محمد بن عبد الله قاضي ميلة،[4] ومن المعاصرين له تاج الدين المليانى،[5] وخلف الله الزواوي[6] ذكرهم أبو طاهر الفارسي في كتاب المناقب.

ويلاحظ أن حواضر بعض الحواضر المغربية والمشرقية عززت دور القيروان في التأصيل الفقهي ونشر المذهب المالكي على نطاق واسع.[7] فقد اشتهرت من قبل بمجالس فقهائها كابن أبي زيد القيرواني، وأبي عمران الفاسي والمازري وغيرهم.

وتعتبر الأندلس أكثر وجهة لفقهاء مالكية المغرب الأوسط، وقد قصدها الفقيه أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني، فاعتنى بالتقييد العلم منها أكثره في الحديث، وبرع أيضا في علم اللغة والأدب والشعر. وروى الطبني بقرطبة عن أشهر فقهائها منهم أبي محمد مكي المقرئ وأبي محمد بن حزم وغيرهما، وشهد ابن بشكوال سماعهما. ودخل الطبني القيروان ليعبر إلى المشرق فزار أثناءها مصر ومكة، فلما استكمل تحصيله العلمي رجع إلى قرطبة فأخذ بها مجلسا للإملاء، كان يحضره عدد كثير من الطلبة.

وقد يكون سبب رحلة الطبني إلى المشرق الأبيات التي خاطبه بها أبوه وهو بمصر، وممّا لا شك فيه حضور والد الطبني إلى مجالس الشيوخ بالمشرق حز في نفسه، فشجع ابنه على الرّحيل لأخذ العلم من المنبع والبيتين هما كالآتي:

يـا أهل الأندلس مـا عندَكـم أدَبٌ   بالمشْرقِ الأدبُ النفّاح بالطّيبِ

---

[1] – أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.157.

[2] – نفس المصدر، ص.144-145، 147-148، 156-157.

[3] – لم يعثر على ترجمته، (انظر: نفس المصدر، ص.96).

[4] – نفس المصدر، ص.94.

[5] – أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.183،187.

[6] – نفس المصدر، ص.186.

[7] – بوبة مجاني، "القيروان وفقهاء الدولة الحمادية"، **ضمن كتاب إشعاع القيروان عبر العصور**، وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20إلى 25 أفريل 2009، وزارة الثقافة، المجمع التونسي للعلوم "بيت الحكمة"، 2010م، ج.1، ص.129.

يُدعى الشّبّاب شيوخًا في مجالِسِهم   والشَّيـخُ عندكـم يُدعى بتلْقِيبِ[1]

2- المجالس العلمية لفقهاء المغرب الأوسط بالحواضر المشرقية

وكانت الإسكندرية إحدى المدن المشرقية التي ازدهرت بها الحياة الثقافية، فقد عجت بالطلبة المغاربة، وذكر السيد عبد العزيز سالم أن إحدى أبوابها سمي بباب المغرب،[2] وأشارت بعض المصادر المغربية والمشرقية إلى المجالس العلمية التي حضرها هؤلاء الفقهاء في الإسكندرية التي كانت محطة ضرورية للمغاربة لأداء فريضة الحج وللاستزادة بالعلم عن أشهر علمائها في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وكانت المدينة الوحيدة التي يسمح لها بتدريس العلوم السنية خلال العهد الفاطمي.[3] وتمثلت هذه العلوم في: علم القراءات والحديث والتفسير واللغة والشعر وغيرها من العلوم وسنذكر بعضها وأهم الوافدين عليها.

واشتهرت بالإسكندرية مدرستين هما: المدرسة العوفية(الحافظية) والمدرسة السلفية (العادلية)،[4] وهذه الأخيرة اشتهرت مجالسها العلمية بفقهاء المغرب الأوسط جلهم من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فقد جاء ذكرهم في بعض المصادر المشرقية، منها كتاب ابن عساكر "**تاريخ دمشق**" وكتاب السّلفي"**معجم السّفر**".

وأكثر المجالس العلمية ذيوعا في الإسكندرية ترأسها الحافظ أبو طاهر السلفي الشافعي، فقد نصت المصادر على عدد من فقهاء مالكية بجاية الذين حضروا مجالسه وتفقهوا عنه، فاستحسنوا المنطقة لما وجدوه من العلوم والشيوخ على اختلاف مذاهبهم والتجار والرّحالة من أقاصي الأقطار. واستفاد السلفي هو أيضا من علم الوافدين إلى مجالسه، منها معرفة بعض مواقع وأسماء مدن بلاد المغرب وتواريخ بعض الرجال المغاربة عامة ومن قلعة بني حماد خاصة[5] والعلوم المنتشرة بالمنطقة.

---

[1] – ابن بشكوال، المصدر السابق ق.2، ص.361؛ الضبي، المصدر السابق، ص.330-331.

[2] – نقل السيد عبد العزيز سالم هذا النص الإدريسي، لكنه لم يعثر عليه، (انظر: "التبادل الثقافي بين الإسكندرية والغرب الإسلامي في العصور الوسطى الإسلامية"، **مجلة كلية الآداب بالإسكندرية**، ع.50، مج.2، الإسكندرية، مصر، 1999- 2000م، ص.77).

[3] – لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص.320.

[4] – المدرسة العوفية أو الحافظية أسسها الوزير الفاطمي رضوان بن ولخشي سنة 532هـ-1138م في خلافة الحافظ لدين الله وكان المدرس بها الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن مكي بن عيسى بن عوف الزهري الإسكنداني، أما المدرسة السلفية أو العادلية أسسها العادلي علي بن السلار والي الإسكندرية سنة 544هـ-1150م، وكان يدرس بها الفقيه أبو طاهر عماد الدين أحمد السلفي، (انظر: ابن كثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، ت.774هـ-1373م)، **البداية والنهاية**، راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 2005م، ج.12، ص.3522؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.77).

[5] – أشار أبو طاهر السلفي في معجمه إلى مجموعة من فقهاء قلعة بني حماد منهم من حضر مجلسه.

وساهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط في تنشيط الحياة العلمية بمصر وكان لهم دور بارز في ازدهار المذهب المالكي بها، وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض ممّن حضر مجالس السّلفي: من مدينة بسكرة أبو علي الحسن بن حمدان بن حمّونة.[1] ومن مدينة تاهرت الفقيه الأديب والنحوي والمحدث أبو محمد عبد الله بن منصور الذي قال عنه السّلفي أنّه:"من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من الحديث كثيرا سنة 527هـ-1133م بعد رجوعه من الحجاز"، وعلّق عنه السلفي فوائد أدبية، ولما رجع إلى المغرب حدث عنه وأخذ من مروياته.[2] وحضر الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي مجالس السلفي أيضا.[3]

وحضر مجالس السلفي من القلعيين الفقيه أبو محمد عبد الله بن حرّان القلعي[4] والفقيه والطبيب والمحدث أبو حفص عمر بن علي بن خليفة بن البذوخ (ت.517هـ-1123م) القلعي.[5] رغم اهتمام ابن البذوخ بالطب إلا أن ذلك لم يمنعه من حضور مجالس السلفي الخاصة بعلم الحديث. ومن الحاضرين لهذه المجالس أيضا الفقيه أبو عبد الله الغديري من أصحاب أبي الفضل النحوي وابن البذوخ وأبو محمد القلعي الحمادي[6]، ذكره السلفي بهذا الاسم قد يكون عبد الله بن حران. كما حضر أبو حفص عمر بن عتيق بن أبي الخمائر القلعي (ت.550هـ-1155م) المعروف بالذهبي. وقد قال عنه السلفي أنّه:"من أذكى الشباب وكان له محفوظ كثير من شعر نفسه ومتأخري شعراء المغرب".[7] ويعتبر أبو حفص من الأوائل الذين سمعوا الحديث من السلفي عند وصوله إلى ثغر الإسكندرية بمعية جماعة من الفقهاء سنة 511هـ-1117م. ومن بين الفقهاء الذين ذكرهم كتاب "**المعجم**" للسلفي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد المعطي القلعي،[8] والفقيه أبو الحسن علي بن أبي بمر بن عتيق بن أبي الخمائر القلعي أخو أبو حفص عمر، من أصحاب أبي الفضل،[9] والفقيه أبو

---

[1] - السلفي، **المعجم**، ص.69.

[2] - نفس المصدر، ص.149؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص. 326؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.60.

[3] - نفس المصدر، ص.173.

[4] - السلفي، **المعجم**، ص.161.

[5] - أورد السّلفي كنيته أبو حفص دون تحديد تاريخ وفاته، (انظر: نفس المصدر، ص.231؛ بينما اتفق البغدادي ورضا كحالة وعادل نويهض أن كنيته أبا جعفر، (انظر: **هدية العارفين**، ج.1، ص.784؛ **إيضاح المكنون**، ج.1، ص.541، ج.2، ص.403؛ رضا كحالة، المصدر السابق، ج.2، ص.567؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.362).

[6] - نفس المصدر، ص.239.

[7] - نفس المصدر، ص.242- 244.

[8] - نفس المصدر، ص277-278.

[9] - نفس المصدر، ص.297.

زكريا يحي بن أبي ملول بن عشيرة الزناتي،[1] والفقيه أبو زكريا يحي بن علي بن حمزة الكتامي القسنطيني.[2]

ورحل الهذلي البسكري إلى دمشق لكن ابن عساكر لم يذكره في كتابه، بينما أشار إلى أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن محمد التميمي القسنطيني الأشعري (ت.519هـ-1125م) الذي تنقل بين العراق حيث قُرأ عليه كتب الأصول بعدما قرأها على أبي عبد الله محمد بن عتيق القيرواني، ودمشق سمع بها كتاب "**صحيح البخاري**". [3]

شجع بعض السلاطين الأيوبيين خاصة صلاح الدين الأيوبي(ت.589هـ-1193م) الفقهاء المالكية الوافدين إلى الإسكندرية ببناء المدارس وتوفير المأوى لهم، وقد أشار ابن رشد(ت.721هـ-1321م) إلى بعضهم منهم: المحدثين أبا محمد عبد الله بن محمد الأشيري، وأبا الحسن علي بن خلف بن معزوز التلمساني(ت.599هـ-1203م)،[4] وقد حدثوا بكتاب "**السنن**" للترمذي (ت.279هـ-892م) رواية اللؤلؤي(230هـ-845م).[5]

وممّا لا شك فيه أنّ فقهاء مالكية المغرب الأوسط ساهموا ولو بشكل بسيط في ازدهار الحياة العلمية بالإسكندرية وبتمسك أهلها بالمذهب المالكي متأثرين بفقهاء المغرب والأندلس من المالكية. ونجم أيضا عن الاحتكاك بين المشارقة والمغاربة التثاقف في مختلف العلوم.[6] وظهر ذلك جليا في المنشآت العلمية خاصة في عصر المماليك(648-922هـ/1250-1516م).

وحضر الفقيه أبو زكريا يحي بن أبي ملول الزناتي مجالس أبي حامد الغزالي بمدينة بغداد.[7] بينما حضر فقهاء آخرون المجالس العلمية لابن عساكر، فسمعوا منه وقرؤوا عليه وقد ذكر بعضهم في كتابه "**تاريخ دمشق**" الذي اشتهر به.

---

1 - نفس المصدر، ص.53-439.

2 - نفس المصدر، ص.450.

3 - ابن عساكر، **تاريخ دمشق** ، ج.43، ص.135.

4 - الكومي المحمودي الفنتروسي التلمساني المالكي، فقيه مالكي أصولي ومحدث، رحل إلى قديما إلى المشرق فدخل مصر ودرس بالإسكندرية ثم حج وجاور مكة ودخل بغداد واستفاد من علماء هذه المدن، والمحمدي نسبة إلى بني محمود من كومية، والفنتروسي فخذ من بني محمود، وتوفي بمنية بصعيد مصر، (انظر: المنذري(زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، ت.656هـ-1258م)، **التكملة لوفيات النقلة**، ط.3، تح وتع بشار عواد معروف، الرسالة، بيروت، 1984م، ج.1، ص.459؛ ابن رشد، **الرحلة**، ص.237-238؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1177).

5 - ابن رشد، **الرحلة**، ص.238-239؛ واللؤلؤي هو أبو زكريا بن يحي بن صالح من الأئمة المشهورين الذين رووا عن الإمامين البخاري والترمذي، (انظر: **الوافي بالوفيات**، ج.14، ص.136).

6 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.81.

7 - السلفي، **المعجم**، ص.53- 439.

وانتقل أبو عبد الله بن محمد المغربي المعروف بابن الأشيري الصنهاجي[1] إلى دمشق بعد سماعه بالأندلس من شيوخها، وروى بها كتاب "**الموطأ**" وغيره من المؤلفات، سمعها منه ابن عساكر، وكتب عنه كتاب ألفه لأجله.[2] وكان للفقيه أبو محمد عبد الوهاب البسكري المالكي مجلسا بدمشق يدرس فيه المذهب المالكي للطلبة المغاربة ، ذلك أن غالبية المجالس المنتشرة هناك كانت على المذهب الشافعي، وأخذ البسكري مكان أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي في حلقاته الفقهية عن المالكية بعد استشهاده، وسمع من ابن عساكر ومن المرادي كتاب "**الصحيح**" لمسلم بن الحجاج (ت.261هـ-875م)، ثم سافر إلى مدينة بعلبك ولما رجع منها أكمل ما فاته من سماع من أول أجزاء الكتاب التي لم يسمعها سابقا.[3] وكتب ابن عساكر عن أبي الحسن علي بن القاسم القسنطيني الأشعري دون حضور مجالسه لكنه اطلع على كتابه في الأصول وسمع "**صحيح البخاري**" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت.256هـ-870م) بدمشق. [4]

وشاهد ابن العربي أثناء زيارته لبيت المقدس جماعة من الفقهاء تدخل البيت من بينهم قاضي مدينة بسكرة أبو محمد عبد العزيز[5]، فانبهر ابن العربي بكثرة علمهم الذي كانوا يتمتعون به وقال عبارته:" كأني إذ سمعت كلامهم ما قرأت ما يعني، ولا يكفي في المطلوب ولا يغني"[6]. ويستخلص من هذه المقولة أنّه مهما رحل الطالب للاستزادة بالعلم فإنّه دوما يطلب المزيد ويراوده شعور بأنّه لم يصل إلى المرتبة المرجوة في تحصيله للعلم.

وحسب المادة المصدرية المتوفرة فإنّ فقهاء المشرق من الشافعية أو غيرهم من المذاهب الأخرى لم يؤثروا في مذهبية فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ولم يتأثر هؤلاء بمذهبية أولائك، بل حافظ كل على مذهبه ورجع الفقهاء المغاربة إلى وطنهم حاملين معهم مختلف العلوم. فكان للقلعيين مجالسا للعلم في منطقة رحلوا إليها إلا وكانت لهم فيها مجالس للعلم يتصدرونها، ويدل ذلك على مكانتهم العلمية التي توصلوا إليها بفضل جهودهم في تحصيلهم العلمي.

[1] - كتب "الصمناجي" عند ابن عساكر، (انظر: **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.235).
[2] - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.234-235.
[3] - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.14، ص.49؛ ج.37، ص.342.
[4] - نفس المصدر، ج.43، ص.135.
[5] - أبو محمد عبد العزيز قاضي بسكرة، (انظر: ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.209)؛ وذكر ابن العربي أنّ القاضي البسكري غلبت عليه صحبة المناني فتأثر بمذهب القدرية، (انظر: ابن العربي، **العواصم من القواصم**، تح. عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1997م، ص.212).
[6] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.439.

ثانيا: التعليم

امتاز القرنان الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين باهتمام فقهاء القلعة بعلم الأصول والكلام الذي أخذوه من مجموعة من الشيوخ ممن ذاع صيتهم في الأقطار من مالكية وشافعية وهم على سبيل المثال لا الحصر: الفقيه الأصولي المحدث أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، وأبو بكر محمد الطرطوشي(ت.520هـ-1126م)، وأبو عبد الله محمد بن التميمي المازري، والحافظ أبو بكر بن العربي المعافري، وأبو الوليد محمد بن رشد الحفيد.[1] ويبدو أن غالبية فقهاء المغرب الأوسط قد أخذوا عن هؤلاء الفقهاء وبهم انتشر علم الأصول في القلعة وغيرها من البلاد فأصبح يدّرس لطلابها، وصُنّف عهدهم ب"طور الإبداع والشمول". [2]

استخدم بعض الفقهاء منازلهم مكانا للتعليم، منهم ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي وأبي البحر سفيان الأسدي نزيل بجاية.[3] ويذكر أن ما يقرب من ثمانين طالبا للعلم قد حضروا المجالس العلمية بمنزل أبي القاسم حاتم بن محمد (ت.469هـ-1076م).[4] لكن رغم ذلك يبقى المسجد أكثر مكان يقصده الطلاب للتعلم. ويبدو أن التطور العلمي والحضاري الذي وصلت إليه القلعة وبجاية، كان ناجما عن كثرة المساجد بهما. وقد اشتهر المسجد الأعظم،[5] ومسجد الريحانة[6] ومسجد النطاعين[7] بعين الجزيري وهو غير الجامع الأعظم،[8] حتى أن بعض القصور ألحقت بها مساجد منها قصر اللؤلؤة و قد وصف الشاعر ابن حمديس الصقلي محرابه، وقبابه قائلا:

.... كأنما المحراب من غمدان

[1] – محمد التمسماني، "المدرسة المالكية الأصولية وإبداع المغاربة فيها"، **ضمن كتاب التراث المالكي في الغرب الإسلامي، جامعة الحسن الثاني -عين الشق-**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف، الرباط، 1998م، ص.100-101.

[2] – محمد التمسماني، المرجع السابق، ص.100.

[3] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ج.1، ص.252؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.115؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.345.

[4] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.345.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.15.

[6] – درس به محمد بن تومرت عند دخوله بجاية في عهد العزيز الحاكم الحمادي، (انظر: البيذق(أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت.7هـ- 13م)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص. 13-14).

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.79.

[8] – نفس المصدر، ص.31.

فسماوه في سمكها علوية وقبابه فلكيـــــة البنيـــان[1]

وتحدث الباحث عبد الحليم عويس في كتاب "**الدولة الحمادية**" عن نوع من التعليم الجامعي ببجاية، وأن الناصر بن علناس أنشأ بها معهدا يسمى "معهد سيدي تواتي" الذي كان يؤمه قرابة ثلاثة آلاف طالب، تدرس فيه مختلف المواد بما فيها العلوم الفلكية. وخلال مؤتمر علمي دام ثلاثة أيام ألقت تلميذة محاضرة حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء الأجانب...وينهي كلامه بأن ذلك مرخص للفتيات كما يسمح بتقديم أطروحات باسم الجامعة.[2] ويلاحظ أن الباحث نقل حرفيا عن كتاب "**بجاية**"، الذي اعتمد مؤلفه على مخطوط نسبه المترجم عامر المحامي إلى ابن حماد الصنهاجي، وقد نقل فرو (Féraud) ترجمان الجيش الفرنسي مقاطع منه.[3] ومهما كانت مصداقية هذه النصوص فإنه من المحتمل أن هذا المخطوط الذي وصف "الناصرية" نسب خطأ لابن حماد الصنهاجي وذلك من وجهين أحدهما: أنه لم يعثر على أي نص للجامعة كما لا يعقل أن تقوم فتات بإلقاء محاضرة أمام العلماء الوافدين إلى بجاية، ثانيها: عدد الطلبة المذكور مبالغ فيه كثيرا وإذا كان العدد دقيقا لما لم يذكر في النصوص المعاصرة لابن حماد كابن قطان مثلا الذي نقل عن "**النبذة المحتاجة**" أو عند مؤلفين آخرين.

واشتهرت بعض حواضر المغرب الأوسط مثل بسكرة من مدن الزاب بانتشار المذهب المالكي بها وتوافد العلماء إليها حيث كان بها:"علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة...".[4] ويؤكد صاحب "**الاستبصار**" الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي أن بسكرة كانت:" دار فقه وعلم، فيها علماء وأهلها على مذهب أهل المدينة".[5] وقال عنها ياقوت الحموي أنّ:"أهلها علماء على مذهب أهل المدينة..."،[6] فهذه الرّوايات الثلاث مجتمعة تؤكد على أن بسكرة مدينة للعلوم، يأتيها العلماء من مختلف الأقطار.

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي طُلب من الفقيه عبد الحق الإشبيلي البجائي أن يجمع أحاديث في الشريعة وعلى الصبيان حفظها تبركا بحديث الرسول(صلى الله عليه

---

[1] – عبد الكريـم عـزوق، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه إشراف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار، الجزائر، 1428هـ-1429هـ/2007-2008م.، ص.109.

[2] – **الدولة الحمادية**، ص.254.

[3] – نفسه؛ **بجاية**، المرجع السابق، ص.30؛ Féraud (C.L), op, cit., p.62.

[4] – البكري، **المسالك**، ص. 52.

[5] – **الاستبصار**، ص.173؛ الحميري، المصدر السابق، ص. 114.

[6] – الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.422.

وسلم) وتيمنا به، فوضعها في كتاب سماه "**تلقين الوليد**". وقد سمعه منه الفقيه علي بن محمد ابن علي بن إدريس من لفظ مؤلفه.[1] وابتدأ البجائي كتابه ب"باب القدر" وما اتصل به من أحاديث من بينها حديث جبريل عليه السلام لما أتى إلى الرسول(صلى الله عليه وسلم) يسأله عن الدين الإسلامي والرسول(صلى الله عليه وسلم) يجيبه، ومن هذه المسائل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، والحدود.[2] ووضع القاضي عياض كتابه" **الإعلام بحدود قواعد الإسلام**"، لتعليم الصبيان، والهدف منه تعليمهم قواعد الإسلام الخمسة، ويعرف هذا الكتاب ب"**كتاب القواعد**" أو "**العقيدة**".[3]

ولم تكن عناية الأوائل بأساليب التعليم ونظمه فقط، بل انصب اهتمام بعضهم على توجيه الطالب إلى ما يناسب استعداده العلمي وإرشاده إلى ما تتحمله نفسه من طاقة معنوية وعلمية، وما تناسب حاله وميوله.[4]

أما فيما يخص بداية الدروس فقد اتبع فقهاء القلعة شيوخهم في ذلك، واختلفوا في اختيار اليوم الذي تنطلق فيه الدروس ما بين يوم السبت والأحد. وأختار أغلبهم يوم الأحد.[5] والمتعارف عليه عند الناس أن مساء يوم الخميس بعد العصر والجمعة هما بمثابة عطلة أسبوعية، وجرت عادة العمل به وهو شرط في التعليم،[6] حتى وإن كان المعلم استؤجر لمدة شهر.[7]

وبناءً على إشارات أوردتها المصادر، فإنّ السّلطة الحاكمة تخصص لأبنائها مؤدب، فالمنصور محمد بن أبي عامر مثلا جعل لابنه عبد الرحمن مؤدبا[8]، وكان لأبي إسحاق الجبنياني(ت.369هـ-980م) معلمان أحدهما يعلمه القرآن والآخر يعلمه اللغة العربية والشعر. إضافة إلى شيخ ثالث بجبنيانة كان أبوه يرسله إليه ليتعلم منه.[9] وألحق ابن أبي زيد القيرواني غرفة بمنزله جعلها كتابا لأولاده يدرسهم فيها مؤدب خاص.[10] وكان ابن أبي

---

[1] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.193؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.194.

[2] - عبد الحق الإشبيلي، **تلقين الوليد**، ص.17 وما بعدها.

[3] - أكرم كولشن، "الحياة العلمية والثقافية في عهد المرابطين:المخطوطات الخاصة بالمذهب المالكي في عهد المرابطين الموجودة بتركيا، **أعمال الندوة الدولية "دور المذهب المالكي في تجربة الوحدة المرابطية لدول المغرب الإسلامي الكبير"**، أيام 7-8-9 ربيع الثاني1431هـ الموافق 23-24-25 مارس 2010م، مطبعة البلابل، فاس، 2011م، ج.2، ص.312.

[4] - حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.55.

[5] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.48.

[6] - القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.135.

[7] - نفسه.

[8] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.85-86؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.168؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.175؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361-362، **معجم المفسرين**، ج.1، ص. 49.

[9] - اللبيدي، **مناقب أبو إسحاق الجبنياني**، ص.5؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.223.

[10] - الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.116.

الرجال التاهرتي مؤدب خاص للمعز بن باديس، حتى أنه تأثر بتربيته كثيرا فقد حبب له مذهب أهل السنة والجماعة، وظهرت نتائج التأثير في تخليه عن المذهب الشيعي وتعلقه بالمذهب المالكي،[1] وقد مدحه تلميذه ابن شرف بأبيات شعرية منها:

جاور عليًّـا ولا تحفل بحادثـــةٍ   إذا ادّرعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاهُ المسمّى في الفعال فقد   حاز العليّين من قول ومن عملِ

فالمــاجد السيّد الحرُّ الكريمُ لـــه   كالنعت والعطف والتوكيد والبدل[2]

وكانت بعض العائلات الميسورة الحال من الرّعية يلقنون أبناءهم مبادئ العلوم حتى يصير طالبا يمكنه الاعتماد على نفسه ليكتمل تحصيله العلمي. وقد يشترك في معلم واحد واصطلح عليه"معلم العامة".[3] ومن مؤدبي الصبيان في القلعة تميز الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي المشهور بريشة عن غيره من المعلمين فيقال له:" المعلم ريشة".[4]

ويعد الفقيه أبو عبد الله الغديري من أبرز المؤدبين للصبيان بقلعة بني حماد وهو من أصحاب أبي الفضل النحوي، ويتميز عن باقي المعلمين بما يتحصل عليه من المال عند تأديبه للصبيان ومن الخياطة، فيأخذ القليل منه قدر اقتياته، والباقي يتصدق به ولا يدّخر منه شيئا. وتعلم أبو حفص عمر بن علي البذوخ القلعي الطبيب في مكتب الغديري علوم القرآن ووصفه بأنه "من أهل العلم والصلاح".[5]

وبعد تعلم المبادئ الأولية ينتقل الطالب إلى مرحلة أخرى من التعليم المتمثلة في لقاء الشيوخ والأخذ عنهم ويكون ذلك أوّلا من خلال رحلاته إلى مدن المغرب الأوسط فيأخذ عن شيوخه أو من الوافدين إليه أو من طاب لهم الاستقرار، فيجالسهم ويصاحبهم، كل على حسب اختصاصه. وقد يعتمد على شيخ واحد لتخصصه في علوم عدة كالفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني الوهراني (ت.557هـ-1162م).[6]

ومن بيوتات العلم والشرف بالأندلس الذين استقروا ببجاية الفقيه أبو عبد الرحمن عبد الله ابن عبيد الله بن الوليد المعيطي القرطبي (432هـ-1041م) الذي انتقل إليها أيام الفتنة

---

[1] - القيرواني، **العمدة**، ص.11؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.273-274؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211.

[2] - القيرواني، **أنمودج**، ص.345، الحموي، **الأدباء**، ج.6، ص.2639.

[3] - ابن الزبير، المصدر السابق، س.6، ص. 158؛ الحسين أسكان، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات، الرباط، 2004م، ص.31.

[4] - السّلفي، **المعجم**، ص. 173.

[5] - يبدو أن الباحث عبد الحليم عويس نقل كنية الغديري خطأ عن رسالة ماجستير موسومة ب"ابن حميدس الصقلي"، (انظر: **دولة بني حماد**، ص.253) والصحيح رواية السلفي التي أخذها من أبي حفص عمر، (انظر: **المعجم**، ص.231).

[6] - ابن الأبار، **التكملة**، ج. 2، ص. 304؛ المراكشي، **الأعلام**، ج. 8، ص.192؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.336.

واستقر بها، فكُلف بتأديب الصبيان إلى غاية وفاته. وقال عنه ابن بشكوال أنّه:"بويع له بالخلافة بشرق الأندلس، وخطب له على المنابر الشرقية، ثم خلع وصار في آخر عمره إلى أرض كتامة وتوفي بها". [1]

ورحل العديد من الفقهاء إلى الحواضر المغربية والأندلسية التي تتميز بالنّشاط العلمي، لوجود أشهر الشيوخ بها ومن الوافدين إليها. فقد سمع ابن الرمامة مثلا بالأندلس من أبي محمد بن عتاب وابن رشد وغيرهما واستقر بفاس[2]. وأصبح بعض فقهاء المغرب الأوسط من المقدمين في العلم خارج القلعة منهم: الفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى بن الحسن التميمي التاهرتي الذي يعتبر من أجّل شيوخ القاضي عياض، فقد دخل مدينة سبتة طالبا للعلم فتعلم عن شيوخها منهم أبي محمد المسيلي وغيره، ثم رحل إلى العدوة الأندلسية فقرأ بمدينة اشبيلية والمرية وقرطبة وتقلد الشورى وكان رئيس المفتيين في تلك الفترة.[3]

واهتم بعض فقهاء قلعة بني حماد بأخذ العلم عن عبد الرحمن بن العجوز وغيره، واشتهر بيت ابن العجوز بسبتة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ويرجع لهم الفضل في نشر مذهب الإمام مالك في المغرب الأقصى. روى عن ابن العجوز فقهاء القلعة منهم الفقيه أبو عثمان بن سراب،[4] وحسب القاضي عياض فإن عبد الرحمن بن العجوز الذي عاش يختلف عن صاحب أبي الفضل النحوي الذي لازمه بمدينة فاس وكان يميل إلى النظر والحجة.[5]

وتفقه الفقيه محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري البطيوي بالمغرب الأوسط على أبيه وعلى فقهاء آخرين، ثم انتقل إلى مدينة فاس فأخذ العلم عن أبي الحسن ابن حنين[6] وأبي عبد الله بن الرمامة وغيرهما. وأجاز له من الشيوخ الذين التقى بهم أبو الحسن اللواتي،[7] ثم انتقل إلى مراكش وبها أخذ عن أبي القاسم بن حبيش والسهيلي

[1] – ولاه مجاهد على دانية ثم خلعه فرحل إلى المغرب الأوسط إلى وفاته، (القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.26؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.269–270؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.17، ص.162).

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص. 502.

[3] – القاضي عياض، **الغنية**، ص. 28؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص.101–102.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.279؛ ذكره ابن فرحون "أبا عمران بن سوار"، (انظر: المصدر السابق، ج.2، ص.5).

[5] – القاضي عياض، **الغنية**، ص. 169؛ ويختلف ابن العجوز هذا عن الذي ذكره الصفدي الذي ولاه يوسف بن تاشفين قضاء فاس والمتوفى سنة 474هـ–1082م، (انظر: المصدر السابق، ج.3، ص.192).

[6] – حَنين بفتح الحاء المهملة وكسر النون هم من عرب الكنانة، من إحدى بيوت فاس اشتهروا بالفقه والثروة ولهم زقاق بها، (انظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج. 1، ص.367، واستوطنها الفقيه علي بن أحمد فجدد مسجدا منسوبا لعائلته(لابن حنين) والتزم الإمامة والتدريس به، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150).

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س. 8، ق.1، ص. 317.

وغيرهما، ومنها دخل إلى الأندلس فأجاز له: أبوا الحسن بن هذيل وابن نعمة وأبو القاسم بن بشكوال وغيرهم. ورغم طوافه بالعديد من المدن المغربية بحثا عن العلم رحل في الأخير إلى المشرق وأجاز له هناك أبو طاهر السلفي وغيره .[1]

ويشترط على الطلبة في التعليم عند التداول في القراءة أن يقابلوا ما يقرءونه بالأصل للتصحيح، ويكلف أحدهم بحمل كتب الحلقة في كل يوم من أصوله، فلا تمر حلقة إلا وصححت. [2]

وضع أكثر طلبة العلم كتبا أدرجوا فيها أسماء شيوخهم الذين التقوا بهم وانتفعوا بعلمهم وتحصلوا على إجازات لروايتهم. كما انتشرت تصنيفاتهم في بلاد المغرب وأصبحت من المصادر القيّمة التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ الوسيط، فأخذت تسميات مختلفة حسب اعتبار ونظر كل فقيه فالبعض منهم سماها ب "**الفهرسة**" مثل فهرست ابن الخير الإشبيلي أو فهرست ابن غازي، والمنتوري والبعض الأخر بالمعجم، مثل معجم السّلفي، أو ابن الآبار، أو البرامج كبرنامج ابن حماد الصنهاجي. وحسب شاهدة الغبريني فإن ابن حماد الصنهاجي برنامج ذكر فيه "شيوخه ومقرؤاته من الكتب يشمل على مائتين كتابا، واثنين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها مذكورة السند فيها"[3]، ويذكر الغبريني أنه ما رأى برنامجا أحسن منه، معللا رأيه بأنّ "أكثر البرنامجات تقع فيها إحالات"[4]. وبرنامج الرعيني أو التجيبي وبرنامج الغبريني التي جعله في نهاية كتابه "**الدراية**".[5] أو المشيخة مثل مشيخة ابن قرقول الحمزي[6]. واختار البعض الآخر تسميات يعتقدون أنّها الأنسب مثل كتاب "**الغنية**" للقاضي عياض، أو "**الإقناع في ترتيب السّماع**" الذي وضعه أبو عبد الله اليعمري البطيوي.[7]

ودرس القاضي عياض عن فقهاء مالكية المغرب الأوسط ذكر عدد منهم في كتاب "**الغنية**"، ففي علم الحديث درس عن الحسن بن طريف التاهرتي وقال عنه:" درست عليه كثيرا من كتب الأدب والنحو"، ومن أبرز الكتب التي درسها عنه "**كتاب علوم الحديث**"

---

[1] – نفسه.

[2] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.35

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.101.

[4] – نفسه.

[5] – نفس المصدر، ص.172.

[6] – ابن الزبير، المصدر السابق (المقدمة)، س.3، ص. 10.

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق. 1، ص. 317.

للحاكم أبي عبد الله، حدثه إياه عن الفقيه ابن سعدون عن أبي بكر المطوعي عن الحاكم. وكتاب:" **مشكل الحديث**" للإمام أبي بكر بن فورك المتكلم(406هـ–1016م) عن الفقيه حجاج بن قاسم المأموني عن أبي بكر المطوعي عن أبي بكر بن فورك.[1]

وقرأ القاضي عياض على التاهرتي كتبا كثيرة في النحو والأدب، من بينها "**الجمل**" للزجاجي، و"**الواضح**" للزبيدي، وكتاب "**الكافي**" لأبي جعفر النحاس، وكثيرا من كتاب"**المقتضب**" للمبرد، وكتاب "**أدب الكتاب**" لابن قتيبة، وكتاب "**الايضاح**" للفارسي، وكتاب" **فصيح الكلام**" لثعلب وكتاب "**الأمالي**" لأبي علي القالي، وكتاب"**الكامل**" للمبرد، ويضيف القاضي عياض أنّه لم تحضره أسانيد التاهرتي فيها، وإنّما هي موجودة عن غيره.[2]

ثالثا: الكتب المدرسة

ممّا لا شك فيه، أنّ القلعيين استفادوا ممّا ألفه غيرهم في شتى العلوم، إمّا عن طريق شيوخهم الذين تَلقوا عنهم العلم أو عن طريق ما صنّفه غيرهم، فانتفعوا بها ومَن جاء بعدهم من طلبة المغرب الأوسط أو ممّن حطوا الرّحال إلى القلعة الحمادية، أو العابرون منها. ولكثرة تنوّع هذه العلوم فقد أورد الغبريني في كتابه "**الدّراية**" مجموعة من الكتب منها ما يعود سندها إلى قبل العصر الحمادي، والأخرى دخلت إلى القلعة عن طريق الرّحلة أو الرّواية، أو اجتهد القلعيون بتأليفها سواء كانت شرحا أو تلخيصا أو اختصارا. واستفاد الغبريني من هذه المؤلفات عن طريق الدّروس التي حضرها أو وجدها بالقلعة فاطلع عليها.

وتمثلت الكتب المدرسة بالقلعة التي دونها أصحابها في القرون الهجرية الأولى، من علم القراءات والتفسير والحديث والفقه، واختلفت العوامل التي من أجلها ألفها أصحابها، وأصبحت هذه الكتب تدّرس بالمجالس العلمية في كل من القلعة وبجاية، ومن خلال المصادر يمكن معرفة أهمها:

– **في القراءات:** منذ أن وطئت أقدام الفاتحين بلاد المغرب اعتنى المغاربة بالقرآن، من تعلم وقراءة وحفظ ونسخ. وللقلعيين مساهمة كبيرة في تعليمه في مدن المغرب والأندلس. واستمر ذلك بعد سقوط القلعة، فالفقيه أبو الفضل ميمون بن أحمد القيسي القلعي

[1] – القاضي عياض، **الغنية**، ص. 40؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص. 59

[2] – أورد القاضي عياض بعض الأسانيد عن ابن طريف التاهرتي، (انظر: نفس المصدر، ص.142).

(ت.635هـ-1238م) ، كان حافظا لكتاب "**الموطأ**" ومن القراء المتصدرين لتعليم القرآن الكريم بمدينتي قرطبة ومراكش.[1]

لم يقتصر حفظ القرآن على الرجال، فقد أخبر الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي(ت.636هـ-1239م) أبو طاهر السلفي (ت.576هـ-1180م) بالثغر الإسكندرية عن والدته أنّها:"كانت تحفظ القرآن".[2] ومن الكتب التي درست بالقلعة كتاب"**الكشف والبيان**" عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي المقرئ(ت.427هـ-1036م)، وكتاب "**التحصيل لفوائد كتاب التفصيل**" الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي(ت.440هـ-1048م)، وكتاب "**أحكام القرآن**" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري(ت.504هـ-1111م) المشهور بإلكيا الهرّاسي، وكتاب "**الكشاف عن حقائق التنزيل**" لأبي القاسم محمود الزمخشري(ت.538هـ-1144م)، وكتاب "**الوجيز في شرح كتاب الله العزيز**" للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي(ت.541هـ-1146م)،[3] وبعض أسانيد هذه الكتب فقهاء من مالكية المغرب الأوسط أو ممّن حطوا الرحال به.

-**في الحديث:** اهتم الفقهاء الأوائل على اختلاف مذهبهم بكتاب"**الموطأ**" بالرّواية والحفظ والسّماع والقراءة، فقد روى الإمام الشافعي أحاديث الإمام مالك وثنى عليه خير ثناء، ورواها محمد ابن الحسن الشيباني، وتعد رواية هذا الأخير من أشهرها بعد رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي.

فاق المغاربة في أخذ العلم عن الإمام مالك مباشرة، والدّليل على ذلك قول مالك ردا على طلب الخليفة العباسي المنصور في وضع كتابه "**الموطأ**" بقوله:"أما هذا الصّقع- يعني المغرب- فقد كفيته وأما الشام ففيه الأوزاعي(ت.157هـ-773م) وأما أهل العراق فهم أهل العراق".[4] وجعل الإمام مالك "عمل أهل المدينة" أصلا من أصول مذهبه[5] التي بنى عليها موطأه، بل وذهب بعضهم إلى أنه فضله على خبر الآحاد، وثنى أهل العلم عليها، وعلى

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.387، وس.8، ص.528.

[2] – السلفي، **المعجم**، ص.172.

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.176؛ و(ط. بيروت) تح. وتع. عادل نويهض، ط.2، دار الآفاق الجديدة، 1979م، هـ.1، ص.360، هـ.4، ص.362، هـ.2، ص.364، هـ.8، ص.361، هـ.4، ص.363.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص. 73.

[5] – عمل "أهل المدينة" من أصول الإمام مالك، واختلف في تحديد عددها بين العلماء، بعضهم جعلها سبعة عشر، والبعض الأخر تسعة عشر، بينما اقتصر آخرون على أربعة وهي:"الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والقياس"، وعلى العموم أكثر المذاهب أصولا مذهب الإمام مالك، (انظر: محمد الدرداوي، "كتاب الموطأ وأهميته بين المصادر المذاهب الفقهية"، **ضمن ندوة أكاديمية" المذهب المالكي في المغرب من الموطأ إلى المدونة المنعقدة أيام 19-19-20 ربيع الأوّل 1429هـ الموافق 26-27-28 مارس 2008م**، فاس، المملكة المغربية، مج1، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، 2010م، ص.132؛ بدر الدين الكتاني، **دراسة عن كتاب الموطأ**، ص.21).

أهلها فهي دار الهجرة، وكانت رحلة الفقهاء المغاربة إليها لطلب العلم والأخذ برواية إمامهم وقدوتهم.

ولا يقل اهتمام فقهاء قلعة بني حماد بكتاب "**الموطأ**" عن غيرهم من المغاربة، فقد قاموا بحفظه عن ظهر قلب.[1] وتحصلوا على الإجازة بقراءته على شيوخهم، وقد اختاروا رواية يحي بن يحى الليثي الأندلسي، التي كانت أكثر الروايات انتشارا وتداولا بين النّاس مغربا ومشرقا، والسبب في ذلك أنّها آخر ما استقر عليه الإمام مالك بعد تنقيحه وتهذيبه. ويبدو أنّ المغاربة أخذوا برأي الإمام أبي عمر بن عبد البر في تفضيله رواية الليثي حسب ما ذكره في كتابه "**التمهيد**" بقوله:"وإنما اعتمدت على رواية يحي بن يحي... لموضعه عند أهل بلادنا، من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم، ولكثرة استعمالهم روايته وراثة عن شيوخهم وعلمائهم".[2]

لقد حرص فقهاء مالكية المغرب والأندلس على قراءة "**الموطأ**"، وعملوا على مقارنة رواياته في مجالسهم العلمية، فقد رُوي عن دراس أنّه قرأ "**الموطأ**" في أحد مجالس ابن اللّباد:" فتواقفا في حديث" فخالفه وكان رد أبي ميمونة أنّه قرأ كتابه هذا بالأندلس وفاس ولم يخالفه أحد من فقهاء البلدين"،[3] ويدل هذا على اختلاف الموطآت التي رواها فقهاء مالكية المغرب والأندلس عن الإمام مالك.

وروى فقهاء مالكية المغرب الأوسط "**الموطأ**" عن شيوخهم ممّن التقوا بهم،[4] ونشروه بين أهلهم وقُرأ [5] بجامعها الأعظم[6]، ووضع بعضهم تقييدات عليه[7]، وقد حدّث الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حبوس(ق.6هـ-12م) بكتاب"**الموطأ**" عن أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري البجائي(ت. بعد 513هـ-1119م) المعروف بالتامغّلتي عن أبي علي الغساني، وحدث به هذا الأخير عن أبي عبد الله بن أبي أحد عشر عن أبي علي الصدفي، وقد لاحظ

---

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.387 وس.8، ص.528.

[2] – ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تح. وتع. وتص. مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري، 1967م، الرباط، ج.1، ص.10.

[3] – لم أعثر على نص الرّواية في ترجمة ابن اللباد في كتاب رياض النفوس، ولم يخصص هذا الأخير أيضا ترجمة لدراس أبو ميمونة فقد يكون القاضي عياض نقل عنه هذه الرواية، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.82).

[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.62؛ الذهبي، **المستملح**، ص.170.

[5] – نفس المصدر، ص.99

[6] – نفس المصدر، ص.3.

[7] – نفس المصدر، ص.32.

ابن الأبار سماع أبو الحسن بن طاهر بن محشرة خال أبي عبد الله بن الرمامة عن التامغّلتي في شعبان سنة 513هـ-1119م.[1]

وكان للفقيه هارون بن النضر الريغي[2] مجلس يقرأ فيه كتاب"**الموطأ**"، يحضره عدد لا بأس بـه من طلبــة العلم، منهم الفقيــه أبي محمد عبد الله الزنــاتي الضرير،[3] الذي حضر قراءة الريغــي، وقد وصفــه أبو طــاهر السّلفي بالأمي، لأنه لا يحسن القراءة والكتابة،[4] بسبب إعاقتــه التي لم تمنعه من مهــارة في معرفة معــاني الأحاديث، والاعتنــاء بدراسة كتاب الإمام مالك.

ورغم اعتناء المغاربة بالموطأ إلاّ أنهم لم يبلغوا القصد المرجو منه، وقد لاحظ الفقيه ابن العربي تقصير فقهاء الأندلس رغم اعتكافهم عليه، فوصفهم بأنّهم:"لا باع لهم"، وهذا ما ميّزة ابن العربي عنهم، في قوة معرفة فقه الاستدلال لمسائله، والجمع بين ضبط أحاديثه ودقة استخراج الفقه منها بإعمال الأدلة والمقارنة بينها، فانتصب للنّاس بعدها يشرح لهم كتاب "**الموطأ**" شرحا شاملا مفصلا، متبعا في ذلك منهج النظر، مبرزا المسائل التي تحتاج إلى الاستدلال إن اقتضت الضرورة ذلك، وشرح المعاني التي استعصى فهمها. وبعمله هذا "التحق الفقه المالكي في المغرب الإسلامي بالدرجة التي كان قاصرا دونها"[5]. وتجسد ذلك في تدون كتابيه"**القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**"،[6] أملاه في مدينة قرطبة على أبي محمد عبد الله بن ذي النون الحجري وعلى ابن حبيش وغيرهما،[7] والثاني سمّاه" **المسالك في شرح موطأ مالك**"،[8] وهما نتاج رحلته إلى المشرق التي مر خلالها بأكبر حواضر المغرب الأوسط وهي: بجاية وبونة وتلمسان.

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.304؛ عادل نويهض، **أعلام** (المستدرك)، ص.363.

[2] – والريغ هو إقليم بقري من قلعة بني حماد، وتسمى بالزاب الصغير، وريغ كلمة بربرية معناها السبخة، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.147؛ الحموي، **البلدان**، ج.3، ص113،361؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.64).

[3] – فقيه من قراء المالكية ببلاد المغرب الذين كانوا يحضرون مجالس أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية بالمدرسة العادلية، (انظر: السلفي، **المعجم**).

[4] – السلفي، المعجم، ص147.

[5] – ابن العربي، **كتاب التأويل**، ص.90.

[6] – مخطوط بمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1916؛ نشر سنة 1992م من ثلاثة أجزاء، وهو في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1406هـ-1986م؛ الجيدي، "نظرات في تاريخ المذهب المالكي"، **مجلة دعوة الحق**، ع.226، ديسمبر، الرباط، 1982م، ص.39- 44.

[7] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.121.

[8] – ورد اسم الكتاب بصيغ مختلفة حسب المحققان الجزائريان محمد بن الحسين سليماني وعائشة بنت الحسين سليماني وهي:"**المسالك شرح موطأ مالك**" أو"**المسالك على موطأ الإمام الأعظم مالك**"، أو "**ترتيب المسالك على موطأ الإمام مالك**"، أو"**المسالك في شرح موطأ مالك**"، أو "**المسالك على موطأ مالك**"، أو "**المسالك في شرح موطأ أبي عبد الله مالك**"، قرأه وعلّق عليه، وقدّم له يوسف القرضاوي، نشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، (انظر: المصدر السابق، ص.206 وما بعدها؛ الجيدي، **نظرات في تاريخ المذهب المالكي**، ص.40).

ولم تنقطع دراسة كتاب"**الموطأ**" في بجاية فقد رواه أبو عبد الله بن حماد بن أبي بكر الصنهاجي في بجاية عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي مباشرة دون إسناد.[1] وقَرأ الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي بن الطباع الرعيني "**الموطأ**" رواية عبد الحق الإشبيلي البجائي، ورواه عن هذا الأخير الفقيه أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن يحي الغرناطي الذي يعرف بابن السخان.[2]

واستمر أهل بجاية في دراسة الموطأ، فقد أشار الغبريني إلى بعض المجالس العلمية التي حضرها ببجاية وكانت له مشاركة بها، منها دروس الفقيه أبي محمد عبد العزيز بن مخلوف(ت.686هـ-1287م)، قال أنه:" قرأت عليه وحضرت دروسه وسمعت منه كثيرا، وقرأت عليه "**الجلاب**"[3] وقرأت بعده "**الموطأ**" بالجامع الأعظم.[4] وروى "**الموطأ**" أبو زكريا يحي بن أبي علي الزواوي(ت.610هـ-1213م) عن شيخه أبي طاهر إسماعيل بن مكي الزهري.[5] وتفقه أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي عن أبي محمد عبد الحق الاشبيلي البجائي، فاشتهر بعلمه وذاع صيته فأصبح ينوب القاضي أبي عبد الله الأصولي في مجلس قضائه، وكان أبو الحسن بن عبد المؤمن يقرأ عليه "**الموطأ**" قراءة تفهم.[6]

ومن ملخصات كتاب "**الموطأ**" برواية ابن القاسم التي قُرأت بقلعة بني حماد كتاب "**الملخص**" لأبي الحسن علي بن محمد المعافري المعروف بابن القابسي[7]، قرأه الفقيه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن حرّان القلعي على الفقيه أبي محمد عبد الله ابن محمد بن هرّاس التامَقَلْتِي قاضي القلعة الحمادية. وقد وصل إسناده إلى أبي طاهر السّلفي وغاب عنه رواته لمّا كان يدون هذا النص من كتاب "**المعجم**".[8]

ولخص القابسي كتابه ورتبه على أبواب الفقه ترتيبا على غير الأصل -أي الموطأ- واقتصر فيه على حديث الرسول(صلى الله عليه وسلم) وحذف ما سوى ذلك من الأقوال الفقهية، وهو

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.101.
[2] – الذهبي، **المستملح**، ص.170.
[3] – المقصود بالجلاب كتاب"**التفريع**" له، شرحه محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي التلمساني المالكي نزيل الثغر الإسكندرية ت.656هـ-1258م، (انظر: الصفدي، المصدر السابق، ج.1، ص.264؛ اللبلي(أبو جعفر الأندلسي، ت. 691هـ-1292م)، **برنامج اللبلي**، درا. وتح. بوزياني بنعلي، فجيج، المغرب، 2011م، ص.58، ص.19؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.226).
[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.32.
[5] – نفس المصدر، ص.64.
[6] – نفس المصدر، ص.99.
[7] – تح. وتع. ونش. محمد بن علوي بن عباس المالكي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004م.
[8] – السلفي، **المعجم**، ص.161.

ما أشار إليه في مقدمة الكتاب، كما أشار إلى سبب تصنيفه وهو أن بعض الناس طلبوا منه ذلك بقوله:"سألني السائلون أن أجمع لهم ما اتصل إسناده من الحديث...".[1]

ولم يقتصر فقهاء بجاية على كتاب "**الملخص**"، فكان منهم من يحفظ كتاب "**المنتقى**"[2] لأبي الوليد الباجي،[3] وهو شرح لكتاب "**الموطأ**" انتقاه ولخص به كتابه "**الأستيفاء شرح الموطأ**" وهو أكبر كتبه لكنه لم يتمه،[4] أما كتابه "**الإيماء**" فهو اختصار لكتاب"**المنتقى**" وهو خمس مجلدات حسب القاضي عياض.[5]

تميزت حاضرة بجاية عن غيرها من حواضر المغرب والأندلس، فأصبحت رحلة الفقهاء إليها للبحث عن الروايات بسند عال، من بينها كتاب "**الجامع**" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،[6] الذي رواه الأندلسيون عن أبي الحسن علي بن أبي نصر، وسنده عن أبي محمد بن أبي البركات عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب عن أبي الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي عن عبد الله بن أحمد بن حمويه عن محمد بن يوسف البخاري، وذلك لقصور سندهم عن هذا السند.[7]

وعُرف عن البجائيين أيضا حفظهم ل"**صحيح البخاري**"،[8] وكان أبو بكر محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الإشبيلي ممن وفدوا إلى بجاية، واعتنى بالصحيح حفظا، وإذا قرأ عليه حديث يسنده حتى يصل إلى النبي(صلى الله عليه وسلم). وقيل أنه كان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها.[9] وكانت خاتمة الفقيه أبي زكريا الزواوي بقراءة الصحيح عليه لما أحس بقدوم أجله.[10] وكان الفقهاء يختمون البخاري ويحتفلون بذلك، لكن لم يعثر على النصوص لفقهاء المغرب الأوسط تشير إلى ذلك، إلا بعض النصوص عن المتأخرين مدونة ومطبوعة منها للإمام القسطلاني شارح البخاري المسماة "**تحفة السامع والقارئ بختم صحيح**

---

[1] – القابسي، **الملخص**، ص.40.

[2] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.92).

[3] – هو سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث الباجي، أصله من بطليوس، وانتقل إلى باجة الأندلس، أخذ علمه عن ابن الرحوي، وأبي الأصبغ، وابن أبي درهم وأبي محمد المكي وغيرهما، رحل إلى المشرق في حدود 426هـ–1035م، أقام بالحجاز وحج أثناءها أربع حجات، وبقي ببغداد ثلاث سنوات يدرس الفقه ويسمع الحديث من كبار علمائها، وله مصنفات عديدة في المذهب المالكي، وقال عنه ابن حزم:"لم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.117 وما بعدها؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.377 وما بعدها).

[4] – لأن كتاب "**الإستيفاء**" كثير المسائل والمعاني فيتعذر حفظه وفهمه إلا لمن رسخ في العلم وتحقق الفهم، (انظر: **المدارك**، ج.2، ص.84.

[5] – نفس المصدر، ج.8، ص.124.

[6] – لمعرفة أكثر على كتاب البخاري يُنظر الفصل الرابع .

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.67.

[8] – نفس المصدر، ص.63، 138.

[9] – نفس المصدر، ص.137 وما بعدها.

[10] – نفس المصدر، ص.63.

البخاري"، والأخرى لأبي الخير شمس الدين السخاوي في ترجمته " أنّ له عدة ختمات: إحداها في صحيح البخاري سماها "**عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع**".[1]

وكتاب البخاري من الكتب التي درست بقلعة بني حماد، فقد ذكر السلفي أنّ أبا عبد الله ابن محمد الزناتي الضرير، حدثه بالثغر الإسكندرية أنه حضر مجلس الفقيه هارون بن النضر الريغي بقلعة بني حماد وهو يقرأ على طلبته كتاب "**البخاري**" بارعا ومتقنا في معاني الأحاديث المدونة به.[2]

وممن شرحوا صحيح البخاري أبي الحسن بن بطال بن عبد الملك البكري المشهور بابن اللحام المالكي القرطبي(ت.444هـ-1052م)، خرج من مدينة قرطبة إلى بلنسية بسبب الفتنة التي عرفتها الأندلس في تلك الفترة. واعتمد فقهاء بجاية على كتابه في حل مسائلهم، وأحالوا إليه في شروحهم عندما صعبت عليهم الإجابة،[3] وقد تفقه ابن بطال على أبي القاسم الوهراني وأبي عمر الطلمنكي وابن الفرضي وأبي بكر الرازي وغيرهم من نظرائه، وروى عنه المقرئ أبو داوود، [4] لذا تنافس الطلبة على الكتاب لكثرة الفوائد الموجودة به.

ويعتبر ابن بطال من المكثرين لرواية الحديث والعناية به، ومن المتقنين في التقييد عليه، قال عنه القاضي عياض أنّه:" نبيلا، جليلا، متصرفا"،[5] ووصفه ابن الفرضي أنّه "من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط"،[6] ورغم جهوده المبذولة في شرح البخاري جعله ابن خلدون ممّن لم يوف حق الشرح.[7] والغالب عليه فقه الإمام مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب حسب حاجي خليفة،[8]وقد تكون هذه الميزة التي من أجلها اختاره فقهاء مالكية المغرب الأوسط لدراسته، واختلف المغاربة في الأفضلية بين كتابي"**صحيح**" البخاري ومسلم.[9]

---

[1] – عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج.2، ص.989؛ يوسف الكتاني، "ختمات صحيح البخاري"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف، الرباط، ع. 240، ذو الحجة 1404هـ-سبتمبر 1984م، ص.64.

[2] – السلفي، **المعجم**، ص. 147.

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.121.

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.414؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.195، ج.8، ص.160؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.121؛ فؤاد السيد، المخطوطات العربية في العالم:"نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت"، **مجلة معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية وتعني بشؤون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها**، الربيع الثاني 1377هـ- نوفمبر 1957م، مصر، مج.3، ج.2، ص.231؛ وجعل سزكين سنة وفاة ابن بطال 449هـ-1057م)، فقد يكون اعتمد على نص ابن بشكوال إذ يقول أنّه:" قرأتُ بخط أبي الحسن المقرئ أنّه توفي ليلة الأربعاء، وصلى عليه عند صلاة الظهر آخر يوم من صفر سنة تسع وأربعين وأربعمائة"، (انظر: مرجع السابق، مج.1، ص.229).

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.160.

[6] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.414.

[7] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.560.

[8] – حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.546.

[9] – السيوطي، **تدريب الراوي**، ج.1، ص.98.

أما كتاب "**المسند**" أو"**صحيح مسلم**" للإمام مسلم بن الحجاج اعتنى به فقهاء مالكية الأندلس ممن قدموا المغرب الأوسط، رواية وتأليفا، منهم الفقيه والمحدث والأديب أبو جعفر أحمد بن محمد البلنسي (ت.601هـ-1205م) المشهور بالذهبي، الذي اهتم بعلوم أخرى كالقراءات والنحو والطب ونظر في علوم الأوائل، ورحل إلى مدينة تلمسان وتوفي بها، له تصانيف من بينها شرح كتاب مسلم، الموسوم ب " **الأعلام بفوائد مسلم**".[1]

اعتنى فقهـاء القلعة بكتاب "**السنن**" لأبي داود السجستاني (ت.275هـ-888م) رواية ودراسة. فقد قرأ أبــو بكر بن العربي "**السنن**" في مدينة بجايــة برواية التمار[2] المشهور بابن داسة وكانت رواية هذا الأخير مشهورة بالمغرب. ولأهميــة الكتاب ابتاعه الفقيــه عيسى بن يوسف المشهـور بابن الملجـوم الفاسي من أبي علي الغســاني أصل كتاب "**سنن أبي داود**" الذي سمعه من ابن عبد البر، وصار إلى الغساني مقابل مبلغ من المال بعد ما نسخه منه هذا الأخير بخطه وقابله وأتقنه.[3] وذكر ابن رشد أسانيد الكتاب، وقد قال أبو إسحاق الأشيري:" حدثنــا عبد الله بن موهب الجذامي" قــال ابن رشد:"صوابه: أبو الحسن علــي بن عبد الله بن موهب كتب إليـه أبـو عمر بن عبد البر بالإجازة-وأراه آخر من حدث عنه- حدثنــا أبو عمر بن عبد البر، حدثنــا أبو محمد بن المؤمن، حدثنا ابن داسة، ..."،[4] وممّا لا شك فيه هي الرّواية التي ابتاعها ابن ملجوم إذ أنها تحتوي على أسانيد مشهورة.

واستمرت عناية فقهاء القلعة بكتاب "**السنن**"، فقد سمع الغبريني روايته بسند متصل عن أبي بكر ابن داسة التمار عن مؤلفه.[5] واشتهر عن القاضي أبي محمد عبد الله هرّاس التامغلي في مجالسه بالقلعة في شهر رمضان قراءة كتاب أبي داود. واعتاد أبو الفضل النحوي حضور هذه المجالس.[6] وتناول ابن القطان الكتاب بدراسة علل الأحاديث الواردة في السنن، وكتاب"**الأحكام الكبرى**" لعبد الحق الإشبيلي البجائي أيضا. وعزت بعض الدراسات

---

[1] - الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.13، ص.32؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.218؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.366؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.257؛ وللمهدي ابن تومرت مصنف في شرح مسلم موسوم أيضا ب"**الإعلام بفوائد مسلم**"، ونسبت بعض المصادر الكتاب لأبي جعفر لكنه كان مقرونا باسم المهدي، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص. 85).

[2] - ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.196.

[3] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.16؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.501.

[4] - ابن رشد، **الرحلة**، ص.230.

[5] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.178.

[6] - السلفي، **المعجم**، ص.161.

إلى أن ذلك ماهو إلا تكريسا لمسار الموحدين الذين جعلوا الأصلين"الكتاب والسنة" مصادرهم الأساسية في استنباط الأحكام الشرعية.[1]

وكتاب"**السنن**" للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ويقال النسوي المقرئ (ت.303هـ-916م)، اعتبرها عبد الرّحيم أحد مشايخ مكة أنّ "مصنّف النّسائي أشرف المصنفات كلها، وما وضع في الإسلام مثله". وقيل عنه أيضا:"من نظر في كتاب السنن لأبي عبد الرحمن النسائي تحير من حسن كلامه". ووصلت روايته إلى المغرب الأوسط بسند الطبني عن النسائي من غير واحد من شيوخه المصريين.[2]

ووجد بخط أبي محمد بن يربوع "**كتاب الصلح**" و"**كتاب الإيمان**"، وهذا الأخير رواه الغساني عن أبي مروان عبد الملك الطبني عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال بقراءته عليه في شهر رمضان سنة 419هـ-1028م، بقوله:"حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد قراءة عليه في رجب سنة 354هـ-965م، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي قراءة بلفظه". وتحصل ابن خير الإشبيلي على الإجازة من أبي محمد بن عتاب عن أبي عمر بن عبد البر بالسند المتقدم.[3]

وأورده ابن خير الإشبيلي كتاب "**مصنف**" حماد بن سلامة ضمن المصنفات المتضمنة للسنن مع فقه الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم)، وقد حدثه به أبو بكر محمد بن أحمد قال: حدثنا به أبو علي حسين بن محمد الغساني، وحدث به هذا الأخير أبا مروان بن عبد الملك الطبني.[4]

ووصلت رواية كتاب "**الجامع**" لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي[5] إلى بجاية بسند متصل عن أكبر رواته منهم محمد عبد الجبار بن محمد الجذامي عن أبي العباس أحمد بن محبوب المروزي عن مؤلفه. وهي الرواية التي سمعها الغبريني بالقلعة الحمادية.[6] وسمع روايته الفقيه أبو القاسم محمد بن عامر القرشي الفهري(ت.627هـ-

[1] - إدريس خرشفي، "جهود المحدثين المالكية في دراسة أمهات كتب السنة سنن أبي داود نموذجا"، **التراث المالكي في الغرب الإسلامي**، جامعة الحسن الثاني – عين الشق–، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف، الرباط، 1998م. ص.47، 49 وما بعدها.

[2] - ابن خير، المصدر السابق، ص.97-98.

[3] - نفس المصدر، ص.96-97.

[4] - ابن خير، المصدر السابق، ص.111.

[5] - ينسب إلى مدينة ترمذ بخرسان، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.179)

[6] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.178-179.

1230م) أصله من مَوْرور[1] (Moron) وسكن إشبيلية سمعه عند وفوده إلى مدينة قسنطينة –التي كانت من أعمال القلعة– من قاضيها أبي الفضل قاسم بن علي بن عبدون بعض من كتاب الترمذي.[2] وما يمكن استخلاصه أن كتاب "**الجامع**" انتشر بين فقهاء القلعة رغم نقص النصوص المصدرية التي تشير إلى ذلك لأنه من كتب السنن المشهورة في الحديث. وحدث بالكتاب الفقيه عبد الملك عبد الله بن داود الحمزي ببغداد وسمعه منه أبو القاسم الدمشقي، وحدث عنه السمعاني وهو من شيوخ ابن عساكر.[3]

ولم يقتصر الاعتناء بكتاب الترمذي على الرجال دون النساء، فقد ورد عن ابن عبد الملك نصا عن المحدثة زينب بنت الفقيه إبراهيم بن قرقول الحمزي (ت.569هـ–1174م) أن لها روايات سماع من أبيها، وقد شاهد سماعها على كتاب "**جامع الترمذي**".[4]

لم تشر النصوص المصدرية في ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين إلى رواية كتاب "**الشهاب**" وهو "**شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية**" لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي(ت.454هـ–1062م)[5] في القلعة أو بجاية إلا ما ذكره الغبريني عن الفقيه أبي زكريا الزواوي أنه روى عن الفقيهين الأخوين أبي عبد الله وأبي العباس الحضرميان.[6] كما أنه روى كتاب"**المصابيح**"[7] وكتبا أخرى عن القاضي أبي سعيد مخلوف بن جاره إجازة وسماعا.[8] ولم يشر الغبريني إلى مؤلف الكتاب ولا إلى عنوانه كاملا لذا يتعذر تعيين صاحبه. وغالبية كتب"**المصابيح**" في علم الحديث، فيرجح مؤلف هذا الكتاب إلى أحد المحدثين المشهورين في المغرب والأندلس التي كانت كتبهم متداولة في تلك الفترة بين أهل المنطقتين.

---

[1] – هي كورة متصلة بأحواز كورة قرمونة، وهي من قرطبة بين المغرب والقبلة، ومدينة قلب هي قاعدتها، ودار الولاة بها. (انظر: الرشاطي، المصدر السابق، ص.170؛ البكري، **جغرافية الأندلس**، ص.64؛ الحميري، المصدر السابق، ص.564).

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.132.

[3] – ذكره ابن عساكر في كتاب"**المعجم**"، (انظر: المصدر السابق، ج.2، ص.628؛ الدمشقي، المصدر السابق، ج.2، ص.422،224).

[4] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.499.

[5] – مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FazilAhmedps 719، و(انظر أيضا: رمضان ششن، **فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي**، تق. إحسان أوغلى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، إسطنبول، 1986م ج.1، ص.348؛ المنتوري، المصدر السابق، هـ.2،1، 3، ص.138).

[6] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 64.

[7] – المصباح عنوان لكتب كثيرة منها: "**مصابيح الهدى**" لعبد الملك ابن حبيب الألبيري القرطبي(ت.238هـ–852م)، و"**مصابيح السنة**" لأبي محمد الحسين بن محمد الفرّاء البغوي (ت.510هـ–1116م)، و"**المصابيح في الحديث ورواته**" للمحدث محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت.381هـ–991م)، (انظر: المصدر السابق، هـ.4، ص.130).

[8] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.64.

في الفقه: كتاب"**المدونة**"[1] وأصلها كتاب"**الأسدية**" بعدما وُفق سحنون في نسخها وتصويبها مع ابن القاسم بمصر، ثم هذبها ونسقها تنسيقا جديدا وبوبها، فأخذت بذلك اسم "**المدونة**" و"**المختلطة**" وهي أصل المالكيين. قال عنها ابن رشد أنها:"مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك"، وأنّه لا بعد الموطأ "ديوان في الفقه أفيد من المدونة"، بل هناك من جعلها "ككتاب سيبويه عند أهل النحو".[2] ووصفها البراذعي أنّها:" أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين"[3]. وسمع أبو القاسم الوهراني ابن أبي زيد القيرواني يقول:"من حفظ المدونة والمستخرجة لم تبق عليه مسألة"[4]. وأوصى سحنون طلبته بالاعتماد عليها، لأهمية وصحة مسائلها ورواة أحاديثها من الثقات، كما أنها من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، وشبهها بسورة الفاتحة بقوله:"عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته" وقال:" إنّما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن تجزي في الصلاة عن غيرها، ولا يجزي غيرها عنها"[5].

واهتم طلاب القلعة بدراسة كتاب"**المدونة**"، منهم الفقيه هارون بن النضر الريغي، فقد أولاها عناية خاصة في تدريسها، حتى أنّ مجالسه العلمية اكتظت من كثرة الطلبة، وقد بلغ عددهم ما يقارب المائة ممن يقرأها في مجلسه. وشهد الفقيه عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير هذه المجالس وحكى عنها لأبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية.[6]

لم يقتصر درس "**المدونة**" على صنف الرجال دون النساء، فكان للنساء حظ أيضا بل منهن من قامت بنسخها، فقد روى الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي لأبي طاهر السلفي عن والدته أنها:" كتبت **المدونة** بخطها، وأوصته بقولها:"يا بني لا تحتقر من الخير ولا من الشر شيئا"[7] وذكرت له قول الله تعالى﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾،[8] وهذا ترغيب من الوالدة للعناية بالعلم. ولا يخفى أن أبو

[1] – ذكر أبو القاسم الوهراني أنّه سمع من الشيوخ يقولون أنّ:" في المدونة ست وثلاثين ألف مسألة ومائتين منها أربع ممحوة"، (انظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.208).

[2] – ابن رشد، **المقدمات الممهدات لبيا ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج.1، ص.44-45.

[3] – البراذعي (أبو سعيد خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني، ت.4هـ-10م)، **التهذيب في اختصار المدونة**، درا. وتح. محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ وراجعه أحمد علي الأزرق، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1999م، ج.1، ص.167.

[4] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.208.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.300.

[6] – السلفي، **المعجم**، ص.147؛ الحموي، **البلدان**، ج.3، ص.113.

[7] – نفس المصدر، ص. 172.

[8] – سورة الزلزلة، الآية 7-8.

القاسم من المؤدبين للصبيان وواجب عليه أن يتبع ما أمرنا به الله تعالى في ما ينفعنا في الدنيا والآخرة.

ويعتبر كتاب "**التهذيب**"[1] أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين، حسب مؤلفه أبو سعيد البراذعي المالكي،[2] ممّن كانت تعقد بينه وبين ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي وأبي محمد الأصيلي مناظرات في المسائل الفقهية.[3] ووضع المؤلف على المدونة تآليف منها: كتاب "**التمهيد لمسائل المدونة**" وكتاب "**الشرح والتمامات لمسائل المدونة**". واختصر البراذعي "**المدونة**" في كتاب"**التهذيب**" وهو أكثر كتبه شهرة [4]، وكان القصد منه حسب قوله :"تهذيب مسائل المدونة والمختلطة خاصة دون غيرها...واعتمدت فيها على الإيجاز والاختصار، دون البسط والانتشار ليكون ذلك أدعى لنشاط الدارس، وأسرع لفهمه، وعدة لتذكره".[5]

اتبع البراذعي في الكتاب طريقة ابن أبي زيد القيرواني في اختصار "**المدونة**" إلا أنّه دونه على نسق المدونة وحذف ما زاد عليه.[6] وذكر ابن ناجي أن:" من ينظر في مدونة سحنون الذي هو اختصارها يعلم فضيلة البراذعي في اختصاره"، ألفه سنة 372هـ-983م، واستدرك أبو محمد عبد الحق بن محمد القرشي الصقلي(ت.466هـ-1074م) جزءً على"**التهذيب**" فيما اعتقد أنّ البراذعي قد وهم فيه.[7]

وقد اهتم طلبة الفقه في المغرب والأندلس بكتاب"**التهذيب**"، بدراسته وحفظه وإجماعهم عليه واعتمادهم على تداوله في حلقات التعليم عن طريق المناظرة. ورغم ذلك لم يحصل صاحبه على الرئاسة بالقيروان مثل غيره من أصحاب المذهب المالكي، فقد كان مبغضا عند بعض الفقهاء لعلاقته بالخلفاء الفاطميين، بل هناك من رفض أقواله ولم يأخذ بها.،

---

[1] – نُشرت الطبعة الأولى سنة 1999م، درا. وتح. محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ وراجعه أحمد علي الأزرق، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، في ثلاثة أجزاء.

[2] – صحح البراذعي كتابه على روايتي عن أبي بكر بن أبي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون وكان الفراغ من تأليفه سنة 372هـ-982م، (انظر: **مقدمة البراذعي للكتاب**، ص.167-168؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.143، 256 وما بعدها؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.146؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.349-351).

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.143.

[4] – جاء في المصادر أن ابن عبد السلام ذكر أن البراذعي اختصر المدونة ثلاثة اختصارات: أولها أطولها من التهذيب وثانيها أصغر منه، وقال ابن عرفة:" وما ذكره ابن عبد السلام من الاختصارات لم أره لغيره بعد البحث عنه"، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.148؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.349؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.2، ص.652).

[5] – البراذعي، المصدر السابق، ص.167.

[6] – نفس المصدر، ج.3، ص.146 وما بعدها؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.2، ص.653؛ عبد الله المرابط الترغي، **درس تهذيب المدونة**، ص.277.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.256، وج.8، ص.73؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.147؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.651.

وأصدر البعض الآخر فتوى برفض كتبه وترك قراءتها لكنهم رخصوا في "**التهذيب**"، لشهرة مسائله[1]، وعزى البعض هذا الإنكار لما وجدوه بخط يده من بني عبيد في هذا البيت الشهير:

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البِنَا وإن وعَدُوا أوفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا[2]

وهناك من أضاف سببا آخر وهو: تأليفه لكتاب تصحيح نسب بني عبيد. ومهما تعددت الأسباب فقد ترك القيروان ورحل إلى صقلية واستقر بها.[3] ويقال إنّ دعاء شيخه ابن أبي زيد لحقه لأنه كان أيام قراءته عليه يتسبب في الاعتراض عليه والتنبيه على أوهامه والإزراء على بعض كلامه فعزّ ذلك على الشّيخ.[4] وقد حدث للمازري الذكي مع شيخه أبي القاسم السّيوري رغم ما يقال عنه أنّه :"أفقه من أبي عمران الفاسي وغيره"،[5] ومهما كانت الدرجة العلمية للطالب عليه أن لا يتجاوز مرتبة شيخه.

وقد كلّف البراذعي تجاوزه لشيخه الكثير، فقد أمر ابن أبي زيد بحرق الكتاب أو محوه، لكن البراذعي لم يرد أن يذهب اجتهاده في تأليفه للكتاب هباءً منثورا، فأصلح ما أمكن إصلاحه وأتى به مرة ثانية وانشده:

خُذْ العُلُــومَ ولاَ تَعْبَــأ بِنَاقِلِهــا واقْصُد بِذَلِك وَجْه الخَالِق الباري

أَصْل الرِّوَايَة كَالأَشْجَار مُثمرة اجنِ الثِمـارَ وخَلِ العود لِلنـَــار

وأنشد طلبته أيضا:

فَخُذْ بِعِلْمِي ولاَ تَنْظُر إِلَى عَمَلِي كُل الثِمَارَ وخَلِ العُودَ لِلنار.[6]

وممّا ثبت ذِكره عند الغبريني أنّ كتاب "**التهذيب**" قُرأ في بجاية عدّة مرات، لكنه لم يشر إلى عددها بسبب عدم حضوره كل المجالس. وثبت عنه أيضا أنه قرأ الكتاب على الفقيه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري(ت.682هـ-1283م) أثناء دروسه ببجاية[7]. وكانت تقرأ

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.256؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص. 148؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص. 350؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.651.

[2] - الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.148؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.350.

[3] - ألف هذا الكتاب بصقلية، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.258؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.148- 149؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.349-350).

[4] - نفس المصدر، ج.7، ص.357؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.350).

[5] - الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.149.

[6] - نفس المصدر، ج.3، ص.149-150.

[7] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.46.

على الفقيه أبي الحسن علي الزيات سائر الكتب المذهبية من بينها كتاب "**التهذيب**". [1]وكان للفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد المنصور القلعي (ت.670-1272م) مجلسا ببجاية يقرأ عليه الكتاب "**التهذيب**" أحيانا.[2]

وإضافة لما ذُكر آنفا فالكتاب عرف رواجا كبيرا مغربا ومشرقا فكانت المناظرات "في جميع حلق بلدانها...بكتاب البراذعي التهذيب"[3]. وبقي متداولا بين طلبة العلم حتى بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي. ولاحظ الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الحراني التجيبي أنّ البراذعي خالف "**المدونة**" في كثير من المواضع عند قراءته للكتاب بل ذهب إلى أبعد من ذلك أنه مغاير لها وذلك عند مقارنتها بالأصل فوجد بها اختلافات، وقد بين الاختلاف بينهما وبين ما وقع لمالك وأصحابه في الكتب التي وقع فيها النقل.[4]

وصرح البراذعي في مقدمة الكتاب قائلا أنه جعل "مسائلها على الولاء حسب ماهي في الأمهات إلا شيئا يسيرا ربما قدّمته أو أخرته، واستقصيت مسائل كل كتاب فيه خلا ما تكرر من مسائله أو ذكر منها في غيره فإني تركته مع الرسوم، وكثير من الآثار، كراهية التطويل".[5]

وقد اعْتُمد على الكتاب في فترة متأخرة فقد أخذه المنتوري(ت.835هـ-1432م)، سماعا بعضه وتفقها على الأستاذ أبي سعيد فرج بن قاسم بن لب فأجاز له جميعه، وحدثه بعض الفقهاء بالكتاب منهم أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي والفقيه أبي محمد بن علي بن علاق.[6] وذكر المقري (ت.1041هـ-1632م) أيضا ذلك أثناء حديثه عن الفقه قائلا أنّ "الكتاب المعتمد عليه الآن الذي ينطبق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية فكتاب **التهذيب** للبراذعي السرقسطي"[7].

ومهما يكن من أمر فقد اعتمد طلبة علم الفقه في المغرب والأندلس على كتاب"**التهذيب**" في دروسهم وجعلوه يلغي كل ما عداه في الغالب حتى المدونة الأم التي قل الاهتمام بها حين حل محلها "**التهذيب**"، وجل حلقة الدرس لا تتم إلا به ولا تعتمد في التكوين إلا عليه،

[1] – نفس المصدر، ص.92؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.262.
[2] – نفس المصدر، ص.123.
[3] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.351.
[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 70.
[5] – البراذعي، **مقدمة كتابه التهذيب**، ص.167- 168.
[6] – المنتوري، المصدر السابق، ص.175.
[7] – المقري، **نفح الطيب**، ج.3، ص.180.

وشبهه عبد الله الترغي "بالمقرر لمادة الفقه" يأخذه طالب علم الفقه مادة ومنهجا وتحصيلا، حتى إذا استوفى أخذه وبلغ درجة شيوخه وسار على منهجهم في درس المدونة لطلبته بنفس الطريقة والمنهج.[1]

ومن الكتب التي عرفت انتشارا وتداولاً بين فقهاء بلاد المغرب ولم ينقطع الاهتمام بهما في وقت من الأوقات كتاب "**الواضحة**" لابن حبيب، وكتاب "**الرسالة**" لابن زيد القيرواني، أوردهما الغبريني في كتابه واعتبرهما من الكتب التي قرأها ببجاية.[2] وفي هذه الأخيرة قرأ أيضا على الفقيه أبي الحسن علي بن الزيات الحافظ كتاب"**تنبيه**" لابن بشير وكتاب"**منتقى**" للباجي بالقلعة الحمادية.[3]

وقرأ الفقيه هارون بن النضر الريفي بالرّيغ – قرب من قلعة بني حماد– كتاب "**التلقين**" [4] للقاضي أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي(ت.422هـ-1031م). وذكر عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير ذلك للسّلفي بسهولة قراءته، كأنه يقرأ سورة الفاتحة من شدّة حفظه له. وكانت مجالسه العلمية يحضرها عدد كبير من الطلبة.[5] ويعتبر"**التلقين**" من الكتب التي كانت تقرأ بالقلعة الحمادية وممّن اشتهر بقراءته الفقيه أبو الحسن علي ابن الزيات،[6] والفقيه أبو العباس أحمد بن عثمان المتوسي الملياني، الذي كان له فيه تقييد وتنبيهات خفية، وقد سمع الغبريني في عدة مجالس من بعض الشيوخ أنّه "كمّل بعض ما فات المازري على كتاب "**التلقين**". وسئل الشيخ أبي محمد بن عبادة عن كلام الرجلين– المازري والملياني– على الكتاب فقال:"بينهما ما بين بلديهما"،[7] يعني أن المازري أعلم من غيره بما وضعه في كتابه حسب ما وصل إليه الغبريني من شيوخ القلعة.

ومن الكتب التي قرأها الغبريني في بجاية بإسناد الفقيه أبو العباس بن خضر عن أبي الحسن بن السراج عن الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون عن أحمد بن محمد الخولاني عن المسدد عنه كتاب "**التفريع**" لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله بن الجلاب البصري(ت.378هـ-988م) وهو من أنبل تلاميذ الأبهري شيخ المالكية.[8] وكان يقرأ أيضا

---

[1] – عبد الله الترغي، درس تهذيب المدونة، ص.282.

[2] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.181.

[3] – نفس المصدر، ص.92.

[4] – رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل شهادة دكتوراه في الفقه، تح. ودرا. محمد ثالث سيد الغاني إشراف محمد شعبان حسين، 1986م.

[5] – السلفي، **المعجم**، ص.147.

[6] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.92.

[7] – نفس المصدر، ص.87.

[8] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.180.

على فقهاء بجاية من بينهم أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات،[1] ولا يمكن أن أجزم أنّ الكتاب لم يقرأ أو يسمع قبل المائة السابعة في بجاية، فالفقيه المسدد بن أحمد بن جعفر البصري أدخله إلى بلاد المغرب، وكان قد سمعه من خاله ابن الجلاب وله شرح عليه، فقد بقي بالقيروان حتى وفاته،[2] وكانت هذه الأخيرة مقصدا لفقهاء المغرب الأوسط وغيرهم للتفقه عن فقهائها والوافدين إليها.

وحدث الفقيه الإمام أبي عبد الله محمد بن رخيمة الشاطبي بكتاب"**المقدمات الممهدات لما في رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات**" لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الخطيب ببجاية وسمع الكتاب منه الغبريني.[3] وكتاب "**التبصرة**" لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي حدثه به المفتي والقاضي أبو محمد عبد العزيز ابن كحيلة بسند أبي بكر بن محرز عن أبي محمد ابن عبيد الله الحجري عن أبي عبد الله المازري عن مؤلفه.[4] وتضاف إلى كتب الفقه ما ألفه الإمام المازري المهدوي، وأبو بكر بن العربي، والقاضي أبي الفضل عياض(ت544هـ-1149م).[5]

في أصول الفقه: لا شك أن معظم المتخصصين في علم الأصول يقرّون بأن الإمام الشافعي هو أول من اجتهد في وضع هذا العلم فأصّل أصوله وبيّن مناهجه ووضع قواعده في كتاب "**الرسالة**".[6] ورغم تأخر اهتمام العلماء بعلم الأصول والتأليف فيه، دوّن الإمام مالك كتابه "**الموطأ**"، وقد بناه على أصول معينة. وأشار القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب "**القبس**" أنّ الإمام مالك بيّن في كتابه أصول الفقه وفروعه وقد بناه "على تمهيد الأصول للفروع ونبّه فيه على معظم أصول الفقه، التي ترجع إليها مسائله وفروعه".[7]

وأفادت بعض الدراسات نقلا عن كتابه "**فصل المقال**"لابن رشد (ت.595هـ-1199م) أنّ:"المغاربة كانوا قاصرين في علم الأصول، عازفين عنه، منفرين منه، لا يحتفلون بكتبه ولا يتناظرون في مسائله وقواعده، بل سمعنا من يزعم أن المغاربة لم يكن فيهم أحد يفهم

---

[1] – نفس المصدر، ص.92.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.76،228.

[3] – ويسمى أيضا "**المقدمات لأوائل كتب المدونة**" و"**كتاب المقدمات لأوائل كتب المدونة**"، (انظر: ابن خير، المصدر السابق، ص.209؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص248؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.114).

[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.181-182.

[5] – نفس المصدر، ص.182-183.

[6] – انظر: الفصل الخامس من هذه الدراسة.

[7] – ابن العربي، **كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، درا. وتح. محمد عبد الله ولد كريم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج.1، ص.75؛ الجيدي، **محاضرات**، ص.71.

الأصول".[1] فالمشارقة كانوا السبّاقين في هذا العلم والتأليف فيه. وقد تكون من بين الأسباب التي جعلت أبا بكر بن العربي يرحل إلى المشرق لمّا أحس بنقصه في المجلس الذي حضره أحد السّماسرة.[2] وتعرض الطاهر بن عاشور إلى مازايا المغرب والمشرق بقوله إنّ "مزايا الوضع الثقافي بالمغرب هي سلامته، ورزيته في ركوده وجموده، وأن مزايا الوضع المشرقي هي حركته ونماؤه، ورزيته في فتنته وجحوده".[3]

واشتهر بالمغرب الأوسط عدد لا بأس به من الفقهاء، كأبي الفضل النحوي وأبي القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي الديباجي والفقيه أبي عبد الله محمد ابن داود بن عطية العكي القلعي والفقيه أبو عبد الله بن تومرت (ت.524هـ-1130م)، وأبي الحسن علي بن أبي القاسم المعروف بابن أبي جنون، وأبي عبد الله محمد بن علي القيسي بن الرمامة، والفقيه أبو علي حسن بن علي المسيلي (ت.580هـ-1184م)، ومعظم هؤلاء لهم تآليف في أصول الفقه ممن كانت لهم رحلة إلى المشرق فأخذ عنهم من التقى بهم هناك، ودرس عليهم طلاب القلعة والوافدون إليها من المغرب والمشرق. ومن بين فقهاء الأندلسيين المهتمين بأصول الفقه والوافدين إلى بجاية نجد أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الذي أخذ علم الكلام وأصول الفقه عن أبي القاسم الربعي الديباجي، وأبي عمران الفاسي، وعن أصحاب أبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت.403هـ-1012م) بالقيروان، وبمكة عن الفقيه أبي الحسن رافع بن نصر البغدادي المعروف بالحمال(ت.447هـ-1055م)[4]. وقد سار الكلاعي على نهج أبي الوليد الباجي ونظرائه حسب رأي ابن العربي.[5] ويبدو أن ابن العربي لاحظ ذلك عند مروره من بجاية في رحلته المشرقية. ودرس الفقيه أبو عبد الله محمد الأنصاري السرقسطي(ت.528هـ-1134م) على الديباجي علم أصول الفقه وأكثر عنه حتى اكتفى.[6]

ومن علماء الأصول بالأندلس أيضا الذين رحلوا إلي بجاية الفقيه أبو جعفر أحمد بن عبد الله الأزدي البلنسي(ت.548هـ-1153م) الذي كانت وفاته بمدينة جزائر بني مزغنة،[7]

---

[1] - انظر: (القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد، ت.595هـ-1198م)، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصـال**، تح. محمد عمارة، ط.3، دار المعارف، القـاهرة، 1999م، ص.27؛ الجيدي، **محاضرات**، ص. 72.

[2] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.421، ترتيب الرّحلة، ص.13.

[3] - نفسه؛ محمد الفاضل بن عاشور، **ومضات فكر**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص.141.

[4] - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.18، ص.23؛ الضبي، المصدر السابق، ص.93.

[5] - القاض عياض، **المدارك**، ج.8، ص.158؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.326-327، ج.3، ص.90-91.

[6] - القاضي عياض، **الغنية**، ص. 89.

[7] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.54؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.142-143؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.205.

وأبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، له مؤلفاته في الأصول منها: تعليقات على كتاب "**المعالم**" لفخر الدين الرازي في أصول الفقه،[1] وفي مجالسه كان الطلبة يقرؤون عليه "**تلقيحات**" للسهروردي،[2] قال عنها الغبريني أنّها:"من مغلقات أصول الفقه عند طائفة ممّن لم يمارس علم الأصول ولا يتعرض لارتقائها لإقرائها إلا من له ذهن ثاقب"[3]، ويضيف أنّ هذا كان قبل "ظهور ما اخترعه المتأخرون من الطرق المقفلة والقوانين المغلقة في أصول الفقه".[4] وأخذ أبو الحكم يوسف بن أحمد بن عياد التميمي الملياني(ت.621هـ-1224م) الأصولي والأديب والشاعر كتاب "**التلقيحات**" من مؤلفه سنة 590هـ-1194م بمدينة ملطية أثناء رحلته إلى المشرق ولما دخل الأندلس نوظر عليه في الكتاب ورفض بعض الفقهاء الأخذ عنه كونه شيعيا، لكن رغم ذلك أخذ عنه بعض المالكية من بينهم أبو إسْحَاق بن المناصف.[5]

ورحل الفقيه أبو بكر محمد بن علي ويقال يعلى بن محمد بن وليد بن عبد الله المعافري (ت.483هـ-1090م) من مدينة سبتة إلى القلعة الحمادية،[6] فتتلمذ على عبد الجليل الديباجي أشهر علماء الأصول في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، وكان له أيضا مجلسا بجامع عقبة بن نافع بالقيروان يقرئ أصول الفقه. وبعد النزوح الهلالي إليها انتقل إلى القلعة، وكان يحدّث بكتاب "**التلخيص**" لأبي المعالي الجويني عن مؤلفه.[7]

في أصول الدين: كان كتاب "**الإحياء**" لأبي حامد الغزالي أكثر اهتماما لدى فقهاء المغرب الأوسط، وانقسم المدرسون للكتاب بين المجيز والمنكر لقراءته. فقد انتقد الكتاب وذكرت أقوال عديدة في انتقاده حتى قيل عنه:"ومتى ماتت العلوم حتى تحيا علوم الدين ما زالت حية ولا تزال".[8] وقد تأثر فقهاء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق بالغزالي وبكتابه"**الإحياء**" كابن العربي وابن تومرت وأبي مدين شعيب حيث قال:" نظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء للغزالي".[9]

---

[1] – ذكرت بعض المصادر أن للرازي كتابين في المعلم، أحدهما خاص بأصول الفقه والآخر بأصول الدين، (انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.13، ص.137؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.142).

[2] – الغرييني، **الدراية**(ط. بيروت)، هـ.2، ص.301.

[3] – نفس المصدر، ص.142.

[4] – نفس المصدر، ص. 14.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.227.

[6] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.20.

[7] – حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.39.

[8] – الغبريني **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.132.

[9] – التادلي(أبو يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات، ت.617هـ-1220م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح. أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص.214.

واهتم فقهاء بجاية بكتاب"**الإرشاد**" لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني[1]، من بين هؤلاء الفقيه أبو محمد عبد الله الشريف السني المتعبد الزاهد المتكلم العارف بأصول الدين، له باع في علم العقائد، فكان يحضر مجالسه عدد من الطلبة المتخصصين في هذا المجال.[2] وأخذ الكتاب سماعا أبو محمد بن حوط الله عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المهري البجائي.[3] وحبس السيوري أسفارا من الكتاب في جامع القيروان وجدت ضمن سجل قديم لمكتبة الجامع.[4] وهذا يدل أن الكتاب دخل إلى بلاد المغرب في عصر المؤلف ومن المحتمل أن أحد تلاميذه تحصل عليه، وقد نصت المصادر أن المازري الذكي درس عنده قبل رحيله إلى القلعة.

في اللغة العربية: فقد ساهم بعض المشارقة في نشر اللغة العربية ببلاد المغرب في بداية القرون الهجرية الأولى، حيث انتقل إليها في عصر الفاتحين الأوائل والولاة العديد من الفقهاء، ودخل أيضا عدد من دعاة الخوارج والشيعة ممن كانوا يحسنون اللغة العربية. وتشير بعض الدراسات أن للهلاليين الفضل الكبير في تعريب المنطقة وأسلمتها. وكان للمغاربة رحلة عكسية إلى المشرق فتعلموا اللغة العربية دون معرفة قواعدها وضوابطها، وبدأ الاهتمام بدراستها وحفظها عن بعض المشاهير اللغويين المشارقة، فاهتموا بكتاب "**سيبويه**" لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر النحوي وتداوله فقهاء بجاية بالقراءة والسّماع والحفظ أيضا. وبرع الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الأغماتي في العربية وتحصيل لكتاب"**سيبويه**"، وكان نظارا لمسائله، وأعلم القلعيين بالكتاب عارفا بمقاصده. أما "**كراس**" أبي موسى الجزولي(ت.607هـ-1210م) و"**مفصل**" للزمخشري فكانا عند أبو محمد عبد الله من المبادئ في الدراسة.[5]

وأخذ أبو الحسن علي بن حسن الصيدني(ت. بعد 600هـ-1204م) كتاب"**سيبويه**" عن أبي بكر بن الخذب القلعي، وقرأ عن أبي عبد الله بن الرمامة وأبي الحسن بن حنين وأبي الربيع التلمساني وروى عنهم، وسمع من عبد الحق الإشبيلي البجائي مؤلفاته بالقلعة وأجازها له.[6]

---

[1] – المنتوري، المصدر السابق، هـ.2، 3، ص.168-169.

[2] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.91.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص. 163.

[4] – ذكر إبراهيم شبوح أن ثمانية أسفار موجودة بمكتبة الجامع كلها للسيوري، (انظر: **سجل قديم لمكتبة جامع القيروان**، ص.363-264).

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.104.

[6] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.554.

وقد وصلت رواية الكتاب "**الإيضاح**" في النحو لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، إلى بجاية بسند بعض من الفقهاء من بينهم أبو بكر بن العربي.[1] وأورد الغبريني أسماء بعض فقهاء بجاية الذين اهتموا بالكتاب في المجالس العلمية من أمثال أبي الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري، فكان يقرأ عليه كتاب "**الإيضاح**"[2] و"**الجمل**" لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي (ت.340هـ-951م)، و"**المفصل**" وكتاب "**القانون**" لأبي عبد الله موسى الجزولي الأديب و"**مقدمة**" لأبي الحسن طاهر بن أحمد ابن باب شاد(ت.469هـ-1103م) و"**إصلاح المنطق**"، وشعر"**حبيب**"،[3] و"**المتنبي**"،[4] و"**الأشعار الستة**"، [5] وشعر **المعري**، و"**الحماسة**"، [6] لغير واحد. أما الكتب الأدبية فكانت تقرأ عليه "**المقامات**"[7]، و"**الأمالي**"،[8] وقد قرأها عن ظهر قلب القاضي أبي عبد الله عبد الحق بن سليمان التلمساني(ت.571هـ-1176م)، وغير ذلك من الكتب الأدبية والنحوية واللغوية.[9]

واهتم فقهاء المغرب الأوسط بالشعر منذ القرون الأولى، فقد أخذ أبو جعفر زكريا بن بكر بن أحمد الغساني "**ديوان شعر**" المتنبي رواية في رحلته إلى مصر،[10] وبقي الفقيه المقرئ والمحدث أبو عبد الله محمد بن صالح الشاطبي ببجاية ثلاثين عاما ولى إقامة صلاة الفريضة والخطبة بجامعها فدرس به واستجاز وأجاز بها وروى وأقرأ واستمتع وانتفع منه الكثير من القلعيين والوافدين إليها. من الكتب العربية التي قرأها "**مفصل**" للزمخشري فأحسن

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.148؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.184-185.

[2] – كتاب "**الإيضاح**" اسم لثلاثة من كتب النحو، الأول: لعبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي(ت.337هـ-949م)، والثاني: لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي(ت.377هـ-989م)، والثالث: لأبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بن الحاجب(ت.636هـ-1239م)، (انظر: نفس المصدر، هـ.2، ص.68).

[3] – لأبي تمام حبيب بن أوس الطّائي وعن الكتاب، (انظر: المنتوري، المصدر السابق، هـ.4، ص.19.)

[4] – أحمد بن الحسين بن الحسن (ت.345هـ-956م)، (انظر: نفس المصدر السابق، هـ.2،3، ص.194-195؛ وعليه شروح منها: لأبي عبد الله محمد بن ابان بن سيد اللخمي الأندلسي ت.354هـ-965م)، وشرح لابن عصفور علي بن موسى الحضرمي الاشبيلي النحوي ت.669هـ-1271م، وشرح لأبي عبد الله ركن الدين محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القويع ت.738هـ-1338م)، (انظر: البغدادي، **إيضاح المكنون**، ج.1، ص.527).

[5] – ترتيب أبي الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالأعلم النحوي(ت.476هـ-1083م)، طبع الكتاب في جزأين عن دار الفكر سنة 1969م، تحت عنوان" **مختار الشعر الجاهلي**"، (انظر: الحموي، **الأدباء**، ج.6، ص.2848؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.192)

[6] – لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي الفقيه أبو عبد الله الأديب، وكان يعد كتاب" **الحماسة**" و"**الجمل**" و الأشعار الستة من الكتب المبتدئين في برنامج التعليم على عهد ابن عبد الملك حسب ما أشار إليه في كتابه، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.232، س.8، ص.11؛ المنتوري، المصدر السابق، هـ. 2، 3، ص. 193)

[7] – لأبي محمد القاسم بن علي البصري الحريري(ت.516هـ-1122م)، (انظر: الحموي، **الأدباء**، ج.6، ص.2439؛ القِفطي، **أنباه الرّواة**، ج.3، ص.23).

[8] – ويقال كتاب"**النوادر**" لأبي علي إسماعيل القالي البغدادي، (انظر: المنتوري، المصدر السابق، هـ.6، ص.191).

[9] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.124-125؛ الذهبي، **المستملح**، ص.283؛ **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.55؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.39.

[10] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

وأجاد.[1] وقرأ أبو الحجـاج يوسف بن عبيد الكندي[2] على طرّة كتـاب "**الجمل**" أبيات سمعها السلفي منه:

رِيَاض الأَديبِ "كتاب الجُمَل" بِـهِ كُـلُّ ذِي أَدَبٍ يَشْتغِـل

إِذَا أنتَ يا صَـاحِ أحْكَمْتَـهُ بلغت مِنَ النَّحوِ أَقْصى الأَمَلْ

كما لم تقتصر قراءة وحفظ كتاب "**الجمل**" على الرجال، فقد ذكر الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي للسّلفي أنّ والدته كانت حافظة للكتاب.[3]

ومن كتب التصـوف والتذكيـر التـي قـرأت بالقلعـة "**رسالة القشيري**"[4] لأبـي القـاسم عبد الكـريم بن هوازن القشـيري النيسـابوري الشـافعي (ت.465هـ-1073م)،[5] ويعتبر من أشد المدافعين عن السنة الأشعرية ، فقد كان أشعريا في الأصول وشافعيا في الفروع. وقد تأثر به أبي مدين شعيب من خلال دراسته للرسالة وأصبح مولعا بتدريسها لتلاميذه في القلعة وهو من دعاة التصوف في بلاد المغرب.[6]

وحظيت كتب ابن سينا(ت.428هـ-1037م) بالدراسة في القلعة منها كتاب "**الإشارات والتنبيهات**"[7] قرأها الغبريني على الفقيه أبي الحسن على بن عمران بن موسى الملياني المشهور بابن الأساطير.[8] وشهدت بجاية دخول عدد من الأطباء الأندلسيين إليها، الذين اهتموا بكتب الطب وكانت كتب ابن سينا أكثر تدريسا منها "**كليات القانون**" و "**الأرجوزة**". [9]

ومما يجب ملاحظته أن فقهاء مالكية المغرب الأوسط اهتموا بتدريس أمهات الكتب المعتمدة في المذهب المالكي من كتب الفقه والأصلين وكتب اللغة، وبالمختصرات والشروح الفقهية التي حافظت على مضمون الأصل دون المساس بالمعنى المقصود، كما أنها تساعد الطالب في فهمها وتحصيلها في وقت وجيز. وأصحاب هذه المؤلفات من أشهر فقهاء مالكية بلاد المغرب. وإذا ثبت للطالب الحفظ المتقن للكتب التي درسها، قد يجزيه الشيخ

---

[1] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.42.

[2] - يعرف بابن مطَير وبالمليحي، من الفقهاء الملازمين لأبي الطاهر السلفي يسمع ما يقرأ من الحديث وغيره، (انظر: **المعجم**، ص.458).

[3] - السلفي، **المعجم**، ص.172.

[4] - موجود مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم Fazilahmedps 723 وFazilahmedps 724 و(انظر أيضا: المنتوري، المصدر السابق، هـ:1،2، ص.158؛ فهرس كوبريلي، ج.1، ص.350)؛ ترجم فيها القشيري 82 شيخا من شيوخ الصوفية، كما قدم عرضا لمختلف الأحوال التنسكية ومقاماتها وهي: مقام التوحيد، مقام الوجد، مقام الوجود...، (انظر: لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص.367 وما بعدها.

[5] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.86.

[6] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.86؛ ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير في مناقب الشيخ أبي مدين**، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، د.ت؛ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص.367.

[7] - على كتاب "**الإشارات**" شروح موجودة في المكتبة السليمانية: لفخر الدين الرازي محمد بن عمر(ت.606هـ-1209م) ونسخ وبلغ مقابلة تصحيح سنة 653هـ-1253م منها: تحت رقم Fazilahmed ps 873 و Fazilahmed ps 874 وشرح آخر لمؤيد الدين أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطيب النخجواني ت.701هـ-1302م، (انظر: **فهرس كوبريلي**، ج.1، ص.332-433)

[8] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.105.

[9] - نفس المصدر، ص.38.

بتحمل روايته عنه. ودرّست كتب النحو واللغة والآداب للمؤلفين المشارقة ببجاية، وصلت إليها عن طريق الرّحلة المشرقية، أخذ الفقهاء روايتها عن مؤلفيها سماعا أو قراءة أو رواها عنهم في بلاد المغرب. واستفاد فقهاء بجاية من عناء السّفر إلى الحواضر المغربية أو المشرقية، التي أصبحت تنافسهم وتضاهيهم من حيث استقطابها للعلم والعلماء.

رابعا: الإجازات

ظهرت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي مدارس في العديد من المدن الإسلامية مشرقا ومغربا، وكثر فيها عدد الطلبة، فكانت الرّحلة إليها من كل حدب وصوب، بغرض حضور مجالس العلماء بها، للتفقه وأخذ العلم عنهم كلاً حسب اختصاصه، ثم يعودون به إلى بلدانهم. ويلازم بعض الفقهاء شيوخهم أشهرا أو سنوات، وقد تصل أحيانا إلى عشرين سنة[1]، لكن البعض الآخر يختار الاستقرار والبقاء في المدينة التي يختارها حتى وفاته. ففي هذه الفترة ظهرت كتبا مخطوطة في مكتبات المدارس والمساجد، أوقفت هناك فقرأها طلبة علم من بينهم فقهاء، فعمد الشيوخ على تثبيت أسمائهم، ويكون ذلك إما في ذيل الكتاب أو في أعلاه، وقد يقرأ هذا الكتاب مرة أو مرتين أو ثلاث أو أكثر، وكل مرة يسمعه يثبت.[2]

ويمكن القول عن الإجازة بشكل عام من حيث تعريفُها ووجودُها في المخطوط...، هناك عدّة إشكاليات تطرح نفسها، منها: هل أخذ فقهاء المغرب الأوسط إجازات عن نظرائهم من المغرب الأوسط؟ وهل أجاز فقهاء المغرب الأوسط لنظرائهم من بلاد المغرب والمشرق؟ وهل أجاز الفقهاء المشارقة والمغاربة لنظرائهم من المغرب الأوسط؟ وهل تتوفر مادة مصدرية تشير إلى هذا النوع من الإجازات؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بعملية مسح لبعض المصادر المغربية والمشرقية تصدرتها كتب التراجم والفهارس والبرامج، ثم الكتب التاريخية إضافة إلى كتب الجغرافية وكتب الرحلة، وبعض مخطوطات القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي فأكدت لنا هذه المؤلفات أن النصوص التي تتعلق بعلماء المغرب الأوسط شحيحة.

---

[1] – صحب محمد بن عبد الله (بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر) القضاعي الشهير بابن الآبار أبا الربيع سالم بضعا وعشرين سنة، وهو من نصحه بوضع كتابه "**التكملة**" وهو تكملة لكتاب الصلة الذي ألفه أبي القاسم بن بشكوال، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 145–146).

[2] – صلاح الدين منجد، المرجع السابق، ص.233.

إنّ الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط جعله منطقة عبور للفقهاء المغاربة كما أهَّله ليكون مركز استقطاب للعلماء والتّجار من شتى الأقطار، فكانوا ينزلون بإحدى مدنه، للاستزادة من علم فقهائها أو الاستقرار فيها أو بنية العبور إلى المشرق لأداء فريضة الحج، لكن منهم من اختار البقاء بها.[1] وطبيعة الحال هناك من خرج من وطنه من الفتن والحروب للمحافظة على سلامة النفس فيستقرون بالمدينة.

واشترط بعض فقهاء بجاية على تلامذتهم أن لا يأخذوا الإجازة إلاّ بعد التّحصيل العلمي الجيّد، وهو أن يقرأ الكتاب الذي يريد إجازته على شيخه، فإذا تحقق تحصيله يمكنه بعدها روايته عنه، ويكون بذلك قد ظفر بالإجازة ووصل عن طريقها إلى أعلى مراتب العلم، وإن ثبت العكس سيحرم منها. ورغم تشدد بعض الشيوخ وعدم تسامحهم في الإجازة بأي حال من الأحوال لم ينقطع الطلبة عن مجالسهم، بل كانوا يتسارعون إليها ويفتخرون بحضورها[2].

واختلف الشيوخ في منح الإجازة، فبعضهم أجاز سماع بعض الكتاب[3] كما لو سمع منه سائره.[4] وهناك من لزم شيخه، ومع ذلك لم يحصل على إجازة، وإن تعدد شيوخه وثبتت صحبته لهم[5]. قد يكون السّبب أنّه لم يتحقق له التّحصيل العلمي الجيّد، وبذلك لا يكون جديرا بالرّواية عنهم، وحدَث وأن أعطى شيخ الإجازة لأحد تلاميذه، ولم يتحقق له السّماع لمرض قد اعترضه فمنعه من السفر.[6] وهذا الاستثناء الذي منحه الشيخ لتلميذه، قد يكون ممّن يشهد لهم بالثقة والعدالة والحفظ الجيد للعلم. وهذه الأحكام ليست عامة عند كل الشيوخ، فقد يكون ماهو جائزا عند البعض، ممنوعا عند البعض الآخر. وجاء في بعض المصادر أنّ أحد الشيوخ من الحفاظ حضر مجلسا علميا مع الطلبة لسماع كتاب "**السيّر**"، للإجازة على بعض شيوخهم، فالطالب الذي كان يُنتظر منه القراءة لم يحضر كتابه، وقد

---

[1] – بقي عبد الحق الاشبيلي ببجاية بعدما كانت نيته الذهاب إلى المشرق للقيام بفريضة الحج، واستقربها بعد سنة 550هـ-1155م إلى سنة 582هـ- 1186م، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.120؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.4؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.20).

[2] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.148-149.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.82.

[4] – اللبلي، **البرنامج**، ص.17؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (23).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.82.

[6] – نفس المصدر، ج.1، ص.90؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.556 وما بعدها؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.419؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.601-602.

غُيب الطالب والكتاب معا عن المجلس، فتنازل أحد الشيوخ الحاضرين قراءة الكتاب عن الطالب.[1]

ولم يشترط بعض الشيوخ لقاء تلامذتهم، فالفقيهان أبو عبد الله الحمزي وأبو طاهر السّلفي وغيرهما كتبا إلى محمد بن عبد الله بن محمد المقرئ من أهل غرناطة المعروف بابن غاسل بالإجازة ولم يلتقيا به. وقد يحدّث فقيه عن فقيه آخر وهذا الأخير يكون قد مَنح له ولأهل بلده فيما سبق إجازة عامة، مثالها ما قام به الفقيه أبو طاهر السّلفي للفقيه محمد ابن إبراهيم بن حزب الله من أهل فاس يعرف بابن البقار، وهو ممّن له رواية عن الفقيهين أبي عبد الله بن الرمامة وأبي إسحاق بن قرقول من المغرب الأوسط. وتحصل هذا الأخير على إجازة[2] من أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي نزيل بجاية[3].

ويمكن أن يتبادل فقيهان في الإجازات فيما بينهما كأن يجيز فقيه كل رواياته وتآليفه لفقيه آخر وهذا الأخير يبادله ذلك، وتكون أحيانا بالمكاتبة فيما بينهما[4] وقد تكون بالمشافهة. وليس بالضرورة أن يكون التبادل بين الطرفين في الإجازة مشروطا. وقد يجيز الشيخ تلميذه مرتين، مثل ما أجازه الفقيهان أبو طاهر السلفي وأبو عبد الله الحضرمي لعبد الله بن إبراهيم ابن منتيال الوراق[5] كما ذكر ذلك ابن الآبار: " لقي بالإسكندرية أبا عبد الله الحضرمي فسمع منه وكان قد أجاز له قبل ذلك هو وأبو طاهر السلفي..."[6]. ويفهم من هذا النص أنّ الوراق كانت له رحلتان إلى الإسكندرية: ففي الرحلة الأولى أُجيز، وأجيز في الرحلة الثانية ربما بعد إضافة تصانيف جديدة، أو إتمام ما نقصه من سماع الكتب.

واشتهرت كل منطقة من بلاد المغرب والمشرق بشيوخها وبعدد الإجازات التي تمنح للتلاميذ، والسبب هو انتقال الأخبار بين الطلبة، وتنوع العلوم التي يتمتع بها هؤلاء الفقهاء من فقه وأصوله وعلم الحديث والتفسير والأدب والنحو...وغيرها، فأكسبتهم شهرة وذاع

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.90؛ نفس المصدر، س.1، ص.556 وما بعدها؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.601-602؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.419.

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.130؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.248.

[3] – استقر ببجاية بعد سنة 550هـ-1156م، (انظر: نفس المصدر، ج.3، ص.120؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.4؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.20).

[4] – نفس المصدر، ج.2، ص.308؛ الرعيني(أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي، ت. 666هـ-1268م)، **برنامج شيوخ الرعيني**، تح. إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م، ص.85، 173.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج. 2، ص.287.

[6] – نفسه.

صيتهم في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبحت الرغبة في الاتصال بهم والإجازة منهم إحدى أسباب الرحلات العلمية.

ففي المشرق كانت مدينة الإسكندرية أكثر وجهة لفقهاء المغرب والأندلس، وكيف لا وبها أشهر الفقهاء وقتذاك. فالفقيه أبو طاهر السلفي[1] الذي لم يفكر يوما في الإقامة بها، بل كان يريد العودة إلى وطنه أصبهان[2]، لكن أجبرته ثلاثة أسباب على البقاء بها حسب رأي إحسان عباس، أوّلها: زواجه بإمرة صالحة، ديّنة، غنية وهذا طموح كل رجل يريد الاستقرار في الدنيا والآخرة. ثانيها: أنه شبع من الطواف بين المدن وكانت الإسكندرية محطة للفقهاء من أقاصي الأقطار، فلا داع له بمشقة السفر كونه يلتقي بهم هناك، ثالثها: وهو أكثر الأسباب الضرورية، ذلك أنّ العادل أبو المنصور علي إسحاق المعروف بابن السلار (543-548هـ/1149-1154م)،[3] والمقرئ أمير مصر بنى له مدرسة سنة 546هـ-1152م، وسميت بالمدرسة العادلية أو السلفية، فكان السّلفي يدّرس فيها الفقه على مذهب الشافعي ويروي الحديث ومسائل الخلاف.[4] والإجازة عند علماء المغرب الأوسط في ثلاثة أنواع.

1-إجازات فقهاء المغرب الأوسط لبعضهم البعض

بعد عملية مسح لبعض المصادر التاريخية، تبين أن الإجازات المتعلقة بفقهاء المغرب الأوسط نادرة، أو تكاد تكون متفاوتة مقارنة بنظرائهم مغربا ومشرقا، وزاد عدد إجازاتهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

إن قلة النّصوص المصدرية الخاصة بإجازات فقهاء مالكية المغرب الأوسط، راجع إلى عدم إشارة أصحابها إليها، وعدم تدوينها من جهة أخرى، لأن ترجمتهم جاءت مقتضبة مقارنة بغيرهم من فقهاء المغرب(الأدنى-والأقصى) والمشرق، وقد يكون سبب ذلك هو فقدان المصنفات التاريخية التي وضعها المؤلفون من المغرب الأوسط كمصنفات الأشيري وابن رشيق والرقيق القيرواني وابن الصلت وغيرهم ممن ذكرهم ابن عذارى المراكشي في بعض

---

[1] - الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، مج.3، ص.1026- 1027.

[2] - محمد بن عزوز، **علماء المغرب والأندلس في مجالس الحافظ أبي طاهر السلفي بالإسكندرية**، دار ابن حزم، مركز التراث الثقافي المغربي، دار البيضاء، 2011م ، ص.49.

[3] - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.5، ص.209؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص.48؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.198-199.

[4] - نفسه؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.60، ج.2، ص.198؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج.12، ص. 3522؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.77؛ محمد بن عزوز، المرجع السابق، ص.50؛ السلفي، **تراجم وأخبار أندلسية**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985م، ص.8-9.

نصوصه واستفاد منهم[1]. ومن المصنفات التي ضاعت أيضا مصنفات ابن حماد الصنهاجي الذي حاز على إجازة من أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني، فنظم ابن حماد قصيدة من مدينة مرسيه يشكره عليها، ذكر نصّها صاحب كتاب "**الذيل والتكملة**".[2]

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين أجازوا لبعضهم البعض، ما ذكره القاضي عياض عن مشيخته في كتاب "**الغنية**"، أنّ الفقيه عبد الملك البوني، قد أجازه كتاب "**الموطأ**" برواية الفقيه أحمد بن نصر الداودي.[3] وذكر الغبريني بعض الفقهاء الذين تحصلوا على إجازات بعد منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي منهم أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبد الله المعافري القلعي، الذي قرأ على والده أبي عبد الله بن عبد الله بالقلعة ثم ببجاية، وعلى أبي زكريا الزواوي الذي لازمه واعتكف عنده، وبفضله أصبح أستاذ الأساتيذ في وقته في علم القراءات بالجامع الأعظم ببجاية، وكان من المتشددين في إعطاء الإجازات إلا بعد المثابرة والتّحصيل الجيد.[4]

2-إجازات فقهاء المغرب الأوسط لنظرائهم من المغرب والمشرق

منح بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط إجازات لنظرائهم من فقهاء الأندلس والمغرب. وكان لفقهاء المشرق نصيبًا من هذه الإجازات أيضا، وللرّحلات العلمية والحجية دور كبير في ذلك، فعن طريقها يمكن للفقيه أن يتحصل على الإجازة كما يمكنه أن يستفيد منها دون عناء السّفر وذلك بالمكاتبة أو المشافهة.

لا يمكن أن نحصي كل فقهاء الأندلس الذين تحصلوا على إجازات من نظرائهم بالمغرب الأوسط، ولا بأس بذكر البعض منهم: كإجازة الداودي للفقيه أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس(ت.402هـ-1012م) كتبها إليه بتواليفه.[5] وأشار ابن خير الإشبيلي في فهرسته أيضا أنّه تحصل على إجازة لكتاب "**مسند الإمام بن حنبل**" في مائة جزء وسبعة وعشرين جزءًا،[6] ضمن أسانيده فقيه من المغرب الأوسط، وهذا الكتاب حدثه به أبو محمد بن

---

[1] - المصدر السابق، ج. 1، ص.3- 4 .

[2] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س. 8، ق.1، ص.323، وانظر: الملحق رقم (24).

[3] - القاضي عياض، **الغنية**، ص. 106.

[4] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 148- 149.

[5] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.308؛ القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.111.

[6]- هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله الشيباني المروزي البغدادي، الإمام الفقيه، والمحدث، صاحب المذهب الحنبلي(ت.241هـ-855م)، (انظر: ابن خير، المصدر السابق، ص.116؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.40؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.48).

عتاب إجازة عن أبي عمر بن عبد البر إجازة عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الوهراني، مناولة وأجازه له عن أبي بكر أحمد بن جعفر عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه.[1] وتحصل ابن خير الإشبيلي على إجازات من فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ذكر عددا منها ضمن برنامجه، وتتعلق غالبيتها بكتب الحديث.

وقد أشار القاضي عياض في فهرسته إلى الإجازات التي تحصل عليها عن طريق فقهاء المغرب الأوسط عن كتب مختلفة. فقد سمع وقرأ عنهم، وما فاته بعضه أجازوا له الكل وغالبيتها في كتب الحديث منها:"**الموطأ**" حدثه به أبو الفضل التاهرتي. وذكر ابن عبد البر أن أبا الفضل حدثه به عن أبي عبد الملك محمد بن أبي دليم ووهب بن مسرة كلاهما عن ابن وضاح. وكتاب"**مسند الصحيح المختصر من أثار الرسول** صلى الله عليه وسلم " للبخاري، وكتاب"**المسند الصحيح المختصر من السنن**" لأبي الحسن مسلم النيسبوري، وكتاب"**مصنف السنن**" لأبي داود سليمان بن الأشعت السجستاني، وكتاب"**شرح غريب الحديث**" لأبي عبيد القاسم بن سلام، و"**كتاب إصلاح الغلط على أبي عبيد**" تأليف أبي محمد بن قتيبة و"**كتاب غريب الحديث**" لأبي سليمان أحمد ابن محمد السبتي الخطابي، و كتاب "**علوم الحديث**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، و"**كتاب الطبقات**" لمسلم بن الحجاج، و"**كتاب الضعفاء والمتروكين**" و"**كتاب الطبقات**" لأبي عبد الرحمن النسائي، وكتاب "**المدونة**"، و"**الملخص لمسند الموطأ**" لأبي الحسن القابسي، و"**التقصي لمسند الموطأ**" لأبي عمر بن عبد البر، و"**مسند الموطأ**" لأبي القاسم الجوهري، و"**الرسالة**" لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني،[2] كل هذه الكتب بسند أبي عبد الله بن عيسى التاهرتي. وسمع كتاب "**أدب الكاتب**" لابن قتيبة عن أبي عبد الله بن عيسى التاهرتي إجازة.

ونقل ابن الزبير عن خط الفقيه علي الترشكي البوني (حي سنة 536هـ-1142م) أثناء رحلته إلى مدينة المنكب بالأندلس مناولته لتلاميذه عدّة كتب، تحصلوا على إجازات من خلالها، وهو ممّن روى عنه القاضي أبو القاسم بن سمجون[3] والذي تناول عنه "**شرح التلقين**" للمازري.[4] ومن دانية[1] (Denia) روى الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسن الأموي

---

[1] – ابن الخير، المصدر السابق، ص. 116-117.

[2] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.30-44.

[3] – اختلف في ذكر اسمه بين: التُّرْجُقِي والترشكي والأرجقي، ويبدو حسب بن شريفة أن هذا الاختلاف هو تصحيف إلى مدينة برشك الواقعة على الساحل، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.246؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.160، 553؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق. 4، ص.156؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.51).

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.246.

مولاهم بن غلام الفرس(ت.547هـ-1152م) عن أبي محمد عبد الله المقَّري ببجاية بعد سنة 528هـ-1134م.[2] وأخذ عن أبي يزيد الحسن الفضل خطيب مدينة آمل وعن أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طحان المقدادي وعن أبي العباس أحمد بن عمر بن علي الينبعاني، أخذ عنهم بين سماع وقراءة، وأجازوا له إلا (أبا يزيد وأبا العباس)، وبعدما تحصل على علم وفير عاد إلى الأندلس، فأصبح النّاس ترحل إليه من كل حدب وصوب للسّماع منه، والقراءة عليه لعلو روايته واشتهارها[3].

واشتهر الفقيه أبو الحسن شريح بن محمد وأبو العباس بن عيشون وأبو بكر بن العربي وأبو العباس بن حرب المسيلي بالأندلس، تحصل على يدهم عدد من طلاب العلم والفقهاء على إجازات. فقد أخذ الفقيه أبو الحسن نجبة بن يحي الرعيني الإشبيلي علم القراءات عن أبي العباس بن حرب اللخمي المسيلي(حي سنة 539هـ-1145م)، وفي سنة 525هـ-1131م تحصل على إجازة له ولابنه يحي من أبي بكر عتيق بن محمد الردائي وهو آخر من حدث عنه، وهو من أصحاب ابن النفيس.[4]

ومنح المقرئ الفقيه أبو العباس بن حرب المسيلي إجازات لبعض فقهاء المغرب والأندلس من بينهم: الفقيه أبو الحجاج يوسف بن غصن التجيبي (ت.598هـ-1202م) من أهل اشبيلية[5] فقد أخذ القراءات عنه وعن أبي الحسن بن شريح وأبي العباس بن عيشونوهؤلاء أجازوا له. وأصبح النّاس يرحلون إلى ابن حرب المسيلي ويأخذون عنه لانفراده بعلو الإسناد.[6] وقد كتب بخطه إجازة لأبي عمر بن حوط الله [7]. وتحصل أبو الحسن علي ابن محمد الرعيني الاشبيلي(ت.666هـ-1268م) على إجازات عامة أكثر من مرة من الفقيه أبي زكريا يحي بن أحمد بن سليمان بن مرزوق الجذامي، من أهل حصن القصر، فقرأ عليه بالحروف السّبع من كتاب"**التقريب في القراءات السبع**" لابن حرب المسيلي، ثم أتم قراءته كاملا، وقد حدثه به عن المسيلي قراءة منه عليه. وقد صنف المحدث أحمد بن محمد

---

[1] – هي مدينة أندلسية من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا، وكانت قاعدة مملكة(أبو جيش) أبي مجاهد العامري، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.2، ص.434).

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.11، **المعجم**، ص.164-165؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.165؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.109.

[3] – نفس المصدر، ص.10؛ السلفي، **أخبار وتراجم أندلسية**، ص.113؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.164 وما بعدها.

[4] – نفس المصدر،ج. 2، ص.219؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.3، ص. 95.

[5] – نفس المصدر، ج. 4، ص.217؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.284.

[6] – الذهبي، **معرفة القراء**، ج.3، ص.1105؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.344.

[7] – نفسه.

ابن مفرج النباتي الظاهري كتاب المسيلي "بالإتقان"، إذ أنّه قرأ السّبع عليه وعلى أبي مدين شعيب ابن محمد بن عدي الأشجعي[1].

وحفظت لنا بعض المخطوطات معلومات إجازات تحصل عليها فقهاء الأندلس من نظرائهم بالمغرب الأوسط، مثل رواية الفقيه الإمام الحافظ العلامة ذي النسبين بن دحية المعروف بابن جميل(ت. قبل 640هـ-1243م) وبأبي الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي، عن الفقيه ابن قرقول، قراءة منه عليه وبعضه إجازة. وقد كتبت الإجازة على نسخة الكتاب. [2] وأخذ الفقيه أبو جعفر محمد بن محمود الهمداني كتاب "**مطالع الأنوار**" عن مؤلفه ابن قرقول الحمزي سماعا من لفظه لمعظمه، وإجازة لسائره مع جميع رواياته وتواليفه.[3] ومنح عبد الحق التلمساني إجازات ذكرها الغبريني.[4]

وتحصل ابن الجزري على إجازة عن كتاب"**الكامل في القراءات**"لأبي القاسم بن جبارة عن طريق أبي عبد الله بن النحاس المقرئ وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن حاتم الإسكندري، قراءة منه عليهما بالجامع الأموي، وأُخبر أبو إسحاق بكتاب "**الكامل**" عن أبي حفص عمر ابن غدير الدمشقي مشافهة عن شيخه تلاوة وسماعا، وعن أبي العز ابن بندار عن ابن جبارة. وعن أبي محمد القاسم بن المظفر بن عساكر قراءة عليه من سورة سبأ إلى آخر الكتاب وإجازة لباقيه مع سماع ابن الجزري، وأخبره به أيضا جماعة من أصحاب أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار سماعا لبعضهم وإجازة للآخريين.[5]

ومن فقهاء القلعة أجاز أبو القاسم عبد الجليل الربعي القيرواني البجائي للفقيه يوسف بن عيسى المشهور بابن ملجوم الفاسي الأزدي (ت.492هـ-1099م) في ذي القعدة 487هـ-1094م[6]. وروى الفقيه أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن سمجون(ت.608هـ-1212م) غرناطي عن الفقيهين القلعيين ابن الترشكي البجائي وابن الرمامة، فقد التقى بهما بالقلعة وتحصل منهما على الإجازة بالقراءة والسّماع[7].

---

[1] – هكذا كناه النباتي، (انظر: الرعيني، **البرنامج**، ص. 22).

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.550؛ الغبريني، **الدراية** (ط. الجزائر)، ص.124-125.

[3] – يوجد تقييد في حاشية المخطوط جاء فيه:"على الأصل المنقول منه هذه النسخة هذه الإجازة سماعا وإجازة[ ] العلامة الحافظ أبو الخطاب عرف بابن دحية رحمه الله، (انظر: **السفر الأول من كتاب مطالع الأنوار**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم فاضل أحمد باشا 450، ورقة 1، وانظر أيضا: الملحق (23).

[4] – **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.117-119. وانظر أيضا: الملحق (25) و(26) 1.

[5] – ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، أشرف على تص. ومرا. علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت، ج.1، ص.92.

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.225؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س. 8، ق.2، ص.430؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.549.

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.271-272؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.13، ص.187-188.

وذكرت كتب المشيخة إجازات تحصل عليها الفقهاء على رواية تآليف عبد الجليل الديباجي البجائي، من أشهرهم الفقيه أبي بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي (ت.575هـ-1180م) ذكر ذلك في فهرسته في باب "جامع يفيدك اتساع الرّواية من جهة الإجازة" عن الفقيه أبو الحسن عبد الملك القيسي عن القاضي الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن شبرين عن الديباجي، وابن شبرين شيخ هذا الأخير في علم الأصول.[1] وكتب بالإجازة ابن شبرين للقاضي عياض يجيزه جميع روايته وجميع تصانيف عبد الجليل.[2] وأخذ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري (ت.834هـ-1431م) كل تآليف الديباجي من طريق سند القاضي عياض عن شيخه ابن شبرين.[3] ولأهمية كتب أبو القاسم عبد الرحمـن الوهراني تداولها الفقهاء ووصلت إلى المنتوري إجازة حدّثه بها أبو عبد الله القيطاجي عن شيوخه عن أبي عبد الله الطليطلي عنه[4]، وقيل عنه:" لم يكن فيمن أدركنا أوثق منه ولا أروع ولا أحسن تمسكا منه بالسنة.[5]

3-إجازات المشارقة والمغاربة لفقهاء المغرب الأوسط

حدّث الفقيه أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني عن الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد السلمي (ت.570هـ-1175م)[6] نزيل مدينة تلمسان، فقد سمع منه مصنفاته وأجازها له عقب ذي الحجة سنة 557هـ-1162م[7]، وحدث عبد الحق أيضا عن أبي الحسن جابر بن محمد الأنصاري بتلمسان[8]، ذكر ذلك الصدفي بقوله أنّه:" وقّفَهُ على أصله من كتاب **مسلم**"، وعليه خطه بالسّماع أي الصدفي، وقد منحه إجازة عامة، وأجاز ابن الأبار بذلك وكتبها له على كتاب"**برنامج**" أبي علي الصدفي.[9] وروى أبو محمد بن محمد الأشيري عن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الرعيني الأندلسي، ذكره ابن نفطة في كتابه نقل ابن الأبار ذلك[10].

---

[1] – ابن خير، المصدر السابق، ص. 392.

[2] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.75.

[3] – المنتوري، المصدر السابق، ص.268.

[4] – المصدر السابق، ص.232.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.219.

[6] – وهو من مدينة لقنت، وهي حصنان من أعمال لاردة بالأندلس، لقنت الكبرى ولقنت الصغرى وهما متقابلتان، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.5، ص.21).

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.24؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.39.

[8] – نفس المصدر، ج.1، ص.199، **المعجم**، ص.72.

[9] – ابن الأبار، **المعجم**، ص.72.

[10] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.8؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.384.

وقد وقف ابن الأبار على إجازة الفقيه أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز بن محمد بن رشد القيسي (ت.544هـ-1149م) المشهور بالجِقِلَّة من أهل قرطبة، وكان قد منحها للفقيه أبي عمران موسى بن الحجاج الأشيري في ذي الحجة سنة 538هـ-1144م، واستفاد من إجازة الأشيري ابن الأبار فقد نقل منها شيوخ أبي الوليد لكنه لم يجد اسم شيخه أبي علي الصدفي ضمنهم.[1]

ومن الفقهاء من اختار إحدى مدن المغرب الأوسط للعيش فيها، فالفقيه أبو حفص عمر ابن عبيد الله زاهر الأندلسي(ت.بعد 440هـ-1048م) استقر بمدينة بونة، وروى عن الفقيه أبي عمران الفاسي،[2] ذكره الفقيه أبي عبد الملك البوني في مشيخته، وهم شيوخه الذين التقى بهم في المشرق وأثنوا عليه،[3] وتفقه أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي بمدينة المرية على ابن مرابط وتحصل على إجازة الدلائي له سنة 480هـ-1087م.[4]

وتفقه أبو عبد الملك البوني[5] عن أبي الحسن القابسي وأبي جعفر الداودي، فلازم هذا الأخير خمس سنوات، وأخذ عنه جل روايته وتآليفه، وحضر المجالس عند أهل العلم مع أبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي،[6] وقرأ هذا الأخير عليه بعضا من كتاب "**تفسير في الموطأ**"، فأجازه جميعه وكل ما رواه، ومنحه بمدينة طليطلة إجازة أخرى عن الكتاب بعد تنقيحه بإضافة بعض الزيادات.[7] وروى عنه أيضا أبو عمر بن الحذاء، عند رحلته إلى مدينة بونة، وأجاز له كتابه في "**شرح الموطأ**" مناولة،[8] واستفاد من البوني من جاء بعده، ابن خير الإشبيلي مثلا حدثه الفقيه أبو محمد بن عتاب وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث عن القاضي أبي عمر أحمد بن الحذاء،[9] بتآليف البوني، وقال ابن عتاب:" ولي فيه زيادات واختصارات والحمد لله".[10] وحدث المنتوري الراوي أبو زكريا بن السّراج بكل تآليف البوني،[11]

---

[1] - نفس المصدر، ج.4، ص.208.

[2] - واستوطن القيروان فتحصل على رئاسة العلم بها، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.243؛ عبد الهادي حميتو، "حياة أبي عمران الفاسي ومناقبه"، **ضمن كتاب أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي**، ضمن بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبي عمران الفاسي، الخميس 4 جمادي الأولى 1430هـ الموافق 30 أبريل 2009م، الرباط ص.25).

[3] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.398.

[4] - القاضي عياض، **الغنية**، ص.27.

[5] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.616-617؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.76، 392؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.259؛ الضبي، المصدر السابق، ص.402؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2 ص.339؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.274؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.844؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.259؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.52؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.427؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.25، ص.234-235؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.203.

[6] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.616؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.274. رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.844.

[7] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.616

[8] - نفسه.

[9] - ابن خير، المصدر السابق، ص.392.

[10] - نفس المصدر، ص.76.

[11] - المنتوري، المصدر السابق، ص.259.

وروى غير هؤلاء كتابه "**مختصر في شرح الموطأ**" الذي اشتهر به[1]، وقال عنه القاضي عياض:" كان من الفقهاء المتفننين، وألف في شرح الموطأ كتابا مشهورا حسنا رواه عنه النّاس". [2]

روى الفقيه علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني(ت.569هـ-1174م)[3] المشهور بابن حنين، قرطبي المنشأ طليطلي الأصل، عن أبي بكر عتيق بن محمد الردائي بقلعة بني حماد لمّا كان متوجها إلى المشرق لأداء فريضة الحج في السنوات الأولى من المائة الخامسة،[4] وعن أبي البحر الأسدي نزيل بجاية وتلمسان مصنفاته قبل عودته إلى فاس في سنة 503هـ-1110م التي بقي فيها ستة وستين سنة إلى أن توفي بها. وروى عنه عبد الحق التلمساني، والذي يبدو أنّه التقى به هناك، وكتب إليه من فاس مجيزا له سنة 565هـ-1070م، وسمع كتاب"**الموطأ**" من أبي عبد الله بن طلاع، وهو آخر من حدّث عنه، وقرأ عليه كتاب "**شهاب**" للقضاعي، ويبدو أنّها الكتب التي أجازها لابن عبد الحق التلمساني.[5]

لقد استفاد المغرب الأوسط من رواية الوافدين إليه، التي تحصل من خلالها فقهاؤه على إجازات، وكان معظمها في كتب الحديث والقراءات. وقد ذُكر ذلك في كتب الفهارس والبرامج والمشيخات، والدليل على ذلك نصوص الإجازات التي قيّدت على نسخ المخطوطة.[6]

خامسا: المناظرات

كان فقهاء مالكية المغرب الأوسط يعقدون مناظرات فيما بينهم، وبينهم وبين غيرهم من المغاربة والمشارقة، ممّن حطوا الرّحال به أثناء مرورهم منه إلى إفريقية أو إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أو في حواضر المدن المجاورة أو بالأندلس، ومنها ما كان في المساجد والأخرى في بلاط الأمراء، وكانت متعددة المجالات في علم الحديث والفقه والأصلين واللغة، وكانت أكثرها في كتاب"**الموطأ**" بالتدقيق في معانيه وغرائبه،[7] وكتاب"**المدونة**" لسحنون بن

[1] – وذكر محمد السليماني أنه مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، وقد وصلت إليه نسخة منه ناقصة في أوّلها وآخرها، (انظر: ابن العربي، **القبس**، ج.1، ص.331، و(انظر أيضا: محمد العلمي، **الدليل**، **هـ.2 نقلا عن** ص.203).

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.259.

[3] – لقد اختلف في وفاته بين سنة 569هـ -1174م وسنة 564هـ-1167م، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.210؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150).

[4] – نفسه؛ ابن عبد الملك، نفس المصدر، س.5، ص.151؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.108).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.210؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.152؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.108.

[6] – انظر: الملحق رقم(23).

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.149.

سعيد، وفي كتاب"**التهذيب**" للبرادعي،[1] وفي كتاب "**التقريب**" لأبي القاسم خلف بن بهلول (ت.444هـ-1052م) وهو شرح للمدونة وتناظر في مسائله الطلبة أيضا،[2] وفي اللغة كانت المناظرات في كتاب"**سيبويه**"،[3]وفي الأصول في كتاب"**المستصفى**" للغزالي،[4] وفي كتب الرأي أيضا.[5]

وخص الأمير العزيز بن المنصور الحمادي(498-515هـ/1105-1121م) مجلسا في بلاطه للمناظرة بين العلماء، وكان ذلك قبل ظهور المهدي ابن تومرت ببجاية. ولما ظهر بها بدأ ينشر دعوته زاعما أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر،[6] ما أغضب الأمير العزيز فأمر بإحضاره للمناظرة مع الطلبة بسبب تجاوزه و"جرأته على الملوك".[7] واختلفت النصوص المصدرية بين مجيئه وامتناعه، فابن خلدون ذكر أنّه منع من الحضور دون تفصيل،[8] بينما ابن القطان ذكر أنّه لولا تلطف الفقيه عمر بن فلفول[9] كاتب الدولة في إقناعه بالترغيب والتضرع حتى وافق على الحضور، "فناظروه وسألوه، فأجابهم ما أسكتهم، ثم سألهم فما أحاروا جوابا"، لكن ابن فلفول لاطفه ثانية على أن يترك ما يدعو إليه. [10]

ومن الفقهاء المشاورين والمتقنين للمناظرات أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي(ت.431هـ-1040م)، [11] فقد نوظر عليه في المسائل الفقهية وكان لا يحسن سواها من العلوم.[12] وذكر القاضي عياض أنّه كان"عفيفا متواضعا حافظا للمسائل، واقفا

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.234؛ عبد الله الترغي، **درس تهذيب المدونة**، ص.285.

[2] – يبدو أن هناك اختلاف في نسخة المدارك والمختصر فيمن "أخذ عليه أوهام في النقل" هل هو القاضي عياض أم ابن أبي زمنين؟، لأن في المختصر جاءت الجملة"عول فيه على نقل ابن أبي زمنين في لفظ المدونة وأخذ عليه فيه أوهام في النقل"، (انظر: **المدارك**، ج.8، ص.164؛ ابن حمادة، المصدر السابق، و.106).

[3] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.71.

[4] – نفس المصدر، س.8، ص.154.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.21؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.391.

[6] – ابن قطان، المصدر السابق، ص.93-94؛ عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت(أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، 524هـ-1129م)**، حياته وآراؤه، وثورته الفكرية والاجتماعية، وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ- 1982م، ص.89؛ بولطيف لخضر، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر، لبنان، 2009م، ص.89.

[7] – ابن قطان، المصدر السابق، ص.93.

[8] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.235.

[9] – هو أبو حفص عمر بن فلفول من كتاب الدولة الحمادية، بالتحديد يحي بن العزيز(515-547هـ/1121-1152م)، مخلص له وصاحب سره، شاعرا بليغا ذكره ابن بشروه في الخريدة، (انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص.93-94؛ الأصفهاني، **الخريدة**، ق.1، ص.179؛ ميخائيل أماري، **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، ليبسك، نشرته دار صادر، بيروت، 1857م ، ص.599).

[10] – نفس المصدر، ص.94.

[11] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8 ، ص.173-174؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج. 1، ص.298؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[12] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ج.1، ص.146؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

على الأصول".[1] ويظهر أن الفقيه جمع بين المناظرة وعلم الأصول والفتاوى، ولا يتأتى ذلك إلا لمن يحسن الجدل بامتلاكه للقواعد الأصولية التي يعتمد عليها وتمكنه من إتقان أسلوب المناظرة،[2] وقد ولاه سليمان بن الحكم (399-407هـ/1009-1017م) الشورى بقرطبة، وقال عنه ابن بشكوال إنّه كان:"حسن التفقه وقد نوظر عليه في المسائل". [3]

وتولى سعيد بن منازل (ت.445هـ-1053م) قضاء بجاية سنة 438هـ-1047م واعتنى بالمناظرة في مجالسه فكان ولا شغل له إلا بها وبالدرس. ولحسن مكانته عند أهل المنطقة وحبهم له لقبوه أنه: "هو وأحمد بن واضح فقيهي بجاية".[4] وكان ابن واضح هذا من الفقهاء المشاورين في بجاية، تفقه عن فضل بن سلمة. فقد كان من المبصرين بالمناظرة في المسائل الفقهية ومتقنا حفظها إذ "لا شغل له إلا الدرس والمناظرة ابن الشقاق في بلده"، وروي عنه أنه إذا ابتعد عن بجاية لحضور المجالس العلمية بالقيروان، كان لا يصبر على فراقها وذاكرته تبقى بها.[5]

وكان الفقيهان أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله السبتي المسيلـي من شيوخ القـاضي عياض وأكثر الملازمين لـه ولغيره للمنـاظرة في كتـابي "**المدونة**" و"**الموطأ**"، وقد سمع منهمـا جميع مصنفـاتهم، وأكثر من القراءة والسمـاع على أبـي عبد الله التـاهرتي ، وأجـازه جميع مروياته.[6] لكن المصـادر لم تشر إلى المسـائل أو طريقة المنـاظرة فيها، ومن المؤكد أنه بعدمـا تم التحصيل العلمـي للقاضي عياض جلس للمناظرة.

وثبت عن الفقيه عتيق بن علي بن قنترال (ت.561هـ-1166م) أنّه روى عن الفقيهين أبي محمد عبد المنعم بن عشير وأبي يوسف بن حجاج سكاتة الجزائري عند مروره بجزاير بني مزغناي لأداء فريضة الحج، وقرأ عليهما، وناظر عند ابن حجاج،[7] وأغفل بن عبد الملك ذكر موضوع المناظرة.

---

[1] - **المدارك**، ج.7، ص.271.

[2] - نفسه؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.146؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.220؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

[3] - ابن بشكوال، نفس المصدر ؛ ابن الأبار، نفس المصدر ؛ عادل نويهض، **أعلام**.

[4] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.155.

[5] - نفس المصدر، ج.6، ص.156.

[6] - القاضي عياض، **الغنية**، ص.28، 58.

[7] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.121- 122؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.99، 105؛ الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج.2، ص.973.

وكان الفقيه أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الفِرداوي(ت.568هـ-1173م) من كبار علماء ورؤساء بجاية، تقلد خطة القضاء بها وبمدينة مرسيه، وكانت له مجالس علمية بمدينة تلمسان وببلنسية في علم الأصول وغيره من العلوم، فانتفع به وناظر أهل المدينتين بعلمه حتى وصفه أهل بلنسية "بثقوب الأذهان وجودة القرائح".[1] وأغفلت المصادر التي ترجمت لأبي تميم وصف مناظراته التي ضمتها مجالسه في العدوتين الأندلسية والمغربية.

ومن الأندلسيين الذين دخلوا المغرب الأوسط وكانت لهم به مناظرات الفقيه أبو بكر بن العربي ووالده حطوا الرّحال في البداية ببجاية قاصدين المشرق. واختلفت المصادر في سبب الرّحلة، ولقي ابن العربي الفقيه القاسم بن عبد الرحمن بالقلعة حيث دعاه إلى داره، وتبادلا الحديث إلى أن وصلوا عند حديث جُرَيح، وكانت لهم فيه مناظرة شملت علم الحديث واللغة معًا وكان نصها:" قال ابن العربي للقاسم بن جمال سمعت التنوخي[2] شيخ العربية عندنا يقول: ليس في كلام العرب اسم فيه فاءُ الفعل حرفًا وعين الفعل حرفًا واحدًا إلاّ قوله في هذا الحديث: يا بابوس[3] فقال له على البديهة: وأين هو من دَدٍ، فأعجبني استدراكه في بلده وهو فتى، على شيخ بلدي في معرفته وسنّه. وكان ذلك ممّا رغبني في تحصيل العربيّة وضبط غريب الحديث". ولم ينته المجلس بالمناظرة فقط[4] بل قرأ فيه كتاب "**السنن**" لأبي داود برواية التمار.[5]

وناظر ابن العربي بمصر الشيعة والقدرية، وحضر مجالس غيره في المناظرة، وتمرس على فقهائها[6]. وفي بيت المقدس دخل مدارس الحنفية والشافعية وحضر بعض مناظراتهم في المسائل الفقهية بغية الاستفادة منها في أساليب الجدل[7]. ومن مميزات ابن العربي أنه لا يبرح مجلسا كانت فيه مناظرة حتى يستوعبها ويفهمها ويرى ترجيحا فيها، فلما اشتد ساعده

[1] – ابن الأبار، **التكملة**. ج.2، ص.197؛ الذهبي، المس**تملح**، ص.175، عادل نويهض، **أعلام**، ص.253.

[2] – هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن مهدي التنوخي، يعرف بابن الأخضر، أصله من إشبيلية، عارفا باللغة والآداب حافظا لهما، مقدما ومتقنا في معرفتهما توفي سنة 514هـ-1120م، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.424؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.174).

[3] – يقصد به قصة جريج الراهب التي رواها أبو هريرة وهي: أن امرأة اتهمت الراهب بأنه والد الطفل الذي وضعته، فجيء بمهد الصبي فخاطبه جريج قائلا: يا بابوس من أبوك؟ ففتح الصبي حلقه وقال فلان الراعي. والبابوس سهو الصبي الرضيع، (انظر: رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب "إذا الأم ولدها في الصلاة" ، رقم الحديث 1206، المصدر السابق، ص.291)

[4] – ابن العربي، **ترتيب الرحلة**، ص.195- 196.

[5] – ويقصد به كتاب "**السنن**" لأبي داود، ورواها عنه ثمانية أحدهم التمار، وهو محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بابن داسة، (انظر: ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.82؛ ابن خير، المصدر السابق، ص. 103).

[6] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.433.

[7] – نفس المصدر، ص.433، 436.

صار يخوض المناظرات مع فرق غير سنية ويقول:"وكنا نفاوض الكرّاميّة والمعتزلة والمشبِّهة واليهود... وخاصمنا النصارى..."[1].

وناظر الفقيه أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي البجائي المشهور بالخدب(ت.580هـ-1184م) كبار النحاة في مسائل من كتاب "**سيبويه**" بالأندلس، الفقيه محمد بن أحمد اللخمي الإشبيلي نزيل سبتة، الذي "استظهر عليه كل ما خلفه فيه بالنصوص الجلية والآراء المؤيدة بالحجج الواضحة،[2] فاشتد غضب الخدب ممّا كان من المناظرة، وبعث ابن هشام ضيافة بارًا به وقياما بحقه، لكنه لم يقبلها. وتعتبر هذه التصرفات من جفاء خلق ابن الخدب، والجفاء منسوب إلى أهل المغرب.[3] وبمصر ناظر أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار أكبر نحاتها ومرجعهم في علم العربية. فاستنكف أبو محمد من الإجابة خشية من أن يتعصب للمصريين وأن ويتعصب المغاربة لأبي بكر، وخوفا من أن تقع الفتنة بينهما وهذا ممّا لا يليق بأصحاب العلم.[4] وناظر بدمشق أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي كبير النحاة بها. وحكم الحاضرون فيها على أنّ الخدب أعرف منه بالكتاب وأنّ أبا اليمن أنبه نفسا.[5] ويبدو أن غضب وجفاء الخدب له أسبابه، فهم أنقصوا من قدراته العلمية التي بذل فيها جهدا كبيرا حتى أصبح "رئيس النحويين في زمانه بلا مدافعة"، وأفهم أغراض سيبويه وأحسنهم قياما على كتابه، وأنبلهم إشارة إلى ما تضمنه من الفوائد، وهو ممن أقسم أن يصل إلى مدينة البصرة حيث المكان الذي أُلف فيه كتاب"**سيبويه**" بل الوصول إلى الجامع الذي كان الكتاب متداولا به، فيحصل له قراءته هناك.[6]

ونص ابن حزم في فضائل الأندلس عن مراسلات كانت بين فقهاء المغرب الأوسط منها: رسالة أبي علي الحسن بن الربيب التاهرتي إلى أبي مغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن حزم (ابن عم الفقيه) يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم.[7] ولما وصلت الرسالة إلى الوزير الحافظ أبي محمد علي بن أحمد

---

[1] – نفس المصدر، ص.437.

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5 ، ص.70-71،650.

[3] – وُصف الخدب بأنه شرس الخلق عسر اللقاء، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص، 71،649).

[4] – نفس المصدر، س.5، ص. 648.

[5] – نفس المصدر، س.5، ص.650.

[6] – نفس المصدر، س.6، ص.648 وما بعدها.

[7] – **الرسائل**، ج.2، ص.35؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.3، ص.156- 179؛ جعفر ماجد، "العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان"، **الحولية التونسية**، 1976م، ع.13، ص.103 وما بعدها.

ابن حزم واطلع عليها كتب إلى صديقه الوزير أبي بكر محمد بن إسحاق المهلبي رسالة مطولة، أنكر فيها خطاب ابن الربيب مستشهدا بوقائع بيّنها له.[1]

وذكر ابن بسام رد ابن المغيرة لابن الربيب، وحذف منه أكثر فصولها قصد به الاقتصار،[2] وخاطبه بجمل تفيد تقبله لرسالته ظاهريا منها: "...فوقفت على الصحيفة التي ظاهرها دِيباجٌ مرقوم، وباطنها لؤلؤٌ منظوم، ووشييٌ مَحُوك، وذهب مسبوك، فرأيت صوَرَ الأدب الباهرة المرأى، والعين شاهدةً، لك بأذْلق لسان وأصدق بيان، أنك أبو عُذْريتها ومالك جملتها، ...فسألت سؤال العالم وبحثت بحت اليقظان المتغافل...وادعَّيت الحيرة أنت أهدى في تلك الفَلاَ، من فارط القطا، لتعلم أين المخطئُ والمصيبُ وكيف الجواب والله يوفق من المراجعة لما يرضيك...".[3]

ولابن الربيب أيضا رد على أبي الحسن علي بن مروان الزناتي الكاتب،[4] الذي أنشد عن بعض المغاربة قائلا:

أُنْسُ أخي الفضل كتاب أنيقٌ أو صاحب يعنى بوُد وثيق

فإن تعِزْه دون رَهن به تخسره أو تخسر وداد الصديـــق

وأجابه ابن الربيب بنثر منه: "مثلك يفيد تجربة قد نفق عليها عمر، وضل عن فوائدها غير غُمْر، وقد أنفدت رهنًا لا يسمح بإخراجه من اليد إلا ليدك...".[5]

ولما عزم ابن شرف الخروج من القيروان[6] جرت بينه وبين أبي الحسن بن رشيق مناظرة على أن يخرجا معا إلى الأندلس ذكرت نصها بعض المصادر منها:

أن ابن رشيق خاطبه بالبيتين:

ممّا يبغضني في أرض أندلـس سمـــاع مقتدر فيهـــا ومعتضـد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وردّ عليه ابن شرف:

إن ترمـــك الغربـــة في معشر قد جبل الطبــــع علـــى بغضهم

فدارهم مـــــا دمت في دارهم وأرضهم مـــــا دمت فـــي أرضهم[7]

---

[1] – نفس المصدر،ج.2، ص.36؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، ص.133؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.3، ص.158 وما بعدها.

[2] – **الذخيرة**، ق.2، ص.136 وما بعدها من عدة صفحات.

[3] – الرسالة في كتاب الذخيرة، (انظر: نفس المصدر، ق.2، ص.136).

[4] – نفس المصدر، ق.1، ص.133 وما بعدها.

[5] – نفسه؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.301-302.

[6] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، 131و ج.2، ص.604؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.19؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، ص.214.

[7] – ابن بسام، المصدر السابق، ق.4، ص.171-172؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.234؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.193.

كان ابن شرف أعور، فمر ذات يوم وبيده كتاب فقال له ابن رشيق:"ما في كتابك؟" قال :"الدريدية"، يقصد بقوله ابن دريد فيها:

والعبد لا يردعه إلا العصا (يشير إلى أنه مولى)

فقال له ابن رشيق:

أمّا أبي فرشيقٌ لست أنكره   قُلْ لِي أَبُوكَ وَصَوِّره من الخشب[1]

واستمرت مناظرات فقهاء مالكية القلعة بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، وأشار الغبريني إلى بعض أعلامها منهم: الفقيه أبو علي عمر بن عزون السلمي(ق.6هـ-12م)، المشاور والمفتي، انتصب للمشاورة والإفتاء هناك، ثم رحل إلى المشرق فقرأ به واكتسب مهارته هناك وفي مدينة بجاية اشتهر بعلمه وحظي عند أهلها، وقام بأبحاث في المذهب المالكي من خلال كتب أبي حنيفة، وبهذه الكتب وغيره قويت حججه وذاع صيته فجعل بعض فقهاء المشرق يطلبون مناظرته...[2].

وذكر الغبريني كيفية المناظرات في المسائل بالقلعة التي نوظر فيها، منها "مسألة خلافية" كانت بين طلبة علم في مجلس شيخهم، حيث تطرح "المسائل" فيرتضي أحد وَجْهيها فيبحث عليها إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم ثم يأخذ الطرف الآخر ويلزم أصحابه ما كان هو بناظر عليه فلا يزال إلى أن يظهر الرجحان في ذلك الطرف ويقع التسليم أيضًا"، وهذه الطريقة التي استعملها الشيخ تدل على حدة فكره وجودة نظره.[3]

---

[1] - ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.234.

[2] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.116؛ علوي مصطفى، "الحياة العلمية بالمغرب الأوسط(515-668هـ/1161- 1269م)"، **المقتطف مجلة دورية علمية ربع سنوية**، س.3، ع.6، أكتوبر 2011م- محرم 1433هـ، ص.3 وما بعدها.

[3] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.46.

نماذج من الكتب التي تحصل عليها الفقهاء من نظرائهم بالمغرب الأوسط

الفقيه	أصله	طريقة الحصول	عنوان الكتاب	الفقيه المأخوذ عنه	مصادره
موسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم التجيبي أبو هارون الوشقي(حي سنة 445هـ-1153م)	وشقة	السّماع	شرح الموطأ	أبو عبد الملك البوني	ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص.173-174؛ الذهبي، المستملح، ص. 168.
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت.463هـ-1071م)	الأندلس	السماع	الموطأ		القاضي عياض، الغنية، ص.30، 43
		السماع	الملخص لمسند الموطأ للقابسي		
		مناولة	مسند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في مائة جزء وتسعة وعشرين	أبو القاسم عبر الرحمن بن عبيد الله بن خالد الوهراني	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 117.
		الرواية	موطأ أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه	أبو الفضل أحمد بن قاسم التاهرتي البزاز	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 71.
		الرواية	صريح السنة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري	أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن محمد التميمي التاهرتي البزاز	الحميدي، البغية، ص. 172
		الرواية	فضائل الجهاد لأحمد بن قاسم التاهرتي		
أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني (ت.460هـ-1068م)	القيروان	الإجازة	العمدة	حسن بن رشيق(ت.456هـ-1064م)	الأصفهاني، الخريدة، ج.2، ص.173.

أبو القاسم حاتم بن محمد(510ه- 1116م)	الأندلس	المناولة	شرح الموطأ	مروان بن علي الأسدي القطان البوني	ابن بشكوال، الصلة، ج.2، ص. 616.
		القراءة	شهاب للقضاعي	محمد بن أبي الفرج الكناني المالكي الصقلي البجائي	القفطي، أنباه الرواة، ج.3، ص. 73.
أبو بكر ابن العربي(543هـ-1148م)	إشبيلية	القراءة	سنن أبي داود رواية التمار	القاسم بن عبد الرحمن	ابن العربي، ترتيب الرحلة، ص. 195-196.
القاضي عياض السبتي	سبتة	القراءة	كتاب علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله	الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي(ت.501هـ- 1107م)	القاضي عياض، الغنية، ص. 141-142
		الرواية	مشكل الحديث لابي بكر بن فورك		
		القراءة	الجمل لأبي القاسم إسحاق الزجاجي		
		القراءة	الواضح للزبيدي		
		القراءة	الكافي لأبي جعفر النحاس		
		القراءة	المقتضب للمبرد		
		القراءة	أدب الكتاب لابن قتيبة		
		القراءة	الإيضاح للفارسي		
		القراءة	فصيح الكلام لثعلب		
		القراءة	الأمالي لأبي علي القالي		
		السماع	الكامل للمبرد		

		قراءة	حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم- يقول الله تعالى للدنيا:" يادنيا اخدمي...."	الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي(ت. 501هـ-1107م)	القاضي عياض، الغنية، ص. 61، 142.
القاضي عياض السبتي(544هـ-1149م)	سبتة	السماع والقراءة ما فاته بعضه وإجازة لكله	الموطأ	أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي (ت.505هـ-1111م)	القاضي عياض، الغنية، ص.29وما بعدها من عدة صفحات.
		قراءة الكثير منها رواية وضبطا وإجازة لكله	المدونة		
		سماعا لبعضه إجازة لباقيه	مسند الموطأ لأبي القاسم الجوهري		
		السماع وقراءة بعضه وفاتته ورقات من أوله أجازة لكله	كتاب غريب الحديث لأبي سليمان		
		السماع والقراءة	كتاب علوم الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الحاكم النيسابوري		
		القراءة	شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام		
		القراءة	كتاب إصلاح الغلط على أبي عبيد تأليف أبي محمد ابن		

			قتيبة		
		القراءة	كتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج		
القاضي عياض السبتي	سبتة	القراءة	كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي عبد الرحمن النسائي.	أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي (ت.505هـ-1111م)	القاضي عياض، الغنية، ص.41.
		القراءة	كتاب الطبقات أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي (ت.505هـ- 1111م)	أبو عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي (ت.505هـ-1111م)	القاضي عياض، الغنية، ص.41، 86، 106.
		الحديث	كتاب النامي في شرح الموطأ	أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي	
		الحديث	تفسير الموطأ	أبو عبد الملك البوني	
		الإخبار	كتاب اللامع للأذري	أبو القاسم عبد الجليل الديباجي	
ابن خير الإشبيلي (ت.575هـ- 1179م)	إشبيلية	حدثه	كتاب تفسير الموطأ للداودي (النامي)	أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر	ابن خير الاشبيلي ، فهرسة، ص. 76.
				أبو محمد بن عتاب	
		قراءة ابن الخير عليه	التقريب في القراءات السبع	أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب اللخمي المسيلي	ابن خير الاشبيلي ، فهرسة، ص. 34.
		مشافهة وإذنا	تواليف أبي الحسن علي بن أبي طالب القروي العابر وغيرها وهي زهاء مائة تأليف	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف المعروف بالحمزي	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 393.
	أشبيلية	قراءة منه عليه	الأحاديث المسلسلات تخريج الشيخ أبي القاسم عبد العزيز	أبو مروان بن عبد الملك بن زيادة الله	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص.

	إشبيلية		بن بنذار ابن علي الشيرازي عن شيوخه	بن علي التميمي الطبني	.148
		الحديث	شرح موطأ البوني	أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 76.
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي درقة القحطاني(595هـ-1198م)	قرطبة	الحديث	الموطأ	أبو عبد الله بن الرمامة	ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص. 75؛ الذهبي، المستملح، ص. 92.
أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي(ت.603هـ-1206م)	جزيرة شقر	الرواية	كتاب سيبويه	أبو بكر بن طاهر الخدب	ابن الأبار الاشبيلي ، ج.3، ص. 163.
أبو عبد الله محمد بن عثمان بن سعيد الفاسي ابن تقميش(608هـ-1211م)	فاس	الرواية	مختصر الأحكام	أبو محمد عبد الحق الاشبيلي	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 162؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.8، ق.1، ص. 323.
أبو العز القلانسي (ق.6هـ- 12م)	لم يعثر عليها	تلا بالسبع	الكامل في القراءات	يوسف بن علي بن جبارة البسكري	الذهبي، معرفة القراء الكبار، مج2، ص. 819.
أحمد بن محمد بن مفرج النباتي(ق.6هـ- 12م)	لم يعثر عليها	القراءة	التقريب في القراءات السبع	أبو العباس بن حرب المسيلي	الرعيني، البرنامج، ص. 21.
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعي(ق.6هـ- 12م)	أندة	القراءة	تفسير الموطأ لأبي الحسن علي بن مروان	ولد أبي عبد الملك البوني	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 249.
أبو إسحاق إبراهيم بن يحي(ق.6هـ- 12م)	لم يعثر عليها	قراءة علية ومرة سماعا ونسخة ابن الخير من كتابه	كتاب الأمثال الكامنة في القرآن	أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني	ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص.67، 117.
أبو عمر أحمد بن محمد بن حذاء (ق.6هـ-12م)	لم يعثر عليها	الحديث	مسند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في مائة جزء وسعة وعشرين		

أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (ق.6هـ- 12م)	طرابلس	الحديث	مسند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في مائة جزء وسعة وعشرين		
أبو علي حسين بن محمد الغساني (ق.6هـ- 12م)	لم يعثر عليها	رواية	مصنف الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي وهو كتاب السنن	أبو مروان بن عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 97.
إبراهيم بن خلف أندلسي(ق.5-11م)	الأندلس	الحديث	موطأ الإمام مالك - رواية أبي مصعب الزهري - رواية عبد الله بن سلمة القعنبي - يحي بن يحي الليثي	أحمد بن نصر الداودي	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص. 115.
أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن يحي الغرناطي المعروف بابن السخان(ت.631هـ-1233م)	غرناطة	القراءة	الموطأ	أبو محمد عبد الحق البجائي الاشبيلي	الذهبي، المستملح، ص. 170؛ الرعيني، البرنامج، ص. 150.
			الأحكام الصغرى		الذهبي، المستملح، ص. 170؛ الرعيني، البرنامج، ص. 150.
أبو عبد الرحمن محمد بن جعفر بن أحمد المخزومي الشقري(632هـ-1234م)	شقر	السماع	كتاب التهجد وغيره	أبو محمد عبد الحق البجائي الاشبيلي	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 135؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.6، ص. 151؛ الذهبي، المستملح، ص. 137.
أبو زكريا يحي بن محمد بن خلف الهوزني الإشبيلي(ت.603هـ-1207م)	إشبيلية	قراءة	القرآن بالقراءات الثمانية	أبو الحسن علي بن حسين بن علي بن عبد الله بن فروخ التميمي البجائي(ت.ق6هـ-ق.12م)	ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص. 249.

نماذج من الكتب التي تحصل عليها فقهاء المغرب الأوسط من نظرائهم

الفقيه	أصله	طريق الإجازة	الكتاب	الفقيه المأخوذ عنه	مصادره
أبو مروان عبد الملك بن زياد الله بن علي التميمي الطبني(440هـ-1142م)	طبنة	قراءة وتصحيحا	كتاب نزهة القلوب وتفسير غريب القرآن لأبي محمد بن عزيز السجستاني	أبو عمرو عثمان بن أبي بكر السفاقسي	ابن خير الاشبيلي، فهرس، ص. 56.
		القراءة	الأحاديث المسلسلات	تخريج الشيخ أبي القاسم عبد العزيز بن بنذار بن علي الشيرازي عن شيوخه	ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص. 148.
أبو عبد الملك البوني(ق.5هـ- 11م)	مسيلة	الحديث	كتاب النامي في شرح الموطأ	أحمد بن نصر الداودي	القاضي عياض، الغنية، ص. 106.
أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي القروي يعرف بالديباجي حي سنة 478هـ-1085م)	قلعة بي حماد	الحديث	كتاب التلخيص لأبي المعالي الجويني	أبو عبد الله خليفة	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص. 133؛ الذهبي، المستملح، 288. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص. 387.
		القراءة	كتب المعري	المعري لقية سنة 423هـ-1032م	
أبو محمد عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري المعروف بالزواوي(حي 505هـ-1111م)	زواوة	السماع	التلخيص	أبو عمرو الداني	ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص. 250؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.4، ص. 223.
أبو الفضل يوسف بن محمد القيرواني ابن بالنحوي(ت.513هـ-1119م)	قلعة بني حماد	الرواية	صحيح البخاري	أبي عبد الله المازري	الذهبي، المستملح، ص. 427.
				أبو الحسن اللخمي	
عبد الله بن محد الأنصاري الأوسي البجائي التامغلي (حي 513هـ-1119م)	بجاية	الرواية	الموطأ	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حيوس	ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص. 304؛ عادل نويهض، المستدرك، ص. 363
عبد الملك بن عبد الله ابن داود الحمزي (ت.527هـ-1132م)	حمزة	السماع	سنن أبي داود	أبو القاسم الدمشقي	الحموي، البلدان، ج. 2، ص. 302؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج.2، ص. 422 وما بعدها.
أبو عبد الله بن رمامة(حي 532هـ-1137م)	قلعة بني حماد	السماع	الحديث	أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التوزري يعرف بابن عزرة	ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص. 161؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.8، ق.1، ص. 214-215.

أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن حبيب اللخمي(ت. بعد537هـ-1142م)	جزائر بني مزغنة	الإملاء	الأمالي الأدبية	علي بن محمد الأشوني	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.188؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.5، ص.121- 122؛ نويهض، ص. 105.
أبو الطيب أحمد بم الحسين بن محمد المهدوي المسيلي(538هـ-1143م)	مسيلة	القراءة	كتب أبي المعالي	أبو عمر أحمد بن مروان المالكي	ابن دحية، المطرب، ص. 41.
أبو محمدعبد الله بن محمد الأشيري (ت.561هـ-1195م)	أشير	القراءة	الإيضاح في شرح معاني الصحاح لابن هبيرة	عون الدين أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة	ابن عساكر، تاريخ بغداد، ج. 32، ص. 234-235، الحموي، البلدان، ج.1، ص. 203؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 304-305.
إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله بن باديس ابن القائد الوهراني ابن قرقول واشتهر بالحمزي(ت.569هـ-1173م)	حمزة	السماع	ديوان شعر	إبراهيم بن خفاجة	ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص. 89.
عبد الحق الاشبيلي البجائي(582هـ-1186م)	بجاية	السماع	الأحكام الكبرى	أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله يعرف بابن الشيخ	ابن الأبار، التكملة، ج. 4، ص.219-220؛ الذهبي، المستملح، ص.422؛ المنتوري، فهرسة، ص. 346.
سالم بن سلامة السوسي(ت.587هـ-1197م)	سوس المغرب	السماع	صحيح البخاري	أبو عبد الله بن الرمامة	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص. 124.
أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني(ق.6هـ-12م)	تلمسان	السماع	الحديث المسلسل في الأخذ باليد	أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المكتب الشاطبي	ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص 31.
يحي بن سعيد بن مسعود المقرئ الأندلسي نزيل تلمسان يعرف بالقلني(حي ق.6هـ-12م.	تلمسان	القراءة	أيات من القرآن بالقراءات السبع	أبو العباس بن مزين	ابن الأبار، التكملة، ج. 4، ص.186؛ الذهبي، المستملح، ص. 407، تاريخ الإسلام، ج. 12، ص. 1233، السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.335.
أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الضرير (ت.ق.6هـ-12م)	قلعة بني حماد	القراءة	الموطأ	هارون بن االنضر	السلفي، المعجم، ص. 147؛ الحموي، البلدان، ج.3، ص. 113.
			البخاري		السلفي، المعجم، ص. 147؛ الحموي، البلدان، ج.3، ص. 113.

عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حرّان القلعي(ت.ق.6هـ- 12م)	قلعة بني حماد	القراءة	الملخص لابن القابسي	أبو محمد عبد الله بن محمد هراس التامقلتي	السلفي، المعجم، ص. 161.
أبو العباس بن حرب المسيلي(ق.6هـ- 12م)	مسيلة	القراءة	الناهج في القراءات لأبي عبد الله محمد بن يحي بم مزاحم الأنصاري الأشبوني	قرأه عليه عن قراءته لأبي عمرو الداني وأ]و بك بن محرز.	الذهبي، معرفة القراء الكبار، مج.2، ص. 900؛ اللبلي، البرنامج، ص. 42.
أبو مروان عبد الملك بن زياد الله الطبني(ق.6هـ- 12م)	سرقسطة	الحديث	كتاب الدلائل	أبو الحسن ثابت بن عبد الله بن ثابت بن سعيد قاضي سرقسطة	ابن عطية، الفهرس، ص. 140.

الفصل الرابع

مؤلفات فقهاء المالكية في علوم القرآن والحديث

أولا: في علوم القرآن

1- علم القراءات

أ- عناية المغاربة بالقرآن الكريم بقراءة نافع

ب- جهود قراء مالكية الأندلس في المغرب الأوسط

ج -عناية مالكية المغرب الأوسط بالقراءات والتأليف فيها

2 -علم التفسير

ثانيا: في علم الحديث

1- أسانيد فقهاء مالكية المغرب الأوسط لكتاب "**الموطأ**"

2- مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط على كتاب "**الموطأ**"

3-مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط على كتاب "**البخاري**"

4- مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الحديث

اهتم فقهاء القلعة وبجاية بالتأليف مثل نظرائهم في البلاد الإسلامية الأخرى، إلاّ أنّ المعلومات حولهم جاءت شحيحة في المصادر التاريخية التي طغى عليها الجانب السياسي والاجتماعي قصد إعطاء الشرعية للدولة الحمادية التي هي نتاج انقسام الدولة الزيرية، لقد توفرت المعلومات في شتى المجالات بما في ذلك المجال العلمي، لكن هذا لا يمنع من وجود شذرات في كتب التراجم والطبقات والفهارس والبرامج، أشارت إلى مواضيع التأليف. ورغم قلة الإنتاج فإن بعضها بقي محفوظا في المكتبات منها ما هو مخطوط والبعض الآخر تم تحقيقه، وهذا يدل على اعتناء فقهاء مالكية المغرب الأوسط بالتأليف وإثراء مصنفات غيرهم.

وساعدت بعض العوامل على بروز فقهاء مالكية المغرب الوسط منها: بناء المدن كأشير والمسيلة والقلعة وبجاية التي أصبحت مركز جذب للعلماء من المدن المغربية الأخرى والأندلسية، واستقرار العناصر العربية بها خصوصا أصحاب البيوتات الشهيرة في الساحل خصوصا بونة وبجاية، والتفاعل الإيجابي للمجتمعات القبلية البربرية مع الإسلام كدين وثقافة.[1]

وقد ألف فقهاء مالكية المغرب الأوسط في مجالات عديدة منها: علوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والأصلين (أصول الفقه وأصول الدين)، وعلوم الرقائق وعلم الكلام، وعلم النحو والأدب وعلم اللغة وغيرها. كما أنّهم لم يقتصروا في التأليف على علم واحد فقط، فرغم تخصصهم في إحدى العلوم كالفقه أو الحديث، فقد ألفوا في علم القراءات والأدب واهتموا بقرض الشعر وبالطب.[2]

ووضع فقهاء مالكية المغرب الأوسط تنبيهات وتطريزات وتقييدات على المؤلفات في فنون عدة من كتب الحكمة وكتب العربية وكتب تفسير القرآن، وتوضع في مواضع مختلفة، يكتبونها بخط مختلف للتنبيه وتتمثل في تقييد مطلق أو تخصيص عام أو تفسير لغة أو بيان وجه الإعراب وغيره،[3] فمثلا وضع أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري ويعرف بابن محرز تقييدا على "**التلقين**" وغيره من كتب الفقه والحديث والأدب واللغة.[4]

مؤلفات فقهاء المالكية في علوم القرآن والحديث

[1] – علاوة عمارة، **مكانة الفكر العقدي**، ص.103.

[2] – وأحصى الباحث علاوة عمارة في دراسته علماء المغرب الأوسط ومجالات التصنيف ومرتبة كل صنف منها، (انظر: المرجع السابق، ص. 107–113).

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 89، 99.

[4] – المصدر السابق، ص. 134–135.

أولا: علوم القرآن

لقد اجتهد فقهاء مالكية القلعة وبجاية في التّأليف مثل نظرائهم ببلاد المغرب والمشرق. فألفوا في علوم القرآن، وعلوم الحديث والأصول، وعلوم اللغة والأدب والشعر، رغم تخصصهم في الفقه أو الحديث، كما اهتموا بالعلوم التجريبية كالطب وألفوا فيها.

وقبل التّعريف بفقهاء مالكية المغرب الأوسط ومؤلفاتهم في علمي القرآن والحديث يمكن طرح التّساؤلات التالية: من كان له الفضل في إدخال هذين العلمين إلى بلاد المغرب عامة وإلى المغرب الأوسط خاصة؟ ماهي المناطق التي اختارها فقهاء مالكية المغرب الأوسط للرّحلة إليها من أجل الاستزادة من هذه العلوم؟ ومن هم أشهر فقهاء المغاربة الذين نزلوا بالقلعة وساهموا في نشر هذه العلوم بين أهلها؟.

I-علم القراءات

والقراءات **لغة:** هي جمع كلمة قراءة، وهي مشتقة من فعل قرأ فيقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، واستعمل مصطلح قرآن للدلالة على كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد(صلى الله عليه وسلم). [1]

إصطلاحا: وضع العلماء عدة تعريفات لعلم القراءات منها أنه:"علم يُعنى بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله"،[2] أو هو"علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله".[3]

وذهب ابن خلدون إلى أن المسلمين رووا القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بطرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها".[4]

وأشارت بعض النّصوص التاريخية إلى أنّ التأليف في القراءات مرّ بثلاث مراحل أولها: مرحلة الروايات الشفوية من البعثة النبوية إلى سنة 60هـ-680م[5] وتشمل صدر

---

[1] – وجاء عند ابن منظور أنه:" التّنزيل العزيز، وإنّما قُدم على ماهو أبسط منه لشرفه، قال أبو إسحاق النحوي:"يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه(صلى الله عليه وسلم)، كتابًا وقرآنًا وفرقانًا، ومعنى القرآن أي الجَمْع، وسمي قرآنا لأنّه يجمع السُّور فيضمُّها. لقوله عزوجل ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾، (انظر: سورة القيامة، الآية 17) أي جمعه وقراءته، وقال أيضا﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾، (انظر: سورة القيامة، الآية 18)، وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنا ومنه سمي القرآن، وقال ابن الأثير:"وسُمِّي القرآن لأنّه جمع القَصص والأمر والنّهي والوعد والوعيد والآيات والسّور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، نقلا عن المصدر السابق، مج.5، ج.42، ص.3564 وما بعدها).

[2] – ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين ويليه ثلاث ملاحق لأبي شامة وابن تيمية وابن حجر**، اعتنى به علي بن محمد العمران، د. م. ت، ص.49.

[3] – القاضي عبد الفتاح بن عبد الغني، البدور **الزاهرة القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبة والدّرى" القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص.7.

[4] – **المقدمة**، ص.552.

[5] – نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، **علم القراءات– نشأته– أطواره– أثره في العلوم الشرعية**، تق. الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1998م، ص.99.

الإسلام حتى ظهور نقط الإعراب على يد أبي الأسود الدؤلي(ت.69هـ-689م) [1]، ثانيها: مرحلة ضبط القراءات برموز الإعراب والإعجام فكانت بدايات التأليف في بعض فروع علم القراءات[2]، ثالثها: في القرن الثالث بدأ التأليف على يد أبي عبيد القاسم بن سلام[3] فهو أوّل من دوّن في علم القراءات جمعها في مؤلف واحد، وجعل القراء خمسة وعشرين قارئا مع القرّاء السبعة.[4]

1-عناية المغاربة بالقرآن الكريم بقراءة نافع

للقرآن الكريم مكانة عظمى عند كافة المسلمين مشرقا ومغربا منذ عهد النبي(صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين من بعده.[5] وقد اتفق العلماء على أنه الأصل الأوّل، وهو بمثابة دستور للأمة الإسلامية جمعاء، ويمتاز عن الكتب السماوية الأخرى بصفة الشمول والدوام والبقاء، وختم الله به رسالاته إلى الخلق وجاء ذلك واضحا في قوله تعالى﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**﴾. [6]

وكان الفقيه البهلول بن راشد يدعو ربه "اللّهم إنّي أسالك باسمك العظيم الأعظم...أن توجب لنا رضوانك الأكبر...وتمن علينا بحفظ كتابك حتى نتلوه على الوجه الذي يرضيك عنا"[7]، ويدل هذا الدعاء على شدّة تعلق وحرص المغاربة على الحفظ وقراءة القرآن الكريم بالوجه الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، حتى قيل أن أبا عمر عثمان بن علي التلمساني (ت.542هـ-1147م) كان يختم القرآن في كل ليلة.[8]

---

[1] - الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، ت.379هـ-989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط.2، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص.21.

[2] - ذكر الذهبي أنّه أوّل من نقَّط المصحف بنقط الإعراب، (انظر: **معرفة القراء الكبار**، ج.1، ص.41؛ سزكين، المرجع السابق، ج.1، ص.22؛ نبيل بن محمد، المرجع السابق، ص.99).

[3] - قال عنه السيوطي أنّه:" أوّل من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام"، (انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، تح. أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م، ج.1، ص.206).

[4] - حسب بعض الدراسات أنّ أوّل من ألف في علم القراءات: يحي بن يَعْمَر (ت.89هـ-708م) وقيل(ت.90هـ-708م)، وقيل سنة 129هـ-747م وهو تلميذ أبي الأسود الدؤلي، (انظر: عبد الحكيم بن محمد الهادي قابة، **القراءات القرآنية تاريخها تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها**، إشراف ومرا. وتق. مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص.60-61؛ سزكين، المرجع السابق، ج.1، ص.22؛ نبيل بن محمد، المرجع السابق، ص.99).

[5] - الحسين وكاك، **القرآن الكريم ومظاهر تنافس صحابة النبي في كتابته وجمعه**، أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، ع.28، الرباط، 2011م، ص.195-215.

[6] - سورة الحجر، الآية 9.

[7] - الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.274.

[8] - التادلي، المصدر السابق، ص.140.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تحث على العناية به وتشجع على قراءته وحفظه والعمل بنصوصه منها: قوله (صلى الله عليه وسلم): " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعلَّمَهُ"[1] وقوله أيضا:"أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن"،[2] لذا قدّمه بعض الصحابة على بعض العبادات، فالصحابي عبد الله بن مسعود كان يقلل من الصوم لكي لا يضعف عن تلاوة القرآن، وقدّم سفيان الثوري تعليم القرآن عن الغزوات.

وممّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم دخل إلى بلاد المغرب مع الفاتحين الأوائل[3]، ولعدم استقرار هؤلاء في المنطقة لم يثْبت عند سكانه. وقد أوردت كتب الطبقات أسماء بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ممّن دخلوا إفريقية، ومن هؤلاء من تعدد دخوله أكثر من مرّة، حيث أنّ غالبيتهم من الحّفاظ والمدونين أو من القرّاء، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الصحابي عبد الله بن عمرو بن العـاص رضي الله عنهما، الذي أَذِنَ له الرّسول(صلى الله عليه وسلم) أن يقرأ القرآن في سبع ليال، ولحرصه الشديد بالنّهار يراجع في المصحف جزءه الذي يقوم بقراءته في الليلة القادمة.[4] وكان من جُمّاع القرآن في عهده.[5] والصحابي عبد الله بن عباس، الذي كان عالما بكتاب الله عزّ وجل وتفسيره ومحكمه وناسخه ومنسوخه، وكان قد دعا له الرّسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله:"اللّهم علّمه الكّتاب والحكمة"[6] حتى لُقب بحَبر الأمة.

والصحابي عبد الله بن أبي سرح، قائد حملة العبادلة (27هـ-648م) من كُتّاب الوحي للنّبي (صلى الله عليه وسلم)[7]، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر، الذي دخل إلى افريقية سنة 45هـ-666م في حملة معاوية بن حديج، هو ممّن يحفظون عن الرّسول(صلى الله عليه وسلم)، فكان إذا غاب عن مجلس النبي يسأل من حضر ويسجل ما فاته من قوله أو فعله أو ما كان منه عليه الصلاة والسلام.[8] وعبد الله بن الزبير من الصحابة الذين عيّنهم الخليفة عثمان بن

---

[1] – رواه البخاري عن حديث عثمان بن عفان، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه، رقم الحديث 5027، ص.1283-1284؛ ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.73؛ القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.87.

[2] – رواه شهاب عن حديث النعمان بن سعد، باب "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، رقم الحديث 1241، (انظر: القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة، ت. 454هـ-1062م)، **مسند الشهاب**، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، 1985م، ج.2، ص.246).

[3] – أورد كل من أبي العرب والمالكي أسماء الصحابة الذين شاركوا في هذه الحملة. بلغ عددهم ستة عشرة من أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، وسميت حملة العبادلة لأن أسماء هؤلاء تبدأ ب "عبد الله"، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.12 وما بعدها؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.15-16).

[4] – هند شلبي، **القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العربية للكتاب، د.م.ن، 1983م، ص.27.

[5] – أشار إليه الدباغ في من نزل القيروان من الصحابة، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.33 ،118 وما بعدها؛ السيوطي، **الإتقان**، ج.1، ص.202).

[6]– رواه البخاري في الصحيح من حديث ابن عباس"اللهم علّمه الكتاب"، باب قول النبي(صلى الله عليه وسلم)"اللهم علمه الكتاب "باب العلم"، رقم: 75؛ ص.31؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.60-61؛ هند شلبي، المرجع السابق، ص.27.

[7] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.66.

[8] – نفس المصدر، ج.1، ص.62.

عفان لنسخ القرآن الكريم في المصاحف.[1] وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر الجهمي فهؤلاء وغيرهم كانوا من حفظة القرآن. وكان من الصحابة من يحمل مصحفه الخاص، فلابن عباس مصحف اتبع فيه قراءة زيد بن ثابت ماعدا ثمانية عشر حرفا اتبع فيها قراءة ابن مسعود مقرئ الكوفة. وكان لعبد الله بن الزبير مصحف خاص به الذي احرق بعد كتابة المصاحف العثمانية، وكذا عبد الله بن عمرو لكن مصحفه لم يُحرق وقد شاهده أبو بكر بن عياش عند شعيب أحد حفدة عبد الله بن عمرو ويختلف عن قراءة عبد الله بن مسعود.[2]

وكان من الجند الذي رافق عقبة بن نافع في حملته الأولى ثمانية عشر صحابيا والباقي من التابعين[3]، وفي حملته الثانية خمسة وعشرون صحابيا[4] والباقي من التابعين، فهؤلاء وغيرهم ساهموا في نشر القرآن بين البربر ولو بالشّيء القليل.

أورد السّلاوي في نصوصه المتعلقة بالمصاحف المغربية أنّ السلطان العلوي عبد الله بن إسماعيل أرسل سنة 1155هـ-1742م مع ركب الحج المغربي إلى الحرمين الشريفين هدية تحتوي على ثلاثة وعشرين مصحفا، من بينها مصحف الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)الذي كان بالجامع الأعظم بالأندلس، وكان متداولا عند بني أمية، وهو أحد المصاحف الأربعة[5] التي بعث بها الخليفة إلى الأمصار، نقله عبد المؤمن بن علي إلى مدينة مراكش سنة 552هـ-1157م، ومصحف العقباني ويقصد به مصحف عقبة بن نافع الفهري، والرّاجح أنّه نسخه بالقيروان من المصحف العثماني.[6]

يؤكد ذلك العبدري الذي شاهد عددا من المصاحف في مسجد القيروان، أثناء رحلته فيقول:" أخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقي، ومنها ما كتب كله بالذهب وفيها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله ومنها موطأ ابن القاسم وغيره. ورأيت بها

---

[1] – وأرسل عثمان بن عفان المصاحف إلى الأمصار وأمر بحرق ما سواها، (انظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، رقم الحديث 4987، ص.1275؛ السيوطي، **الإتقان**، ج.1، ص.167؛ الحسين وكاك، المرجع السابق، ص.208-209).

[2] – هند شلبي، المرجع السابق، ص.28-29.

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.20.

[4] – نفس المصدر، ج.1، ص.23.

[5] – اختلف في عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار بين أربعة مصاحف منها ثلاثة أرسلها إلى كل من الكوفة، والبصرة، والشام والنسخة الرابعة أبقاها في المدينة، وسبع نسخ زيادة إلى الأربعة السابقة الذكر أرسلها إلى مكة واليمن والبحريين، وذهب إلى القول الأوّل أبو عمرو الداني، (انظر:(الحافظ عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي، ت.444هـ-1050م)، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، درا. وتح. نورة بنت حسن بن فهد الحميّد إبراهيم بن سعيد الدوسري ومحمد بن سريع السريع، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 2010م، ص.163)؛ وجعلها السيوطي خمس مصاحف، (انظر: **الإتقان**، ج.1، ص.172؛ الحسين وكاك، المرجع السابق، ص.211).

[6] – السلاوي، المصدر السابق، ج.2، ص.130، ج.7، ص.159؛ عبد الهادي حميتو، **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003م، ج.1، ص.61.

مصحفا كاملا مضمونا بين لوحين مجلّدين غير منقوط ولا مشكول وخطّه مشرقيّ بَيِّنٌ جدا...وذكروا أنّه الذي بعثه عثمان(رضي الله عنه) إلى المغرب وأنّه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما"[1]، وتداوله ملوك المغرب إلى الأشراف السعديين، وانتقل إلى العلويين عند سقوط دولتهم حتى وصل إلى السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل بن الشريف.[2]

وتحدث الباحث سعيد أعراب عن مصحف الأندلس حيث قال:"وفي ظروف غامضة نجهلها- انتقل إلى الأندلس أحد مصاحف عثمان التي وجهها إلى الآفاق، وظل بجامع قرطبة- إلى أن حمله معه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي- إلى مراكش- عاصمة ملكه سنة 552هـ-1157م، إلى أن صار في أواخر أيامهم لبني عبد الواد ملوك تلمسان، ثم استخلصه منهم أبو الحسن المريني(731-752هـ/1330-1352م)، وقد أدركه ابن خلدون حيث قال:" وهو- لهذا العهد- في خزائن بني مرين(668-869هـ/1269-1465م)" ثم لا ندري ماذا كان مصيره؟[3].

تعتبر المدينة المنورة أكثر المدن التي قصدها المغاربة لطلب القراءة على شيوخها، لأنّها كانت مهبط الوحي ودار هجرة الرّسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته(رضوان الله عليهم)، وكونها مرتبطة بأداء الركن الخامس للإسلام وهو حج بيت الله الحرام أوّلا، وبشخصية الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب ثانيا، فهي تعد من الأسباب التي تعرّف بها المغاربة على مذاهب الحجازيين في القراءات والفقه، كما ساعدهم على التعرّف على أشهر علمائها وفقهائها، كالإمام نافع بن عبد الرحمن في القراءات والإمام مالك بن أنس في الفقه.

وقد أخذ الفقيهان نافع ومالك عن بعضهما البعض في رواية القراءة والحديث،[4] وجعل الإمام مالك قراءة أهل المدينة سُنَّة حيث قال:" قراءة أهل المدينة سنَّة"، قيل له:" قراءة نافع؟ ! قال:"نعم"[5]، وقال عنه أيضا:" ... ونافع إمام النّاس في القراءة"[6] فاستحسنها ولم ينكر غيرها ولم يكره الخلاف إلاّ ما شذَّ وخرج عن المتعارف عليه.[7] وذكر الفقيه الليث بن

---

[1] – العبدري، **الرحلة**، ص.159 وما بعدها.

[2]– السلاوي، المصدر السابق، ج.2، ص.130، ج.7، ص.159؛ عبد الهادي حميتو، **قراءة نافع**، ج.1، ص.61.

[3] – سعيد أعراب، **القراء والقراءات**، ص.9 .

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.81 وج.2، ص.172؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.289؛ عبد الهادي حميتو وآخرون، **الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2009م، ص.15.

[5] – ذكر ابن مجاهد هذا القول لعبد الله بن وهب، (انظر:(أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، ت.324هـ-936م)، **كتاب السبعة في القراءات**، تح. شوقي ضيف، ط.2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2010م، ص.62؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.289- 290).

[6] – ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.290.

[7] – القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.180.

سعد عن قراءة نافع:" حججت سنة 113هـ-731م وإمام النّاس في القراءة بالمدينة نافع"،[1] أما تلميذه أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان المري المشهور بقالون(ت.220هـ-835م)، فقال عنه:" نافع من أحسن النّاس قراءة".[2] وذكره أبو عمرو الداني في الأرجوزة المنبهة بقوله:

فالسَّبعةُ القُرَّاءُ مِنهُم نَافع   فِي العِلمِ بالقُرآنِ لا ينَازَع[3]

والذين رووا عن نافع الإمام ورش (ت.197هـ- 813م)،[4] وقد اشتهرت طريقته في بلاد المغرب والمشرق.

مِمّن روى عن نافع إسحاق   ومثلـه ثلاثـة حذَّاقُ
وَرْشٌ وقـالـون وإِسْماعيـل   وكُلُّهم مؤْتَمَنٌ جلِيلُ[5]

وقد ذاع صيت قراءة الإمام نافع بين المغاربة في وقت مبكر، ولعل ذلك يعود إلى إمام دار الهجرة، وأكثر من ذلك فقد جعله سنّة للنّاس يُقتدى به. وقال عنه أصحاب الحديث أنّه:"أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر"، فانتشرت قراءته من بين القراءات الأخرى، خاصة وأن عمل أهل المدينة من أصول المذهب المالكي، فزاد ذلك في التّمسك به وإتباع طريقته.

وقد تناقل في البداية علم القراءات الصحابة (رضوان الله عليهم)، واختلف عدد قراءاتهم في المشرق قبل أن تستقر على سبعة طرق،[6] ونسبت هذه القراءة إلى من اشتهرت روايته، فأصبحت سبع أصول للقراءة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما "أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

[1] – ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.542-543، **النشر**، ص.112-113.

[2] – نفس المصدر، ج.2، ص.290.

[3] – الداني، **الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات**، تح. تع. محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1999م، ص.115.

[4] – هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عدي القبطي المصري، رحل إلى نافع فقرأ عليه أربع ختامات سنة 155هـ-772م، وعن تسميته بورش لقبه شيخه نافع، والسبب يرجع إلى قولين أولهما: لشدة بياضه وورش هو لبن مصنوع، وثانيها: الورشان-طائر- ثم خففت الكلمة إلى ورش، وكان أبو سعيد يقول:"أستاذي سمّاني به"، (انظر: الذهبي، **معرفة القراء**، ج.1، ص.323؛ المزي(عبد الوهاب بن وهبان الحنفي، ت.768هـ-1367م)، **أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار**، تح. أحمد بن فارس السّلوم، دار ابن حزم، بيروت، 2004م، ص.240-241).

[5] – الداني، **الأرجوزة**، ص.126.

[6] – والمقصود بالقراءات السبع هي: قراءات سبعة قراء من أئمة أهل الأمصار الخمسة وهم: من المدينة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم(ت.169هـ-786م)، ومن مكة عبد الله بن كثير(ت.120هـ-738م)، ومن الكوفة عاصم بن أبي النُّجود(ت.127هـ-745م)، وحمزة بن حبيب الزَّيات(ت.156هـ-773م)، وعلي بن حمزة الكسائي(ت.189هـ-805م)، وليس (وهو غير حمزة المقرئ)، ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء(ت.145هـ-762م)، ومن الشام عبد الله بن عامر، (انظر: ابن مجاهد، مقدمة المصدر السابق، ص.20)، كما أنّه لا يقصد بها الحروف السبعة المذكورة في حديث الرسول:"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا"، ونظّم أبو عمرو الداني أرجوزة في القراء السبعة سمّاها "**الأرجوزة المنبّهة**"، (انظر: المصدر السابق، ص.115-125؛ القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.180؛ الحسين وكاكا، **حول نزول القرآن على سبعة أحرف**، مطبعة المعارف الجديدة، ع.31، الرباط، 2014م).

قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".[1]

تداول القراء هذه القراءات والرّوايات إلى أن دونت في مصنفات، وأصبحت علما من العلوم المستقلة بذاتها، وانتقلت بين الناس بالتواتر جيلا عن جيل مشرقا ومغربا. أخذ أبو خالد بن كردم بن خالد[2] – أو خليد- التونسي[3] القراءات عن الإمام نافع، ذكره ابن مجاهد[4] من المغاربة الآخذين عنه،[5] وأخذ الإمام الهذلي في كتابه "**الكامل في القراءات**"عن نافع من طريق كردم أيضا والهواري حيث قال:" قرأت على محمد بن سفيان على يعقوب بن سعيد الهواري وكردم ابن عبد الله بن أبي زياد القصطيلي"،[6] ويتصل سند المغرب الأوسط للقراءة إلى الإمام نافع على طريق كردم بن خالد المغربي.

لم تستقر قراءة نافع في إفريقية أثناء الحكم الأغلبي (184-296هـ/800-909م)، لإتباع الأغالبة قراءة حمزة، وهي القراءة المتبعة بين الخلفاء العباسيين في بغداد، لكنها لم تدم طويلا لعودة قراءة نافع في العهد الزيري، بسبب عودة المذهب المالكي وانتشاره على حساب المذاهب الأخرى في بلاد المغرب، ويرجع الفضل في انتشاره إلى الإمام سحنون بن سعيد التنوخي المالكي لما تولى قضاء إفريقية، وسار على دربه فقهاء آخرون من بعده.

أمّا في الأندلس فقد أخذ الفقيه الغازي بن قيس(ت.199هـ-815م) القراءة عن الإمام نافع قارئ أهل المدينة، ثم جلس للإقراء في بلده، فأخذ عنه كثير من النّاس[7]. ثم جاء بعده

---

[1] – رواه البخاري في الصحيح من حديث ابن عباس، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 4991، ص. 1286.

[2] – ابن الجزري، غاية **النهاية**، ج.2، ص.289؛ عبد الله حميتو وآخرون، **الدليل الأوفق**، ص.17.

[3] – كردم بن خالد المغربي التونسي أبو خالد وقيل كردم بن خليد أبو خليد، من الزهاد العبّاد الفضلاء، من أصحاب الإمام نافع رحل إلى المدينة المنورة وعرض قراءته عليه، وأخذ عن كردم أبو جعفر أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر بن أحمد ابن جبير نزيل أنطاكية، (انظر: الذهبي، **طبقات القراء**، ج.1، ص.243-244؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص. 43، و ج.2، ص.30، 288 -289).

[4] – كان أميرا على مدينة دانية والجزائر الشرقية بالأندلس وإمام القراءة بها له عناية في مختلف العلوم لكنه اختص بالقراءات وفي زمانه نفذت كتب القراءات من السوق، وانتهت إلى روايته أسانيد القراءات في المغرب والأندلس وله تصانيف اعتمد عليها من جاء بعده من القراء، (انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص.552).

[5] – ابن مجاهد، المصدر السابق، ص.64؛ عبد الهادي حميتو وآخرون، **الدليل الأوفق**، ص.17.

[6] – حسب ما ذكره الهذلي البسكري، (انظر: أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة ابن محمد بن عقيل، ت.465هـ-1073م)، **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تح. جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الكويت، 2007م، ص.181)، لكن كردم بن عبد الله بن أبي زياد القصطيلي أخذ عن يونس بن عبد الأعلى بن موسى(ت.264هـ-878م) عن نافع ذكره الهذلي وابن الجزري، أما كردم بن خالد المغربي التونسي هو صاحب الإمام نافع وأخذ عنه تلميذه أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر(ت.258هـ-872م) وهو ما ذكره ابن مجاهد، والهذلي أيضا في عدة مواقع، وما نقله الذهبي وابن الجزري عنه، وإجمالا يمكن استخلاص أن الشخصيتين مغربيتين من منطقتين مختلفتين، (انظر: ابن مجاهد، نفس المصدر؛ الهذلي، المصدر السابق، ص.181؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.43-44، و ج.2، ص.30، 241 وما بعدها، 288-289؛ هند شلبي، المرجع السابق، ص.218-219).

[7] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.345؛ الحميدي، المصدر السابق، ص.291؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.114- 115.

أبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي(ت.287هـ-900م)، الذي كان له الفضل في إدخال رواية ورش إلى الأندلس، وقال عنه أبو عمرو الداني:" ومن وقته اعتمد أهل الأندلس سنة 306هـ-918م ولم يسبقه من قدم إليها، وكان قد استقر بالقيروان بعد رحلته إلى المشرق، فبنى مسجدا سنة 352هـ-963م،[1] وخصّه لقراءة الإمام نافع، فاجتمع إليه الناس ورحل إليه القراء من الآفاق على رواية ورش وصارت عندهم مدونة وكانوا قبل ذلك اعتمدوا على قراءة الغازي بن قيس".[2]

وأدخل الفقيه أبو عبد الله محمد بن خيرون الألبيري[3] قراءة نافع من رواية ورش إلى افريقية، وأخذ عنه المقرئ أبو عمرو الداني المشهور مغربا ومشرقا، ومن أصحابه عبد الحكم ابن إبراهيم نزيل مدينة بجاية.[4]

وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، انتشرت في جميع أنحاء بلاد المغرب قراءة نافع. حسب ما أكده الرّحالة المقدسي (ت.387هـ-997م) لما زار بلاد المغرب سنة 370هـ-981م، فقد وجد أهله لا يقرؤون إلاّ برواية نافع مؤكدا ذلك بقوله:"أما القراءات في جميع الإقليم فقراءَة نافع"[5]، ويعود الفضل في ذلك إلى أبي العباس عبد الله بن طالب التميمي (ت.275هـ-888م) أيام قضائه. فقد أمر محمد بن برغوث القروي المقرئ (ت.272هـ-885م) بجامع القيروان، أن لا يُقرأ النّاس إلا بحرف نافع.[6] وقد نقل القاضي عياض ذلك عن أبي عمرو الداني.

وقد بدأت تظهر بوادر التّأليف في القراءات في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وكثرت الرّحلات المشرقية وانتشرت القراءات عن طريقها، وظهر خلالها فقهاء أجلاء منهم: أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي(ت.429هـ-1038م) صاحب كتاب"**الروضة**"، وأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت.437هـ-1046م) صاحب

---

[1] – عذبته الشيعة حتى توفي بسبب بغضه لهم، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.52 وما بعدها،135).

[2] – عبد الهادي حميتو وآخرون، **الدليل الأوفق**، ص.19.

[3] – ولمحمد بن خيرون ابن اسمه محمد بن محمد بن خيرون وقد قدم ابن الفرضي ترجمة الابن والأب في ترجمة واحدة دون توضيح.، (انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.488)؛ وخص ابن عمرو الداني كل واحد منهما بترجمة، ونقل عنه من جاء بعده كابن الأبار والذهبي وابن الجزري، فالابن قتله عبيد الله الشيعي وذلك سنة 301هـ-914م، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.52 وما بعدها؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.288؛ الذهبي، **معرفة القراء**، ج.2، ص.561؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.191؛ الهنتاتي، "النص القرآني وعلماء المالكية الأفارقة إلى منتصف القرنIX/V"، **إيبلا مجلة معهد الآداب العربية**، تونس، ع.63، س.185، 2000م، ص.29).

[4] – محمد المختار ولد ابّاه، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، سلا، المملكة المغربية، 2001م. ص.189-190.

[5] – المقدسي، المصدر السابق، ص.198.

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.313.

كتاب"**التبصرة**"، والحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب كتاب"**التيسير**" في القراءات.[1] ونظم المقرئ قاسم بن فيرَّة بن أبي القاسم الشاطبي(ت.590هـ-1194م)[2] قصيدته المشهورة "**حرز الأماني ووجه التهاني**" في القراءات السبع[3]، تلقاها العلماء واعتنوا بها قراءة وحفظا، وتسابقوا على شرحها والتعليق عليها،[4] وقال فيها ابن خلكان:" لقد أبدع كل الإبداع وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويُقَدّم حفظها ومعرفتها...".[5]

2- جهود قراء مالكية الأندلس في المغرب الأوسط

وبدأت رحلات قراء مالكية الأندلس إلى المغرب الأوسط في وقت مبكر، وتعددت أسباب الرّحلة منها ما كان بأمر من الحكم أمير الأندلس من ذلك على سبيل المثال لا الحصر الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد القضاعي الأندلسي المعروف بمقرون(ت.378هـ-988م)، الذي دخل المغرب الأوسط سنة 347هـ-958م، ودخل مدينتي بجاية ووهران، وقد أخذ القراءات عن أبي الفضل عبد الحكم بن إبراهيم عن أبي عبد الله الأنماطي وأبي بكر بن سيف، وممّن روى عنه أبو بكر قاسم بن مسعود،[6] وكان له مجلسا للإقراء بقرطبة، يُقرأ فيه بحرف نافع حسب ما جاء عند ابن الجزري حيث قال عنه:"أقرأ الناس بها على باب مسجد الجامع بحرف نافع من رواية ورش"،[7] وطالت مدته بها.

ومن نزلاء بجاية المتصدرين للإقراء أيضا المقرئ والمحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن يحي بن الحسن بن محمد القرشي الأموي الإشبيلي (ت.580هـ-1184م)، الذي روى عن أبي محمد بن عتاب وأبي الحسن شريح، وروى عنه محدثون منهم: أبو محمد عبد الحق

---

[1] - ابن الجزري، **النشر في القراءات**، ج.1، ص. 34-35.

[2] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.73-74؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.270.

[3] - ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.270؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.24؛ المهدي البوعبدلي، "اهتمام الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث"، **ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر من 08 إلى 12 ذو القعدة 1401هـ، 1-7 سبتمبر، 1981م، ص.147.

[4] - كالإمام شمس الدين السخاوي(ت.902هـ-1497م) وأبي القاسم علي بن عثمان الفاصح صاحب كتاب "**سراج القارئ المبتدأ وتذكار المقرئ المنتهى**"، (انظر: المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص.148-189).

[5] - ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.270؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.24.

[6] - ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.241؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص.655؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.407.

[7] - ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.407.

الإشبيلي البجائي وأبو ذر بن أبي ركب.[1] ورحل الفقيه المقرئ عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي الإشبيلي (حي سنة 550هـ-1155م) إلى مدينة تلمسان، وأقام بها سبع سنوات فتصدر للإقراء وتعليم اللغة والآداب بجامعها، وله تأليف في "**قراءة ورش وقالون**"،[2] وقد اطلع عليه ابن الأبار.[3]

ومن أسباب رحلة فقهاء مالكية الأندلس إلى المدن المغربية أيضا، فرارهم منها بعد استيلاء النّصارى على بعض مدنها، أثناء فتنة ملوك الطوائف بحثا عن الأمان وحفاظا على أنفسهم، فمثلا خرج الفقيه المقرئ القاسم بن محمد الأندلسي (ت.457هـ-1065م) من مدينة المرية ونزل ببجاية، ثم قصد الحجاز بغية الحج، فلقي هناك أصحاب الفقيه ابن مجاهد (ت.324هـ-936م) شيخ الإقراء في عصره.[4] ونزح المقرئ أبو محمد عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الأموي البلغيّ (مولده سنة 487هـ-1094م) إلى مدينة تلمسان بعد استيلاء النّصارى على مدينة بَلَغِيّ،[5] فأصبح خطيبها، وقرأ القرآن بها بروايات أصحاب أبي عبد الله المغامي وأبي داود المؤيدي صاحبي أبي عمرو الداني.[6]

ودخل الفقيه أبو الحسن علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى من ذرية عبادة ابن الصامت القرطبي(ت.594هـ-1198م) بجاية بعد أن جال بعض المدن الأندلسية وهو من القراء المشهورين، فروى عن فقهاء الأندلس، وعن فقهاء مالكية المغرب الأوسط منهم: ابن قرقول وابن الرمامة وعبد الحق الاشبيلي البجائي، اشتهر بكثرة رواياته فتحصل بذلك على إجازات من علماء المنطقتين، ثم انتقل بعد ذلك إلى المشرق بنية الحج، فحضر

[1] – الضبي، المصدر السابق، ص.324؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.34؛ وذكر ابن الزبير نقلا عن ابن عبد الملك أنّه:"كان يتمذهب بمذهب ابن حزم ولم يذكر هذا غيره، (انظر: المصدر السابق، ق.3، ص.190).

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.34.

[3] – نفس المصدر، ج.2، ص.311؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.127؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص. 353؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.649، **إيضاح المكنون**، ج.2، ص.547.

[4] – نقل ابن الجزري عن ابن بشكوال أنّه قصد الحجاز، (انظر: **غاية النهاية**، ج.2، ص.23، **النشر في القراءات**، ج.1، ص.34).

[5] – مدينة بشرق الأندلس من أعمال لاردة، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.207؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.488).

[6] – هو من مدينة بلغى شرق الأندلس، رحل إلي ثغر الإسكندرية متوجها إلى الحجاز، وانتقل منها إلى العدوة المغربية بعد استيلاء النصارى على المدينة فاستقر بتلمسان وأصبح خطيبها، وتعددت قراءته للقرآن، (انظر: نفس المصدر، ص. 206؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.488-489).

مجالس أبي طاهر السّلفي فأجاز له رواياته، والتقى في مكة بأبي محمد الأشيري، فأخذ عنه الرّوايات قراءة وسماعا فأجازه.[1]

ومن الأندلسيين أيضا الفقيه أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة، الذي ألف في علم القراءات ودخل القلعة، من تآليفه كتاب"**نفس الصباح** في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه"، وكتاب"**حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل الفجر وقبل الشفق**" وغيرها من الكتب.[2]

أما قراء المغرب الأقصى فقد كان حضورهم شبه منعدم في المغرب الأوسط مقارنة بمناطق بلاد المغرب الأخرى، سوى ما ذكره ابن الأبار عن الفقيه أبو الفضل عبد الحكم بن إبراهيم القروي نزيل بجاية، كان من المتصدرين للقراءة بها، أخذ هذا العلم برواية ورش عن أبي عبد الله سعيد الأنماطي وأبي بكر بن سيف ومحمد بن خيرون.[3] واختلف ابن الجزري عنه في القول بأنه لم تثبت قراءته عن ابن سيف،[4] رغم أنّه من أصحابه حسب أبي عمرو الداني.[5]

ولم يقتصر التحصيل العلمي لفقهاء المغرب الأوسط على فقهاء المغرب والأندلس، فقد رحلوا إلى المشرق، إما لغرض الحج أو للاستزادة من نظرائهم، وكون مدينة الإسكندرية همزة وصل بين المغرب والمشرق، فقد جذبت إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، خاصة من بلاد المغرب، حتى أصبح يطلق عليها باب المغرب. [6] وكانت مجالسها العلمية بالمدرسة السلفية أو العادلية لأبي طاهر السّلفي.

وقد شهد العديد من الطلاب هذه المجالس، حتى أنّ السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي رغم انشغاله في الحرب ضد الصليبيين، إلاّ أنّه كان لا يُفوّت فرصة تواجده بمصر دون أن يعرج إلى مدينة الإسكندرية ويتردد على مجالس أبي طاهر السّلفي في أيام الخميس

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.222؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.257؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.482؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.391.

[2] – نفس المصدر، ج.1، ص.76؛ نفس المصدر، س.1، ص.241.

[3] – نفس المصدر، ج.3، ص.139.

[4] – ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص. 326.

[5] – نفس المصدر، ج.1، ص.407.

[6] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.77.

والجمعة والسبت من كل أسبوع.[1] وهذا يدل على اهتمامه ورعايته للعلم والعلماء، الذين كان جلهم يميل إلى المذهبين المالكي والشافعي، والتي كانت جذورهما متأصلة في الإسكندرية منذ العصر الفاطمي.

وقد أولى السلطان صلاح الدين الأيوبي[2] عناية خاصة للغرباء الوافدين إلى الإسكندرية فبنى مساكن تأويهم، وحمامات، ومارستانات للعلاج وكل ما يحتاجونه من قوت وخدم.[3] وذكر المقريزي أنّه: " أنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة ومدرسة على ضريح أخيه السلطان المعظم توراه نشاه".[4] وإن دل هذا على شيء إنما يدل على كثرة المغاربة الوافدين إلى الإسكندرية، وأكثرهم من حفاظ كتاب الله. وقد شجع الرحالة ابن جبير (6هـ-12م) المغاربة على الرحيل والتّغرب في طلب العلم بقوله:" من شاء الفلاح من نشأة مغربنا فاليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من المعيشة، وهو أكبر الأعوان...". [5]

3-عناية مالكية المغرب الأوسط بالقراءات والتأليف فيها

ظهر في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي فقهاء من مالكية المغرب الأوسط اعتنوا بعلم القراءات من أمثال: أبي مروان بن عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني، الذي حدّث عنه الفقيه أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك الأنصاري بكتاب"**الأمثال الكامنة في القرآن**"[6] قراءة عليه وسماعا منه، وقد نسخه ابن خير من كتاب الطبني.[7]وقرأ أبو مروان

---

[1]- أبو شامة(شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، ت.665هـ-1267م)، كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح. وتع. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، 1997م، ج.2، ص.447-448؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج.12، ص.3522؛ المقريزي(أحمد بن علي)، **كتاب السّلوك لمعرفة دول الملوك**، تص. مصطفى زيادة، القاهرة، د.ت، ج.1، ص.76؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.78.

[2] – ابن جبير(أبو الحسن محمد بن أحمد، ت.ق.6-12م)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك** المعروف ب: رحلة ابن جبير، ط.2، طبعة جديدة ومنقحة بإشراف لجنة تح. التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1986م، ص.16، ابن خلكان، المصدر السابق، ج.3، ص.481 وما بعدها من عدة صفحات.

[3] – وكان ذلك سنة 577هـ-1181م، (انظر: نفس المصدر، ص.15-16؛ المقريزي، **السلوك**، ج.1، ص.76)؛ عن الدور الذي قام به نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي اتجاه المغاربة في المشرق، (انظر: الحاج عيفة، "عوامل استقطاب المغاربة إلى بلاد الشام ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين"، **مجلة دراسات تاريخية**، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، صفر1435هـ- ديسمبر 2013، الجزائر، ع.1، ص.38.)

[4] – المقريزي، **السلوك**، ج.1، ص.76؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.80

[5] – ابن جبير، المصدر السابق، ص.232-233؛ و(انظر أيضا: الحاج عيفة، المرجع السابق، ص.45).

[6] – للحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي النيسابوري(ت.282هـ-895م)، (انظر: التجيبي(الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ت. 610هـ-1214م)، **البرنامج**، درا. وتح. الحسن إ د السعيد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، 1432هـ-2011م، ص.258)؛ ولأبي الحسنى عقيل بن محمد بن أحمد بن عبد الله الخولاني كتاب "**الأمثال الكامنة في القرآن الكريم**"، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.150).

[7] – ابن خير، المصدر السابق، ص.67.

أيضا كتاب "**نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن**" على أبي عمرو عثمان بن أحمد بن سمعان الرزاز عن مؤلفه.[1]

وكان الفقيه أبو حفص عمر بن إبراهيم بن مالك الأنصار التاهرتي من قراء المغرب الأوسط،[2] روى عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن هذيل الفهري سنة 446هـ-1054م[3]، وبمدينة قرطبة روى عن المقرئ أبي عبد الله بن المطرف الكناني، وحدث عنه بكتابه "**القراءات السبع**". وقد صحب أبي محمد عبد الله بن خلف بن حاتم العبدري البلنسي المشهور بالزواوي أبي داوود المقرئ وسمع منه وحدث عنه بكتاب"**التلخيص**" لأبي عمرو الداني، ولاحظ ابن الأبار خط هذا الأخير على كتابه.[4]

ومن المقرئي القلعة الحمادية شيخهم أبو بكر عتيق بن محمد الردائي، قرأ أثناء رحلته المشرقية على أبي علي الأهوازي (ت.446هـ-1054م) بدمشق وعلى أبي العباس بن النفيس (ت.453هـ-1061م) بمصر وغيرهما.[5] وممّن أخذ عنه علم القراءات علي بن أحمد ابن أبي بكر الكتاني القرطبي الطليطلي الأصل[6] ابن حنين[7]، الذي أخذ القراءات عن أبي الحسن العبسي،[8] وتلا عليه بالسبع، فأصبح ممّن يشهد لهم بالعلم، فكان لا يمر بمدينة من مدن المغرب أو المشرق إلا وجد متصدرا للإقراء فأقرأ ببيت المقدس تسعة أشهر.[9]

ولمكانة ابن حنين العلمية في القراءات رحل بعض الطلاب إليه للقراءة منهم: الفقيه أبو بكر محمد بن محمد بن معاذ الإشبيلي[10]. ورغم تبحره في علم القراءات إلاّ أن المصادر لم تذكر أنّ له تأليفا في هذا العلم. ورحل المقرئ أبو محمد القاسم بن محمد بن سيد قومه

---

[1] – الكتاب لمؤلفه أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، (انظر: نفس المصدر، ص.55-56).

[2] – نقل ذلك ابن الأبار عن أبي الحسن سعيد بن محمد بن قُوطة المقرئ الحجاري، (انظر: **التكملة**، ج.2، ص.242، ج.3، ص.150).

[3] – نفس المصدر، ج.2، ص. 242، و ج.3، ص.150؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث**، ص.60.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص. 242، و ج.3، ص.150؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.223.

[5] – نفس المصدر، ج.2، ص.21، 218.

[6] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.397؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص.480.

[7] – ذكر عبد الملك الاختلاف الواقع في تاريخ وفاته، (انظر: نفس المصدر، ج.5، ق.1، ص.152).

[8] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.210؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.398؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص.480.

[9] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.151.

[10] – الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، مج.2، ص.868؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.445؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.147.

الأندلسي البجائي (ت.457هـ-1065م) إلى المشرق للحج، فالتقى بأصحاب ابن مجاهد المقرئ، وتصدر للإقراء بجامع المرية.[1]

ومن المقرئين المغرب الأوسط أيضا الفقيه أبو إسحاق الأشيري(ت.459هـ-1067م) من شيوخ وأصحاب المقرئ أبي حفص عمر بن محمود بن غلاب الباجي الإفريقي(ت.520هـ-1126م)، وقد علّق السّلفي عن الأشيري :"حكايات كثيرة مفيدة" رواها عنه تلميذه أبو حفص.[2]وكان الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير من المداومين على مجالس السّلفي، ووصفه هذا الأخير بأنه من: "المتقدمين في القراءة بالمغرب لمذهب الإمام مالك وكان" تلاءً لكتاب الله حافظا له"[3].

وأغفلت المصادر ذكر مذهب الفقيه أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي البسكري،[4] نزيل نيسابور،[5] رغم أن غالبية من أخذ عنهم أو رووا عنه من المالكية. لقد رحل إلى المشرق سنة 425هـ-1034م،[6] وزار خلالها عدّة مناطق، فقرأ بمصر على الفقيه إسماعيل ابن عمرو بن راشد الحداد وعلى أبي علي المالكي صاحب كتاب"**الروضة**"، وتاج الأئمة أحمد بن علي وعلى أبي القاسم الزبيدي صاحب النقاش في بحران[7]، وعلى محمد بن الحسين الكارزيني بمكة، وعلى أبي العلاء محمد بن علي الواسطي ببغداد، و على أبي علي الأهوازي بدمشق، وزار إصبهان وخراسان ثم رحل إلى بلاد ما وراء النهر وإلى إقليم الترك، وقد بلغ عدد الشيوخ الذين التقى بهم خمس وستين وثلاث مائة شيخا، "من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا"،[8] منهم اثنان وعشرين ومائة دوَّن أسماءهم في كتابه"**الكامل في القراءات**"[9]، وذكر ابن الجزري بعض رواته من المشارقة.[10]

---

[1] – ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.23.

[2] – توفي الأشيري سنة 459 هـ-1067م بعد رجوعه من الحجاز، (انظر: السّلفي، **المعجم**، ص.233).

[3] – السّلفي، **المعجم**، ص.147.

[4] – ورد في غاية النهاية "اليشكري الأستاذ الكبير الرحّال والعَلَم الشهير الجوّال"، واليشكري بحرف الياء، (انظر: ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.345).

[5] – ابن الجزري، **النشر في القراءات**، ج.1، ص.91.

[6] – وهو من ذرية أبي ذؤيب الهذلي، له رحلات إلى المدن المغربية والمشرقية، (انظر: الحموي، **المعجم**، ج.1، ص.422؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص.816 وما بعدها؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.29، ص.115؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.4، ص.172؛ عادل نويهض، **أعلام**، ج.43-44).

[7] – الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.341.

[8] – ينتمي إليها ناسخ المخطوط، وحسب الذهبي هي من بلاد الترك، (انظر: **تاريخ الإسلام**، ج.2، ص.918).

[9] – الطبعة الأولى منه تح. جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، سنة 2007م، نشر عن مؤسسة سما للنشر والتوزيع، بعنوان "**الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليه**"، اعتمد المحقق على النسخة الأزهرية بالقاهرة ويعد من النوادر في المكتبة المذكورة تحت رقم (369 مغاربة)، عدد أوراقه 250 ورقة، 21 سطرا، فيه سقط في بدايته في بعض الصفحات وتم الفراغ من نسخه سنة 514هـ -1120م والناسخ هو: علي بن محمد الفرغاني المرغاني.

[10] – من رواته في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي بالمشرق: أبو بكر بن محمد بن أحمد بن زكريا النجار الأصفهاني وأبو المظفر عبد الواحد حمد بن شيدة السكري الأصفهاني، وأبو الهروي محمد بن الحسن بن إسماعيل، (انظر: ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.167، 422، وج.2، ص.95،103).

واختار الهذلي في كتابه "**الكامل**" قراءة تسع وأربعين قارئا بالإضافة إلى اختياره، وقال حاجي خليفة أنّه:"جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألفًا وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقا".[1] ورغم تفوقه على نظرائه المغاربة في القراءات، إلا أنّه كان يقول:" لو علمت أحدا تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته"، وتلك هي ميزة العلماء الفضلاء من أصحاب الهمم في طلب العلم. قال عنه الزركشي:" لم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ولا أكثر شيوخا".[2] وقال عنه الجزري:" طاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي من لقي من الشيوخ".[3] للهذلي مجالس للتدريس بالمدرسة النظامية[4] ببغداد وبنيسابور بمدرسة الوزير نظام الملك السلجوقي (ت.486هـ-1093م)، وأفاد منهما مدة بقائه هناك. واشتهرت المدرستان بدروّس خيرة العلماء من بينهم: الإمام الشيرازي (ت.475هـ-1082م) والإمام أبي حامد الغزالي في المدرسة الأولى، وإمام الحرمين الجويني في المدرسة الثانية.

جعل الهذلي كتابه"جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة" ونسخ به مصنفيه "**الوجيز**" و"**الهادي**" وغيرهما،[5] وقال الذهبي عنه:" وهذا الأمر لم يتهيأ لأحد قبله ولا بعده فيما علمت"[6]. وجاءت تسمية الكتاب عند المؤرخين المتقدمين والمتأخرين باسم" **الكامل في القراءات**".[7] وحصل اختلاف أيضا بين المحقق وصاحب الدّراسة الموسومة "**الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل**"[8]، فالأوّل ذكره باسم" **الكامل في القراءات العشر**[9] **والأربعين**

---

[1] - الجزري، **النشر في القراءات**، ج.1، ص.35؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.2، ص.1381.

[2] - الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله، ت. 794هـ-1392م)، **البرهان في علوم القرآن**، تح. أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006م، ص.226؛ عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي، **الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل في القراءات الخمسين**، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" في التفسير وعلم القرآن، إشراف شعبان بن محمد بن إسماعيل، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، السعودية، 1428- 1429هـ-2008م، ص.92.

[3] - ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.345.

[4] - نسبة إلى مؤسسها نظام الملك، وكانت تقتصر منهجها الدراسية على دراسة الفقه الشافعي وفن الكلام على طريقة الأشعري وما يتبعها من أصول وفروع. وانتشرت هذه المدارس في بغداد والبصرة وطبرستان ونيسابور وغيرها من المناطق في عهد السلطان ألب أرسلان، (انظر: الهذلي، المصدر السابق، ص.60؛ ابن العربي، **قانون التأويل**، هـ.6، ص.111-112).

[5] - الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص.819.

[6] - نفسه.

[7] - جاءت تسمية الكتاب مختلفة عن المؤرخين، (انظر: البغدادي(أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة الحنبلي، ت.629هـ-1232م)، **تكملة الإكمال**، تح. عبد القيوم عبد رب النبي، منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987م، ج.2، ص.23؛ الحموي، **الأدباء**، ج.6، ص.2849؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.29، ص.115؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.4، ص.172، عادل نويهض، **أعلام**، ص.43).

[8] - ذكر صاحب الدراسة في مقدمته الأبحاث السابقة عن الهذلي، (انظر: المرجع السابق، ص.9-10).

[9] - أي القراء السبعة أضيف لهم ثلاثة قراء وهم: من المدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي(ت.130هـ-748م) من البصرة يعقوب الحضرمي (ت.205هـ-820م)، ومن الكوفة خلف الكوفي(ت.229هـ-844م).

الزائدة عليه"[1]، والثاني باسم "**الكامل في القراءات الخمسين**".[2] وقد اعتمد كلاهما على نسخة مخطوط الأزهر المبتور البداية، وهي النسخة الوحيدة التي تحصل عليها المحققان. وورد في الفهرس الشامل للتراث – مخطوط في القراءات – أنّه للهذلي (يوسف بن علي). [3]

ويبدو أن المؤرخين لم يغفلوا عن ذكر الكتاب عند المتأخرين من المغاربة والمشارقة. فاعتمد بعضهم على النّقل عنه كابن الجزري في كتبه: "**منجد المقرئين ومرشد الطالبين**" و"**النشر في القراءات**" و"**غاية النهاية**" وأثنى عليه وعن غيره في أحد نصوصه بقوله:"وهذان الرجلان أكثر من علمنا جميعا في القراءات ولا نعلم أحدا بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبد العزيز الأسكندري" ويقصد هنا الجزري بالرجل الثاني الهذلي.[4] وللحافظ أبي العلاء الهمداني (ت.569هـ-1174م) حواش على كتاب "**الكامل**" وضعها لتصويب ما رآه خطأ عند الهذلي[5]. ونقل الإمام السيوطي في كتابه "**الإتقان في علوم القرآن**" عن الهذلي، كما اعتنى به المعاصرون إما بذكره في فهرستهم أو في دراساتهم.[6]

يبدو من الصعب تحديد الأصول المجالية لبعض قراء مالكية المغرب الأوسط، لانعدام نصوص صريحة تثبتها أو تنفيها، من ذلك ما جاء في كتاب ابن عبد الملك في إحدى ترجماته المتعلقة بالفقيه أبي بكر محمد بن أحمد بن علي القرطبي البغائي (ت.470هـ-1078م) حيث يقول أنه الحافظ وإمام صلاة الفريضة بقرطبة ومقرئها [7] دون أن يحدد أصله. ولم يعثر على ترجمة أخرى حسب النصوص المتوفرة في تحديد نسبه، لكن يرجح أنه من المغرب الأوسط لانتسابه لمدينة باغاية، أو هو من قرطبة ونزل مدينة باغاية.

---

[1] – الواو هي حرف عطف، أي الخمسين وتكتب: العشرة والأربعين.

[2] – ورد عند البغدادي بعنوان "الكامل في القراءات الخمس"، (انظر: **هدية العارفين**، ج.2 ، ص.551).

[3] – **الكامل في القراءات** مخطوط بمكتبة النجف ضمن مجموع، تحت رقم المرعشي/قم 9/ 357[3570] (54ر)- 1061هـ، (انظر: **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط- علوم القرآن (مخطوطات القراءات)**، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط2، مزيدة ومنقحة، عمان، الأردن، 1994م، ص.183).

[4] – ابن الجزري، **النشر في القراءات**، ج.1، ص. 34-35.

[5] – ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.400-401.

[6] – عبد الحفيظ بن محمد، المرجع السابق، ص.9-10.

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.14.

ومن أشهر فقهاء ومقرئي مالكية المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي فرج المازري المعروف بالذكي[1] الذي نزل بالقلعة الحمادية ثم رحل إلى العراق واستقر مدة بأصفهان حتى نسبه المؤرخون إليها وبسبب وفاته بها عدّ أيضا من فقهائها، علما أنه تتلمذ على يد شيوخ القلعة وأخذ عن السيّوري وغيره بالقيروان وقال فيه هذا الأخير أنّه:"أحفظ ما رأيت". وقال ابن داوود عنه:"شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران الفاسي ومن مالكي رأيت" وفضّله على إسماعيل بن إسحاق القاضي، وبرز الذكي في علم القراءات وألّف كتابا كبيرا سمّاه "**الإستيلاء**"، وذكر ابن ناجي أن أبا المهدي عيسى الغبريني قال:"وقفت عليه "[2] أي اطلع على الكتاب. ونظرا لنبوغه في علم القراءات أخذ عنه فقهاء القلعة أبو الفضل النحوي وأبو عبد الله بن داود.

وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي الإشبيلي من المقرئين المجوّدين العارفين بالقراءات المتصدرين لها في المساجد، وله مختصر في القراءات السبع سمّاه"**التقريب**"[3]. وذُكر عند ابن خير الإشبيلي"**التقريب في القراءات السبع**"[4] وجعله هذا الأخير من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن منها القراءات وما يتصل بها. وباعتباره أحد شيوخه[5] حدثه به قراءة منه عليه[6]. كما روى عنه أيضا كل تآليفه وجميع رواياته التي رواها المسيلي عن شيوخه.[7] وأشار الرعيني في برنامجه أنّه قرأ على الفقيه أبي زكريا يحي بن أحمد بن سليمان بن مرزوق الجذامي بالحروف السبعة كتاب شيخه "**التقريب**" قراءة منه عليه فتحصل بذلك على إجازة. وكان شيخ الرعيني المحدث الظاهري أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي قد قرأه على مؤلفه مباشرة وذكره في برنامجه ووصفه بالإتقان.[8]

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.101-102؛ الدبّاغ، المصدر السابق، ج.3، ص.203؛ القفطي، **أنباه الرواة**، ج.3، ص.73-74؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.210-211؛ المرجع السابق، ج.1، ص.307؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.79؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.209؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.79.

[2] – الدبّاغ، المصدر السابق، ج.3، ص. 203.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.47؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.427.

[4] – قرأ الرعيني هذا الكتاب على الفقيه أبو زكريا يحي بن أحمد بن سليمان بن مرزوق الجذامي بالحروف السبع، وقد حدثه عن مؤلفه أبو العباس بن حرب قراءة منه عليه، (انظر: الرعيني، **البرنامج**، ص.22).

[5] – ابن خير، المصدر السابق، ص.34.

[6] – نفس المصدر، ص.398.

[7] – الذهبي، **طبقات القراء**، مج.2، ص.251.

[8] – الرعيني، **البرنامج**، ص.21-22.

ومن شيوخ مدينة المسيلة أيضا: المقرئ أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي الأشبوني الطليطلي ابن مزاحم(ت.502هـ-1109م) صاحب كتاب" **الناهج في القراءات**"، قرأ عن الفقيهين المقرئين أبي عمرو الداني وأبي بكر محرز.[1] وقد استرشد أبو عبد الله الخراز في مسألة مختلف فيها وغير منصوصة لا في كتاب "**التيسير**" ولا في "**الشاطبة**" إذ قال:"وهذا الخّلاف لم أره لأحد، إلاّ لأبـي العباس بن حرب فإنـه ذكر ذلك في كتابـه الموضوع في رواية ورش". [2]

وأخذ الفقيهان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري المالقي(ت.598هـ-1202م)[3] وأبو الحسن نجبة بن يحي بن خلف الرعيني الاشبيلي(ت.591هـ-1195م)[4] عن أبي العباس المسيلي. وعنه أيضا أخذ الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي الإشبيلي الذي يعرف بالفلنقي (ت.553هـ-1158م). وقرأ هذا الأخير بقلعة بني حماد على أبي بكر بن عتيق الردائي القلعي واستزاد بعلم القراءات من علماء القلعة وصنف فيها كتابا سمّاه "**الإيماء إلى المذاهب السبعة القراء**" [5] وعن أبي العباس بن حرب أيضا أخذ أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة نزيل مدينة تلمسان.[6]

واستزاد بعض فقهاء الأندلس من القراء القلعيين أمثال: الفقيه أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن الخزرجي المقرئ (ت.511هـ-1117م) الذي أخذ عن عبد الله الطبني[7] وهو من شيوخ قرطبة المتصدرين لإقراء ممّن امتازوا بعلو السند. وكان الفقيه محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الأموي مولاهم الداني (ت.547هـ-1152م) آخر المقرئين ماهرا في تجويد القرآن الكريم متقنا قراءته، قرأ ببجاية عن الفقيهين أبي محمد عبد الله بن محمد بن حسن المَقْري[8] وروى عنه أبو محمد الأشيري.[1]

---

[1] – اللبلي، **البرنامج**، ص.42؛ الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، مج.2، ص.900.

[2] – **قراءة نافع عند المغاربة**، ج.3، ص.169.

[3] – الذهبي، **المستملح**، ص.95؛ **معرفة القراء الكبار**، مج.3، ص.1149؛ وقال ابن عبد الملك أنّه توفي سنة 591هـ-1195م وأنّ الفقيه بن فرقد قد اختلط عليه الأمر في تحديد تاريخ وفاته فجعلها سنة 584هـ-1188م، (انظر: المصدر السابق، س.5، ق.2، ص. 626).

[4] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق. 3، ص. 80-81.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.20-21؛ الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، مج.2، ص.1009؛ **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.74؛ **المستملح**، ص.58؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.1، ص.115؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.1، ص.264؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.93؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.215؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.656.

[6] – نفس المصدر، ج.2، ص.86؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.367؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.3، ص.1127، **المستملح**، ص.98.

[7] – القاضي عياض، **الغنية**، ص. 118.

[8] – بفتح الميم وسكون القاف مدينة مقرة بالقرب من قلعة بني حماد، وعبد الله بن محمد بن الحسن المقري ذكره الحافظ أبو طاهر السّلفي ونقله ابن نقطة وغيره، (انظر: **تكملة الإكمال**، ج.5، ص.601) و(انظر أيضا: اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، ت.768هـ-1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مـا يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيــه خليل بن الـــمنصور**، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، 1997م، ج.3، ص.218.

ومن المتصدرين في مجالس الإقراء ببجاية الفقيه أبو عبد الله بن محمد بن يحى بن فرج العبدري المعروف بالزهري (ت.540هـ-1145م) من أهل المرية، سكن قلعة بني حماد عشرين سنة ثم انتقل إلى بجاية، وكان يُدّرس بهما علم القراءات واللغة العربية.[2]

ومن مقرئي المغرب الأقصى الذين نزحوا إلى مدن المغرب الأوسط، بعد سقوط دولة المرابطين، الفقيه والمقرئ محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف الغساني الجياني (ت.544هـ-1149م) استقر بمدينة وهران إلى غاية وفاته وكان عارفا بتجويد القرآن الضابط لأصوله.[3]

ووردت في فهرسة ابن خير الإشبيلي أنّ ممّن أخذ عنهم من شيوخ المرية ولقيهم بها، الشيخ الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف المعروف بابن الحمزي[4]. يبدو أنّه فقيه من المغرب الأوسط غير ابن قرقول الحمزي وهما ينتميان إلى نفس المدينة وهي حمزة. وأجاز الإشبيلي أيضا للفقيه المقرئ أبي بكر محمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي (ت.600هـ-1204م) نزيل مدينة تلمسان، وبها أيضا أجاز هذا الأخير لأبي العباس بن المزين في نفس السنة التي توفي فيها[5].

ولم تقتصر مجالس الإقراء في المغرب الأوسط على فقهائه، بل شملت الوافدين من الأندلس خاصة، فقد جلس أبو زكريا يحي بن سعيد بن مسعود المقرئ الأندلسي القلني،[6] للإقراء بمدينة تلمسان، لقيه بها الفقيه أبو العباس بن المزين، فقرأ عليه "**آيات بالقراءات السبع**" وأجاز له سنة 600هـ-1204م.[7]

وممّا سبق يتضح أنّ جلوس الشيوخ للإقراء في المغرب الأوسط لم يكن وليد هذه الفترة بل هو استمرار لما كان يقوم به من سبقهم من الفقهاء ممّن قصدوا القلعة. ولم يقتصر

---

[1] – الضبي، المصدر السابق، ص.60؛ السلفي، **تراجم وأخبار أندلسية**، ص.112؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.10؛ **المعجم**، ص. 164-165؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.165-166؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.391-392؛ الذهبي، **العبر**، ج.3، ص.3؛ **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.910؛ ابن ثغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت.874هـ-1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تق. وتع. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت، ج.5، ص.391).

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.258،303، **المعجم**، ص.227؛ الذهبي، **المستملح**، ص.198؛ **معرفة القراء**، مج.2، ص. 965؛ **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.729؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج.1، ص.407.

[3] – نفس المصدر، ج.2، ص.6؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.153؛ الذهبي، **معرفة القراء**، مج.2، ص. 119، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.864، **المستملح**، ص.50.

[4] – ابن خير، المصدر السابق، ص.407.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.86؛ الذهبي، **المستملح**، ص.98؛ **معرفة القراء**، مج.3، ص.1127.

[6] – وقلنة منطقة بالأندلس من بلاد الثغر الشرقي للأندلس، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.186).

[7] – نفسه؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1233؛ **المستملح**، ص.407؛ ابن الجزري، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.334.

الحفظ على الرّجال دون النساء، فقد أورد أبو طاهر السّلفي عن الفقيه المؤدب أبي القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي[1] بثغر الإسكندرية أنّه كان يقول:"كانت والدتي تحفظ القرآن"،[2] وهذا يدل على أنّ النساء كن يهتممن بحفظ القرآن ويشجعن أبناءهن على ذلك. ولم يمنعه تخصص الفقيه أبو عمر بن علي بن خليفة بن البذوخ القلعي في الطب من الجلوس لسماع الحديث عن أبي طاهر السّلفي أو تعلم القرآن عن أبي عبد الله الغدير[3] في مكتبه في قلعة بني حماد. وهذا الأخير كان صاحب مهنتين: مؤدب الصبيان وخياط بأجرة في نفس الوقت. وعمله هذا ليس من أجل الغنى أو غيره وإنما ليتقوت بقليله ويتصدق بأكثره.[4]

واستمرت قلعة بني حماد في استقطاب المقرئين حتى بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي. فالفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري القلعي المعروف بابن الخراط (ق.7هـ-13م) كان نحويا ومقرئا من الفقهاء المالكية بقلعة بني حماد التي نشأ بها ثم انتقل إلى بجاية أين تصدر للإقراء بالجامع الأعظم وجامع القصبة المحروسة. وكان يتمتع بحس الإقراء حتى أنّ عبد المؤمن بن علي، أثناء إحياء ليلة السّابع والعشرين من رمضان، لا يسمع إلا للمعافري، لحسن تلاوته وصدق قراءته، ولا يركن للجلوس إذا عُيّن غيره.[5]

ومن الفقهاء الذين استقروا بمدينة وهران، عند سقوط دولة المرابطين، الفقيه أبو بكر وقيل أبو عبد الله محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف اللخمي القرطبي (ت.544هـ-1149م) أصله من جيان، وهو من المقرئين المشهورين بالأندلس. كان عارفا متحققا بتجويد القرآن العظيم ضابطا لأصوله، بارزا في حفظ القراءات.[6]

وهكذا فإن قراء المغرب الأوسط ساهموا في إثراء الحياة العلمية في بلاد المغرب والمشرق، ويدل انتشار إنتاجهم على اهتمام نظرائهم الفقهاء قديما والباحثين حديثا بعلمهم، ونظرا للمكانة العلمية التي وصلوا إليها كلفوا من طرف السلاطين بترأس مجالس الإقراء وتدريس طلبة العلم فيها. كما يرجع الفضل أيضا في انتشار القراءات بالمغرب الأوسط إلى

---

[1]- أصله من مدينة تاهرت ولد بالمهدية سنة 536هـ-1142م وصحب فقهاء افريقية، كان مؤدب الصبيان بها فاشتهر بمعلم الريشة، وذكر السّلفي أنّه يُذكر في:" المختلف والمؤتلف"، (انظر: السّلفي، **المعجم**، ص.172- 173).

[2] – نفسه.

[3]– نفس المصدر، ص.231؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص. 188.

[4] – نفسه؛ الحموي، نفس المصدر.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.65.

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.6؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.153؛ الذهبي، **المستملح**، ص. 50؛ **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.864؛ **معرفة القراء**، ج. 2، ص.1021.

الجهود المشتركة بين مالكية بجاية من جهة والقيروانيين والأندلسيين الذين كان لهم السّبق في هذا العلم بالمنطقة من جهة أخرى.

وقد تزايد عدد قراء مالكية المغرب الأوسط بداية من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهذا دليل آخر على عنايتهم بعلم القراءات. وقد أورد الغبريني بعضهم في كتابه"**الدراية**". كما اهتم بعض الباحثين بتسليط الضوء على جهود علماء المغرب الأوسط في علم القراءات.[1] والجدول الموالي يرصد فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم القراءات.

قراء مالكية المغرب الأوسط مابين القرنين (4-6هـ/10-12م)

الفقيه	مؤلفاته	المصادر التي أوردت ذكره
أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي	-أحكام القرآن	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.85-86؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.168؛ الحموي، ج.1، البلدان، ص.325؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.175.
أبو حفص عمر بن إبراهيم بن مالك الأنصاري التاهرتي	-القراءات السبع	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 242؛ ج.3، ص. 150؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ص.442- 443.
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القرطبي البغائي	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة،س.6، ص.14.
أبو محمد القاسم بن محمد بن سيد قومه الأندلسي البجائي	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن جزري، غاية النهاية، ج.2، ص.23.
أبو القاسم يوسف بن علي جبارة بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة الهذلي المغربي البسكري	-الكامل في القراءات -الهادي في القراءات -الوجيز في القراءات -درّة الوقوف -الجامع في الوقف والابتداء.	الحموي، البلدان، ج.1، ص.422، الأدباء، ج.6، ص.2846؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج.2، ص.400-401؛ الذهبي، معرفة القراء، مج.2، ص.816 وما بعدها؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.29، ص.115.
محمد بن أحمد بن علي القرطبي الباغائي	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص. 14.
أبو عبد الله محمد ابن أبي فرج المازري القلعي المعروف بالذكي	-الإستيلاء في القراءات	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.101-102؛ الدبّاغ، معالم الإيمان، ج.3، ص.203؛ القفطي، أنباه الرواة، ج.3، ص.73-74؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.210-211؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.307.

[1] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)؛ مهدي دهيم، "جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية منطقة زواوة أنموذجا"، **الملتقى الأوّل للقراءات القرآنية في العالم**، مراكش، المملكة المغربية، 2014م، ص.103-181.

أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي الإشبيلي	-التقريب في القراءات السبع	ابن خير الاشبيلي، الفهرسة، ص.34، 398؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.47؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.427؛ الرعيني، البرنامج، ص.22؛ الذهبي، معرفة القراء، مج.2، ص.951-952؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.7، ص.262 .
أبو محمد عبد الله بن محمد ابن الحسن المَقري	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن الأبار، التكملة، ج1، ص.43؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.166؛ ؛ الدمشقي، توضيح المشتبه، ج.8، ص.245؛ الحموي، البلدان، ج.5، ص.175.
أبو مروان الحمداني	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن الأبار، التكملة، ج.1 ، ص.43.
أبو محمد عبد العزيز قاضي بسكرة	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن العربي، ترتيب الرحلة، ص.209.
أبو بكر عتيق بن محمد الردائي القلعي	لم يُعثر له على مؤلفات	ابن الجزري، غاية النهاية، ج.1، ص.445؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار،ج.2، ص.864- 865.
أبو عبد الله الغديري القلعي	لم يُعثر له على مؤلفات	السلفي، المعجم، ص.231.
أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري التلمساني	-فرقان الفرقان وميزان القرآن	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.318.

ثانيا: علم التفسير

لغة: التفسير هو من فعل فسّر، أي أبان معناه ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾.[1] أي بيانا وتفصيلا. [2]

إصطلاحا: التفسير هو كشف معاني القرآن، وبيان المراد. والمراد من معاني القرآن أعم سواء كانت معاني لغوية أو شرعية.[3] ويتمثل ذلك حسب الجرجاني في:" توضيح معنى الآية وشأنها وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة".[4] ويلخص الزركشي علم التفسير بقوله:" هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامتها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسّرها".[5]

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 33.

[2] – مأخوذ من الفَسْرُ وهو البيان. فسّر الشيء يفسِّره بالكسر، ويَفْسُرُهُ بالضم، فسْرًا وفسّره أي أبانه، وعرّفه ابن الأعرابي بأنّه:" التّفسير والتّأويل والمعنى واحد، (انظر: ابن منظور، المصدر السابق، مادة " فسر"، مج.5، ص.55-56).

[3] – الكافيجي(محي الدين محمد بن سليمان، ت.879هـ-1475م)، **التسير في قواعد علم التفسير**، تح. مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص.21.

[4] – الجرجاني، المصدر السابق، ص.42.

[5] – الزركشي، **البرهان**، ص.417.

والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وبأسلوب بلاغتهم، فكان لا يصعب عليهم فهمه ومعرفة معاني مفرداته، وتراكيبه. وأوضح ابن خلدون ذلك في قوله"اعلم أنّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه". فكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان وحدانية الله عزوجل والفروض الدينية، منها ماهو في العقائد ومنها ماهو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا للأول.[1]

وكان النبي(صلى الله عليه وسلم) أشد حرصا على كتاب الله، فاتخذ كتّابا من الصحابة رضوان الله عليهم، لتدوينه ليبقى أبد الدهر دون تحريف أو تزييف، وحرصا على توضيح معانيه وأحكامه وشرائع من قبلنا.

وكان الصحابة أكثر عناية بما يصدر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الآيات والأحاديث بالتّدوين والحفظ والتطبيق. فكانوا يتسابقون لصحبته والجلوس معه لسّماع كل ما استجد. ورغم درايتهم بما تحتويه لغة العرب من معان وألفاظ بالسليقة، تجدهم يرجعون إليه (صلى الله عليه وسلم) كلما استعصى عليهم فهم وتفسير آية أو حديث، بل أحيانا يحس بتعذرهم في ذلك فيبادر في بيان المعنى الصحيح والحكم الشرعي المقصود منه، فهو المبين لذلك، لقوله جلّ جلاله: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[2] وقوله أيضا﴿ومَا أَنْزلْنَا عَلَيْكَ الِكتَابَ إلاّ لتُبَّين لَهُم الذِي اختلفوا فِيه وهُدى ورَحْمَة لقَوْم يُؤْمِنُون﴾[3]. فكان الرسول(صلى الله عليه وسلم) يفصّل للصحابة(رضوان الله عليهم)، ما كان مجملا ويشير إليه ويميز بين الناسخ والمنسوخ، ويدلهم على سبب النزول وغيره. لذا انكب الدارسون للقرآن في دراستهم على البحث في القواعد التي تمكنهم من التفسير الصحيح، والفهم السليم له[4]. ويكون التفسير إما بالمأثور،[5] أو بالرأي.[6]

لم يدوّن الصحابة (رضوان الله عليهم)، في عهد النبوة إلاّ القرآن الكريم، لقوله (صلى الله عليه وسلم)[7]:"لاَ تَكْتُبوا عنِّي، ومَن كَتَب عنِّي غَيْرَ الْقُرْآن فَلْيَمْحُهُ وحدِّثُوا عنِّي"،[8] لكي لا يختلط القرآن بالسنة النبوية، ولوجود عدد لابأس به من الثقات منهم يمكن الرجوع إليهم في مسائلهم. فلا حاجة لتدوين علم الشرائع والأحكام، بل كره بعضهم كتابة العلم واستدلوا بما

---

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.553؛ مسعود الركيتي، **قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2012م، ص.29.

[2] – سورة النحل، الآية 44.

[3] – سورة النحل، الآية 64.

[4] – مسعود الركيني، **قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**.

[5] – يعتمد المفسر فيه بما جاء في القرآن الكريم من بيان وتفصيل لبعض آياته، وما نقل عنه عليه الصلاة والسّلام وعن الصحابة والتابعين من بعده، وما يوضح مراده تعالى في نصوص القرآن، (انظر: الذهبي محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، إصدارات الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الإشراف على الطباعة دار النوادر الكويتية، المملكة العربية السعودية، 2010م، ج.1، ص.152).

[6] – وانقسم المفسرون بين موافق ومعارض، وهو تفسير يقوم بالاجتهاد وبمعرفة كلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها والاستعانة بالشعر الجاهلي والوقوف على أسباب النّزول ومعرفة النّاسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغيره من الأدوات التي يحتاجها المفسّر، (انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج.1، ص.255).

[7] – ابن سعد، **طبقات**، ج.2، ص.306 وما بعدها؛ الكافيجي، المصدر السابق، ص.31.

[8] – لحديث أبي سعيد الخُدْري، (انظر: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث 3004، ص.1366)

رواه أبو سعيد الخدري عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنّه استأذنه في أن يكتب الحديث فلم يأذن له. وفي رواية للخدري أيضا:"أنّ ابن عباس كان ينهى عن كتاب العلم"، وقال:"إنما أضلَّ مَن قَبلكُم الكتبُ"،[1] ولا يمكن التسليم بالمنع الذي جاء في هذه النصوص تسليما قطعيا، لأن الحفظ متفاوت بين الأشخاص، فقد يقدر عليه البعض دون الآخر كما أنه إذا زال العارض زال المنع.

وبعد وفاة الرّسول (صلى الله عليه وسلم)، اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، فتفرق الصحابة (رضوان الله عليهم) في الأمصار وبدأت الفتن تظهر واختلطت الأجناس وكثرت الفتاوى، فكان تدوين العلوم الشرعية أمرا ضروريا والسّبيل الأنجع للحفاظ على الأقوال الاجتهادية للرّسول (صلى الله عليه وسلم) وللصحابة والتابعين من بعده.

لهذه الأسباب وغيرها، بدأت حركة التدوين في العلوم الشرعية: كعلوم القرآن والتفسير والفقه وأصوله... فمتى ظهر علم التفسير؟ ومن هم أوّل المدونين له؟ وكيف انتقل هذا العلم إلى بلاد المغرب عامة وإلى المغرب الأوسط خاصة؟ ومن هم أهم المصنفين فيه، وماهي أهم مؤلفاتهم؟.

بداية التدوين في علم التفسير

بدأ تدوين علم التفسير في القرن الأوّل للهجرة، وأوّل من دوّنه أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت.90هـ-709هـ) بحسب رواية الربيع بن أنس.[2] وأورد سزكين بعض كتب التفسير من القرن الأول وأسانيدها مكررة، وهي تقدم براهين واضحة على أنّ الكتب التي وصل إليها هي: تفسير أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (ت.104هـ-723م)،[3] وتفسير عطاء بن أبي رباح المكي القرشي (ت.114هـ-732م)، وكتاب "**الناسخ والمنسوخ**" لقتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت.118هـ-736م)، وكتابي"**الناسخ والمنسوخ**" و"**التنزيل**" لأبي بكر بن شهاب الزهري (ت.142هـ-759م).[4]

وقد انقسمت مدرسة التفسير في عهدها الأوّل إلى:

[1] – حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.33؛ البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، ت.463هـ-1071م)، **تقييد العلم**، تح. سعد عبد الغفار علي، تق. محمد بن عمر بن سالم بأزمول، دار الاستقامة، 2008م، ص.39.

[2] – الإمام مالك(أبو عبد الله بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث الأصبحي الحميري، ت.179هـ-795م)، تفسير **الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما**، جمع وتح. وتق. حميد بن محمد لحمر، ط.2 مزيدة ومنقحة، دار المعرفة، المغرب، 2006م، ص.9.

[3] – تح. محمد بن عبد السلام، دار الفكر، مصر، 1989م.

[4] – الإمام مالك، **التفسير**، ص.9؛ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج.1، ص.113وما بعدها؛ سزكين، المرجع السابق، ج.1، ص.56.

مفسري مكة المكرمة، وهم الذين أخذوا عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، حبر الأمة، فقد دعا له الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله:" اللّهم علمه الحكمة وتأويل القرآن".[1]

ومفسري الكوفة الذين أخذوا عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال عنه الرّسول (صلى الله عليه وسلم):" مَنْ سره أَنْ يَقرأَ القُرآن رطبا كَمَا أُنزل فَليقرأه عَلى قِراءة ابن أُمِ عَبد".[2]

ومفسرو المدينة المنورة وهم أصحاب زيد بن أسلم العدوي شيخ الإمام مالك بن أنس في التفسير.[3]

أجمعت النصوص على أنّ الإمام مالك اعتنى بتفسير القرآن وصنف فيه،[4] لكن تصنيفه فُقد، وقد اجتهد الباحث حميد بن محمد لحمر في وضع تفسيرا للإمام مالك في كتابه المسمى" **تفسير الإمام مالك**" جمعا وتحقيقا وتقديما، وقد علّل دراسته على كون الإمام مالك لم يفسر القرآن على الطريقة المعروفة اليوم، وهي تتبع القرآن من أوّله سورة سورة وآية آية دون أن يترك آية دون تفسير.[5] وينطبق عمله على ما ذكره سزكين حيث قال:" بجمع المقتبسات وترتيبها وفق الآيات وعندئذ يجوز لنا افتراض أنا أعدنا تكوين الكتاب المفقود في صورته الأولى...".[6]

وممّا لا شك فيه أن الإمام مالك عُرِف واشتهر لدى عامة النّاس وخاصتهم باهتمامه بالحديث والفقه. ومن خلال بعض النّصوص المصدرية ثبت أنّ مالك أولى عناية كبيرة بالعلوم الشرعية عامة والسنة خاصة، فقال عنه البُهلول بن راشد:"ما رأيت أنزع بآية من كتاب الله من مالك بن أنس"[7].

وذكر القاضي عياض أن لمالك :" في تفسير القرآن كلامٌ كثير وقد جُمع، وتفسير يرويه عنه بعض أصحابه؛ وقد جمع أبو محمد مكي مصنَّفًا فيما رُوي عنه من التّفسير والكّلام في

---

[1] – الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج.1، ص.65 وما بعدها.

[2] – الثعالبي(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي، ت.875هـ–1471م)، **تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تح. أصوله على أربع نسخ خطية وتع. وتخ. أحاديثه علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، وشارك في التحقيق مجمع البحوث الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1418هـ–1997م، ج.1، ص.54.

[3] – الإمام مالك، **التفسير**، ص.9؛ الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج.1، ص.101 من عدة صفحات؛ سزكين، المرجع السابق، ج.1 ص.59– 60.

[4] – ومن بين الصعوبات التي واجهت الباحث في تأليفه للكتاب عدم توفر المصادر المخطوطة والمفقودة هي ذات أهمية كبرى، تحتوي على مادة غزيرة منها: كتاب"**الجامع في الحديث والأثار**" لابن وهب المصري تلميذ الإمام مالك، نشرت دار الغرب الإسلامي مجموعة من الأجزاء تح. ميكلوش موراني بجامعة بون الأمريكي، وكتاب "**المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره**" لمكي بن أبي طالب القيسي الذي قال عنه القاضي عياض أنه جمع تفسير مالك، (انظر: نفس المصدر، ص. 13).

[5] – الإمام مالك، **التفسير**، ص. 10.

[6] – سزكين، المرجع السابق، ج.1، ص.58.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.81.

معاني القرآن وأحكامه مع تجويده له وإحسانه ضبط حروفه".[1] وذكره أيضا أبو عمرو الداني في كتابه "**طبقات القراء المتصدرين**"[2] وجعله من جملة المقرئين في كتابه "**طبقات القراء والمقرئين**"،[3] وأنّ الإمام مالك من الرواة عن شيخه الإمام نافع شيخ الإقراء.[4] وزاد صاحب"**غاية النهاية**" عنه أنّه:" إمام دار الهجرة وصاحب مذهب، أخذ القراءات عرضا عن نافع بن أبي نعيم روى القراءة عنه أبو عمرو والأوزاعي ويحي بن سعيد.[5] وأشار الداوودي في نصوصه أنّه: أوّل من صنف "تفسير القرآن بالإسناد على طريقة "**الموطأ**" وتبعه الأئمة.[6] فكان الإمام مالك أوّل من ألف وأجاد التأليف ورتب الكتب والأبواب وضم الأشكال فأصبح لمن جاء بعده قدوة يقتدى بها. ويرى الباحث نجم الدين الهنتاتي أنّ الإمام مالك لم يعتمد على الآيات القرآنية في رواية يحي بن يحي الليثي بينما فاق الاعتماد عليها في رواية أبي الحسن الشيباني،[7] ووضع محمد عز الدين أهم مميزات تفسير الإمام وبعض النماذج من تفسيره[8].

وسمع الحافظ أبو عبد الله التجيبي(ت.610هـ-1214م) كتاب"**تفسير القرآن**" للإمام مالك عن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجي بمدينة مرسيه، حدثه به عن الحافظ أبي بكر بن العربي عن أبي عبد الله المصيصي...عن خالد بن عبد الرحمن المخزومي عن مالك بن أنس (رضي الله عنه).[9] وأجاز له مشافهة بمدينة سبتة، المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجْري(ت.591هـ-1195م)،[10] الذي سمعه بسند أبي بكر

---

[1] – نفسه.

[2] – نفسه.

[3] – من كتب أبي عمرو الداني المفقودة، وحدث به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الحافظ التجيبي بمدينة مرسيه مناولة من يده إليه من سماع أبيه حدثه به المقرئ أبو داود قرأ عليه بعضه وأجازه سائره عن أبي عمرو ومؤلفه، وذكره المقري في كتابه عند ذكره للرسائل التي كانت ترد إليه من مراكش، ويظهر من كلامه أنّ الكتاب كان موجودا في عهده، (انظر: التجيبي، **البرنامج**، ص.253؛ والونشريسي، المصدر السابق، ج.12، ص.80، 96، 102، 104، 108، 114، 127، 130؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.474).

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.80-81.

[5] – الجزري، **غاية النهاية**، ج.2، ص.35.

[6] – الداوودي(شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت.945هـ-1539م)، **طبقات المفسرين**، را.النسخة وضبط أعلامها نخبة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983م، ج.2، ص.300.

[7] – الهنتاتي، **النص القرآني**، ص.21 وما بعدها.

[8] – أنه لا يشمل القرآن كله وإنما اقتصر على ما دعت الحاجة إلى تفسيره، أنه تناول عددا من علوم القرآن كأسباب نزوله وغريبه وناسخه ومنسوخه... وغيره من النماذج، (انظر: محمد عز الدين المعيار الإدريس، "أضواء على تفسير إمام دار الهجرة للقرآن الكريم"، **دعوة الحق**، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ع.285، س.32، محرم 1412هـ-أوت 1991م، ص.89 وما بعدها).

[9] – التجيبي، **البرنامج**، ص.278.

[10] – من أهل المرية، خرج منها إلى مرسية حين تغلب النصارى عليها، ومنها إلى مالقة واستقر أخيرا بمدينة تلمسان، فداع صيته بها لعلو سنده، (انظر: **المنذري**، المصدر السابق، ج.1، ص.217-218؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.960 وما بعدها).

بن العربي.[1] وقال التجيبي أنّه نقله من برنامجه.[2] وأكد القاضي عياض في نص آخر أنّ للإمام مالك تفسير، ذكر فيه الأسانيد التي روت عنه ذلك التفسير بقول:"من ذلك كتابه في تفسير لغريب القرآن،[3] الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي، أخبرنا به أبو جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسن المقرئ عن محمد بن علي النعالي المصيصي عن أبيه،عن أبي الحسن علي بن أحمد البزاز عن أبي بكر الجعدي عن أبي العباس أحمد بن محمد بن هاني البزاز عن يحي بن عتيك القروي عن خالد بن عبد الرحمن المخزومي عن مالك".[4] وذكر الداوودي كتاب مالك في" **تفسير لغريب القرآن**" الذي رواه عنه خالد ابن عبد الرحمن المخزومي. [5]

ويتبين ممّا سبق أنّ للإمام مالك كتاب في التّفسير وهذا ما أكدته غالبية النصوص التاريخية، حتى أنّ صاحب كتاب "**الفهرست**" يذكره ضمن الفن الثالث باب الكتب المصنفة في تفسير القرآن "**كتاب تفسير مالك بن أنس**".[6] وأشار إليه السيوطي أيضا ضمن مصنفات مالك غير كتاب "**الموطأ**"، حيث أنّه رأى" **تفسيرا**" لطيفا مسندا فيحتمل أن يكون من تأليفه، أو أن يكون علق عليه،[7] فالقول الأوّل أقرب إلى الصّحة، لأنّ التعليقات تكون ضمن الكتاب كما تجزم النّصوص المنقولة عن المتقدمين.[8]

وحسب المادة المصدرية المتوفرة فإنّ فقهاء مالكية المغرب الأوسط لم ينقلوا عن كتاب التفسير للإمام مالك بن أنس واكتفوا برواية الموطأ. وقد يعود ذلك لعدم شهرة كتابه أو لاقتصار روايته عند البعض دون الآخر أو لعدم جمع تفسيره في كتاب واحد أو لعدم وصوله إليهم أو لاحتواء الموطأ على مضمون تفسيره، كما أنّ اهتمامهم بعلم الحديث والفقه كان أكثر من غيرهما.

---

[1] – نقل التجيبي من برنامج الفقيه الإمام المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري، (انظر: **البرنامج**، ص.279).

[2] – نفسه.

[3] – قال عنها إبراهيم محمد الجرمي أنها:"الألفاظ التي يخفى معناها ويدق على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وضعت له"، (انظر: **معجم علوم القرآن (علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات)**، دار القلم، دمشق، 2001م، ص.197).

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.93- 94؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.2، ص.460.

[5] – الداوودي، **طبقات المفسرين**، ج.2، ص.301.

[6] – النديم (محمد بن إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق، ت.380هـ-990م)، **الفِهرست في أخبار العلمـاء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب**، تح تع محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، 2016م، ص.86.

[7] – السيوطي، **تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك**، تح. هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الرشاد الحديثية، دار البيضاء، 2010م ، ص.83.

[8] – نقل عنه ابن الأثير، **الكامل**، ج.1، ص.456، ج.2، 66 ،531، 540، ج.3، ص.46، 432، ج.4، ص.151.

ويعتبر عكرمة مولى ابن عباس أعلم الناس في التّفسير، وأوّل من دخل افريقية من المفسرين،[1] وقد روى عنه الإمام مالك، حديثا واحدا. وأورد المالكي أنّه روى عنه يسير فقط، دون تحديد العدد.[2] وذكر الشافعي عن مالك أنّ عكرمة:" سيئ الرأي" [3]، فقد يكون سبب ذلك إتباعه رأي الخوارج، وادعاءه على ابن عباس[4] أنه خارجي أيضا، واختلف العلماء في التوثيق عنه، لكن أكثرهم أثنوا عليه ونقلوا عنه من كتاب "**تفسير عكرمة بن عبّاس**"[5] وقد اعتمد فيه على تفسير مولاه ابن عباس[6] رضي الله تعالى عنهما.

وجاء في بعض نصوص القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي عن فقهاء المغرب الأوسط من غير فقهاء المالكية، أنّ الأمير عبد الرحمن بن رستم كان من أوائل من وضع كتابًا في تفسير القرآن.[7] ولم يعثر في المادة المصدرية على أن أحدا من مالكية المغرب الأوسط ألف بعده، إلاّ في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي. وتعتبر هذه الفترة طويلة جدا مقارنة بالتّأليف في التفسير ببلاد المغرب عامة، فقد يكون الوجود الفاطمي بالمنطقة حائلا أمام العناية بالنّص القرآني فانصب مجهود الفقهاء في المسائل الفقهية من عبادات ومعاملات التي كانت تشكل أكبر خطر للوجود الشيعي، وقد عملت على تشجيع قاض قضاتها في وضع تصانيف فيها.

والملاحظ أنّ اهتمام علماء افريقية بالتّفسير، كان منصبا عموما على آيات الأحكام، خاصة فيما تعلق بفقه المعاملات: كالشفعة والمرابحة والمواضعة.[8] وقد نسب القاضي عياض تفاسير تحمل اسم"**أحكام القرآن**" إلى محمد بن سحنون وأبو الأسود القطان (ت.306هـ-918م) وأحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت.319هـ-931م)[9] وحذا حذوهم

---

[1] - الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.5، ص.15؛ مسعود الركيتي، المرجع السابق، ص.63؛ لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص.24.

[2] - المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.145؛ لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص.25-26.

[3] - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.41، ص.89، 117.

[4] - نفس المصدر، ج.41، ص.121؛ الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج.1، ص.107 وما بعدها.

[5] - ذكره النديم ضمن الكتب المصنفة في تفسير القرآن، (انظر: المصدر السابق، ص.87؛ **الكتاني**(محمد عبد الحي بن عبد الكبير، ت.1382هـ-1962م)، **تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب**، ضبط وتع. أحمد شوقي بنبين وعبد القادر سعود، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2013م، ص.31).

[6] - عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.1، ص.348.

[7] - محمد المختار اسكندر، "المفسرون الجزائريون عبر القرون"، بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر، **ضمن ملتقى وطني في سيدي عقبة** تحت عنوان" الأيام الدراسية للفتوحات الإسلامية للمغرب العربي ومساهمة الجزائر في التراث الإنساني، من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، د.ت، ص.34 ومن بعدها؛ عادل نويهض، معجم المفسرين، ج.1، ص.265، **أعلام**، 147- 148.

[8] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.223؛ وعزى الهنتاتي عزوف علماء القيروان إلى عدم عناية الإمام مالك بالنص القرآني كعنايته بالحديث، (انظر: **النص القرآني**، ص.25).

[9]- نفس المصدر، ج.4، ص.207؛ وأوّل من وضع كتاب"**أحكام القرآن**" محمد بن إدريس الشافعي (ت.204هـ-819م). (انظر: ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.32؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.20).

الفقيه والمحدث والمقرئ والمفسر الباغائي[1] أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي،[2] وهو من كبار فقهاء مالكية المغرب الأوسط في وقته، وقد جلس للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة وتقلد خطة الشورى بها[3] ووصفه ابن بشكوال أنّه:"من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آيةً من آيات الله تعالى وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه"[4]، رحل إلى مصر وروى بها عن أبي الطيب بن غلبون وأبي بكر الأدفوني وغيرهما من الفقهاء.[5] وألف كتابا في علوم القرآن سمّاه "**أحكام القرآن**"،[6] ونسب بعض الدارسين المعاصرين أنه "نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك".[7]

وألف أحمد بن نصر الداودي كتابًا في تفسير القرآن، لكنه مفقودا، ونقل عنه الثعالبي (ت.875هـ-1470م) في كتابه إذ يقول:"ومهما ذكرت الداوودي في هذا "**المختصر**" فإنّما أريد أحمد بن نصر الفقيه المالكي ومن تفسيره أنا أنقل".[8] وظهرت بعض تفاسيره في مواقع عديدة من كتاب الثعالبي "**الجواهر**" إذ بلغت 58 نقلا، وقد صرح بذلك في كتابه قائلا:"وفي تفسير أحمد بن نصر الداودي"،[9] ويبدو أن أبا عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت.671هـ-1273م) نقل بعض أراء الداودي في كتابه التفسير.[10]

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي اجتهد مالكية بلاد المغرب عامة في تفسير غريب القرآن والوقوف على معرفة أسراره. فاهتم الفقيه أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي بعلم التفسير وألف فيه كتاب"**التفكير فيما يشمل عليه السور والآيات من**

---

[1] - اختلف في كتابة اسمه بين الباغاني والباغاني، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.85؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.198؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.174-176؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.1، ص. 49)؛ والباغائي من أهل باغاية مدينة بالمغرب الأوسط، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.362).

[2] - ذكر محمد المختار اسكندر أنّ تاريخ وفاته كانت سنة 461هـ-1069م، (انظر: المرجع السابق، ص.59).

[3] - الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325؛ محمد المختار اسكندر، المرجع السابق، ص.59-60.

[4] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.85-86؛ وزاد الحموي عن كتاب الصلة :" ... لا نظير له في علوم القرآن والفقه على مذهب مالك"، (انظر: **البلدان**، ج.1، ص.325).

[5] - نفس المصدر، ق.1، ص.85؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.325.

[6] - الكتاب حقق مرة واحدة من طرف سليمان بن عبد العزيز بن صالح آل سليمان، صدر عن جامعة الملك سعود، سنة 2008م، من أول الكتاب إلى نهاية أحكام سورة البقرة، اعتمد المؤلف على نسخة من مخطوط مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلامية، الرياض، تحت رقم 1292- ف.

[7] - عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.1، ص.49.

[8]- سمى الثعالبي كتابه "**المختصر**" ب "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.430).

[9] - الثعالبي، **الجواهر الحسان**، ج.1، ص.334، ج.5، ص.319.

[10] - المصدر السابق، ج.3، ص.155.

المبادي والغايات".[1] ورغم أنّ اهتمام أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي الإشبيلي بعلم الحديث تفقها وحديثا، إلاّ أنّه نحا نحو من سبقه من الفقهاء في الجمع بين علم التفسير والحديث، تقليدا للإمام مالك بن أنس، فألف كتابًا جمع فيه علم القرآن والحديث، وسمّاه "**غريب القرآن والحديث**".[2] واختصر كتاب "**الكفاية في علم الرواية**"للخطيب البغدادي (ت.463هـ-1071م)، وقد تحدث عنه الذهبي قائلا: "طلب هذا الشأن ورحل فيه إلى الأقاليم وبرع وصنف وجمع وسارت بتصنيفه الركبان وتقدم في عامة فنون الحديث".[3] ولمكانة الخطيب العلمية وبراعته في التصنيف في علم الحديث قام عبد الحق الإشبيلي باختصار كتابه[4] . وقد يطلب بعض الفقهاء من شيوخهم تفسير آية أو أكثر من القرآن الكريم، فيضطر هؤلاء إلى تلبية رغبة طلابهم، مثل ذلك ما قام به عبد الجليل الديباجي في تفسير آية الوضوء، التي كانت عبارة عن أسئلة وأجوبة.[5]

وأخبر الفقيه ابن خير الاشبيلي(ت.575هـ-1179م) ما رواه عن شيوخه من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن، من ذلك: القراءات وما يتصل بها كتاب" **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن على حروف المعجم**" لأبي بكر محمد بن عبد العزيز السجستاني: أنّ أبا مروان الطبني اعتنى به فقد قرأه على أبي عمر تصحيحا[6] وشرح شواهده أبو العباس أحمد ابن عبد الجليل بن عبد الله مروي التدميري (ت.555هـ-1160م). وأبو العباس هذا من نزلاء بجاية ألف بها لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين، كتابا سمّاه "**نظم القرطيين، وضمّ أشعار السقطيين**".[7]

ومن نزلاء بجاية الذين لهم باع طويل في علم التفسير، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي المالكي. فقد نقل عن

---

[1] – ذكره الغبريني في كتابه، (انظر: **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.14؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.2 ضمن "**المستدرك**"، ص.769).

[2] – عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.1، ص.257.

[3] – بكر بن عبد الله أبو زيد وآخرون، **آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 2013م، ج.25، ص.288.

[4] - البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب، ت.463هـ-1071م)، **كتاب الكفاية في علم الرواية**، د.ت، ص.2؛ **التكملة**، ج.3، ص.121؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

[5] – ضمن مجموع يازمه باغشلر رقم YAZMABAGISLARAR 2-1885 نسخت سنة 576هـ-1180م من 95آ- 105ب؛ رمضان ششن، **نوادر المخطوطات العربية**، مج.2، ص.34.

[6] – ابن خير، المصدر السابق، ص.55- 56.

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.60، **المعجم**، ص.39-40؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.236-237؛ ابن السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.321؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.1، ص.138؛ المراكشي، **الإعلام**، ج.2، ص. 68 وما بعدها.

كتــاب التفسير للإمام مــالك في كتابيــه:" **التقصي**" و" **القبس في شرح الموطأ**"،[1] واهتم هو أيضا بالتـأليف في علـوم القرآن ومن كتبـه: "**أحكام القرآن**"[2] و" **الناسخ والمنسوخ**"[3] الذي أورد فيه ماهية النسخ وشروطه وأقسامه وبيان ما نسخ من القرآن مكيه ومدنيه وأوّل ما نزل من سوره وعددها وما شمله النسخ منها وما لم يشمله.[4]

ومن مفسري المغرب الأوسط الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي فرج المازري المشهور بالذكي المفسر والنحوي واللغوي والأديب. فقد نقل الباحث عادل نويهض في كتابه عن حسن حسني عبد الوهاب أنّ للمازري الذكي: "تآليف كثيرة في القراءات والتفسير واللغة والنحو"،[5] لكن حسب المصادر المطلع عليها ممن ترجم له لم يُعثر على ذكر أسماء مؤلفاته ويُجهل من أين استقى حسن حسني عبد الوهاب هذه المعلومات؟.

وقد استمر اهتمام فقهاء المغرب الأوسط في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي بعلم التفسير، جاء ذكرهم عند بعض المؤرخين، منهم: من ينتمون إلى القلعة وآخرين من الوافدين عيها أو من المستقرين بها، كالفقيه أبو بكر أو أبو الحسن علي بن عبد الله بن ناشر بن مبارك الوهراني(ت.615هـ-1218م) المفسر والنحوي واللغوي والشاعر، الذي خلف كتابا في تفسير القرآن الكريم[6]. ولأبي علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي عناية في تفسير كتاب الله تعالى[7]. واهتم الفقيه أبو جعفر بن أمية وهو:" ابن مقلة في زمانه، بارع الخط، حسن الضبط، مليح التنبيه" في وضع تنبيهات وتقييدات على الكتب التي كان يقرؤها في علوم عدة منها: تفسير القرآن العزيز إمّا تقييد المطلق وإما تخصيص العام وإما تفسير اللغة أو بيان وجه الإعراب. وقد لاحظ الغبريني ذلك على جملة من كتبه.[8] وروى الفقيه أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة عن أبي بكر بن العربي وروى عنه أبو الحسن بن عتيق بن موسى الذي لقيه ببجاية، وكانت له مصنفات كثيرة منها كتاب "**نفس**

---

1 - ابن العربي، **القبس**، ج.3، ص.1047.

2 – أشار إليه ابن العربي في غالبية كتبه، (انظر: **قانون التأويل**، ص.121؛ وقال عنه حاجي خليفة أنّه "تفسير خمسمائة آية متعلقة بأحكام المكلفين، المرجع السابق، ج.1، ص.20، وقد طبع الكتاب عدة مرات بمصر آخرها سنة 1972م، تح. علي محمد البجاوي، (انظر: **قانون التأويل**، هـ.4، ص.121).

3 – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.128؛ المقري، **نفح الطيب**، ج.2، ص.25، **أزهار الرياض**، ج.3، ص.89؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.2، ص.559.

4 – نفس المصدر، ص.129.

5 – لم أعثر على ما ألفه في علم التفسير إلا ما ذكرته بعض الدراسات، (انظر: عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج.2، ص.601-602).

6 – لم أعثر على تفسيره، (انظر: السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.172؛ الداوودي، **طبقات المفسرين**، ج.1، ص.413؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349، **معجم المفسرين**، ج.1، ص.368؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.461).

7 – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.106.

8 – نفس المصدر، ص.99.

الصباح" في غريب القرآن ناسخه ومنسوخه.[1] واختصر الفقيه عبد الرحمن أبو المطرف بن مروان بن عبد الرحمن القنازعي (ت.413هـ-1022م) كتاب تفسير القرآن لابن عبد السلام ويذكر أن أبا نصر الداودي كتب له[2]. وروى الفقيه أبو بكر محمد بن علي المعافري (ت.483هـ-1090م) كتب عبد الجليل الديباجي كما ألف المعافري كتابا في التّفسير[3]، وألف أيضا الفقيه أحمد ابن بقي كتابًا في الآيات المتشابهات.[4]

حسب ما تقدم ذكره يلاحظ أن اهتمام البجائيين بعلم التفسير كان في تزايد، سواء كانوا من نزلاء المدينة من الأندلسيين أو من المستقرين بها، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الاشبيلي الحافظ والنحوي المشهور بالخِّذب(الخدب) له تعاليق حسنة على كتاب "**معاني القرآن**" للأمام أبي زكريا يحي بن زياد الفراء(ت.207هـ-822م).[5] وذكر الغبريني عن الفقيه ابن عصفور نزيل بجاية أنه:" شرح جزءً من كتاب الله العزيز سلك فيه مسلكا لم يسبق إليه أحد من:"الإيراد والإصدار والأعذار ربما يتعلق بالألفاظ ثم بالمعاني ثم بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة". وحسب ما أشار إليه الغبريني أيضا فإن ابن عصفور لم يكمل الكتاب بقوله:"لو أعانني الوقت وأمدني الله بالمعونة منه وأكمل هذا الشرح على هذا المنزع لكان ذخيرة العالم". وهو من القدرة على هذا، وهو أولى النّاس بشرح كتاب الله تعالى.[6] وصنف الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحراني التجيبي كتاب "**مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل**"...وسلك في تفسيره مسلك البيان والإيضاح.[7]

ويتضح أن مصنفات مالكية القلعة في علم التفسير، كان قليلا جدا مقارنة بالعلوم الأخرى كالحديث والفقه، كما ازدادت المسائل الفقهية انتشارا وانصبت جهود الفقهاء في الرّد عليها، أمّا الحديث فقد برع فيه القلعيون فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.76؛ ابن الزبير، المصدر السابق، س.1، ص.241؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص. 216؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.315؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج.2، ص.62.

[2] – ابن فرحون، المصدرالسابق، ج.1، ص.485؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.242.

[3] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.295.

[4] – السيوطي، **بغية الوعاة**، ج. ص.174؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.326 .

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.56؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.648-649؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.375؛ الذهبي، **المستملح**، ص.79-80؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.2، ص.81؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.299؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.28؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.70.

[6] – **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.150.

[7] – نفس المصدر، ص.70-71.

والثاني عشر الميلاديين. ولم يؤثر الوجود الشيعي في بلاد المغرب، على التفسير السني المالكي ببلاد المغرب، فقد ألف القاضي النعمان تآليف اعتمد فيها على التّأويل في تفسير الآيات.[1]

والجدول الموالي يرصد فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم التفسير.

الفقيه	مؤلفاته	المصادر والمراجع التي أوردت ذكره
أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي	أحكام القرآن	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.168؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص. 85-86؛ الحموي، البلدان؛ ج.1، ص.325؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.175.
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي	تفسير القرآن	الثعالبي، جواهر الحسان، ج.1، ص.334، ج.5، ص.319 وغيرها من الصفحات.
أبو عبد الله محمد بن أبي فرج المازري المشهور بالذكي	تفسير القرآن	عادل نويهض، معجم المفسرين، ج.2، ص.602.
أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الديباجي الربعي المعروف بالديباجي وبالصابوني	تفسير آية الوضوء	ضمن مجموع يازمه باغشلر رقم 1885-2 نسخت سنة 576هـ-1181م من 95آ- 105ب؛ رمضان ششن، نوادر المخطوطات العربية، مج.2، ص.34.
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي	التفكير فيما يشمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات	الغبريني، الدراية، ص. 14.
محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي البجائي المشهور بالخذب(الخدب)	تعاليق على كتاب"**معاني القرآن**"	ابن الآبار، التكملة، ج.2، ص.56؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ق.2، ص.648-649؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.5، ص.375؛ الذهبي، المستملح، ص.79-80؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.2، ص.81؛ المنتوري، فهرسة، ص.299؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.28.
أبو محمد عبد الحق الاشبيلي البجائي	غريب القرآن والحديث	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.329.
أبو بكر علي بن عبد الله بن ناشر بن مبارك الوهراني	تفسير القرآن الكريم	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج. 10، ص.150؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.172؛ الداوودي، طبقات المفسرين، ج.1، ص. 413.
أبو العباس أحمد بن محمد المعافري القلعي	مختصر كتاب التفسير لأبي عمرو	الغبريني، الدراية، ص. 148؛ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج.2، ص.74-75.

[1] - من مؤلفاته "**دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت الرسول عليه وعليهم أفضل السلام**"، تح. آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.

	الداني	

ثانيا:علوم الحديث

يعتبر علم الحديث من أعظم العلوم وأجلها فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى، فالسنّة النبوية هي شارحة له ومبينة لأحكامه، وقد ارتبط علم الحديث[1] بأقوال وأفعال وتقارير الرّسول (صلى الله عليه وسلم). وكانت فكرة تدوين الحديث عند الخليفة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) في قوله:"ذكرت قومًا كتبوا كتابًا، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله"،[2] إذ أنّ القرآن أولى بالتّدوين من السّنة. فدونت الأحاديث النبوية في عهد الصحابة والتابعين من بعدهم (رضوان الله عليهم) في كراريس صغيرة أطلق عليها "صحيفة" أو"جزء"، ثم جمعت الكتابات المتفرقة، ورتبت حسب مضمونها تقريبا في سنة 125هـ-743م حسب أسماء الصحابة في كتب سميت" المسانيد". وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي دونت في كتب جامعة سميت" المجموعات الصحيحة"[3] لذلك تأخر تدوينها خوفا من أن تختلط بالقرآن.

وخوفا من ضياع هذا العلم، اهتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد بعث فقهاء إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه. وكتب إلى أبي بكر بن حزم(ت.117هـ-735م) بالمدينة أن يجمع له السّنن ويكتب بها إليه، لكنه توفي قبل أن يرسلها له.[4] وممّن دوّن الحديث بأمر من الخليفة ابن شهاب الزهري.[5] وأرسل الخليفة ابن عبد العزيز عشرة تابعين فيما بعد إلى بلاد المغرب لتثقيف وتعليم أهله أسس الدين الإسلامي واللغة العربية.[6] وأدت هذه العملية إلى ظهور الطبقة الأولى من مشايخ القيروان.

---

[1] – الإمام مالك، **مقدمة موطأ رواية يحي بن يحي الليثي**، ص.5؛ عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**، ط.2، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، 1993م، ص.36 وما بعدها.

[2]– ابن سعد، **طبقات**، ج.3، ص.267.

[3]– سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.117.

[4]– القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.89؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، كتب مقدمتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الكتاني، ط.3، مطبعة دار الفكر، دمشق، 1964م، ص.3-4.

[5]– السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.5.

[6]– التابعين العشرة هم: أبو عبد الرحمن الحبلي، سعد بن مسعود التجيبي، إسماعيل بن عبيد الأنصاري، عبد الرحمن بن رافع التنوخي، موهب بن حي المعافري، حبّان بن أبي جبلة القرشي، بكر بن سوادة الجذامي، أبو سعيد جعثل بن هاعان، إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، طلق بن جابان المالكي، وهم من الطبقة الأولى من علماء إفريقية، (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.99 وما بعدها من عدة صفحات؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.180 وما بعدها من عدة صفحات).

بدأ عصر التّدوين في بعض العلوم حسب ما جاء في كتابي "**تنوير الحوالك**" و"**النّجوم الزاهرة**" سنة 143هـ-761م، وقد ذكر ذلك ابن الثغري فقال :"إذ شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث[1] والفقه والتفسير...،وصنّف أبو حنيفة النعمان الفقه والرأيّ بالكوفة، وصنّف الأوزاعي بالشام، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة...، وصنّف سفيان الثوري كتاب"**الجامع**"،[2]...، وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة؛ فسَهُل ولله الحمد تناولُ العلم فأخذ الحفظ يتناقصُ...".[3]

ويرى الذهبي أنّ اهتمام حواضر بلاد المغرب كبجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغيرها بالحديث كان قليلا،[4] وهو السّبب الذي دفع طلبة بلاد المغرب إلى التوّجه والارتحال لبلاد المشرق قصد دراسته.[5] غير أنّ معلومات المصادر عن المؤلفات المتعلقة بعلم الحديث ببلاد المغرب ورصيد المكتبات مغربا ومشرقا يدل على عكس ذلك. فذخائر المغرب الأوسط المتعلقة بإنتاج أبنائها العلمي من كتب وروايات من: سماع وقراءة وتقييدات وصلت إلى العديد من الحواضر المشرقية: كالإسكندرية[6] وبيت المقدس[7] وأصفهان.[8] وجاء نص الغبريني عند حديثه عن كتب عبد الحق الإشبيلي البجائي ليؤكد على انتقال المؤلفات إلى المشرق بقوله:" وقد اشتهرت كتبه بالمشرق، ووقع النقل منها، ونقل عنه صاحب"**الجواهر الثمينة**" في آخر كتاب الزكاة..."،[9] ويدل هذا القول

---

[1]– عن مالك بن أنس أنّ أوّل من دوّن العلم ابن شهاب الزهري، (انظر: الأصفهاني، **حلية الأوليـاء**، ج.3، ص.363؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.5؛ وقال ابن شهاب:" لم يدون هذا العلم أحد قبلي"، (انظر: الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.4).

[2]– يوجد فيه جميع أنواع الأحاديث المحتاج إليها من العقائد، والأحكام، والرقائق، وآداب الأكل، والشرب، والسفر، والمقام، وما يتعلق بالتفسير، والتاريخ، والسير، والفتن، والمناقب والمثالب، وغير ذلك، (انظر: الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.41).

[3] – ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.1، ص.444-445.

[4] – الذهبي(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت.748هـ-1347م)، **الأمصار ذوات الآثار**، أشرف على تحقيقه عبد القادر الأرناؤوط، وتح. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1985م، ص. 55-56؛ علاوة عمارة، **مكانة الفكر**، ص.109.

[5] – علاوة عمارة، نفس المرجع.

[6] – عبد الحق الإشبيلي، **الأحكام الشرعية**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم لاله لي LALELI 395 نسخت سنة 611هـ-1214وإجازة سنة 601هـ-1205م كلها بثغر الإسكندرية، انظر: الملحق رقم (5).

[7] – عبد الحق الإشبيلي، **مختصر الأحكام الشرعية**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 399 نسخت سنة 605هـ-1209م ، لوحة.2،210، انظر: الملحق رقم(6).

[8] – ابن قرقول الحمزي، **مطالع الأنوار**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 450، لوحة.1، كتب عليها"وكتب الفقير إلى الله ذو النسبين بن دحية والحسين رضي الله عنهما أبو الخطاب بن الحسين بخطه حامدا الله على حلايل نعمايه ومصليا على سيد ولد آدم محمد...ابنيائه ومقدس...وعلى آله وأصحابه وأصفيائه وذلك بأصفهان في عقب شهر ربيع الأوّل عام 599هـ-1203م" ولوحة.382 كتب عليها سنة 642هـ-1245 تاريخ نسخ المخطوط، وبناءً على تاريخ نسخ الكتاب، وروايته وصلت إلى أصفهان في القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.550)، وانظر أيضا: الملحق رقم(23).

[9] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.19.

على اهتمام المغاربة بصفة عامة بعلم الحديث من جهة، ومشاركتهم نظرائهم المشارقة في هذا العلم من جهة أخرى.

ولم يمنع هذا الاهتمام بعلم الحديث تنقل المغاربة إلى المشرق، فقد طلب الفقيه يَكْنُول بن الفتوح الزناتي (ت.6هـ-12م) -عند زيارته المشرق والتقائه بالمحدثين- من المغاربة الذين يطلبون علم الحديث، الرّحيل إلى بعض المدن فقال:"بلاد الحديث اليوم التي تشد إليها المطايا ثلاث، بغداد وأصبهان، ونيسابور"[1]. لذا فضل فقهاء مالكية المغرب الأوسط الانتقال بين هذه المدن وإلى ما سواها من المناطق.[2] واختيار المناطق التي شدوا إليها الرّحال، قلدوا فيها من سبقهم الرّحيل من الفقهاء الأوائل من بلاد المغرب، واتبعوا خلالها بعض النّصائح المشجعة لذلك.

وقد أشار الإمام مالك إلى الفئة التي يؤخذ عنها علم الحديث بقوله:"لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممّن سوى ذلك؛ لا يؤخذ من سفيه معلن بالسّفه، وإن كان أروى النّاس، ولا من صاحب هوى يدعو النّاس إلى هواه، ولا من كذّاب يكذب في أحاديث النّاس، وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحدث به".[3]

اقتضت الضرورة أن يطلب الخليفة العباسي من الإمام مالك بعد أن ذاع صيته مشرقا ومغربا، أن يضع للنّاس كتابا يعتمدوا عليه بقوله:" فما أحد اليوم أعلم منك"، وفي رواية أخرى:" يا أبا عبد الله ضم هذا العلم ودوّن كتبا وجنب فيها شدائد عبد الله بن عمر، ورخص ابن عباس وشواد ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجمع عليه الأئمة والصحابة".[4]

واختلفت الرّوايات فيمن طلب من الإمام مالك تدوين كتابه "**الموطأ**"،[5] والأرجح أنه بدأ تأليفه في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (136-

---

[1] - السلفي، **المعجم**، ص.237.

[2]- انظر: بعد ص. 132 من هذا البحث.

[3]- البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، ت.463هـ-1071م)، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تح. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1983م، ج.1، ص.227).

[4]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.73.

[5] - في رواية هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وفي رواية أخرى هو المهدي الذي طلب منه أن يضع كتابا يحمل الأمة عليه، (انظر: نفس المصدر، ج.2، ص.72-73).

158هـ/754-775م)،[1] إذ استغرق في تدوينه أربعين سنة، وتوفي ولم يتممه حسب ما ذكره القاضي عياض،[2] وهو أنفع كتاب إذ:"أنه ما كتب النّاس بعد القرآن شيئا هو أنفع من موطأ مالك وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو في ثريا"[3].

أودع الإمام مالك بن أنس في كتابه"**الموطأ**"، أصول الأحكام من الصّحيح[4] المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه،[5] وأصول مذهبه منها: عمل أهل المدينة والعرف وأقوال الصحابة(رضي الله تعالى عنهم) وغيرها دون إبراز ذلك. واجتهد تلميذه الإمام الشافعي الذي كان أوّل واضع لعلم الأصول في معرفة أصول مالك من خلال كتابه "**الموطأ**".[6] وقد أثنى عليه بقوله:"ما رأيت كتابًا أُلف في العلم أكثر صوابا من موطأ مالك".[7]وقال ابن عبد البر:"الموطأ لا مثيل له ولا كتاب فوقه بعد كتاب الله عزوجل"[8]. وشمل الكتاب حسب الإمام مالك: حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،[9] وقول الصحابة والتابعين، ورأيه، وعلى الاجتهاد وعلى ما أدرك عليه أهل العلم بالبلاد ولم يخرج من جملهم إلى غيره[10].

احتل الإمام مالك الصدارة في تحصيله لعلم الحديث، ولم يؤثر في صحة الكتاب عدم اهتمامه بالأسانيد وسلاسل الرواة.[11] فقد وصف القاضي عياض مالك بأمير المؤمنين في

---

[1]- قال الخليفة لمالك إن بقي حيا:"لأكتبن كتبك بماء الذهب"، وفي "رواية كما تكتب المصاحف، ثم أعلقها في الكعبة فأحمل الناس عليها" لكن الإمام رفض ذلك مخاطبا قائلا:" في كتابي حديث رسول الله وقول الصحابة وقول التابعين ورأيي هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم، غير أنه لا يعلق في الكعبة"، (انظر: نفس المصدر، ج.2، ص.71).

[2]- نفسه.

[3]- نفس المصدر، ج.2، ص.70.

[4]- الحديث الصحيح هو"الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذًا ولا معللا" ويحترز من هذه الأوصاف المرسل والمنقطع والشاذ...، (انظر: ابن صلاح(أبو عمر وعثمان ابن عبد الرحمن الشهرُزَوري، ت.643هـ-1246م)، **علوم الحديث**، تح. وشرح نور الدين عستر، دار الفكر المعاصر، لبنان، د.ت، ص.11-12).

[5] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.558.

[6] – عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص.17؛ نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.25-26).

[7] – ابن العربي، **مقدمة كتاب القبس**، ج.1، ص.57.

[8] – ابن عبد البر، **التقصي لما في الموطأ من حديث النبي**(صلى الله عليه وسلم)، اعتنى به فيصل يوسف أحمد العلي والطاهر الأزهر خُذيري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2012م، ص.6.

[9] – اختلف في عدد أحاديثه في المصادر، فقد ذكر القاضي عياض أن عددها في البداية 1500حديثا، فكان ينظر فيها ويسقط منها حتى أصبحت ألف حديث ونيف حين توفي، (انظر: **المدارك**، ج.1، ص.193)؛ أما ابن خلدون فذكر أنّ بالموطأ ثلاثمائة حديث أو نحوها، (انظر: **المقدمة**، ص.561)؛ ونقل السيوطي عن أبي بكر الأبهري أنّ"جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي(صلى الله عليه وسلم) وعن الصحابة والتابعين ألفا وسبعمائة وعشرين حديثا)، وعن ابن حزم في كتابه"**مراتب الديانة**"أنّه قال:"أحصيت ما في موطأ مالك فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفا..."، (انظر: السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.9؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.190-191؛ E.I, art « Malikiyya », par Bousquet, La Mudawwana, T.VI, p.263).

[10]- وفي رواية أخرى قال:"حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقول الصحابة وقول التابعين ورأيي، هو إجماع أهل المدينة ولم أخرج عنهم"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.72-73؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.6-7).

[11] – الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.190.

الحديث وأنّه:"القوة في السنن" وهو:" أوّل من ألف فأجاد التّأليف". وقال ابن مهدي:"ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للنّاس من الموطأ".[1] ووصفه مغلطاي بالصّحيح بقوله:"أوّل من صنّف في الصّحيح مالك".[2] وقال الشافعي:" ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك" وقال أيضا:"إذا جاء الأثر فمالك النجم"[3]. وقد ألحقه بعض المغاربة بالصّحاح الستة، فأُعطيت له عناية خاصة فاقت كتبا أخرى. وسئل البخاري عن أصح الأسانيد فقال:" مالك عن نافع عن ابن عمر".[4]

قال القاضي عياض:

إذا ذُكِرَت كتب العلــوم فَخَيْرُها   كِتَابُ المُوَطأ من تصانيف مالك
أصح أحاديـثـــا وأثبت سنـــــة   وأوضحهـا في الفقه نهجا لسالك
أسانيد أمثال الرواسي، صحيحة   ورأي كأنــوار النــجوم الشــوابــك
هو الحجة الغراء والعصمة التي   ينجي هداهـا من جميع المهــالك[5]

اعتنى فقهاء المالكية ببلاد المغرب والمشرق بكتاب "**الموطأ**"[6] تفسيرًا ورواية وشرحا، فقد قام بتفسيره ابن وهب، ومحمد بن سحنون،[7] وقيل إنّه:" لم يعتن بكتاب من كتب الفقه والحديث اعتناء النّاس بالموطأ".[8] وعن سفيان الثوري أنّه قال:" ليس شيء أنفع للنّاس من الحديث".[9]

تكررت رحلة المغاربة إلى الإمام مالك فكانت في وقت مبكر لحضور مجالسه والمداومة على سماع الأحاديث منه وأقوال الصّحابة والتّابعين من بعدهم. وفاقت عنايتهم بالإمام وبفقهه أكثر من نظرائهم المشارقة. بشهادة الإمام مالك نفسه. وظهر ذلك جليا لما طُلب منه وضع الكتاب بقوله:"أما هذا الصقع- يعني المغرب- فقد كفيته وأما الشام ففيه الأوزاعي وأما أهل العراق فهم أهل العراق".[10]

---

[1]- السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.3.

[2] – ابن العربي، **القبس**، ج.1، ص.58؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.8؛ بدر الدين الكتاني، **دراسة عن كتاب الموطأ**، ص.34.

[3] – العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1909م، ج.10، ص.8.

[4] – البغدادي، **الكفاية في علم الرواية**، ص.398.

[5] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.123.

[6]- تطرق الإمام الذهبي إلى الإمام مالك في ترجمة مطولة وكل ما يتعلق بالموطأ من شرح واختصار وغيره في كتاب "**سير أعلام النبلاء**"، (انظر: المصدر السابق، ج.8، ص.48 وما بعدها من عدة صفحات).

[7]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.242؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.8، ص.86.

[8] – نفس المصدر، ج.2، ص.80.

[9] – ابن النعيم، **حلية الأولياء**، ج.1، ص.130.

[10]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.73.

أسانيد فقهاء مالكية المغرب الأوسط لكتاب"الموطأ"

دخل كتاب "**الموطأ**" إلى بلاد المغرب على يد الفقيه علي بن زياد التونسي. وقد وصلتنا قطعة منه. وأشهر رُوّاته: الفقيه يحي بن يحي الليثي الأندلسي، وأكثر الرّوايات حديثا عن الإمام مالك.[1] وذكر القاضي عياض أنّ يحي بن يحي الليثي من رواة الموطأ من جلة الأئمة، والمشاهير، والثقات، وقال أنّه"روى عن أكثرهم في المشرق والمغرب".[2] واختلف في عدد الروايات المشهورة عن الموطأ،[3] منها رواية الفقيه أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري(ت.242هـ-857م) عن الإمام مالك وهي أكثر شيوعا في بلاد المغرب لتميّزها عن الموطآت الأخرى بزيادة مائة حديث فيها.[4]

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي عن الإمام مالك بن أنس أخبر بها الفقيه أبو عمر بن عبد البر عن الفقيه أبي الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز، عن أبي عبد الملك محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت.338هـ-950م)، ووهب بن مسرة الحجازي جميعهم عن ابن وضاح.[5] ولم يقتصر الفقهاء برواية واحدة للموطأ، فقد يجتمع لدى فقيه ثلاث روايات أو أكثر. فالفقيه أحمد بن نصر الداودي المسيلي روى كتاب "**الموطأ**" عن إبراهيم بن خلف الأندلسي بثلاث روايات منها: رواية أبي مصعب الزهري، ورواية عبد الله بن سلمة القعنبي ورواية يحي بن يحي الليثي، وقد اطلع على ذلك ابن الآبار بخط الفقيه محمد بن عباد.[6]

---

[1]- الروايات التي وصلتنا عن الموطأ هي : رواية علي بن زياد التونسي(ت.183هـ-799م)، ورواية محمد بن الحسن الشيباني(ت.189هـ-804م)، ورواية ابن القاسم(ت.191هـ-806م) تحدث عنها القابسي في كتاب "**الملخص**"، (انظر: المصدر السابق، ص.40-41؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.14)؛ ورواية القعنبي(ت.221هـ-833م)، ورواية ابن بكير(ت.231هـ-845م)، ورواية يحي بن يحي الليثي(ت.234هـ-848م)، ورواية أبي محمد بن سعيد الحدثاني الكوفي الهروي(ت.240هـ-854م)، ورواية مصعب الزهري(ت.242هـ-856م)، (انظر: الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.192-193؛ محمد الدردابي، "كتاب الموطأ وأهميته بين المصادر المذاهب الفقهية"، **ضمن ندوة أكاديمية" المذهب المالكي في المغرب من الموطأ إلى المدونة المنعقدة أيام 19-19-20 ربيع الأوّل 1429هـ الموافق 26-27-28 مارس 2008م**، فاس، المملكة المغربية، مج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م، ص.123 وما بعدها).

[2]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.86 وما بعدها من عدة صفحات؛ Schacht (J.), Deux éditions inconnues du Muwatta, **Dans Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida,** Roma, 1956, p. 477.

[3] - رواية يحي بن يحي الليثي هي إحدى الروايات الكاملة المشهورة التي وصلتنا سمعها من مالك بن أنس سنة 179هـ-796م، وثانيها: رواية محمد بن الحسن الشيباني الذي لازمه ثلاث سنوات(158-169هـ/775-785م) سمع خلالها الموطأ، (انظر: نفس المرجع، ص.192 هـ.2؛ وقد قارن بعض شراح رواية الشيباني مع رواية يحي بن يحي الليثي، (انظر: محمد الدردابي، المرجع السابق، ص.127-128).

[4]- موطأه آخر الموطآت التي عرضت على الإمام مالك تحتوي على نحو مائة حديث زائدا على الموطآت الأخرى، (انظر: ابن عطية(أبو محمد عبد الحق المحاربي الأندلسي، ت.542هـ-1148م)، **فهرس**، تح. محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط.2، مزيدة ومنقحة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983م، هـ.1، ص.94-95؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.9؛ محمد الدردابي، المرجع السابق، ص.126؛ بدر الدين الكتاني، **دراسة في كتاب الموطأ**، ص.30).

[5]- ابن خير، المصدر السابق، ص.71؛ ابن العديم، المرجع السابق، ج.8، ص.3548.

[6]-التجيبي، **البرنامج**، ص. 284؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.115.

ذكر ابن خير الإشبيلي أسانيد الموطأ من رواية يحي بن يحي الليثي أخبره بها المقرئ أبو الحسن عبد العزيز بن شفيع بدانية أيضا سنة (486هـ-1093م) والمقرئ أبو داوود سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى هشام بن عبد الحكم في منزله بدانية سنة 490هـ-1097م، وأبو علي الغساني الجياني قرأ رواية"**الموطأ**" عليه بقرطبة سنة 492هـ-1099م، كل هؤلاء الفقهاء أخذوا برواية أبي عمر بن عبد البر النمري عن أبي الفضل أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن التاهرتي البزاز [1] عن أبي محمد بن أصبغ، عن محمد بن وضاح، عن يحي ابن يحي الليثي.[2] وبإسناد التاهرتي أيضا عن أبي عبد الملك محمد بن عبد الله بن أبي دليم،[3] ووهب بن مسرة الحجازي، جميعا عن محمد بن وضاح، عن يحي بن يحي الليثي، عن مالك"،[4] ولأبي عمر بن عبد البر روايات كثيرة عن أبي الفضل التاهرتي البزاز بإسناد مختلف.[5]

ساهم فقهاء مالكية المغرب الأوسط في نشر علم الحديث مشرقا ومغربا برواية "**الموطأ**"،[6] منهم الفقيه علي بن أحمد ابن حنين (ت.569هـ-1174م)[7] نزيل بجاية الذي سمع موطأ الإمام مالك عن عبد الله مولى ابن الطلاع بقراءة أبيه، وسمعه أيضا برواية ابن بكير من الفقيه أبي حامد الغزالي دون أن يستجزه أثناء لقائه في رحلته الأولى عند أدائه فريضة الحج وكان ذلك سنة 500هـ-1107م.[8] وحدّث به الفقيه محمد بن عبد الله بن محمد القحطاني القرطبي(ت.595هـ-1199م) المشهور بابن درقة عن الفقيه أبي عبد الله بن الرمامة بمدينة تونس [9] وأخذه عنه الفقيه أبو عبد الله بن أصبع وغيره[10]. وقرأ الفقيه أبو عبد الله محمد بن سليمان البوني أحد شيوخ ابن بشكوال "**الموطأ**" بإشبيلية على أبي عبد الخولان. [11]

وقد عرفت رواية عبد الملك البوني لكتاب"**الموطأ**" انتشارا واسعا بين النّاس ببلاد المغرب. وقد يكون سمعها من شيخيه أبي الحسن القابسي وأبي جعفر الداودي، وقد لازم

---

[1]- ابن خير ، المصدر السابق، ص.71.

[2]- ذكرت أسانيد في كتاب الموطأ في بداية المخطوط، (انظر: الداني(أبو العباس أحمد بن طاهر بن علي، ت.532هـ-1138)، **كتاب الإيماء في أطراف أحاديث الموطأ لمالك بن أنس**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 253 وجه 2).

[3]- ذكر له القاضي عياض ترجمتين مختلفتين في الكنية أوّلها "أبو عبد الملك"وهو ما اتفقت عليه مجموعة من المصادر(**المدارك**، ج.6، ص.150)؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.434؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.71؛ أما الكنية الثانية "أبو محمد" أوردها في موضع آخر وأشار إلى أن ابن الفرضي ذكره بأبي محمد، لكن وبعد الإطلاع على المصدر تبين أنّه لم يذكره كما زعم القاضي عياض وقد يكون سهوا من هذا الأخير، (انظر: **المدارك**، ج.5، ص.210).

[4]- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.47، ص.290؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.71.

[5]- ابن العربي، **المسالك في شرح موطأ مالك**، قرأه وعلّق عليه، تح. محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، تق. يوسف القرضاوي، دار الغرب الإسلامي، 2007م، ج.1، ص.181؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.47، ص.290؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج.8، ص.3548.

[6]- الذهبي، **المستملح**، ص.170.

[7] – ذكر عبد الملك الاختلاف الواقع في تاريخ وفاته، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.152).

[8] – ابن الأبار، **التكملة**، ج. 3، ص.210؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.150-151؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج. 1، ص. 398؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص. 480.

[9]- نفس المصدر، ج.2، ص.75؛ الذهبي، **المستملح**، ص.92.

[10]- أوردت العديد من المصادر المغربية والمشرقية روايات "**الموطأ**" عن ابن الرمامة، (انظر: ابن الأبار، نفس المصدر؛ الذهبي، نفس المصدر، س.6، ص.316 وس.8، ق.1، ص.326-327؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج.8، ص.3547-3548؛ الذهبي، **المستملح**، ص.92، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1043).

[11]- ابن الأبار، **المعجم**، ص.129.

هذا الأخير خمس سنوات. ورواها البوني أيضا عن شيخه أبي القاسم عبد العزيز بن بندار[1]. ويبدو أنّه أخذها عندما كان مجاورا مكة. ورواها الكثير عنه وحدَّثوا بها. وأخذها عنه أيضا الفقيه ذي النون بن خلف بقرطبة، وعن هذا الأخير حدّث بها أبو محمد عبد الله بن موسى الشارقي. وقد وجد ابن الأبار خط ابن بشكوال بتوجيه الموطأ للبوني،[2] لكن صاحب الصلة أغفل ذكره.

رحل أبو محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي البجائي التاملغي إلى قرطبة، وهناك روى عنه الفقيه أبو الحسن العبسي وأبو علي الغساني، وحدث عنه أبو الحسن بن طاهر بن محشرة خال ابن الرمامة. وقد اطلع ابن الأبار على سماعه سنة 513هـ-1120م[3]. وحدث عنه أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حبوس بكتاب "**الموطأ**" برواية الغساني[4]. وحدث به أيضا عن أبي عبد الله بن أبي أحد عشر بن أبي على الصدفي،[5] ذكر ابن حماد هذه الرواية في نصوصه عن هذا الأخير.[6]

وأخذ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف القضاعي"**الموطأ**" قراءة عن عبد الملك البوني.[7] وبقراءته على أبي عمر بن عبد البر سمعه منه صهره أبو البحر سنة 456هـ-1064م بالشاطبة.[8] كما سمعه أيضا القاضي عياض السبتي عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي التاهرتي، وقال عن هذا الأخير أنّه:" ممّا سمعت عليه وقرأت، ومنه ما فاتني بعضه فأجازنيه"[9] ويقصد سماعه منه كتاب"**الموطأ**" .

ولما اسْتُؤْسِرَ الكاتب أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري[10] نُهبت كتبه فرحل إلى المشرق، وتنقل بين الشام ودمشق،[11] وحدَّث هناك بكتاب"**الموطأ**" وغيره من

[1]- ابن عطية، المصدر السابق، هـ.1، ص.94.

[2]- لم يورد ابن بشكوال ما ذكره ابن الأبار في كتابه، (انظر: **التكملة**، ج.1، ص.258).

[3] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.304؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.363.

[4] - نفسه.

[5] - نفسه.

[6] - نفسه.

[7]- نفس المصدر، ج.2، ص. 249.

[8]- نفسه.

[9]- القاضي عياض، **الغنية**، ص. 29.

[10]- ترجمته مطولة عند ابن عساكر، (انظر: **تاريخ دمشق**، ج.32، ص. 234 وما بعدها).

[11]- ذكر ابن عساكر أنّه لما توفي صاحب المغرب، انتقل إلى الشام مع أهله آخذا كتبه معه وهو عكس، ما رواه الإمام الذهبي في كتابه، (انظر: ابن عساكر، نفس المصدر؛ الذهبي، **المستملح**، ص.229).

الكتب، وسمع منه ابن عساكر ما كان عنده من علوم.[1] وقد فاق الأشيري جميع علماء الشام وحلب، فتسابق النّاس للأخذ عنه بل إنّ الوزراء والملوك تفاخروا بمجالسه والاسترشاد بعلمه وأرائه.[2] وقد استدرك النقص في الحياة العلمية الذي كانت تعاني منه مدينة حلب، فنزلها بدعوة من المالك العادل مؤمنًا له كل ما يحتاجه الفقيه المغترب عن بلاده من مسكن ومأكل وغيره، فأقام بها سنتين، يروي بها أحاديث الرّسول (صلى الله عليه وسلم)[3] بسبب نقص علم الحديث ببلاد الشام "في المائة الرابعة والخامسة، وكثر علم الجديث بعد ذلك في دولة نور الدين زنكي ومحدّثها ابن عساكر".[4] ويبدو أن للظروف السياسة دور كبير في جاذبية المشرق لفقهاء المغاربة خاصة في حكم نور الدين زنكي حيث شهدت المنطقة مرحلة الاستقرار السياسي والمذهبي واستتباب الأمن.[5]

ولم تنقطع رواية الموطأ عن فقهاء مالكية القلعة في المشرق، فقد روى الفقيه راجح بن أبي بكر إبراهيم بن محمد في مدينة بيسان عن أبي زكريا يحي بن على بن موسى المغيلي الذي أخذها عن أبي عبد الله محمد بن علي القيسي بن الرمامة، عن أبي البحر سفيان بن العاصي الأسدي، عن أبي عمر بن عبد البر.[6]

1-مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط على كتاب"الموطأ"

اعتنى بعض فقهاء مالكية بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة بالتّأليف على كتاب"**الموطأ**"، فوضعوا مؤلفات عديدة تحتوي شروحا ومختصرات عنه مثل:

كتاب "**النامي**" [7] في شرح الموطــأ للفقيــه أحمد بن نصر الداودي المــالكي، أحد كبـار المدرسة المالكية بالمغرب الأوسط، وأوّل شـــارح لكتاب "**الموطأ**"، ألفــه وهو بطرابلس،

---

[1]- نفس المصدر، ج.32، ص.235؛ الذهبي، المصدر السابق؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.17.

[2]- الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.203.

[3]- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.235

[4]- الذهبي، **الأمصار ذوات الآثار**، ص.26.

[5] – الحاج عيفة، المرجع السابق.

[6]- ابن العديم، المصدر السابق، ج.8، ص.3547- 3548.

[7]- يوجد جزء واحد من مخطوط بخط أندلسي، من أوائل الوضوء...بهامشه تعليقات لبعض أهل العلم، مخطوط بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 175؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.8، ص.87؛ Allaoua (A.), **Texte Méconnu**, p. 350.

وهو شرح قيم مختصر تطرق فيه إلى معنى الحديث والخلاف، أكثر من كلامه على الأسانيد.[1]

وكتاب "**تفسير الموطأ" للبوني**[2] لأبي عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطان،[3] الذي قال عنه القاضي عياض:" كان من الفقهاء المتفننين، وقال عنه ابن عتاب :"ولي فيه زيادات واختصارات والحمد لله".[4] وقد سبقه محمد بن سحنون في تفسيره. وحدث المنتوري عن أبي زكريا بن السّراج بكل تآليف البوني.[5]

– "**مختصر في شرح الموطأ**"[6] لأبي عبد الملك البوني، وهو اختصار لشرح الموطأ اشتهر به، وقال عنه القاضي عياض أنّه :"ألف في شرح الموطأ كتابا مشهورا حسنا رواه عنه النّاس"[7].

– "**شرح الموطأ**" لأبي علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني (ت.463هـ–1071م) ذكره البغدادي في كتابه "**هدية العارفين**"،[8] وقيل إنّه اختصار من "**التمهيد**".[9]

– "**مختصر الموطأ**" لمحمد بن تومرت (ت.524هـ–1130م) سماه "**محاذى الموطأ**"،[10] وقد قام المستشرق الألماني يوسف شاخت بدراسة حول أربع نسّخ المخطوطة للموطأ برواية ابن تومرت في مكتبات العالم.[11]

---

[1]– القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.83، ج.7، ص.17؛ الجيدي، **نظرات**، ص.37؛ محمد رستم، "أول شرح مغربي لصحيح الأمام البخاري"، مجلة **دعوة الحق**، المملكة المغربية، ع.313، س.36، جمادى الأولى–جمادى الثانية 1995م، ص.97؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.202.

[2] – وذكر محمد السليماني أنه مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية بتونس، مبتور أوّله وآخره، (انظر: ابن العربي، **المسالك**، ج.1، ص.331، هـ.2)؛ وقد حققه أبو عمر عبد العزيز الصغير دخان المسيلي وعنونه ب "**تفسير الموطأ للبوني**"، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2011م، يشمل جزئين) و(انظر أيضا: محمد العلمي، **الدليل**، ص.203).

[3]– القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.83؛ وذكره حاجي خليفة باسم "شرف الدين" البوني وله كتاب في التفسير سمّاه " **تفسير الشيخ شرف الدين البوني**"، (انظر: المرجع السابق، ج.1، ص.451).

[4]– ابن خير، المصدر السابق، ص. 76؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.203.

[5]– المنتوري، المصدر السابق، ص.259.

[6]– واختلف في تسمية الكتاب في المصادر فابن بشكوال مثلا ذكره باسمين مختلفين أولهما:"**مختصر في تفسير الموطأ**"، ثانهما: "**شرح الموطأ**"، (انظر: المصدر السابق، ق.2، ص. 616– 617).

[7]– القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.259.

[8]– البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.276؛ الزركلي، **الأعلام**، ج.2، ص.191؛ الجيدي، **نظرات**، ص.39.

[9] – الكاندهلوي(محمد زكريا المدني. ت.1402هـ–1981م)، **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**، عناية وتع. تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، 2003م، ج.1، ص.112.

[10]– القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح. يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر،1419هـ–1998م، ج.1، ص.19؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث**، ص.80 ، هـ.2 يحتوي على معلومات قيمة عن الكتاب.

[11] – Schacht(J.), **Deux éditions inconnues du Muwatta**, pp.477-492.

- "**مجموع في غريب الموطأ**"، لأبي علي حسن بن عبد الله بن حسن الكـاتب، يعرف بابن الأشيري (ت. بعد سنة 579هـ-1184م)[1]، أشهر شعراء الموحدين في زمانه.[2] وقد اطلع ابن الأبار على نسخة بخط المؤلف.[3]

- "**التقصي عن فوائد التقصّي**" لأبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي، ابن الرمامة، ألفه على كتاب"**التقصي**"، لحديث الموطـأ والأسـانيد لأبي عمر بن عبد البر.[4]

جمع الفقيه محمد بن سليمان اليعمري الندرومي التلمساني (ت.625هـ-1228م) بين شروح كتاب "**الموطأ**" لمّن سبقه من كبار الفقهاء كابن عبد البر وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت.474هـ-1082م)، وجعلها في كتاب "**المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار**"[5] جمع فيه بين كتاب"**المنتقى**" للباجي ،[6] وهو كتاب في "**شرح الموطأ**" يحتوي عشرين مجلدا، وكتاب"**الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار والأسانيد**" لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري.[7]

وكتاب"**غريب الموطأ وإعرابه**" [8] في سفر سمّاه الندرومي التلمساني"**الإقتضاب**"، لأنه اقتضب من كتابه الكبير المسمى"**المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار**" بزيادات من "**التمهيد**" وغيره، يحتوي تقريبا عشرين سفرا، بثلاثة ألاف ورقة،[9] ونقل الونشريسي بعض نصوصه في كتابه المعيار.[10]

ألف بعض نزلاء القلعة الحمادية كتبا في شرح الموطأ، منها: ما ألفه أبو العباس أحمد ابن طاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري(ت.532هـ-1138م)،[11] سمّاه "**كتاب**

---

[1]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.218؛ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص.434؛ وذكره أيضا محمد بن شريفة محقق الجزء الثامن من كتاب "**الذيل والتكملة**" ضمن التّراجم التي يفترض أن تكون ضمن السّفر الثامن المفقود، (ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.613)

[2] - ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص.434.

[3]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.218؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.16؛ عمر الجيدي، **نظرات**، ص.39.

[4]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.2، ص.135، محمد العلمي، **الدليل**، ص.204.

[5]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.165-166؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.317.

[6]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.124.

[7]- نفس المصدر، ج.8، ص.129؛ أكرم كولشن، المرجع السابق، ج.2، ص. 305.

[8]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.319؛ الجيدي، **نظرات**، ص.40؛ عبد العزيز بنعبد الله، المغرب بين الإمامين البخاري ومسلم"، **مجلة دعوة الحق**، ع. 240، ذو الحجة 1404هـ-سبتمبر 1984م، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ص.27.

[9]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.319؛ محمد العلمي، **الدليل**.

[10] - **المعيار**، ج.8، ص. 476، ج.9، ص.317-320؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.205.

[11]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص. 82؛ الجيدي، **نظرات**، ص.37.

الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ"[1] ضاهى به كتاب "**الصحيحين**"لأبي مسعود الدمشقي، وقد تفقه أبو العباس على أبي محمد المقري ببجاية،[2] وعرض كتابه على شيخه أبي علي الصدفي لينظر فيه، فاستحسنه وطلب منه أن يبسّطه أكثر، فزاد فيه.[3]

وقد دوّن أبو بكر بن العربي على الموطأ كتابين سماهما: "**القبس في شرح موطأ مالك ابن أنس**"،[4] أملاه في مدينة قرطبة على أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن محمد بن ذي النون الحجري وعلى ابن حبيش وغيرهما.[5] وألف أيضا كتاب "**المسالك في شرح موطأ مالك**".[6]

ولأهمية كتاب "**الموطأ**"، اشتغل الفقيه ابن عميرة الضّبي (ت.599هـ-1203م) نزيل بجاية بنسخه فكان "آية من آيات الله الكبرى في الكتابة" حسب رواية المراكشي، فقد استطاع خلال أسبوع أن يتمم كتابته بإتقان منقطع النظير، حسب ما اقتُرح عليه.[7] واهتم فقهاء آخرون بحفظه عن ظهر قلب.[8]

2- جهود فقهاء مالكية المغرب الأوسط بصحيحي البخاري ومسلم -رواية وتأليفا-

لا تقل مكانة الصحيحين البخاري ومسلم عند المغاربة عامة وفقهاء المالكية خاصة عن "**الموطأ**"، لكن المحدثان لم"يستوعبا الصّحيح كله" حسب ابن خلدون، لذا استدرك من جاء بعدهم من المحدّثين هذا النقص،[9] بالشّرح والاختصار، وكان دخول الصحيحين إلى بلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، حيث أقبل عليهما طلاب علم الحديث، بحفظ متونهما واستيعاب نصوصهما، واهتموا بأسانيدهما المتّصلة بكبار العلماء على اختلاف مذاهبهم وفرقهم.

---

[1]- تح. عبد الباري رضا بوشامة الجزائري في خمسة أجزاء، صدر عن مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2003م، اعتمد صاحبه على نسخة وحيدة الموجودة بالمكتبة السليمانية وقد سبق الإشارة إليها، (انظر: **فهرس كوبريلي**، ج.1، ص.139).

[2]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.43.

[3]- نفسه.

[4]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1916؛ ونشر سنة 1992م في ثلاثة أجزاء، وهو في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، درا. وتح. عبد الله ولد كريم، 1986م؛ الجيدي، **نظرات**، ص.39-44.

[5]- ابن العربي، **القبس**، ج1، ص.66؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.121.

[6]- ورد اسم الكتاب بصيغ مختلفة حسب المحققان الجزائريان محمد بن الحسين سليماني وعائشة بنت الحسين سليماني وهي:" **المسالك في شرح موطأ مالك**" و"**المسالك على موطأ الإمام الأعظم مالك**"، و"**ترتيب المسالك على موطأ الإمام مالك**"، و"**المسالك على موطأ مالك**"، و"**المسالك في شرح أبي عبد الله مالك**"، (انظر: ابن العربي، المصدر السابق، ص.206 وما بعدها؛ الجيدي، **نظرات**، ص.40.

[7]- المراكشي، **الإعلام**، ج.2، ص.103.

[8]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.528، و س.8، ق.2، ص.387.

[9]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص.559.

أ- صحيح البخاري

ألفه محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي إمام المحدثين في عصره، خرّج أحاديثه بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين. فاعتمد على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه.[1] ويعتبر ثاني كتاب في علم الحديث بعد كتاب"**الموطأ**"، اهتم به العلماء المشارقة والمغاربة، رواية وسماعا وتأليفا. واتفقوا على أنّ الصحيحين البخاري ومسلم أصح الكتب بعد القرآن الكريم، بل صحيح البخاري أصحهما وأكثرهما فائدة.[2]

يعتبر البخاري أوّل من صنّف في الصّحيح المجرد الأسانيد ثم الإمام مسلم. والإمام مالك"أوّل من صنف في الصّحيح"[3]، فهذا الأخير أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات، ولا ينطبق ذلك على صحيح البخاري لأنّ إسناده حذف عمدا قصد التخفيف إن ذُكر في وضع آخر أو للتنويع إن كان على غير شرطه ليخرجه عن موضوع كتابه.[4] وأضاف ابن العربي قائلا أن كتاب البخاري[5] هو الأصل الثاني في هذا الباب و"**الموطأ**" هو الأوّل واللباب وعليهما بناء الجميع كالقشيري والترمذي.[6] وحسب الكتاني أنّه ليس من كتب الصّحاح.[7] وعدد أحاديث البخاري حسب ما أنشد بهما ابن عبد الملك عن شيخه أبي الحسن الرعيني ممّا أذن له فيها.[8]

---

[1]- نفسه.

[2]- عبد الحق الإشبيلي، **مقدمة الجمع بين الصحيحين**، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، تق. الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ج.1، ص.9.

[3] – عدّ ابن خلدون الأحاديث الصحيحة للإمام المدونة في "**الموطأ**" ب" ثلاثمائة ونحوها"، (انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص.561؛ السيوطي، **الحوالك**، ج.1، ص.8).

[4]- الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.5.

[5]- سمي البخاري بالجعفي لأن جده المغيرة اسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي والي بخارى، (انظر: نفس المرجع، ص.10).

[6]- ابن العربي، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، وضع حواشيه الشيخ جمال مرعشلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج.1، ص.5، **مقدمة كتاب القبس**، ص.57.

[7] – المرسل من الحديث ما سقط من سنده صحابي، والمنقطع ما سقط منه أثناء سنده راو أو أكثر مع عدم التوالي، (انظر: الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، هـ.2، ص.4).

[8]- أحاديث البخاري عددها مذكور في البيتين التاليين:

جميع أحاديث الصحيح الذي روى ... البخاري خمسة وسبعة في العد

وسبعة ألاف تضاف ومـا مضى ... إلـى مائتين عد ذاك أولو الجد

(انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.319)؛ وذكر ابن خلدون أن عددها سبعة ألاف ومائتين وأنّ ثلاث ألاف منها متكررة، وهو راجع إلى طرق والأسانيد المختلفة في كل باب، وقد أشار حاجي خليفة إلى أقوال العلماء في سبب الاختلاف الواقع بينهم، وكان بينها الأحاديث المكررة، (انظر: **المقدمة**، ص.559؛ المرجع السابق، ج.1، ص.543).

ويرجع الفضل في إدخال رواية البخاري إلى إفريقية، للفقيه علي بن خلف المعافري القابسي،[1] وهو من كبار الفقهاء والمحدثين ببلاد المغرب. وأورد القاضي عياض أنّ أبا محمد الأصيلي هو الذي ضبط سماع البخاري للقابسي. وقد وجد ضمن فهرسة السّجل القديم لجامع القيروان أنّ تسعة وعشرين دفترا من البخاري في الرّق، مكتوب عليها تحبيس الفقيه السّيوري،[2] ويدل على أهمية الكتاب وعناية المغاربة به من جهة، وأنّ كتاب "**البخاري**" عرف انتشارا في القرن الخامس الهجرى/الحادي عشر ميلادي ببلاد المغرب.

والملاحظ بعد استقراء النّصوص أنّه يوجد تضارب في من أدخل "**صحيح البخاري**" إلى بلاد المغرب، بين أبي الحسن القابسي وأبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(ت.392هـ-1002م)،[3] إذ أنّ الفقيهين رحلا إلى المشرق في سنة 352هـ-963م وأديا فريضة الحج في السنة الموالية، كما أن أبا محمد الأصيلي ضبط سماع القابسي بخط يده لكتاب "**البخاري**" رواية أبي زيد المروزي، وعن هذا الأخير سمع الأصيلي الكتاب أيضا،[4] لكن مدة بقائهما في المشرق تختلف، فالقابسي انتقل من مكة إلى مصر ليسمع الحديث عن علمائها وأكثر الأخذ عنهم،[5] وعاد إلى افريقية سنة 357هـ-968م،[6] أما الأصيلي فقد انتقل من مكة إلى العراق وأخذ عن الأبهري والإمام الطبري وغيرهما فاستغرق مكوثه ثلاثة عشر سنة بالمشرق، حسب ما نقله القاضي عياض عن الفقيه أبي عمر بن الحذاء.[7] ويبدو أن القابسي والأصيلي سمعا "**صحيح البخاري**" في المرة الأولى في نفس المجلس وفي المرة الثانية سمعه الأصيلي دون القابسي، كما أنّ هذا الأخير دخل إلى إفريقية سنة 357هـ-968م[8] وبروايته للكتاب انتشر بين فقهاء بلاد المغرب، عكس الأصيلي الذي طال بقاؤه بالمشرق إذ أن وصوله لمدينة المرية كان سنة 366هـ-977م.

وحسب النصوص فقد دخل كتاب"**البخاري**" إلى المغرب والأندلس في القرن الرّابع الهجري/العاشر الميلادي ويعود الفضل إلى عدد من الفقهاء كأبي القاسم عبد الرحمن بن

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، **الإمام المازري**، ص.32.

[2]- إبراهيم شبوح، المرجع السابق، ص.362.

[3]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص.22.

[4]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.93، 136؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.139.

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص. 135.

[6]- نفسه.

[7]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.137.

[8]- نفس المصدر، ج.7، ص.136؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.135.

عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني، سمعه في مدينة خرسان عن محمد بن عمر بن شبويه المرْوَزِي، ورواه عن شيخه بالأندلس أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البلخي المستملي(ت.376هـ-987م)،[1] ورواه عنه فيما بعد فقهاء ممّن التقى بهم بالأندلس أو بغيرها من المدن.[2] ورواه أبو جعفر زكريا بن بكر الغساني التاهرتي المشهور بابن الأشج عند عودته من مصر.[3] والفرق بينه وبين الأصيلي أن هذا الأخير رواه بمدينة المرية، أما الأوّل رواه بقرطبة. ويحتمل أنّ النسخة التي اعتمد عليها أبو جعفر الداودي في شرحه لكتاب البخاري هي واحدة من النسخ التي سبق ذكرها.

وقد أغفلت المصادر تحديد السنة التي دخل فيها الصحيح إلى الأندلس إلاّ أنها أشارت إلى أن ابن الأشج راوي الصحيح قد التقى بأبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر[4] وحسب تاريخ وفاة المتنبي كان قبل رحلة القابسي والأصيلي إلى المشرق. ويحتمل أن ابن الأشج سمع البخاري قبلهما. ويثبت كلام ابن الفرضي أنّه حدّث بكتاب البخاري وغير وذلك من روايته بقرطبة، وقال عنه أيضا" سمعنا منه كثيرا وكتب عنه غير واحد، وأجاز للكثير ممّن التقى بهم.[5]

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي سمع صحيح البخاري كثير من فقهاء مالكية المغرب الأوسط منهم:

- أبو الفضل بن النحوي أخذ كتاب "**صحيح البخاري**" عن أبي حسن اللخمي.[6]

-علي بن القاسم بن محمد القسنطيني المتكلم الأشعري، سمع كتاب "**صحيح البخاري**" بدمشق من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي شيخ الشافعية في عصره بالشام.[7] وسمع الفقيه سالم بن سلامة السوسي كتاب" **صحيح البخاري**" بمدينة فاس عن أبي عبد الله بن الرمامة.[8]

3- مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط على كتاب "البخاري"

---

[1]- سمعه المستملي عن أبي عبد الله الفِربوي سنة 314هـ-926م ورواه عنه بالأندلس أبو القاسم الوهراني، (انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.8، ص.424، **سير أعلام النبلاء**، ج.12، ص.445).

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.318.

[3]- نفس المصدر، ص.152؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.361.

[4]- سبق وأن ذُكر وفاة المتنبي التي كانت سنة 345هـ-956م.(انظر: ابن الفرضي، نفس المصدر).

[5]- نفسه.

[6] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.225؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص.553.

[7]- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.43، ص.135، ج.74، ص.247؛ الحموي، **البلدان**، ج.4، ص.349؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.263.

[8]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.4 ، ص.124.

أولى فقهاء مالكية بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة اهتماما بالتأليف على صحيح البخاري، فأقبلوا عليه بالشّرح والتّعليق والاختصار، وبحثوا في مشكلاته وألفاظه، وتعرفوا على رجاله ورواته، واستخرجوا منه دقائق الفقه، وتراجم أبوابه.[1]

ويعد الفقيه أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي،[2] وقيل البسكري، أوّل المغاربة الذين قاموا بشرح البخاري،[3] في كتاب سمّاه"**النصيحة في شرح البخاري**"،[4] ووصف بأنّه من أجلّ كتبه[5]. وقد أغفل فؤاد سزكين وحاجي خليفة ضمه إلى شراح البخاري، وجعلا أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي السبتي(ت.386هـ-996م) أوّل شراحه، وسمّى كتابه "**أعلام السّنن**"[6] . ويبدو أنهما قد أخطآ في ذلك، ويُجهل سبب عدم ذكرهما لكتاب الداودي رغم إحصائهم لكتبه الأخرى، وقد يعود ذلك لعدم اطلاعهما عليه.

ونقل عن الداودي من جاء بعده من المؤلفين المغاربة والمشارقة في كتبهم الحديثية والفقهية، من بينهم القاضي عياض في كتابه"**مشارق الأنوار**"، وابن قرقول الحمزي في كتابه "**مطالع الأنوار**"[7]، ونقل عنه شمس الدين الكرماني، والحافظ علاء الدين مغلطاي(ت.792هـ-1390م) في كتاب "**التلويح**"، والإمام أحمد العيني(855هـ-1452م) في كتاب"**عمدة القاري**"، والحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب"**فتح الباري**"، والقسطلاني في كتاب"**إرشاد الساري**"، وأبو زيد عبد الرحمن الثعالبي في كتاب"**جامع الأمهات**".[8] ورغم أنّ

---

[1] – محمد رستم، المرجع السابق، ص.95.

[2]– القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.102-103؛ ابن خير، المصدر السابق، 76، 392؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.165-166؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.244، ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.264؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.442؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1؛ ص.319؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.141؛ وذكر الحفناوي عن نوازل الشريف العلمي أنّه توفي سنة 442هـ-1051م، (انظر: المرجع السابق، ق.2، ص.556).

[3]– نفس المصدر، ج.7، ص.103؛ وجاء اسمه مختلفا عند ابن مخلوف "**النصيحة في شروح البخاري**"، (انظر: المرجع السابق، ج.1، ص.265)؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.556؛ Allaoua (A), **Texte Méconnu**, p. 350

[4]– الكتاب مفقود في المكتبات لكن محمد رستم يميل إلى وجوده بخزانة القرويين إما بين الكتب التي لم تفهرس بعد أو بين مئات الكتب التي استعيرت من الخزانة وبقيت ضائعة عند المستعرين، (انظر: **أول شرح مغربي**، ص.98، 101).

[5]– عادل نويهض، **أعلام**، ص.141.

[6]– سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.229؛ جعل حاجي خليفة وفاته سنة 338هـ-950م، (انظر: المرجع السابق، ج.1، ص.545.

[7]– انظر: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، طبع ونشر بالمكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، 1978م، ج.1، ص.57،121،163، ج.2، ص.33، 96،366؛ **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح المبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**، تح. دار الفلاح، قطر،2012م، ج.1، ص.300، 433، ج.2، ص.94،100، ج.3، ص.176،189، ج.4، ص.84،231؛ ج.5، ص.53،147، ج.6، ص.73، 198؛ محمد رستم، المرجع السابق، ص.98-101.

[8] – الثعالبي، **جامع الأمهات في أحكام العبادات**، درا. وتح. موسى إسماعيل، أطروحة دكتوراه في تخصص أصول الفقه، إشراف كمال بوزيدي، جامعة الجزائر-1، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، 1430-1431هـ/2009-2010، ص.248، 263، 265، 273، 279، 540، 544؛ عبد العزيز الصغير دخان، موسوعة الداودي، ج.1، ص.81.

كتاب الداودي استحسن من الغالبية، إلاّ أنّه انتقد في شرح بعض الألفاظ اللغوية، وفي معنى بعض الأحاديث، كما أنّه خالف في بعض الأحكام مذهب الإمام مالك.[1]

ورغم ذلك فإن عددا من الفقهاء حدّثوا بتآليفه وبجميع رواياته منهم ابن خير الإشبيلي البجائي عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء، عن أبي عبد الملك بن مروان بن علي القطان البوني عنه. وكتب الداودي بالإجازة إلى أبي عمر بن عبد البر النمري الحافظ بتآليفه وبما رواه[2] دون ذكره لأسماء الكتب. كما حدث المنتوري أيضا بتآليف الداودي بسند أبي عبد الملك مروان بن علي البوني عنه دون ذكر أسماء الكتب مع نعته بشارح الموطأ.[3]

ونُسب لأبي عبد الملك البوني"**شرح البخاري**" و"**تفسير الموطأ**" حسب ما ذكره ابن حجر العسقلاني بقوله:" أنبأني بهما أبو علي الفاضيلي بهذا السند إلى ابن عتاب عن حاتم بن محمد الطرابلسي عنه...".[4] وبعد الإطلاع على المادة المصدرية المتوفرة تبين أنه لم يثبت ما أورده العسقلاني في كتابه عن البوني في شرحه لصحيح البخاري.

ولأبي محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي" **مختصر**" لكتاب البخاري، وهو مخطوط موجود بمكتبة بطرسبرج رابع 935، وذكر لورد ستين شرحا لصحيح البخاري ببرلين تحت رقم 1215.[5]

كما ألف الفقيه محمد بن سليمان اليعمري الندرومي التلمساني(ت.625هـ-1228م)، كتابا سمّاه"**مختار المختار بين يدي مختصر كتاب البخاري**" وهو في سفر كبير.[6]

ومن الأندلسيين الذين وفدوا إلى العدوة المغربية، واهتموا برواية "**الصّحيح**"، الفقيه أبو الأصبع عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن خلف الأموي(ت.560هـ-1165م) من مدينة بلشيد من عمل سرقسطة، زار مدينة تلمسان، سمع "**كتاب البخاري**" عن أبي الوليد الباجي، لكنه رفض أن يحدث به عنه، لأنّ الباجي كان يصاحب السلطان[7] ففي اعتقاده هذا من موانع الرّواية عنه. وممّن استفاد من فقهاء مالكية المغرب الأوسط أبو بكر محمد بن

1- محمد رستم، المرجع السابق، ص. 101 وما بعدها.

2- ابن خير، المصدر السابق، ص.392.

3 – المنتوري، المصدر السابق، ص.244.

4- العسقلاني، **المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، تح. محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني، مؤسسة الرسالة، 1998م، ج.1، ص.398.

5- بروكلمان، المرجع السابق، ج.6، ص.280، ج.3، ص.175.

6- ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.319.

7- ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.95.

يوسف بن مفرج بن سعادة نزيل تلمسان، أخذ كتاب "**البخاري**" من الفقيه أبي العباس بن حرب المسيلي.[1]

ومن نزلاء مدينة بجاية أيضا الفقيه محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي الإمام والخطيب بجامعها الأعظم، وهو من الروّاة والحفاظ للحديث، كان يستظهر عشرة ألاف حديث بأساندها...عارفا برجالها وبأسمائهم وتاريخ وفاتهم، عاكفا على كتاب"**صحيح البخاري**"، وإذا قرأ عليه حديث يسنده إلى صاحبه حتى ينتهي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم).[2]

وكان كتاب"**شرح البخاري**" أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري(ت.474هـ-1081م) صاحب كتاب -وهو من الحجم الكبير- كثير الفائدة، تنافس عليه الفقهاء بالرّواية والسّماع والحفظ، ومن فقهاء المغرب الأوسط الذي أخذ عنهم الفقيه ابن بطال الفقيه أبو القاسم الوهراني، وسند رواية هذا الأخير عن أبي إسحاق البلخي المستملي عن الفربوي عن الإمام البخاري.[3]

ب – صحيح مسلم

ألفه أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،[4] وحذا فيه حذو البخاري في نقل المُجْتَمع عليه من الحديث وحذف المتكرر منها، وجمع الطرق والأسانيد، وبوّبه على أبواب الفقه وتراجمه.[5] وقد اجمع المغاربة على تفضيله على كتاب "**صحيح**" البخاري،[6] فاعتمدوا عليه وأكثروا العناية به، بالحفظ والاختصار والشرح والمناظرة بين الفقهاء في أحاديثه، واعْترف أنّه لا نظير له في كتب الحديث، وهو ما اختاره جمهور العلماء.[7] وقد حُبست نسخ من "**صحيح مسلم**"[8] في مكتبة جامع القيروان يحتوي على أربعة أسفار في الطبق من الكاغط، في كل جزء منها تحبيس للفقيه السيّوري أيضا.[9]

[1]- الذهبي، **المستملح**، ص.98.
[2] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.139.
[3]- القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.160؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.121؛ الذهبي، **سير أعلام**، ج.12، ص.445؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.545؛ سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.229.
[4]- القاضي عياض، **الغنية**، ص.35.
[5]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص.559.
[6]- نفس المصدر، ص.560؛ السيوطي، **تدريب الراوي**، ص.98.
[7]- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص. 541.
[8] - ألف الإمام المازري شرحا سمّاه "**المعلم بفوائد مسلم**"، شمل عيون من علم الحديث وفنون من الفقه، ثم أكمله القاضي عياض وسماه "**إكمال المعلم**"، (انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص.560؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.400).
[9]- إبراهيم شبوح، المرجع السابق، ص.362.

سمع ابن عساكر كتاب "**صحيح مسلم**" من الفقيه المالكي أبي محمد عبد الوهاب بن عيسى بن محمد البسكري(ت.554هـ-1162م)، ومن الحافظ المرادي من أوّل أجزاء الكتاب، ولما عاد من بعلبك أعاد قراءتها عليه".[1]

رحل بعض الفقهاء من مالكية الأندلس المهتمين بعلم الحديث إلى القلعة وبجاية، كالفقيه أبو أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري الخزرجي البلنسي، له تأليف على صحيح مسلم سمّاه" **مجموع في رجال مسلم بن الحجاج.**[2] واختصره أبو عبد الله محمد ابن تومرت في كتاب" **الإعلام بفوائد مسلم**".[3]

4-المؤلفات الجامعة بين كتب الحديث.

أ- مؤلفات عبد الحق الإشبيلي البجائي،[4] امتاز عن غيره من فقهاء بجاية وكان أكثر تأليفا في علم الحديث ونقل عنه الكثير من بينهم أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي في كتاب"**جامع الأمهات**"،[5] وتتمثل مؤلفات عبد الحق في:

- كتاب"**الجمع بين الصحيحين**"[6] اختصر في جمع صحيح مسلم وحذف إسناده، وأسقط تكراره، واقتصر من السّند على اسم الصحابة فقط، إلا إذا اقتضت الضرورة إلى ذكر غيرهم فيذكره، ثم جمع بينه وبين البخاري، ثم يزيد ما زاده البخاري على مسلم من كلمة فما فوقها، ويذكر اسمه عند ذكر حديثه، وينبه على الزيادة، وإن عطفه بحديث آخر لم يذكر اسمه.[7]

وسبق عبد الحق الإشبيلي في"**الجمع بين الصحيحين**" الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله ابن محمد الجوزقي النيسابوري (ت.388هـ-998م)،[8] وألف أبو القاسم عبد الرحمن بن يحي

---

[1]- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.37، ص.342.

[2]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.43.

[3]- القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ج.1، ص.19؛ سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.271؛ بشير ضيف، **فهرسة معلمة التراث**، ص.80.

[4]- ابن الأبار، **التكملة**، المصدر السابق، ج.3، ص.120؛ الذهبي، **المستملح**، المصدر السابق، ص.280؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.60-61؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.180؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.2، ص.600؛ البغدادي، **هدية العارفين**، المرجع السابق، ج.1، ص.503؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.3، ص.379؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.6، ص.279.

[5] – الثعالبي، **جامع الأمهات**، ص. 123، 176، 204، 368، 389.

[6]- اعتنى به حمد بن محمد الغماسي تقديم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، 4 مجلدات، دار المحقق للنشر والتوزيع، 1999م؛ تح. وتع. طه بن علي بوسريح مرا. وتق. بشار عواد معروف،4 مجلدات، دار الغرب الإسلامي، 2004م؛ وتشمل المكتبة السليمانية بتركيا وجامع القرويين بالمملكة المغربية عددا من مخطوطات "**الجمع بين الصحيحين**" لعبد الحق الإشبيلي البجائي.

[7]- عبد الحق الإشبيلي، **الجمع بين الصحيحين**، ج.1، ص.1؛ وألف الفقيه عبد الرحمن بن يحي بن الحسن القرشي الإشبيلي من نزلاء بجاية كتاب "**الجمع بين الصحيحين**" وضعه على الإستقصا والتزام الأسانيد وهو ممّن حدّث عنه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي وقد يكون هذا الأخير حذا حذوا شيخه في تأليفه، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.34).

[8]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص.22.

ابن الحسن بن محمد القرشي الأموي أيضا كتاب"**الجمع بين الصحيحين**"، وضعه على الاستقصاء والتزام الأسانيد، وأبو القاسم هذا ممّن حدّث عنه عبد الحق الإشبيلي،[1] فقد يكون هذا الأخير اتبع منهجية شيخه في التّأليف.

سبق أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الأزدي القرطبي الميورقي(ت.488هـ-1095م)،[2] والإمام أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي (ت.516هـ-1122م)،[3] الإشبيلي في "**الجمع بين الصحيحين**" ثم جاء بعدهما أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي(ت.622هـ-1225م)،[4] إلاّ أن كتاب عبد الحق الإشبيلي البجائي أوفى جمعا وأتقن ضبطا وتحريرا، إذ أنّ الحميدي زاد في جمعه ألفاظا وتتمات ليست في واحد منهما، أما عبد الحق فإنه لم يخرج من ألفاظ الصحيحين،[5] لذا أُثني على كتابه مشرقا ومغربا.[6]

- كتاب "**الجمع بين المصنفات الستة**"، جمع فيه عبد الحق الإشبيلي بين الأصول الستة أي البخاري ومسلم والموطأ والسنن الثلاثة وسنن أبي داوود والترمذي والنسائي. [7]

-كتاب "**المرشد**"، وهو أكبر من صحيح مسلم، وضع فيه أحاديث مسلم كلها وما زاد البخاري عليه. وأضاف إلى ذلك أحاديث حسانا وصحاحا من سنن أبي داوود والنسائي والترمذي وغيرهم، وما وقع في الموطأ ممّا ليس في صحيح مسلم والبخاري.[8] وهو أحد المؤلفات التي نهبت منه لما دخل لبلة من إشبيلية هاربا من الفتنة التي حدثت هناك.[9]

- كتاب "**الجامع الكبير في الحديث**"، جمع فيه الكتب الستة وأضاف إليه كثيرا من مسند البزاز وغيره، منه الصحيح والمعتل، وتكلم على علله، وهذا أيضا نهب منه أيام الفتنة.[10]

- كتاب "**بيان الحديث المعتل**" **(كتاب في المعتل من الحديث)** قدر مسلم. [1]

---

[1]- لم أعثر في المصادر المخطوطة والمحققة على ذكر كتاب" **الجمع بين الصحيحين**" لأبي القاسم، وقد ذكره ابن الأبار، (انظر: **التكملة**، ج.4، ص.34)؛ وترجم له صاحب البغية إلاّ أنه لم يذكر أنّ له تأليف، (انظر: الضبي، المصدر السابق، ص.324).

[2]- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.599؛ سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.338؛ ذكر الكتاني أنّه ظاهري المذهب وهو تلميذ ابن حزم، (انظر: **الرسالة المستطرفة**، ص.173).

[3]- عبد الحق الإشبيلي، مقدمة كتاب "**الجمع بين الصحيحين**"، ج.1، ص.13؛ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج.2، ص.599.

[4]- سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.256.

[5]- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.299.

[6]- عبد الحق الإشبيلي، **الجمع بين الصحيحين**، ج.1، ص.15.

[7]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.121 ؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.60؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.2، ص.600؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.503؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.179.

[8]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص.60.

[9]- ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.120؛ الذهبي، **المستملح**، ص.280؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.60؛ الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.179-180.

[10] - ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

– كتاب "**الأحكام الكبرى**" بنـاه عبد الحق الإشبيلي على كتاب "**المنتخب**" لأبي عمر أحمد ابن عبد الملك بن محمد الأنصـاري الإشبيلي(ت.549هـ-1155م)[2]، انتقـاهـا من كتب الأحاديث وأورد أحاديثهـا بأسانيدهـا، فقد ذكر ابن الأبار أنه: "ظهر إدراكـه ونبله في معرفة صناعة الحديث واستقلاله له بعلومه، وإشرافه على علله وأطرافه، وتيقنه وبراعة نقده واستدراكه"، أخذها عنه بعض الفقهاء سماعا عند مرورهم ببجاية، منهم يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي بن غالب البلوي المالقي أبو الحجاج ويعرف بابن الشيخ[3]، وعقّب أبو الحسن ابن القطان الفاسي(ت.628هـ-1231م) عليها في كتابه الموسوم بـ: "**بيان الوهم والإبهام، الواقعين في كتاب الأحكام**"،[4] ولمحمد بن يحي أبو بكر بن خلف بن صاف الأنصاري المراكشي المشهور بابن مواق تعقيبات أخرى على كتاب شيخه ابن القطان[5].

وكتـاب "**الأحكــام الصغرى**"[6]، لم يقتصر عبد الحق الإشبيلي في هذا الكتـاب على أحـاديث الأحكـام الشرعية فقط مثل من سبقوه[7]. بل جمع فيه كما ذكر "مفترقا من حديث الرسول(صلى الله عليه وسلم)، في لوازم الشرع وأحكامـه وحلالـه وحرامـه، وفي ضروب الترغيب والتهذيب، وذكر الثـواب، والعقـاب، إلى غير ذلك ممّـا تميز حافظهـا، وتسعد العـامل بهـا وتخيرتهـا صحيحة الإسنـاد معروفـة عند النقـاد، قد نقلها الأثبـات وتداولهـا الثقات..." [8]، قرأه عن الفقيــه أبي عمران موسى ابن عبد الرحمــن بن يحي الغرنــاطي ويعرف بابن السخــان أبــو جعفر أحمد بن علي بن الطبــاع الرعينــي بالأندلس،[9] ووضع عليهـا عبد العزيز إبراهيـم

---

[1] – الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.180.

[2]– ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.55.

[3]– نفس المصدر، ج.4، ص.120؛ الذهبي، **المستملح**، ص.422.

[4] – درا. وتح. الحسين أيت سعيد، 6 أجزاء، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997م.

[5] – خالف بروكلمان المصادر التي تقول بأنّ تعقيب ابن قطان كان على الأحكام الصغرى وليس على الكبرى حيث ذكر الأحكام الصغرى ومكان تواجد مخطوطاتها ثم قال: "وعليه نقد بعنوان" **كتاب الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطان الفاسي المتوفى سنة628**هـ-1231م"،ج.6، ص.279؛ و(انظر أيضا: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.273)؛ ونقد الإمام الذهبي ابن قطان، (انظر: **نقد الإمام الذهبي لبيان الوهم والإبهام**، درا. وتح. فاروق حمادة، دار الثقافة، دار البيضاء، المملكة المغربية، 1988م؛ عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص.27)؛ لكن الحسين أيت سعيد محقق كتاب "**الأحكام الوسطى**" ذهب إلى أنّ كتاب الوهم ليس على الكبرى، وقد أشارت نصوص عديدة إلى ذلك، (انظر: **الأحكام الوسطى من حديث النبي (β)**، تح. حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، 1995م ، ج.1، ص.177).

[6]– تح. أم محمد بنت أحمد الهليس، أشرف عليه ورا. وقدم له بن علي بن مهد العنبري، في جزئين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، 1993م؛ توجد منها نسخ عديدة في المكتبات، (انظر: لوزري سعيدة، "إسهامات عبد الحق الإشبيلي البجائي في علم الحديث"، **بحث قدم ضمن الملتقى المغاربي السابع حول التراث العربي المخطوط المحفوظ في الخزائن الوطنية وخزائن بلدان المغرب العربي بين الفهرسة والتحقيق والنشر**، مخبر المخطوطات بالتنسيق مع قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، يومي 16 و17 مارس 2014م).

[7] – وشرح لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب ت.781هـ-1380م، (انظر: محمد العلمي، **الدليل**، ص.221).

[8] – عبد الحق الإشبيلي، **الأحكام الوسطى**، 1995م، ج.1، ص.6.

[9] – الذهبي، **المستملح**، ص.170؛ الكتاني، **الرسالة المستظرفة**، ص.180؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.199.

التـونسي (ت.673هـ-1275م) المشهـور بإبن بزيزة شرحـا سمّـاه "**مصالح الأفهام في شرح الأحكام**".[1]

- كتاب "**الأحكام الوسطى**"،[2] من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختصرة من الكبرى محذوفة الأسانيد، وقد قال فيها الكتاني: "ولعبد الحق أيضا الأحكام الوسطى، في مجلدين وقال في شفاء السقيم، وهي مشهورة اليوم بالكبرى"[3] وذكرها ابن غازي في فهرسته وسماها بـ "مختصر الأحكام،[4] توجد نسخة من المخطوط بمكتبة كوبريلي باسطنبول رقمها فاضل أحمد باشا 399 عنوانه "**مختصر الأحكام الشرعية من حديث الرسول**"[5]، أشار الإشبيلي في ديباجته إلى أنّ أحاديث الكتاب مختصرة الأسانيد لتسهل على من أراد حفظها أو من أحب التفقه والنظر إلى معانيها، إذ التفقه في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو المعنى المقصود والرأي المحمود والعمل الموجود في المقام المحظور واليوم المشهود.[6] رواها عنه أبو الحسن علي بن محمد بن علي ابن جميل زين العابدين المعافري الإمام والخطيب بالمسجد الأقصى.[7] كما التقى المنذري به هناك وهو يحدث بمسموعاته من بينها "**مختصر الأحكام**".[8] نسخها يوسف بن علي بن زيد الزهري سنة 605هـ-1209م، وهي النسخة الثانية من الوسطى القريبة من عصر المؤلف.[9]

---

[1] - المنتوري، المصدر السابق، ص.353؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.136.

[2] - توجد نسخة منها بجامع الأزهر تحت رقم 261/1 وهي أصل نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق وكان سليمان باشا قد أوقفها على مدرسته سنة 1150هـ-1604م تحمل رقم 291 نسخت سنة 1125هـ-1617م، عدد أوراقها 231، والديباجة: جوتا 12/2 ونسخة بجامع القرويين 235/1[219-ج1 تحتوي على 177 ورقة نسخت سنة 904هـ-1499م، وقد كتب على المخطوط خطأ أنها الأحكام الكبرى ويقول المفهرس للتراث العربي أنها الأحكام الوسطى، (انظر: بروكلمان، المرجع السابق، ج.6، ص.279.)

[3] - الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص.180.

[4] - أخبر بها ابن غازي بإسناد أبي ذر محمد بن مسعود الخشني تلميذ عبد الحق، (انظر: ابن غازي، المصدر السابق، ص.105)؛ وجاء في "**الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط، الحديث النبوي وعلومه ورجاله**" أن لعبد الحق كتاب اختصر وجرد الصحيحين من التكرار والأسانيد، (انظر: المرجع السابق، مؤسسة أهل البيت، المجمع الملكي، عمان، 1991م،ج.1، ص.64).

[5] - قارنت محتوى الأحكام الوسطى المحققة بمحتوى المخطوط فوجدت أنها لا تختلف عنها إلاّ في باب"ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه" ولا أدري ما السبب لأنني لم أتصفح مخطوطي مكتبة الظاهرية بسوريا والقرويين بفاس، (انظر: عبد الحق الإشبيلي، **مختصر الأحكام**، مخطوط بالمكتبة السليمانية رقمها 399؛ وانظر أيضا: الملحق رقم(6).

[6] - مخطوط "**مختصر الأحكام**"، لوحة.2.

[7] - أخذ العديد من الأندلسيين مؤلفات عبد الحق الإشبيلي عند مرورهم ببجاية منهم الفقيه أبي عبد الرحمن محمد بن جعفر بن أحمد المخزومي الشقري، الذي أخذ عنه كتاب"**التهجد**" وأجاز له، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.135؛ الذهبي، **المستملح**، ص.137).

[8] - المنذري، المصدر السابق، ج.2، ص.168.

[9] - مخطوط بمكتبة كوبريلي باسطنبول يحمل رقم 399.

– وكتاب "**مختصر الحديث**"، اختصر فيه أحاديث صحيح البخـاري حسب ما ذكره سزكين.[1] وهو غير مختصر الأحكام الذي جمع فيه المؤلف متفرقـات من حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في لـوازم الشرع وأحكامـه وضروب التـرغيب والتـرهيب وذكر الثواب والعقـاب، أخرجها من كتاب "**الموطأ**" والصحيحين البخاري ومسلم وسنن النسائي والترمذي وأحاديث من كتب أخرى.[2]

ولأهمية كتب الإشبيلي لم ينقطع ذكرها إما بروايتها أو وضع مؤلفات عليها في المغرب والأندلس، ففي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حدث الفقيه أبو محمد عبد الله ابن حجاج بن عبد الله الجزائري الأشيري (ت.641هـ–1244م) المشهور بابن سكّات، قاضي بجاية، في مدينة مالقة سمع بها كتاب "**الأحكام**" لعبد الحق الإشبيلي.[3] لكن المصادر لم تحدد أي الأحكام، وغالبية الظن أنّها الأحكام الوسطى لأنه أحد تلاميذ الإشبيلي من مدينة مالقة رواها عنه في المغرب والمشرق.[4]

ب– مؤلفات **ابن قرقول الوهراني الحمزي**،[5]تتمثل في: كتاب "**مطالع الأنوار على صحاح الآثار[6] في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**"،[7] وهذا الكتاب لم يضعه ابن قرقول "لشرح اللغات وتفسير المعاني، وتبيين وجوه الإعراب، بل وضعه لحفظ الرواية، وتقييد السّماع، وتمييز المشكل، وتقييد المهمل، وفتح ما استغلق من تلك اللغات، وتوجيه ما اختلفت فيه الروايات، وجذب منادِّها إلى جهة الصواب، على قدر ما فتح لي من مبهم هذه الأبواب".[8]

---

[1]– توجد نسخة من المخطوط في المتحف الأسيوي بطرسبرج تحت رقم رابع 935، (انظر: سزكين، المرجع السابق، مج.1، ج.1، ص.244؛ **الفهرس الشامل للتراث العربي**–الحديث النبوي–، ج.1، ص.565).

[2]– عبد الحق الإشبيلي، مخطوط "**مختصر الحديث**"، لوحة .1.

[3]– ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.308؛ الذهبي، **المستملح**، ص. 232؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.222.

[4]– عبد الحق الاشبيلي، مخطوط "**الأحكام الوسطى**"، لوحة. 2، و 210.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.129–130؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.109؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.1، ص.87 وما بعدها؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.16–17؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص. 83؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.9؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.6، ص.277–278.

[6] – وللفقيه ابن عميرة الضبي نزيل بجاية كتاب سمّاه "**مطالع الأنوار لصحيح الآثار**" وقيل إنّ له "أحاديث ساوى بها البخاري ومسلما"، (انظر: الزركشي، **الإعلام بمن حل بمراكش**، ج.2، ص.102).

[7]– رغم وجود عدة مخطوطات بالمكتبة السليمانية بتركيا إلا أن المحققين للكتاب اعتمدوا ستة نسخ واحدة فقط هي لأحمد الثالث بتركيا رقمها 2731، ومن نسخ السليمانية نذكر: فاضل أحمد باشا FAZILAHMETPS 45 ، عاطف أفندي ATIFAFENDI 631 ؛ **فهرس كوبريلي**، ج.1، ص. 230؛ حقق وقابل وعلّق على الكتاب أحمد عويس وآخرون، دار الفلاح، نشرته وزارة الأوقاف، 6 أجزاء، قطر، 2012م.

[8] – ابن قرقول، **مطالع الأنوار**، ج.1، ص.157.

وله كتاب "**شرح مشكلات الصحيحين المستخرجُ من مشارق الأنوار**"[1] للقاضي عياض السبتي، نسبه سزكين لابن قرقول ضمن شروح الصحيحين، لكنه تدارك الخطأ فيما بعد ولم ينسبه لابن قرقول فذكره كالتالي "**شرح مشكلات الصحيحين المستخرجُ من مشارق الأنوار للقاضي عياض تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول**"،[2] كما أن جل المصادر التي ترجمت لابن قرقول لم تذكر هذا الكتاب ضمن مصنفاته. والذي عني بجمع وشرح المشكلات هو المحدث أبو محمد عبد العزيز المعروف بالعصاري.[3]

- وكتاب "**حاشية مشارق الأنوار**" مخطوط بالمكتبة السليمانية بتركيا، لكن يوجد مسح لكلمة"حاشية" في ديباجة المؤلف إذ يقول:"أما بعد فهذه حاشية ألحقتها بكتابي التهذيب من مشارق الأنوار هي محذوفة من المطالع"، وقد قُيد في حاشية المخطوط كلمة"خاتمة"، رغم ثبوت عنوان الكتاب ب"الحاشية" في نهاية المخطوط،[4] ويبدو أنّ لابن قرقول كتاب آخر سمّاه "**التهذيب من مشارق الأنوار**" حسب ديباجته.

- **مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الحديث**

ساهم فقهاء قلعة بني حماد في وضع تأليف في علم الحديث لا تندرج ضمن الاختصارات أو الشروح أو الجمع بينها، منهم أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي (ت.525هـ-1131م)،[5] صحب القاضي عياض و"كان جليلا فاضلا فقيها ذكيا..."[6] له "**مسائل منثورة في الحديث**".[7]

---

[1] - سزكين، المرجع السابق، مج1، ج.1، ص.225؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.209.

[2] - نفسه؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.6، ص.278، محمد العلمي، **الدليل**.

[3] - يبدو أنّ الناسخ أخطأ في تدوين العنوان على المخطوط فاختلط عليه نسبة الكتاب لصاحبه، (انظر: العصاري(أبو محمد عبد العزيز)، الأول من **مشكل الصحيحين المستخرج من مطالع الأنوار للفقيه عياض ومن كتاب مشارق الأنوار للفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي يعرف بابن قرقول**، مخطوط مكتبة كوبريلي بالسليمانية، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMED.PS 334 ، نسخه أبو الحسن عمر بن خليل بن عمر التنوخي الشافعي بمدينة عجلون سنة 758هـ- 1357م، في جزئين، عدد أوراقه 258؛ وانظر أيضا: الملحق رقم(27).

[4] - ابن قرقول الحمزي، **كتاب حاشية المشارق**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، رقمه عاطف أفندي ATiFAFENDI 426، خط مشرقي، عدد أوراقه 223 ؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (26) 2

[5] - القاضي عياض، **الغنية**، ص.64؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.1، ص.255؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.86؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.284.

[6] - نفسه.

[7] - الكتاب مفقود وذكر"**المسائل المشهورة في الحديث**" في كتب أخرى، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.606؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.86؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص. 284).

واختصر أبو محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي كتاب"**اختصار اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار**"[1] في سفرين ألفه أبو محمد عبد الله بن علي ابن عبد الله بن عمر اللخمي المعروف بالرّشاطي الأندلسي المريّ (ت.542هـ-1148م) في فن الأنساب، اهتم به النّاس فأخذوه عنه، وقد أحسن في جمعه ولم يقصر، حذا في كتابه حذو كتاب السّمعاني الحافظ الذي سمّاه "**الأنساب**"[2]، ولأهمية هذا العلم رغب العلماء في معرفته فوضعوا فيه مؤلفات للإحاطة بمعرفة نسب الصحابة والمحدثين وغيرهم.

واختصر عبد الحق الإشبيلي أيضا "**كتاب الكفاية في علم الرواية**" للخطيب البغدادي[3] وقد تحدث عنه الذهبي عن الخطيب البغدادي قائلا: "طلب هذا الشأن ورحل فيه إلى الأقاليم وبرع وصنف وجمع وسارت بتصنيفه الركبان وتقدم في عامة فنون الحديث".[4] ولمكانة الخطيب العلمية وبراعته في التصنيف في علم الحديث قام عبد الحق الإشبيلي باختصاره، وألف أيضا كتابا في "**فضل الحج وزيارته**".[5] يبدو أنّ هذا الكتاب ماهو إلا تشيع لأداء فريضة الحج التي قارنها الفقهاء بالاستزادة العلمية.

كما ذكرت عدة مصادر أن لابن حماد الصنهاجي (ت.628هـ-1231م)[6] كتاب شرح فيه "**الأعلام بفوائد الأحكام**" لشيخه عبد الحق الاشبيلي[7]، لكن من ترجموا لعبد الحق لم يذكروه ضمن مؤلفاته، وأغلب هؤلاء هم من وضعوا ترجمة لابن حماد

[1] - ذكره ابن مخلوف" **اختصار اقتباس الأنوار**".(انظر: المرجع السابق، ج.1، ص.379)؛ أما ابن فرحون ذكره"**كتاب الرشاطي في الأنساب من القبائل والبلاد**"، (انظر: المصدر السابق، ج.2، ص.61)؛ تح. وتق. إيميليو مولينا وخائينتو بوسك بيلا، عنونه"**الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**"، نشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم لعربي، مدريد، 1990م.

[2] - ابن الأبار، **المعجم**، ص. 228؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.807.

[3] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.121؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

[4] - البغدادي، **كتاب الكفاية في علم الرواية**، ص.2،.

[5] - ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

[6] - اختلف في ذكر تاريخ وفاته بين 628هـ-1231م و629هـ-1232م و640هـ-1243م، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.166؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.510؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.30؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.102؛ الذهبي، **المستملح**، ص.166).

[7] - محمد العلمي، **الدليل**، ص.288؛ عبد الله التليدي، المرجع السابق، ص.72.

الصنهاجي.[1] ويظهر أن يكون ابن حماد "**شرح غريب أحكام**" للإشبيلي وهو ما ذكره ابن الزبير.[2]

أمثلة عن أسانيد فقهاء مالكية المغرب الأوسط رواية

1-أخذ القاضي عياض عن الفقيه الحسن بن علي بن طريف التاهرتي حديث عبد الله بن مسعود عن الرّسول (صلى الله عليه وسلم) عن الله عزوجل ونصه:"يقول الله تعالى للدنيا:"يا دنيا اخدمي من خدمني، واتعبي يا دنيا من خدمك"، والحديث بسند أبي علي بن طريف النحوي قراءة القاضي عياض عليه، وكتب أخرى في الحديث.[3]

2- أثناء رحلة ابن رشد التقى بالفقيه أبي محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي محب الدين، وذكر سماعه عن عمّ أبويه "**سنن أبي داود**" رواية اللؤلؤي[4]، وهذه الأخيرة أصح الرّوايات، وهي آخر ما أملى أبو داود، " ذكر ذلك الوزير أبو بكر محمد ابن هشام المصحفي في برنامجه" حسب ابن رشد، الذي نقل أسانيد أبي محمد المحب الطبري من سنن أبي داود من صورة لشجرة مغصّنة كانت من بينها أسانيد للفقيهين علي بن خلف بن معزوز التلمساني (ت.599هـ-1203م)، وأبي محمد عبد الله بن محمد الأشيري (ت.561هـ-1166م)،[5]

3- الأحاديث المسلسلات تخريج الشيخ أبي القاسم عبد العزيز بن بندار ابن علي الشيرازي عن شيوخه، ذكرها ابن خير قال: قرأت جميعها على أبي القاسم بن خلف اللخمي بقرطبة سنة 512هـ-1118م وسلسلتها معه قولا وفعلا وعملا وطعمت من طعامه، حاشى الصلاة بالرفع وحاشى الحديث في يوم عيد فقد حدثه به في غير يوم عيد، قال:"حدثنا الوزير الفقيه الأديب الحاج أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن علي التميمي الطبني".[6]

---

[1] – اختلف في اسم الكتاب لمن ترجم لابن حماد الصنهاجي، ذكره عادل نويهض باسم "**شرح الأعلام بفوائد الأحكام**"، ص.197؛ أما ابن الآبار والذهبي قالوا: "أنّ له تأليف وهو الأعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الاشبيلي"، (انظر: **التكملة**، ج.2، ص.167؛ **المستملح**، ص.166؛ أما ابن عبد الملك وابن الزبير ذكرا أنّ ابن حماد شرح غريب أحكام عبد الحق الإشبيلي"، (انظر: المصدر السابق، س.8، ص.510؛ المصدر السابق، ق.3، ص.30)، وتوجد نسخة من مخطوط "**شرح الأحكام لعبد الحق الإشبيلي**" بولاية أدرار، (انظر: حساني مختار وقويدر بشار، **مخطوطات أدرار**، الجزائر، ص.81).

[2] – المصدر السابق، ق.3، ص.30.

[3] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.142.

[4] – هو أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو البصري، (انظر: ابن رشد، **الرحلة**، ص.160، 241، 582).

[5]– ابن رشد، **الرحلة**، ص.237 وما بعدها.

[6]– ابن خير، المصدر السابق، ص.148.

4-ما ذكره أبو مروان الطبني عن شيخه أبو حفص عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي نزيل بونة، أنّ هذا الأخير أخبره عن حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)"احْذَرُوا فراسة المؤمن فَإنَّهُ يَنظر بِنُورِ الله"،[1] وتلى عليه قوله تعالى﴿إنَّ فِي ذَلِك لآيات لِلمتَوسِّمِين﴾،[2] قرأ ابن بشكوال الحديث وسنده ونقله عن خط البوني.[3]

5-إسناد أبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر ابن الرمامة عن أبي حفص عمر بن أحمد التوزري "أنّ الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقرّ التِّسَامة[4] على ما كانت عليه في الجاهلية".[5]

6- واستفاد الفقيه أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني من أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن مكتب الشاطبي حديث "**المسلسل في الأخذ باليد**" بشرطه، برواية أبي محمد ابن أيوب.[6]

ساهم القلعيون في نشر علم الحديث ببلاد المغرب والمشرق عن طريق رواياتهم ومصنفاتهم الحديثية التي انتقلت إلى المغرب الأوسط بواسطة رحلات الفقهاء المشرقية والمغربية بنوعيها من جهة، وبالفقهاء القلعيين من المحدثين بها من جهة أخرى، وبواسطة إسهاماتهم في تعليمه ونشره بين الناس، وساعدتهم في ذلك المناصب التي تقلدوها من قضاء وشورى، وأوردت المصادر عددا لا بأس به من أسماء هؤلاء من بينهم على سبيل المثال لا الحصر، الفقيه أبي محمد بن أبي عرجون التلمساني، حافظا للحديث أُخذ عنه واستقضي في العدوتين المغربية والأندلسية.[7] وأبو العباس أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي القسنطيني (ت. بعد سنة 537هـ-1143م) محدث روى بإشبيلية عن المحدث والقاضي شريح بن محمد الرعيني (ت.573هـ-1178م).[8]

إن وجود روايات بإسناد فقهاء مالكية المغرب الأوسط، وإجازات تحصّل عليها المغاربة والمشارقة في حواضرهم منسوخة على المخطوطات الحديثية التي يعود بعضها إلى عصر المؤلف بروايات تلاميذهم، والخطوط التي شاهدها المؤرخون على نسخ المؤلفات،

[1] – رواه أبو سعيد الخذري، سنن الترمذي، رقم 3127، هذا الحديث ضعيف غريب، باب "ومن سورة الحجر"، ج.5، ص.200.

[2] – سورة الحجر، الآية 75.

[3] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ج.2، ص. 398.

[4] - لم يعثر على معناها.

[5] – ابن الأبار، **المعجم**، ص. 282.

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص. 31.

[7] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص. 300؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.156؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.531؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.231.

[8] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج.1، ص.109؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص. 260.

والنصوص المصدرية من كتب التراجم والبرامج والفهارس التي ترجمت للعديد من المحدثين فبرزت بذلك المؤلفات المالكية، ومن خلال ما سبق ذكره ظهر الدّور الكبير الذي ساهم به فقهاء مالكية المغرب الأوسط في نشر علم الحديث رواية ودراية في مختلف الأقطار المغربية والمشرقية، وأصبحوا فيما بعد ممّن يشد إليهم الرّحال.

والجدول الموالي يرصد بعض فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الحديث، وقد يفوق عددهم أكثر مما ذكر.

الفقيه	مؤلفاته	المصادر والمراجع التي أوردت ذكره
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي	كتاب النامي في شرح الموطأ النصيحة في شرح البخاري	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.103؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.166؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.265؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.556.
أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني	شرح موطأ مالك -غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون	ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.1، ص.235؛ عادل نويهض، أعلام، ص.151؛ البغدادي، هدية العارفين، ج.1، ص.276.
أبو عبد الله محمد بن تومرت	-مختصر الموطأ "محاذى الموطأ" -مختصر صحيح مسلم "الإعلام بفوائد مسلم"	القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج.1، ص19؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج. 1، ج.1، ص.271. بشير ضيف، فهرست معلمة، ص. 80.
أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن أدهم بن عبد الله بن باديس ابن القائد الوهراني ابن قرقول واشتهر بالحمزي	-مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استعلق من كتب الحديث -مختصر مشارق الأنوار -حاشية	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.6، ص.109؛ البغدادي، هدية العارفين، ج.1، ص.9؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج.6، ص.278؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج.2، ج.1، ص.255؛ 275.
أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان البطيوي الكومي	-الاقتضاب في غريب الموطأ -المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار. - مختار المختار بين يدي مختصر كتاب البخاري في سفر كبير (مختصر على موطأ لابن عبد البر)	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.165-166؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.8، ص.317؛ المنتوري، فهرسة، ص.329،337؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ص.395-396.
أبو عبد الله محمد بن علي ابن حماد بن عيسى الصنهاجي	-شرح الأربعين -أعلام بفوائد الأحكام	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.166-167؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.324، 510؛

		الذهبي، المستملح، ص. 166.
أبو عبد الملك مروان بن بن علي البوني الأسدي المالكي	تفسير الموطأ شرح البخاري	الضبي، بغية الملتمس، ص.402؛ ابن بشكوال، التكملة، ج.2، ص.616؛ ابن خير، فهرسة، ص.392، 76؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.274؛ ابن فرحون، الديباج ج.2، ص.339؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.25، ص.234- 235؛ المنتوري، فهرسة، ص.259؛ العسقلاني، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، ج.1، ص.398.
أبو علي حسن بن عبد الله ابن حسن المعروف بابن الأشيري	مجموع في غريب الموطأ	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.218.
أبو عبد الله محمد بن داود ابن عطية بن سعيد العكي القلعي	مسائل مشهورة في الحديث	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص. 255.
أبو عبد الله محمد بن علي ابن جعفر بن أحمد القيسي ابن الرمامة	التقصي عن فوائد التقصي	ابن الأبار، التكملة ج.2، 158؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.325؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص. 22؛ الذهبي، المستملح، ص.156.
أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي البجائي	الأحكام الكبرى الأحكام الوسطى الأحكام الصغرى الجمع بين الصحيحين الجمع بين المصنفات الستة كتاب في المعتل من الحديث الجامع الكبير في الحديث كتاب الكفاية في علم الرواية	الضبي، بغية الملتمس ، ج.1، ص.391؛ ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.120؛ الغبريني، الدراية، ص.18 وما بعدها الذهبي، المستملح، ص.279-280؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.59 وما بعدها.
	اختصر اقتباس الانوار والتماس الأزهار للرشاطي مختصر صحيح البخاري مختصر الأحكام ...	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.329. مخطوط بطرسبرج رابع 935 نقلا عن بروكلمان، ج.3، ص.175؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج.1، ج.1، ص.244؛ ابن غازي، فهرس ، ص. 105.
الساكب بن محمد بن وهبون الخزرجي التلمساني	ألف أربعين حديثا	ابن عبد الملك، س.8، ص.561؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص. 221.

الفصل الخامس

المؤلفات فقهاء المالكية في الفقه والأصلين

أولا: الفقه

ثانيا: فقه الفتاوى (النوازل)

ثالثا: أصول الفقه

رابعا: أصول الدين

1- انتشار علم الكلام بالمغرب الأوسط

2- مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الكلام

المؤلفات فقهاء المالكية في الفقه والأصلين

أولا: الفقه

لغة: هو الفهم، والعلم بالشيء والفهم له، وقد غلب الفقه على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم، وجعله العرف خاصا بعلم الشريعة، وقد قال الله تعالى:﴿**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾،[1] أي ليكونوا علماء به.[2]

الفقه **إصطلاحا:** هو"العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال"،[3] أو"العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"،[4] أو هو "مجموعة الأحكام الشرعية العملية المستفادة من أدلتها التفصيلية"،[5] وقسّم ابن حزم علم الفقه إلى أحكام القرآن وأحكام الحديث وما أجمع المسلمون عليه وما اختلفوا فيه، ومعرفة وجوه الدلالة وما صحَّ منها وما لا يصح.[6]

وتهتم هذه الدّراسة بفقه الإمام مالك بن أنس وما سمعه أصحابه وتلاميذه من المشارقة والمغاربة من أجوبة للمسائل التي كانت ترده فدوّنوها في كتب، اختلف عددها. فصاحبه ابن القاسم بلغت سماعاته عشرين كتابا وكتاب المسائل في البيوع.[7] وبلغت سماعات ابن وهب ثلاثين كتابا وكتبًا أخرى في الموطأ وغيره.[8] وسمع هؤلاء وغيرهم ممن جاء بعدهم. فكان هذا الدور التأصيلي للمذهب المالكي إذ جُمع فيه الفقه والحديث في إطار الموطأ، ثم وسع تلاميذ مالك التدوين في الفروع سواء كانت مسائل فقهية أو نوازل وفتاوى.

وقد احتل فقه الإمام مالك المرتبة الأولى في بلاد المغرب لأنه ارتبط بصاحب المذهب، لهذا اهتم المغاربة بالتأليف في مرحلة متقدمة، وكان السّبق لأحد تلاميذ مالك وهو الفقيه علي بن زياد التونسي صاحب كتاب "**خير من زينته**" فهو أوّل تدوين في الفقه المالكي بعد "**موطأ**" الإمام مالك.[9] ثم أسد بن الفرات صاحب كتاب

---

1 – سورة التوبة، الآية 122.

2 – ابن منظور، المصدر السابق، مادة " فقه" ، مج.38، ص.3450.

3 – القرافي(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس، ت.684هـ–1285م)، **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، طبعة جديدة ومنقحة باعتناء مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2004م، ص.77.

4 – عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص.3.

5 – نفسه.

6 – **رسائل**، ج.4، ص.79.

7 – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.251.

8 – نفس المصدر، ج.3، ص.242.

9 – الكتاب في حكم المفقود، قال عنه سحنون:" ...أصله لابن الأشرس إلاّ أننا سمعناه من ابن زياد وكان يقرأه على المعنى وكان أعرف من ابن الأشرس..."، (انظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص.152؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.80؛ الطاهر بن عاشور محمد، **المحاضرات المغربيات**، جمع وإعداد عبد الكريم محمد، الدار التونسية للنشر، 1974م، ص.70؛ الجيدي، "المذهب المالكي"، **مجلة دعوة الحق**، ع.226، الرباط، ديسمبر1982م ص.44؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.198).

"**الأسدية**"[1] سمع بإفريقية من علي بن زياد[2] ومن الإمام مالك الذي كان يطلب منه المزيد في كل مرة، فقد سأله في أحد مجالسه عن مسألة فأجابه مالك عنها، لكن أسدا قال له:" فإن كان كذا، كان كذا" فقال له:"إن أردت هذا فعليك بالعراق"، فالتحق بالكوفة حيث يوجد الفقيه محمد بن الحسن الشيباني فأصبح من أصحابه المناظرين، يسمع منه بالنّهار مع العراقيين ويبيت عنده ليسمع منه باللّيل، وقال الشيرازي:" فقدم مصر فقصد ابن وهب وقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فتورع ابن وهب وأبى؛ فذهب إلى ابن القاسم[3] فأجابه إلى ما طلب، فأجاب بما حفظ عن مالك"، بقوله وفيما أشك قال: أخال وأحسب وأظن، ولما نوى العودة إلى إفريقية ثم أعطاه سماعه من مالك، وقال له:" ربما أجبتك وأنا على شغل، ولكن انظر في هذا الكتاب فما خالفه ممّا أجبتك فيه فأسقطه"، ودوّن عنه ستين كتابًا وسميت ب "**الأسدية**" [4]على اسمه.

ومنع أسد بن الفرات سحنون بن سعيد وهو أحد تلاميذه، من "**الأسدية**" فتلطف حتى وصلت إليه، ثم رحل بها إلى مصر، فعرضها على ابن القاسم[5]، فهذّب هذا الأخير مع سحنون "**الأسدية**"، وأسقط منها ما كان فيه شك من قول مالك، واستدرك منها أشياء فاتته،[6] وأجابه برأيه، وكتب إلى أسد أن يَعرض كتبه على كتب سحنون، فلم يفعل، فلما بلغه ذلك قال:" اللهم لا تبارك في الأسدية فهي مرفوضة..."، وقد رفض المغاربة الاعتماد عليها. [7]

وقد يكون السبب الذي جعل سحنون يرحل إلى ابن القاسم ويهذب معه بعض مسائل في"**الأسدية**" شكه في بعض مسائلها. وقام سحنون بتهذيب كتاب "**الأسدية**" ونسقها تنسيقا جديدا وبوبها وألحق بها حججًا من الأحاديث والأثار في المسائل المختلف فيها بين كبار أصحاب الإمام مالك، ورتبها ترتيب التصانيف، إلاّ فصولا بقيت على أصل اختلاطها في السّماع،[8] وبوّب الفقيه

---

1 – اختصرها أبو زيد بن الغمر(ت.239هـ–853م)، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم البرقي(ت.249هـ–863م)، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم(ت.268هـ–882م)، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.299، ج.4، ص.23؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.101)

2 – نفس مصدر، ج.3، ص.291؛ السيد محمد أبو العزم، المرجع السابق، ص.394.

3 – نفس المصدر، ج.3، ص.296.

4 – المصدر السابق، ص.156؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.297–298.

5 – سمع من أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري المصري (ت.204هـ–820م)، وابن وهب عبد الله بن مسلم الفهري المصري (ت.197هـ–813م)، وابن مهدي عبد الرحمن العنبري (ت.198هـ–814م)، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.298؛ الطاهر بن عاشور، **المحاضرات المغربيات**، ص.77؛ الجيدي، **محاضرات**، ص.177؛ محمد أبو الأجفان، **المدرسة المالكية**، ص.232 وما بعدها).

6– الشيرازي، المصدر السابق، ص.156؛ الجيدي، **المذهب المالكي**، ص.45.

7 – الشيرازي، المصدر السابق، ص.156؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.298؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.17.

8 – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.299.

أبو أيوب سليمان بن عبد الله المعروف بالمشتري(ت.335هـ-947م) الكتب المختلطة المتبقية،[1] وأخذت تسمية "**المدونة**"[2] فيما بعد، وسماها أبو عثمان سعيد بن الحداد:" المدودة".[3]

وطرح بعض الفقهاء المالكية وبعض [1] المستشرقين في دراساتهم إشكالية انتساب المدونة هل تنسب لابن القاسم أم لسحنون أم لأسد بن الفرات؟. وكان العابد محرز بن خلف قد طرح هذه الإشكالية قبل هؤلاء بقرون عديدة ولم يجد جوابا مقنعا ثم استقر رأيه على أنها إلاّ بعد فترة على أنّها من كلام الإمام مالك،[4] نسبتها بعض المصادر[5] والدّراسات الحديثة لسحنون بن سعيد التنوخي، من أمثال ميكلوش موراني ويوسف شاخت وبرنشفيك وغيرهم حسب قراءتهم للمصادر.[6]

وهذا يعني أن المدونة ليست إنجاز شخص واحد بل هي جهود مجموعة من الفقهاء،[7] وذهب البعض إلى أنها ثمرة مجهود ثلاثة من الأئمة: الإمام مالك بإجاباته وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتبويبه وبعض إضافاته، ذلك أنّها أساسا سماعات ابن القاسم عن مالك...،[8] ورأى آخرون أنّها أثر أربعة رّجال على التعاقب: الإمام مالك، ابن القاسم، وأسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد.

انتشرت "**المدونة**" في إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب، واعتبرت الأصل الثاني بعد الموطأ، فهي إنجاز هام في المذهب المالكي، وبها دعمت المدرسة المالكية مشرقا ومغربا، وأصبح النّاس يعملون بها ونسيت"**الأسدية**".[9] ووصلت إلى المغرب الأوسط عن طريق الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى التاهرتي المالكي برواية الفقيهين محمد بن وضاح وأحمد بن داود عن سحنون بن سعيد التنوخي، وأخذها عن التاهرتي القاضي أبو الفضل عياض

---

[1] – هو أبو أيوب المشترى بفتح الراء، جدّه المبارك مولى محمد بن الأمير القرطبي، واختلف في تاريخ وفاته بين 335هـ-947م وبين 337هـ-949م، (انظر: نفس المصدر، ج.6، ص.146؛ الجيدي، **المذهب المالكي**، ص.45؛ محمد المنوني، "حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية مرورا بعصر المختصر الخليلي وشروحه ثم امتدادا إلى أواسط القرن 20"، **ضمن محاضرات ملتقى الإمام سحنون 7-8-9 جمادى الثانية 1412هـ-13-14-15ديسمبر 1991م**، صدر عن مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس،1993م، ص.85).

[2] – لقد ذكر الباحث عمر الجيدي أنّها "أحرقت مرتين ففي المرة الأولى على يد عباس الفارسي، الذي كان محدثا يبغض أهل الفقه والرأي، والثانية في المغرب على يد الموحدين، (انظر: **المذهب المالكي**، ص.181).

[3] – الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.295.

[4] – أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص.120، الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.206.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.246؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.17.

[6] – ميكلوش موراني، "مصادر جديدة حول رواية كتب المدونة لسحنون بالقيروان"، محاضرات **ملتقى الإمام سحنون، 7-8-9 جمادى الثانية 1412هـ، 13-14-15 ديسمبر 1991**، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 1993، ص.134 وما بعدها من عدة صفحات؛ دراسات في مصادر الفقه المالكي، نقله عن الألمانية سعدي بحيري، راج. الترجمة فهمي حجازي، والمراجعة الببليوجرافية والتحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص.53 وما بعدها؛ و(انظر أيضا:
E.I, art « Malikiyya », par . Bousquet (G.H), La Mudawwana, T.VI, p.263 ; Brunschvig (R.) : ‹‹Logique et droit dans l`islam››, **dans L`Etudes d`islamolog**ie, éditions G. P. Maisonneuve et Larose, Paris,1976, T.2. P.349. ؛ وانظر أيضا: Schacht (J.), ‹‹sur la transmission de la doctrine, dans les écoles juridiques de l`Islam››, **dans Les annales de la faculté des lettres de l`université d`Alger**, T. X, 1952, pp. 408-413.

[7] - عبد الله الترغي، **تهذيب المدونة**، ص.274.

[8] – البراذعي، **تهذيب المدونة**، ص.31، 38؛ الجيدي، **المذهب المالكي**، ص.45.

[9] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.299؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.17؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.396.

إجازة،[1] بقوله:"ناظرت في جميعها عليه مناظرة عدة وقرأت عليه الكثير منها رواية وضبطا وأجازني باقيها".[2]

وقد اعتنى فقهاء بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة بالمدونة بداية من القرون الهجرية الأولى، ولما رأى الفقهاء من تلاميذهم صعوبة في لم شتات المسائل المعروضة فيها اجتهد بعضهم باختصارها وتهذيبها، و شرحها البعض الآخر ووضع زيادات عليها ووضع آخرون تعليقات وتقييدات عليها،[3] قصد تسهيل قراءتها والتدليل لمسائلها أو للمناظرة والمذاكرة،[4] لاعتبارها من كتب المطولات تستوجب وقتا كبيرا لفهمها واستيعابها عند فئة معينة من النّاس.

وقد ساهم ثلة من الفقهاء المالكية بمؤلفاتهم الفقهية من أجل استيعاب وفهم المذهب في بلاد المغرب، واعتكفوا في البداية على الاختصار والشرح والتقييد، واجتهدوا فيما بعد في وضع مؤلفات اعتمدوا في تأليفها عمّن سبقهم من الفقهاء، وهؤلاء ذكرهم ابن مخلوف بقوله:"لولا الشيخان أبو محمد بن أبي زيد وأبو بكر الأبهري والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن مواز، والقاضيان أبو الحسن بن القصار وأبو محمد عبد الوهاب لذهب الفقه المالكي".[5]

شرح محمد بن سحنون أربع كتب من "**المدونة**" منها كتاب المرابحة وهو أوّل شراحها،[6] وألف الفقيه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني المالكي إمام المالكية في بلاد المغرب وقدوتهم"جامع المذهب وشارح أقواله" محصلا على رئاسة في المذهب، وهو ممّن يشد الرّحال إليه من جميع الأمصار حتى أصبح يسمّى "مالك الصغير" [7]، وهو أوّل من صنّف في هذا الفن كتابا على المدونة سمّاه "**النوادر والزيادات**" يحتوي على أكثر من مائة جزء، اشتهر تداوله بين الناس مغربا ومشرقا، واختصر كتاب "**المدونة**"[8] وهاذين الكتابان كانا

---

[1] – رواية ابن مسرور عن أحمد بن داود عن سحنون إلا كتابي الوصايا وجنايات العبيد فابن مسرور يرويها عن سعيد بن إسحاق عن سحنون بن سعيد التنوخي، (انظر: القاضي عياض، **الغنية**، ص.41).

[2] – نفسه.

[3] - البرادعي، **التهذيب**، ص.39.

[4] - القاض عياض، **المدارك**، ج.3، ص.299، **الغنية**، ص.41.

[5] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.215.

[6] – لم يتمم محمد بن سحنون شرح "**المدونة**"، (انظر: الدباغ، المصدر السابق، ج.2، ص.134).

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.216.

[8] – الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.219.

المعوّل عليهما في بلاد المغرب،[1] وأتمّ الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القيرواني ما بقي من "**تعاليق التونسي على المدونة**".[2]

واهتم فقهاء مالكية المغرب الأوسط بالتصنيف على المدونة مثل نظرائهم رغم قلته، فالفقيه أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي من أئمة المالكية بالمغرب نظير أبي محمد بن أبي زيد القيرواني ومعاصره، وأوّل من وضع "**شرح على المدونة**" حسب معلومات الجيدي،[3]وتلاه فيما بعد الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الأشيري فاختصر "**مختصر محمد بن أبي زيد على المدونة**"،[4] ويبدو أنّ بعض الفقهاء عزفوا عن المطولات الفقهية، ولكن كان الأجدر لهم في تبسيطها لتسهيل استيعابها والاعتناء بها، ولا يقصد هنا التوسع في المختصرات لأن ذلك قد يضر الطلاب والمؤلفين معا، ويقوي التمذهب والتعصب ويضعف الهمم.

ممّا لا شك فيه أن التّحصيل العلمي للمدونة يحتاج إلى مدة طويلة، فقد يبقى الطالب ملازما شيخه سنين معتكفا عليها لذا نجد بعض الشيوخ يبرمج دروس الفقه على كتاب "**المدونة**" ثلاثة أيام في الأسبوع: الاثنين والأربعاء والجمعة [5] وهو ما حدث لابن أبي زيد القيرواني حيث لازمه عدد من فقهاء المغرب والأندلس مدة زمنية للاستزادة من علمه لأخذ مصنفاته منها: الفقهية منها: "**المدونة**" و"**النوادر والزيادات**"، ومن هؤلاء الفقيه أبو عبد الرحمن ابن العجوز السبتي الذي انتقل إلى القيروان بعدما تفقه عن شيوخ بلده، وبقي بها خمس سنوات ملازما ابن أبي زيد فأخذ عنه"**مختصر المدونة**"،[6] وهذا الكتاب يعتبر أهم المختصرات في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكتاب"**النوادر والزيادات**"[7] وبفضله دخلت هذه الكتب إلى المغرب الأقصى وانتشرت به، ويعد هذان الكتابان أساس التفقه،[8] ومن هذا الأخير استفاد الفقيه عثمان بن سراب من قلعة بني حماد من علمه.[9] ونسب

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.217؛ وقد أحرقت كتب الفروع أيام الموحدين منها: "**النوادر والزيادات**" ومختصر المدونة وغيرها من المؤلفات، (انظر: المراكشي، **المعجب**، ص.231؛ إدريس خرشفي، المرجع السابق، ص.50).

[2] – نفس المصدر، ج.8، ص.113.

[3] – لم أعثر على المصدر الذي اعتمد عليه الجيدي والذي جاء فيه أنّ الداودي أول شارح للمدونة فيكون هذا الأخير، وإن سلمنا بذلك فهو شرحها كاملة، (انظر: **محاضرات**، ص.182).

[4] – القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.130؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.95؛ وذكره ابن فرحون "أحمد بن جعفر الزهري"، (انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.253)؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.17؛ يوجد خمسة أسفار مجلدة من مختصر ابن أبي زيد القيرواني، وتسعة وثلاثون دفترا رقا من مختصراته مختلفة العمل بمكتبة جامع القيروان، (انظر: إبراهيم شبوح، المرجع السابق، ص.366).

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.241.

[6] – القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.129؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.217؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.3، ص.284.

[7] – اختصرها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الفخار المعروف بالحافظ (ت.419هـ-1028م)، (انظر: القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.131).

[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.217.

[9] – نفس المصدر، ج.7، ص.279، و ج.8، ص.77.

الحجوي (ت.1376هـ-1957م) كتابا لعبد الحق الاشبيلي عقّب فيه على"**التهذيب**" للبرادعي وقال إنّ له "أشياء أحالها في الاختصار عن معناها".[1]

ولم يقتصر المغاربة على قراءة المدونة بطريقتهم، فقد قرأها ابن العربي بالمشرق بقراءة مختلفة عن الطريقة القيروانية التي تعتمد على التنظير والتمثيل بينما طريقة العراقيين تعتمد على ما تقدم من معرفة الدّليل.[2] وظهرت كتب في المذهب المالكي بالأندلس منها: "**الواضحة**" لعبد الملك بن حبيب الذي رحل إلى المشرق سنة 208هـ-823م وسمع من كبار الفقهاء هناك، واعتبرها بعض الباحثين الأصل الثاني بعد "**الموطأ**" والمرجع الأساسي في الفقه لمدة طويلة،[3] بينما رتبها آخرون بعد "**المدونة**".[4] وكتاب"**المستخرجة**"[5] أو"**العتبية**" لمحمد العتبي.[6] وألف ابن أبي زيد القيرواني كتاب "**الرّسالة**"[7] وهي تبسيط للمذهب المالكي، وكتاب "**النوادر والزيادات**" على المدونة.[8]

وساهم فقهاء المغرب الأوسط في ترسيخ الفقه المالكي بمؤلفاتهم، فقد ألف أبو جعفر الداودي كتابا في الفقه المالكي سمّاه "**الواعي**" [9]، وكتاب"**الأموال**"، الذي يشمل على جزأين حسب الدراسة التي قام بها الباحث علاوة عمارة في مجلة "أرابكا"، فقد ذكر أنه كتب الجزء الأوّل كتبه الداودي، والجزء الثاني أتمه محمد بن عبد الرحمن المغيلي، حسب ما كتب في نهاية مخطوط إسكوريال بتاريخ يوم السبت 23 صفر 677هـ- 15جويلية 1278م وكتب في بداية الجزئين عبارة "أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي قال..."،[10] ولأهميته حقق أكثر من مرة.[11] ويبدو أن أوضاع بلاد المغرب في هذه الفترة ساهمت بشكل كبير في وضع مثل هذه المؤلفات، إذ الهدف منها توعية الرأي العام بالفقه المالكي السني، خوفا من

---

[1] - **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة المعارف، الرباط، 1922م وكمل بمطبعة البلدية بفاس، 1927، ج.4، ص.61؛ عبد الهادي الحسيسن، "أبو محمد عبد الحق الإشبيلي 510-582هـ/116-1186م"، **مجلة دعوة الحق**، ع.7، س.24، الرباط، 1983م، ص.50.

[2] - ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.438.

[3] - سالم يفوت، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005م، ص.79.

[4] - بشير ضيف، **مصادر الفقه المالكي**، ص.46.

[5] - اختصرها الفقيه يحي بن عمر(ت.289هـ-902م) في كتاب سماه ب "**المنتخبة**"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.359).

[6] - البراذعي، **التهذيب**، ص.36.

[7] - القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.131 وما بعدها من عدة صفحات.

[8] - ابن عاشور، **المحاضرات المغربيات**، ص.77، الهنتاتي، **المذهب المالكي**، ص.195؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.399.

[9] - محمد العلمي، **الدليل**، ص.76.

[10] - Allaoua(A.), **Texte méconnu**, p.351.

[11] - درا. وتح. لمحمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، مركز الدراسات الفقهية، دار السلام، 2001م؛ وتح. ودرا. رضا محمد سليم شحادة، مذكرة الماجستير، إشراف عبد السلام الهراس، الرباط، سنة 1988م، وطبعت عن دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، (انظر: محمد العلمي، **الدليل**، ص.280؛ Ibidem)؛ وتوجد نسخة منه في مكتبة ابزو بناحية مراكش التي أسسها ولي الله أبو عبد الله الصغير بن محمد النيار، (انظر: الكتاني، **تاريخ المكتبات**، ص.325).

تأثرهم بالوجود الشيعي الذي تمثله الدولة الزيرية ولو ظاهرا، ويلاحظ ذلك من المسائل التي تطرق إليها الداودي، فغلبت عليها المعاملات المالية، مثل التي فرضتها الشيعة قهرا، منها مسألة الخمس[1] التي يعتبرونها من حقهم، مستدلين بقوله تعالى ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[2]، ونسب الشيعة إلى جعفر الصادق أنّه قال:"الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء ونحن شركاؤهم في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه معهم والخمس لنا دونهم نعطى منه يتامانا وفقراءنا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا في الصدقات شيء".[3]وهذه الآية التي احتج بها الشيعة لا تؤيد زعمهم لأنها تتكلم عن خمس غنائم الحروب ولا تُخمس أموال المسلمين مطلقا. وذلك الخمس ليس خاصا بآل البيت، وإنما هو يخص قربى الخليفة، أو الإمام وأولهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومن جاء بعده، واليتامى والمساكين وذوي القربى.

وألف الداودي كتاب "**البيان**"[4] وكتبا أخرى، ويظهر أن المصادر أغفلت ذكره سوى ما أشار إليه القاضي عياض ودون أن يبين مجاله.

وأشارت النصوص التي ترجمت لأبي الفضل النحوي أنّه كان"عارفا بأصول الدين والفقه ويميل إلى الاجتهاد ولا يقلد وله تصانيف"،[5] أخرى في مجالات مختلفة لم تشر إلى عناوينها، سوى قصيدته "**المنفرجة**" و"**وصية**".[6] وقد نظم قصيدة في حكم تارك الصلاة ويمكن تصنيفها ضمن الأحكام الفقهية منها هذه الأبيات:

فِي حكم من ترك الصلاة وحكمه ... إن لم يقر بها كحكم الكـــافر

وإذا أقر بهـــا وجانب فعلهـــــا ... فالحكم فيــه للحســـام البـاتر

ومن الأئمــة من يقـــول بكفره ... يقضي له في حكمـه بالظـاهر

وأبو حنيفـة لا يقـــــول بقتلـه ... ويقول بالضرب الوجيز الزاخر

هذه روايـــات الأئمـــــة كلهـــا ... وأجلّهـــا ما قلتــه فـــي الآخر

---

[1] – الداودي، المصدر السابق، ص.65.

[2] – سورة الأنفال، الآية 41.

[3] – يرى الشيعة أن المؤمنين يدفعون الخمس من المال الذي غنموه إلى إمام ذلك الزمان من أهل البيت، بالإضافة إلى زكاة أموالهم، وليست الغنيمة ما اكتسبه المرء في الحرب بل كل ما كسبه المرء فهو غنيمة ، قال جعفر الصادق في ذلك:" أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله حقا عليهم فمن منعنا حقنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب"، (انظر: القاضي النعمان، **الهمة في أتباع الأئمة**، تح. محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، 2002م، ص.69؛ الداودي، المصدر السابق ، ص.65 وما بعدها من عدة صفحات؛ الحبيب الجنحاني، "السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب"، **مجلة الأصالة**، س.6 رمضان– شوال 1393هـ، سبتمبر– أكتوبر 1977م، ع.49–50، الجزائر، ص.48–49).

[4] – **المدارك**، ج.7، ص.103.

[5] – الذهبي، **المستملح**، ص.427؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.323.

[6] - بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.109-110.

المسلمون دماؤهم معصومة حتى تراق بمستبين باهر
مثل الزنا والقتل في شرطيها وانظر إلى ذاك الحديث السائر [1]

وألف الفقيه أبو علي حسن بن إبراهيم التلمساني المشهور ابن زكون[2] تلميذ الصدفي وابن عتاب، ونزيل فاس كتابا في الفقه،[3] يبدو أنّ المصادر قصدت به كتاب "**اعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام**"، وهو كتاب ضخم في الفتاوى اعتنى بجمعه وترتيبه على كتاب "**مدونة**" سحنون بن سعيد التنوخي. [4]

وألف أبو عبد الله بن الرمامة كتاب لتبسيط المذهب المالكي وتقريبه للأذهان كتاب "**تسهيل المطلب في تحصيل المذهب**" [5] الذي جعله الباحث عبد القادر بوتشيش صنفه ضمن النموذج التعليمي–الدعائي،[6] وكتاب"**التبيين في شرح التلقين**"،[7] وضعه على كتاب "**شرح التلقين**" لأبي عبد الله المازري،[8] وهذا الأخير شرح كتاب "**التلقين**" لأبي محمد القاضي عبد الوهاب البغدادي وله شرح عليه لم يكمله.[9] وألف أبو الفرج المازري الذكي "**تعليق كبير على المذهب مستحسن خرج على أنّه ألف سؤال**"،[10] يبدو أنّه تأليف في غير الفتاوى، لذا لم يشر إليه من ترجم له أنّه منها.

ونقلت غالبية المصادر عن الغبريني[11] أنّ للفقيه أبي علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي[12] (ت.731هـ–1331م)[1] شرح على "**الرّسالة**" لكنه لم يكمله "وهو لابأس

---

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.435.

[2] – من بيوتات فاس، اشتهر بالفقه والثروة والترف، (انظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.347).

[3] – ابن الأبار، **المعجم**، ص.75؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.183؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج.1، ص.347؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.81.

[4] – الأجزاء 7-8-9-10، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 413 ق.

[5]– ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.158؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.22؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.81.

[6] – "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري: محاولة تفسير"، **ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص.102.

[7] – نفسه؛ ابن الزبير، نفس المصدر؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.136.

[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.222؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.136.

[9] – هو من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، يسمى" **كتاب تلقين المبتدي وتذكرة المنتهى**"، (انظر: المازري (أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، ت.536هـ–1141م)، **شرح التلقين**، تح. محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، مج.1، ص.26؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.222؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.177؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.77).

[10] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.102.

[11] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.106؛ الوادي آشي(شمس الدين محمد بن جابر التونسي، ت.749هـ–1349م)، **برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تق. وتح. محمد الحبيب الهيلة، نشرته جامعة أم القرى المملكة السعودية، تونس، 1981م، ص.143؛ ابن قنفد(أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت.810هـ–1407م)، **الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين**، تح. وتع. عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م، ص.344.

[12] – المشدالي نسبة إلى منطقة مشدالة إحدى قبائل بجاية، وقيل هي بطن من بطون زواوة، ومن البيوت المشهورة بالدين وخدمة العلم، (انظر: العبدري، **الرحلة**، ص.561).

به"[2]، ويبدو أن هذا الأخير شرح القسم الأوّل من "**الرّسالة**" المتمثل في العقيدة وهو مخطوط بالمكتبة السليمانية بعنوان"**شرح عقيدة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني**".[3] فلو اطلع الغبريني على الكتاب لأشار إليه وأزال الشّك باليقين، ومن المدرسين البجائيين أبي سعيد بن تونارت الدكالي الحافظ للفقه محصلا للمدونة.[4]

ومن الفقهاء المالكية من اكتفى بتقييدات على المؤلفات الفقهية منها ما وضعه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري المشهور بابن محرز(ت.655هـ-1257م) على التلقين وهو صغير الحجم،[5] والجدول الموالي يرصد فقهاء مالكية المغرب الأوسط ومؤلفاتهم في علم الفقه.

الفقيه	مؤلفاته	المصادر التي أوردت ذكره
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي	-شرح على المدونة	-الجيدي، محاضرات، ص.182.
	- الواعي في الفقه - الأموال - أداب القضاء	- القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.103؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.166؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.265؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج.3، 175؛ بشير ضيف، فهرست، ص.69، 200، 475.
أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الأشيري	-اختصر مختصر بن أبي زيد القيرواني	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.95؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.253؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج.1، ص.17.
أبو عبد الله محمد بن علي ابن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي بن الرمامة	-التبيين في شرح التلقين تسهيل المطلب في تحصيل المذهب	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، 325؛ وس.8، ص.502؛ ؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.22؛ الذهبي، المستملح،

[1] - القيرواني، **الذب عن مذهب مالك**، مج.1، ص.134؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.106؛ وذكره العبدري بالزواوي المشدالي، (انظر: **الرحلة**، ص.561؛ ابن قنفد، **الوفيات**، ص.344-345).

[2]- الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.106؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.301؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.302-303.

[3] - المشدالي، **شرح عقيدة أبو محمد بن أبي زيد القيرواني**، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMED PS 846، (انظر: **فهرس كوبريلي**، ج.1، ص.414)؛ وقد اعتمد الشيخ زروق على شرح العقيدة للمشدالي، (انظر: **شرح على متن الرسالة**، ج.1، ص.4؛ القيرواني، **كتاب الجامع**، ص.4)، وانظر أيضا: الملحق رقم (28).

[4] - الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.119.

[5] - نفس المصدر، ص.135.

		ص.156؛ عادل نويهض، أعلام، ص.153؛ محمد العلمي، الدليل، ص.136.
أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري الذكي	تعليق كبير على المذهب	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.102؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.307.
أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله التلمساني المشهور بابن زكون	اعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام	- الأجزاء 7-8-9-10، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 413 ق.
ابو الفضل النحوي	قصيدة في حكم تارك الصلاة	الذهبي، المستملح، ص.427
أبو حفص عمر بن حسان بن عياض الميلي	منقد الحالك وعمدة السالك	عادل نويهض، أعلام، ص.325؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج.2، ص.556.
أبو محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي	فضل الحج والزيارة	ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.60.

ثانيا: فقه الفتاوى(النوازل)

اشتهر العديد من الفقهاء المفتين في العدوتين المغربية والأندلسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وثبت عنهم في المصادر أنهم كانوا يتراسلون المسائل فيما بينهم التي كانت تطرح عليهم في بلدانهم، والسبب في ذلك إما لمعرفة الرأي الآخر، أو لاستصعابها أو لمعرفة أقوال نظرائهم من الفقهاء، أو لإغفالهم عن أقوال من سبقهم ممّن اشتهر منهم الفتوى كالإمام مالك وسحنون وابنه محمد، وابن أبي زيد القيرواني، وأبي جعفر الداودي وابن أبي زمنين وابن سلمون المسيلي،[1] وجل هؤلاء خلفوا مؤلفات دُونت فيها نوازلهم واعتمد عليها من جاء بعدهم.[2]

[1] - سأل القاضي أبو عبد الله بن عيسى أبا الوليد بن رشد في "الزيادة التي أراد زيادتها لجامع سبتة..."، (انظر: ابن رشد، **فتاوى**، ص.263 وما بعدها)، وانظر أيضا: الملحق رقم (29).

[2] – ألف الإمام سحنون كتاب في النوازل، وابنه محمد أيضا، (انظر: ابن سهل، المصدر السابق، ص.27، 126؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.493).

وكان اعتماد الحكام والمفتيين وأهل الشروط في فتواهم على كتاب"**الموطأ**"، و"**المدونة**" و"**المختلطة**"، و"**نوازل سحنون**"، وكتاب"**الواضحة**"، و"**العتبية**"، و"**الموازية**"، وكتاب أبي عمر أحمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن الهندي(ت.399هـ-1009م)، لاحتواء هذا الأخير على كثير من العلوم من بينها الفقه، وأقوال أصحاب المذاهب السنية والفقهاء المشهورين بالفتاوى.[1]

تأخرت مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الفتاوى مقارنة بغيرهم من بلاد المغرب والأندلس، سواء كان ممّا دوّنوه أو ممّا نُقل عنهم في الكتب. أو ممن نقّل عنهم كابن سهل والمازري[2] وابن رشد[3] والقاضي عياض والونشريسي[4]، فلم يذكروا أنهم نقلوا من مصنفاتهم، وقد يكون السبب عدم اهتمام تلاميذهم بجمعها، أو أن هذه المؤلفات لم تصل إلينا وهي في حكم المفقود.

وحُقق البعض منها وهي متأخرة كنوازل البرزلي والونشريسي ونوازل مازونة، والبعض الآخر قيد التحقيق ومنها ما بقي مخطوطا في المكتبات تنتظر من يزيل عنها الغبار، وبعضها في حكم المفقود، ومن الفقهاء من اختصر من سبقه في التّأليف مثل ما قام به الونشريسي عند اختصاره لنوازل البرزلي.[5]

وكانت الفتاوى تصل إلى العدوة من الأندلس ومن غيرها من المناطق، وقد وردت مسائل إلى المعز أرسلها له قاضي مدينة دانية أبو عمر أحمد بن حسن، وأجاب عنها أبو عمران الفاسي، من ضمنها أبيات خصّها أبو عمر للمعز، والأخرى عن مكانة القيروان العلمية وهي:

يا معزا أعز أهل الديـــــن   وتردى بكل فضـــــل مبيـــــن

ماية كالبدور أو هي أضوى   في عيون الأذهان لا في العيون

مقبلات فــــإن مست بإذن   فتحت في فنائـــــك الميمــــون

وبدت قاصدات علم وفقـــه   ومعـــــان غريبـــــة وفنــــون

---

[1] – اعتمد ابن سهل كثيرا على "**المدونة**" و"**المختلطة**"، ذكرها ابن الهندي، مرة "**الأحكام**"، ومرة أخرى"**الوثائق**"، (انظر: المصدر السابق، ص.40 ومن هنا وهناك ؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.147).

[2] – المازري، **فتاوى**، ص.174، 345.

[3] – **فتاوى**، ج.1، ص.309،638، ج.2، ص. 1572.

[4] – ونقل القاضي عياض والونشريسي عن الداودي في كتابيهما، (انظر: **المذاهب الأحكام**، ص.36، 56، 136-137، 140، 201، 288؛ **المعيار**، ج.8، ص.379؛ Allaoua(A.), **Texte méconnu**, p.350.

[5] – أحمد بن يحي الونشريسي، مخطوط الخزانة الحسنية تحت رقم 6307، 8462، 6943، 13315، 13768، ومخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم M S 1 M -549.

فمن القيروان تبتغى المعاني وبهـــا نشر كل علم مصـــــون

وقف على هذه الأجوبة القـاضي عياض واستحسنهـا من بينهـا مسألـة "لِمَـا خُصت المرأة بوضع القُّبة على نعشها"، وكـان جواب أبي عمران أنهـا لم تملك من أمرها شيئـا، فلذلك جعل لهـا أتم الستر.[1] كمـا استفتى القاضي والمشاور أبـو عبد الله محمد بن أحمد الباجي أبا بكر ابن عبد الرحمن وأبا عمران الفاسي، وذكر القاضي ابن سهل جملة من مسائلهمــا في كتابــه منهــا: مسألة " فيمن اكترى دارًا لعشر سنين بعدد معلــوم دفعــه إليــه، وسكن الدار شهرا أو سنـــة، ثم أراد شراءهــا من ربهــا. أيجوز لــه هذا بخلاف شراء غيره بها؟".[2]

واكتسب الفقهاء مكانة عند أهلهم بالمغرب الأوسط وعند غيرهم من المغرب والأندلس، فأصبحوا يشاركون نظراءهم في بعض المسائل التي كانت ترد إليهم، منها ما أجاب الداودي عنها منها مسألة وردت إليه من مدينة أشير"عن قوم ذكر أنهم على كفر وهم من صنهاجة وهو يزعمون أنهم من العرب"، ومن إفريقية في "من أكره على سكن أرض مغصوبة وما يكره من المكاسب وما يجوز"، ومسائل تتعلق بالبيع والشراء عند برغواطة،[3] وقوم من صنهاجة بسوسوالة ومن كان بمثل حالهم بنواحي كتامة وعجيسة.[4]

وأفتى أحمد بن نصر الداودي أيضا في مسألة عن "بيع تركة غريب ... وورثته مجهلون..." يذكر أنّها وردت إليه من فاس،[5] وبهذه الأخيرة أفتى ابن رمامة أنّه:"منع اليهود أن يشتروا عرصة الجيسة،[6] وأن يبنوا معبدا".[7]

وأوردت بعض الدراسات أن يوسف بن تاشفين كان يسند منصب القضاء إلى الفقهاء المالكية من المغرب والأندلس دون غيرهم، ففي رسالة بعثها إلى أهل بلنسية يحثهم على ذلك بقوله:" واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدو

[1] – ابن سهل، المصدر السابق، ص.264، 266؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.43–44).

[2] – نفس المصدر، ص.313.

[3] – عن المنطقة، (انظر: البكري، **المسالك**، ص.134–135؛ .Allaoua(A.), **Texte méconnu**, pp.363-365

[4] – الداودي، المصدر السابق، ص.234-235، 307-308؛ op.cit., pp.352-354.

[5] – الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.94.

[6] – بعدما توفي دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الزناتي المغراوي حاكم فاس تولى ابنه الفتُّوح (ت.451هـ– 1059م) الحكم بعده وبنى باب "الفتوح" بعدوة الأندلسيين، الأخ الأصغر بنى بعدوة القرويين باب "عجيسة"، فلما تنازع الأخوان وظفر الفتوح بأخيه فقتله سنة 453هـ–1061م)، أمر النّاس بتغيير اسم الباب المنسوب إليه فأسقطوا العين من "عجيسة" وعوضوها بالألف واللام فأصبحت تسمى بباب"الجيسة"، (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص50–51، 141؛ القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي، ت.821هـ– 1413م)، **الصبح الأعشى في صناعة الإنشا**، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1340هـ–1922م ، ج.5، ص.186).

[7] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.22.

عن ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الإقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، فلا عدول لقاضٍ ولا مفتٍ عن مذهبه، ولا في تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال إلى الأئمة إلى سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه".[1] لذا كان يرجع في فتاويه إليهم ومن أبرز فقهاء المغرب الأوسط أبو علي المتيجي (حي سنة 530هـ- 1136م)[2] نزيل مدينة أغمات،[3] ومن المحتمل أيضا أن سبب تقربه إليه كونه منجما وفلكيا ورياضيا، فقد أولت دولة المرابطين اهتماما للحركة العلمية بما في ذلك علم التنجيم والفلك لتلبية حاجة الناس الدينية المتمثلة في معرفة أوقات الصلاة ومواعيد الصيام والحج والأعياد.[4]

ويستنتج مما سبق أن مالكية المغرب الأوسط ساهموا مع نظرائهم في بعض الأقضية والمسائل التي عرفها أهل المغرب والأندلس في فتواهم، ونقل آراءهم بعض من نظرائهم منها: ما نقله أبو الحسن اللخمي، وابن فرحون، والونشريسي عن أبي جعفر الداودي.[5] ونقل ابن سهل[6] والونشريسي عن أبي علي بن سلمون المسيلي (ت.431هـ-1040م)، الذي ولي الشورى بقرطبة وهو من أجلّ الفقهاء المفتيين بها حافظا للمسائل.[7] وقد برز واشتغل فيها إلى أن توفي،[8] منها: مسألة "في الدعاء والابتهال بالأسحار على الصوامع" ومن أجوبته: أنه لا يجوز لسليمان[9] ولا لغيره أن يؤذي أحدا بفعل أو قول. ومن فعل ما ذكرته غير ملوم...، وإنما يمنع من أدخل على المسلمين بدعة في دينهم أو مضرة في دنياهم...أما الأذان في الليل للنوافل كلها والصلاة الفائتة كلها والاستفتاء والخسوف...، ومنع بعض أهل العلم من الأذان لها.[10] ونقل ابن حزم الأندلسي رأيه في إحدى رسائله، المتمثل في "من كثرت ذنوبه

---

[1] – عبد القادر بوتشيش، **صحوة المذهب المالكي**، ص.95.

[2] – شوهد في سنة 520هـ-1126م بمجالس أبي طاهر السلفي، وبأغمات سنة 530هـ-1136هـ، وهو من فقهاء المغرب الأوسط من أصحاب أبي الفضل النحوي عاش في مدينة أغمات في أيام يوسف بن تاشفين، (انظر: القاضي عياض، **الغنية**، ص.155؛ السلفي، **المعجم**، ص.46؛ الدمشقي، **توضيح المشتبه**، ج.8، ص.278؛ العسقلاني، **تبصير المنتبه**، ج.4، ص.1394؛ المتيجي، **دلائل القبلة**، ص.161-162).

[3] – السلفي، **المعجم**؛ الدمشقي، **توضيح المشتبه**؛ العسقلاني، تبصير **المنتبه**.

[4] – عبد القادر بوتشيش، "علم النجوم والفلك والتنبؤ بأحداث المستقبل في بلاد الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين"، **ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص. 104-105.

[5] – نقل الونشريسي أراء كثيرة عن الداودي، وقد ذكر عن اللخمي أنه نقل عن الداودي مسألة فرضية الجهاد على من يلي العدو ويسقط عمن بعد عنه، (انظر: المصدر السابق، ج.2، ص.208).

[6] – المصدر السابق، ص.287، 289، 610-611، 619، 748.

[7] – المصدر السابق، ج.7، ص.450-451؛ و(انظر أيضا: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.271؛ علي سعد قاسم، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، ترتيبا واختصارا وتهذيبا واستدراكا وتوثيقا، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2002م، ج.3، ص.1425).

[8] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.271.

[9] – المقصود هو دعاء سليمان عليه السلام لربه، (انظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج.9، ص.24).

[10] – نفس المصدر، ج.9، ص.25-26.

فعليه بكسب الضياع "وعلق عليه بقوله:"لعمري لقد قال الحق"،[1] وعن أبي إسحاق الأشيري،[2] وعن أبي عبد الملك مروان بن علي البوني صاحب "**شرح الموطأ**"،[3] وعن أبي عبد الله محمد بن داود بن عطية العكي القلعي[4] وأبي إبراهيم الريغي،[5] وعبد الجليل الربعي البجائي،[6] أحيانا تنقل عنهم المسألة والرّد عليها، وتارة أخرى يذكر آراؤهم ويعززها بمن نحا نحوهم، إما لإثراء الإجابة أو لتأكيدها برأي الفقهاء من أصحاب المذاهب السنية الأربعة أو يأتي بآراء أخرى تخالف الإجابة.

واشتهرت القيروان عن غيرها من المناطق بالفقهاء المفتيين، وهو ما أكده البرزلي (ت.841هـ-1438م) بقولــه أنّ "فقهــاء القيروان أكثر فقها من فقهـاء قرطبة، وحسبــه أن ابن أبــي زيد القيرواني والقــابسي وابن شبلون وابن أخي هشــام من فحول علمـاء الأمة... وحق أن تأتــي الفتــاوى إليهــا حينئذ".[7] وحدث أن وردت مسألــة لأبي إسحــاق التـونسي سنة 437هـ-1046م من مدينة باغايــة بالمغرب الأوسط التي عرّضتــه إلى محنــة أصيب بــها بسبب فتــواه وكانت المسألة : مسألة "طلاق ومراجعة"،[8] وقد ذكر الســائل أن "ولي النكــاح من الفرقــة المعروفــة في إفريقيــة وهم الشيعــة ومن كــان على مذهب الإمـاميــة"، واستفتــى أبو إسحــاق أنّ "هذه الفرقة على قسمين أحدهمــا يعد كــافر والقسم الآخر هم القائلــون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابــة، لا يلزمهم التكفير ولا يبطل نكــاحهم"[9].

فأنكر فقهاء افريقية وكان غالبيتهم من القيروان فتواه لأنهم من المشجعين العامة في قتل الشيعة ومحاربتهم بشتى الوسائل، كما اضطر المعز بن باديس لاستدعاء فقهاء القيروان لمناظرته والرجوع عن رأيه، منهم أبو الحسن المقرئ والقاضي أبو بكر بن أبي محمد بن أبي زيد اللذان كانا أشد الفقهاء في بغضهم للشيعة، وحكم اللبيدي في المسألة أن يتوب ويرجع

---

[1] – **الرسائل**، ج.3، ص.155.

[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ج.9، ص.70.

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.270- 296 وج.8، ص.204.

[4] – القاضي عياض، **المدار**، ج.1، ص.382.

[5] – البرزلي، المصدر السابق، ج.5، ص.504.

[6] – نفس المصدر، ص.345.

[7] – البرزلي، المصدر السابق، ج.5، ص.349.

[8] – اللبيدي، **مناقب الجبنياني**، ص.85-86؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.177-178؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج.1، ص.225-226؛ وانظر أيضا: Idris (H. R), ‹‹Une des phases de la lutte du malikisme contre le shiisme sous les Zirides››, **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, 4e trimestre, N°= 16, Tunis, 1956, p.512.

[9] – اللخمي، **فتاوى**، ص.25؛ اللبيدي، **مناقب الجبنياني**، ص.85-86؛ الدّباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.177- 178.

عن رأيه وذلك على المنبر أمام جميع النّاس، وأظهر الجبنياني توبته أمام المعز والناس جميعا وفي صبيحة الغد اختار المنستير سكنا له عساه أن ينسى قضيته.[1] وعقب القاضي عياض على فتواه بقوله:" لا امتراء عند منصف، أن الحق ما قاله أبو إسحاق، ولا امتراء أن مخالفته أولا لرأي أصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة، وأن رأي الجماعة كان أسد للحال وأولى بعائدة خير، وفتواه هو أجرى على العلم..."[2]، وأبو إسحاق الجبنياني مشهور بالعلم إذ قال عنه عبد الجليل الديباجي البجائي:

حازَ الشَرِيفَين مِنَ عِلم ومِن عَمل وقلّما يتأتّى العلم والعمل[3]

وأفتى الإمام المازري في سؤال جاءه من مدينة بجاية "عن امرأة طارية من المغرب تذكر أن زوجها تخلف في الطريق قبل وصوله إلى بجاية، وأرادت أن تطلق عليه..."، فأجابهما أنه لا يصح الحكم على زوج المرأة بالفراق الآن لاعترافها بالزوجية، والواجب تسميته والبحث عنه وقد يكون عائق عاقه عن الوصول.[4]

وتنوعت مسائل فقهاء مالكية المغرب الأوسط، وكان أكثرها في المعاملات، متمثلة في نوازل الزكاة، ونوازل الأيمان والنذور، نوازل الدماء والحدود والتعزيرات، ونوازل النكاح، ونوازل التمليك والطلاق والعدة والإستبراء، ونوازل المعاوضات والبيوع، ونوازل الأحباس، ونوازل الإجارات والأكرية والضياع، ونوازل الشفعة والقسمة،[5] ونوازل المياه، ونوازل الضرر، ونوازل الوصايا والأحكام، ونوازل الغصب والإكراه، ونوازل الوكالات والإقرار والمديان، ونوازل الشهادات، ونوازل الجامع.[6]

وأخذت الفتاوى شكلا آخر منه ما تزعمه التيار الصوفي في تصدي لفتوى التي تنص على إحراق كتاب "**إحياء علوم الدين**"[7] لأبي حامد الغزالي اشتهر في الأقطار مشرقا

---

[1] – الحادثة كاملة عند القاضي عياض، (انظر: **المدارك**، ج.8، ص.58–63).

[2] – هذا النص مذكور في كتاب اللخمي وكتاب القاضي عياض باختلاف طفيف، (انظر: **فتاوى**، ص.25 نفس المصدر، ج.8، ص.62).

[3] – نفسه.

[4] – المازري، **الفتاوى**، ص.166–167.

[5] – عياض، **المدارك**، ج.1، ص.363 وما بعدها، ج.2، ص.47 وما بعدها، ج.2 ، ص.267 وما بعدها، ج.3، ص.7 وما بعدها،ج.4، ص.79 وما بعدها،ج.5، ص.5 وما بعدها، وج.6، ص.490 وما بعدها، ج.7، ص.5 وما بعدها ج.8، ص.83 وما بعدها، ص.221 وما بعدها.

[6] – الونشريسي، المصدر السابق،ج.8، ص.379 وما بعدها،ج.9، ص.5 وما بعدها، ص.243 وما بعدها، ص.539 وما بعدها، ج.10، ص.143 وما بعدها، ص.313 وما بعدها، ج.11 و ج.12.

[7] – اختلف في تاريخ إحراق كتاب "**الإحياء**" فابن القطان جعله في أوّل سنة 503هـ–1110م، (انظر: المصدر السابق، ص.70–73)؛ أما الونشريسي جعله 507هـ–1114م وهذا غير صحيح لأن الغزالي توفي سنة 505هـ–1112م والكتاب أُحرق وهو على قيد الحياة، (انظر: المصدر السابق، ج.12، ص.186)؛ و(انظر أيضا: Launois (A.), op, cit., p.149).

ومغربا، واهتم المصنفون بالتأليف عليه، وجاء في كتاب كشف الظنون فيه:"أنّه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب"،[1] يبدو أن للكتاب أهمية كبيرة إذ أنه لو أحرقت كل الكتب وبقي هو لأغني عن وجودها حسب حاجي خليفة. تبنى قاضي الجماعة بقرطبة أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين التغلبي (ت.508هـ-1115م)،[2] وذلك لمّا وصل الكتاب إلى الأندلس وتداوله الفقهاء بالقراءة والتمعن فيما يحتويه من إشكالات أثارت اعتراضهم،ممّا دفعهم إلى إصدار تلك الفتوى،[3] فالأندلسيون عملوا قصارى جهدهم في القضاء على المذهب الأوزاعي ونشر المذهب المالكي، كما واجهوا المذهب الظاهري فيما بعد الذي تزعمه الفقيه ابن حزم الظاهري، وللحفاظ على الوحدة المذهبية لابد من مقاومة كل التيارات الفكرية والمذهبية التي تشكل خطرا عليها.

ثم تحوّل إحراق كتاب "**علوم الدين**" إلى قضية سياسية، فالسلطة المرابطية عملت على التضييق على التيار الصوفي بالغرب الإسلامي في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، وأصبح الناس يضعون نسخ "**الإحياء**" في الماء حتى تتلاشى حروفها، لذلك كسب هذا الأخير إلى جانبه صفوف فقهاء مالكية الأندلس. وأثار إحراق الكتاب سخط فقهاء المغرب والأندلس من الصوفية، وانقسم فقهاء المغرب والمشرق عامة والمغرب الأوسط خاصة إلى تيارين: فالأول من المعارضين وقد تزعمه الفقيه أبو حفص عمر بن عتيق بن أبي الخمائر القلعي الذهبي (ت.550هـ-1155م)، كان من المولعين بالرّد على الإمام أبي حامد الغزالي ونقض كلامه،[4] ومن المشرق الفقيه أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي (ت.520هـ-1126م)،[5] ورد الإمام المازري بتأليف كتاب الرّد على الأحياء للغزالي

---

[1] – وضع من جاء بعده كتبا على "**الإحياء**" فمنهم من جمع أغلاطه حسب ما رآه، ووضع البعض الأخر مختصرات منهم أخو الغزالي وهو أحمد بن محمد الغزالي (ت.520هـ-1126م) سمّاه "**لباب الأحياء**"، ومحمد بن سعيد اليمني (ت.595هـ-1199م) ومختصر أبي زكريا يحي بن أبي الخير اليمني وكان أحسن اختصار وأجوده، وعني بشرحه أيضا المولى علي القاري سمّاه "**فهم العلوم**" ، (انظر: حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.23-24).

[2]– قام الأمير على بن يوسف بن تاشفين معتمدا على إجماع قاض قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائه على إحراق كتاب الغزالي، وتم ذلك في رحبة مسجد قرطبة على الباب الغربي بعد وضع الزيت عليه، وراسل جميع من يملك الكتاب بإحراقه، وأُحرق بصحن مراكش أيضا، ونزع علي بن تاشفين نسخ امتلكها بعض الفقهاء، (انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص.71؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.1، ص.194؛ aunois (A.), op, cit., p.149

[3] – محمد المغزاوي، "فتوى أبي الفضل ابن النحوي حول كتاب علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي"، **ضمن متنوعات محمد حجي**، نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص.116.

[4] – السّلفي، **المعجم**، ص.244؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.23؛ تشدد بعض الفقهاء في إنكار على من أراد قراءة كتاب"**الإحياء**"، وقد بالغ في بعضهم في ذلك إلى أن قال:"ومتى ماتت العلوم حتى تحيى علوم الدين؟ ما زالت حية ولا تزال"، و"ليس ذلك بإحياء علوم الدين، وإنما هو إماتة علوم الدين"، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.131؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج.12، ص.184).

[5] – وكتب أبو عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي إلى عبد الله بن المظفر رسالة مطولة عن الإمام الغزالي وكتاب "**الإحياء**" ذكرها الونشريسي، (انظر: المصدر السابق، ج.12، ص. 186-187) وانظر أيضا: الملحق رقم (30).

المسّمى"**كتاب الكشف والأنباء عن المترجم بالإحياء وكشف الغطا عن لمس الخطأ**"،[1] أما التيار الثاني من المؤيدين بزعامة الفقيه أبي الفضل ابن النحوي من قلعة بني حماد فقد تميز بالجرأة والشجاعة في الدّفاع عن الإمام أبي حامد الغزالي،[2] وأولى هذا الكتاب عناية أكبر من كل ما ملكه النحوي من كتب، فقد حكى عنه ابن الرمامة أنه دخل يوما إلى منزله فوجد "بين يديه كرسي عليه أسفار جديدة التسفير" وكتبا كثيرة في جوانب البيت فسأله عن ما بيديه فقال له:"هذا كتاب "**الإحياء**" لأبي حامد ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكسب كتابا منها"، وعن ابن الرمامة أيضا أنه نسخ منه "ثلاثين جزءا"[3]، ولم تنقطع العناية لمن جاء بعده لكتاب "**الإحياء**" بالقراءة والاختصار [4] والشرح بل الأكثر من ذلك فقد تعصبوا لما ورد فيه.

وقد اضطر فقهاء مالكية تلمسان في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى مكاتبة ابن رشد يستفتونه عن المذهب الأشعري وعن أعلامه وعلاقتهم بالمذهب المالكي.[5] وحرر الفقيه أبو زكريا يحي القلعي الزناتي[6] جوابا عليها، تعرض خلالها أبو زكريا إلى مناقشة الإعتراضات التي اعتُرض بها على كتاب "**الإحياء**" في المسائل المتعلقة بالعقيدة والفقه والتصوف وغيرها،[7] وقد احتوت نسخة مخطوط مكتبة إسكوريال الأندلسية على عنوان الكتاب الموسوم "**كتاب انتصار الإمام الزّناتي لأبي حامد لما في الإحياء من كلام سليم**"،[8] وحسب ما توفر لدينا من مصادر فإن أبا يحي لم يصنف إلاّ ما ذكره منصور بن سليم من

---

[1] – المقري، **أزهار الرياض**، ج.3، ص.166؛ وألف محمد بن خلف بن موسى الأوسي(ت.537هـ–1143م) من المتكلمين الأشعريين الأندلسيين كتاب للرد على الغزالي موسوم"**النكت والأمالي للرد على الغزالي**"، (انظر: الداوودي، المصدر السابق، ج.2، ص.147).

[2] – وقد أثنى بعض العلماء على كتاب "**الإحياء**"، (انظر: الغزالي(أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ت. 505هـ–1111م)، **إحياء علوم الدين**، تح. اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت، 2011م، ج.1، ص.382–393).

[3] – الفاسي، المصدر السابق، ق.2، ص.171–172؛ محمد المختار اسكندر، المرجع السابق، ص.74.

[4] – من الذين اختصروا كتاب "**الإحياء**" الفقيه ابن الرمامة، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.504؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.22؛ الذهبي، **المستملح**، ص.156).

[5] – والمقصود بالأعلام الفقيه ابن أبي زيد القيرواني ونظرائه، والإمام الباقلاني، وممّا لا شك فيه أنهم يقصدون أيضا الإمام الغزالي الذي يعتبر من أكبر الأئمة الأشعرية، (انظر: ابن رشد، **فتاوى**، ج.2، ص.1060؛ ابن قطان، المصدر السابق، هـ.2، ص.175).

[6] – ذكره السلفي في معجمه، تفقه على أبي الحسن عماد الدين علي بن محمد البغدادي الطبري الشافعي(ت.504هـ–1111م) المشهور بالكيا الهراسي، وهذا الأخير تفقه عن إمام الحرمين الجويني، ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد، (انظر: السلفي، **المعجم**، ص.53،438؛ ابن نقطة، المصدر السابق، ج.5، ص.420؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.22، ص.55؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.5، ص.199).

[7] – المغزاوي، المرجع السابق، ص.122؛ شخوم سعدي، المرجع السابق، ص.13، انظر أيضا: الملحق (31).

[8] – أبو زكريا الزناتي، **مخطوط بمكتبة اسكوريال**، تحت رقم Ms arab 1130 ضمن مجموع (115و إلى 188ظ) عدد أوراقه من 115و إلى 118ظ، وجاء في بداية المخطوط وحسب ما وصل إليه الباحث شخوم سعدي من نسب إلى أبي زكريا أنّه "...أبي زكريا يحي القلعي قلعة توالي إلى اليخفشي...المتكلم المقيم بالإسكندرية"، وحسب نصوص المصدرية أن أبي زكريا ينسبه إلى يجفش وهو الأصح لعدة أسباب منها ما ذكره صاحب الاستبصار أنّ"جبال مشهورة بالمغرب فازار تسكنه أمم كثيرة من البربر...وفي هذا الجبل قلعة كبيرة تنسب للمهدي بن توالي اليجفشي، (انظر: مجهول(ق8هـ– 14م)، **مفاخر البربر**، درا. وتح. عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2004م، ص.187)؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.95؛ وذكر مؤلف كتاب مفاخر البربر ضمن الفقهاء والأعلام أنّه" العالم العلم أبو زكريا اليجفشي من قلعة مهدي بن التوالي نزيل الاسكندرية"، (انظر: مجهول، **مفاخر البربر**، ص. 156)، والنتيجة التي يمكن استخلاصها أنه وقع تصحيف في كلمة"يخفش" بدلا "يجفش"، انظر: الملحق رقم(31).

أنّه "**صنف تعليقا في الخلاف**".[1] وخلاصة القول هو ما ذهب إليه الباحث شخوم سعدي من أنّ فتوى أبي زكريا كانت بعد إحراق كتاب "**الإحياء**" سنة 503هـ-1110م بقليل. [2]

وكان الفقيه أبو زكريا ممّن يحضر مجالس أبي حامد الغزالي ببغداد، وممّا لا شك فيه أنه أعلم بمذهبية شيخه وبكاتبه "**الإحياء**"، رغم ما قيل عنه أنه كان شافعي المذهب لكن ما كان يظهره وما يفتيه طوال بقائه بثغر الإسكندرية كان بالمذهب المالكي ومال إلى التصوف في آخر حياته،[3] ونظّم أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي شعرا عن أبي حامد بالثغر الإسكندرية:

هذّب المذهبَ حبْرٌ أحسَنَ اللهُ خلاَصَهْ

ببَسِيـــطٍ ووَسيـطٍ ووَجيزٍ وخُلاَصـــهْ[4]

تبنى ابن النحوي فتوى بعدم لزوم أيمان من أنكر حيازته لكتاب "**الإحياء**"،[5] بل حكت جماعة عن ابن النحوي أنّه:"كتب للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين يعرفه بالإمام الغزالي ويعلو مكانه ويحسن به الظن لئلا يهلك..."،[6] ونظم أبياتا من الشعر عن الإمام مالك بن أنس ليؤكد انتمائه للمذهب المالكي.

وجاء نصها في المدارك:

إن الإمام الأصبحـــي من النجوم الزاهـــرات

حفظ الإله به الحديث وعده في الحافظـــات

وتصـــــــــرفت آراؤه في المبدآت المبدعات[7]

ورغم شهرة هذه الفتوى ورسالة النحوي يقول محمد المغزاوي عن هذه الأخيرة :" لم تحتفظ برسالة لأمير المسلمين علي بن يوسف والتي لا نعلم عن مضمونها شيئا:" أمّا عن الفتوى

---

[1] – أورده صاحب كتاب "**الإكمال**" في باب الزباني والرياني، وفي هـ.3 قال المنصور:" والإمام أبو زكريا بن ملول (وفي التوضيح: يحي بن أبي ملول، وكذا في رسم هـ-ملول- من المشتبة) الزناتي الفقيه المالكي...قدم الإسكندرية واستوطن بها بمدرسة أبي حديد وانتفع به جماعة وصنف تعليقا في الخلاف"، (انظر: ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.4، ص.235).

[2] – **فتوى الإمام أبي زكريا الزّناتي في الانتصار لأبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، معسكر، ع.3 رمضان/جوان 1437هـ-2016م، ص.14.

[3] – السّلفي، **المعجم**، ص.53، 438.

[4] – نفس المصدر، ص.239.

[5] – مخطوط بالخزانة العامة ضمن مجموع تحت رقم 251، ومخطوط بخزانة الإسكوريال بمدريد تحت رقم 113، يحتوي على ثلاث نصوص الأول: **فتوى ابن النحوي**، الثاني: **أسئلة فقهاء تلمسان**، أجوبة أبي زكريا القلعي على فقهاء تلمسان، نقلا عن محمد المغزاوي، المرجع السابق، ص.122 وما بعدها.

[6] – التادلي، المصدر السابق، ص.96؛ أحمد التادلي الصومعي، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تح. علي الجاوي، منشورات كلية الآداب، المعارف الجديدة، الرباط، 1996م، ص.326.

[7] – القاضي عياض، ج.2، ص.168.

فيقول:" لا ندري لمَ تم تجاهلها قديما وحديثا"،[1] كما أنه لا وجود لها ضمن المصادر التي بين أيدينا.

لا يعد ما أفتى به ابن النحوي غريبا فالرجل كان من أهل العلم والفضل يهتدى بهدي السلف الصالح، متقدما في المعرفة بعلم الكلام وأصول الفقه يميل إلى النظر والاجتهاد[2]، وهو من أعلام القلعة الذين ذاع صيتهم مغربا ومشرقا، وقد اتصف بما حمله من العلم بالغزالي المغربي وقال القاضي أبو عبد الله بن حماد:" كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا"، وحكي عنه أنه نسخ ثلاثين جزءا من كتاب الإحياء وكان كل يوم من رمضان يقرأ جزءً منه ويقول:"وددت أني لم أنظر في عمري سواه"،[3] ورغم مواقف بعض الفقهاء المالكية من كتاب "**الإحياء**" إلا أنه يعتبر في الأخير مصدرا أساسيا من مصادر التصوف، ونظم ابن النحوي أبياتا عن علم أبي حامد الغزالي ذكرها الأصفهاني في كتابه.

أبو حَامدٍ أحيَـــا من الدّين عِلمَهُ   وجدَّدَ منـــه مــــا تقـــادمَ من عهـد

ووفَّقه الرّحمـــانُ فيما أتـــى بـــه   وألهمَـهُ في مــــا أراد إلى الرّشـــد

ففصّلها تفصيلَهـــا فأتى بهـــــا   فجاءت كأمثـال النجوم التي تهدي[4]

ولم يقتصر اهتمام فقهاء المغرب الأوسط في الفتوى على الرّجال دون النساء، فقد ذكر ابن عبد الملك نص عن حفصة ابنة الفقيه القاضي أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي، أشار إليها الملاحي بقوله:" كانت تحت القاضي أبي بكر بن علي الغساني المرشاني"، فهي من النّساء الفضليات وخيارهن قارئة كاتبة، فكانت لها عناية بفتاوى أبيها وتذكرها حين تستلزم ذلك. [5]

وحسب المصـــادر المطلع عليهـا توصلت إلى بعض مؤلفـات مـالكية المغرب الأوسط في النوازل والفتاوى منها: كتاب "**الأسئلة والأجوبة**" لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي المسيلي الطرابلسي التلمساني.[6] وكتـاب "**الفتاوى**" لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي

---

[1] – المرجع السابق، ص.121.

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.436.

[3] – التادلي، المصدر السابق، ص.96؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.1، ص.194؛ عباس الجراري، "أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ع.8، س.10، شعبان 1386هـ– ديسمبر 1966م، الرباط، ص.114.

[4] – الأصفهاني، **الخريدة**، ق.1، ص.326؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.318؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.243.

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.567.

[6] – مخطوط الخزانة العامة بالرباط، عدد: 8178، وفي الخزانة الحسنية أجوبة فقهية، عدد: 8178، وأملك نسخة من مخطوط الجزائر هي هدية من الباحث عبد الرحمن دويب عبد الرحمن وهو ملك خاص لأحد أصدقائه قام بتصويره سنة 2010–2011م في منطقة وادي رغيو يحتوي على 29 ورقة نسخة جيدة مبتورة في آخرها؛ وذكر سزكين وجود نسخة في الزيتونة بتونس تحت رقم 10486 تحتوي على 121 ورقة، (انظر: المرجع السابق، مج.2، ج.3، ص.175؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.315).

ذكره الونشريسي المعيار المعرب،[1] وكتابين لمحمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري البطيوي[2] التلمساني الندرومي، الأول: "**إرشاد المسترشد وبغية المريد المستبصر المجتهد**" سفر صغير، صنفه الباحث محمد العلمي ضمن الاجتهاد والفتوى.[3]والثاني" "**الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة**" في جزء[4]. وكتاب" **اعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال أو حرام**"[5] لأبي علي بن زكون التلمساني،[6] هو الذي عني بجمعه وترتيبه على توالي كتاب "**المدونة**".[7]

وبالنظر إلى ما ألف في علم الفتاوى يكاد يكون منعدما مقارنة بعدد العلماء الذي كان في تزايد مستمر ففي القرن السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أشار الغبريني إليهم بقوله:" فهؤلاء الفضلاء هم الذين رأيت أن ألحقهم بعلماء هذه المائة السابعة لأنهم كانوا في أواخر المائة السادسة وقد بقي خلق كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال وكمال ولكن شرط الكتاب منع من ذكرهم"،[8] وتعتبر شهادة أبو علي المسيلي الدليل الثاني لكثرة الفقهاء في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي في الدولة الحمادية حيث قال:"أدركت ببجاية ما يزيد على تسعين مفتيا ما منهم من لا يعرف أبا علي المسيلي من يكون وإذا كان من المفتيين تسعون فكم يكون من المحدثين ومن النحاة والأدباء وغيرهم ممن تقدم عصرهم ممن لم يدركه؟".[9]

ومن المفتيين بالمغرب الأوسط الذين ذاع صيتهم ببلاد المغرب شيخ القاضي عياض الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي التاهرتي،[10] الذي كان من أحسن القضاة وأنزههم في عصره، مما جعل العامة تولع بنعشه مسحا ولمسا بأطراف الثياب تباركا به،[11] وأبي محمد ابن عصمة صاحب ابن النحوي فقيه ومفتي ببجاية ذكره التادلي في كتابه.[12]

---

[1] – المصدر السابق، ج.8، ص.338.

[2] – منطقة بطيوة من المغرب الأوسط وتسمى في وقتنا الحالي بأرزو منطقة صناعية بمدينة وهران.(انظر: عادل نويهض، **أعلام**، ص.44).

[3] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.319؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.243.

[4] – نفسه.

[5] – مجلد ضخم يحتوي على أجزاء 7- 8- 9- 10 من المخطوط في مجلد بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 413 ق.

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.218؛ **المعجم**، ص.75؛ ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ج.1، ص.244؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.112؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.159؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.81- 287.

[7] – أحمد حطاب، المرجع السابق، ص.485.

[8] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.27.

[9] – نفسه.

[10] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.27.

[11] – نفس المصدر، ص.29.

[12] – نفس المصدر، ص.100-101.

وذكر الغبريني بعض الأندلسيين المفتيين بالمغرب الأوسط منهم: أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة(ت.582هـ-1182م)، وكان مولده سنة(519هـ-1125م)، ذكيا ونبيلا مشهورا بالحفظ، نال الرئاسة في العلم، وروى عنه أبو الحسن بن عتيق بن موسى لقيه ببجاية، وهو ممّن كانت ترد عليه مسائل فوضع تصانيف فيها من بينها كتاب"**آفاق الشموس**" في الأقضية النبوية واختصره في كتاب سمّاه"**إشراق الشموس**".[1] وأبو علي مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني تلمساني المنشأ وهراني الأصل(ت.610هـ-1213م) حافظ للمسائل بصيرا للفتوى في النوازل،[2] وممّن سكن تلمسان الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحسن بن عتيق المشهور بالذهبي، كان ممّن تصدر عنه فتاوى في نوازل الأحكام، وقُيّد عنه الكثير من أجوبته على المسائل الفقهية وغيرها،[3] لكن المصادر التي ترجمت له لم تذكر أحدا من تلاميذه جمعها في مصنف واحد.

إنّ التّفاوت المعرفي بين الفقهاء أمر طبيعي يحدث في جميع فنون العلم حسب التحصيل العلمي وقدرة الفهم عند كل واحد منهم. وتختلف حظوظ الفقهاء في تصنيفهم لعلم الفتاوى فقد يرجع الفضل أحيانا لتلاميذهم في جمع مسائلهم وأجوبتهم، وينقلها عنهم من يأتي بعدهم فيعرف لها الانتشار، أمّا إذا انعدم من يجمعها لهم تبقى مشتتة في المصادر، وبمرور الوقت قد تندثر وتصبح في طي النسيان.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها هي أن فقهاء المغرب الأوسط في القرن الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين اهتموا بعلم الفتوى مثل نظرائهم في البلاد الأخرى، وقد ظهر ذلك في كتاب الغبريني فقد أورد أسماء عدد منهم أولائك الذين تقلدوا منصب القضاء وأفتوا في الكثير من المسائل، بل أورد بعض الفتاوى التي كانت ببجاية في المائة السابعة،[4] وهذه المرحلة ماهي إلا امتدادا للعهود التي سبقتها.

ومهما يكن فإن فقهاء مالكية القلعة الحمادية خلفوا تراثا زاخرا في مجال فقه النوازل، رغم قلته مقارنة بنظرائهم من المغرب والأندلس فكان يعد مادة أساسية اعتمد عليها من جاء

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.76؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.241؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.7، ص.43؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.11، ص.216؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.315؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.1، ص.141؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.62.

[2] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.374.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.85؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.366؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص. 218؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.257.

[4] – المصدر السابق، ص.38-39، 67.

بعدهم، والجدول التالي يرصد لنا بعض المفتيين بالمغرب الأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين.

الفقيه	مؤلفاته	مصادره
أبو علي بن سلمون المسيلي	فتاوى	ابن حزم، الرسائل، ج.3، ص.155؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.271؛ الونشريسي، المعيار، ج.9، ص.24 وما بعدها.
ابن الرمامة	فتاوى	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، 325؛ وس.8، ص.502؛ ؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.22؛ الذهبي، المستملح، ص.156.
أبو إسحاق الأشيري	فتاوى	الونشريسي، المعيار، ج.9، ص.70.
أبو عبد الملك البوني	فتاوى	القاضي عياض، المدارك، ج.2، ص.296-270، ج.8، ص.204.
أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية العكي القلعي	فتاوى	القاضي عياض، المدارك، ج.1، ص.382.
أبو إبراهيم ريغي	فتاوى	البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج.5، ص.504.
عبد الجليل الديباجي البجائي	فتاوى	المازري، فتاوى، 345.
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي	الأسئلة والأجوبة	القاضي عياض، المدارك، ج.2، ص.338.
أبو محمد عبد الحق الاشبيلي البجائي	الفتاوى	الونشريسي، المعيار، ج.8، ص.24 وما بعدها.
أبو زكريا يحي القلعي الزناتي	كتاب انتصار الإمام الزناتي لأبي حامد لما في الإحياء من كلام سليم	مجهول، مفاخر البربر، ص.156.
أبو الفضل النحوي	فتوى	مخطوط بالخزانة العامة ضمن مجموع تحت رقم 151؛ مخطوط بخزانة الإسكوريال بمدريد تحت رقم رقم 113؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.436.
أبو علي المتيجي	فتاوى للأمير يوسف بن تاشفين	السلفي، المعجم، ص.46؛ الدمشقي، توضيح المشتبه، ج.8، ص.278؛ العسقلاني، تبصير المنتبه، ج.4، ص.1394.
محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري البطيوي التلمساني	-إرشاد المسترشد وبغية المريد الميتبشر المجتهد(سفر صغير) -الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.319.

أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن زكون التلمساني	اعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام.	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.218؛ المعجم، ص.75؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.1، ص.244.
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي التاهرتي	مفتي	القاضي عياض، الغنية، ص. 27.
أبو محمد بن عصمة صاحب ابن النحوي	مفتي	القاضي عياض، الغنية، ص. 100-101.
أبو علي مروان بن محمد بن علي بن جبل الهمداني التلمساني	مفتي	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.374.

ثالثا: أصول الفقه

لغة: جمعه أصول، والأصل أسفل كل شيء، وأصل الشيء أي صار ذا أصل.[1]

إصطلاحا: وعرفه ابن خلدون بأنه" النّظر في الأدلّة الشّرعيّة من حيث تؤخذ منها الأحكام والتّآليف. وأصول الأدلّة الشّرعيّة هي الكتاب الّذي هو القرآن ثمّ السّنّة المبنيّة له،[2] أما عبد الوهاب خلاف، هو:"العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية" أو هو "مجوعة من القواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية".[3] وعلم الفقه وأصوله هما علمان مترابطان يكمل أحدهما الآخر، فكل فقيه يجب أن يكون عالما بالأصول مدركا لقواعده مستحسنا في استعمالها.

وقد تأخر ظهور علم أصول الفقه بالنسبة للعلوم الأخرى، فقد كان الرّسول(صلى الله عليه وسلم) يقضي ويفتي بما يوحى إليه من ربه، وبما يلهم به من السنن التي قبله، وبما يملكه من اجتهاد فطري دون حاجة إلى أصول أو قواعد يستنبط منها الأحكام الشرعية، وسار أصحابه رضوان الله عليهم من بعده على منهجه وما يعرفونه من العربية بالسّليقة دون حاجة إلى القواعد لفهم النّصوص، لكن بعد توسّع الرّقعة الإسلامية واختلاط العرب بأجناس أخرى، وامتزجت ألفاظهم وأساليبهم بلغة العرب وصعب التّميز بينها، وقد أكد ابن خلدون هذا الكلام بقوله:"فلما انقرض وذهب الصدر الأول انقلبت العلوم كلها صناعة ...احتاج لفقهاء

---

[1] - ابن منظور، المصدر السابق، مادة "فقه"، مج1، ص. 89.

[2] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.573.

[3] - عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص.12.

والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنا قائما برأسه سموه أصول الفقه".[1]

إنّ معرفة علم الأصول أصبح أمرا ضروريا وواجبا على العلماء، خاصة بعد ظهور المذاهب، إذ اختار كل عالم فيها منهجا خاصًا به اتبعه في فهم القرآن والسّنة وأثر الصحابة وعلى اجتهاداته وبرز من خلاله أهل الرأي وأهل الحديث، وتنوّعت حججهم في استنباط الأحكام الشرعية، ولمّا ظهر بعض أهل الأهواء أنكروا بعض الاحتجاجات بل احتجوا بما لا يُحتج به.[2]

ودعت حاجة المجتمع إلى الاهتمام بعلم الأصول والتأليف فيه، فاعتمد الفقهاء لتحقيق ذلك على القواعد الأصولية في استنباط الأحكام الشرعية دون تفريط. وكان أوّل من وضع تصنيفا في هذا العلم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (ت.188هـ-804م)،[3] لكنه مفقود. وتعتبر الرسالة التي ألفها الإمام الشافعي (ت.204هـ-820م) أوّل ما وصلنا في هذا العلم،[4] فقد "أملى رسالته المشهورة، تكلم فيها عن الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس"،[5] وقد اشتهرت مغربا ومشرقا.

واجتهد بعدهما الفقهاء المشارقة والمغاربة في الاهتمام بعلم أصول الفقه، إدراكا وعملا في استنباط الأحكام الشرعية، اعتمد على "**الرسالة**" كل من الفقيه والقاضي والمفتي في استنباط الأحكام الشرعية معتمدين في ذلك على القواعد الأصولية. وكان من أحسن ما كتب فيه "**البرهان**" لأبي المعالي الجويني وكتاب "**المستصفى**" للغزالي وهما شافعيان من الأشعرية وكتاب"**العمد**" لعبد الجبار الهمداني المعتزلي (ت.415هـ-1024م).[6] ولمّا كان انتشار علم أصول الفقه بداية في المشرق، انتقل بعض الفقهاء هناك، فابن العربي مثلا لم يأب الخروج من بيت المقدس حتى اطلع على أغراض العلوم الثلاثة: علم الكلام وأصول الفقه ومسائل الخلاف.[7] وقال عنها أنّها:"عماد الدين والطريق المَهْيَعُ[8] إلى التَدَرُّب في معرفة أحكام

[1] - ابن خلدون، **المقدمة**، ص.576.
[2] - عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص.16-17.
[3] - النديم، المصدر السابق، ج.1، ص.256؛ لكن وحسب ابن خلدون فإن الشافعي هو أولّ من كتب فيه، (انظر: **المقدمة**، ص.576).
[4] – نفسه.
[5] - نفسه.
[6] - النديم، المصدر السابق، ج.1، ص.256.
[7] – أول من وضع علم الخلاف أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي(ت.430هـ-1039م) ببخارى، (انظر: السّودوني(أبو الفدا زين الدين قاسم بن قطلوبغا، ت.879هـ-1475م)، **تاج التراجم**، تح. وتق. محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، 1992م، ص.994-995).
[8] – وجدتها مكتوبة بهذا الشكل.

المكلفين الحاوية للمسألة والدليل والجامعة للتفريع والتعليل"، ويعتبر أبو محمد الأصيلي وأبو الحسن القابسي ممن أخذ عنهم في هذا العلم.[1]

ويبدو أن علم الأصول بدأ الاهتمام به في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فالفقيه يحي بن عمر (ت.289هـ-902م) نسب إليه كتاب في الأصول الفقه، ثم ظهر الفقيهان ساهما في هذا العلم وهما: زكريا بن يحي الكلاعي القرطبي المتوفى حوالى في سنة 300هـ-913م، والفقيه عبد الملك بن أحمد بن محمد المعروف بابن المشتري (ت.336هـ-948م)،[2] ولم يعثر على نصوص لفقهاء أصوليين من المغرب الأوسط قبلهم.

ورأى بعض الفقهاء أنّه لا حاجة لوضع مصنفات فيه من بينهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الفهري[3] البجائي المشهور بالأصولي لمّا سئل عن التصنيف في هذا العلم قال:"قد سبق الناس بذلك وما عسى أن يأتي به" وعلّق الغبريني عليه بقوله:" فعدّ هذا من عقله" إلا أنّ هذا الأخير سمع من بعض الطلبة أنّ له " **تقييدا على المستصفى لأبي حامد الغزالي**" وقال الغبريني:" وأظنه صحيحا ولعله إنما علق عليه".[4] فقد يكون المقصود به المؤلفين الأوائل كالشافعي وغيره فقد اجتهدوا في وضع مصنفات شاملة وحسبه فإنّ تقييدات لا تعتبر تصنيفا. وقال ابن عبد الملك أيضا حول الكتاب:" فأصلح مختله وصحح معتله وعلق عليه[تعليقات] أفاد بها وتنوقلت عنه".[5] ومن أقرانه الفقيه أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي، الذي رافقه إلى المشرق ومن شيوخهما بمصر، الربعي، والجباب، وأبو الطاهر السلفي. ويعتبر الفهري شيخه لأنه يكبره سنا، ودرّس الأصول بتلمسان وببلنسية فأخذ عنه أهلها وانتفعوا بعلمه حتى أنّه وصفهم "بالذكاء وثقوب الذهن وجودة القرائح"،[6] وممن أخذ عنه الفقيه أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني وأبو عبد الله بن حماد.[7]

---

[1] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.438.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.20.

[3] – المهري في كتاب ابن عبد الملك، وهو ممّن حضر مجالس أبي طاهر السلفي والمنصور بن عبد المؤمن بن علي، (انظر: المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.271).

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.164؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.96؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.231.

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.271.

[6] – نفس المصدر، س.8، ص.387-388؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.95.

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.95.

ثم دخل علم أصول الفقــه إلى المغرب الأوسط خصوصــا عن طريق التيار الأشعري من أمثال أبي الحسن علي بن أبي القاسم محمد التميمــي المغربي[1]، وعن طريق الأندلسيين، وساهم في تطوير الفكر العقدي وعلم الكلام، واجتهاد الفقيه أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الفهــري البجائــي في علم الأصول عامة وتجسيد ذلك في كتــاب "**المستصفى**"[2] للغزالي ماهو إلا دليل على محاولة منه تطوير هذا العلم للانتفاع به أكثر.

وبدأ اهتمام فقهاء مالكيــة المغرب الأوسط بالتأليــف في علم أصول الفقه في أوائل بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وحسب النّصوص فإنّ أبا جعفر الداودي أوّل من ألف كتابا في أصول الفقه،[3] وهو في حكم المفقود إما ما ذكرته كتب التراجم والفهارس على أن له كتاب أصول الفقه.[4] واعتنى الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله ابن حمو المسيلي بالأصول والفروع، كان قد نزل سبتة وتولى القضاء بها، وهو من أكبر فقهائها ومدرسيها، فر منها إلى مدينة المرية بالأندلس واستوطنها.[5]

وازداد عدد مؤلفات أصول الفقه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلاد في بجاية. وأشهر من ألف فيه من الفقهاء: أبو الفضل النحوي، وقد أشارت بعض النصوص أنه "الإمــام العلامة الربــانــي ذي الكرامــات الظــاهرة والمكاشفــات المتظاهرة، الفقيــه الأصـولي المتكلم النظار".[6] وقال عنه القاضي أبو عبد الله محمد بن حماد :"كان أبو الفضل في بلادنا كالغزالي ببــلاده"، وهو من"انتصر للغزالــي وأفتــى بأن لا يلزمهم الحلف".[7] وأبو القاسم عبد الجليل الديباجي له كتاب سمّاه "**المستوعب في أصول الفقه**" رواه تلاميذه عنه[8]. درس عند الديباجي من الأندلسيين القادمين إلى بجاية الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري السرقسطي (ت.518هـ-1124م)، [9] أما الفقيه محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي الأصولي تفقه عن أبي عبد الله

1- ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.165.

2 – اختصره أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد السلام المشهور بابن الطير، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص. 102).

3 – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.104؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.208؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث**، ص.163.

4 – نفس المصدر، ج.7، ص.103؛ الجيدي، **محاضرات**، ص.74؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.225.

5 – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.173- 174؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.300.

6 – مجهول، **شرح قصيدة المنفرجة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 1304، ظ. 78.

7 – **شرح القصيدة المنفرجة**، نفس المصدر، و. 79.

8 – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.133؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304، **المستملح**، ص.287؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.387؛ ضيف، **فهرسة معلمة التراث**، ص.226؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.390؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.226.

9 – القاضي عياض، **الغنية**، ص.89.

المازري الذكي وعبد الجليل الديباجي ومن نظرائهم، انتفع كثيرا من علم الحسن بن محمد الغساني الجياني (ت.498هـ-1105م)، ولي قضاء مدينة تلمسان ثم مدينتي اشبيلية وفاس، صاحبه القاضي عياض ودرس عليه أصول الفقه كان "جليلا فاضلا فقيها ذكيا..."[1]، درس عن فقهاء القلعة من بينهم أبي عبد الله المازري الذكي وعبد الجليل الديباجي، وعن هذا الأخير ونظرائه درس علم الأصول، فأصبح ممّن يستفاد منه.

وألف الفقيه أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالقليعي الإشبيلي (ت.553هـ-1158م) كتاب" **نور المحجة وإيضاح المحجة في الأصول**"[2]. وزاوج الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي بن الرمامة في مؤلفاته بين أصول الفقه وأصول الدين ووضع مؤلفات فيها. وروى الفقيه أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن المعروف بابن أبي جنون،[3] روى عن أبي علي الصدفي وأبي عمران بن أبي تليد وغيرهما، وصنف مختصرا في أصول الفقه سمّاه "**المقتضب الأشفى من أصول المستصفى**"،[4] روى عنه أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني،[5] وعارض هذا الأخير مع أبي بكر بن العربي كتاب"**المنخول في تعليق الأصول**"[6] لأبي حامد الغزالي.[7]

ورغم شهرة أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي بغزارة مؤلفاته في التّصوف، إلا أنه لم يفوت الفرصة في وضع تأليف في الأصول مثل أصدقائه الثلاثة: عبد الحق الإشبيلي وأبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي، وأبي عبد الله محمد بن عمر القرشي، التي جمعتهم مجالس علمية في حانوت بطرف حارة المقدسي، واتخذ هذا المقر بعدها اسم "مدينة العلم" لاجتماع هؤلاء فيه. [8]

لقد أولى فقهاء مالكية المغرب الأوسط عناية خاصة لعلم الأصول إمّا بالتّصنيف، أو بالتحصيل، وانتشاره يعود إلى ثلاثة عوامل أساسية أولها: رحلة علماء المغرب الأوسط إلى المدن المغربية والمشرقية حيث منبع هذا العلم وغيره الذي عرف ظهوره تأخرا مقارنة بالدول

[1] – نفس المصدر، ص.64؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.255؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.86؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.284.

[2] – البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.93.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.246؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.553؛ الذهبي، **المستملح**، ص.338؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.2، ص.253؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.231؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث**، ص.359.

[4] – ذكره الحفناوي" **المقتضب الأشفى في اختيار المستصفى**"، (انظر، المرجع السابق، ق.2، ص.253).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.246؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.553؛ الذهبي، **المستملح**، ص.338.

[6] – ونشر الكتاب بتح. محمد حسن هيتو بعنوان"**المنخول في تعليقات الأصول**"، (انظر: المصدر السابق، ج.3، ص. 125، هـ.1).

[7] – المصدر السابق، ج.3، ص.124-125؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.492، **المستملح**، ص.283.

[8] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.16.

الأخرى،[1] ولوحظ ذلك خلال الرّحلات العلمية التي قام بها هؤلاء الوافدين والنزلاء الأصوليين إليه.

وثانيها: النّزوح الهلالي إلى إفريقية ممّا أدى بفقهائها إلى الهجرة إلى بجاية منهم أبو القاسم عبد الجليل الديباجي وأبي عبد الله المازري الذكي وأبو الفضل النحوي الذين تلقى عنهم العلم طلبة القلعة خاصة ومن المغاربة والمشارقة، فانتشر علم الأصول على يدهم وبغيرهم في المغرب الأوسط، ثالثها: نزول علماء الأندلس بحواضر المغرب الأوسط أثناء رحلتهم إلى المشرق، ومن أمثلة ذلك رحلة الفقيه أبي بكر بن العربي الذي مرّ ببجاية وبونة وبتلمسان، والتقى بشيوخ المشرق من بينهم الإمام الغزالي الذي تعلق بمحبته وجليل إعظامه والتّلذذ بإعادة محاوراته، وتجديد مطارحته، على أنّ ما تشرّبه من حرية البحث وكرامة المعرفة، كان يدفعه إلى مناقشته في كثير من أقواله وآرائه. وقد ذكرها في كتابيه"**العواصم من القواصم**" و"**القانون**".[2] وقد أصبح من المتفوقين في الردود والمناظرة عند عودته إلى اشبيلية ولم يتعاط ذلك إلاّ ذو ذهن ثاقب. وممّن دخل بجاية واستقر بها إلى وفاته الفقيه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصرون الأزدي البلنسي(ت.548هـ-1153م) الأصولي، إضافة إلى اهتمامه بعلم الفرائض والأدب.[3] وقد سمع منه الفقيه موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري سنة بعد عودته من رحلته المشرقية، وشاهد الغبريني بمدينة تدلس بعض ما خلفه من علم في الأصول.[4]

ومن الأندلسيين الذين نزلوا بالمغرب الأوسط الفقيه أبو جعفر محمد بن حكم بن محمد ابن باق السرقسطي وكان:"جليلا عارفا بأصول الفقة"[5]، روى عن كبار فقهاء المالكية منهم الفقيه أبو الأصبغ بن سهل وأبو العباس الدلائي، وأبو الوليد الباجي وأجاز له. قال عنه ابن عبد الملك أنه كان:" متحققا بعلم الكلام وأصول الفقه، حاضر الذكر لأقوال أهل تلك العلوم،

---

[1] – المصدر السابق، ص.95؛ عبد القادر بوتشيش، **صحوة المذهب المالكي**، ص.85.

[2] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.89-90؛ عبد القادر بوتشيش، **صحوة المذهب المالكي**، ص.98 وما بعدها.

[3] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص. 54؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.143؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.205.

[4] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.183؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.381؛ الذهبي، **المستملح**، ص. 171.

[5] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.394؛ السيوطي، **بغية الوّعاة**، ج.1، ص.96.

جيّد النظر، متوقد الذهن..." وهو من المهتمين بالتأليف في عدّة علوم،[1] منها في العقائد[2] والجدل وله فيه مصنفين أحدهما كبيرا والآخر صغيرا.[3]

وكان عدد كبير من الطلبة يحضرون مجالس الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأصولي المتكلم ليدرسوا عنه أصول الفقه. ورغم تبحره فيه إلا أنه كان حريصا على الزيادة في التحصيل العلمي وعدم ضياع الفرص التي تتاح له للاستزادة بالعلم، فقد لاحظ طلبته أنه عند خلو مجلسه كان ينتاب الفقيه أبو محمد عبد الحق بن الربيع وغيره ليتكرم عليه ممّن له رتبة فيجلس بإزائه[4]، ومن نزلاء بجاية الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزرهوني المشهور بابن الرق[5] ورغم تقدمه في علم الأصول، إلا أنّه جاء إلى بجاية للإقراء إبراهيم الأوصولي وعلى عبد الحق الإشبيلي البجائي، وكان قد أجاز لابن عبد الملك لمّا التقى به بفاس عند عودته من الأندلس. [6] ودخل محمد بن عثمان بن سعيد الفاسي بجاية أيضا وأخذ عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي كتابه مختصره في الأحكام ورواه عنه. [7]

ويلاحظ أن الفقهاء استمروا في تحصيل علم الأصول بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وقام بعضهم في وضع مصنفات ببجاية ودليل ذلك ما ذكره الغبريني ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الإشبيلي البجائي والفقيه محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري التلمساني، والفقيه أبو عبد الله محمد ابن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي اشتهروا بالتأليف في مجالات عديدة بما فيها أصول الفقه،[8] والفقيه أبو العباس شعبان بن أبي بكر بن شعبان (ق.7-13م) وغيرهم ممّن اهتموا بهذا العلم تفقها وتصنيفا[9]. ويبدو أن غالبية فقهاء المالكية جمعوا بين أصول الفقه وأصول الدين، وصنفوا في كليهما.

---

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.178؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.283؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.69؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص. 256.

[2] – السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.96.

[3] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.178.

[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.97.

[5] – جاء عند ابن عبد الملك بابن الزق، (انظر: المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.307)، وابن الرق عندما ذكره ضمن الغرباء، (انظر: نفس المصدر، س.8 ، ص.508).

[6] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1. ص.307؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص. 28).

[7] – نفس المصدر، س.8، ص.508؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.28.

[8] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.102.

[9] - المصدر السابق، ص.98-99؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.327؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص. 188.

والجدول الموالي يرصد أسماء فقهاء مالكية المغرب الأوسط والوافدين إليه في علم أصول الفقه وأهم ما صنفوه، ويظهر أنهم اعتمدوا على تصانيف أشهر المتخصصين في هذا العلم، كالإمام أبي حامد الغزالي وأبي طيب الباقلاني، فمنهم من شرحها أو اختصرها، واكتفى آخرون بوضع تعاليق وتقييدات عليها. ومنهم من اجتهد ووضع تآليف، ذكرت عناوينها كتب التراجم والطبقات بينما بقيت الأخرى مجهولة العنوان، وقد ظهر ذلك في مؤلفات عبد الجليل الديباجي التي وجد بعضها في المكتبة السليمانية بتركيا.

الفقيه	مؤلفاته	مصادره
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي	كتاب في أصول الفقه	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.102-103؛ محمد العلمي، الدليل، ص.208؛ رشيد ضيف، فهرسة، ص.69، 163.
أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن المعروف بابن أبي جنون	المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.246؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.553؛ الذهبي، المستملح، ص.338؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص. 253، المنتوري، فهرسة، ص.231.
أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي بن الرمامة	مختصر في أصول الفقه سمّاه ب"**البسيط**" تسهيل المطلب في تحصيل المذهب اختصار الإحياء للغزالي	ابن الأبار، التكملة، ج2، ص.158؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.327، س.8، ص. 502 وما بعدها؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3 ص.22؛ الذهبي، المستملح، ص.156-157؛ المنتوري، فهرسة، ص. 319.
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي	النبراس في الرد على منكر القياس	الغبريني، الدراية، ص. 13 ؛ بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص.104-107؛ الزركلي الأعلام ، ج.2، ص.220؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج.1، ص. 60.
أبو الفضل النحوي	لم يعثر على مؤلفاته	مجهول، **شرح قصيدة المنفرجة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع، تحت رقم فاضل أحمد باشا 1304 FAZILAHMEDPS، ظ. 78؛ الذهبي، المستملح، ص. 427.
أبو مدين شعيب بن الحسن أبو مدين التلمساني	المحصول في شرح الأصول	مخطوط بخزانة القرويين تحت رقم، 1050 ؛ عبد العزيز ابن عبد الله، معلمة الفقه المالكي، ص.129، بشير ضيف، فهرسة، ص. 164.
أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي الديباجي	المستوعب في أصول الفقه	ابن الأبار التكملة، ج.3، ص.133؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.10، ص. 304؛ المستملح، ص.287؛ ابن القاضي، جذوة

	التسديد في شرح التمهيد للبقلاني	الاقتباس، ج.2، ص.387. مخطوط ضمن مجموع في المكتبة السليمانية تحت رقم طورخان والدة السلطان 1/20) من 1أ– 93ب) نسخت سنة 576هـ–1180م؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج.1، ج.4، ص.49–50.
	ترتيب كتاب نكت الانتصار لنقل القرآن	مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية بمصر تحت رقم 828 ب؛ ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص.133؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج. 10، ص. 304؛ المستملح، ص.287؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص.387، سزكين، تاريخ التراث العربي، مج.1، ج.4، ص. 50.
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الاشبيلي البجائي	تقييد على المستصفى لأبي حامد الغزالي	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 163–164؛ ابن عبد الملك، س.8، ق.1، ص.271–272؛ الغبريني، الدراية، ص. 96؛ الذهبي، المستملح، ص. 162؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.2، ص.9؛ الحفناوي، ق.2، ص.327–328؛ عادل نويهض، أعلام، ص. 18–19.
أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري التلمساني	مستصفى المستصفى. لم يتممه	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص. 319.
أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي	لم يعثر على مؤلفاته	الغبريني، الدراية، ص.711.102.
محمد بن تومرت المعروف بالمهدي	تعاليق في الأصول	الجيدي، محاضرات، ص. 84.
أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد السلام عرف بابن الطير	مختصر كتاب المستصفى	الغبريني، الدراية، ص. 102؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص. 224؛ رشيد ضيف، فهرسة، ص. 165.
أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي	لم يعثر له على مؤلفاته	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.387–388؛ الغبريني، الدراية، ص.95.
أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي	الأعلام	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.159.

رابعا: أصول الدين

عرف ابن خلدون علم الكلام بأنه:"علم يتضمن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب أهل السلف وأهل السنة، وسير هذه

العقائد الإيمانية هو التوحيد"،[1] وأورد طاش كبرى زادة تعريفا أكثر تفصيلا بقوله:"قد عرفت أن علم الكلام باحث عن ذات الله تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الإسلام ولا يخفى أن هذه المسائل أصل العلوم الشرعية، ومبنى العلوم الدينية".[2]

ومن بين وصايا الخليفة هشام بن عبد الملك لبنيه أنه قال لهم:"... تعلموا الأدب، فإن إيراثي إياكم الأدب أحب إليّ من إيراثي إياكم المال، فإن المال غادٍ ورائح، والأدب باق، والعلم زين، والجهل شين، واذكروا من الحديث ما كان مسندا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإياكم أن تجمعوا منه تجميع حاطب الليل، فتشكوا في الخالق والمخلوق والصانع والمصنوع، والرب والمربوب، ولا تجالسوا السفهاء ولا تمازحوهم، وإياكم وأصحاب الكلام، فإن أمرهم لا يؤول إلى الرشاد، ولا تصطبحوا بالنوم فأنه شؤم ونكد"،[3] ويدخل ضمن هذا العلم المذهب الأشعري.[4]

رفض الفقهاء وأصحاب المذاهب الخوض في علم الكلام ونهوا عنه، فقد ثبت عن الإمام أبي حنيفة أنه كان يحث تلاميذه على التفقه وينهاهم عن علم الكلام، وكان محمد بن الحسن صاحبه يقـول عنه:" لعن الله عمرو بن عبيد،[5] فإنــه فتح للنــاس الطريق إلى الكلام فيمـا لا يعنيهم من الكلام".[6] وكمـا هو معروف فـإن الإمـام مـالك قضى حياتـه كلهـا في مدينـة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابـه ومن اهتدى إلى هديـه، والتـابعين من بعدهم (رضوان الله عليهم)، لذا لم يخض هو أيضـا في المسـائل الكلاميـة، وكـان الفقيه أبـو طالب المكي يقول" كان الإمــام مالك أبعد النّـاس من مذاهب المتكلمين، وألزمهم لسنــة السلف من الصحـابة والتـابعين"،[7]بل نقل عنه أنــه قـال:"إيـاكم والبدع، قيل يا أبـا عبد الله وما البدع، قال أهل البدع الذين يتكلمـون في أسمـاء الله وصفاتـه، وكلامـه وعلمـه، وقدرته، ولا

---

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.580؛ الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية بافريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم الأشعرية"، **مجلة إيبلا**، معهد الآداب العربية، ع.55، س.170، 1992م، ص.297.

[2] – **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، ج.2، ص.138.

[3] – الهروي(أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، ت.481هـ–1088م)، **ذم الكلام وأهله**، تح. ودرا عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ت، ج.5، ص.61.

[4] – ظهر هذا المذهب في المشرق على يد مؤسسه أبي الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري مولده كان سنة 260هـ–873م، وسمي بالأشعري لأنّ أمه ولدته والشعر على بدنه، وكان معتزليا، يقول بخلق القرآن، لكنه تراجع عن ذلك، فأصبح صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، تفقه عن أبي إسحاق المروزي الشافعي، وحسب النّصوص فإنّه مالكي، أقام الحجج على إثبات السنة على ما نفاه أهل البدع من صفات الله تعلى ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته،...وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث التي نفتها المعتزلة، وقد عرفت هذه الأخير أصحاب المذهب بالمثبتة، إذ اثبتوا من السنة والشرع ما نفوه. وكان من المناظرين للمعتزلة منهم الجبائي المعتزلي، ألف كتبا في الردود على المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وغيرهم منها: "**اللمع في الرد على أهل البدع**" و"**كتاب في الرد على المجسمة**" و"**صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة** "وكتاب"**التبيين عن أصول الدين**" وكتاب في الصّفات، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.24 وما بعدها؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.1، ص.273–274؛ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.135–136؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، ج.15، ص.85 وما بعدها).

[5] – الهروي، المصدر السابق، ج.5، ص.221، هـ.2.

[6] – نفسه.

[7] – أحمد محمد سالم، **نقد الفقهاء لعلم الكلام**، دار الرؤية، مصر، 2008م، ص.41-42.

يسكتون عما سكت عنه الصحابة، والتابعون"،[1] وقال أيضا:" من طلب الدين بالكلام تزندق".[2]

أما أهل المغرب فقلما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا إلى الاهتمام به فيما بعد،[3] فقد كانوا ينفرون من هذه العلوم، ويعادون كل من ظهرت عليه،[4] وقد مر علم الكلام ببلاد المغرب بثلاث مراحل.

أوّلها: أنّ الفقهاء المالكية امتنعوا في البداية عن دراسة هذا العلم خاصة في مرحلته الأولى، بل هناك من أنكره كالفقيه عبد الله بن بسام السجلماسي، والفقيه أبي محمد عبد الله بن دبوس اليفرني (ت.511هـ-1118م)، اللذان منعا أبا الفضل النحوي من تدريس علم أصول الدين، والفقه بمسجد ابن عبد الله بسجلماسة، وبجامع القرويين بفاس،[5] فاضطره إلى العودة إلى قلعة بني حماد.[6] ثانيها: تعلمه بعض الفقهاء إلاّ أنّ عددهم كان قليل. ثالثها: ازداد عدد فقهاء المالكية في التّأليف في هذا العلم، وانتهوا بتبني العقيدة الأشعرية،[7] وحسب نص عبد الواحد المراكشي فإن هذا المذهب انتشر في عهد محمد بن تومرت[8] (ت.524هـ-1130م)،[9] فهو الذي نشره بين النّاس في المغرب الأوسط والأقصى، خاصة في حاضرة تلمسان التي ملك قلوب أهلها حتى عظموه، ولما أظهر ما كان يدعو إليه في فاس أخرجه أهلها إلى مراكش. وصنف ابن تومرت تصانيف في هذا العلم، منها كتاب"**أعز ما يطلب**"و"**عقائد أصول الدين**".[10] وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري (ت.324هـ-936م)، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها. ويظهر أن المغاربة كانوا متّمسكين بالعقيدة السنية وكان هذا الأخير قدوتهم، فأهل المشرق والمغرب من

---

[1] - الهروي، المصدر السابق، ج.5، ص.70، أحمد محمد سالم، المرجع السابق، ص.42.

[2] - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.334.

[3] - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.334.

[4] - المراكشي، **المعجب**، ص.159.

[5] - التادلي، المصدر السابق، ص.97-98

[6] - ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص. 552-553.

[7] - الهنتاتي، **تطور موقف علماء المالكية**، ص.297.

[8] - الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.133؛ حسن جلاب، "الفكر والأدب في عهد الموحدين"، **مجلة دعوة الحق**، ع.249، رمضان 1405هـ-جوان، الرباط، 1985م، ص.82 ؛ Idris (H.R.),‹‹Essai sur la diffusion de L'as'arisme››, **Cahier de Tunisie**, II, 1953, p.130.

[9] - اختلفت النصوص المصدرية في تاريخ دخول ابن تومرت قلعة بني حماد وإقامته بها، ذكر ابن القطان أنه وصل إلى بجاية سنة 511هـ- 1118م (المصدر السابق، ص.76)؛ وأخبرنا البيذق وعبد الواحد المراكشي أنه دخل بجاية دون تحديد السنة، (انظر: **أخبار المهدي**، ص.13؛ **المعجب**، ص.156)، أما ابن خلدون ورشيد بورويبة فدخوله كان سنة 512هـ-1119م، (انظر: المصدر السابق، ج.6، ص. 235؛ "إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة"، **مجلة الأصالة عدد خاص بجاية عبر العصور**، ع. 19، س.4، 1974م، ص.233).

[10] - عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، ص. 159، 161-162؛ الهنتاتي، **تطور موقف علماء**، ص.311.

السنيين "بحججه يحتجون، وعلى مناهجه يذهبون"، وقد أثنوا على طريقته ومذهبه الكثير.[1]

يظهر حسب ما ذكره المراكشي والباحث نجم الدين الهنتاتي أن العامة لم تتحول إلى العقيدة الأشعرية ولم تتأثر بها، إلا بعد المجهود الذي قام به ابن تومرت في إرسائها[2] بفضل عقيدته "**المرشدة**"[3] التي هذب بها عقيدة العامي، بل فرضها بواسطة سلطته السياسية. ويلاحظ أن المذهب الأشعري لقي ترحيبا واسعا لدى بعض فقهاء مالكية بلاد الغرب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكان ذلك بعد هزيمة المذاهب الأخرى: كالمرجئة والمعتزلة والشيعة، إذ وجد إقبالا منهم، ومن جملة هؤلاء ابن أبي زيد القيرواني،[4] وأبي الحسن القابسي،[5] وهذا الأخير نعته القاضي عياض بأنّه "فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا"،[6] ويبدو أنّ أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله القلانسي (ت.359هـ-969م) صاحب كتاب"**الإمامة**"، والرّد على الرّافضة كان أسبقهم إلى هذا العلم، حسب النّصوص المصدرية فهو"فقيها عالمًا بالكلام والرّد على المخالفين"،[7] وجعله البرزلي:"من مشايخ الأشعرية"،[8] وتتلمذ عن هؤلاء فقهاء مالكية المغرب الأوسط، وهناك من عاصرهم أو صاحبهم.

اختلف المؤرخون من المتقدمين والمتأخرين في تحديد المذهب الفقهي لأبي الحسن الأشعري، هل كان مالكيا أم شافعيا؟ يظهر من أتباعه بالعراق كابن مجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني،[9] وابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابسي وأبي عمران الفاسي بإفريقية

---

[1] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.25.

[2] – المراكشي، **المعجب**، ص. 164؛ **تطور موقف علماء**، ص.311

[3] – نشر الباحث سعد أعراب مقال عن "**المرشدة**" ضمن أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، قرطاج 11-17 أفريل 1977، **ضمن الكراسات التونسية**،(pp.107-137) T.XXV, N.103-104, 3=em et 4=em trimestres 1978,

[4] –ودرس العديد من العلماء في عقيدة ابن أبي زيد، فصنفوا كتبا منها ما صنفه تلميذه الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي وهو أوّل شارحها، والمشدالي صنف كتابا أيضا شرح فيه عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7،ص.222؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.106؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص. 301؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.302-303).

[5] - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.122؛ علاوة عمارة، **مكانة الفكر العقدي**، ص. 110؛ الهنتاتي، **تطور موقف علماء المالكية**، ص.299 ، وانظر أيضا: Idris (H.R.), **sur la diffusion de l'aš'arisme**, pp. 126- 140.

[6] – من خلال مؤلفات القابسي توحي إلى أنها في العقيدة الأشعرية منها: كتاب "**أحكام الديانة**" وكتاب"**المنقد من شبه التأويل**" وكتاب "**الاعتقادات**"؛ وأثنى القابسي على أبي الحسن الأشعري وذكر فضائله وإمامته في رسالة ألفها، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.93؛ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.122؛ الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.134.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.257.

[8] – البرزلي، المصدر السابق، ج.1، ص.387؛ الهنتاتي، **تطور موقف علماء المالكية**، ص.300.

[9] – لا يُمنع من وجود فقهاء من الشافعية والحنفية تبنوا أيضا المذهب الأشعري، نذكر منهم:عبد القادر البغدادي وأبو حامد الغزالي، إذ "تعلق بها أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض من الحنفية"، (انظر: ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.25).

أنّه مالكي، ولا أحد يشك في ذلك،[1] ولابن عساكر رواية تثبت مالكيته، وحُكم عليه أنّه شافعي حين أجاب في مسألة "الصلاة بغير فاتحة الكتاب"، بقول الشافعي وهو دليلهم عليه،[2] يبدو أنهم لم يصيبوا فيما ذهبوا إليه، إذ أنّه لا يمكن الحكم على الجزء وتعميمه على الكل.

لا يستبعد من أنّ أبا جعفر الداودي كان من أعلام الأشاعرة، إذ أنّه قل ما يذكر دون معية ابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابسي فيمن تتلمذ عنهم،[3] وذكر في عدة مواضع من "**المدارك**" رأيه في مسألة الإيمان،[4] ويظهر أيضا أنّ عبد الملك البوني، أخذ المذهب عنه، حين لازمه خمس سنوات.[5] ويمكن تفسير ذلك من خلال كتب علم الكلام التي تحصل عليها ابن خير الإشبيلي، وكان هو ضمن أسانيدها منها: "**رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد[6] الطائي البصري فيما التمسه فقهاء أهل الثغر بباب الأبواب من شرح أصول مذاهب التابعين للكتاب والسنة**"،[7] حدث بها أبو علي الغساني عن أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني قراءة عليه، سمعها هذا الأخير بالقصر الكبير بالمنستير بإفريقية عن أبي عبد الله محمد الضرير، عن أبي بكر إسماعيل بن إسحاق الزهري المعروف بابن عذرة عن ابن مجاهد المالكي (ت.370هـ-980م).[8] وروى ابن خير الإشبيلي أيضا كتاب"**رسالة الحرة**"[9] للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، حدّثه به أبو الأصبغ بن أبي بحر مناولة منه إليه، وأبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر، إجازة، حدّثهم بها أبو علي حسين الغساني، حدّثه بها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني، حدّثه بها أبو طاهر محمد بن علي البغدادي، قراءة منه عليه بالإسكندرية عن مؤلفه ابن الطيب الباقلاني.[10]

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.24 وما بعدها؛ السمعاني، المصدر السابق، ج.1، ص.273-274؛ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.2، ص.135-136؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، ج.15، ص.85 وما بعدها.

[2] - رواية ثانية ذكرها ابن عساكر، (انظر: **تبيين كذب المفتري**، ص.124).

[3] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.19؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.46، 48،143، ق.2، ص.86 وما بعدها من عدة الصفحات.

[4] - نفس المصدر، ج.4، ص.229، ج.6، ص.216، ج.7، ص.275.

[5] - الطبني من رواة أبي بكر بن عذرة المتكلم، (انظر: **المدارك**، ج.7، ص.259، 275).

[6] - متكلم من أصحاب أبي الحسن الأشعري المالكي، وشيخ القاضي أبي بكر الباقلاني، غلب عليه علم الكلام والأصول. له سماع لصحيح البخاري عن أبي زيد المروزي شاهده القاضي عياض في كتاب الأصيلي، واستجار ابن أبي زيد القيرواني في كتابيه"**المختصر**" و"**النوادر والزيادات**"، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.196، ج.7، ص.274؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.210)؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (7) و(8).

[7] - لم أعثر عليها في كتب أخرى.

[8] - من تلاميذ ابن مجاهد الطائي المتكلم وأبي بكر الأبهري وأبي بكر محمد بن أحمد البغدادي، (انظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.274-275؛ ابن خير، المصدر السابق، ص.223؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص. 210-211؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.2، ص.49).

[9] - ذكر ابن زبير في كتابه في ترجمة سعد بن محمد المعروف بابن الحفار(ت.646هـ-1248م) سمعها هذا الأخير من أبي الحسن بن كوثر المقرئ وهو آخر من حدث عنه بالقراءة والسّماع سنة 583هـ-1187م دون الإشارة إلى مؤلفها، (انظر: المصدر السابق، ق.4، ص.215). ولم يورد ابن عبد الملك مؤلف الرسالة، (انظر: المصدر السابق، س.4، ص.15).

[10] - ابن خير، المصدر السابق، ص.222.

يبدو أنّ انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب تدّعم بالفقيهين أبي طاهر محمد بن علي البغدادي الواعظ (ت.448هـ-1056م) الذي قيل عنه:" ولولاه لضاع العلم بالمغرب"،[1] وأبي عبد الله الحسين بن أبي حاتم الأذري (ت.423هـ-1031م)،[2] الذي خرج من العراق باتجاه القيروان، وكان له الفضل حسب ابن عساكر في انتشار المذهب به، ودخولهما كان بأمر من أبي بكر الباقلاني"شيخ السنة ولسان الأمة"، "فارس هذا العلم مبارك على هذه الأمة"، و"حصن من حصون المسلمين" حسب ما نقله القاضي عياض عن ابن عمار الميورقي،[3] وكان ذلك بعد وفاة الأشعري، فوقف ضد المعتزلة التي استعادت بعض قوتها في عهد بني بويه،[4] وذلك بعد ما "حجرهم في أقماع السمسم" أبو الحسن الأشعري،[5] وممّن استفاد منه في علم الكلام والأصول أبو إسحاق التونسي وأبو عمران الفاسي الذي حضي بإعجاب كبير من الباقلاني فرأى في القاضي عبد الوهاب وعنه لما تتلمذ عليه:"لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر...لاجتمع فيها علم مالك؛ أنت تحفظه، وهو ينصره ولو رآكما مالك لسر بكما". [6]

أما الفقيه الأديب أبو بسام موسى بن عبد الله بن حسين (ت.486هـ-1093م)[7] الكوفي العارف بأصول الدين على الطريقة الأشعرية، فقد توّجه في بداية رحلته إلى صقلية، ثم إلى الأندلس للجهاد، فلم يمنعه هذا الأخير من أن يستفيد منه غيره، فقد أُخذ عنه في مدينة ميورقة.[8] ثم دخل إلى القلعة الحمادية، فامتحن بها وقتل ذبحا، ومهما كانت هذه الرّواية، فقد ذكر ابن بشكوال أنه نقلها عن كتاب القاضي عياض أرسله إليه بخطه.[9] ويبدو أنّ سبب قتله تضلعه في علم الكلام على الطريقة الأشعرية.[10]

---

1 – ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.123.

2 – الأذري: بفتح الهمزة والدال نسبة إلى أذربيجان، وعند النحويين هو مركب من كلمتين أذر و بيجان، وردت هذه النسبة إلى ابن حاتم الأذري، وقد حرفت كلمة "الأذري" إلى "الأزدي" عند ابن عساكر في كتابيه"**تاريخ دمشق**" و"**تبيين كذب المفتري**"، أما الذهبي والدراسات الحديثة ذكرته بالأذري، (انظر: **تاريخ دمشق**، ج.41، ص.471؛ **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.128؛ **تاريخ الإسلام**، ج.9، ص.600؛ محمد محفوظ، "الأذري أم الأزدي؟"، **مجلة الفكر**، ع.3، شهر ديسمبر، تونس، 1971م، ص.56-60؛ الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.133؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ص.391).

3 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص. 45.

4 - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.15.

5 - الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج.15، ص.86.

6 - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.47، 247؛ عبد القادر توتشيش، **صحوة المذهب المالكي**، ص.89.

7 – حسب الباحث علاوة عمارة فإن أبا بسام الشخصية العلمية المشرقية الوحيدة التي دخلت قلعة بني حماد، (انظر: **الفكر العقدي**، ص.104).

8 – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.57.

9 – لا يوجد ذكر لهذه الرواية في كتب القاضي عياض، (انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.2 ص.613؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.524).

10 – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص. 524؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.57.

ولم يقتصر فقهاء مالكية بلاد المغرب بالأخذ عن الداعيين الأذري والبغدادي حسب محمد محفوظ،[1] بل رحلوا إلى المشرق بغية توسيع معارفهم، والتعرف على رجال المذهب ومن بين هؤلاء: ابن أبي زيد القيرواني الذي نقل عنه الباقلاني[2]، وأبي الحسن القابسي، وأبي عمران الفاسي[3] وأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن العربي، الذين أصبحوا المرجعية في علم الكلام التي يُعتمد عليها في المغرب والأندلس.[4]

1-انتشار علم الكلام ببلاد المغرب

شهدت بلاد المغرب في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن ميلادي، توافدًا لبعض الفرق من المشرق، التي عرفت اضطهادا من السلطة الأُموية والعباسية بعدها، من زيدية وصفرية وإباضية وواصلية وشيعية وغيرها. كانت قد ظهرت هناك بسبب الخلاف الذي ظهر في أواخر خلافة عثمان بن عفان (23-35هـ/644-656م) (رضي الله عنه)، وبمرور الوقت ظهرت فرق أخرى مبتدعة في بعض المسائل العقائدية منها: مسألة خلق القرآن، وفي قوله جل جلاله ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾،[5] أي بمعنى مشرقة منورة، والإستواء في قوله أيضا﴿عَلَى العَرْش اسْتَوى﴾،[6] فنتجت عنها مناظرات بين المالكية والمعتزلة، وتغلب العقل فيها عن النقل معتمدين على الحجج والبراهين.

لقد لجأ الفقهاء المغاربة في مسائلهم المستجدة والمستعصية إلى الإمام مالك بن أنس، خوفا من الزيغ عن المذهب المالكي، وقد شجع هذا الأخير المغاربة في الرّد على أهل البدع، وجاء ذلك ضمن رسالة أرسلها إلى ابن فروخ وهي رد على رسالة هذا الأخير، الذي يخبره بانتشار البدع بإفريقية، وقد وضع تأليفا في ذلك وهو ممن كان "يميل إلى طريقة أهل النظر والاستدلال".[7] ولم يعترض الإمام مالك على تصرف ابن فروخ لكن وجه إليه بعض النّصائح ليقتدي بها ومن بينها أنّه:"لا يرد عليهم إلاّ من كان عالما ضابطا عارفا بما يقول لهم، ليس يقدرون أن يُعَرِّجوا عليه، فأما هذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن

[1] – من الدعاة الذين أرسلهم الباقلاني إلى بعض المناطق منها بلاد المغرب لحسم الصراع الذي كان بين المعتزلة والأشعرية، المصادر لم تشر إلى أن فقهاء القيروان طلبوا من الباقلاني أن يرسل إلى القيروان من يلقنهم المذهب والذي انتشر قبل دخولهما، (محمد محفوظ، **الأذري أم الأزدي**، ص.58).

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.216.

[3] – الهنتاتي، **إسهام القيروان**، ص.135.

[4] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.137.

[5] – سورة القيامة، الآية 22-23.

[6] – سورة طه، الآية 5.

[7] – أبو العرب، **طبقات**، ص.36؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.177؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.110.

يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا، ويزدادوا تماديا على ذلك"،[1] ورغم ذلك فإن الجدل الفكري في بلاد المغرب تأخر مقارنة بالمشرق.

وكان الفقيه ابن أبي زيد القيرواني يرد أهل الأهواء، وقد دعا أحدهم إلى الاعتزال، والقول بالقدر والمخلوق بقوله :"طريقة المتّكلمين أهل السنة ومذهب الأشعري ويبدعه"، ونفى عن مالك وأصحابه جميع ما نسب إليه وجعل يحتج على نقض قوله في القدر من كلام مالك، محتجا برسالة كتبها الإمام مالك إلى ابن وهب في القدر والرّد على القدرية.[2] وهي ضمن مؤلفات الإمام مالك التي رواها عنه من كتب به إليه، أو سأله إياها، أو رواها غير واحد من أصحابه، ولم يروها الكافة، وهذه الرسالة رواها أكثر من واحد عن مالك، بأسانيد صحيحة ومتصلة، فقد سمعها القاضي عياض بروايتين الأولى: عن أبي محمد بن عتاب عن محمد بن أحمد بن سعدون عن محمد بن سحنون عن عبد العزيز بن يحي القرشي عن ابن وهب، والثانية: عن أبي علي الصدفي عن الباجي عن أبي محمد بن الوليد عن ابن أبي زيد القيرواني عن ابن سعدون الخلاني، عن محمد بن الحكم عن ابن وهب،[3] وسمع هذا الأخير مالكا يقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء، يقول :"أما أنا فعلى بينة من ربي وأما أنت فشاك فاذهب إلى مثلك فخاصمه".[4]

2- مؤلفات فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الكلام

تطور علم الكلام لدى فقهاء مالكية بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، فتمسكوا بالعقيدة الأشعرية ووضعوا مؤلفات في الرد على أهل البدع، ذُكر العديد منها في كتب التراجم مثل كتاب "**طبقات علماء إفريقية**" لأبي العرب، و**كتاب**"**ترتيب المدارك**" للقاضي عياض،[5] وألف أبو جعفر بن نصر الداودي كتابًا في العقيدة والكلام سمّاه "**الإيضاح في الرد على القدرية**"،[6] ذكره الذهبي باسم"**الإيضاح في الرّدّ عَلَى البكريّة**"،[7] وهو المصدر الوحيد

---

[1] – نفسه.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص. 91–92؛ السكوني (أبو علي عمر، ت.717هـ–1317م)، **عيون المناظرات**، تح. سعد عراب مع مقدمة وفهارس، منشورات الجامعة التونسية، 1976م، ص.204؛ الهنتاتي، **تطور موقف علماء المالكية**، ص.298.

[3] – نفسه.

[4] – نفس المصدر، ج.2، ص.41؛ السيوطي، **تزيين الممالك**، ص.35.

[5] – منها: الرد على الجهمية، والرد على أهل الشرك، والرد على المرجئة، والرد على الشكوكية، والرد على القدرية،...(انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.36، القاضي عياض، **المدارك**، ج.3، ص.207، ج.4، 207، 259، ج.5، ص.271).

[6] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.102.

[7] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.9، ص.600.

الذي انفرد بهذه التسمية، ورجّحها أيضا الباحث عبد العزيز الصغير في موسوعته، زعما منه أنّ الداودي ألفه للرد على الطائفة البكرية، التي تنسب إلى أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد البكري الصوفي، نزيل القيروان الذي ادعى رؤية الله في اليقظة،[1] وألف القابسي وابن أبي زيد القيرواني المعاصرين للداودي، كتبا حول الرد على القدرية والبكرية، وقد سبقهم ابن سحنون في ذلك،[2] وقد تكون أسماء الكتب اختلطت لدى الذهبي، وقد أفتى الإمام مالك "بقتل القدرية بعد استتابهم".[3]

اشتهر الفقيه أبو علي المسيلي المتكلم في بجاية، وهو من الفقهاء الذين وضع لهم الغبريني ترجمه مستفيظة منها: أنه لقي بها تسعين مفتيا كلهم يعرفون أبا علي المسيلي دون المحدثين والنّحاة والأدباء وغيرهم ممّن تقدم عصرهم،[4] قد لُقب بأبي حامد الصغير إذ أنه جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن، له كتاب "**التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات**"، ذهب سلك فيه مسلك أبي حامد الغزالي في كتابه "**الإحياء**" وبسببه أخذ تسمية الغزالي، وذهب الغبريني إلى أن كتاب المسيلي أحسن من كتاب أبي حامد معللا ذلك بقوله:" كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين. ولم يفتقر فيه إلى تبيين..."،[5] فوجد فيها قوله "اعلم وفقك الله أنّ هذا الكتاب حسن في معناه، مخترع في الترتيب ومبناه، قلّ فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد، وعليه يعتمد، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضالين المعتدين فهو فيه على الصراط المستقيم...".[6]

واطلع الغبريني على كتابه "**التذكرة في أصول الدين**"،[7] ، ومن كثرة ما استحسنه وكرر النظر فيه عدة مرات، رأى أنّه احتوى على أجل الموضوعات في هذا الفن، واعتنى كثير من النّاس بالكتاب وآثروه ولأهميته انتشر بينهم.

---

[1] – **موسوعة الداودي**، ج.1، ص.82.

[2] – يبدو أن المؤرخين اختلفوا في اسم الكتاب بين "القدرية" و"البكرية"، (نظر: القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.207؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.102، 171)؛ وفي كتاب "**آداب المعلمين**" جاء" **الفكرية**"، ورجح المحققان بأن الكلمة هي النّكارية، وهي تدل على الخوارج الذي أنكروا إمامة عبد الوهاب بن الرحمن بن رستم، (انظر: ابن سحنون، المصدر السابق، هـ.1، ص.30)، يبدو أن الكلمة أقرب إلى البكرية والقدرية من النكارية، فلو كان الرد من أحد الإباضية لكان ذلك مقبولا، لان الخلاف كان بين فرقتين إباضيتين.

[3] – السكوني، المصدر السابق، ص.205.

[4] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.27.

[5] – نفس المصدر، ص.14.

[6] – نفسه.

[7] – نفس المصدر، ص. 13- 14.

وكتاب"**نبراس في الرد على منكر القياس**"، لم يطلع عليه ولم يشاهده الغبريني، لكن وصلته أخبار عنه، فزادت شدته للحصول عليه، وحدثه أحدهم أنه "ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله"، ومن شدة سروره أنشده هذا البيت.

ومليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت له الأعداء[1]

وقد اهتم فقهاء مالكية المغرب الأوسط بهذا العلم مثل نظرائهم، بل وضعوا تآليف فيه، وقد وصل إلى ذروته في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي وحديث الغبريني عن كتب المسيلي وغيره ماهو إلاّ دليل على ذلك.

بذل فقهاء المغرب والأندلس جهدا كبيرا في تحصيل علم الكلام، وعلى رأسهم عبد الجليل الديباجي، فقد تتلمذ على الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين (ت.503هـ-1110م)، قاضي إشبيلية من أصحاب القاضي أبي الوليد الباجي ومن المهتمين بعلمه، أخذ منه مسائل الخلاف والأصول. وأصبح فيما بعد ممّن يشهد لهم في هذا العلم، وقد كتب إلى القاضي عياض يجيزه جميع تصانيفه ورواياته،[2] منها: كتاب "**اللمع**"،[3] أخبره به عبد الجليل الديباجي عن مؤلفه أبي عبد الله الأذري، وكُتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، عن عبد الجليل الديباجي عن أبي عبد الله الأذري عنه.[4]

واشتهر الديباجي أيضا بروايته عن أبي عبد الله الأذري صاحب الباقلاني، وأبي عمران الفاسي،[5] وعن أصحاب أبي بكر بن الطيب الباقلاني، روى عنه الكثير منهم أبو الحجاج يوسف بن الملجوم، ومحمد بن داود القلعي، ونزيل بجاية أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي الميورقي، أخذ عنه علم الكلام والأصول، الذي أصبح الغالب عليه علم التوحيد والكلام ووضع تأليفا فيه سمّاه "**الأعلام**".[6]

وقد مدح أبو الحسن علي بن محمد الخولاني المهدوي الحداد الأصولي عبد الجليل الديباجي بأبيات شعرية نصها:

عَول علَى عبدِ الجَليلِ فإنّـهُ نِعمَ المُعــــــوَّلُ فِي المُبهم النّــازِلِ

---

[1] – نفس المصدر، ص.13.

[2] – القاضي عياض، **الغنية**، ص.75؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304.

[3] – ذكره القاضي عياض "**اللامع**"، (انظر: نفس المصدر، ص.76).

[4] – القاضي عياض، **اللامع**، ص.76؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.8، ص.159؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص. 133؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304؛ حسن حسني عبد الوهاب، **العمر**، ج.1، ص.390.

[6] – نفس المصدر، ج.8، ص.158؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص133.

واقـصـدْه إنْ هبّتْ عـــــول شُبْهَةٍ يَجْلُو بِسَيْفِ الحَق غُرْبَ البَاطِلِ

وجرى فغبر في وُجُوهِ مَعَاشِر والرِجْـلُ تسفل من مَكَـانِ الجــــاهِلِ

والله فرقَ بينَ أجْناسِ الوَرى ليبينَ بالنُقْصَانِ حقُ الفَاضِلِ

لَئِن كَسَفُونَا بِلاَ عِلَةٍ وَفَازَت قِدَاحُهُم بالظّفْر

فَقَدْ يَكْسِفُ المَرءَ مَنْ دُونَه كَمَا يكْسفُ الشَمسَ جِهة القمر [1]

كما شرح الديباجي كتاب "**التمهيد في الكلام على التوحيد**" لأبي بكر بن الطيب الباقلاني[2] وعنونه ب "**التّسديد في شرح التمهيد**"،[3] تطرق عبد الجليل الديباجي فيه إلى عدة مواضيع في أبواب منها باب الحد في العلم، باب في الكلام في العلة، باب الكلام في العلة، وباب الكلام على العلة الشرعية... وغيرها، وابتدأ كتابه بباب الكلام في الحد:" الحد أصله المنع ومنه سميت المرأة حادة لامتناعها من الزينة والطيب منه سمي البواب حدادا..."، وفي آخره" تم كتاب التسديد في شرح التمهيد في العشر الآخر من شهر رجب الفرد سنة ست وسبعين وخمسمائة وصلى الله على محمد نبي الرحمة ومهد الأمة"، ويحتوي المخطوط على تقييدات في الحواشي.[4]

وألف كتاب "**نكت الانتصار لنقل القرآن**"،[5] اختصر فيه أبو عبد الله بن عبد الله الصيرفي كتاب "**الانتصار لنقل القرآن**" للباقلاني أيضا.[6] وصنف "**رسالة في الاعتقاد**"[7]. ولم يختلف اهتمام عبد الجليل الديباجي بعلم الأصول عن عنايته بعلم الكلام، إلا أنّ كتب التراجم والطبقات والفهارس، لم تشر إلى كل مصنفاته التي مازالت مخطوطة في بعض المكتبات وتحتاج إلى من يزيل الغبار عنها.[8]

---

[1] – الربعي، **كتاب التسديد مخطوط**، ظ. 1.

[2] – هو" **كتاب التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**" نشر عدة مرات، (انظر: السكوني، المصدر السابق، ص.378).

[3] – توجد نسخة من هذا المخطوط ضمن مجموع في المكتبة السليمانية تحت رقم طورخان والدة السلطان 1/20) من 1أ– 93ب) نسخت سنة 576هـ–1180م، تحمل رقما آخر يازمه باغشلر رقم YAZMABAGISLARAR 2–1885، (انظر أيضا: سزكين، المرجع السابق، مج. 1، ج. 4، ص.49–50).

[4] – انظر: الملحق رقم (22).

[5] – ذكر السكوني الكتاب باسم "**الانتصار**"، (انظر: المصدر السابق، ص.243"؛ أما الذهبي ذكره ب" **نُكت الانتصار**". (انظر: **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304).

[6] – مخطوط موجود بمكتبة بلدية الإسكندرية بمصر تحت رقم 828 ب، ذكره سزكين في كتاب "**تاريخ التراث العربي**"، مج.1، ج.4، ص.50، و(انظر أيضا: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.133؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.10، ص.304، **المستملح**، ص.287؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.387).

[7] – نفسه؛ الذهبي، **المستملح**، ص.287؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.387.

[8] – **تفسير أية الوضوء**، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية، رقمه يازمه باغشلر رقم YAZMABAGISLARAR 2–1885 نسخت سنة 576هـ–1181م من 95آ– 105ب؛ رمضان ششن، **نوادر المخطوطات العربية**، مج.2، ص.34.

وحدث الديباجي بقلعة بني حماد وغيرها من المدن بكتاب "**التلخيص**" لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني في علم الأصول عن أبي عبد الله بن خليفة عن مؤلفه،[1] ودرس عليه الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير الأنصاري السرقسطي علم الأصول بالقلعة بني حماد.[2] يبدو أنّ غالبية تلاميذ الديباجي تأثروا بعقيدته الأشعرية، فقد جاء وصفهم في كتب التراجم إما بالأصوليين أو المتكلمين، أو بالصّفتين معا.

ووضع أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن محمد التميمي القسنطيني الأشعري تأليفا في العقيدة والكلام سمّاه:" **كتاب كشف فضائح المشبهة بالحشوية**" اطلع عليه ابن عساكر،[3] كما ألف أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن زكون التلمساني تأليفا مهما في الرأي، [4] وغلب على بعض فقهاء المغرب الأوسط علم الرأي على رواية الحديث، مثل الفقيه أبي القاسم عبد الرحيم بن جعفر المزياني التلمساني.[5]

ودخل بجاية بعض بمصنفات الجويني كالفقيه أبي عمرو عثمان بن عبد القيسي المشهور بالسلالجي (ت.564هـ-1168م)،[6] إمام أهل المغرب في الاعتقاد، كان مرجع أهل فاس في علم الكلام، ووصل إلى مرتبة شيخه أبي المعالي الجويني في هذا العلم، فقد اهتم بمؤلفاته منها: "**الإرشاد**" الذي اهتم بالنّظر في مسائله والوقوف عليها، بعد مشاورة شيخيه ابن حرزهم، وابن الرمامة، وانتهى إلى حفظه، وله كتاب مختصر في التوحيد سماه "**العقيدة البرهانية**". [7]

ولمّا أشكلت عليه بعض المسائل، عزم الذهاب إلى المشرق لفهم كل الكتاب، لكن والي المغرب عبد المؤمن بن علي قرر سجن وقتل كل من عزم الرحيل، فهرب ليلا من بجاية وعاد إلى مدينة فاس[8]، ولازم علي بن أحمد اللخمي المعروف بالاشبيلي وتفقه عنه في كتاب

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص. 133؛ الذهبي، **المستملح**، ص.287؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص. 387.

[2] – القاضي عياض، **الغنية**، ص. 88-89.

[3] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.43، ص.135

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.217-218، **المعجم**، ص.75؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص. 183؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.81.

[5] – ذكره ابن الأبار ب" الزناتي"، (انظر: **التكملة**، ج.3، ص.63؛ الذهبي، **المستملح**، ص.260).

[6] – وزاد صاحب كتاب"الجذوة" في سبب شهرته بالسلالجي لأنّ له أملاك كانت له بجبل سليلجو فكان يتردد إليها، (انظر: ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص.458؛ الكتاني(عبد الكبير، ت.1345هـ-1927م)، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، تح. على بن منتصر الكتاني، مكتبة الثقافة، الرباط، 2015م، ج.1، ص.498).

[7] – ابن خير، المصدر السابق، ص.223؛ الكتاني، **زهر الآس**، ج.1، ص.498؛ حسن جلاب، المرجع السابق، ص.82.

[8] – ابن القاضي، المصدر السابق، ج. 2، ص.458.

"**الإرشاد**"، ثم دخل مدينة مراكش، وأخذ العلم عن فقهائها، واستقر في الأخير في مدينة فاس للتّعليم وألف سمّاه "**البرهانية**".[1]

ونظم رجل من أهل جزائر بني مزغنة قصيدة حول "**إحياء علوم الدين**" قرأها على قبر ابن تومرت من أبياتها:

سلامًا على قبر الإمام الممجد   سلالة خير العالمين محمدٍ

ومشبهة في خلقه ثم في اسمه   وفي اسم أبيه والقضاء المسدد

ومحيى علوم الدين بعد مماتها   ومظهر أسرار الكتاب المسدد[2]

يبدو أن الفضل في دخول العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب يعود إلى فقهاء مالكية القيروان، من بينهم ابن أبي زيد القيرواني والقابسي.[3] وانتشرت بالمغرب الأوسط على يد ثلة من فقهاء المالكية منهم على سبيل المثال: أبو جعفر الداودي، وأبو عبد الملك البوني، وعبد الجليل الديباجي، ومن جاء بعدهم من تلاميذهم كابن الرمامة وأبي الفضل النحوي وأبي الحسن القسنطيني الأشعري، وأبي عبد الله بن داوود القلعي (ت.529هـ-1135م) وأبي علي بن زكون التلمساني... وغيرهم، ويعود السبب في انتشاره أيضا إلى التقارب بين المذهبين المالكي والأشعري فكلاهما يدافعان عن العقيدة السنية. وقد ذُكرت المصادر أنّ أبا الحسن الأشعري كان مالكيا، والجدول التالي يرصد فقهاء مالكية المغرب الأوسط في علم الكلام، ويظهر أن عدد مؤلفاتهم ضئيلة مقارنة بالعلوم الأخرى كعلم الحديث الذي أخذ القدر الأوفر في التأليف، ولعل ذلك يعود إلى اهتمام فقهاء المغرب الأوسط به أكثر.

---

[1] - التادلي، المصدر السابق، ص.198 وما بعدها؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.349؛ ابن القاضي، المرجع السابق، ج.2، ص 458؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج. 2، ص.363.

[2] - المراكشي، **المعجب**، ص. 162-163.

[3] - عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، تونس، 1986م، ص.60؛ الهنتاتي، **تطور موقف علماء المالكية**، ص.310.

الفقيه	مؤلفاته	المصادر والمراجع التي ذكرته
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي	الإيضاح في الرد على القدرية	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.102؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.9، ص.600.
أبو الفضل النحوي	لم يعثر على مؤلفاته	مجهول، **شرح قصيدة المنفرجة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 1304، ظ. 78؛ الذهبي، المستملح، ص.427
أبو عبد الملك البوني	لم يعثر على مؤلفاته	ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص.222-223.
أبو علي بن زكون التلمساني	تأليف في الرأي	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص. 217-218؛ المعجم، ص.75؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص. 183.
أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي وبالصابوني	ترتيب نكت الانتصار لنقل القرآن	مخطوط موجود بمكتبة بلدية الإسكندرية بمصر تحت رقم 828 ب، ذكره سزكين في تاريخ التراث العربي، مج.1، ج.4، ص.50، ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.133؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.10، ص.304، المستملح، ص.287.
	التسديد في شرح التمهيد	مخطوط وجدته ضمن مجموع في المكتبة السليمانية تحت رقم طورخان والدة السلطان 1/20) من 1أ- 93ب) نسخت سنة 576هـ-1180م؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مج. 1، ج.4، ص.49-50.
	رسالة في الاعتقاد	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.133؛ الذهبي، المستملح، ص.287؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.2، ص.387.
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي	التذكرة في أصول علم الدين التفكير فيما يشمل عليه السور والآيات من المبادي والغايات	الغبريني، الدراية، ص. 13-14، غمارة، الفكر العقدي، ص.111.
أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف ابن عبد الرحمن البجائي جمال الدين.	قطب العارفين ومقامات الأبرار والاصفياء والصديقين	عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص. 36؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج.2، ص. 128.
أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن محمد التميمي القسنطيني	كشف فضائح المشبهة بالحشوية	ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج.43، ص.135.

أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر المزياني التلمساني	لم يعثر على تأليف له	63، الذهبي، المستملح، ص.260.
عبد الحق الإشبيلي	العاقبة في ذكر الموت كتاب الرقائق العاقبة في التذكير التهجد	ابن الأبار، ج.3، ص.120-121؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.60 وما بعدها.

الفصل السادس

مؤلفات فقهاء المالكية في العلوم الإنسانية والطبيعية

أولا: العلوم الإنسانية في:

أ- اللغة آدابها

ب-التاريخ والجغرافيا

1- التاريخ
2- الجغرافيا

ج- الفلسفة

ثانيا: العلوم الطبيعية في:

أ- الطب

ب- الكيمياء

ج- الفلك والتنجيم

د- الرياضيات

1- الحساب
2- الهندسة

مؤلفات فقهاء المالكية في العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية

أولا: في العلوم الإنسانية

أ- اللغة وآدابها

تعتبر اللغة وآدابها من الفنون التي شملها القسم الثاني الذي استحسنه ابن سحنون لتعليم الصبيان في الكتّاب، ولا يجبر المؤدب تعليمها ما لم يشترط الأولياء ذلك. و"الشعر" وهو "ديوان العرب ومعجم لغتهم الكبير" ثم "أخبار العرب وأنسابهم" وهو التاريخ المكمل للأدب ثم جميع "النحو" و"الغريب" و"العربية" ثم الخط الحسن".[1] لذلك اهتم الملوك والوزراء ورجال الدولة والطبقات العليا والسفلى بهذا العلم.[2]

وقد بدأ انتشار اللغة العربية بالمغرب الأوسط مع الفاتحين الأوائل لبلاد المغرب والوافدين إليها من تجار وفقهاء رحالة من المشرق والمغرب، ومن العابرين منها إلى غيرها من المناطق، وتعربت المنطقة بفضل عرب بني هلال النازحين إلى هذه المنطقة. وعدد الأدباء والشعراء والكتاب البارعين في هذا المجال[3] ما هو إلا تفسير للمستوى الذي وصلته اللغة العربية والتي فرضت نفسها على حساب اللغات واللهجات الأخرى.

وأبدى علماء الشرع أهمية للغة وللأدب إذ لا يمكن لأي فقيه أو طالب علم التّبحر في فن من الفنون إلا إذا أجاد فهم القواعد والمصطلحات اللغوية فهي أساس الفهم، لما تحمله من معان وألفاظ لا يدركها إلا من تعمق في فهمها، إذ بواسطتها يتمكّن الفقيه أو الباحث في معنى ومقصود نص من النّصوص خاصة بما يتعلق بالعلوم الشرعية كعلوم القرآن أو الحديث أو الفتاوى... وغيرها، لذا اهتم غالبية الفقهاء باللغة والنحو واعتبروهما أساس العلم. ومن هؤلاء من حفظ كتاب "**سيبويه**" على ظهر قلب، بل اشترط علماء الشّرع على المجتهد أن يكون حافظا للكتاب. ليمكنه من فهم الفقه وأصوله، فلا يمكن للقاضي أو المفتي استنباط الأحكام الشرعية دون معرفة جيدة للغة وأدواتها كالحروف: ومن أمثلتها حرف "لا" هل تفيد النهي أم التحريم، وحرف "إنّ" هل يفيد التوكيد أم النصب أم هي أداة شرط، وحرف "و" هل تفيد العطف أم المعية أم الابتداء. أو "نص معين" هل مدلوله الخاص أو العام أو المطلق أو المقيد...وغيرها من القواعد.

---

[1] – ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.47.

[2] – عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.262.

[3] – انظر: الجدول ص.389 وما بعدها.

لقد كانت بداية اعتناء فقهاء المغرب الأوسط بالتأليف في اللغة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ودون شك أن هذا الاهتمام لم ينبع من العدم، فهو مرتبط بتوسع الرّقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وامتزاج العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى، تطلب معرفة اللغات الأخرى، لتسهيل فهم لغة الآخر وفهم بعض النّصوص الشرعية والمعنى المقصود منها، ولا يتـأتى ذلك إلا بـالإطلاع على مؤلفـات من سبقهم من لغويين والأدبـاء والشعراء. وحسب النصوص المصدريـة المتوفـرة فإن يهـودا بن قريش التـاهرتي اللغوي (ق.4هـ-10م)[1] واضع أساس النحو التنظيري، قد برع في اللغة العربيـة والعبرية والآرامية والبربرية والفارسية.[2]

وظهر في المغرب الأوسط فقهاء مالكية متبحرين في علم الشريعة بالإضافة إلى علم النحو واللغة والأدب للعلاقة الجامعة بينهم، ذلك أن المفسر أو المحدث لا يمكنه مثلا أن يستغني عن علم النحو فهو يساعده على فهم معاني مصطلحات القرآن أو الحديث الموجودة في الآيات أو الأحاديث فهما صحيحا الذي يراد منه القصد، فأبو جعفر بن نصر الداودي "له حفظ من اللسان والحديث والنظر".[3]

وكان أبو الحسن بن علي بن طريف التاهرتي الفقيه، والمحدث، والنحوي، والأديب من شيوخ القاضي عياض وقال إنه:"شيخ بلادنا في النحو"ويقصد بذلك مدينة سبتة أخذ عنه شيوخ عياض وأصحابه ومن الكتب التي قرأها القاضي عياض على ابن طريف التاهرتي: كتاب "**الجمل**" للزجاجي، وكتاب "**الواضح**" لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي(ت.379هـ-989م)[4]، وكتاب "**الكافي**" لأبي جعفر النحاس النحوي (ت.330هـ-942م)،[5] وكتاب "**المقتضب**" لأبي العباس المبرد(ت.285هـ-898م)،[6] وكتاب"**فصيح الكلام**" لثعلب،

---

[1] - لم يعثر على مذهبية ياهودا في المصادر التي ترجمت له، قد يكون يهوديا سكن المغرب الأوسط.

[2] - عادل نويهض، **أعلام**، ص.61؛ ضيف، **فهرست معلمة التراث**، ص.349.

[3] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.7، ص.102.

[4] - محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج من إشبيلية سكن قرطبة قال عنه ابن الفرضي إنه:" كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة" وهو صاحب كتاب"**طبقات النحويين**"، أخذ العربية عن أبي عالي القالي، (انظر: المصدر السابق، ص.467-468؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.84-85).

[5] - هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس من أهل مصر، له رحلة إلى بغداد، أخذ بها عن أصحاب المبرد والأخفش والزجاج، وقرأ عن هذا الأخير" **كتاب سيبويه**"، ولما رجع إلى مصر اهتم بالتأليف في علوم القرآن والأدب، وقيل إن مؤلفاته أكثر من خمسين مؤلفا منها: "إعراب القرآن" و"معاني القرآن" و"المقنع" و"الكافي"، (انظر: الصفدي، المصدر السابق، ج.7، ص.237-238؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.362).

[6] - هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، إمام نحاة البصرة، لازم علماء بلده في استزادته للعلم، من بينهم أبي عثمان المازني وكان متصدرا حلقته يقرأ عليه الكتاب والطلبة يسمعون قراءته، وقال أبو الفتح بن الجني إن أبا المازني لما صنف كتاب"الألف واللام" سأل أبا العباس عن دقيقه وعويصه، فأحسن الجواب، فقال له:" قم، فأنت المبرّد أي المثبت للحق، فقال أبو العباس:"فغير الكوفيون اسمي، فجعلوه بفتح الراء"، وهو صاحب كتاب" **الكامل**"، (انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.6، ص.831؛ **سير أعلام النبلاء**، ج.13، ص.576-577).

وكتاب"**الأمالي**" لأبي علي القالي، وسمع منه كتاب"**الكامل**" للمبرد،[1] وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي وغيرهم ومن هؤلاء من خلف مؤلفات.

وجمع بعض الفقهاء بين اللغة والشعر ذكر بعضهم الأصفهاني في كتابه منهم أبي محمد عبد الله بن سلامة البجائي(حي سنة 519هـ-1125م) رحل إلى مصر فتنقل بين القاهرة والإسكندرية والصعيد والريف.[2] والفقيه أبي الحسن خطاب بن أحمد بن التلمساني(حي بعد سنة 520هـ-1126م) قال عنه الإصفهاني:" كان إماما فاضلا".[3]

وقرأ بعض الأندلسيين كتاب "**سيبويه**" على بعض المحدثين من مالكية المغرب الأوسط فالفقيه أبو الحسن سليمان بن طراوة المالقي (ت.528هـ-1134م) سمع الكتاب عن أبي مروان بن سراج سنة 468هـ-1076م بقرطبة بقراءة أبي علي الغساني وأبي مروان الطبني.[4] وكانت بين ابن طراوة المالقي وبين أبي الحسن الحصري مخاطبات[5] يهجو كل واحد منهما الآخر، وبعد تحصيله العلمي جال الأندلس للتعليم بها، وله مجموع في النحو ومختصر سمّاه "**الترشيح**"[6] حجمه نصف كتاب "**الجمل**" للزجاجي، ومقالة في "**الاسم والمسمى**"[7] وغيرها من مصنفاته اللغوية. وحدّث الطبني عن بعض الأدبيين الذين التقى بهم في الإسكندرية من بينهم الفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي المشهور بالبرقي أثناء رحلته إلى الحج سنة 438هـ-1047م، وقد اطلع على ذلك ابن الأبار على خط أبي الطاهر المؤرخ في سنة 441هـ-1049م، وأبو الطاهر هذا ممّن روى عن الأديب ابن حبيش الشيباني وأبي يعقوب النجيرمي كتاب"**أدب الكاتب**"لابن قتيبة، ومن مصنفاته كتاب"**الرائق بأزهار الحدائق**".[8]

وروى الفقيه أحمد بن عبد الودود الهلالي غرناطي طنجي الأصل ساكن المنكب نزيل بجاية عن الأديب أبي الحسن علي بن الترشكي البوني وأبي عبد الله بن الرمامة، إضافة إلى ذلك له قرض من نفيس الشعر.[9] واعتنى الفقيه أبو الطيب أحمد بن الحسين المهدوي

---

[1] – **الغنية**، ص.141-142؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص.74؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.513.

[2] – **الخريدة**، ج.1، ص.343؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.37.

[3] – السمعاني، المصدر السابق، ج.3، ص.71؛ الأصفهاني، **الخريدة**، ج.2، ص.341؛ الحموي، **المعجم**، ج.2، ص.44؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.68.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص179، ج.4، ص.91؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.79-81؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.602).

[5] – السلفي، **أخبار وتراجم أندلسية**، ص.63؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.80.

[6] – ذكره السيوطي بعنوان "**الترشيح على النَّحْو وَهُوَ مُخْتَصر**"، (انظر: **بغية الوعاة**، ج.1، ص.602).

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.4، ص.80.

[8] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.159.

[9] – نفس المصدر، ج.3، ص.245؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.271.

المسيلي بالشعر والأدب، وولي أحكام القضاء بمدينة فاس، وقد قال عنه ابن دحية:"من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب المتمسكين فيه بأمتن سبب له مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض وأعزل من العيون الرياض"، وأضاف أنّ شعره دوّن بالثغر الأعلى بمدينة سرقسطة، وأورد بعض نماذج من شعره وكذا الصفدي في كتابه.[1]

أنجب المغرب الأوسط عددا من الشعراء والأدباء والنحويين تقلدوا مناصب في الدولة الزيرية والحمادية، واشتهر بعضهم بمدح أمرائها، بل شاركوهم في بعض أمور الدولة وكانوا يمثلونهم أحيانا، وكان الفقيه المالكي أبو الحسن علي بن أبي الرجال التاهرتي ببلاط أمراء بني زيري، فكان رئيسا لديوان الإنشاء في عهد باديس، ومؤدبا ووزيرا في عهد المعز بن باديس، وتقلد منصب الوزارة، واعتنى بتربية المعز على المذهب المالكي،[2] وكان شاعرا أديبا اشتهر بين نظرائه من الشعراء، وأهديت له مؤلفاتهم. فابن رشيق القيرواني أهداه كتابه"**العمدة**"،[3] وابن شرف أهداه كتابه"**رسائل الانتقاد**".[4] وكتب في ابن أبي الرجال قصيدة جاء فيها:

جَاور عليـــا ولا تحفَل بحادثـــــة إذا ادعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاه المسمى في الفعال فقد حـــــاز العليين من قول وعمل[5]

وبكتابة الرسائل السلطانية منها ما أوردها عماد الدين الإصفهاني عن أبي عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير (حي547هـ-1152م) على لسان يحي بن العزيز الحمادي يستنجد فيها بحكام العرب، والأخرى لأبي القاسم بن عبد الرحمن المشهور بابن العالمي أرسلها إلى أحد أتباع الحماديين يبشره فيها برضى الدولة عنه، وبتثبيتها إياه خلفا لسابقيه من أسرته الموالية للدولة،[6] وبعد سقوط الدولة انتقل العالمي لخدمة الموحدين ولما توفي خلفه أبو الفضل جعفر بن أحمد المعروف بابن محشرة من أهل بجاية.[7]

---

[1] – الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.208؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.298.

[2] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.273؛ موسى هصام، المرجع السابق، ج.2، ص.639.

[3] – وكانت تجمعه به روابط الانتماء إلى الوطن من جهة، وباعتباره "زعيم الكرم وواحد الفهم الذي نال الرياسة وحاز السياسة وانفرد بالبسط والقبض واتّحد في الإبرام والقبض" من جهة أخرى، ذكره في عدة صفحات، (انظر: ابن رشيق، **مقدمة العمدة**، ص11،68، 205، 282، 300؛ بشير خلدون، المرجع السابق، ص.22؛ محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين**، ج.2، ص.344).

[4] – رابح بونار، "علي بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني"، **مجلة الأصالة**، ع. 6، جانفي 1972م، ص.121.

[5] – ابن رشيق القيرواني، **أنموذج**، ص.345؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق.4، ص.222.

[6] – **خريدة**، ج.1، ص.179-181، عبد الحليم عويس، **الدولة الحمادية**، ص.263-264؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (32).

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ج.1، ص.326 وما بعدها، ج.8، ص.502-503، عبد الحليم عويس، **الدولة الحمادية**، ص.264.

وكان أبو محمد بن عبد الكريم النهشلي صاحب كتاب "**الممتع في علم الشعر وعمله**" كاتبا بديوان الإنشا وشاعرا من شعراء الأمراء الصنهاجيين المنصور وابنه باديس ومرافقهما بحملاتهم بالمغرب الأوسط وناقدا في ميدان الأدب،[1] ولم يتتلمذ عنه الحسن بن رشيق المسيلي بصفة مباشرة. وعين الحاكم العزيز بن منصور الحمادي أبا حفص عمر بن فلفول (حي سنة 547هـ-1152م) ليحاور المهدي بن تومرت وأورد له العماد الأصفهاني شعرا رواه له عبد الله بن العزيز الحمادي الذي لجأ إلى صقلية. [2]

وذاع صيت المحدث والفقيه والأديب والشاعر أبي علي الحسن بن رشيق مغربا ومشرقا، وبفضل ابن أبي الرجال أصبح محصلا للعلم، حيث وصف الباحث الشاذلي بويحي هذا الأخير بأنه"راعي أهل العلم والأدب"،[3] واشتهرت رسائله في الرد على ابن شرف منها: رِسَالَة "**ساجور الْكَلْب**" ورسالة "**نجح الْمطَّلَب**" ورسالة "**قَطع الأنفاس**" ورسالة "**نقض الرسَالَة الشعوذية**" و"**الْقَصِيدَة الدَّعيّة**" و"**الرسالة المنقُوضة**" و"**رسالة رفع الْإِشْكَال وَدفع الْمحَال**"،[4] ومن كتبه: كتاب"**العمدة**" وكتاب "**أنموذج**"، وأكثر النقل في الأول عن فقهاء وأدباء المغرب الأوسط الذين سبقوه في عدة مواقع من كتابه، ومن هؤلاء عبد الكريم النهشلي المسيلي الذي لم يتتلمذ عنه ابن رشيق بصفة مباشرة، [5] وعن ابن أبي الرجال الذي كان رئيسه بديوان الإنشاء في بلاط المعز، وقد ابتدأ كتابه بذكر مكانته العلمية ومؤلفاته ومحاسنه وأنه "تقلب في مجالس الحكم، بين ذوي الأقدار والهمم؛ إلى أن صار نسيجا وحده، قريع دهره، غير مدافع عن ذلك، ولا منازع فيه"، كما نقل عن شيخه أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي المعروف بابن القزاز(ت.412هـ-1021م) وغير هؤلاء.[6] ومما سبق يظهر أن ابن رشيق وفر للباحثين مادة مصدرية نادرة ومفقودة في مجالات مختلفة عن مؤلفين برعوا في الحياة السياسية والعلمية في المجتمع الحمادي والزيري بصفة خاصة.

وقد أورد ابن بشرون أسماء عدد من الأدباء والشعراء في كتابه"**المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر**"، نقلها عنه ابن عماد الأصفهاني في كتابه"**خريدة القصر وجريدة**

[1] – الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.184؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.160-161.

[2] – **خريدة**، ص.80؛ القطان، المصدر السابق، ص.94؛ عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج.3، ص.165.

[3] – المرجع السابق، ص.193.

[4] – الصفدي، المصدر السابق، ج.12، ص.9.

[5] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، ص.162.

[6] – بلغ عدد ما نقله ابن رشيق عن النهشلي 36 نقلا، وعن علي بن أبي الرجال 14نقلا، (انظر: **العمدة**، ص.11 وما بعدها من عدة صفحات، الشاذلي بويحي، المرجع السابق، ص.193).

العصر"[1] وذكر أبياتا من أشعارهم و نصوصًا من رسائلهم السلطانية، ونذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن علي المسيلي الملقب بالأفرم (ت.6هـ-12م) من مدينة المسيلة،[2] وحماد بن علي الملقب بالبين (حي سنة561هـ-1166م) شاعر من جزائر بني مزغنة، أورد له ابن عماد الأصفهاني قصيدة من نظمه،[3] وإبراهيم بن الهازي (ت.6هـ-12م) الذي قال عنه الأصفهاني:"صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصَّد وأحسن إذا قطَّع"، وأورد له بيتين وعلق قائلا:"لا نعرف عنه أكثر مما ورد فيها"،[4] ولم يتخصص الفقهاء في الأدب بل لهم مشاركة في الطب، فالأديب الشاعر علي بن الطبيب قال عنه القفطي:"الطبيب الإفريقي مرتزق بالطب في الدولة الحمادية، وله شعر وأدب" وأورد له بيتين من الشعر.[5]

ونظم يوسف بن المبارك (حي قبل سنة 561هـ-1166م)، شعرا مدح فيه بني حماد، مفتخرا بهم.[6]ولعلي بن الزيتوني شعرا منه ما مدح فيه قضاة القلعة، وكان من ألمع شعرائها وأدبائها، كان صاحب توشيح وتوشيع، وتقصيد وتقطيع، وأورد له الأصفهاني بعض أبيات من شعره.[7] ونظم بعض فقهاء المغرب الأوسط شعرا له علاقة بالمسائل الشرعية كالحج، وقد أورد الغبريني أبياتا للفقيه أبي بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي وقال عنه إنّه كان"يكتب جيدا وينظم حسنا"، وقف الغبريني على قصيدته المكتوبة على قطعة من الكاغط سلمها له ابنه، وهي قصيدة على قافية الغين في قصد الحج منها.

أيا سائر نحو الحجاز وقصده إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ[8]

وروى النحوي والأديب والمحدث أبو محمد عبد الواحد بن محمد اللخمي الجزائري (ت. بعد سنة 537هـ-1143م) عن علي بن محمد الأشوني نزيل مدينة جزاير بني مزغنة، ونظم أبياتا يصف فيها حاله حين دخلها:

ياويح نـــاء شط من أحبابـــــه وسقـاه طول البعد مر شربـــه

---

[1] - يحتوي كتاب ابن عماد الأصفهاني مادة خبرية نادرة عن فقهاء بجاية وعلاقتهم ببعض أمراء الدولة الحمادية والزيرية بالمغرب وحكام من المشرق، غير متوفرة في المصادر التي كتبت عنهم منها أبيات شعرية لحسن بن رشيق غير مذكورة في ديوانه، (انظر: **خريدة**، ج.2، ص.230-232).

[2] - الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.170-171؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.22.

[3] - عادل نويهض، **أعلام**، ص.52.

[4] - الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.182؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.335.

[5] - **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص.182؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.204؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.375.

[6] - الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.183؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.183،357.

[7] - نفس المصدر.ج.1، ص.181؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.173-174.

[8] - **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.139.

قذفت به أيدي النوى في معشر لم يحفلوا طر بعظم مصابــه

يمسي ويصبح هائمــا متحيرًا قد عضّه صرف الزمان بنانــه

ما زال يجعلــه دريئة سهمــه حتـى غزاه بشرْيــه وبصابــه

أم الجزائر كي يصادق ملطفـا يكسو الذي يشكوه من أوصابه

فـإذا الأنـــام غذوا بثدي واحدٍ فــي كل قطر آهل بسحابــــه[1]

واستملى منه اللخمي الجزائري ما دوّنه من "**أماليه النحوية**".[2] وللأشوني أبيات شعرية نص بعضها ابن عبد الملك، وقد كتبها للحض في طلب العلم والاجتهاد فيه منها:

إنّ العلـومَ لأَشخـــاصٌ مُعَيَّنـــة فلا يراهن إلا لبٌّ مَن دربَـــــا

من شرَّد النوم والظلمـــاء عاكفةٌ فكيف حتى يُضاهيه الذي نعسا

فادرس تسّد وتكن في النّاسِ معتليا ورح- هديت- لنور العلم مقتبسا

ومنه:

تعلّم خليلــــي حين الشبــاب تفق بالعلوم الرجـــال الكبـار

فمن واظب العلم صاح صغيرا نفى عنه عند السؤال الصغارَا

وفي التنبيه على طلب الأدب واقتناء الكتب:

عليك بصحبة الأدباء يـا من يحاول أن يسردَ على الصحاب

فما في النّاس أرفع من أديب ولا في الأرض أرفع من كتاب[3]

واستضــاف المحدث والأديب القـاسم بن عبد الرحمن[4] بن العـربي فــي بيتــه، وثنى هذا الأخير عليــه لمــا رأى منــه من مبالغتــه في إكرامــه والاعتنــاء بــه، ويبـدو أن البــاحث سعيد أعـراب جعلــه من رجـال السياسـة لمـا قـام بــه اتجـاه ابن العـربـي وأن ذلك يفرض عليــه.[5] وذكر محمد سليمــانــي أنـه من الموكـل بهم فـي الصفوف العسكريــة[6]، ومهمـا كـان فـإن الترحيب والكـرم والضيـافة تُعَدُّ من مميـزات أهـل بلاد المغرب.

---

[1] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.1، ص.388 وما بعدها.

[2] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.188؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج.5، ص.121- 122؛عادل نويهض، **أعلام**، ص.105.

[3] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.188؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ص.121-122.

[4] - لم يجد كلا من محمد سليماني محقق كتاب قانون التأويل وسعيد أعراب في ترتيب الرحلة لابن العربي ترجمة له.

[5] - وسبب إلحاق القاسم بن عبد الرحمن بالسياسة، هو ظن من سعيد أعراب أنّه يعلم مكانة والد بن العربي الذي كان وزيرا في اشبيلية، (انظر: ابن العربي، **الرحلة**، ص.195).

[6] - ابن العربي، **قانون التأويل**، هـ.5، ص.325.

وأقر ابن العربي بما رأى من علمه أنّه من المتضلعين في العربية وفي شؤون الأدب، من خلال تبادل أطراف الحديث الذي أوصلهم إلى نص حديث رواه المحدث جريج، وقد بلغ ابن العربي مقام شيخه بالأندلس في العلم رغم صغر سنه فقد أعجب به، فقال عنه:"وكان ذلك ممّا رغبني في تحصيل العربية وضبط غريب الحديث"[1].

اعتبر البــاحث عبد الحميد خــالدي أبــا الفضل النحوي من الموسوعييــن،[2] إذ أنه ألف في مجالات مختلفة وقد أشارت بعض المصادر إلى مؤلفاته لكنها أغفلت عن ذكر أسمائها واكتفت إلا بنقل بعض الأبيات الشعرية منها ما ذكره عن الإمام مالك والقصيدة المشهورة "**المنفرجة**"[3] التي مطلعها:

اشتدي أزمــة تنفرجــي   قد آذان لَيلُك بالبلـــجَ

وظلام الليل لـــه سرج   حتى يغشاه أبو السرج[4]

واستقر بعض الأندلسيين في بجاية كأبي بكر محمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي الخدب،[5] في بداية تحصيله العلمي قرأ بعض كتب النحو المتعلقة بالمبتدئين، ثم اهتم بكتاب "**سيبويه**" ففهم أغراضه، وأحسن القيام عليه وأنبل في الإشارة إلى ما تضمنه من الفوائد، ووضع عليه تنبيهات قيمة مفيدة. واعتمد تلميذه أبو الحسن بن خروف على هذه الأخيرة حيث بسط في شرح الكتاب. ويعد الخدب من أبرز تلاميذ أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن الرماك الأموي الصقلي(ت.541هـ-1147م) أحد أئمة اللغة المشهورين،[6] أخذ عنه كتاب "**سيبويه**" ولم يشأ أن يأخذه عن غيره. وقد أشار ابن خروف التلميذ المقرب للخدب وبحكم ملازمته له نهج طريقته وسار عليها. وذكر ابن الزبير أنه وضع حاشية على الكتاب "مدونة مشهورة اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه".[7]وكان ابن طاهر الأنصاري شديد

---

[1] – ابن العربي، **الرحلة**، ص.196؛ **قانون التأويل**، ص.425.

[2] – المرجع السابق، ص.321 وما بعدها.

[3] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.168؛ ونسب بعضهم قصيدة المنفرجة إلى الإمام الغزالي أما بعضهم لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي(ت.590هـ- 1194م)، شرحها الكثيرون منهم: أبي العباس أحمد بن أبي زيد النقاوسي البجائي(ت.810هـ-1408م)، وأبي يحي زكريا الأنصاري وغيرهما، (انظر: بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.109 وما بعدها)؛ وقام علاء الدين بن محمد الفقاعي الدمشقي الحنفي(ت.917هـ-1512م) بتخمسيها، (انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج.8، ص.247؛ البغدادي، **إيضاح المكنون**، ج.2، ص.233؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.356-357؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.325).

[4] – ابن الزبير، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.436؛ ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.308؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.1، ص.194؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.329.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.56؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.648 وما بعدها؛ الذهبي، **المستملح**، ص.80؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.2، ص.81؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.28؛ المنتوري، المصدر السابق، ص.299؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.3، ص.70.

[6] – دخل مدينة سبتة فارا من الأندلس بسبب الغلاء والفتن التي أصابتها، (انظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.179-180).

[7] – نفس المصدر، ق.5، ص.375.

الحرص على متن الكتاب، خوفا من التصحيف أو التغيير الذي قد يصيب الكتاب، وثقته الكاملة بابن الرّماك وبروايته، جعلته يحصل على رئاسة النحويين بالمغرب عامة.[1]

وأخذ أبو الحسن بن علي بن حسن الصيدني كتاب"**سيبويه**"عن أبي بكر بن الخدب،[2] وروى عن هذا الأخير أبو ذر بن أبي ركب وأبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم. ورغم عناية ابن طاهر بكتاب "**سيبويه**" إلاّ أنه اهتم بعلم القراءات حيث وضع تعاليق مفيدة على كتاب "**معاني القرآن**" للإمام أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، وتعاليق على كتاب"**الإيضاح**" للفارسي،[3] وممّا لا شك فيه أنه لا يمكنه معرفة معاني القرآن دون الاعتماد على كتاب سيبويه، فهو يساعده في معرفة المعاني بدقة.

وكان كتاب "**سيبويه**"، وكتاب "**معاني القرآن**"، وكتاب "**الإيضاح** أكثر ما اعتنى به ابن طاهر الأنصاري، فهي الكتب المعول عليها عنده ويرى ما سواها "في الطريقة مطّرح لا ينبغي التعريج عليه.[4] ومن الأندلسيين أيضا الفقيه ابن عصفور نزيل بجاية صاحب كتاب"**المقرب**" في اللغة، وله شروحات على كتاب "**الإيضاح**" وأبياته أيضا لم يسبقه أحدا من نظرائه في شرحه ، وله شرح "**الجمل**" للزجاجي والتقييدات التي وضعت عن تآليفه فاقت ما ألفه.[5]

ومن المغرب الأقصى فقد استقر الفقيه محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني[6] بمدينة مرسيه قرأ بها اللغة العربية عن ابن حميد، وروى عنه وعن ابن حبيش وأبي الوليد بن رشد وأبي عبد الله بن مسعود، وفي بجاية أخذ عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي وأبي عبد الله إبراهيم الأصولي، وصنف في اللغة "**معلقات وتنبيهات على كتاب سيبويه**" ورجع إلى بلده بعلم وفير نشره بين أهله.[7]

وللفقيه أبي موسى المراكشي عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي النحوي (ت.607هـ-1211م)، رحلة حج لازم خلالها عبد الله بن برّي بمصر، وأخذ عنه علم العربية واللغة وسمع من أبي محمد بن عبيد الله "**صحيح البخاري**" ولما رجع من المشرق،

---

[1] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.648.

[2] – نفس المصدر، س.8، ص.554.

[3] – نفس المصدر، س.5، ق.2، ص.649.

[4] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.649.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.150.

[6] – زرهون جبل بالمغرب من حوز مكناسة، (انظر: ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ص.508).

[7] – نفسه و س.8، ق.1، ص.307؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.28.

تصدر مجلس اللغة في كل من المرية والجزائر بني مزغنة مدة طويلة،[1] فلازم أبا عبد الله ابن إبراهيم الأصولي حتى أتقن تحصيل علم أصول الفقه، وأخذ عنه وهو ببجاية أبو زكريا أبو الحسن يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي (ت.628هـ-1231م)[2] قبل استيطانه دمشق. وحسب ابن عبد الملك فإنه تسمّى هناك بزين الدين، ناظم الأرجوزة المهدبة في النحو الموسومة "**الدرة الألفية في علم العربية**". وله تآليف كثيرة منها: كتاب "**العقود والقوانين في النحو**" وكتاب" **حواش على أصول ابن السراج في النحو**" وكتاب"**شرح أبيات سيبويه**" وكتاب "**ديوان خطب**"، ونُظم منها: كتاب "**الصّحاح**" للجوهري في اللغة ولم يكمله، كتاب"**الجمهرة**" لابن دريد في اللغة، وكتاب في العروض، وامتاز بكثرة الحفظ ومن جملة ما حفظه كتاب"**الصّحاح**".[3] وأخذ عنه أبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس، وأبو عبد الله بن علي بن بلقين القلعي بن طرفة.[4]

ويعد الجزولي أوّل من أدخل كتاب "**الصحاح**" للجوهري إلى بلاد المغرب[5]، وله مصنفات في النحو أشهرها التقييد المحاذي به أبواب "**الجمل للزجاجي**" المسّمى" **الإعتماد**" و"**القانون**"، والمشهور عند أهل المغرب بالكراسة الجزولية. وله عدة شروح منها شرح كتاب "**الإيضاح**" للفارسي، وشرح شواهده مفردة وغيرها من التنبيهات والمعلقات على كتاب"**سيبويه**". وكتب "**مفصل**" للزمخشري وغيره من كتب النحو، وذكر بروكلمان أن"**المقدمة الجزولية في النحو**" هي على حواشي "**جمل الزجاجي**" اعتمد فيها على شيخه ابن بري.[6]

وقام المفسر، والنحوي، واللغوي أبو بكر علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني في القرن السابع ب "**شرح الجمل**" للزجاجي، وشرح أيضا "**المعلقات السبع**" وإعرابها.[7] وكان إماما مقدّما في معرفة العربية لا يجارى، مع جودة التفهيم وحسن العبارة وإليه انتهت الريّاسة في هذا الشأن وله مجموع على كتاب"**الجمل**" كثير الفائدة متداول يسمى "**بالقانون**" وقد نسب

[1] – بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.349.

[2] – السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.344؛ حسن جلاب، المرجع السابق، ص.83.

[3] – نفسه.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.4، ص.18؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.246- 247؛ الذهبي، **المستملح**، ص.346-347؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.2، ص.236-237.

[5] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.1، ص.276، و س.1، ص.29، هـ.3.

[6] – موجودة بجامع القرويين بفاس تحت رقم 1457. وللمقدمة عدة شروح، (انظر: بروكلمان، المرجع السابق، ج.5، ص.349-350.

[7] – مخطوط ببرلين، (انظر: عادل نويهض، **أعلام**، ص.349).

إلى غيره، أخذ عنه جلة،[1] ونظم قصيدة في الفرق بين الزاي والدال(الظاء والضاء) وتوجد نسخة منها بالمكتبة السليمانية.[2]

واستوطن بعض فقهاء الأندلس في بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي بجاية ممّن لهم باع في الأدب ذكرهم الغبريني في كتابه من هؤلاء: أبو مطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن عميرة المخزومي، أقرأ ودرس ببجاية، محصل في علم الفقه وأصوله وعلم الحديث، وبسبب تغلب هذه العلوم على علم الأدب وهو مجاله ظن طلبته أنه فقيه. لكنه كان في الأدب فريد زمانه واشتهر به، له مؤلفات تداولها الناس واستحسنوها وكانوا يؤثرونها على كتب غيره .[3] وابن الأبار أيضا درس وأقرأ وروى وأسمع وله تصانيف قيمة لا ينكرها أحد، وله عناية كبيرة بعلم الأدب.[4]

وكانت تجرى في مجالسهم مذكرات مختلفة في التفسير والحديث وحتى في أبيات الغريب وغيرها من العلوم في المعاني المنقحة قد لا توجد في نوادر الكتب، ومن الأمثلة ما أوردها الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي المتبحر في علم الصرف والتعليل نحا منحى أبو الفتح بن جني، وكان تلاميذه يقرؤون عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية وذلك بحضوره والوقوف على سماعها.[5] ودون شك أنّ مثل هذه المجالس اللغوية والنحوية هي استمرار لما كان في مجالس الفقهاء، وكان الغبريني يرى في الفقيه أبي عبد الله أنه أفضل شيوخ اللغة ممّن أخذ عنهم، وملازمته له عشر سنوات ماهو إلا دليلا على مكانته، فقرأ عليه كتاب "**الإيضاح**" من أوّله إلى آخره وكان متداولا قبل عصر الغبريني، ونصف من كتاب"**سيبويه**" وهذا الأخير أيضا انتشر في القلعة قراءة وسماعا، كما قرأ عليه "**قانون أبي موسى الجزولي**" وجمله من "**الأمالي**" و"**زهر الأدب**" ومن المقامات وقصائد من منتخب شعر حبيب والمتنبي.[6]

ورحل فقهاء المغرب الأوسط إلى مدن المغرب والأندلس أو المشرق للاستزادة من علم الأدب واللغة، وأخذ الكتب عن مؤلفيها، وهذا المنهج سار عليه الفقهاء في القرون الأولى وبقي العمل به حتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، فالفقيه أبو الحكم مروان بن

---

[1] – الذهبي، **المستملح**، ص.347.

[2] – مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا 003- 1558 FAZILAHMEDPS

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.140-141.

[4] – نفس المصدر، ص.146.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.33.

[6] – للمزيد عن تضلعه في الأدب والشعر، (انظر: نفس المصدر، ص. 34 وما بعدها).

عمار بن يحي البجائي(ت.610هـ-1213م) اعتنى بعلم اللغة والآداب، أخذ عن عبد الحق الإشبيلي البجائي ببجاية وانتقل منها إلى غيرها من مدن بلاد المغرب والأندلس، منها مدينة فاس، وسبتة، وغرناطة، أكثر من الأخذ عن كتب الآداب واللغة لأبي در الخشني، وقال عنه ابن الآبار إنه كان من:" الأدباء النبهاء".[1]

وكانت ابنته عائشة أديبة أريبة، فصيحة لبيبة، لها عناية كبير بنسخ الكتب، وقد لاحظ الغبريني كتاب "**يتيمة الدهر**" لأبي المنصور عبد الله بن محمد الثعالبي (ت.429هـ-1038م)[2] في الخزانة السلطانية ببجاية منسوخا بخطها في ثمانية عشرة جزءًا، وتختم كل سفر منه بقطعة شعر لوالدها عمارة بن يحي، ثم يكتب تاريخ النسخ بخط يده، وهي النسخة الجيدة المتقنة بين كل النسخ الموجودة ببجاية التي لم تنتقد كغيرها لذا "يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب" – أي كتاب الثعالبي- فقد كان تصحيح النسخ الأخرى منها. وكانت تحسن كتابة الشعر فقد أرسلت بيتين منه وأرسلته لابن فكون الشاعر ليراجعه إما بمعارضته لما جاء فيهما أو يزيد عليهما، فرد عليها معتذرا من الجواب. وإن الاقتصار عليهما هو الصواب. وأورد لها الغبريني أبياتا من شعرها منها هاذين البيتين التي أرسلت بهما لابن فكون وهما:

صدني عن حلاوة التشييع اجتنـــابـي مرارة التوديـــع

لم يقم خير ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع[3]

ومن الفقهاء من اعتنى بكتب المشايخ، فقد رتب جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسني التلمساني كتاب مشيخة الفقيه ابن خير الإشبيلي الذي اشتهر"بالإتقان وسعة المعرفة بالعربية"[4] على حروف المعجم،[5] ومثل هذا التصنيف يسهل لطلبة العلم معرفة الشيوخ والكتب المروية من جهة، ومعرفة طريق الرّواية والإسناد من جهة أخرى، فيعتبر من الكتب المفيدة للباحثين الأولين، ومن خلاله يتم الاطلاع على الإجازات التي منحها الإشبيلي لغيره من الفقهاء، ودخل مدينة إشبيلية سنة 578هـ-1182م وقد اطلع ابن الأبار على سماعه

---

[1] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.2، ص.187؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.373، الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.566؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.40.

[2] - اللغوي والأديب له عدة مصنفات، (انظر: الصفدي، المصدر السابق، ج.19، ص.130).

[3] - المصدر السابق، ص. 23.

[4] – الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي من أهل إشبيلية، وقيل محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الإشبيلي، ولد سنة 502هـ-1109م، (انظر: نفس المصدر، ص.93).

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.201؛ الذهبي، **المستملح**، ص.15؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.68.

بها، وأورد التجيبي عن هذا الأخير في معجم شيوخه أنّ" جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي المُسَفِّر من أصحابي الآخذين عني بتلمسان عند قدومي من البلاد المشرقية، كتب عني كثيرا وكان زكيا جليلا نبيلا صاحب أدب ولغة محبا في تحصيل علم الحديث"، وتحصل على إجازات من مشايخ علم الحديث واعتنى به وبطرقه.[1]

ومن الفقهاء الأندلسيين الذين كان لهم باع في اللغة العربية أبي جعفر محمد بن حكم بن باق السرقسطي، من نزلاء مدينة تلمسان، روى عن الباجي، ومحمد بن يحي بن هاشم وأبي الأصبغ بن عيسى. ولي القضاء بفاس، وكان:" نحويا، لغويا، مقرئا إماما في علم العربية وإقراء الكتاب"، ودرّس بفاس العربية معتمدا على كتاب "**سيبويه**" وغيره من كتب اللغة، وروى عن كبار الفقهاء المالكية منهم أبي الأصبغ بن سهل وأبي العباس الدلائي، وأبي الوليد الباجي، وتصدر لإقراء العربية بفاس. قام بشرح كتاب "**الإيضاح**" لأبي علي الفارسي، واعتنى بكتبه الأخرى، وكتب ابن جني وأبي سعيد السيرفي، وممّن رووا عنه أبو إسحاق بن قرقول الحمزي، وأبو الوليد بن خيرة، وأبو مروان بن الصيقل وقاسم بن دحمان وأبو محمد ابن بونة، وأبو الحسن اللواتي وغيرهم.[2]

ويستخلص مما سبق أن الكتب النحوية وغيرها دخلت إلى المغرب الأوسط عن طريق فقهائه من جهة، فقد اهتم المحدث والأديب والشاعر أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي المشهور بابن الأشيري في رحلته المشرقية، بقراءة كتاب "**الإفصاح في شرح معاني الصحاح**" لابن هبيرة أبي المظفر وزير المقتفى والمستنجد ببغداد باستدعاء من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي.[3] ومن جهة أخرى عن طريق فقهاء بلاد المغرب والأندلس الذين وفدوا إلى بجاية وإلى تلمسان اللتان كانتا من أهم حواضره، وكان من بينهم الفقيه محمد بن أغلب بن أبي الدوس المرسي (ت.511هـ-1117م)،[4] أقرأ العربية بتلمسان[5] وله تآليف وتقييدات. منها كتاب في "**شرح الأمثال**" لأبي عبيد[6]،

---

[1] – نفسه؛ الذهبي، **المستملح**؛ عادل نويهض، **أعلام**.

[2] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.360؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.177؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.394؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.283؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.11، ص.96.

[3] – وهذا الشرح يحتوي على تسعة عشر كتابا، شرح فيه ابن هبيرة أحاديث الصحيحين، (انظر: الحموي، **البلدان**، ج.1، ص.203؛ نويهض، **أعلام**، ص.16-17؛ رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.194-195).

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.335-336؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.133-134؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.388؛ المراكشي، **الإعلام**، ج.4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254.

[5] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.5، ص.388.

[6] – المراكشي، **الإعلام**، ج.4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254.

وله **شعر رائق**[1] وصف فيه أقلاما والآخر كتب به إلى المعتصم أبي يحي معن بن صمادح يطلب منه حاجته.[2]

استقر الفقيه أبو الحسن عبد الله بن الفتوح النفزي الشاطبي (ت.642هـ-1245م) بحومة رابطة المثنى ببجاية إلى غاية وفاته، فقد أحسن العناية بكتاب"**المفصل**" للزمخشري ، ووضع تقييدا عليه، واختصر كتاب "**حلية الأولياء**" في الحديث لأبي النعيم رواية ابن الخطيب أبي عبد الله عنه.[3]

النتيجة التي يمكن استخلاصها أنّ فقهاء مالكية المغرب الأوسط جمعوا بين العلوم الشرعية وعلم اللغة والنحو والأدب إذ لا يمكن الفصل بينها، فنجد غالبية الفقهاء سواء كانوا أصوليين أو مفسرين أو محدثين إلا واهتموا بكتاب سيبويه، وسمح لهم ذلك بتفسير القرآن الكريم ومعرفة معانيه، وتفسير وشرح كتاب "الموطأ" والصحيحين وقد برع فيها الفقهاء المالكية،[4] ويبين الجدول التالي مؤلفات فقهاء المغرب الأوسط في الأدب والشعر ويلاحظ أن غالبة هؤلاء هم مفسرين ومحدثين.

الفقيه	مجاله	مؤلفاته	مصادر ترجمته
يهوذا بن قريش التاهرتي	اللغة	كتاب في مقارنة اللغات	مخطوط في مكتبة اكسفورد، عادل نويهض، أعلام، ص.61، رشيد ضيف، فهرسة، ص. 349.
أبو علي الحسن بن محمد التميمي المشهور بابن الربيب القاضي التاهرتي	نحوي، لغوي، شاعر، كاتب، أديب	- له تأليف جيد "مشهور" - رسالة إلى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد. - رد على أبي الحسن علي بن مروان الزناتي الكاتب	ابن حزم، الرسائل، ج.2، ص.35-36؛ ابن رشيق، أنموذج، ص.111-112؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق.1، ص.133 وما بعدها، المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.301-302، ج.3، ص.156-179.

[1] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.336؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.134؛ المراكشي، **الإعلام**، ج.4، ص.51؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص.254.
[2] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.6، ص.134.
[3] - واهتم أيضا بعلم المنطق، واستفاد منه الغبريني خاصة ما تعلق بشيخه الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن صالح، وانشده الكثير من شعره، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.90).
[4] - انظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

أبو الفضل ابن النحوي	نحوي، شاعر	- قصيدة "المنفرجة" - أبيات شعرية مدح فيها مصر (البلد) من القلعة الحمادية. - أبيات شعرية في مدح أبي حامد الغزالي	ابن الزبير، المصدر السابق، س.8، ق.2، ص.436؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.308
أبو بكر محمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي الخذب البجائي	نحوي	تعليق على كتاب سيبويه سماه"**الطرر**"	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.56؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.5، ق.2، ص.648 وما بعدها؛ الذهبي، المستملح، ص.80؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.2، ص.81.
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي المشهور بابن الأشيري	كاتب، أديب، شاعر	- تهذيب الاشتقاق لأبي العباس المبرد - شرح قصيدة الحصري	الحموي، البلدان، ج.1، ص.203؛ الذهبي، المستملح، ص.229؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.304؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج.32، ص.235.
أبو بكر علي بن عبد الله ابن ناشر بن المبارك الوهراني	خطيب ، شاعر	-شرح شواهد الجمل للزجاجي - وصنف شعر	الداودي، طبقات المفسرين، ج.1، ص.413؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.10، ص.150؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج.2، ص.470؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.172.
		-شرح المعلقات السبع وإعرابها	مخطوط في برلين؛ نويهض، أعلام، ص.349؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج.5، ص.271 ؛ رشيد ضيف، فهرست، ص. 339
		قصيدة في الفرق بين الزاي والدال(الظاء والضاء)	مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا 1558 -003 FAZILAHMEDPS
أبو عبد الله محمد بن أبي فرج الكناني المالكي المازري الذكي	نحوي	-مقدمة في النحو	مخطوط في السليمانية ضمن مجموع تحت رقم الفاتح 5413(71ب-88ب)؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج.5، ص.209.
زيادة الله بن علي الطبني	الأدب، اللغة، الشعر	لا يوجد	ابن بشكوال، المصدر السابق، ج.1، ص. 192؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.267.

أبو الحسن جابر بن أحمد ابن إبراهيم القرشي الحسني التلمساني	الأدب، اللغة	-جمع مشيخة ابن خير على حروف المعجم	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.201؛ الذهبي، المستملح، ص.15؛ عادل نويهض، أعلام، ص.68.
أبو علي حسن بن رشيق المسيلي	شاعر، نحوي، أديب، لغوي	-سجور الكلب - العمدة -قراضة الذهب في نقد أشعار العرب - أنموذج الزمان في شعراء القيروان - ديوان شعر - قصيدة مدح فيها المعز بن باديس لم تذكر في ديوانه. - قصيدة في القاضي جعفر بن عبد الله الكوفي	ابن رشيق، الأنموذج، ص.5-12، 439-442؛ الأصفهاني، خريدة، ج.2، ص.230،173-232؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.504.
أبو علي الحسن بن علي ابن طريف التاهرتي	أديب ونحوي	له سماع	ابن الأبار، المعجم، ص.74؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.513.
أبو محمد عبد الكريم النهشلي المسيلي	أديب وشاعر وكاتب بديوان الإنشا في عهد المنصور وابنه باديس الزيريين	-الممتع	ابن رشيق، العمدة، ص.17 وما بعدها من عدة صفحات، أنموذج، ص.112، 170، 176، 426؛ الأصفهاني، خريدة، ج.1، 184.
محمد بن البين	-شاعر	-أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، 185-186.
أبو الحسن بن أبي الرجال التاهرتي	كاتب، أديب، شاعر (خطيبا)	لم يعثر على مؤلفاته	ابن رشيق، العمدة، ص.11 وما بعدها من عدة صفحات.
حماد بن علي الملقب بالبين	-شاعر	أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، 184.
أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب يعرف بابن الأشيري التلمساني	شاعر، كاتب، أديب، لغوي	قصيدة في غزو السِّبطاط قصائد في المدح	التكملة، ج.1، ص.218؛ الحلة السيراء، ص.370؛ ابن القطان، النظم، ص.210، هـ.8؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.434.

عبد الحق الإشبيلي	محدث، شاعر، لغوي	– الواعي في اللغة – ديوان شعر	بعض أبيات من ديوانه مخطوطة بالمكتبة الوطنية تحت رقم ضمن مجموع تحت رقم 1830، ق 20، ظ 198 و199، تحتوي على خمسة عشر بيتا؛ الضبي، المصدر السابق، ص391–392؛ الغبريني، الدراية، ص.19.
أبو جعفر بن نصر الداودي	"حفظ من اللسان"	– شرح الهمزية –شرح البردة	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.102.
أبو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير	كاتب	–رسالة سلطانية على لسان الأمير يحي بن العزيز الحمادي يستنجد فيها أمراء العرب.	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.179–180.
أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بابن العالمي	كاتب	–رسالة	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.180–181.
علي بن الزيتوني	شاعر، وأديب	–أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.181–182.
إبراهيم بن الهازي	شاعر، أديب	–أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1،ص.182.
علي بن الطبيب	أديب، طبيب	–أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.182–183.
يوسف بن المبارك الوهراني	شاعر	–أبيات شعرية مدح فيها القائد حماد.	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.183.
ابن أبي المليح	كاتب، شاعر، طبيب	–قصيدة عيدية للأمير عبد الله بن العزيز الحمادي	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.183.
علي بن مكوك الطيبي	أديب، شاعر	–أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.184.
التيفاشي يحي(القفصي)	شاعر	لم يعثر على مؤلفاته	الشاذلي بويحي، الحياة الأدبية، ج. 1، ص.384.
أبو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي	شاعر	قصيدة شعرية مدح فيها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي	الشاذلي بويحي، الحياة الأدبية، ج.1، ص.383.
عبد العزيز بن أبي الصلت القلعي	أديب، شاعر	قصيدة، وصل منها ثلاث أبيات	الشاذلي، بويحي، الحياة الأدبية، ج. 1، ص.405.
أبو محمد عبد الله بن جبل الوهراني	خطابة، كاتب، قاضي	لم يعثر على مؤلفاته	–ابن القطان، النظم، ص.212،210،20.

أبو حفص عمر بن فلفول	كاتب، شاعر	-أبيات شعرية للعزيز الحمادي وابنه يحي	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1 ص.80؛ ابن القطان، النظم، ص.94.
أبو الطيب أحمد بن الحسن بن محمد المهدوي المسيلي	شاعر، أديب، قاض،	أبيات شعرية	-الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.6، ص.208، ابن دحية، المطرب، ص.41-42.
أبو موسى عمران بن إسماعيل بن عمران المعروف بابن القاضي المسيلي	شاعر	أبيات شعرية	ابن رشيق، أنموذج، ص.311-313.
أبو محمد عبد الله بن محمد(التنوخي) المعروف بابن قاضي ميلة	شاعر	أبيات شعرية	ابن رشيق، أنموذج، ص.209-215.
محمد بن علي الطبني	شاعر	شعر كتب به إلى أبي عمران الفاسي حين عزم على السفر إلى الحج	ابن رشيق، أنموذج، ص.402-403.
أبو الفضل عطية بن علي بن عطية بن لادخان الطبني	شاعر	-أبيات شعرية -قصيدة يمدح فيها ابن جهير الوزير -قصيدة في تهنئة بركياق وقتل تتش سنة 488هـ-1095م.	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1 ص.319-321.
محمد بن عبد الله المهدي المعروف بابن تومرت	شاعر	-أبيات شعرية قالها قبل قيام دولته بالمغرب	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.167.
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم	شاعر	- أبيات شعرية - مدح الأمير كرامة بن المنصور بن الناصر بن علناس	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.337-340.
علي بن إسماعيل القلعي المعروف بالطميش	شاعر	أبيات شعرية	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.341-343.
أبو محمد عبد الله بن سلامة البجائي	شاعر	أبيات شعرية	-ابن عماد الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.343.

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن حماد الصنهاجي	علم النحو وعلم الأدب	-شرح مقصورة ابن دريد -شرح قصيدة عمر ابن أبي ربيعة -ديوان شعر جزء منه سماه"عجالة المودع، وعلالة المشيع" -سمط قصائد وقطعا لجماعة من الشعراء. -إجازة شعرية	ابن عبد الملك، اذيل والتكملة، ج.8، ص.324؛ الغبريني،الدراية (ط.الجزائر)، ص.101-102.
محمد بن علي المسيلي الملقب بالأفرم	شاعر، أديب	أبيات شعرية	الأصفهاني، خريدة، ج.1، ص.170-171.

ب- في التاريخ والجغرافيا

1-التاريخ

من بين العلوم التي استحسن ابن سحنون تعليمها للصبيان في الكّتاب ضمن فنون القسم الثاني هو "تاريخ العرب وأنسابهم" وهو التاريخ المكمل للأدب،[1] لذا اهتم فقهاء مالكية بلاد المغرب بدراسته، وبرعوا في التدوين فيه، واتخذوا بذلك صفة الموسوعيين، لعدم اقتصارهم على علم معين، فقد أخذ التاريخ حيزا من مؤلفاتهم، ويبقى أبو جرير الطبري(ت.310هـ-922م) أول من ألف "تاريخا كاملا من أوائل الزمان"، دوّن فيه تاريخ الأمم منذ بدء الخليقة إلى سنة 302هـ-915م، فأجاد فيه واعتمد على كتابه من جاء بعده من المؤرخين المشارقة والمغاربة.[2]

لم يحظ علمي التاريخ والجغرافيا بعناية كبيرة كتلك التي أولاها المغاربة لعلوم الدين واللغة حسب الباحث عبد الحميد خالدي،[3] ورغم ذلك فقد اجتهد بعض فقهاء مالكية بلاد المغرب مؤلفات في وضع مؤلفات في التاريخ نقل منها من جاء بعدهم، فقد نقل القاضي عياض عن كتاب التاريخ لابن سحنون في مواقع من كتبه بقوله:" قال ابن سحنون في تاريخه" وهي

[1] - **آداب المعلمين**، ص.47.

[2] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.2.

[3] - المرجع السابق، ص.378.

العبارة التي يذكرها حين ينقل من الكتب التي أشار إليها في مقدمة كتابه فمثلا عن الرقيق[1] يقول:"قال أبو إسحاق الرقيق في تاريخه" أو "قال الرقيق في تاريخه"،[2] وكتابه في التاريخ ستة أجزاء وقيل أربعة أجزاء –وهو غير ما ذكر بكتاب الجامع–،[3] وهو في حكم المفقود كغيره من الكتب التي نُقلت منها بعض النصوص.

وبما أن النصوص المتعلقة بأخبار تاريخ المغرب الأوسط شحيحة جدا خاصة تلك التي لها علاقة بفترة الدراسة، وما وُجد منه فهو مبعثر في المصادر المغربية والمشرقية لذا من الصعب معرفة تاريخ المنطقة كاملا خاصة ما ألف في علم التاريخ. وما خلفه أصحابها من مؤلفات فهو النزر القليل إذا ما قورن بما ألفه غيرهم. ومن كتب التاريخ المفقودة التي ألفها المغاربة كتاب "**فتوح افريقية**" لعيسى بن محمد بن أبي المهاجر دينار(ت.250هـ–864م)، حفيد فاتح المغرب الأوسط، أقدم المؤرخين في بلاد المغرب، وهذا الكتاب من المصادر الأساسية لتاريخ الفتح الإسلامي وهو المعتمد عند المؤرخين.[4] سمع منه جبلة بن حمود وأبو سهل فرات بن محمد العبدي(ت.292هـ–905م)،[5] وقد نقل عن محمد بن واقد الواقدي وكتاب السوسي، ونقل أبو العرب عنه بعض الأخبار عن "فضائل إفريقية" و"من دخل إفريقية من الصحابة".[6]

ولأبي العرب التميمي كتاب في التاريخ، يبدو أنه سلك فيه أسلوب الحوليات، ونهج فيه نهج المؤرخين المحدثين مثل تاريخ الخليفة بن الخياط وتاريخ أبي جرير الطبري وجاء في سبعة عشرة جزءًا.[7] وكتاب"**المعرب عن أخبار إفريقية والمغرب**" لأبي علي الحسن بن أبي سعيد عبد الرحمن يعرف بالوكيل(حي سنة 346هـ–957م) من أهم المصادر التي أرخت للحياة السياسية والأدبية والعلمية، وممن نقل عنه أبو بكر الزبيدي (ت.379هـ–989م) في كتابه "**طبقات اللغويين والنحويين**" والقاضي عياض في كتابه "**ترتيب المدارك**"، وابن حزم

---

[1] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الكاتب القيرواني، المؤرخ واللغوي، اختلف في تاريخ وفاته جعله فؤاد سزكين بعد سنة 417هـ–1026م، كان شيعي المذهب إلى أن أعدمه الأمير المعز بن باديس، (انظر: المرجع السابق، مج.2، ص.5؛ علاوة عمارة، "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، **مجلة التاريخ العربي**، ع.32، الرباط، المملكة المغربية، 2004م، ص.343).

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.284، ج.6، ص.210–211، 214.

[3] – ابن سحنون، **آداب المعلمين**، ص.32؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.13؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.207.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.13.

[5] – هو أحد كبار رواة الأخبار ونقلتها مع معرفته بعلم الرجال بأحوال الأمم المتقدمة، ونقل عنه أبو العرب بعض المادة التاريخية المتنوعة والمهمة، (انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.14).

[6] – نفس المصدر، ص.6، 12، وهنا وهناك.

[7] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.15، ج.2، هـ.1، ص.57؛ القاضي عياض، **المدارك**، ج.5، ص.324؛ هيصام موسى، المرجع السابق، ج.2، ص.534.

في رسائله، وابن الأبار في كتاب"**الحلة السيراء**"و"**إعتاب الكتاب**".[1] ولمحمد بن الحارث الخشني(ت.361هـ-971م) كتاب "**تاريخ الأفارقة**" أو "**الأفرقيين**" الذي نقل عنه القاضي عياض في عدة مواضع في كتابه، وهو من الكتب التي وصلتنا بعنوان"**علماء إفريقية...**".[2] ولأبي جعفر بن الجزار عدة تآليف في التاريخ منها"**مغازي إفريقية**" و"**أخبار الدولة في تاريخ الدولة الفاطمية**" و"**التعريف بصحيح التاريخ**".[3]

ويمكن معرفة أخبار الدولة الحمادية من إشارات بعض المؤلفين في كتبهم وجلها مفقود. فالمؤرخ والأديب ابن شرف القيرواني من المعاصرين للحسن بن رشيق،[4] وممّن تحصلوا على كتاب "**العمدة**" إجازته عنه،[5] وقد عاش في بلاط المعز بن باديس مدة طويلة حتى خراب القلعة ثم انتقل إلى الأندلس واستقر بالمرية، ذكر نصا عن فقهاء المغرب الأوسط في الدولة الحمادية وعلاقة ابن حماد بالمعز بن باديس نقله القاضي عياض عنه،[6] ويحتمل أنه لم يقتصر على هذا النص، فقد نقل عنه الدباغ في كتابه"**معالم الإيمان**" والورتلاني في رحلته وابن عذارى في كتابه" **البيان**" من كتابه"**الذيل**"، وهو ذيل على كتاب "**تاريخ إفريقية والمغرب**" للرقيق القيرواني.[7]

كما ذكرت بعض المصادر روايات عن بعض المؤلفين الذين عاشوا في قصور الزيريين والحماديين وممن عرف عنهم العناية بالتأليف، بل رافقوهم في حملاتهم لكن لم تصل رواياتهم إلا عن طريق ما كتبه غيرهم، فقد كان أبو محمد بن عبد الكريم النهشلي عالما بأيام العرب،[8] رافق المنصور وابنه باديس في ثورتهم ضد حماد ولم ترد نصوص عنه إلا ما كتبه عماد الدين.[9] وبرع فقهاء القلعة في التأليف في علم التاريخ، ومؤلفاتهم في حكم المفقود ولا يعرف عنها سوى أسماءها أوردتها بعض المصادر، منها كتاب" **تاريخ القيروان**"،

---

[1] – **الرسائل**، ج.2، ص.175؛ **المدارك**، ج.3، ص.270.

[2] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.191، 309، ج.6، ص.84،267؛ جمعة شيخة، المرجع السابق، ص.53، هيصام موسى، المرجع السابق، ج.2، ص.535.

[3] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.17.

[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ج.1، 131و ج.2، ص.604؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ق.3، ص.19.

[5] – الأصفهاني، **خريدة**، ج.18، ص. 173.

[6] – **المدارك**، ج.8، ص.78.

[7] – المالكي، المصدر السابق، ج.1، ص.19؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.2، الدباغ، المصدر السابق، ج.1، ص.17-20؛ الورتيلاني، المصدر السابق، ص.33،53،83؛ وقد نقل بروكلمان عن السخاوي من كتابه"**التوبيخ**" بأن الكتاب فيه أجزاء كثيرة، (انظر: المرجع السابق، ج.3، ص.144).

[8] – رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص. 198.

[9] – الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.184؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.160-161.

وكتاب"**معالم التاريخ**" لحسن بن رشيق وهو من الكتب المفقودة.[1] ومنها أيضا ما ذكره ابن الأبار عن حماد بن إبراهيم بن يوسف المخزومي أنه ألف كتابا في التاريخ للأمير الحمادي العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد.[2]

ومن مؤلفات ابن رشيق كتاب "**أنموذج الزمان في شعراء القيروان**"، من عنوانه يظهر أنه خاص بطبقات شعراء القيروان، لكن المتصفح للكتاب يجد أن ابن رشيق لم يقتصر على شعراء القيروان حيث خرج عن حدود إفريقية في كثير من ترجماته ومن أمثلة ذلك النهشلي المسيلي وعمران بن سليمان المسيلي وأضاف في نهاية الكتاب ترجمة له. وسبب ورود هذا الكتاب ضمن الكتابات التاريخية، أن مؤلفه أورد فيه بعض الأخبار التاريخية عن الدولتين الحمادية والزيرية، خاصة أنه عاش في بلاط هذه الأخيرة قبل انتقاله إلى صقلية أثناء فتنة القيروان، وسبب آخر لا يقل أهمية عن سابقه وهو أن غالبية الشعراء المترجم لهم كانوا فقهاء وأدباء ومفسرين ومحدثين وأطباء من مالكية بلاد المغرب وغيرهم، ومن المحتمل أن ما ذكره من حوادث عنهم غفلت عنها مصادر أخرى.

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي اشتهر الفقيه أبو علي حسن بن عبد الله ابن حسن الأشيري الذي عاش في كنف الدولتين الحمادية والموحدية، وترك أثارا تاريخية منها كتاب في التاريخ سماه "**نظم الآلي، في فتوح الأمر العالي**"،[3] نقل منه من جاء بعده من المؤرخين، وذكر ابن الأبار اسم الكتاب "**مختصر في التاريخ سماه نظم اللألى**" وقد نقل عنه أخبار المائة الخامسة والسادسة في كتابه "**الحلة السيراء**" عن" تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين" و"رفيع الدولة بن المعتصم" وعن "حصار مدينة تلمسان" ،[4] وكتب قصيدة عن غزو مدينة السّبطاط بالأندلس التي كانت سنة 569هـ-1174م.[5]

ونقل ابن القطان، وابن صاحب الصلاة، والبيذق وابن عذارى، في أخبار الدولة الحمادية والموحدية عن ابن الأشيري[6] وعلى الأغلب أن ابن عذارى نقل على كتاب التاريخ لابن الأشيري الذي أشار إليه في مقدمة كتابه فكان من الكتب التي نقل عنها،[7] لكنه لم يحل إلى

---

[1] – حسن بن رشيق، **أنموذج**، ص.17،15؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.1، ص.85.

[2] – **التكملة**، ج.1، ص.127؛ عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.269.

[3] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.210،هـ.8؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء في أشعار الأمراء**، تح. وتع. محمد عثمان، شركة النوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص.308.

[4] – **الحلة السيراء**، ص.308، 368 وما بعدها، ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.218.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.218؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.407؛ مدينة السبطاط هي تحريف لكلمة Cibdad القشتالية ومعناها المدينة.

[6] – **المن بالإمامة**، ص.9، و هـ.2، ص.434-435.

[7] – المصدر السابق، ج.1، ص.3.

النصوص التي نقلها عنه في متن كتابه "**البيان**" مثل ما فعله مع المؤرخ ابن شرف والرقيق القيرواني.

ونقل ابن حماد الصنهاجي عن الرقيق القيرواني في أخبار إفريقية، ونقل الصفدي عنه أيضا،[1] ويبدو أن ابن الرقيق غلب عليه اسمُ الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحذق الناس وكاتب الحضرة، وأول مؤرخ مغربي يؤلف كتابا تاريخيا شاملا لبلاد المغرب،[2] واشتهر بكتابه"**تاريخ إفريقية والمغرب**" وهو في عدة مجلدات،[3] وللأسف لم تصلنا منه إلا قطعة يسيرة، ونقل تقي الدين المقريزي(ت.845هـ-1441م) في كتابه "**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**" من كتاب "**تاريخ إفريقية والمغرب**" للرقيق عند ذكره ل "بركة الحبش".[4]ومن المحتمل أن الرقيق دون أخبار الفاطميين بالمغرب،[5] فإنه دون أخبار للدولة الحمادية، خاصة وأنه عاش في بلاط الزيريين، وكان رسولهم للفاطميين في المشرق، فقد حمله باديس بن زيري نصير الدولة هدية إلى الحاكم بأمر الله في مصر سنة 417هـ-1026م، وله في التاريخ أيضا "**الاختصار البارع للتاريخ الجامع**"، في عدة مجلدات.[6]

ويظهر أن المؤرخين المغاربة ساهموا في كتابة تاريخ بلادهم بشكل غير مباشر فاستطاعوا رفع اللثام عن بعض أخبار الدولة الصنهاجية، وممن ينسب إلى المدينة اشهر المؤرخان أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي وأبو محمد عبد العزيز بن شداد ابن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي(ت. بعد 600هـ-1204م) وبعد سقوط دولتهما انظموا إلى صفوف الدولة الموحدية وكتبوا عن تاريخ أبائهم وأجدادهم، وحسب المصادر فإن ابن حماد اشتهر بغزارة التأليف وبالمناصب القضائية التي تقلدها في عهدهم،[7] ومن مؤلفاته تلخيص كتاب "**تاريخ الرسل والملوك**" لأبي جرير الطبري(ت.310هـ-922م)،[8]وألف كتابين حسب ابن عبد الملك الأوّل: سماه "**الديباجة في أخبار صنهاجة**"[9] وهذا الكتاب غير "**النبذة**

---

[1] – **أخبار ملوك بنو عبيد**، ص.94؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.61.

[2] – الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.61؛ سزكين، المرجع السابق، مج.2، ج.5، ص16؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.3، ص.82، 84، 144؛ علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي**، ص.26.

[3] – نفسه.

[4] – لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص.354.

[5] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.147.

[6] – الصفدي، المصدر السابق، مج.6، ص.61؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.3، ص.143.

[7] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج.8، ص.324؛ علاوة عمارة، "ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط"، **مجلة التاريخ العربي**،ع.21، شتاء 1422هـ-2002م، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ص.67.

[8] – وهو من الكتب المفقودة، (انظر: الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.101).

[9] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج.8، ص.324؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.101؛ وذكر في المجلة الإفريقية أن المستشرق شاربونو ينلك نسخة عن الكتاب، (انظر: Dewuhf (E.),‹‹ note sur Ibn-Hammad et sur un mémoire de M. Cherbonneau››, intitulé notice et extraits du Eunouan el-Diraïa fi mechaiekh Bidhaīa, Bougie, le 15 octobre 1863, p.150.

المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"،[1]وهو من الكتب المفقودة وما بقي منها إلا مقتطفات في المصادر التي نقلت عنه، ويعتبر ابن قطان من المعاصرين لابن حماد ومن الناقلين عنه، فقد اعتمد على بعض نصوصه في كتابه "**النظم الجمان**"، وأشار إليها في بعض نصوصه بقوله:" ما ذكره ابن حَمَادُه".[2] ونقل التجاني عن الكتاب أيضا في رحلته.[3]

وألف ابن حماد كتاب "**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**"،[4] وهو من المؤلفات السنية التي تتحدث عن تاريخ الدولة الفاطمية، ويبدو أن المؤلف استطاع أن يخبرنا عن بعض أحداث المنطقة خاصة أنه ينتمي إلى صنهاجة التي كانت تربط بعض شيوخها علاقة وطيدة مع بني عبيد، والتي أفضت إلى خلافتهم في تسيير شؤون المغرب بعد رحيلهم. لكن هؤلاء انقسموا وظهرت دولتان: زيرية وحمادية، وقد اعتمد على الكتاب معظم الباحثين في دراستهم تاريخ الفاطميين بالمغرب والمشرق.

لقد اهتم المؤرخون المشارقة بتاريخ بلاد المغرب عامة، وكان اعتمادهم على الكتب التي ألفها المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق للاستقرار بمدنه إما بصفة مؤقتة أو دائمة، من ذلك كتاب عبد العزيز بن شداد بن تميم الصنهاجي"**الجمع والبيان في أخبار القيروان وفي من فيها وفي سائر بلاد من الملوك والأعيان**"[5] الذي قرأه ابن خلكان(ت.681هـ-1282م)، ونقل منه أخبارا عن آخر الأمراء الزيريين وأهمهم تميم الزيري وابنه يحي،[6] ونقل النويري عن ابن شداد المعلومات المتعلقة باستيلاء عبد المؤمن على بجاية وملك المدينة وجميع ملك بني حماد،[7] وهو النص الذي نقله ابن الأثير عنه أيضا. ونص آخر لابن شداد يقول فيه:" وقفت على كتاب كتبه عنه بعض كتابه يقول فيه بعد البسملة..." و نص آخر"أخبرني رجل من أهل المهدية اجتمعت به بمدينة صقلية سنة احدى وخمسين وخمسمائة..." [8]

---

[1] – المصدر السابق، ج.8، ص.324.

[2] – المصدر السابق، ص.47، 144،233.

[3] – التيجاني، **الرحلة**، ص.116؛ علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص.94.

[4] – كتاب يتعلق بتاريخ الدولة الفاطمية في بلاد المغرب والمشرق، وقد نشره فوندرهايدن في الجزائر سنة 1927 مع ترجمة فرنسية، (ابن قطان، المصدر السابق، هـ.6، ص.144)؛ وحققه سنة 1401هـ-1980م التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، عن دار الصحوة بالقاهرة؛ وحققه جلول أحمد بدوي بالجزائر عن المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة 1405هـ-1984م.

[5] – الكتاب مفقود

[6] – لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص.351.

[7] – النويري، المصدر السابق، ص.428 وما بعدها؛ علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص. 74.

[8] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.9، ص.372-373؛ النويري، المصدر السابق، ص.415-416؛ علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص.73.

ونقل أبو الفدا إسماعيل عن ابن شداد شهادته حول حكم النورماني صقلية وما كان...،[1]ويظهر أن الأخبار حول انتقال ابن شداد من صقلية وبالضبط من بلرمو والتحاقه بجيش عبد المؤمن غير متوفرة، لكن يضيف لنا رحالة أخر عن مشاركة ابن شداد في حصار مدينة المهدية والقضاء على الوجود النورماني بالسواحل الإفريقية،[2] ومهما يكن فإن المادة الخبرية المتوفرة والمتعلقة ببلاد المغرب رغم قلتها هامة وقيمة لذلك كان المؤرخون ينقلون عنها.

وأخذ ابن الأثير(ت.630هـ-1233م) مادته التاريخية من المؤرخين الذين توفرت فيهم صفات ميزتهم عن غيرهم، وقد ذكر في مقدمة كتابه أنّه:"لم ينقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه" ولم يكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللآلئ"،[3] وابن الأثير من المؤرخين الذين اعتمدوا على كتاب"**الجمع والبيان**" لابن شداد الصنهاجي، في كتابه"**الكامل في التاريخ**"، ولعله تحصل على نسخة الكتاب عند مروره بدمشق أو بواسطة أخيه ضياء الدين الذي كان من المقربين من صلاح الدين الأيوبي بل أصبح أحد أمراء العساكر في نظامه حسب الباحث علاوة عمارة،[4] وقد اقتبس ابن شداد معلوماته من كتاب"**تاريخ افريقية**" للرقيق القيرواني، ورغم ذلك لم يشتهر كتابه في بلاد المغرب سوى ما أخذه التجاني أثناء رحلته المشرقية.[5]

واعتنى فقهاء المغرب الأوسط في معرفة تاريخ الرجال الأوائل من الصحابة وما كان من غزواتهم، وقد ألف الفقيه أبو عمر بن عبد البر القرطبي كتاب "**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**"، ولأبي محمد عبد الله بن محمد الأشيري الصنهاجي استدراكات على الكتاب حيث وضع عليه تعليقات بخط يده، ووقعت نسخة هذا الكتاب في يد ابن الأثير ونقل منها الكثير في مؤلفه "**أسد الغابة في معرفة الصحابة**"، وأشار إلى عدة نصوص تُثبت تعليقات ابن الأشيري على الاستيعاب بالعبارات التالية: "أخرجه الأشيري على الاستيعاب" و"أخرجه الأشيري في هامش الاستيعاب" و"من خط الأشيري فيما استدركه على أبي عمر" و"أخرجه الأشيري المغربي فيما استدركه على أبي عمر" و"ذكره الأشيري" و"من خط الأشيري فيما

---

[1] – النويري، المصدر السابق، ص.428- 429؛ أبو الفدا، **كتاب المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت، مج.3، ص.201، نقلا عن علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص. 74.

[2] – علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص.75.

[3] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.1، ص.7.

[4] – **ابن شداد**، ص. 89-90، **الكتابة التاريخية**، ص.26، 350 -351؛ و(انظر أيضا: التجاني، **الرحلة**، هـ.1، ص. 14).

[5] – المصدر السابق، ص.14، 346 وما بعدها؛ علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية**، ص.26.

استدركه على أبي عمر"، ونصوص أخرى تؤكد ما نقله بقوله:"ونقلته من خط الأشيري" و"رأيت خط الأشيري".[1]

وحسب حاجي خليفة فإن "**الاستيعاب**" كتاب جليل القدر، ومع ذلك أورد قول ابن حجر العسقلاني حول الكتاب أنه:"سماه الاستيعاب لظنه أنه استوعب الأصحاب مع أنه فاته شيء كثير"،[2] والجدول التالي يبين استدراكات الأشيري عل الكتاب والنصوص التي نقلها منه ابن الأثير:

الباب	النــص	الصفحة
أمية بن ثعلبة	له حديثان في مسند ابن مفرج المستخرج من روايات قاسم بن أصبغ، ذكره الأشيري	66
حصين بن يعمر	من بني ربيعة بن عبس، أحد التسعة العبسيين الذين وفدوا على رسول الله (β) فأسلموا نقلته من خط الأشيري فيما استدركه على أبي عمر. والله اعلم	286
حكيم بن أمية	ذكر ابن هشام عن ابن أبي إسحاق ونقلته من خط الأشيري الأندلسي وهو إمام فاضل	293
الأغلب الراجز	العجلي وهو الأغلب بن جشم بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دلف بن جشم ابن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم. فنزل الكوفة، واستشهد في نهاوند، وقبره بها ذكره الأشيري	58
زهير بن العجوة	ذكره أبو عمر في ترجمة أخيه خراش السلمي مدرجًا. نقلته من خط الأشيري.	416
زياد بن سعد السلمي	والمشهور بالصحبة أبوه وجده، ذكره الأشيري الأندلسي.	419
زياد بن عبد الله الغطفاني	لجأ إلى خالد بن الوليد، قاله محمد بن إسحاق. أخرجه الأشيري الأندلسي.	421
زيد بن أبي أرطأة	ذكره ابن قانع، أخرجه الأشيري على الاستيعاب.	422
زيد بن عمرو ابن غزية	أخرجه الأشيري مستدركا على أبي عمر.	435
زيد بن المزين	ورأيت بخط الأشيري المغربي وهو من الفضلاء، على حاشية الاستيعاب ما هذه صورته بخط أبي عمر: المزين بضم الميم وتشديد الياء.	438

[1] – **أسد الغابة في معرفة الصّحابة**، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ–2012م ، ص.66 وما بعدها.

[2] – المرجع السابق، ص.81.

زيد بن ملحان	زيد بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار شهد أحدا، وهو أخو أم سليم قاله العدوي ذكره الأشيري.	438
زيد بن يساف	زيد بن يساق بن غزية بن عطية بن خنساء بن مذلول شهد أحدا، وأمه الشموس بنت عمرو بن زيد، ذكره الأشيري عن العدوي.	439
زييد	أخرجه الأشيري فيما استدركه على أبي عمر.	439
سعيد بن مينا	"فر من المجذوم فرارك من الأسد" ذكره الأشيري.	491
سميحة	فأعطاه أبو الدحداحة ألف نخلة مع دين كان عليه، وأسلم النخلة إلى أبي لبابة. ذكره الأشيري.	420
سنان بن عبد الله بن قشير	وصحب النبي(β)هو وابناه سلمة وعامر أخرجه الأشيري مستدركا ابن عبد البر.	522
الصامت الأنصاري	رأيت بخط الأشيري المغربي، فيما استدركه على أبي عمر بن عبد البر.	559
صخر بن معاوية	وغيره في حكيم بن معاوية، وقد تقدم ذكره، أخرجه الأشيري المغربي فيما استدركه على أبي عمر.	563
صفوان بن صفوان	وصفوان بن صفوان على بني عمرو، أخرجه الأشيري على أبي عمر.	568
ميسرة بن مسروق العبسي	وكان له من أبي بكر منزلة حسنة أخرجه الأشيري مستدركا على أبي عمر.	1177
يزيد بن ضمرة	شهد حنينا مع النبي (β) في رواية هشام أخرجه الأشيري في هامش الاستيعاب على أبي عمر.	1262
يزيد بن نعيم	يقال له: حمام، وذلك في الجاهلية وقد تقدّمت القصة في حمام ذكره الأشيري على ابن منده.	1267
أبو أوس الثقفي	فقال:"رأيت النبي (β) يمسح عليهما". ذكره الأشيري مستدركا على أبي عمر.	1283
أبو خيرة	أبو خيرة ذكره الأشيري مستدركا على أبي عمرو وقال: أبو خيرة آخر.	1314
أبو سلمي	سلمى ضبطه ابن الدباغ والأشيري بضم السّين، وصححوا عليه.	1340
أبو مكعث	وذكره الأمير أبو نصر فقال: وأما مكعت بضم الميم وسكون الكاف، وآخره ثاء معجمة باثنتين من فوقها فهو: أبو مكعت الأسدي وقد ذكره الأشيري وابن الدباغ فقالا: أبو مكعت عرفطة بن نضلة...	1403
آمنة بنت الأرقم	ذكرها الأشيري، عن ابن الدباغ فيما نقله مستدركا على أبي عمر.	1470
أم الدحداح	فقال: يا أم الدحداح، اخرجي، يعني: من الحائط ذكره الأشيري.	1607

أم عبس بنت مسلمة	تزوجها أبو عبس بن جبر بن عمرو فولدت له، وأسلمت وبايعت رسول الله (β) الأشيري.	1622

ونقل ابن عساكر بعض أقواله في الجزأين من كتابه "**تاريخ دمشق**"،[1] كما أخذ عن الأشيري فقال عنه:"وكتب عني كتابا ألفته لأجله"، سمى ابن عساكر كتابه: "**كتاب بعض ما انتها إلينا من الأخبار في ذكر من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة الأخيار**"، وأضاف أنه علق عنه شيئـا من أخبـار أبي الوليد البـاجي،[2] وألحق له ترجمـة مستفيضة في كتـابه حيث شملت أخبـارا عن بلاد المغرب في عهد الموحدين وعلاقتـه بحكامها والسبب الذي من أجلـه فر إلى المشرق، وأخبارا عن عائلته ورحلته إلى مدن المشرق الأخرى وعلاقته ببعض الحكام هناك، والمكانة التي حظي بهـا عندهم.[3] للقاضي حسن بن محمد التميمي التاهرتي المشهور بابن الربيب كتاب سماه "**الأنساب والأخبار**"،[4] ، واختصر عبد الحق كتاب الرشاطي في "**الأنساب من القبائل والبلاد كتاب**" وهو في سفرين، وهو أحسن من الأصل.[5]

ويلاحظ مما سبق أن فقهاء مالكية المغرب الأوسط لم يخلفوا مؤلفات كثيرة في المجال التاريخي، وما وُجد أصحابه لم يعيشوا في كنف الدولة الحمادية، إما في بلاط الدولة الزيرية كابن الرشيق والنهشلي أو بالأندلس كأبي محمد الأشيري وابن الربيب وأبو علي الأشيري، ويظهر من تاريخ وفياتهم أن جلهم كان في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي أي ما يوافق خراب القيروان كثرة الأحداث السياسية التي كانت بين حماد والناصر ابن حماد من جهة والأمراء الزيريين من جهة أخرى. ويمكن إرجاع السبب إلى أنه" لم تكن لدى الإمارة الحمادية تقاليد تاريخية واضحة المعالم نتيجة سيطرت نمط البداوة على بلاطها، وافتقارها إلى مؤرخين وعلى الخصوص في مرحلة قلعة بني حماد، لكن بعد انتقال إلى بجاية"،[6] يبدو أن هذه الأحداث أثرت في التدوين التاريخي، لكن سرعان ما ظهر مؤرخين

---

[1] – انظر: ج.22 ، ص.22، 229، ج.32، ص.234.

[2] – **تاريخ دمشق**، ج.32، ص.234.

[3] – نفس المصدر، ج.32، ص.235.

[4] – الكتبي، المصدر السابق، سنوات 411–449هـ/1022–1057م، ميكروفيلم معهد البحث وتاريخ النصوص (IRHT) بباريس، رقم 16769، وهي نسخة مصورة عن مخطوطة بالمكتبة السليمانية بإسطنبول، رقم 1493، ج1، ورقة 59 نقلا عن علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية**، ص.346.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.19، ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ج.1، ص.379.

[6] - علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية**، ص.346.

من المنطقة كابن حماد الصنهاجي وأبو بكر الصنهاجي البيدق والغبريني في المائة السابعة الذين اشتهروا بمؤلفاتهم رغم أن البعض منها مازال في حكم المفقود.

2- الجغرافيا.

لم يعثر على فقهاء أصلهم من المغرب الأوسط دونوا كتبا في علم الجغرافيا، مع أن البلاد كانت محطة لبعض الرحالة والجغرافيين منذ القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، ومهما يكن فإن هؤلاء أضافوا نزرا من الأخبار التاريخية والجغرافية وحتى المذهبية، اعتمد عليها الباحثون الذين جاؤوا من بعدهم في أبحاثهم المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة.

وأشار الباحث عبد الحليم عويس أنه لم يقع على ما يؤكد نشاط الحماديين في المجال الجغرافي إلا أنه يوجد أكثر من قرينة تؤكد ضرورة اهتمام الحماديين بهذا العلم، ويعزو ذلك إلى كثرة الرحلات العلمية والحجية للمغاربة إلى الأندلس والمشرق، وهو ما يوجب ضرورة الاهتمام بالرحلة، كما أن المعز لدين الله الفاطمي فتح مصر بجيش مغربي واستقر هناك وكوّن عنصرا من عناصر المجتمع المصري، هو من الأسباب القوية أيضا التي حملت المغاربة على هذه الرحلة إلى المشرق، ولعل شهرة ابن حوقل والبكري والإدريسي وغيرهم من جغرافيين ورحالة هذا العصر ما يؤكد هذا حسبه.[1]

ويظهر أن المغرب الأوسط كان محل أنظار كل من الحكام والجغرافيين والرحالة، فقد اهتم الحاكم المستنصر بتاريخ المنطقة فطلب من محمد بن يوسف الوراق[2] صاحب كتاب "**المسالك والممالك**" الذي نقل عنه البكري،[3] أن يؤلف له كتابا يخص فيه مسالك إفريقية وممالكها، والحروب التي شهدتها افريقية، وكانت له تآليف حول تاهرت ووهران وتنس...[4] ربما ضاعت، ولو وصلتنا لعرف الكثير عن المنطقة.

ولم تقتصر كتابات الجغرافيين والرحالة على وصف الطرق والمسالك، فقد كتبوا عن المذاهب التي كانت موجودة آنذاك وزودوا المهتمين بجغرافيتها. ومن هؤلاء: ابن حوقل

---

[1] – **الدولة الحمادية**، ص.269؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.379.

[2] – الحميدي، المصدر السابق، ص.90

[3] – نفسه؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.162؛ عبد المولى، المرجع السابق، ج.2، ص.687 وما بعدها.

[4] – نفسه؛ الحبيب الجنحاني، "الصراع الفاطمي الأموي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري الأعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني ، قرطاج11-17 أفريل 1398هـ/1977م"، **الكراسات التونسية** عدد خاص ع. 103-104، الثلاثي 3 و4، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1978، ص.24.

النصيبي الذي تحدث عن الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب، لمعرفته الجيدة بالمنطقة بناءً على زيارته لها ابتداء من القرن الرابع الهجري/الثامن ميلادي، فقام بتدوين أحداثها عن طريق مشاهداته وممّن التقى بهم من شهود للأحداث والوقائع التي دونها في كتابه"**صورة الأرض**"،[1] لكن لا بد من توخي الحذر والحيطة في استقاء المعلومات عنه فقد اعتبره البعض جاسوسا للفاطميين لتشيعه، ومن المحتمل أنه دون بعض المعلومات حول مذهبه، وبالرغم من تواجده بالمنطقة إلا أنه لم يشر إلى مالكية القيروان بصفة خاصة ومالكية المغرب والأندلس بصفة عامة، وإلى المؤلفات التي عرفت انتشارا كثيرا.[2]

ويعتبر أبو عبد الله المقدسي صاحب كتاب"**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" من الجغرافين المشارقة الذي كانت له زيارة إلى بلاد المغرب، وقد كتب عن المذاهب السنية وغيرها، وعن أهل الذمة من نصارى ويهود وغيرهما، ومكان تواجدهما والعلاقة التي كانت بينهما.[3] وتطرق إلى المذاهب السنية عامة، ووصف الألفة والتعايش السلمي الذي جمع بين الحنفية والمالكية ببلاد المغرب في القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي وإلى بعض مجالسهم وبعض المناظرات منها ما كان هو طرفا فيها، وقد دون كتابه بناء على ما شاهده وما سمعه من مشايخ المغرب والأندلس.[4]

وألف ابن العربي كتاب"**ترتيب الرحلة في ترغيب الملة**" وهو اختصار لكتاب"**قانون التأويل**"،[5] الذي كتب فيه عن رحلته المشرقية والمغربية التي زارها، واتخذ طريق البحر وسيلة لانتقاله من الأندلس إلى سواحل بجاية وبونة ومنها إلى تونس وسوسة والقيروان والمهدية ومنها إلى المدن المشرقية.[6] أما طريق عودته فكان عبر مدينة تلمسان،[7] وتحدث ابن العربي عن فقهاء المنطقة الذين التقى بهم ومن الوافدين إليها من الأندلس منهم من اتخذ لنفسه مكانا للتدريس والقضاء، وأشار إلى العلوم التي كانت منتشرة في تلك الفترة من فقه وأصوله وحديث ولغة، ووصف مناظراته في إحدى المجالس العلمية، ممّا جعله يكشف عن المستوى

---

[1] – يبدو أن ابن حوقل اتخذ من كتاب"**المسالك والممالك**" للإصطخري نموذجا له، فقد كان لا يفارقه أثناء رحلاته، واعتمادا عليه وضع كتابه "**صورة الأرض**"، إذ يقول في كتابه:"أصلحت منه غير شكل وعزوته إليه، ثم رأيت أن انفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره"، (انظر: المصدر السابق، ص.284؛ محمد الشريف، المرجع السابق، ص.110).

[2] – للمزيد من المعلومات عن ابن حوقل وكتابه"صورة الأرض، (انظر: محمد الشريف، المرجع السابق، ص.110–114).

[3] – المصدر السابق، ص.36 وما بعدها.

[4] – محمد الشريف، المرجع السابق، ص.114–120.

[5] – **قانون التأويل**، ص.414.

[6] – **قانون التأويل**، ص.424 وما بعدها.

[7] – تحدث عنه ابن العربي حين ذكر حقيقة النوم وحكمته، (انظر: المصدر السابق، ص.471).

العلمي الذي وصلت إليه بجاية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي ويثني عليه، وذكر من فقهاء المغرب الأوسط الذين التقى بهم في المشرق.

ومن رحالة القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي ابن جبير الأندلسي لم تذكر المصادر أنه زار المغرب الأوسط لكنه زود تاريخ المنطقة ببعض الأخبار عن بجاية الحمادية، ويحتمل أن هذه النصوص لم ترد في كتب الجغرافيين الذين سبقوه، وقد تحدث في رحلته لمدينة عكة وأثناء توجهه إلى مدينة صور عن منطقة الزاب بقوله:"واجتزنا في طريقنا على حصن كبير يعرف بالزاب"، فربما سكن هذه المنطقة عدد من مغاربة الزاب لأنه يتبع كلامه بتعريف لمنطقة إذ يقول:"هي مطلة على قرى وعمائر متصلة وعلى قرية مسورة تعرف باسكندرونة، وذلك لمطالعة مركب بها أعلمنا أنه يتوجه إلى بجاية"،[1] فقد تكون هذه المراكب تنقل البجائيين من الزاب بالمغرب الأوسط إلى مدينة عكة عن طريق البحر.

وتحدث عن أسرى مسلمي عكة من بينهم بعض المغاربة وكيف كان الملك نور الدين زنكي وبعض أثرياء البلد بما فيهم النساء وبعض التجار يدفعون الأموال لتخليص هؤلاء من قيد الإفرنج، لكي لا تفسد أخلاقهم وتحت الضغط يتخلون عن دينهم، وهو ما حدث لرجل من مدينة بونة تأثر بهؤلاء النصارى فأخرجوه عن ملته واتبع ديانتهم،[2] وقد نبه الله تعالى المسلمين بقوله ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[3]. وسمع أخبارا عن بجاية بصقلية مفادها "تغلب صاحب ميورقة على بجاية" وعن توجه بعض الصقليين إلى إفريقية.[4] وحسب المصادر فإن الرحالة ابن فكون القسنطيني الوحيد الذي كان ينتمي إلى المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي الذي ألف في الرحلة التي كانت بين قسنطينة ومراكش لكنها في حكم المفقود إلا ما ذكرته عنه بعض المصادر.[5]

ويمكن أن يستخلص ممّا سبق ذكره أن الجغرافيين والرحالة الذين تحدثوا عن المغرب الأوسط ساهموا ولو بشكل قليل في ذكر بعض المعلومات عن جغرافيته منها ما تعلق ببعض مسالكه البرية والبحرية، والأخرى عن مذاهبه وعن فقهائه وغيرهم بالمدن المشرقية،

[1] – ابن جبير، المصدر السابق، ص.249.

[2] – نفس المصدر، ص.253-254.

[3] – سورة البقرة، الآية 120.

[4] – ابن جبير، المصدر السابق، ص.276.

[5] – انظر: الفصل الثاني من هذه الدراسة.

والمستوى العلمي الذي وصل إليه علماء المنطقة، والكتابة عنها ما هو إلا دليل على أهمية مكانتها العلمية والتاريخية لدى الجغرافيين والرحالة المغاربة والمشارقة.

ج- في الفلسفة

ذكر عبد الحليم عويس أنه لم يجد في ما رجع إليه من مصادر أثر ذا بال له، وفسّر ذلك فيما يرى بغض البربر للنواحي العقلية كرد فعل للتطرف الجدلي الذي عانوا منه كثيرا طيلة خضوعهم للفاطميين. وأن المذهب المالكي الذي كان سائدا في بلاد المغرب يعتمد على المأثور بالدرجة الأولى، وكان لهذا المنهج تأثير على الناحية الفلسفية.[1] لكن رأيه يحتاج إلى تعليل، ذلك أن الباحث رشيد بورويبة ذكر مجموعة من فلاسفة القلعة الحمادية منهم أبو عبد الملك البوني وأبو علي حسن المسيلي وأبو مدين شعيب،[2] وبناء عليه يمكن القول أن الفلسفة في المغرب والأندلس مرتبطة بالتصوف[3] والسبب في ذلك أن بعض الفقهاء نشروا أفكارا صوفية تحمل أراء فلسفية، لذلك فإن الباحث في تاريخ الفكر الأندلسي مثلا لا يمكنه أن يفرق بين الاتجاه الفلسفي والاتجاه الصوفي حسب ما ذكره الباحث محمد سليماني.[4]

وعرف التوجه الصوفي في المشرق انتشارا واسعا، وانتقل إلى المغرب والأندلس عن طريق رحلة فقهائهم، ودخلت كتب المتصوفة الأوائل إلى بجاية وأصبحت تدرس في مجالسها العلمية التي ظهر بها عدد لا بأس به،[5] وترجم الغبريني للمبرزين منهم والذين عاشوا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي من أجل التبرك بهم وانتشار فخرهم ولقرب عهدهم بالمائة السابعة،[6] ومن هؤلاء أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي وأبو علي حسن بن علي المسيلي وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي.[7]

ولا يمكن أن نجزم بأن التصوف الفلسفي المالكي دخل إلى المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، وهو ما أكدته رواية ابن حماد الصنهاجي التي تشير إلى الحضور الصوفي المالكي في جبال الأوراس في أواخر القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي تزعمها أحد القيروانيين كَانَ "ينظر كتب الصُّوفِيَّة ويقرأها ومعه أَربعة نفر"

---

[1] – **دولة بني حماد**، ص. 268.

[2] – **الدولة الحمادية**، ص. 191-193.

[3] - فصّل ابن خلدون في تطور التصوف من طريقة العبادة فقط إلى أن أصبح علما مدونا، (انظر: **المقدمة**، ص.611-624).

[4] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.52.

[5] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.185-186.

[6] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.7.

[7] – نفس المصدر، ص.7 وما بعدها؛ ابن القنفذ، **أنس الفقير**، ص.11.

وقد استقطبت حركتهم قبائل زواوة وصنهـاجة وعجيسة،[1] ويبدو أن الحسن بن رشيق تأثر بهم فقد ألف رسالة في "علم الحروف والأوقاف"، وكتب على نسخة المخطوط "بحثها في علم اللدني"، مقسمة إلى: رسالة في النقطة والأخرى في الألف ونسختها بالمكتبة السليمانية بتركيا.[2]

وارتبطت بالفقيه صفات خلقية وتعبدية أشارت إليها نصوص تاريخية، وشملت الأولى: الورع والفضل والصلاح، وهذا الأخير أكثر ذكرا والمقصود منه صلاح الخلق، وهو جوهر التصوف العملي، أما الثانية: فهي صفات النسك والانقطاع والتجرد والزهد وترتبط بالمجاهدات البدنية والنفسية وعند تركيبها معنى كاملا للتصوف وتتضمن العكوف على العبادة والانقطاع عن الخلق والإعراض عن زينة الدنيا وزخرفها والعزوف عن لذاتها كالمال والجاه والانفراد عن الخلق في الخلوات.[3]

ويعتبر أبو بكر بن العربي من الذين تـأثـروا بهذا الفكر الفلسفـي من جهـة، وقد تطرق البـاحث محمد سليمـاني إلى بيان ذلك بمقـارنة أقوالــه في "ذكر حقيقة النوم وحكمته" في قولـه:" ...وإن نظرنا إليه(أي النوم) من حيث أنه انقطـاع عن عالـم التصوف الأدنى مع الأدميين..." مع أقوال الغزالـي من كتاب"**المنقذ من الضلال**" منها قوله:" وقد قرّب الله تعالى على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون في الغيب..."، وبنـاء على دراسته توصل إلــى أن أفكار الإمـام الغزالـي تحمل في ثنايـاهـا أفكار الفرابي وأرسطـو، وحذا ابن سينا في كتابه حذو الفرابي في كتابه"**الإشارات والتنبيهات**".[4]

وكان القصد من وراء الإشارة إلى ما كتبه هؤلاء المتصوفة ذلك أن المغرب الأوسط كان مجالا مفتوحا قابلا لتأثر فقهاء مالكيته، وكان ذلك جليا في الكتب التي دخلت إلى القلعة الحمادية، فابن العربي مثلا ألف رسالة في فضل "ذكر حقيقة النوم وحكمته" لأهل تلمسان سماها "**محاسن الإحسان في جوابات أهل تلمسان**".[5] فقد تأثروا بكتب الإمام الغزالي منها

[1] – ابن حماد، المصدر السابق، ص.65؛ بونابي الطاهر، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين 14–15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1429–1430هـ/2008–2009م، ص.31.

[2] – مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم لا له لي 1545.

[3] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.611؛ الطاهر بونابي، المرجع الساق، ص.33.

[4] – ابن العربي، **قانون التأويل**، ص.264 وما بعدها.

[5] – **قانون التأويل**، ص.274.

كتابه "**إحياء علوم الدين**" دون فيه أحكام الورع والإقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح إصطلاحاتهم في عباراتهم،[1] وبعض من كتبه التي درست بالقلعة وأورد الغبريني عناوينها. كما اهتم القلعيون بكتب ابن سينا أيضا منها كتاب"**الإشارات والتنبيهات**".[2]

وكان الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي(ت.595هـ-1198م) حفيد شيخ المالكية بالأندلس، قد اعتنى بعلم الأصول والعربية والطب والفلسفة وله فيها مؤلفات عديدة واشتهر بكتاب "**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**"، وكتاب"**البيان والتحصيل**" وكتاب "**المقدمات**"،[3] وطغى عليه علم الفلسفة واشتهر بها ببلاد المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي. وقد نشأ بالأندلس وترعرع بها في الوقت الذي كانت فيها الحركة العلمية مزدهرة، ونقل ابن أصيبعة قول ابن الأَبار أنه:"لم ينشأْ بالأَندلس مثله كمالا وعلما وفضلا". لحقته محنة من الخليفة أبي يعقوب الملقب ب"المنصور بالله" الذي كان طبيبه الخاص ومن المقربين إليه، فقد أخرج بسببها من الأندلس بعد محاكمته بحضور الملأ بجامع قرطبة ونفي على إثرها إلى مراكش وتوفي بها.[4]

وقد أورد ابن أصيبعة في كتابه جماعة من الفقهاء ممن اشتغلوا بالحكمة وعلم الأوائل في الأندلس وهم: أبو الوليد بن رشد، وأبو جعفر الذهبي، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي وكان ضمن هؤلاء قاضي بجاية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأصولي الذي أصابته المحنة مع ابن رشد سنة 593هـ-1197م عند دخوله قرطبة[5] وقد اشتهرا بها،[6] وكان الأصولي شديد على ولاة الأمر لا يخاف في الله لومة لائم، فقد ذكر الغبريني أنه كان:"لا يسامحهم في شيء من أمورهم ويجاهدهم بما يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين"، وبسبب تصرفاته الشديدة وُجّه إليه كلام فيه قسوة حتى قيل له إنه يستحق بما قام به المنصور ضده حين عاقبه،[7] وله تقييد في "**الشرفاء العمريين**" توجد نسخة منه ضمن مجموع.[8]

---

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.613؛ و(انظر: عنصر الفتاوى وعنصر علم الكلام ضمن الفصل الرابع).

[2] – الغبريني، **الدراية** (ط.الجزائر)، ص.37-38.

[3] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1039.

[4] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.531 وما بعدها؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1060 وما بعدها.

[5] – أوردت المصادر سبب محنتهما، (انظر: نفس المصادر، ص.531 وما بعدها؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.96؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.1060 وما بعدها).

[6] – نفس المصادر، ص.532؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.95 وما بعدها؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.12، ص.348-349.

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.97.

[8] – تحت رقم 11303، (انظر : **فهرسة الخزانة الحسنية**، ج.1، ص.315-316).

وترك فقهاء القلعة عددا من المؤلفات في الزهد، وسنقتصر على مؤلفات المبرزين ومنهم: أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني ألف كتاب "**المنامات**"،[1] والفقيه الصوفي أبو القاسم جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف البجائي(حي سنة577هـ-1182م) ألف كتاب "**قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصدقين**"،[2] وألف عبد الحق الإشبيلي العابد والزاهد والمتقلل في الدنيا المقتصر على الأقل الكافي منها، ألف كتاب "**التهجد**"،[3]وكتاب "**العاقبة**" وهو من الكتب التي كان يقرأها ويختمها الطلبة على قبره،[4] وكتاب "**التمجيد**"[5]، ومن مؤلفاته التي ما تزال مفقودة، ذُكرت في كتب التراجم والبرامج والفهارس، منها كتاب "**الزهد**"[6] وكتاب "**الرقائق**"، واعتمد عبد الحق البجائي في تأليفه لها على الأحاديث المستخرجة من الصحاح، سمعه منه عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم التميمي البجـائي يعرف بابن الخطيب،[7] وله كتب أخرى منها كتاب "**الأنيس في الأمثـال والمـواعظ والحكم والأدب من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)**[8]، وكتاب "**البهجة**"[9]، وكتاب "**مقالة الفقر والغنى**"[10]، وكتاب "**فضل الحج والزيارة**"[11]، ونظم ديوانا في الزهد، تحدث عنه الغبريني قائلا:"كتابا مجموعا من

---

[1] – الصفدي، المصدر السابق، ج.4، ص.386؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.350؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.319.

[2] – نسخة من المخطوط بمكتبة زاوية الهامل، (انظر: **فهرس**، ص.801)؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.36.

[3] – وذُكر بأسماء مختلفة منها: كتاب "**التهجد وما ورد في ذلك من كتاب الصحاح وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم**"، أو كتاب "**الصلاة والتهجد**" وهو في سفر واحد، يوجد مخطوط منه بمكتبة السليمانية تحت رقم شهيد علي باشا 922، حقق سنة 1992م، وسنة 1994م، اعتمادا على مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم 1556حليم 34110 تحت فن (مصورات خارج الدار)، ومخطوطين بمكتبة الظاهرية محفوظة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم تصوف 103، ورقم تصوف 262، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.121؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.19؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61؛ ابن مخلوف، المرجع السابق،ج.1، ص.379؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.379).

[4] – جاءت عناوينه مختلفة على نسخ المخطوطات الأخرى منها: مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم ياني جامع 725 نسخت سنة 746هـ-1345م يحمل اسم "**العاقبة الكبرى**"، ونسخة أخرى بعنوان "**كتاب العاقبة في الرقائق**"، تحت رقم بايزيد عمومي تحت رقم 1523، يحتوي على 110 ورقة. نسخت سنة 840هـ-1436م. ونسخة بالأزهر الشريف تحت رقم 314367، عدد أوراقها 148 وأخرى بعنوان، و"**العاقبة أو الحشر أو النشور**" مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم تصوف 297، النسخة الأولى تحت رقم 235 يحتوي على 113 ورقة، والنسخة الثانية تحت رقم أحمد الثالث 1546 عدد أوراقه 219 أما النسخة الثالثة فهي تحمل رقم خزينة 2429 عدد أوراقه 222، تح. وتع. عبيد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري، وثلاث نسخ أخرى "**الموت والحشر**" رقمها 16417، و"**العاقبة**" 874 و875 بدار الكتب المصرية ويتضمن الكتاب ذكر الموت وما بعدها، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.121؛ الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.19؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.503؛ فهرسة المكتبة العامة، الرباط، 1999-2000م، مج.6، ص.109).

[5] – مخطوط بدار الكتب المصرية، بعنوان"**تمجيد الله تعالى وتعظيمه**"، تح. قسم الدراسات بدار الكتب المصرية سنة 1993م.

[6] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.61.

[7] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.120؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61؛ البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.503؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.2، ص.911.

[8] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.61.

[9] – عبد الحق الإشبيلي، **الأحكام الوسطى**، ص.60.

[10] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص. 120؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

[11] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.60.

الشعر كله في الزهد وفي أمور الآخرة" وذكرت بعض المصادر أبياتا رواها عنه من التقى بهم.[1]

وترجم الذهبي لأبي مدين شعيب بقوله أنه:"شيخ الصوفية من ناحية إشبيلية من حصن من توجب"،[2] وكان "زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى، خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرار" من شيوخ أبي عبد الله عبد الحق التلمساني ذكره في برنامجه، [3] له مؤلفات كثيرة في التصوف منها ما اطلعت عليه الباحثة من نسخ مخطوطة بالمكتبة السليمانية بتركيا، الأخرى موجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية،[4] ولمكانة هذا الفقيه في المغرب والأندلس عكف الكثير من الباحثين على تحقيق عدد منها، ومن مؤلفاته:"**أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد**"[5] و"**الروض الفائق**"[6] و"**حرز الأقسام لجميع علل والأسقام**"،[7] وقصيدة في "**الإستغفار**"،[8]وقصيدة "**الجوهرة**" ضمن ديوان عبد الحق التلمساني بها بعض التقييدات مأخوذة من أراء محي الدين بن العربي، وجاء في بداية المخطوط" قال الشيخ العارف المحقق الولي المكاشف، القطب الرباني".[9] وألف أيضا كتاب"**حرز الأقسام لجميع العلل والأسقام**".[10]

والملاحظ أن الفقهاء في القلعة الحمادية تراجعت مؤلفاتهم في علم القرآن والحديث والفقه، مقارنة بما ألف في التصوف فقد طغى الزهد عليه ومخطوطات أحمد بن يوسف البوني، وأبو مدين شعيب، والتلمسانيين الموجودة بالمكتبة السليمانية مما يطول ذكرهم في هذا المقام ماهو إلا دليل على كثرة إنتاجهم في هذا المجال. وإذا ما أحصينا مؤلفات البوني وجدنا أكثر من ثلاثين مخطوط. يبدو أن حاضرة بجاية وتلمسان تأثرتا بالأندلسين الذين

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص19؛ و(انظر أيضا: ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.121؛ الذهبي، **المستملح**، ص.280؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.60؛ وتوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر قصيدة مخطوطة ضمن مجموع تحت رقم 1830، ق 20، ظ 198 و199، تحتوي على خمسة عشر بيتا).

[2]– **المستملح**، ص.387.

[3] – ابن الزبير، المصدر السابق، ق.4، ص.223.

[4] – منها قصائد وهي: "**الإستغفار**" و"**وصية لمن يريد النجاة**" و"**قصيدة في شوق الحبيب**" و"**قصيدة نزول الغيث وكشف كل هم**" و"**أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد**".

[5] – مجموع في المكتبة السليمانية تحت رقم أيا صوفيا 1810، عدد صفحاته 30، عنوانه "**أنس الوحيد**" من ص. 1إلى ص.17، و"رسالتان الأولى في المعارف والثانية في تحقيق الكليات في المنطق، من ص.18 إلى ص.27، و" **رسالة في الوضع**" من ص.28 إلى ص.30، ونسخة أخرى ضمن مجموع تحت رقم أسعد أفندي004–1689؛ ونسخ عديدة من فهرس حاجي محمود منها تحت رقم 002–2661 و002–2634 و004–2487، ونسخة أخرى تحت رقم لا له لي 008–3669، (وانظر أيضا: البغدادي، **هدية العارفين**، ج.1، ص.417؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ج.84).

[6] – "**الروض الفائق في الوعظ والرقائق**" مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم رشيد أفندي 542؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.4، ص.50

[7] – نسخة من مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع تحت رقم عاشر أفندي 014–2128.

[8] – نسخ من مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم الشهيد علي 012–2736، وأيا صوفيا 005–516 وشلبي عبد الله 006–325 ودوغوم لوبابا 431

[9] – أبو مدين شعيب، **مقصور الجوهرة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية يحتوي على ثلاثة لوحات تحت رقم راجب باشا 1476، (انظر: و.19).

[10] – مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية، تحت رقم عاشر أفنذي 013–398.

دخلوا المنطقة بكثرة بسبب سقوط بلادهم في أيدي النصارى، فأخذ بذلك المغرب الأوسط مكانة الأندلس بصفة خاصة والمغرب الأقصى بصفة عامة وأصبحت بذلك الريادة له في المنطقة للتوجه الصوفي.

ثانيا: في العلوم التجريبية

أ-الطب

عرفه ابن سينا الطب بأنه:"علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة الحاصلة، ويستردها زائلة"،[1] واعتبره ابن خلدون فرع من العلوم الطبيعية وعرفه بقوله أنّه:"صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبُرءَ المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن".[2] وقد ابتدأ الفقيه ابن حبيب كتابه في الطب بأحاديث سمعها من بعض أصحابه، وقد حث فيها النبي(β) بالتداوي" منها: قوله:" تداووا فإن الله يخلق داءً إلا خلق له شفاء، علمه من علمه أو جهله من جهله إلى داءين قيل : وما هما يا رسول الله؟ قال: الهرم والموت، وقوله أيضا:"إنَّ الله بَثَ الدَاء وبَثَ الدوَاء، وجَعَلَ لِكُلِ دَاء دَوَاء من الشجر والعَسَل، فَتَدَاوُوا ولاَ تَتَدَاووا بشرك ولاَ حَرام".[3]

وكان اقتصار المسلمين الأوائل على ترجمة الكتب الطبية، حيث أشار ابن الأثير إلى أن العالم حسين بن إسحاق الحكيم الطبِيب(ت.260هـ-874م)، نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية.[4] ثم جاء بعد ذلك اهتمام سكان بلاد المغرب وحكامهم بعلم الطب بداية من القرون الهجرية الأولى، ومن الذين استدعاهم إبراهيم بن الأغلب من مصر والعراق أطباء وفلكيين،[5] وكان الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي(ت.294هـ-907م) من بينهم، وكان

---

[1] - ومعنى حاصلة ما يسمى اليوم بالطب الوقائي، وزائلة ما يسمى بالطب العلاجي، (انظر: ابن سينا(أبو علي الحسين ابن علي بن سينا، ت.428هـ-1037م)، **القانون في الطب**، وضع حواشيه محمد أمين الضنّاوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج.1، ص.13 وه.1-2 من نفس الصفحة).

[2] - ابن خلدون، **المقدمة**، ص.650.

[3] - ابن حبيب(عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي الأندلسي، ت.283هـ-896م)، **كتاب طب العرب**، تح. وتخ. وتق. بدر العمراني الطنجي، دار ابن حزم، بيروت، 2007م ص. 23.

[4] - **الكامل**، ج.6، ص.250.

[5] - ظهر اختلاف في نص دخول إسحاق بن عمران إلى إفريقية، في أنه دخل فِي دولة زيادة الله بن الأغلب التميمي سنة 264هـ-878م وفي هذه الفترة كان يحكم إبراهيم بن أحمد بن الأغلب(261-289هـ/875-902م) وهو من بنى رقادة في سنة 263هـ-877م، أما حكم زيادة الله بن الأغلب كان سنة290-296هـ/903-909م، إذا فالأرجح أنه دخل في عهد إبراهيم الثاني، (انظر: إسحاق بن عمران، **مقالة في الماليخوليا**، تح. عادل العمراني والراضي الجازي، المجمع التونسي للعلوم والآداب، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص.13-14؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.56؛ ابن جلجل(أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ت.377هـ-988م)، **طبقات الأطباء والحكماء**، ويليه **تاريخ الأطباء والفلاسفة** لإسحاق ابن حنين، ت.298هـ-911م)، تح. فؤاد السيد، ط.2، مؤسسة الرسالة، 1985م، ص.479).

ذلك بشروط ثلاثة.[1] فاستوطن القيروان،[2] ويعتبر أوّل من أدخل علم الطب إلى بلاد المغرب،فكان طبيبا "حاذقا متميزا بتأليف الْأدوية المركبة بصيرا بتفرقة العلل أشبه الْأَوائل فِي علمه وجودة قريحته"، وألف بها عدة كتب منها: كتاب "**نزهة النَّفس**" وكتاب في "**داء المالنخوليا**"[3] وكتاب فِي "**الفصد**" وَكتاب فِي "**النبض**".[4] وقد كان يمنع ابن إبراهيم من أكل بعض الأغذية المضرة، فكان يرفض نصيحته ويأخذ بما ينصحه الطبيب اليهودي الأندلسي الذي قربه زيادة الله إليه عوض أبي إسحاق بسبب محنته التي أصابته من زيادة الله، ورغم ذلك لم تمنعه من أن يقوم بواجبه كطبيب الذي يحافظ على سلامة أبدان غيره.[5]

ومهما يكن فإن مجيء الطبيب إسحاق بن عمران من العراق ودخوله إفريقية سنة 264هـ–878م له دور في تكوين المدرسة الطبية بها، حيث أقبل إليه العديد من الطلبة الأطباء لتلقي دروسه ومطالعة تآليفه من بينهم: تلميذه أبو يعقوب إسحاق بن سليمان (ت.326هـ–938م)الإسرائيلي، جاء من مصر بطلب من زيادة الله بن الأغلب، وبعد سقوط الدولة قربه الداعي أبو عبد الله ثم عبيد الله المهدي وابنه القاسم.[6] وتذكر المصادر أن أبا عبد الله الشيعي كان يشتكي من علة الحصى لكنها اختلفت في طريقة التي شفي بها فالقاضي النعمان أن هناك من نصحه بالذهاب إلى حمام بمدينة ميلة، وأنه لو قصده سيشفى من علته، فتوجه نحوه.[7] أما إسحاق بن سليمان فقال:"كنت أعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة"،[8] ولا يعلم أصحهما.

واشتهر أبو جعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني ابن الجزار(ت.369هـ–980م) بكتابه"**زاد المسافر وقوت الحاضر**"،[9] وهو تلميذ أبي يعقوب إسحاق، أشارت بعض النصوص أنه كان يقضي معظم شهور الصيف في الأربطة في صحبة المرابطين والعباد والعلماء للعبادة ونشر

---

[1] – لم يَفِ لَهُ زيادة الله بالشروط الثلاثة وكان بينها: كتاب أَمان بِخَط يده أنه مَتى أحب الانصراف إلى وَطنه انصرف، (انظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.479).

[2] – اختلف المؤرخين في تاريخ وفاته فقد جعله البغدادي سنة 251هـ–865م، (انظر: **هدية العارفين**، ج.1، ص.298).

[3] – لم يخرج إسحاق بن عمران في كتابه عن إرث جالينوس في أسباب هذا المرض إلا أنه تفنن في تفصيل هذه الأسباب، وإبراز علاقتها بنظرية الأمزجة السائدة في ذلك العصر، والكتاب ترجم إلى اللاتينية قسطنطين الإفريقي، (انظر: إسحاق بن عمران، المصدر السابق، ص.7؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.57.

[4] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.478؛ وأورد البغدادي مجموعة من كتبه المؤلفة في الطب، (انظر: **هدية العارفين**، ج.1، ص.198).

[5] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص. 480.

[6] – ابن أبي أصيبعة ، ص.480–481.

[7] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.50.

[8] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.480.

[9] – نفس المصدر، ص.481.

العلم بها.[1] وورد عند المالكي أنه شيعيا، وقد يحتمل السبب لأنه طبيبا استفاد منه الشيعة في العلاج منهم الخليفة المنصور الفاطمي،[2] وابن القاضي النعمان المغربي الذي كتب له رسالة شكر مع "منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال" لكن ابن الجزار ردها إليه.[3] وإن صح أنه شيعي فقد تتلمذ عليه الكثير من المغاربة، ومهما يكن فإنه وأبي يعقوب وسليمان بن عمران بهم الثلاثة شكلت المدرسة القيروانية الطبية في الغرب الإسلامي، ونصت بعض المصادر عن عناية فقهاء مالكية بلاد المغرب بالطب منهم أبو محمد ابن التبان، وابن الحارث الخشني.[4]

ورغم ذلك يئس بعض الأطباء في مداواة بعض الأمراض فتوفي أصحابها، وكان أبو محمد عبد الله التاهرتي من بينهم،[5] واستطاع البعض الأخر أن يرحل إلى المشرق للتداوي، بحثا عن الأطباء المختصين والأدوية النادرة لعلاج بعض الأمراض المستعصية، ومنهم من اضطر للسفر إلى الهند، ولم يأخذ الطبيب المعالج مقابل ذلك إلا بعدما امتحنه ببعض الأسئلة.[6]

ويظهر أن الداودي اهتم بالطب، فقد سئل الداودي عن مسألتين تخص مرض الحامل الأولى:" عن الوقت الذي تكون فيه الحامل مثل المريض؟" والثانية:"عن المرأة الحامل بعد ستة أشهر، مثل أفعالها أفعال المريض، أو الصحيح، حتى يظهر بها الطلق"؟.[7] وجمع الفقيه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني (حي سنة 429هـ-1038م) بين التّجارة والرّحلة[8]، لم يمنع اهتمامه بعلم الحديث، فقد كان بصيرا بالعلوم العقلية كالحساب والطب،[9] رحل إلى الأندلس سنة 429هـ-1038م واستقر بمدينة إشبيلية، وروى عن شيوخ إفريقية من بينهم محمد بن أبي زيد القيرواني ونظرائه،[10] ولم ينقطع اهتمامه بالطب رغم انشغاله بالتدريس.[11]

---

[1] – ابن جلجل، المصدر السابق، ص.89؛ الصفدي، المصدر السابق، ج.6، ص.132؛ البسام لطيفة بنت محمد، **الحياة العلمية في افريقية في عهد بني زيري**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1422هـ-2001م، ص.122.

[2] – المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج.1، ص.90.

[3] – ابن جلجل، المصدر السابق، ص.89.

[4] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.266-267؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.89.

[5] – المالكي، المصدر السابق، ج.2، ص.182.

[6] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج.2، ص.304.

[7] – عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ج.2، ص.370-371.

[8] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349.

[9] – نفسه؛ عادل نويهض، **أعلام**.

[10] – نفسه؛ عادل نويهض، **أعلام**.

[11] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298؛ عبد الحمد حاجيات، **إسهام المغرب العربي**، ص.64؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.375.

ومن القلعة الحمادية أبي جعفر عمر بن علي المشهور بابن البذوخ، رحل إلى المشرق واختار مدينة دمشق للاستقرار بها، كان له معرفة في الأدوية المفردة والمركبة، واستعمل دكانه عطر يجلس فيه يبيع ويداوي الناس فيه، والتحقيق فيما وصفه المتقدمين من الأمراض وكيفية علاجها، له عناية كبيرة بالكتب الطبية ووضع فيها تآليف فيها منها: "**حواشي على كتاب القانون لابن سينا**"، وكتاب"**لطائف الأنوار**"، و"**الأرجوزة في شرح الفصول لأبقراط**"، و"**أرجوزة في شرح كتاب تقدمه المعرفة**"، و"**ذخيرة الألباء**" في الباءة، و"**لطائف الأنوار في الطب**"،[1] ومن القلعيين أيضا ابن أبي المليح اشتهر بالطب وكان ماهرا فيه،[2] وأبي عبد الله محمد بن عبد الله البجائي المشهور بابن النباش من نزلاء مدينة مرسيه، له مشاركات في عدة علوم، وبالأخص المعرفة الجيدة في علم الطبيعيات، متمعن في صناعة الطب ومواظب في علاج المرضى.[3]

ومن أطباء الأندلس الذي نزلوا بجاية واعتنوا بالرواية والتأليف، الفقيه علي بن عتيق الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت.598هـ-1202م) كان مشاركا في الطب موفقا في العلاج وله تآليف فيه،[4] واستقر الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد البلنسي الذهبي بتلمسان ، وكان معتنيا بالطب.[5] وأبي الحسن علي بن موسى البلنسي الشبارتي استوطن تلمسان واحترف الطب (ت.610هـ-1213م) بها.[6] والفقيه أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت.660هـ-1262م) كان له مجلسا للإقراء ببجاية، كان مشاركا في الطب. وكان أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي (ت.660هـ-1262م) من مدينة مرسيه، من الباحثين الجيدين في الطب، جلس لإقراء الطب ببجاية فكانت تطرح عليه مسائل طبية ولا يتسرع في الإجابة عنها وكان يقول حينها:" إنما الإبطال في الجواب دليل العلم لأنه بين السائل للطبيب الغرض العارض

---

[1] – البغدادي، **إيضاح المكنون**، ج.1، ص.541، ج.2، ص.403؛ **هدية العارفين**، ج.1، ص.784؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.362؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.2، ص.567؛ عبد الحميد حاجيات، **إسهام المغرب العربي**، ص.65؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.289.

[2] – الأصفهاني، **خريدة**، ج.1، ص.183-184؛ عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.270؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.375.

[3] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.497؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص.376.

[4] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.221-222؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج.5، ص.256 وما بعدها؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج.2، ص.482-483.

[5] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج.13، ص.32؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.218؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج.1، ص.366؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج.1، ص.257؛ وللمهدي ابن تومرت مصنف في شرح "**مسلم**" موسوم أيضا ب"**الإعلام بفوائد مسلم**"، ونسبته بعض المصادر إلى أبي جعفر التلمساني لكن الكتاب كان مقرونا باسم المهدي، (انظر: ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص.85؛ القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ج.1، ص.19).

[6] – ابن الأبار، **التكملة**، ج.3، ص.227؛ الذهبي، **المستملح**، ص. 223.

العليل ولا بد أن يقع له النظر في الأسباب وتمييزها والحدس على السبب الفاعل أن تعارضت وينظر أنسب الأدوية وحينئذ يقع الجواب وهكذا هو حال حذاق الأطباء".[1]

وبالموازاة انتشر ببلاد المغرب علاج بالرقية الشرعية أو ما يسمى بكرمات الأولياء، فكان أبو بكر المالكي"يدعو لمن عمى فيبصر"، ومن جملة ما أرقى أبو بكر السبائي صبية رد لها بصرها، وأخرج علقة من فم صبي استعصى الطبيب في علاجه، وأرقى المؤدب محرز بن خلف ابنا ابن أبي زيد القيرواني بنت المقعدة برئت. وابن رد له عينه التي تسبب أحد المؤدبين إخراجها من مكانها بسبب خطأ إثر ضربه بالسوط. [2] ومن الأشياء التي يراها المغاربة للتداوي: الحمامات، والاكتحال لمن نقص بصره، ووضع الخميرة على الدمل، ومن أجل لسع العقارب يشرب محلول نبات القوليون ليحصنهم من السم سنة كاملة.[3] وكانت بعض النباتات المنتفع بها في صناعة الطب منتشرة بجبل مسيون منها: شجر الحضض، والقولوفندوريون، والبرباريس، والقنطوريون الكبير والزراوند، والقسطوس، والأفسنتين وغيرها من الحشائش،[4] وهذا يدل على اهتمام القلعيين بعلوم الصيدلة والطب.

ويظهر أن فقهاء مالكية بلاد المغرب إلى جانب شهرتهم بالعلوم الشرعية اهتموا بالطب وبالرقية الشرعية التي كان يقوم بها بعض العباد والزهاد، وقد برزوا فيهما، أما التأليف فكان النزر القليل، بعضه نصت عليه المصادر بينما بقي البعض الآخر مفقودا ينتظر من يزيل الغبار عنه. ومهما يكن فإن التأليف فيه يعتبر ضعيفا إذا ما قورن بالعلوم الأخرى كعلوم القرآن والحديث، وقد يرجع السبب إلى هجرة الأطباء مع المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر.[5]

ب- الكيمياء

هي من فروع العلوم الطبيعية حسب ابن سينا،[6] وعرفها ابن خلدون أنها:"علم ينظر في المادّة الّتي يتمّ بها كون الذّهب والفضّة بالصّناعة ويشرح العمل الّذي يوصل إلى ذلك فيتصفّحون المكوّنات كلّها بعد معرفة أمزجتها وقواها... حتّى من العضلات الحيوانيّة كالعظام والرّيش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن...وحلّ الأجسام إلى أجزائها الطّبيعيّة

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.37-38.

[2] – الدباغ، المصدر السابق، ج.3، 66، 68، 116.

[3] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص.50؛ القاضي عياض، المدارك، ج.5، ص.297؛ عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.271.

[4] – الإدريسي، المصدر السابق، ص.155؛ عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ص.271.

[5] – القفطي، **أخبار العلماء بأخبار**، ص.106؛ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص.236.

[6] – ابن حزم، **الرسائل**، ج.4، ص.17.

بالتّصعيد والتّقطير وجمد الذّائب منها بالتّكليس وإمهاء الصّلب بالقهر والصّلابة..."، وبحسمهم أنّه يخرج بهذه الصّناعات كلّها جسم طبيعيّ يسمّونه الإكسير، وهناك من يسميه بعلم جابر نسبة إلى جابر بن حيان إمام المدونين فيه،[1] وجاء تعرفها عند القدماء" يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصة جديدة غليها ولا سيما تحويلها إلى ذهب". [2]

ومن الحكماء والمتكلمين كابن حيان ومسلمة بن أحمد المجريطي(ت.398هـ-1008م) ومن أمثالهم لا يعتبرون الكيمياء من الصنائع الطبيعية ولا تتم بأمر صناعي، وحسب ابن خلدون أن"منحى كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق.[3]ويحتاج طالب علم الكيمياء أن يدرك ثلاثة خصال في صناعتها، أولها: هل تكون؟ والثانية من أي تكون؟ والثالثة من أي كيف تكون؟.[4]

ومن الأوائل الذين اشتهروا بهذا العلم بالمغرب والأندلس ابن بشرون من كبار تلاميذ أبو القاسم مسلمة المجريطي[5] شيخ الأندلس في علوم الكيمياء والسيمياء والسحر في القرن الثالث الهجري،[6] ومن فقهاء المالكية في بلاد المغرب ممن له معرفة بالكيمياء ابن الحارث الخشني،[7] رحل إلى الأندلس ثم إلى سبتة قبل سنة 320هـ-932م ولم يتركه أهلها الانصراف عنها للاستفادة من علمه، فقال عنه ابن الفرضي أنه كان "حكيم يعمل الأدهان ويتصرف في ضروب من الأعمال اللطيفة".[8]

واتخذ فيما بعد حانوتا لبيع في الأدهان التي كان يصنعها والمقصود بها هنا المراهم، التي يصنعها من بعض العقاقير قصد المعالجة بها،[9] واعترض البعض عن الدراهم التي كان ينفقها على نفسه، وجوز البعض الآخر فعله لأنه من مسائل المدونة من كتاب

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.695-696.

[2] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص.49.

[3] – **المقدمة**، ص. 726.

[4] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.297.

[5] – هو الفيلسوف مشهور ب "المجريطي" أو "المرحيطي" فلكي ورياضي، إمام عصره في الأندلس، وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم، عاش في عهد الحكم الثاني"350-366هـ/961-976م)وهشام الثاني(366-399هـ/976-1009م)، له عناية بالأرصاد والكواكب وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف ب"المجيسطي"، من مؤلفاته "كتاب المعاملات"، وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من الزيج وغيره من المؤلفات، (انظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.482-483؛ ابن حزم، **الرسائل**، ج.1، هـ.3، ص.155؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.4، ص.323 وما بعدها).

[6] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص.706.

[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص. 267، الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.81-82؛ جمعة شيخة، المرجع السابق، ص.49.

[8] – المصدر السابق، ص.491؛ الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.82.

[9] – نفسه؛ الدباغ، نفس المصدر ؛ جمعة شيخة، المرجع السابق، ص.49.

الصرف، واشتهر بالقيروان رجل من أصحاب المازري من كان يطلب تعليمها ويسافر من أجلها حتى أجاد فيها، ولما رجع إلى وطنه جلب معه بعض صناعته فأمر الإمام المازري باستخباره فنظره أهل المعرفة فكان كل من رآه يقول طيب. وسألوا رجلا آخر كبير في السن فأخبرهم بصنعته فطلب منه المازري "أن يتصدق بما اكتسبه من السلعة وغيرها منها"، وقد وجد ضمن تركة أبي عمران الفاسي الكبريت الأحمر، وشتراه المعز بن باديس فرده إلى بيت المال، وعلق ابن ناجي على ما سبق بقوله:"فهذا مما يدل على أنه ليس كيمياء ترجع إلى أصلها...ولو كانت كل كيمياء ترجع إلى أصلها لما أمر المازري باختيار ما صنع منها...".[1]

وأصدر ابن أبي زيد القيرواني فتاوي في هذا العلم سئل عنها، من بينها: "أيجوز البحث عن عمل الكيمياء والنفقة على طلبها؟ وهل يؤجر على النفقة وعلى نصبه وتعبه أم لا؟ وهل يسوغ إطلاق اللفظ بالكناية عن فائدتها بالماء الإلاهي؟ أم هذا اللفظ موهم لا يحل النطق به؟، وكان جوابه "الذي يظهر لي أن طلب ذلك من السفه والنفقة عليه إضاعة المال لعدم الإصابة في ذلك، والله أعلم".[2]

لم يعثر على فقهاء مالكية المغرب الأوسط ممن اهتم بالكيمياء إلا أبا الحسن علي بن القاسم بن محمد التميمي المغربي القسنطيني المتكلم الأشعري وقال عنه ابن عساكر أنه "كان يذكر عنه أنه كان يعمل كيمياء الفضة"،[3] من المحتمل أن المصادر قد أغفلت عن ذكر مؤلفاتهم، وخير مثال بعض مخطوطات لفقهاء المغرب الأوسط لم يرد ذكرها المصادر، لكنها وجدت في المكتبات مثل مخطوط أبو جعفر الداودي وابن النحوي والمتيجي في علم الفلك، وقد أشار المستشرق فيرو في دراسته عن بجاية أنها كانت مقصدا لطلاب لدراسة العلوم من بينها الطب عند أشهر العلماء في ذلك العصر.[4]

ج-الفلك والتنجيم

من المشهور عن الإمام مالك بن أنس أنه كان قدوة للمشارقة والمغاربة عامة والمغرب الأوسط خاصة، في ملبسه ومشربه وقيامه وجلوسه...، وفي علمه، فكانوا حارسين على

---

[1] – الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.82؛ جمعة شيخة، المرجع السابق، ص.49-50.

[2] – نفس المصدر، ج.3، ص.83.

[3] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج.43، ص.135.

[4] – op, cit., pp.14-15.

إتباع كل ما يقوم به فيقلدونه، فكان سفيان الثوري" يتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه، كلما فعل مالك شيئا فعله"، وقال ابن عيينة:"ما نحن من مالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك"، وقال الشافعي:"مالك أستاذي ومالك معلمي، وعنه أخذنا العلم".[1]

وعلم الفلك من العلوم التي اهتم بها الإمام مالك، فألف كتاب"**النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر**" وهو جيد مفيد جدا، واعتبره من جاء بعده من فقهاء مالكية بلاد المغرب أصلا اعتمد عليه، منهم الفقيه أبو محمد بن مسرور القروي، وأدخل ابن عبد البر في كتاب "**الاستيعاب**" جميع أقوال مالك، واتبعه في ذلك الفقيهان أبو عبد الله المعيطي وأبو عمر المكوي في كتابهما.[2] ووصلت رواية كتاب مالك إلى بلاد المغرب عن طريق عبد الله ابن نافع الصائع الذي انفرد بروايته وسمعه منه الإمام سحنون، ورواه القاضي عياض عن شيوخه بطرق مختلفة بسند سحنون عن ابن الصائغ عن مالك، بسند صحيح ورواته كلهم ثقات.[3]

إن النصوص المتعلقة بعلم الفلك وتطوره بالمغرب الأوسط قليلة جدا إذا لم نقل منعدمة، وقد ثبت عن البيت الرستمي أنهم أصحاب علم في فنون الأصول والفقه، والتفسير وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم،[4] وقبل أن يبلغ الإمام أفلح ابن عبد الوهاب (190-240هـ/806-854م) الحلم حلق أربعا، وبلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما،[5] حتى أنه كان يناقش أخته في الحساب، والتي كانت بارعة فيه بل فاقته في الحجج فاعتد برأيها.[6] وحذا ابنه محمد حذوه فكان "ممن بلغ الغاية والنهاية في النجامة"، وفي الحساب.[7]

وأشارت بعض النصوص أن فقهاء بلاد المغرب اهتموا بعلم التنجيم، فقد نقل الدباغ عن كتاب"**التاريخ**" لابن فروخ الجياني أن ابن الحارث الخشني حقق قبلة جامع بلدتهم لما وجد فيها تحريفا، ومناطق أخرى ببعض الثغور ولم يعترض أحد بما فعله بل قاموا بتشريقها،[8] وكان الفقيه أبو محمد عبد الله بن التبان من الفقهاء الراسخين والمبرزين ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لمعرفته بعلوم شتى من بينها علم النجوم.[9]

---

[1] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.1، ص.168،171.

[2] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.2، ص.91.

[3] - نفسه.

[4] - أبو زكريا، المصدر السابق، ص.99.

[5] - نفس المصدر، ص.136.

[6] - نفسه.

[7] - نفس المصدر، ص.146.

[8] - الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.81.

[9] - نفس المصدر، ج.3، ص.89.

وفي المغرب الأوسط أورد ابن عذارى نصا عن قبائل مدينة تلمسان الذين كان " أكثرهم فرسان يركبون الخيل، ولهم معرفة بارعة، وحذق، وكياسة، لا سيما بعلم الكتف".[1]وقد سئل الداودي عن النظر في الأكتاف؟ فأجاز ذلك إذا لم يدّع الغيب وقصد العلم،[2] وحسب النصوص المصدرية فإن اهتمام مالكية بلاد المغرب عامة بعلم الفلك كان في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وقد اجتهدوا في وضع مؤلفات فيها، منها ما بقيت مخطوطة في المكتبات، ومنها ما فُقد أصله وأشار إليها من جاء بعدهم في كتبهم، وهو ما قام به الفقيه أبو علي المتيجي[3] في كتابه.

اعتمد المتيجي على أراء الإمام مالك بن أنس، وجملة من فقهاء المالكية المشارقة والمغاربة من بينهم ابن وهب وأشهب(ت.204هـ-820م)، وابن حبيب، وسحنون، وعيسى ابن مسكين، وابن أبي زيد القيرواني، وأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، وأبي عمران الفاسي، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي ذر الهروي، والسيوري، وابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي،[4] وأبي إسحاق التونسي، وأبي الفضل النحوي وغيرهم.[5]

ويلاحظ أن من بين هؤلاء الفقيه أبو جعفر الداودي المسيلي الذي اشتهر بغزارة مؤلفاته الفقهية والحديثية منها مخطوطة والمحققة، والمفقودة ذكرتها المصادر والدراسات المعاصرة، منها ترجمات مختصرة وأخرى مسهبة، ورغم ذلك أغفلت المصادر عن اهتمامه بعلم الفلك ولم يشر إلى كتابه في "رسم القبلة والتوجه إليها في كل بلدان القبلة فيما دون مكة".[6] عقب المتيجي على أراء أبو جعفر الداودي في "رسم القبلة والتوجه إليها في كل بلدان القبلة فيما دون مكة إلى المغرب من البلدان يستقبل موضع زوال الشمس في الشتاء"، بأنها فاسدة وبين

---

[1] – المصدر السابق، ج.1، ص.200؛ وعلم الأكتاف هو: علم يبحث عن الخطوط والأشكال، التي في أكتاف الضأن والماعز، إذا قوبلت بشعاع الشمس، من حيث دلالتها على: أحوال العالم الأكبر من: الحروب، والخصب، والجدب، وقلما يستدل بها على الأحوال الجزئية لإنسان معين، حيث يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه، ويلقى على الأرض أولا، ثم ينظر فيه، فيستدل بأحواله من: الصفاء، والكدر، والخمرة، والخضرة، إلى الأحوال الجارية في العالم، (انظر: طاش كبرى زاده، المرجع السابق، ج.1، ص.328؛ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.141).

[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ج.5، ص.189.

[3] – قامت الباحثة نصيرة عزرودي بعدة دراسات عن المتيجي وكتابه "**دلائل القبلة**". منها: "**تطور علم الفلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى**"، أطروحة دكتوراه، إشراف شخوم سعدي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 1436-1437هـ/2015-2016م؛ و"علم الميقات بالمغرب دلائل القبلة لأبي علي المتيجي(ق.6هـ-12م) أنموذجا" **بحث منشور بالمجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية**، س.1، ع.3، ربيع الأول 1436هـ-جوان2016م؛ وتح ودرا. مخطوط "دلائل القبلة لأبي علي المتيجي" من علماء الجزائر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، منشورات الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، 2017م.

[4] – المتيجي، المصدر السابق، ص.106.

[5] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.128؛ المتيجي، المصدر السابق، ص.32-34، 37-38، 92، 99، 131-132؛ نصيرة عزرودي، **تطور علم الفلك**، ص.60-61.

[6] – المتيجي، المصدر السابق، ص.156.

ذلك وانتهى أن "لكل بلدة قبلة وعلامة على قبلتهم تخصهم دون غيرهم"، ثم قال:" فتأمل ذلك يظهر فساده".[1]

وعقب مرة ثانية على قوله في "رسم قبلة الإسكندرية ومصر وما وراء ذلك من بلدان ميزاب"،[2] وقوله في الفصل الثاني من الكتاب الذي لم ينسبه إلى قائل معين وهو:"أن الشمس إذا وقفت وسط السماء نصف النهار في أطول يوم من السنة كانت على رأس مكة، فمن استقبل الشمس في ذلك الوقت قابل مكة"،[3] وختم المتيجي تعقيباته على الداودي بقوله" فاسدة كثيرة في رسم كتاب القبلة للداودي-رحمه الله- فاحذر بجهدك ولا تشتغل به ولا تطالعه فيسوقك إلى الخطأ في القبلة كما ذكرت"، قد يكون المتيجي أصاب في تعقيباته على الكتاب، لكن الداودي قد يعذر في اجتهاده إذ لا شيخ له حسب فقهاء القيروان، والذي لا شيخ له أخطاؤه واردة، والسؤال المطروح هل الإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني وغيرهما من المغاربة ممن زاروا المشرق يخطأ في رسم القبلة؟. وهما ممن يشهد لهما بالعلم ولم يضاهيهم أحد من المغرب أو المشرق، كما لم يثبت أن أحدا ممن عاصرهما أو جاء بعدهما شكك في اجتهادهما.

أشار المتيجي إلى "**كراسة في كيفية استخراج القبلة في المغرب الأقصى**" لأبي الفضل النحوي التوزري، الذي جعل فيه "الحس والحساب في استخراج القبلة" للمغرب الأقصى يحتمل أنه ألفها عند إقامته بمدينة فاس وتحليقه في مسجد بني الكساد، ومسجد النحاسين،[4] اللذان لم يشر إليهما التادلي أثناء ترجمته لأبي الفضل النحوي.[5]

لم يكتف المتيجي في التعقيب على أراء الداودي والإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني وأبي عبد الله بن يونس في قبلة بعض الجوامع،[6] فقد عقب أيضا على أراء أبي الفضل النحوي في كراسته حول القبلة، وذهب إلى بتوخي الحذر في الأخذ عنه ولا يعتد بكلامه.[7]

وكان أبو الحسن علي بن أبي الرجال التاهرتي الشيباني رياضيا، وفلكيا، ومنجما، داع صيته في المغرب والأندلس وكان يعرف باسم Abenragel أوَ Alboacen أو

---

[1] - نفس المصدر، ص.156-157.

[2] - المتيجي، المصدر السابق، ص.157-158.

[3] - نفس المصدر، ص.159.

[4] - لم يعثر على هذه المساجد في المصادر، يبدو أن المتيجي لم يرد الإفصاح عن اسمها الصحيح، إلا أنه ذكر موقعها فالأول مسجد بني الكساد:"المعمول على الزقاق أول الزقاق الكولاني الذي غاربه الغربي يقابل أبواب البلاطات الجوفية التي في جامع الأندلس مقابلة مقيمة"، والثاني مسجد النحاسين"بين الكريتين الذي قبلته عرض الوادي الجاري بين الدستين"، (انظر: المتيجي، المصدر السابق، ص.162)، يبدو أن المتيجي كان له مغزى من طريقة تعريفه لهذه المساجد.

[5] - المصدر السابق، ص.97-98.

[6] - نفس المصدر، ص.152 وما بعدها.

[7] - نفس المصدر، ص.162.

واشتهر بكاتبه"**البارع في أحكام النجوم**"[1] ترجمه يهوذا بن موسى(Yahudā Albohazen b.Moshe) سنة 654هـ-1256م من العربية إلى اللغة الإسبانية ومنها إلى اللاتينية بطرس الرجوي(Petrus de Regio) وايجيديوس التبالدى(Aegidius de Tebaldis)، وطبعت ترجمته عدة مرات بعد أن طبعت بالبندقية سنة 787هـ-1385م، وأول ترجمة باللاتينية قام بها قسطنطين الإفريقي قبل سنة 480هـ-1087م، وطبع الكتاب عدة مرات في ترجمته اللاتينية منذ سنة 890هـ-1485م،[2] جمع المؤلف في الكتاب: معاني في علم النجوم وغرائب أسرارها إذ يقول في مقدمة الكتاب:"هذا كتاب جمعت فيه من معاني علم النجوم، وغرائب أسرارها، وأخذته من كثير من كتب علمائها، وأضفت إليه ما أنتجه فكري وأدت إليه تجربتي، وإن كانت صناعة النجوم أكثر وأعظم من أن يحاط بها..."،[3] وشارك في الأرصاد التي قام بها الكوهى أبو سهل وَيجن بن رستم في بغداد في صفر سنة 378هـ-988م بأمر من السلطان البويهي شرف الدولة.[4]

رتبــه المؤلف في ثمانيــة أجزاء تبحث فــي البروج وطبائعهــا وأحوالهــا، الأجزاء الثلاثــة الأولــى هي فــي مواليد وجزء في تحويـل سنــي المــواليد وجزء في الاختيــارات والجزء الأخير في تحويــل سنــي للعالــم، تتضمن النسخــة الموجــودة بالعراق علــى جزئين الأول والثانــي.[5]

ومن مؤلفاته أيضا: "**حل العقد وبيان الرصد**"، وحسب الدراسات التي قام بها المستشرق المتخصص فــي علم الــفلك خوليو ســامسو وغيره فإنــه مفقــود.[6] و"**أرجــوزة في الأحكام الفلكية**"،[7] طبعت في آخر كتاب كغاية الطالب في الأحكام الفلكية لغزال الموسى وشرحها

---

[1] – نسخة من الكتاب بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1516 مكتوب على الصفحة الأولى تحبيس محمد بن حسن خوجة على أولاده ثم على جامع كتشاوة بتاريخ أواسط جمادى الثانية لعام 1239هـ-1824م؛ رابح بونار، المرجع السابق، ص. 124؛ وانظر أيضا: الملحق رقم (33).

[2] – الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.172.

[3] – حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.1، ص.217؛ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس، **مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي**، دار الرشيد، العراق، 1982م، ص.18؛ رابح بونار، المرجع السابق، ص.124.

[4] – النديم، المصدر السابق، ص.341-342؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.4، ص.219،226؛ رابح بونار، المرجع السابق، ص.122؛ الشاذلي بويحي، المرجع السابق، مج.1، ص.170.

[5] – مخطوط تحت رقم 13، بالعراق، (انظر: أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس، المرجع السابق، ص.18).

[6] – محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين**، ص.345؛ "حول المصادر الفلكية الأندلسية والمغربية العمل المنجز"، ومشروعات للبحث المستقبلي، مقال من كتاب تحقيق مخطوطات العلوم في التراث، **أبحاث المؤتمر الرابع**، تحرير إبراهيم شبوح، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مدريد، 1997م، ص.136 نقلا عن نصيرة عزرودي، أطروحة دكتوراه إشراف شخوم سعدي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس، 1436-1437هـ/2015-2016م، سيدي بلعباس، ص.47)

[7] – وسميت أيضا"**أرجوزة في الأحكام النجومية**" و"**المنظومة الحسابية في القضايا النجومية**"، توجد عدة نسخ في المكتبات المغربية والدولية منها: بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 482 و2979، وبمكتبة الصبيحة بسلا بالمغرب تحت رقم 309/1، والمكتبة العامة تحت رقم 2574(D930)، وبالمكتبة السليمانية بعنوان"**شرح أرجوزة الحساب**" تحت رقم لا له لي2737، ورقم أسعد أفندي 1996، (وانظر أيضا: ابن قنفد، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تح. عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، المملكة السعودية، 2003م، ص.42-43).

أحمد بن الحسن بن القنفذ القسنطيني سنة 774هـ-1373م،[1] وكتب على المخطوط "وهو صاحب البارع وهذا منتخب البارع لو أتقن ما فيها لاستغى عن البارع،[2] و"**أرجوزة في دليل الرعد على شهور العجم**"[3] لرصد ظواهره وأحداثه في حوالي 148 بيت حسب فهرس المكتة العامة بالرباط.[4]

والمزاول هي آلات تستعمل لمعرفة الوقت، وارتبط اسمها بالزوال والزوال هو وقت الظهر نسبة إلى خط الزوال، وبالساعة الشمسية لارتباطها بالشمس،[5] ويحتفظ متحف الفنون الإسلامية برقادة بتونس على مزولة تعود إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، من صنع الفقيه أبي الحسن بن أبي الرجال التاهرتي.[6]

ويلاحظ مما سبق أن فقهاء مالكية المغرب الأوسط كان لهم دور كبير في مشاركة نظرائهم في علم الفلك والتنجيم في المغرب والأندلس... ولهم تآليف، وأشار المستشرق فيرو إلى ذلك في دراسته،[7] ولا يمكن حصر المهتمين به والمؤلفات المشار إليها بالعدد المذكور، ويمكن اعتبار ميول عبد الحليم عويس فيما قاله من أن:"هناك كثيرين غير هؤلاء اهتموا بهذه الدراسات التجريبية، وأن يد الإهمال والنسيان، وإيثار العلوم العربية والإسلامية، والغربة والرحلة، والقلق الذي كان من مميزات العصر...هذه العوامل كلها قد أثرت كثيرا على جهودهم في كثير من فروع العلم"،[8] ورغم ذلك يظهر أن هذا العلم لقي إقبالا من خيرة الفقهاء.

---

[1] - توجد ثلاث نسخ تحتوي شرح ابن قنفد في المكتبة العامة بالرباط. (انظر: فهرس المكتبة العامة، ص.310-311)؛ و(انظر أيضا: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 944 ك نقلا عن نصيرة مزهودي، **تطور علم الفلك**، ص.75؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.4، ص.227؛ رابح بونار، المرجع السابق، ص.122، الشاذلي بويحي، المرجع السابق، ص.172).

[2] - ابن خطيب القسنطيني، **شرح أرجوزة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم أسعد أفندي 1996، و.1.

[3] - توجد نسخة منه الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2573(D1683)، (انظر: عبد الله الرجراجي و ي.س علوش، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة**، الرباط، ج.2، 1921-1953م، ص.310؛ بروكلمان، المرجع السابق، ج.4، ص.227).

[4] - نفسه؛ و(انظر أيضا: نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص. 150،234. مخطوط تم تحميله من موقع يوسف زيدان للمخطوطات، أصلها من مكتبة الأكاديمية الملكية بقرطبة-قسم الفلك- مخطوطات، موقع التحميل Zeidan.com).

[5] - نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص.182.

[6] - والمزولة تحت رقم 745وهي بلاطة من الرخام الأبيض الرمادي ذات شكل مستطيل(100سم×50سم)، مهيأة أفقيا يبلغ سمكها 6.5 سم، (انظر: نفس المرجع، ص.187) وانظر أيضا: الملحق رقم (30).

[7] - Féraud(L.C.), op, cit., pp.14-15.

[8] - **دولة بني حماد**، ص.271.

د- الرياضيات

1- الحساب

اعتبر ابن خلدون علم العدد وعلم الحساب والفرائض والمعاملات من فروع الرياضيات،[1] والحساب عنده من العلوم الضرورية في الشرع الإسلامي.[2] وتسبق الشعر وأخبار العرب وأنسابهم، ووضع ابن سحنون تعليم الحساب ضمن القسم الثاني، من الفنون التي استحسن تعليمها الصبيان في الكتاب، ولم يجبر المؤدب في أن تكون ضمن برنامجه التعليمي، إلا إذا اشترطها ألأولياء وتمّ الاتفاق بينهما حول ذلك.[3] ونصح القابسي المعلمين في برنامجه تلقين الصغار الحساب، بل اعتبره إجباريا لأهميته.[4] وقال عن المعلم:" ينبغي له أن يعلِّمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له إلاَّ أن يشترط عليه ذلك".[5]

فالناس بطبيعتهم يحتاجون إلى الحساب في معظم تعاملاتهم، لذا كان تداوله في الأمصار وتعليمه الصبيان، ومن أحسن التعليم الابتداء به لأنه "معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب"، فيغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني، بمناقشة النفس فيصير ذلك خلقا يتعود عليه.[6]

ورصدت بعض كتب البرامج فقهاء من المغرب الأوسط اهتموا بعلم الحساب، لكن عددهم كان قليلا جدا إذا ما قورن بغيرهم من عدد فقهاء المدن المجاورة، ومن هؤلاء: ابن أبي الرجال التاهرتي الفقيه الشاعر الفلكي،[7] وعلم الفلك له ارتباط وثيقا بعلم الحساب فمن خلاله يحسب عدد الأيام في الشهر، ويعتمد على الحساب الفلكي في شهر رمضان مثلا للتحقق من صحة أول رمضان وأول يوم شوال، لذلك أمر الله تعالى عباده في آية الصوم بقوله﴿صموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكن فأكملوا عدة شعبان ثلاثين﴾،[8] ونقل القرطبي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وابن قتيبة من اللغويين فقالا:"يعول عَلَى الْحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها في صوم رمضان حتى إنه لو كان صحوا

1 - ابن خلدون، **المقدمة**، ص.630، 635.
2 - ابن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، ص.47.
3 - نفس المصدر، ص.91.
4 - القابسي، **الرسالة المفصلة**، ص.20، 113.
5 - نفس المصدر، ص.113.
6 - ابن خلدون، **المقدمة**، ص.635.
7 - رابح بونار، المرجع السابق، ص.121.
8 - سورة البقرة، الأية 185.

لرؤي".[1] وروى ابن نافع عن الإمام مالك في الْإمام لا يصوم لرؤية الهلال ولا يفطر لرؤيته، وإنما يصوم ويفطر على الحساب.[2]

ويعتمد في معرفة بعض الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون ككسوف الشمس وخسوف القمر، أو دوران الشمس والقمر أو غيرهما من المسائل الفلكية على علم الحساب، ومما سبق ذكره أن الداودي اهتم بعلم التنجيم وألف فيه، وهو يعتمد على الحساب في بعض تفسيراته الكونية، فقد فسر قَوله تعالى﴿فَاقْدُرُوا لَهُ﴾، أَيْ قَدِّرُوا الْمَنَازِلَ. ويستدل ذلك من رأي القرطبي في تفسير هذه الآية فقد اعتبر تفسير الداودي من أقوال المنجمِينَ.[3]

واهتم أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عمرون الوهراني بالحساب أيضا،[4] ولم يقتصر هذا العلم في المغرب الأوسط على المالكية دون الشافعية منهم: علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي(ت.551هـ-1156م) وبعدما تعلم عن فقهاء القلعة رحل إلى المشرق وأخذ عن كبار فقهائها منهم علي الفرج الخويي،[5] قال عنه السمعاني:"إمام فاضل عالم بالمذهب، بحر في الحساب".[6]

ويعتبر علم الفرائض(المواريث) من أهم العلوم الشرعية، وقد اعتنى بها الخليفة عمر بن الخطاب، لأنها تحفظ حقوق الناس في الميراث، لذلك أفتى في ميراث الجدة لعدم وجود نص شرعي، فاجتهد الخليفة وبإجماع الصحابة منحها السدس من الإرث، واعتنى الصحابة ومن جاء بعدهم في تقسيم الميراث على مستحقيه اعتمادا على عمليات حسابية حسب ما نص عليه القرآن والسنة وما اجتمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم جميعا.

واشتغل الفقهاء المغاربة الأوائل بعلم الفرائض، ووضعوا فيه مؤلفات من أهمها "**كتاب الفرائض**" لعبد الملك بن حبيب،[7] وكتاب"**الفرائض**" خمسة أجزاء لمحمد بن

---

[1] – القرطبي، **جامع البيان**، ج.3، ص.154.
[2] – نفس المصدر، ج.3، ص.155.
[3] – نفسه.
[4] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ق.1، ص.298؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص.349.
[5] – ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج.6، ص. 263.
[6] – السمعاني، المصدر السابق، ج.5، ص.213؛ ابن ماكولا، المصدر السابق، ج.2، ص.228.
[7] – القاضي عياض، **المدارك**، ج.4، ص.128.

سحنون،[1] واعتنوا بها حيث خصص بعض الحكام للفقهاء منصبا في الدولة للإشراف عليها، وقد ولى الحكم المستنصر بالله(350-366هـ/961-977م) ابن حارث الخشني المواريث في الأندلس أثناء قدومه إليها.[2] واعتمد القرطبي أيضا في تفسير قوله تعالى﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ...﴾،[3] على بعض أقوال فقهاء المغرب والأندلس، من بينهم الفقيه أبو جعفر الداودي المسيلي، الذي لم يترك علما إلا واجتهد فيه و أخذ علم الفرائض حيزا من علمه، وقد قدر نصيب الغانمين في الآية بأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ،[4] وفي مسألة تقسيم الفيئ يخص الفقراء دون الأغنياء أو يقسم بينهم وهو ما كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)،[5] فقد اعتنى الداودي بهذه المسائل في كتابه، الأموال وخصص فصلا كاملا لما يجري على أيدي الأمراء من الأموال التي يلونها للناس وذكر الخمس،[6] ولأهمية هذا الأخير أضاف فصلا آخر ذكر فيه كيفية تقسيم الخمس ومن ذوي القربى،[7]وهي من المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة وظهرت بوادره في بلاد المغرب وعاشها الداودي ممّا اضطر به إظهار السياسة المالكية التي تقوم بها الدولة الفاطمية وتبيين مذاهب علماء السنة من خلال كتابه الأموال يمكن تسميته بكتاب "**الاقتصاد**" ذلك أنه شمل جوانب عديدة من المعاملات المالية.

ورغم أهمية علم الفرائض لم تشر المصادر إلى تآليف فقهاء المغرب الأوسط، وقد يكون الباحث عبد العزيز الصغير دخان الوحيد الذي جمع مسائل الميراث التي أفتى فيها الداودي.[8] ويحتمل أن الفقيه موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري سمع بعد عودته من رحلته المشرقية سنة 535هـ-1141م من الفقيه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن نصرون الأزدي البلنسي نزيل بجاية علم الفرائض فهو يعتبر من المهتمين بها.[9]

---

[1] - أشار حسن حسني عبد الوهاب إلى وجود نسخة بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم 15106/4(3262/4 أحمدية)، وكذلك مكتبة جامعة ملك سعود بالرياض تحت رقم 5086، (انظر: **العمر**، ص.591).

[2] - القاضي عياض، **المدارك**، ج.6، ص.267، الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.82؛ شيخة جمعة، المرجع السابق، ص.46.

[3] - سورة الأنفال، الآية 41.

[4] - القرطبي، المصدر السابق ، ج.10، ص.8.

[5] - نفس المصدر، ج.20، ص.352.

[6] - المصدر السابق، ص.65-97.

[7] - نفس المصدر، ص.101-110.

[8] - المرجع السابق، ج.2، ص.343-345.

[9] - ابن الأبار، **التكملة**، ج.1، ص. 54؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س.1، ص.143؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج.1، ص.205.

ويبدو أن ما ذكره الغبريني عن عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني أن له "تأليف في علم الفرائض منظوم وتواشيحه في نهاية الحسن،[1] أو ما ذكره عن أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي الذي تعلم عنه ببجاية وله علم بالفرائض لم يسبقه أحد، وقد وضع تأليفا فيه وهو "من أحسن التصانيف وأجل التآليف ولعمري أن كتابه في علم الفرائض المسمى ب "**الوافي**"، وعلل الغبريني كلامه ذلك أنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأحسن بيان.[2]

ولأبي محمد عبد الله بن علوان البجائي نظم في الفرائض اتبع فيها طريقة المالكية،[3] ونظم إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله التلمساني(ت.697هـ-1298م) "المنظومة الشهيرة في الفرائض"تحتوي على 840 بيتا، وهي أرجوزة "لم يؤلف مثلها"،[4] ولأهميتها اعتنى الكثيرون بوضع شروح عليها ذكرها محمد العلمي في كتابه،[5] وتوجد منها نسخ من مخطوطة في بعض المكتبات.[6]

ومما سبق يلاحظ أن فقهاء القلعة لم يضعوا تآليف في علم الفرائض ماعدا النزر القليل في الفترة المدروسة لكن هذا لم يمنع من أنهم تعاملوا بها في تقسيم الإرث، كما أن دراسة علم الرياضيات والحساب ماهي إلا وسيلة للوصول إلى القسمة الصحيحة والعادلة لمستحقيه، واعتناء علماء بجاية بهذا العلم في المائة السابعة هو استمرار لما وجد من قبل.

2-الهندسة

بالفارسية "أندازه" وتعني المقياس. وطبقت هذه الكلمة في البداية على علم الهندسة التي أحد فروع الرياضيات.[7] وأغفلت النصوص المصدرية ذكر مهندسين من المغرب الأوسط، غير أن الإنجازات التي أقيمت بالمغرب الأوسط ربما تدل على تخصص بعضهم في هذا المجال والدليل على ذلك أن زيري بن مناد عندما أراد بناء مدينة أشير سنة 324هـ-936م،

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.21؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج.2، ص.287 ؛ عادل نويهض، **أعلام**، ص. 242.

[2] – نفس المصدر، ص.70-71.

[3] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.147.

[4] – ابن مخلوف، المرجع السابق، ج.1، ص.496؛ محمد العلمي، **الدليل**، ص.425.

[5] – **الدليل**، ص.432-433.

[6] – يوسف حسين، **فهرس مكتبة زاوية علي بن عمر**، دار التنوير، طولقة، الجزائر، ص.238

[7] – لطف الله القاري، "ريادة القيروان في تاريخ العلوم والتكنولوجيا"، ندوة القيروان من 20إلى 25 أفريل 2009 ضمن **كتاب إشعاع القيروان عبر العصور**، وزارة الثقافة، قرطاج، 2010م، ج.3، ص.903.

أحضر البنائين والنجارين من المدن المجاورة لها، من حمزة والمسيلة وطبنة،[1] وهؤلاء البنائين والنجارين لهم شيء من المعرفة بالهندسة فقد "كان أئمة الهندسة اليونانيين كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوقليدوس صاحب كتاب الأصول في الهندسة نجارا وبها كان يعرف. وكذلك أبلُنيوس صاحب كتاب المخروطات ومِيلاوُشُ وغيرهم "حسب ابن خلدون،[2] لكن قد تكون خبرتهم في هذا المجال ناقصة مما اضطر لطلب مساعدة القائم بأمر الله ليزوده بالصناع، فبعث إليه بمهندس معماري يقال إنه لم يكن في إفريقية أعلم منه،[3] ومهما يكن الهدف من بنائها، إلا أن زيري ومن معه من البنائين والنجارين استفادوا من خبرات الفاطميين في بناء المدينة، وأصبحت فيما بعد تعج بالعلماء والفقهاء والتجار من كل النواحي و"ضرب زيري السكة وبسط العطاء في الجند وجعل لهم الأرزاق".[4]

يبدو أن سكان المغرب الأوسط تطورت معرفتهم بالهندسة، وظهر ذلك جليا في حركة البناء والتعمير التي شهدتها القلعة الأولى ثم بجاية فيما بعد، فقد أبدع أمراء القلعة الأوائل في الحركة العمرانية بتشييد القصور والمساجد،[5] وبناء القلعة ماهو إلا إبداع من سكان المنطقة، فكانت في طليعة التقدم التقني والفني في القرن الحادي عشر"،[6]وكان هذا قبل انتقال أهل إفريقية إليها مما يدل على تفوقهم في الهندسة المعمارية ومعرفتهم بالتقنيات الهندسية.[7]

ونتج عن دخول بني هلال إلى القيروان هجرة سكانها، وعلمائها، والمهندسين والحرفين... إلى القلعة،[8] وقد وصفها البكري بأنها أصبحت مقصدا للتجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب"،[9] وبهذا تكون القلعة قد استفادت من الوافدين إليها في بناء القصور والمساجد.

---

[1] – النويري، المصدر السابق، ص. 305؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.48.

[2] – خصص ابن خلدون في كتابه فصلين وهما: الخامس والعشرون والسادس والعشرون حول أصحاب الصناعة كالبنائين والنجارين والحدادين الذين لهم معرفة بالهندسة بالضرورة، (انظر: **المقدمة**، ص.509–516).

[3] – النويري، المصدر السابق، ص.304–305؛ علاوة عمارة، **ابن شداد**، ص.70؛ إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.41 وما بعدها؛ وعن المدينة وبناءها في المصادر، (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص.89؛ البكري، **المسالك**، ص.60–61؛ الحموي، **البلدان**، ج.5، ص202–203؛ George (M.), ‹‹Achir››, **revue Africaine**, Vol.63, Alger, 1922, pp.22-38.

[4] – النويري، المصدر السابق، ص.305.

[5] – ابن الخطيب، **أعلام الأعلام**، ص.71.

[6] – عبد الحليم عويس، **بجاية**، ص.271.

[7] – إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، ص.170؛ Hady (R. I.), **La berbèrie orientale**, p.267.

[8] – عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.15؛ op. cit., pp.267-268.

[9] – المسالك، ص.49.

وقام العديد من الباحثين بدراسات أثرية حول عمران القلعة وبجاية،[1] منها دراسة الباحث بورويبة الذي توصل في تقسيم المباني إلى: عسكرية ودينية ومدنية. وتتمثل المباني العسكرية في السور وباب البحر وشوف الرياض، وهذا الأخير هو برج يحرص ثلاثة أبواب منها باب البنود، أما مباني قلعة بني حماد: فهي السور وباب الأقواس، وباب المنار.[2] وتتمثل المباني الدينية في المساجد التي اشتهرت بها بجاية منها: الجامع الأعظم، ذكره الغبريني في عدة مواقع من كتابه، وتعمق المستشرق فيرو في دراسته حيث وضع تعريفا دقيقا بوصف أشكاله الهندسية ومقاييسه وأبعاده من ارتفاع وعرض وغيره.[3]وجامع القصبة الذي كان يجلس به الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي لإحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان، [4] ومسجد الريحانة الذي نزل به المهدي بن تومرت لما حل ببجاية،[5]ومسجد ملالة الذي بناه أهلها للمهدي والتقى به فيما بعد بعبد المؤمن بن علي[6] ومسجد النطاعين[7]، ومسجد صغير بقصر المنار عثر عليه الباحث بورويبة أثناء دراسته حول الحفريات وبين عن طريقها أنه "مسجد صغير بني داخل بيت الصلاة" وبذلك وحسب رأيه أن البناء ليس مقصورة كما زعم سلاين و دوبيلي(Général de Beylié) كما أرفق بحثه بتصاميم هندسية.[8]

أما المباني المدنية فتمثلت في القصور البديعة الجمال "من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراءون أحسن منها بناء ولا أنزه موضع"،[9] وقد كتب عنها الكثيرون من مؤرخين وجغرافيين وشعراء من المتقدمين والمعاصرين للدولة منها: قصر بلارة بناه الناصر بن علناس لابنة تميم بن المعز،[10] وقبل رحيل الحماديين إلى بجاية الذي كان سنة 461هـ-1069م بنى

---

[1] – كان بول بلونشي(Paul Blanchet) أول الباحثين والمستكشفين الفرنسيين آثار مدينة القلعة، وكان ذلك سنة 1897 وقدم نتائج حفرياته إلى أكاديمية التسجيلات والآداب الجميلة بباريس(Académie des inscription et Belles-Lettres)، ونشرت مجموعة من نتائجه الأولية في مقال نشر في المجلة التي تصدرها الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة تحت عنوان"تقرير حول الأعمال المنجزة في قلعة بني حماد"، (انظر: علاوة عمارة، "الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى، بين الذاكرة والتاريخ"، ضمن **كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، م2008، ص.118).

[2] – الدولة الحمادية، 201-208.

[3] – بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.208-209. Féraud (L.C.), op, cit., p.76 .

[4] – الغبريني، **الدراية** (ط. الجزائر)، ص.65،133؛ عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.24 وما بعدها.

[5] – البيذق، المصدر السابق، ص.13-14؛ عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.28.

[6] – أشار البيذق أن بني العزيز هم من طلبوا من ابن تومرت أن يبنوا له مسجدا"، ويحتمل أن المقصود من "بني العزيز" سكان بجاية من بني ملال، (انظر: المصدر السابق، ص16؛ رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.210).

[7] – الغبريني، **الدراية**(ط. الجزائر)، ص.79.

[8] – رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.210 وما بعدها.

[9] – **الاستبصار**، ص.130.

[10] – ابن الأثير، **الكامل**، ج.8، ص.415؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.300؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.211؛ عبد الحليم عويس، **بجاية الجزائرية**، ص.197.

الناصر بن علناس قصر اللؤلؤة وقال عنه ابن خلدون إنه:" من أعجب قصور الدنيا"، وأخذ مكان بنائها اسم "حومة اللؤلؤة" فأصبحت مكانا يتردد إليه فقهاء القلعة من بينهم أبو الحسن المسيلي وعبد الحق الإشبيلي البجائي وأبو مدين شعيب وأبو زكريا الزواوي، وشيد المباني بها وسماها "الناصرية".[1]

ولما أتم المنصور بناء قصر اللؤلؤة بعد وفاة أبيه الناصر "بنى المباني العجيبة المؤنقة وشيد المدائن العظيمة"، وبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام، وفي بجاية قصر النجمة وقصر أميمون[2]، واعتبر الجنيرال دوبيلي أن نص ابن خلدون مهم إذ أنه زودنا بأسماء وتاريخ بناء قصور القلعة، لكنه يرى أن التاريخ الذي ذكره ابن خلدون ليس دقيقا فمن الصعب أن يبني المنصور أربع قصور في القلعة في مدة زمنية قصيرة والتي حددت بسنة واحدة 482-483هـ/1089-1090م، فهو قام بعملية ترميم وتزيين القصور،[3] ولم يعلق محمود إسماعيـل على المجهود الذي قام به المنصـور في حركة البنــاء في الوقت الذي ازدهر فيه العمـران بالمغرب الأوسط وكان لا نظير له،[4] لكن البـاحث كريم عزوق مـال إلى رأي جولفـان (Golvin) بقوله :"الأرجح عقلا دون المبــالغــة في الأحداث أن تكون هذه المنجزات تخلد للمنصور خــلال السنــوات السبعــة عشر التي حكم فيهـا"،[5] ومهمــا اختلفت الدراسات في أرائها حول البناء إلا أنه لا يخفى من أن المنصور كان"مولعًا بالبناء فهو الذي حضر ملك ابن حماد وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور".[6]

ومهما يكن فإن مباني القلعة الحمادية من دور ومساجد وقصور ومراسي مختلفة الأشكال والأحجام[7] ماهي إلا دليل في تطورها في المجال العمراني في بلاد المغرب، ويبدو أن بنايات القلعة الحمادية أثرت وتأثرت بفنون المشرق والمغرب في هندسة البناء والزخارف والنقوش التي ظهرت عليها،[8] واجتهد بعض المؤرخون الأثريون من العرب والمستشرقين في

---

[1] – الغبريني، **الدراية**(ط.الجزائر)، ص.82،10؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.232؛ بورويبة، المرجع السابق، ص.245؛ عزوق، المرجع السابق، ص.6.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.232؛ بورويبة، المرجع السابق، 245؛ Debeylie (G.), op.cit., p.21

[3] Ibid, pp.21-22.

[4] – محمود إسماعيل، **دولة بني حماد**، ص. 199.

[5] – المرجع السابق، ص.104.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.232.

[7] – البكري، **المسالك**، ص.81 وما بعدها؛ إسماعيل العربي، دولة بـ**ني حماد**، ص. 255-265.

[8] – بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.247- 252.

وضع صور وأشكال هندسية للمساجد والقصور والقبور وحتى التزيينات منها ما عثر عليها بالقلعة والأخرى توصلوا إليها من خلال استنتاجاتهم.[1]

ونظم الشاعر ابن حميدس قصائد شعرية عن قصور القلعة واصفا جمالها ومقارنا بينها وبين ما شيده العرب، وكان شاهد عيان عليها وهو الذي هاجر إليها عند نزوح الهلالي إلى إفريقية ومنها أبيات عن قصر اللؤلؤة:

قصر لـــو أنك قد كحلت بنـــوره   أعمـى لعاد إلى المقام بصيرا

نسي الصحيح من المليـــح بذكره   وسمــــا ففاق خورنقا وسديرا

ولو أن بالإيـــوان قوبل حسنـــه   مــــا كان شيئا عنده مذكـورا

أعيت مصانعه على الفرس الأولى   رفعوا البنــــاء وأحكموا التدبيرا

ومضت علـــى الروم الدهـــور   وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا

وقال عنها وهو يخاطب المنصور:

أوجبت للمنصور سابقا العلى   وعدلت عن كســرى الوشـــروان

قصر يقصر وهو غير مقصر   عن وصفه في الحسن والإحسان[2]

ومدح ابن فكون بجاية بقصيدة اشتهر بها منها هذه الأبيات:

فحيثمــا نظرت راقت وكــــل نـوا   حي الدار للفكر للأبصار تنتقد

إن تنظر البر فالأزهـار يانعــــة   أو تنظر البحر فالأمواج تطرد

يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف   قل جنة الخلد فيها الأهل والولد[3]

ذكر التجاني أبيات شعرية لابن حماد الصنهاجي يندب فيها معالم بجاية بقوله:

معـــــالم هذه البلدة المنـــــار   وعين السلام وقصر العروسين

والمنــــار مني مطل عليهــــا   بنـــاه المنصور بن النـــاصر

وعين سلام عين بالوادي المعروف   بوادي جراوة بنـــواحي القلعـــة

أين العروســــان لا رسم ولا طلل   واين ما شاد منه القـــادة الأول

ومجلس النوم قد هب الزمــــان   له بحادث قل فيه الحادث البلل

وما رسوم المنار الآن مائلـــــة   لكنهــا خبر يجري بهــا المثل

بنـــاء يزدرى إيـــــواء كِسرى   لديــــه والخورنـــــق والسَّديرُ[4]

---

[1] – بورويبة، الدولة الحمادية، ص.255 وما بعدها؛ عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.197 وما بعدها؛ Debeylie, op.cit, pp.33-101 ; Golvin(L.) E.B, Hammadides, pp.3334-3345 ; Le Maghrib central, p.180-205.

[2] - بورويبة، **الدولة الحمادية**، ص.246- 251.

[3] - المرجع السابق، ص.314.

[4] - التجاني، الرحلة، ص. 117.

ومما سبق يظهر أن المباني التي شيدها حكام القلعة الحمادية هي تعبير عن تفوق في المستوى العمراني الذي وصلوا إليه، وعن مهندسين مهرة برعوا في مخططاتهم الهندسية وأبهروا من حولهم في معرفة ودراسة معالم هذه الدولة التي دامت تقريبا أكثر من قرنين ونصف من الزمن.

الخاتمة

نظرا لأهمية الدور السياسي الذي قامت به الدولة الحمادية في فترة معينة من تاريخها. فقد اهتم العديد من المؤرخين المعاصرين من العرب وغيرهم بدراسة التاريخ السياسي لهذه الدولة، وأهمل التاريخ الثقافي رغم ما عرفته هذه الدولة من ازدهار علمي في مختلف المجالات. فقد حفظت المكتبات المغاربية (المغرب الأدنى والأقصى) مجموعة من المخطوطات منها ما صنف وجعلت ضمن المخطوطات المستقلة، ومنها ما جاءت ضمن مجاميع تنتظر التحقيق ومنها ما هو مفقود، ومخطوطات أخرى منتشرة في العالم الإسلامي كالمكتبة الظاهرية بسوريا ومكتبة الملك فيصل بالمملكة السعودية ومكتبة الإسكندرية بمصر ومكتبات أسطنبول منها: المكتبة السليمانية التي تعد من أكبر مكتبات العالم إذ تحتفظ بعدد لا بأس به من المخطوطات منها ما نسخ في فترة قريبة من حياة المؤلف. وما يشد الانتباه أنّ المكتبة الوطنية الجزائرية تكاد تنعدم فيها مصنفات فقهاء مالكية قلعة بني حماد بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/والعاشر والثاني عشر الميلاديين حسب الأبحاث التي أقيمت عن فهرستها[1]. ورغم أنّ جل ما ألفه فقهاء مالكية المغرب الأوسط كان بالقلعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر مؤلفات الفقيه عبد الحق الإشبيلي البجائي التي ألفها في بجاية توجد بالمكتبة الوطنية منها أبيات شعرية لا يتعدى عددها 16 بيتا علما أنّ لعبد الحق ديوان شعر ومصنفات أخرى أشارت إليها بعض المصادر، وتحتوي مكتبات إسطنبول على نسخ من مخطوطاته.

تأسست الدولة الرستمية ذات المذهب الإباضي بالمغرب الأوسط بداية من القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، وساد التعايش السلمي بين سكانها رغم اختلاف انتماءاتهم المذهبية من سنيين وغيرهم، فقد فاق عدد الفقهاء المالكية ثلاثين فقيها، نبغوا في علوم عديدة كعلم القراءات والفقه والحديث واللغة وآدابها وخلفوا مؤلفات عديدة، ونقل بعض نصوصها من جاء بعدهم من ثقات بلاد المغرب كأبي العرب وابن عبد البر.

ولا شك أن الرحلات العلمية المشرقية والمغربية قد ساهمت في قسط وافر في إثراء معارفهم فقد تفقهوا فيها عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس وتلاميذه من بعده، وعن إمام أهل المدينة بالمغرب سحنون بن سعيد، وابنه محمد وبكر بن حماد والقابسي والأصيلي وابن أبي

---

[1]– انظر: فتيحة بونفيخة، الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية(دراسة تحليلية للمخطوطات التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي، مذكرة ماجستير، إشراف عبد اللطيف صوفي، جامعة الجزاير 2، قسم علم مكتبات، 1998–1999م.

زيد القيرواني ودراس وعبد الرحيم بن العجوز وأبي عمران الفاسي والإمام المازري القيرواني وأبي بكر بن العربي القاضي الإشبيلي. وقد زادهم علما حضورهم المجالس مثل مجالس أبي حامد الغزالي صاحب كتاب "**إحياء علوم الدينّ**" وأبي طاهر السّلفي صاحب كتاب"**معجم السفر**" وابن عساكر صاحب كتاب" **تاريخ دمشق**" وغيرهم من العلماء.

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تكوين مالكية القلعة وبجاية في ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين /العاشر والثاني عشر الميلاديين ما تمتعوا به من حرية شبه تامة في التنقل بين المدن المغربية والمشرقية والاحتكاك بشيوخها، باستثناء فترة حرب حماد مع المنصور، التي صب أثناءها غضبه على أهل بعض المناطق بما فيها فقهائها وغيرهم ممّن قصد القلعة.

ومن ناحية أخرى استفاد فقهاء مالكية المغرب الأوسط من قدوم العديد من فقهاء مالكية الأندلس إلى قلعة بني حماد التي كانت نتيجة للحوادث التي جرت بالأندلس كالفتن التي انتشرت أيام ملوك الطوائف، أو بغية أداء فريضة الحج أو الاستفادة من علم فقهاء القلعة أو نظرائهم ممّن حطّ رحاله بها من بلاد المغرب والمشرق، فمن هؤلاء من ترأس المجالس العلمية بالقلعة ومنهم من أخذ مكانا بأحد جوامعها أو مساجدها للتدريس أو للقضاء والفتوى، ولم يقف الحكام حائلا دون ذلك.

وقد كان للنزوح الهلالي، الذي خربت فيه مدينة القيروان وبعض المدن الأخرى التي مرّ بها الهلاليون، تأثير عميق إيجابي على قلعة بني حماد إذ اختار عدد كبير من فقهاء مالكية القيروان الرّحيل إليها، فكان فرار الفقهاء إلى المناطق الآمنة في الغرب الإسلامي أو المشرق هو السّبيل الأنجع للحفاظ على أنفسهم من القتل. وكانت القلعة من بين الأماكن التي هاجروا إليها لأنها كانت تتمتع بحياة علمية مزدهرة، كما لا يوجد بها أي عائق في مواصلة ما يطمحون إليه من تصنيف مؤلفات جديدة تخدم المذهب المالكي أو الحصول على إجازات من نظرائهم أو نشر ما كانوا يتمتعون به من العلم بين الفقهاء أو طلبة العلم.

وهكذا تأثرت بجاية بالحركة العلمية الأندلسية والقيروانية التي دخلت إليها عن طريق فقهاء مالكيتهم الذين حطوا الرّحال إليها كالمؤرخ أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي، صاحب كتاب "**بغية الملتمس**" أو ممّن استقر بالقلعة كالفقيه أبو الفضل النحوي وأبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي القروي الديباجي وأبو عبد الله محمد بن أبي فرج المعروف

بالمازري الذكي وأبو عبد الله بن عمار الكلاعي، وعبد الحق الإشبيلي البجائي وأبو مدين شعيب، أو ممّن اتخذها منطقة عبور إلى المشرق كالفقيه أبو بكر بن العربي ووالده، ويتجلى ذلك في المصنفات الفقهية والحديثية التي رووها أو سمعوها عن نظرائهم ببلدهم، أو عن طريق الكتب التي صنفها غيرهم ورويت بالقلعة وتحصل بعض الفقهاء على إجازات لمن توفرت فيه شروطها وسمحت لهم بروايتها عنهم. وكان للمجالس العلمية المغربية والمشرقية دور كبير في نشر المذهب المالكي وترسيخه من خلال الدّروس والمناظرات التي كانت تعقد بها ومن خلال أمهات الكتب المالكية كالموطأ والمدونة وغيرهما.

ونبغ في المغرب الأوسط فقهاء من أصحاب المذهب المالكي، وكان عددهم في تزايد مستمر من فترة إلى أخرى، وبين مدينة وأخرى، ومن هؤلاء من رحل إلى حواضر كبرى لبلاد المغرب والمشرق، وتحصلوا على رئاسة في إحدى فنون العلم فاستقروا بها كالفقيه أبو عبد الله بن الرّمامة بفاس، وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني بن قرقول الحمزي وابن حرب المسيلي بالأندلس وأبو محمد الصنهاجي الأشيري بدمشق والمازري الذكي بأصفهان، ومنهم من عاد إلى مدينته قلعة بني حماد بعد رحلة طويلة قادته إلى العديد من المناطق مغربا ومشرقا.

ومما يجب التأكيد عليه ما أضافه فقهاء مالكية المغرب الأوسط من تآليف في حقول المعرفية شتى إذ ترك فقهاء القلعة الحمادية مؤلفات في العلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه والأصلين، وفي العلوم الإنسانية والطبيعية كعلم اللغة وآدابها والتاريخ والطب والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم، تحدثت عنها كتب الفهارس والبرامج والطبقات والتراجم والرحلة والجغرافية منها ما حقق ومنها ما ينتظر رفع اللثام عنها ومنها ماهو في حكم المفقود. ونقل عن هذه المصنفات من جاء بعدهم من الفقهاء، والبعض الآخر روى عنهم كتبهم في المغرب والمشرق. وتمثلت بعض مؤلفاتهم في تفاسير أو شروح أو مختصرات أو جمعا لأول ما ألف في الفقه المالكي والحديث كالموطأ، والمدونة وصحيح مسلم والبخاري، وكتب السنن.

ونظرا لنبوغ بعض العلماء في الهندسة المعمارية والحساب اهتمت القلعة وبجاية بالعمران المتمثل في الدور والقصور والمساجد، فاشتهرت بالقصور منها: قصر المنار، وقصر النجمة، وقصر اللؤلؤة، وقصر أميمون، وبالجامع الأعظم، ومسجد النطاعين، وأسواقها كانت

وجهة التجار من كل حدب وصوب، فازدهرت بها الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية، فأصبحت بذلك ممّا يشدّ الرّحال إليها.

كما ظهر أيضا فقهاء اهتموا بعلم الفلك والتنجيــم ووضعوا فيها مؤلفـات حتى أن هناك من الحكام من كان يستشير هؤلاء العلماء ويقربهم أيه وخاصة في بعض المسائل الفقهية والفتاوى وقد أدت بعض هذه الفتاوى في تغيير السيــاسي لبــعض هذه الدول.

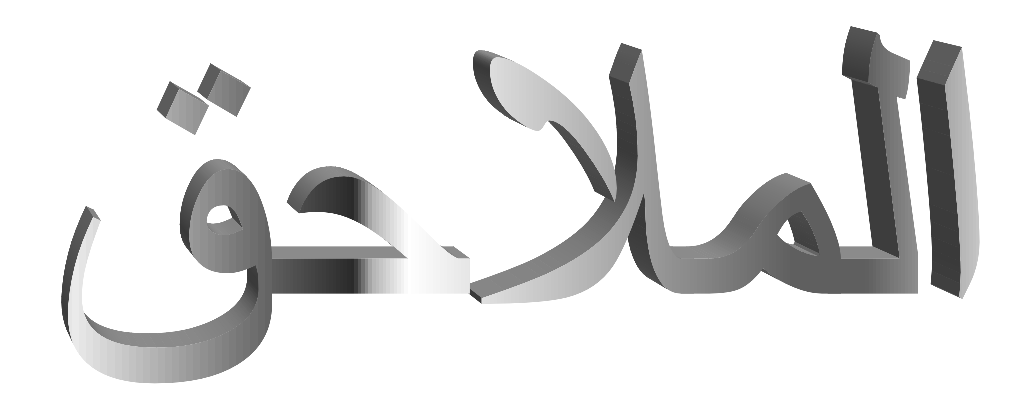
ونشير كذلك إلى تميز فقهاء القلعة عن غيرهم في مجال التأليف حيث كانوا يكتبون في مجالات مختلفة إلا أنّ إنتاجهم الفقهي المالكي كان ضئيلا جدا مقارنة بالعلوم الأخرى.

وما نختم به هذا البحث أن فقهاء المغرب الأوسط أثروا التأليف بما خلفوه من مصنفات في علم القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصولين وعلم الفلك والتنجيم محفوظة بمكتبات العالم، فوصلوا عن طريقها إلى أعلى المراتب العلمية مثل نظرائهم مغربا ومشرقا، وإن لم ينصفهم بعض المغاربة والمشارقة فذلك لعدم توفر مؤلفات خاصة عن بجاية وصنهاجة التي منها ما ألفه ابن حماد الصنهاجي ككتابه "**النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية** " وكتاب"**الجمع والبيان**" لابن شداد الصنهاجي وغيرهما ممّن ألف عن تاريخ بلاد المغرب، وما بقي منها إلاّ شذرات في بعض كتب الطبقات والتراجم والرّحالة بحيث يصعب على الباحث الوصول إليها، إلاّ إذا كان ممّن كان له طول نفس.

ومهما يكن، فإن هذه النتائج التي توصلت إليها ماهي إلى مفاتيح وبداية لنقطة انطلاق للباحثين الذين سيسلطون الضوء على تراثنا العريق، وتاريخنا المجيد الذي مازال
+6في طيات الكتب والمخطوطات في المكتبات المغاربية والدولية إن لم ينزع عنه اللثام، وقد ضاهى به العراق في يوم من الأيام حتى قيل عنه:

دع العراق و بغداد و شامهما

فالناصريـة مــا إن مثلهــا بلد


الملاحق

الملحق (1)

وصية ابن أبي زيد القيرواني إلى بعض طلبته القاصدين
الرحلة إلى المشرق للحج والعراق لطلب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله في ظعنك ومَقَامك، حفظا تصلُح به أحوالُك به وتزكي أعمالك وبلغك من الخير صالح أمالك.

علمت ما تؤمه في مخرجك من حج بيت الله تبارك اسمه، وزيارة قبر نبيه عليه السلام، والفائدة من علم الديانة من الكتبِ من الحديث والفقه، وما تَرجو أن يعود عليك نفعُه أوّلاً وأخيرا، قيَّضَ الله لك النُّجح والسعادة والرشاد والتوفيق فيما تَؤُمه وتُؤمله وتقوله وتعلمه.

فاستعن بتقوى الله ومراقبتِه، فإنها حصنٌ منيع من مكاره الدارين، وعونٌ مُبلِّغ إلى كل صالحه من خير الدنيا والآخرة، ورُضِ نَفسك على حسن الخلق والتَّخلق بمكارم الأخلاق، فإن ذلك يحببك إلى الرفيق والصاحب، ويرفعك عما يُسفل بالناس ويَضع من أقدارهم.

وعليك بالأخذ بالحزم فيما أنت بسبيله من سفرك، ولا تتَّكل فيه على الهوينى والصاحب المتخلّف واحترس من الناس بسوء الظن في رفق وستر ورفع للأذى.

ولا تغفل عن التعاهد لتلاوة القرآن، فإنه التذكرةُ الكبرى والحصْنُ المنيع لمن اتبعه في الآخرة والأولى.

وليكن لجؤك إلى الله فيما ترغب فيه، ومعوَّلك عليه، راغبا وسائلا وراجيا وخائفا، واستعن به والجأ إليه على ما كان فيك.

وإذا أحسست من أحد تقوى فاشدد به يديْكَ، وجامل من لا ترضى حالَه ومجاملةً لا [تدخل بها في جُرم.

وتجنب أهل الشر والباطل ما استطعت في رفق، ولا تُمارِ سفيها ولا تُراجعه ولا تهازِله، وعليك بالرفق ولين الجانب، فربما كان ذلك أنفذُ وأبلغُ من العنف في بعض الأمور وبعض المواطن، والغريب أولى الناس بذلك.

وارغب في كل بلد ترده في خلطة خياره وأهل الديانة منه، واقنع بهم وإن قلُّوا.

وقد تؤدّيك ضرورة إلى أن تحتاج إلى ذي باطل وظلم، فداره واستعن بالله في حاجتك إليه.

ومهما رغبت في علم تقتبسُه وتطلبُه وترويه ونستعيده، فمن أوثق من تجده وأقربهم إلى التمسك بالسنة وحُسْن الحال.

وإذا قضى الله عنك فريضتك ورمت طلب العلم، فإن عوفيت من دخول العراق فهو أسلم لك، وإن دخلته فاحذر ثم احذر خلطة أهل الجدل والكلام، وإن وجدت من صالحي رواة الحديث وأهل الفقه فخالطهم دون غيرهم.

وإن كتبت الحديث فعليك تصحيحه على ما يدلك أهله، وكتابُ البخاري لك فيه كفايةٌ، وإن كتبت أو اشتريت مصنفا في الحديث واختلاف السلف، فمصنف ابن أبي شيبة إن كان يوجد رواية، وبعده مصنف عبد الرزاق إن لم يكن ذلك، وإن استغنيت عنه بالاقتصار على مذهب أهل المدينة، اكتفيت بما لا تجد منه عِوّضًا.

وإن كان لك رغبة في الرد على المخالفين من أهل العراق والشافعي فكتاب ابن الجهم إن وجدتَه، وإلا اكتفيت بكتاب الأبهري إن كسبته، وكتاب الأحكام لإسماعيل القاضي، وإلا اكتفيت باختصارها لبكر بن علاء، وكتاب الحاوي لأبي الفرج إن كسبته، ففيه فوائد، وإن استغنيت عنه لقلة لَهَجِك بالحجة فأنت عنه غَنيٌّ بمختصر ابن عبد الحكم، أو كتاب الأبهري، وأحسنُ ما كسبت في الفقه للمالكيين كتاب ابن المواز.

وإن دخلت العراق فاكتب في مسائل الخلاف ما تجد لأهل الوقت من الحجة والاستدلالات.

وإن رغبت في شيء من التفاسير فتفسير لإسماعيل القاضي إن كان يوجد، أما تفسير محمد بن جرير فبلغني أنه حسنٌ، ولا أدري محل الرجل عند أهل بلده في التمسُّك، وبعض الناس يتهمه وأنا لا أحقق عليه.

ولإسماعيل كتاب الشواهد، فلو وُجد لكان حَسنا. والمنهُوم في الكتب لا يشبع.

وأسأل الله أن يحملك على أجمل الطرق وأسلمها عاقبة وعاجلة، وأقل من هذا فيه مَقنع لمن وفقه الله.

واستعن بالله وأستخره والجأ في كل أمر إليه، وارغب إليه في السلامة من مَساخطه والعمل بمحابِّه والشغل بأرضى الأعمال عنده، والله وليُّك وناصرك وكافيك وراعيك بفضله ودفاعه ورفقه وكفايته،

ولنا عليك أن تذكرنا في صالح المشاهد، وعند تلك المَواطن الحميدة [وعند] النيَّات الخالصة، وأسأل الله لك القَبول والتوفيق، [وصلى الله على نبينا محمد وسلم] تسليما. [1]

[1] – وصية ابن أبي زيد القيرواني لطالب علم رحل إلى المشرق والعراق والموجودة بآخر الجزء الثاني من مخطوطة كتاب الذب.(انظر: محمد العلمي، رسائل ونصوص، ص. 135-136).

الملحق (2)

قصيدة في فضل العلم لابن أبي زيد القيرواني

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

إني لأمنـــح نُصحـــي ثم أبذلُـــــه — لمن بغـى نفعــه علي ويسألـه

يــا من يروح ويغــدو في مطالبـــه — فمطــلبٌ فأنت أو أنت نائلُـــه

العمــر يذهب والآمـــال قـــائمـــة — فانظـر لعزمك فيما أنت شاغله

تسعـــى لأمر ولـــم تُؤمَر بمطـلبِـــه — جهلا وتترك مفروضــا وتُهملـه

المـــال يفنـــى ولذاتُ النفوس معًـا — والعلـم يُعقب خيـرا لإنفـاذ لـه

والعلــم أشرف مكسُـوبٍ فخَرت بــه — والجهل أشأم مصحوبٍ تُواصلـه

لو نال ذو الجهلُ مُلكا كان ذا ضَعةٍ — وذو العلــوم مع الإقتـار يَفضُلُـه

ورُبَّ ذي هيئــة في النـــاس تحتقِرُه — إن كان يسأل عن شيءٍ فيجهلُـه

والعلـــم أزْيـــن ثوب أنت لابسُـــه — والعلم أفضل محمـــول تحملـه

والجهل يُزري بذي نسب وذي حسب — والعلم يرفع بيتًـا لا عِمــادَ لـــه

لا تحـــقـــرنَّ من التعليـم منزلـــةٌ — ولا تكن آنفــا عن من تُســائلُـــه

يا طـــالــب العلم أبشر فـــي تعلُّمــه — إن كنـــت لله تَبــغيــه وتأملـــه

قد ينفـــع العلـــم مَن لله يطـــلبُـــه — لو كــان [يطلب حرفًا] ويحــاولـه

وخـــاب حظ الـــذي للخَلْـــقِ يطلُبــه — لـو كان جـامعُـه أو كان حامُـله

ورُب ذي طَلَــب للعـــلــم لـيس لـــه — وزن ولـــو كان فلســا لم يعـادلـه

والــحمـــــد لله إقــرارا بنــعمتـــه — عن كـــل نَعمائــه حمدًا يُحِقُّ له

هذا يـــوفِّـــقـــه عـــدلا ويُجـزلُـــه — وذاك يَحرمُــه عــدلا ويَخــدلــه

فارغب أُخيَّ إلى ذي المُلك مع تقـــى — فَعَلَّـــــهُ واهبٌ مـــــا أنت سائله[1]

[1] – قصيدة في فضل العلم وطلبه لابن أبي زيد القيرواني بآخر الجزء الثاني من مخطوطة كتاب الذب. (انظر: محمد العلمي، **رسائل ونصوص**، ص.137.

الملحق رقم (3)

وصية الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرسي المشهور بابن عمار الكلاعي الميورقي نزيل بجاية إلى ابنه

بحمـــد الله أبــــــدأ مستعيــنـــا   بعون الله رب العـالميــنـــا
فنعبـــــده ونحـــمـــده كثيـــــرا   بحمد فاق حمـد الحامدينـــا

وقال أيضا:

وبعد فـإن النصـــح النـاس فرض   ونبدأ في النصيحـــة بالبنينـــا
بُنَيَّ قد بذلـــت النصــــح فاقبـــل   ولا تـــردد نصيـحـة ناصحينا
بتقـــوى الله يبـــــدأ كـل موص   فـخيـــر الـــزاد زاد المتقيـنـــا
بهـــا بدأ الكتـــاب صفـات قوم   هـــدى للمـــتقيـــن المؤمـنـينـا
ومـــا التقـوى تصـح لغيـر عبد   منيـب مؤمـن حقًـــا يقينـــا
ألا فـاعلـم فإن العلــــم وصف   بـه رفـــع الإلـــه العالمينـــا
وبعض العلم في الأعيـان فرض   وجملتـــــه فريضـــة عـاملنـــا
متى ما لـــم تكـن من حامليـــه   تكثر مــن ســواد الجاهـلينـــا
وقيمة من ترى في الأرض يمشي   بقدر دخولــــه فـــي العالمينـــا
ومن يك جـــاهلا همجاً رعاعـا   فليس لـه ســـوى اسم الآدمينـا
فـأد الفـــرد بالإخـــلاص فيــه   ولا تقـعـــد عن المتنفـــلينـــا
وتجنب الحــــرام وكــــل إثــم   وتدخل فـــي عداد الطائعينـــا
وتلتزم الجماعــة فهـــي حصن   مفـــارقهـــا كبيـــر الزائغينـــا
وسنــــة أحمــد وطريق صحب   ونهـج التــابعيـــن التـــابعينـا
وطاعـــة من إليـــه الأمر فالزم   وإن جـــاروا وكـــانوا مسلمينا
فـــإن كفــــروا ككفر بني عبيد   فلا تسكن ديـــارا الكـــافرينـــا
فرُبَّتمـــا يقـــوم الحق يومـــا   فتهـــلك في غمـــار الهالكينـا
تجد في الأرض متسعـا فهـاجر   إلـــى دار الهـداة الواصـلينـــا

وقال أيضا:

ألا إن العلـــوم لهـــا اتســـاع   فخد منهــــا من أحسنها فنـون
وخير العلـــم مــــا أدى لأخرى   ومـــا يخفـى علـى المتعلمينـــا
كحفظ كتـــاب ربك بالمعــــاني   فـدراســـة تكن في الـــدارسينا

وقال أيضا:

وفقــــه في الحديث ومن رواه   ومعـرفـــة أُصـــول الراسخيـــا
أصـول الدين حققهـا اعتقـادا   تـريك فضيلـة المتـكـلمــينا

وكم من فرقـة حدثت وكـانت ... من ينجـو ومن في الهالكينـا

وقال أيضا:

أصـول الفقه إن حققت فيها ... تريـك فضيلـة المتفقـهينـا

وأحكام الخطـاب وما حواء ... دقـائق من الكـلام مدققينـا

وتقرأ في الدفـاتر كل وقت ... رقـائق من كلام النـاسكينـا

وعلم الفرائض ومسح الأرض ... وتحسب بالبيـان كحاسبينـا

ومعرفة اللسـان على صواب ... غريبـا كـان أو نحـوا مبينـا

وقـالـوا إنـه لا بد منـه ... قبيـح بالعلـم يرى لحـونـا

وقال أيضا:

ومعرفـة التـواريخ والمغـازي ... ومعرفـة الوقـائع والسنينـا

ففيهـا من عجـائب اعتبـار ... وتشهدهـا بعقل الشـاهدينـا

وإن جودت علم الفقـه فاعمل ... ولا تفتيـه بين الحـاكـمينـا

وقال أيضا:

وكن لي في المذاهب مـالكيـا ... مـدينيـا وسـنيـا متـينـا

مدينة خير من ركب المطايا ... ومهبط وحـي رب العالمينـا

بها كان النبـي وخير صحب ... وأكثرهم بهذا أضـحى دفينـا

فبثوا العلم في الأتبـاع منهم ... ويروي مـالك عن تـابعينـا

ومالك الرضـا لا شك فيـه ... وقد سـلك الطريق المستبينـا

وقال أيضا:

نظرنا في المـذاهب ما رأينـا ... كمذهب مـالك للنـاظرينـا

وعنهـم كـل مجتهـد مصيـب ... ولكـن مـالك في السـابقينـا

وقد دل الدليل على الصـواب ... يقـول به لـدى المتحققينـا

وقال أيضا:

وأصحـاب الحـديث ذو ... انتقـاد ومعرفة الرجال الناقلينا

إذا نقص الفتـى علمـا وفضلا ... فذاك النـص عم الفـاضلينـا

وقال أيضا:

أبو الحسن الذي وضح احتجاجا ... ودل علـى الطريق مخـالفينـا

وعول في الأصـول على اعتقاد ... صحيـح من كـلام الأشعرينـا

هم ردوا علـى الأهـواء جمعـا ... وكانـوا في الحجـاج موفقينـا[2608]

[2608] – القصيدة مطولة (انظر:عبد الحق الإشبيلي، تلقين الوليد، ص.73 وما بعدها من عدة صفحات)؛ وقد أشار إليها ابن الأبار في كتاب التكملة.(انظر: المصدر السابق، ج.1، ص.326-327، ج.3، 90-91).

الملحق رقم (4)

نموذج عن كتابة الإجازات في بداية المخطوط ونهايته

بداية المخطوط



كتاب الحجة في بيان المحجة

وشرح مذهب السلف رحمة الله عليهم

جمع الشيخ الإمام قوام السنة أبي القسم

اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ التيمي رحمه الله عليه

نهاية المخطوط

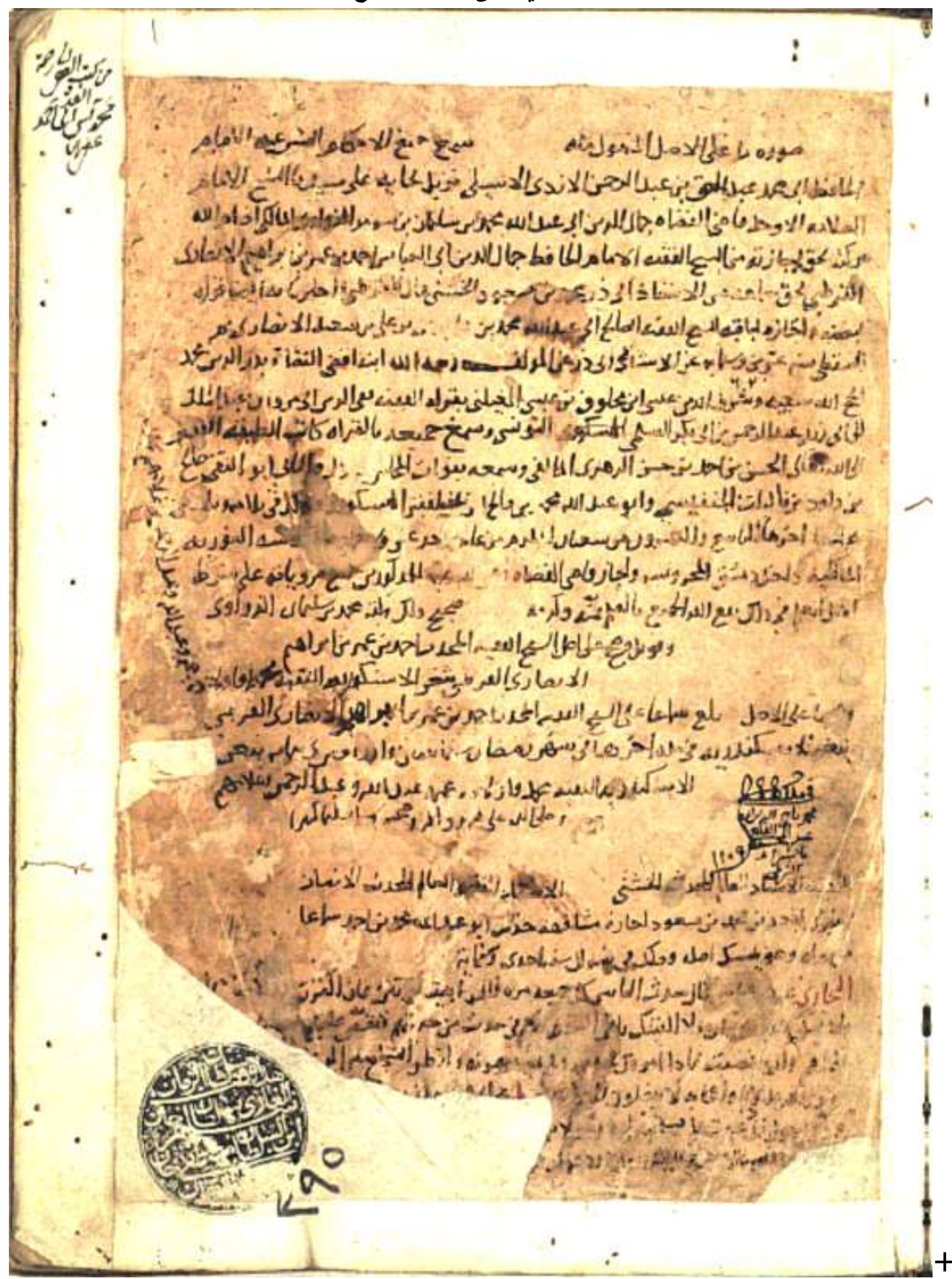

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الأصفهاني(أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ)، كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم لا له لي LaLeLi 2229.

الملحق رقم (5)

الورقة الأولى من الأحكام الكبرى للفقيه عبد الحق الإشبيلي

تحتوي على إجازة وسماع



الأحكام الشرعية

صورة من على الأصل المنقول منه

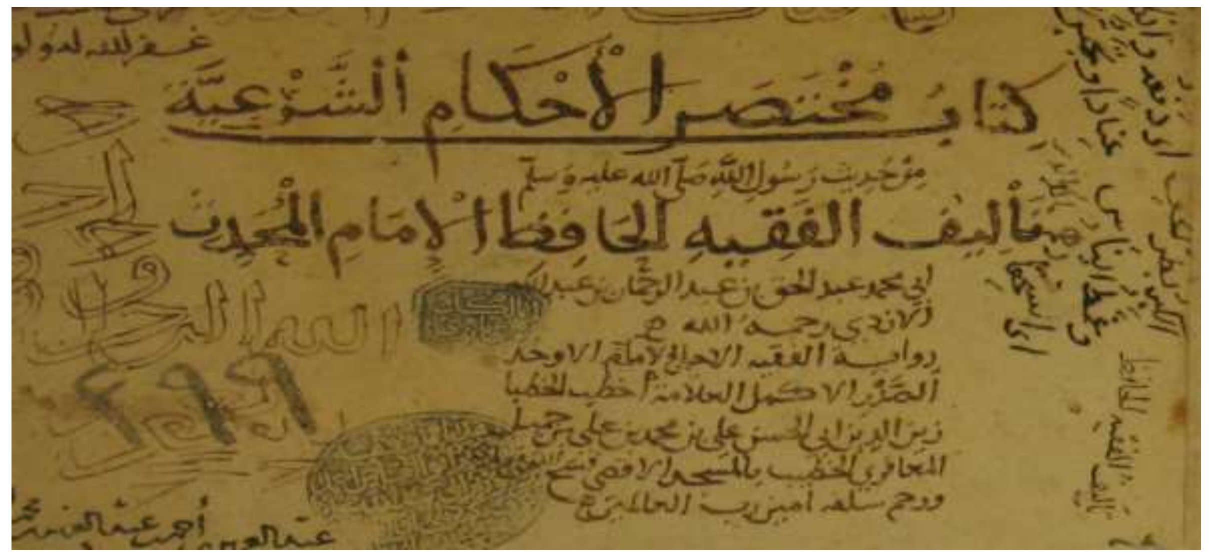
سمع جميع الأحكام الشرعية للإمام الحافظ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأسدي الاشبيلي نزيل بجاية على سيدنا الشيخ الإمام العلامة الأوحد قاضي القضاة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن سومر الزواوي المالكي أدام الله بركته بحق إجازته من الشيخ الفقيه الإمام الحافظ جمال الدين أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي بحق سماعه من الأستاذ أبي ذر محمد بن مسعود الخشني قال القرطبي أخبرنا به أيضا قراءة بعضه وإجازة لباقيه الشيخ الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن صابر بن علي بن سعيد الأنصاري[...]الصقطي سنة عشرين وستمائة عن الأستاذ أبي ذر عن المؤلف رحمه الله ابنه أقضى القضاة بدر الدين [...] الله سعيه وشرف الدين عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي بقوله الفقيه تقي الدين أبي مروان عبد الملك بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي بكر السلمي الهسكوري التونسي وسمع جميعه بالقراءة كاتب الطبقة الفقير إلى الله تعالى الحسن ابن أحمد بن حسن الزهري المالقي وسمعه بفوات المحاسن[فراغ] أبو التقى صالح بن داود بن[...] الجنفيسي وأبو عبد الله محمد بن صالح بن[...] الفقير الهسكوري وذلك في[...] آخرها إلى شيخ[.....] من شعبان إلى حرم من عام[.....] المالكية. بدمشق المحروسة وأجاز قاضي القضاة[.....] من جميع مروياته على شرط أهل العلم في ذلك نفع الله الجميع بالعلم بمنه وكرمه [بياض] صحح ذلك وكتبه محمد بن سليمان الزواوي
[بياض] وقوبل وصحح على أصل الشيخ الفقيه المحدث أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي بثغر الإسكندرية الفقيه محمد وأولاده محمد وعبد الله وعبد الرحمن وغلامهم بثغر الإسكندرية في[.....] أخرها في شهر رمضان سنة[.....] بثغر الإسكندرية الفقيه محمد وأولاده محمد وعبد الله وعبد الرحمن وغلامهم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا[.....]الأستاذ العالم المحدث الخشني [بياض] الأستاذ الفقيه العالم المحدث الأنصاري[.....] بن محمد بن مسعود إجازة مشافهة حدث أبو عبد الله محمد بن أحمد سماعا.....أصله.....في ..... إلى سنة إحدى وستمائة.

البخاري عن[...] قال حدث...[2609]

[2609] - الإشبيلي(أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، ت.582هـ-1186م)، **الأحكام الكبرى**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم لا له لي395 LALELI

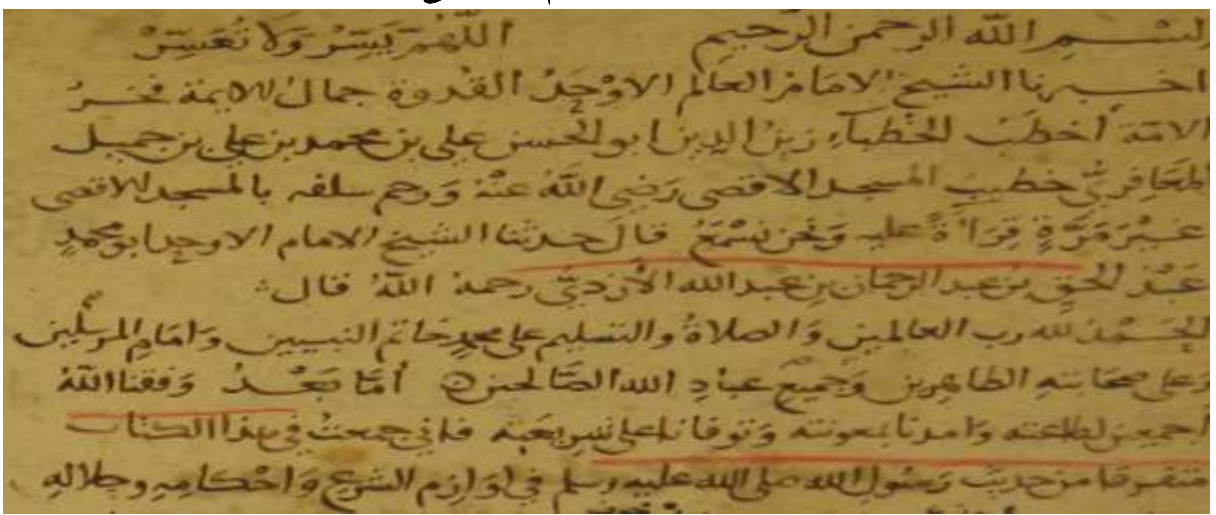
الملحق(6)

النسخة الثانية من الأحكام الوسطى



كتاب مختصر الأحكام الشرعية من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأليف الفقيه الحافظ الإمام المحدث أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي رحمه الله هي رواية الفقيه الحافظ الإمام الأوحد الصَّدر الأكمل العلامة أخطب الخطباء زين الدين أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري الخطيب بالمسجد الأقصى فتح الله ورحم سلفه آمين رب العالمين.

بداية كتاب الأحكام الوسطى



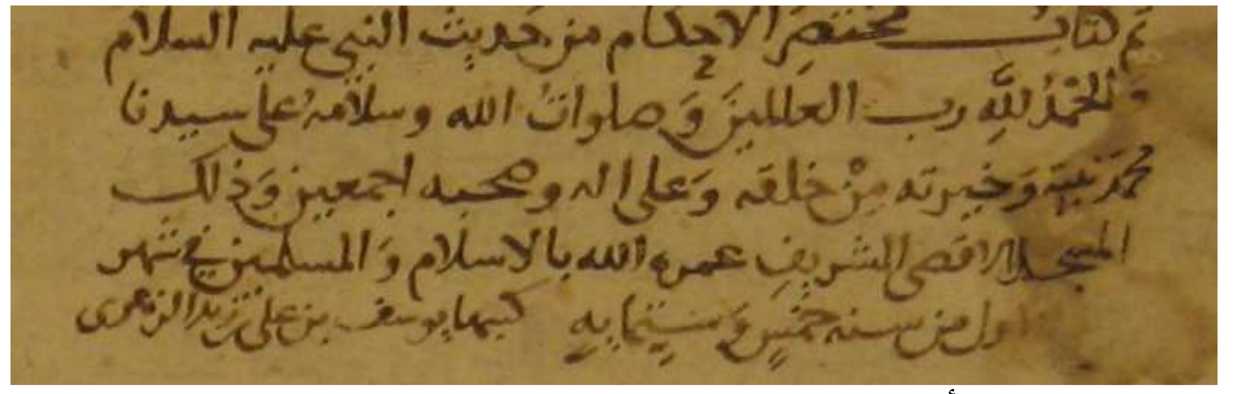
بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر ولا تعسر
أخبرنا الشيخ الإمام العالم الأوحد القدوة جمال الأئمة غرر
الأمة أخطب الخطباء زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل
المعافري خطيب المسجد الأقصى رضي الله عنه ورحم سلفه بالمسجد الأقصى
مرة قراءة عليه ونحن نسمع قال حدثنا الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد
عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي رحمه الله قال
الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين
وعلى صحابته الطاهرين وجميع عباد الله الصالحين أما بعد وفقنا الله
أجمعين لطاعته وأمدنا بمعونته وتوفانا على شريعته فإني جمعت في هذا الكتاب
متفرقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في لوازم الشرع وأحكامه وحلاله

بسم الله الرحمن الرحيم اللّهم يسّر ولا تعسّر

أخبرنا الشيخ الإمام العالم الأوحد القُدوة جمال الأيمة فخرُ الأمّة أخطب الخطباء زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافريّ خطيب المسجد الأقصى رضي الله عنه ورحم سلفه بالمسجد الأقصى غيرَ مرّةٍ قراءةً عليه ونحن نسمعُ قال حدثنا الشيخ الإمام الأوحد أبو محمدٍ عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله الأزديّ رحمه الله قال:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى صحابته الطاهرين وجميع عباد الله الصالحين. أما بعد وفقنا الله أجمعين لطاعته وأمرنا بمعونته وتوفانا على شريعته فإني جمعت في هذا الكتاب متفرقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في لوازم الشرع وأحكامه وجلاله.

نهاية كتاب مختصر الأحكام(الأحكام الوسطى)



تم كتاب مختصر الأحكام من حديث النبي عليه السلام

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد نبيه وخيرته من خلقه وعلى آله وصحبه أجمعين وذلك المسجد الأقصى الشريف عمره الله بالإسلام والمسلمين في شهر أول من سنة خمسٍ وستمائة كتبها يوسف من علي بن زيد الزهري [2610]

[2610] - عبد الحق الإشبيلي البجائي، مخطوط مختصر الأحكام الشرعية من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالمكتبة السليمانية رقمه فاضل أحمد باشا 399 FADILAHMEDPS

الملحق (7)

استجازة محمد بن مجاهد الطائي البصري المالكي المتكلم الأشعري للشيخ أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتابيه: "المختصر" و" النوادر" وإجازة ابن أبي زيد له

للشيخ الفاضل أبي محمد عبد الله بن أبي زيد الفقيه المالكي القيرواني أطال الله بقاؤه وأدام وتأييده وسعادته وكفايته ونعمته وحراسته وتوفيقه، من محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي البصري.
يوصل بالقيروان حضرة الشيخ الفاضل الفقيه ابن أبي زيد أدام الله عزه.
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، أطال الله بقاء الشيخ الفاضل، وأدام عزه وتأييده وسعادته وكفايته وحراسته ومعونته وتوفيقه وتسديده، وجمع لنا وله خير الدنيا والآخره، برحمته عن سلامة وعافية، أحمد الله عليها وأسأله أن يُجزِلَ حظه منها.
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله، وسلم تسليما.
وما يتصل بنا من أخبار الشيخ الفاضل، وما بما وهبه الله من الفضائل، وخصه به من شرف المنازل، قد أبهجنا، وزاد في مُنَّتنا، وقويت به أنفسنا، فكثرت رغبتنا إلى الله تعالى في الدعاء له، ومسألتُنا حسن الدفاع عنه، لما هو عليه (أيده الله) من الإقبال على العلم، والاهتمام به، والتوفير على أهله، حتى قد شرح من فنون العلم ما كان مشكلا، وفتح من عيونه ما كان مُطبِقا، وأنهج من سبيله ما كان وعْرا، وجمع من شواذه ما كان متفرقا، فأحسن الله جزاءه وأطال بقاءنا ولقد وقع إلينا من تصنيفه (أيده الله) قطعة من المختصر، وجدناه(أيده الله) قد أحسن في نظمه، وألْطف في جميع معانيه، وكشف عما كانت النفوس تتوق إليه، وكفى مُؤْنة الرحلة وطلب المصنفات، بالكلام السهل والمعاني البينة التي تدل على حسن العناية، وكثرة المعرفة، والحرص على منافع الراغبين في العلم والمتعلمين به.
فأحسن الله- أيها الشيخ- جزاءك، وأجزل ثوابك، وأمتع بدوام سلامتك.

ثم بلغنا أنه(أيده الله) قد صنف كتابا كبيرا، جمع فيه مذهب الشيخ الإمام مالك- رضوان الله عليه ورحمته- واختلاف الروايات واختلاف أصحابه (رضوان الله عليهم).
فدلنا ما شهدنا من هذه القطعة من المختصر على عِظَم قدر هذا المبسوط واشتماله على المحاسن، وجمعه لكل متفرق من المذهب وشرح كل غلِقٍ فيه.

فتاقت النفوس إليه، وانصرفت الهمم نحوَه فلولا طول المسافة والعوارض، التي تقطع كثيرا من أهل العلم عما يؤثرونه من المبالغة فيه، والقصد إلى الشيخ المنفرد في هذا –أيده الله–لما بعد طريق يوصل إليه–أيده الله– ولخف كل ثقيل يؤدي إلى فوائده، وينال به العلم الذي لا يوجد إلا عنده.

وما يتصل بنا من فضل الشيخ أطال الله بقاءه ورغبته في الثواب، قد نشطني إلى تعريفه- أيده الله- ما بنا من الحاجة إلى هذين الكتابين، وبتطلعي وبتطلع من قبلي.
والشيخ الفاضل- أطال الله بقاءه يتفضَّل في ذلك بما هو أهله، ويمن بذلك علي، فإني إليه وجماعة من قبلي من إخوانه، والراغبين في مذهب الشيخ الإمام- رضوان الله عليه- متطلعين وبتفضل بمكاتبتي بأَخباره

وأحواله، وما يعرض قبلنا من مُهمّاته وحوائجِه، وما يعرض لأصحابه حفظهم الله بالعراق، وليسدِ بذلك –أيده الله– مَنْ بحضرته من إخوانه وأهل العلم السلام.

وأنا أسأل الشيخ –أيده الله– أن يشكرني في دعائه فما أغفل ذلك له، أجابنا الله وإياه، وفتح لنا وله برحمته، إنه قريب مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وأله وسلم تسليما.

وكُتب هذا الكتابُ في السبت، لتسع خلون من ذي القعدة، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وجَعلته على نسختين، استظهارا في البلاغ، وأرجو أن تبلغا إن شاء الله. والحمد لله أولا وآخرا.[2611]

الملحق (8)

[2611] – كتاب ابن مجاهد إلى ابن أبي زيد القيرواني وجواب هذا الأخير عليه في آخر الجزء الثاني من المخطوطة .(انظر: محمد العلمي، رسائل ونصوص، ص.128–129.

جواب ابن أبي زيد القيرواني على رسالة ابن مجاهد مجيزا إياه مختصره على المدونة وبعضا من كتابه "النوادر والزيادات"

وهذا جواب أبي محمد بن أبي زيد إلى محمد بن أحمد بن مجاهد البصري

بسم الله الرحمن الرحيم

أدام الله الشيخ الجليل البقاء في نِعم دارَّة، وعين قارَّة وأحول سارَّة، مكلوءا بحراسته، محفوظا برعايته، ميسَّرا إلى محابه وطاعته، وعصمته من الزيغ والفتنة، ووَفَّر حظه من الصفح والرحمة، وأيّده بالتوفيق في البيان عن دينه، وإظهار حجته، ونشر حكمته، وحصّنه فيما يقول ويعمل بعصمته، وجعله من أئمة المتقين، ومسَّكه بصالح سلفه المتقدمين.

كتبت أحمد الله إليك على ما بنا من ظاهر نعمة الله وباطنها، في الدين والدنيا، وهَبَنا الله وإياك من شكره وما يرضاه عليها، شكرا، ويكون لنا عنده ذُخرا، ولا حول ولا قوة في ذلك وفي عدِّه إلا به، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله وسلم.

وردني كتاب الشيخ- أجَلَّ الله قدرَه ورفع في الدارين ذكره- بما أبهجني من سلامته، أدامها الله له، وواصلها عنده، وبما عظُمت به يدُ الشيخ عندي، من ابتدائه بالمكاتبة، وما بسط من المواصلة، وما دل على جميل القصد والطَّويه والنية الخالصة المرضية، نفعَه الله بذلك ونفع به، وجزاه أفضل جزاءُ متواصلين له، يوم تقاطع المتحابين لغيره.

والقلوب- أيد الله الشيخ- أَجناد متواصلة، وجوارح متعارفة، وعلى هذا الدين مؤتلفة، وإن تأت الديار، وهو يجمع من الألفة ويوجب من الحُرمة، ما لا يوجبه قريبُ النسب ولا وشائج الرَّحم، وَصلك منه بِبرّه، وحماك من مساخطه.

وعندنا من أخبار الشيخ الطيبة مما تعم مسرته، من بصيرته في هذا المذهب، وشائج وذبه عنه، ومحاماته عليه، حماء الله عن كل مكروه أولا وأخيرا برحمته.

وذكر الشيخ- أطال الله أخباره- ما وقع إليه من المختصر الذي عملناه، وسهلنا فيه السبيل، وقرَّبنا فيه المعنى بمبلغ الطاقة، ونرجو أن يسلمنا الله وإياك في كل قول وعمل.

وذكر الشيخ – صانه الله- ما أعجبه من ذلك واستحسن منه، ومن بيانه وتقريب المعنى فيه، فقد أنست إلى قول الشيخ- أيده الله- ونرجو أن يجعله الله خالصا لوجهه[الكريم، وأن ير] فعنا من حال التكلف إلى النصيحة لله ولرسوله و[لعباده في] الدين، الذي هو السبب المبلغ إلى رحمته.

ورغب الشيخ- رعاه الله- في إيصال هذا الكتاب إليه كاملا، لينتفع به الصادر والوارد، وليُبث في البلاد، وينفعه الله به وينفعنا، فجزى الله الشيخ عنا وعن جميع المسلمين جزاء المتناصحين له وفيه.

وكنت على أن أجيد نسخ نسخه، وأجتهد في مقابلتها وأبعثها، فلم يتسع بي الوقت إلى ما أردت من ذلك. وذكرت أن شابين ممن يقرب منا، نوجها إلى الشيخ من مكة، للقياه ولقيا أبي بكر الشيخ الأبهري- رعاة الله- فذكرت أنهما حملا هذا المختصر مصحَّحا مقابلا، مع كل واحد منهما نسخةٌ، وهما شابان ممن عني وفهم، وهما محمد بن خلدون وإسماعيل بن إسحاق، يعرف بابن عزرة، فإن انتسخ من نسخة أحدهما فهو صحيح.

ومع ذلك، فأنا على ما أردت من تجويد نسخة وبعثها إلى الشيخ– أيده الله– .

وأما الكتاب الكبير المبسوط، الذي ذكره الشيخ– حفظه الله– الذي جمعنا فيه اختلاف أقاويل الشيخ الإمام أبي عبد الله بن أنس رحمة الله عليه، واختلاف أصحابه– رحمهم الله–والذين من بعدهم من المالكيين إلى عصرنا هذا، قد جمعناه من الدواوين الكبار التي فيها ابتغينا من ذلك فيه مُجتمع ومُفْترق، وجمعناه بالاجتهاد، لتعظم الرغبة وتكثر الفائدة.

فهذا الكتاب– أيد الله الشيخ– أنا فيه بدأت، وقد تخلص من الكتب التي نُسخ منها المُلحق والمستدركُ، ويقي أن يُنقل من هذه النسخة مهذَّبا لا إلحاق فيه، ولا تقديم ولا تأخير، وقد تهذَّب من هذه الصِّفة نحوُ الثلاثين جزءا، ولم يُقابل بعدُ، لشُغلي بتمام تخلصها من النسخ العَويصَة.

وكتبتُ هذا الكتاب وما قوبل منها، إلا كتاب الطهارة، والجزء الأول من الصلاة، وقد بعثت بهما إلى الشيخ مقابَلين، ليرى أوَل الكتابِ وكيف يَنْدرج.

وأنا أسأل الله وبه نستعين إذا كمل الكتاب على ما ينبغي عملتُ على أن يصل إليه منه نسخة إن شاء الله.

والكتاب المبسوط– أيّد الله الشيخ– أقله إذا تم نحو الخمسين جزءا. إلى خمس وخمسين، المختصرُ من نحو ثلاثمائة، مع ما ضُم إليه من الأطراف والفوائد من سائر ما يُستَندَر من الكتب، ولقبناه: كتاب" النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات".

وأرجو أن يعين الله على مَبْلَغ الأمل منه، وينفع به المسلمين، ويعيننا على ذلك بالتأييد في الإصابة لما يرضاه الله من عباده، من الاجتهاد وحُسن النية برحمته.

والسلام على الشيخ ونعمُ الله وبركاته، وعلى من بحضرة الشيخ من إخوانه وأوليائه، وعلى خاصة وعامة الطالبين عندَه، بارك الله فيهم ونمَّاهم وكثَّرهم، ومن كل من قبلنا من إخواننا، ومَن بَحضرتنا وخاصتنا ، ومن يلُوذ بنا على الشيخ السلام ورحمة الله وبركاته من جميعهم.

وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم، وعلى الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري.

وما ذكر الشيخ– أيده الله– من إجازة الكتابين فهما له إجازة، ولكل من رغب في حمله عنا، فذلك لهم إذا وصل إليهم مصححا إن شاء الله .

وما ذكر الشيخ من الدعاء، فهذا واجب له، وكذلك نَرغب إليه فيما رَغِب فيه، أجاب الله لنا وله صالح الدعاء.

وكتبت هذا الكتاب في غرة شعبان من سنة تسع وستين وثلاثمائة.

الملحق (9)

مناظرة بين ابن الصغير المالكي ورجل من وجوه الإباضية
من هوارة يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع

قال أبو الربيع لابن الصغير:"... من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق أنّ الرجل إذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أن لا خيار لها في نفسها وأنتم تقولون إنّ الرجل إذا زوج أمته وعتقت أنّ لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة لأنّ الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وإنما كان الحكم لسيدها فلما عتقت وصار الحكم إليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأنّ الحكم لأبيها فلما أدركت صار الأمر إليها فَلِم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد؟فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به عليه فاعتلوا بعلله وغير علله وزادوا ونقصوا. وقد جمعت ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم، أو ما ذكروه، فقلت له ولغيره ممن كلمني، إنّا إنّما أجزنا نكاح الصغار لأنّ النبي– صلى الله عليه وسلم– تزوج عائشة بنت أبي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع فقال لي دعنا من هذا فإني لا أجامعك عليها، ولكن كلّمني من القرآن أو من باب النظر، مع أنّي لم بينت لك الخبر ما كان لك فيه حجة، لأنّك تعلم أنّ الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته، وأحل له الموهبة وغير ذلك، فإن كان عندك حجة غير هذه فأذكرها وإلا فلا تقم لك حجة؟ قلت له فإن أوجدتك صحة عقدها من القرآن أترجع ؟ فقال لي من القرآن فقلت نعم فكرر على ثلاثًا وفي كل ذلك أقول نعم، فقال فاذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى﴿ وَالَّلاَئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ إلى ﴿وَالَّلاَئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[1] فقال لي عجبا منك، أنا أسألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات وعدة اللائي لم يحضن؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد، قال وما غاب عني من ذلك؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره؟ قال من طلاق، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح؟ قال لا، قلت في المويسات فمنهن اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحيض مثلهن؟ قال نعم، قلت واللائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فأوجب الله عليهن عددا قال نعم، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق؟ قال من طلاق، قلت فيكون طلاق من غير نكاح؟ فسكت ولم يرد جوابا. فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه فقال لي مضى في المطالبة

---
[1] سورة الطلاق، الآية 4.

لك، فقلت فاذكر لي ما مضى فيه؟ قال قول الله﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[1] المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار، قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة أكثر مما لزم صاحبك، قال وكيف ذلك قلت "لم" لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع " لم"، " لا" فيقال لا تحيض فلأنه إذا نفوا عنها المحيض أي ليست ممن تحيض، وإذا قيل لم تحض فلأنه معناه أنها لم تحض بعد وأنها ستحيض في المستقبل. وربما حرَّف خطباؤهم اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه[2].

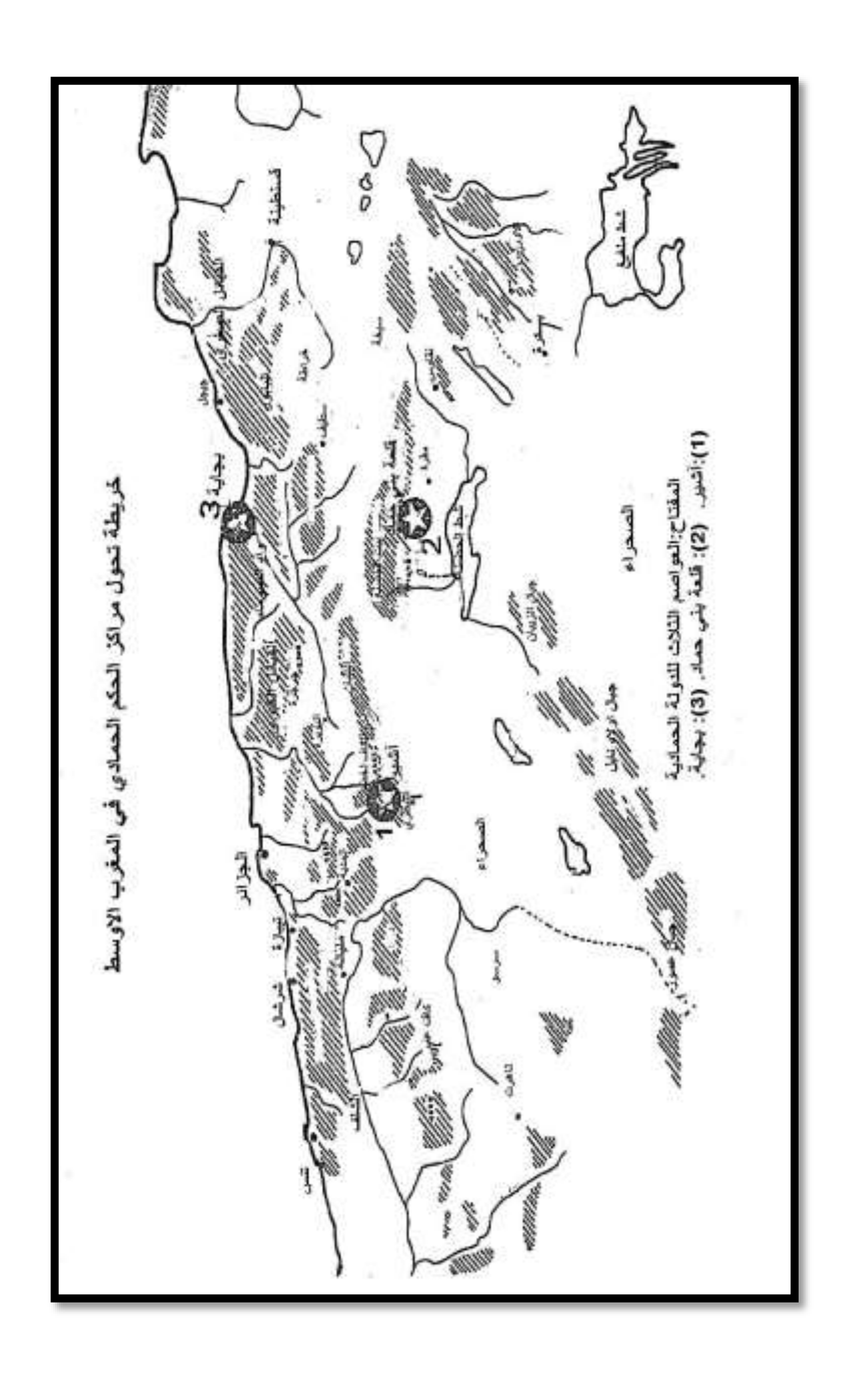
---

[1] سورة الطلاق، الآية 4.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص118. وما بعدها.

الملحق (10)

موقع المغرب الأوسط



نقل عن:

GOLVIN (L) , Encyclopédie Berbère, c.22, Aix- en Provence, 2000, P.333

الملحق(11)

رحلة فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى إفريقية

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	وجوده	مصادره
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني ويعرف بالتجاني وبابن الخراز	أبو القاسم	بعد400هـ-1010م	وهران	القيروان	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.317؛ الضبي، البغية، ص. 319، و316 (أنه توفي 411هـ-1020م)؛ المنتوري، فهرسة، ص.232؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.218-219؛ الحموي، البلدان، ج. 5، ص.386.
عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي التميمي المسيلي	أبو محمد	405هـ-1015م	مسيلة	القيروان	ابن الرشيق، العمدة، ص.553.
عمران ابن اسماعيل بن عمران ابن تميم الدّارمي	أبو موسى	415هـ-1024م	مسيلة	القيروان	الشاذلي، الحياة الأدبية، ج.1، ص.305
حماد بن بلكين	ابن القائد	419هـ-1028م	المغرب الأوسط	القيروان	ابن حزم، الرسائل، ج.2، ص.91؛ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ق.3، ص.86.
الحسن بن محمد بن أحمد التميمي التاهرتي المشهور بابن الربيب	أبو علي	420هـ-1029م	تاهرت	القيروان	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.12، ص.148-149؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.525.
علي بن أبي الرجال التاهرتي	أبو الحسن	426هـ-10235م	تاهرت	القيروان	ابن الرشيق، العمدة، ص.11، 68،205، 282، 300.
عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني	أبو محمد	429هـ-1037م	وهران	القيروان	ابن بشكوال، الصلة، 298.
ابن مالك	أبو القاسم	438هـ-1047م	القلعة	القيروان	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص. 78.
مروان بن محمد الأسدي البوني	أبو عبد الملك	440هـ-1049م	بونة	القيروان	ابن خير، الفهرسة، ص.76، 392؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص61؛ الضبي، البغية، ص.402؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.339؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.274؛ المنتوري، الفهرسة، ص.259.

حسن بن رشيق الأسدي المسيلي	أبو علي	456هـ-1064م	المسيلة	القيروان	الشاذلي بويحي، الحياة الأدبية، ج.1، ص.191.
أحمد بن الحسن بن محمد المهدوي المسيلي	أبو الطيب	538هـ-1144م	المسيلة	القيروان	ابن دحية، المطرب، 41-45.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء افريقية الذين رحلوا إلى المغرب الأوسط في الجدول المذكور أعلاه.

الملحق(12)

رحلة فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى المشرق

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	وجوده بالمدن المشرقية	مصادره
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني يعرف بالتجاني وبابن الخراز	أبو القاسم	بعد 400هـ-1010م	وهران	مصر-الحجاز-العراق-خرسان-الجبل-نيسبور-بلخ-صبرة	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.218-219؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.317؛ الضبي، البغية، ص.319؛ المنتوري، الفهرسة، ص.232.
أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي	أبو العباس	ت.401هـ-1011م	باغاية	مصر	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.198؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، 85-86؛ الحموي، البلدان، ج.1، ص.325؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.174-175.
القاسم بن علي بن معاوية الطبني	أبو محمد	قبل412هـ-1022م	طبنة	مصر	ابن ماكولا، الإكمال، ج.5، ص.262؛ السمعاني، الأنساب،ج.8، ص.212؛ الحموي، البلدان، ج.4، ص21.
عطية بن علي بن عطية بن علي بن الحسن بن يوسف القرشي الطبني المعروف بن لاذخان	أبو الفضل	532هـ-1138م	طبنة	مكة- بغداد	الإكمال، ج.5، ص.264؛ السمعاني، الأنساب، ج.8، ص. 213؛ الأصفهاني، ج.1، ص. 309؛ الحموي، البلدان، ج.4، ص. 21.
إبراهيم بن جعفر الزهري الأشيري	أبو إسحاق	435هـ-1044م	أشير	المشرق	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.95؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.253.
مروان بن علي الأسدي القطان	أبو عبد الله	ق440هـ-1049م	طبنة	المشرق	ابن خير، فهرسة، ص.76، 392؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.616؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.339؛ المنتوري، الفهرسة، ص.259.
يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة الهذلي البسكري	أبو القاسم	465هـ-1073م	بسكرة	مصر- الحجاز- الشام- دمشق-العراق- إصبهان- خرسان- إقليم الترك-غزنة.	ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج.74، ص.247؛ الحموي، البلدان، ج.1، ص.422؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.29، ص..

عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن الحسين الطبني	أبو مروان	457هـ-1065م	طبنة	مكة- مصر	ابن بسام، الذخيرة، مج.1، ص. 537؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.259؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.360؛ الضبي، جذوة المقتبس، ص.330؛ ابن مخلوف، شجرة النور، ج.1، ص.274؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ق.2، ص. 242.
علي بن عطية بن علي بن الحسن الطبني	أبو الحسن	5هـ-11م	طبنة	مكة	ابن ماكولا، الإكمال، ج.5، ص.264؛ السمعاني، الأنساب، ج.8، ص212.
أحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن موسى الغافقي المسيلي	أبو العباس	5هـ-11م	مسيلة	الإسكندرية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، 238- 239؛ ابن الآبار، التكملة، ج.1، ص.56؛ المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.598؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص. 61.
محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم	أبو عبد الله	5هـ-11م	قلعة بني حماد	الإسكندرية- مصر	الأصفهاني، الخريدة، ج.1، ص. ج.337-338؛ السلفي، المعجم، ص. 207.
أحمد بن مكي بن أحمد بن قمودة البسكري	أبو العباس	516هـ-1122م	بسكرة	مصر	الإكمال، ج.1، ص.459.
يحي بن علي بن حمزة الكتامي القسنطيني	أبو زكريا	519هـ-1125م	قسنطينة	الإسكندرية- الحجاز- البيت المقدس	السلفي، المعجم، ص. 450.
علي بن أبي القاسم بن محمد القسنطيني الأشعري	أبو الحسن	519هـ-1125م	قسنطينة	العراق-دمشق-بغداد	ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج.43، ص.135، ج.74، ص247؛ الحموي، البلدان، ج.4، ص. 349.
خطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب ابن خليفة التلمساني	أبو الحسن	بعد520هـ-1126م	تلمسان	بغداد	السمعاني، الأنساب، ج.3، ص. 71؛ الأصفهاني، الخريدة، ق.2، ص.341.
محمد بن داوود بن عطية بن سعيد المكي	أبو عبد الله	525هـ-1130م	قلعة بني حماد	المشرق	القاضي عياض، الغنية، ص.64؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.1، ص.255.

علي بن إسماعيل القلعي المعروف بالطميش	لم أعثر على كنيته	526هـ-1132م	قلعة بني حماد	مصر	الأصفهاني، الخريدة، ج.1، ص. 341 وما بعدها.
عبد الملك بن عبد الله بن داود الحمزي المغربي	أبو القاسم	527هـ- 1133م	حمزة	بغداد- البصرة	الحموي؛ البلدان، ج.4، ص. 21؛ الدمشقي، توضيح المشتبه، ج.2، ص.422، 424.
عبد الله بن خليفة بن أبي عُرجون تلمساني	أبو محمد	534هـ- 1140م	تلمسان	لم يعثر عليها	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ج.304؛ عبد الحميد حاجيات، تطور الحياة الفكرية، ص.32.
علي بن أبي بكر بن عتيق بن أبي الخمائر القلعي أخو أبو حفص عمر	أبو الحسن	550هـ-1155م	قلعة بني حماد	الإسكندرية	السلفي، المعجم، 242، 297.
عبد الله بن سليمان بن منصور التاهرتي	أبو محمد	553هـ-1158م	تاهرت	الاسكندرية	السلفي، المعجم، ص149؛الحموي، البلدان، ج.5، ص. 383؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.326؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ق.2، ص. 102.
عبد الوهاب بن عيسى بن محمد البسكري	أبو محمد	554هـ- 1159م	بسكرة	دمشق- بعلبك	ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج.37، ص. 342.
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي الأشيري.	أبو محمد	561هـ-1166م	أشير	الشام، حلب- مكة- المدينة- حمص- بغداد- دمشق.	ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج. 32، ص. 234-235؛ ابن رشد، الرحلة، ص. 238-239؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 304-305 ؛ الذهبي، المستملح، ص.229، الحموي، البلدان، ج.1، ص. 203.
حجاج بن سكاتة الجزائري	أبو يوسف	561هـ-1166م	جزائر بني مزغنة	المشرق	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ص.122؛
عبد الحق بن سليمان القيسي التلمساني	أبو عبد الله	571هـ-1176م	تلمسان	المشرق	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.124-125؛ الذهبي، المستملح، 283، تاريخ الإسلام، ج.12، ص. 492.
محمد بن محرز بن محمد الوهراني ركن الدين	أبو عبد الله	575هـ-1180م	وهران	دمشق- بغداد- القاهرة- داريا	الوهراني ورقعته، تح صلاح الدين منجد ابن خلكان، الوافي بالوفيات، ص. 385؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص. 481-482.

عمر بن علي بن خليفة بن بذوخ القلعي	أبو حفص	575هـ-1180م	قلعة بني حماد	الإسكندرية	السلفي، المعجم، ص.231؛ الجزري، بغية الوعاة، ج.2، ص. 326؛ عبد الحميد خالدي، العلاقات الثقافية، ص.286.
ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي(الفرداوي)	أبو تميم	584هـ-1188	بجاية	المشرق	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.197؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.387- 388؛ الذهبي، المستملح، ص.175.
علي بن خلف بن معزوز التلمساني	أبو الحسن	599هـ-1203م	تلمسان	المشرق	المنذري، التكملة، ج.1، ص. 459؛ ابن رشد، الرحلة، ص. 237-238.
علي بن عبد المعطي بن جعفر القلعي	أبو الحسن	6هـ-12م	قلعة بني حماد	الاسكندرية	السلفي، المعجم، ص.277- 278.
الحسن بن حمدان بن حمونة البسكري	أبو علي	6هـ-12م	بسكرة	الإسكندرية	السلفي، المعجم، ص.69.
عبد الله بن سلامة	أبو محمد	6هـ-12م	بجاية	الإسكندرية- مصر- الصعيد-الريف	الأصفهاني، الخريدة، ج.1، ص. 121.
عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حرّان القلعي	أبو محمد	6هـ-12م	بجاية	الإسكندرية	السلفي، المعجم، ص. 161.
عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي	أبو القاسم	6هـ-12م	تاهرت	الإسكندرية	السلفي، المعجم، 173.
القلعي الحمادي	أبو محمد	6هـ-12م	قلعة بني حماد	الإسكندرية	السلفي، المعجم، ص. 239.
علي بن محمد بن عثمان التميمي القلعي	أبو الحسن	6هـ-12م	قلعة بني حماد	مصر	ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص. 95.
يحي بن أبي ملول بن عشيرة الزناتي	أبو زكريا	6هـ-12م	قلعة بني حماد	الإسكندرية-بغداد- الحجاز -اليمن-العراق- البصرة-عبادان.	السلفي، المعجم، ص.53، 438.
ابن الجوّاس القلعي		6هـ-12م	قلعة بني حماد	الإسكندرية	السلفي، المعجم، ص. 207.
محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعمري التلمساني الندرومي	أبو عبد الله	6هـ-12م	تلمسان		ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص. 317.
عبد الله بن إبراهيم بن عيسى المتيجي	أبو محمد	6هـ-12م	متيجة	الإسكندرية	الحموي، البلدان، ج.5، ص.51.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق في الجدول المذكور أعلاه.

الملحق(13)

رحلة فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	المناطق التي رحل إليها	مصادره
أحمد بن خلوف المسيلي	أبو جعفر	393هـ-1003م	مسيلة	المغرب الأقصى	القاضي عياض، المدارك، ج. 7، ص.110؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص.63.
عبد الله بن حمو المسيلي	أبو محمد	473هـ-1081م	مسيلة	سبتة	القاضي عياض، المدارك، ج. 7، ص.173-174؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.298.
أحمد القسنطيني	لم يعثر عليها	حي 494هـ-1101م	قسنطينة	دكالة	أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، ص.78.
ابن أبي سوار	أبو عثمان	ق.5هـ-11م	قلعة بني حماد	فاس	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.279، ج.8، ص. 77.
الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي	أبو علي	501هـ-1108م	تاهرت	سبتة	القاضي عياض، الغنية، ص. 141-142؛ ابن الأبار، المعجم، ص. 74؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج. 1، ص.513.
أبو عبد الله محمد بن عيسى بن الحسن بن أبي السعد التميمي التاهرتي	أبو عبد الله	505هـ-1112م	تاهرت	سبتة	القاضي عياض، الغنية، ص.27وما بعدها، المدارك، ج.7، ص.42؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.605؛ ابن الأبار، المعجم، ص.101-102؛ المقري، أزهار الرياض، ج.3، ص.159.
يعقوب بن محمود التلمساني	أبو يوسف	511هـ-1183م	تلمسان	أغمات	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.425؛ ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.17؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.59.
محمد بن داوود بن عطية بن سعيد العكي القلعي	أبو عبد الله	525هـ-1131م	قلعة بني حماد	فاس	القاضي عياض، الغنية، ص.64؛ ابن بشكوال، الصلة، ق. 2، ص.606؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.255.
أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي	أبو الطيب	538هـ-1144م	مسيلة	فاس	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج. 6، ص.208.

حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المشهور بابن زكون	أبو علي	553هـ-1158م	تلمسان	فاس	ابن الأبار، المعجم، ص.75؛ التكملة، ج.1، ص.217-218؛ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ج.613؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج.1، ص. 244، الحفناوي، ج.2، ص. 112.
عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني	أبو محمد	557هـ-1162م	وهران	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص.304.
علي بن موسى بن حماد	أبو الحسن	564هـ-1169م	من أهل العدوة	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص.243. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج. 8، ق.1، ص.212.
محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي ابن الرمامة	أبو عبد الله	567هـ- 1172م	قلعة بني حماد	فاس	الفاسي، المستفاد، ج.2، ص.171؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ق.8، ق.1، ص.326، ق.8، ص.502-503؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.158، ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.21؛ الذهبي، المستملح، ص.156 .
إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله بن باديس بن القائد الوهراني المشهور بالحمزي وبابن قرقول.	أبو إسحاق	569هـ- 1174م	الوهراني الحمزي	فاس- سلا- سبتة	ابن الأبار، التكملة، ج. 1، ص.130 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج. 6، ص.109؛ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.88-89؛ البغدادي، هدية العافين، ج. 1، ص.9؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق. 2، ص.16 وما بعدها.
حجاج بن يوسف الهواري	أبو يوسف	572هـ-1177م	بجاية	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.230.
علي بن أبي القاسم بن عبد الرحمن التلمساني ابن أبي جنون	أبو الحسن	577هـ- 1182م	تلمسان	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج. 3، ص. 246؛ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ق. 8، ص.553؛ الذهبي، المستملح، ص. 338-339؛ المنتوري، فهرست، ص. 231 ؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق. 2، ص.253.
سليمان بن عبد الرحمن التلمساني بن المعز الصنهاجي المعروف بالمواق	أبو الربيع	579هـ-1184م	تلمسان	سلا- فاس	ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج. 2، ص.517-518؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق. 2، ص. 170-171.
ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي	أبو تميم	584هـ-1188م	بجاية- تلمسان	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.197؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.387-388؛ الذهبي، المستملح، ص.175.

الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري	أبو علي	598هـ-1202م	بجاية	مراكش	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.219؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص. 120.
المتيجي	أبو علي	6هـ-12م	متيجة	أغمات	القاضي عياض، الغنية، ص.155.
محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني	أبو عبد الله	601هـ-1205م	وهران	مراكش	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س. 8، ق.1، ص.339 وما بعدها؛ ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص.161؛ الذهبي، المستملح، ص. 160.
حسن بن علي بن عمر القسنطيني	أبو علي	حي602هـ-1206م	قسنطينة	مراكش	الغبريني، الدراية، ص. 160 وما بعدها؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق. 2، ص.124 وما بعدها.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى في الجدول المذكور أعلاه.

الملحق (14)

رحلة فقهاء مالكية المغرب الأوسط إلى الأندلس

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	المدن التي رحل إليها	المصادر والمراجع التي أوردت ذكره
عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي ابن الحسين الطبني	أبو الحسين	401هـ- 1010م	طبنة	قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.309.
أحمد بن علي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله الربعي الباغائي المقرئ	أبو العباس	401هـ-1010م	باغاية	قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.85-86؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.175؛ عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص.361-362؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.325؛ الحموي، المعجم، ج.1، ص.325.
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد ابن مسافر الهمداني الوهراني ويعرف بالتجاني وبابن الخراز	أبو القاسم	بعد400هـ-1009م	وهران	الاندلس	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.317؛ الضبي، البغية، ص.319، و316 (أنه توفي 411هـ-1020م)؛ المنتوري، فهرست، ص.232؛ القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.218-219؛ الحموي، البلدان، ج. 5، ص.386.
زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد بن أسد التميمي الطبني	أبو مضر	415هـ- 1024م	طبنة	قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.192؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.267؛ الضبي، البغية، ص.282.
محمد بن يحي بن محمد بن الحسين الطبني	أبو عبد الله وقيل أبو مضر	بعد426هـ-1035م	طبنة	الأندلس	الضبي، البغية ، ص.125-126.
عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني	أبو محمد	429هـ-1037م	وهران	إشبيلية	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.298.

حسين بن محمد بن سلمون المسيلي	أبو علي	430هـ- 1040م	مسيلة	قرطبة	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.271؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.146؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.22.
يحي بن عبد الله بن محمد القرشي الجمحي الوهراني	أبو بكر	431هـ-1040م	وهران	الأندلس	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.666.
إبراهيم بن جعفر الزهري يعرف بابن الأشيري	أبو إسحاق	435هـ- 1044م	أشير	سرقسطة	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.95؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.253.
عبد العزيز بن زيادة الله بن علي التميمي الطبني	أبو الأصبغ	436هـ- 1044م	طبنة	قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.370.
مروان بن محمد الأسدي البوني القطان	أبو عبد الملك	440هـ-1048م	بونة	قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.61؛ ابن خير، الفهرسة، ص.76،392؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.274؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.33؛ البغدادي؛ الضبي، البغية، ص.402.
عمر بن ابراهيم بن مالك الأنصاري التاهرتي	أبو حفص	446هـ- 1054م	تاهرت	قرطبة	القاضي عياض، المدارك، ج. 7، ص.325؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ق.2، ص. 442-443.
عبد الملك بن زيادة الله أبي مضر ابن علي السعدي التميمي الحماني الطبني	أبو مروان	457هـ-1065م	طبنة	قرطبة	الضبي، البغية، ص.330-331؛ بشكوال، الصلة، ق.2، ص.360وما بعدها؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.25، ص.234-235؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.729؛ ابن ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.274؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.242 وما بعدها.
محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي ابن رمامة	أبو عبد الله	567هـ- 1171م	قلعة بني حماد	قرطبة	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.158؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.326 وما بعدها وج.8، ص.502؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.21-22 ؛ الذهبي، المستملح، ص.156-157؛ المنتوري، الفهرسة، ص.317.
محمد بن أحمد بن علي الباغائي	أبو بكر	470هـ-1081م	باغاية	قرطبة	ابن عبد الملك ،الذيل والتكملة، س.6، ص.14.

عبد الله بن حمو المسيلي	أبو محمد	473هـ-1080م	المسيلة	المرية	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.173-174؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.298.
محمد بن حسين بنأحمد بن حبيش ابن أسد التميمي الحماني القرطبي الطبني	أبو عبد الله	491هـ-1097م	طبنة	قرطبة	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة: س.6، ص.169.
علي بن مروان بن علي الأسدي ابن عبد الملك البوني	أبو الحسن	5هـ-11م	بونة	قرطبة	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.242.ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص212.
أحمد بن عبد السلام بن عبد الله ابن موسى الغافقي الاشبيلي المسيلي	أبو العباس	5هـ-11م	مسيلة	إشبيلية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.56؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.238-239؛ المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.598؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.61.
الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي	أبو علي	501هـ-1107م	تاهرت	الأندلس	القاضي عياض، الغنية، ص.141-142؛ ابن الأبار، المعجم، ص.74؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.513.
عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري بلنسي الزواوي	أبو محمد	505هـ-1111م	زواوة	بلنسية	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.250؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.4، ص.223.
محمد بن عيسى بن الحسن التميمي التاهرتي	أبو عبد الله	505هـ-1111م	تاهرت	إشبيلية-المرية-قرطبة	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.605؛ القاضي عياض، الغنية، ص.28 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن الأبار، المعجم ص.101-102.
عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي يعرف بالتامغلتي	أبو محمد	بعد513هـ-1119م	بجاية	قرطبة	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.304.
يحي بن عيسى بن علي بن محمد ابن أحمد المري التلمساني المعروف بابن الصيقل	أبو الحسن أو أبو عمران	بعد514هـ-1120م	تلمسان	مرسيه	ابن الأبار، المعجم، ص.198، التكملة، ج.4، ص.194؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.412-413.

محمد بن داوود بن عطية بن سعيد العكي القلعي	أبو عبد الله	525هـ-1130م	قلعة بني حماد- تلمسان	الأندلس	القاضي عياض، الغنية، ص.64؛ ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.606؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.255.
عبد الله بن خليفة بن أبي عُرجون التلمساني	أبو محمد	534هـ-1139م	تلمسان	الأندلس	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.300؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص. 531.
علي الترشكي البوني	أبو الحسن	حيا536هـ-1141م	بونة	البيرة	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.553.
محمد بن سليمان بن مروان بن يحي القيسي يعرف بالبوني	أبو عبد الله	536هـ-1141م	بونة	بلنسية وغيرها.	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.584؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.303.
أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي القسنطيني	أبو العباس	بعد 537هـ-1142م	قسنطينة	إشبيلية	عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص.260.
أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي	أبو طيب	538هـ-1143م	المسيلة	الأندلس	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.6، ص.208.
أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب اللخمي اشبيلي المسيلي	أبو العباس	حي539هـ-1144م	المسيلة	إشبيلية	ابن خير الاشبيلي، فهرست، ص.398،34؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.46-47؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة،س.1، ص.427؛ الذهبي، معرفة القراء، مج.2، ص.951-952؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.7، ص.262.
حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بابن زكون	أبو علي	553هـ-1158م	تلمسان	قرطبة- مرسيه	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.217-218، المعجم، ص.75؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.1، ص.183-184؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.112.
عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني	أبو محمد	557هـ-1162م	وهران	الأندلس	ابن الأبار، التكملة، س. 2، ص.304.
إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله بن باديس بن القائد الوهراني المشهور بالحمزي وبابن قرقول.	أبو إسحاق	569هـ- 1174م	الوهراني الحمزي	المرية- مالقة- اشبيلية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.130 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.88-89؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.16 وما بعدها؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج. 6، ص.109.

حجاج بن يوسف الهواري	أبو يوسف	572هـ-1176م	بجاية	الأندلس	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.230.
علي بن أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي جنون	أبو الحسن	577هـ- 1162م	تلمسان	الأندلس	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.246؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.553؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.136؛ المنتوري، الفهرسة، ص. 231؛ الذهبي، المستملح، ص.338-339؛ ؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.253.
جابر بن أحمد بن إبراهيم الرشي الحسني التلمساني	أبو الحسن	578هـ-1182م	تلمسان	إشبيلية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.201.
حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب يعرف بابن الأشيري	أبو علي	بعد579هـ-1173م	أشير	المرية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.218.
ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي	أبو تميم	584هـ-1189م	بجاية- تلمسان	بلنسية-مرسيه،	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.197؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.387-388؛ الغبريني، الدراية، ص.95؛ الذهبي، المستملح، ص.175.
موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري	أبو عمران	589هـ-1193م	أشير	قرطبة، إشبيلة، المرية	الضبي، بغية الملتمس، ص.398؛ ابن الأبار، التكملة، ج. 2، ص.182-183؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص. 380-381؛ الذهبي، المستملح، ص.171.
الحسن بن حجاج بن يوسف الهروي	أبو علي	598-1202م	بجاية	إشبيلية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.219؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.240؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ق.2، ص.120.
عبد المحسن بن ربيع من أهل الجزائر	أبو محمد	ق6هـ-12م	جزائر بني مزغنة	الأندلس	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.545؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.47.
قاسم بن علي بن عبدون	أبو الفضل	ق6هـ-12م	قسنطينة	الأندلس	عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص.229.
علي بن حسين بن علي بن عبد ابن فروخ التميمي	أبو الحسن	6هـ-12م	بجاية	الأندلس	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.249.

ميمون بن محمد بن عباس تاهرتي مسيلي	أبو وكيل	6هـ-12 م	تاهرت	إشبيلية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.404.
يحي بن أبي بكر بن مكي بجائي	أبو زكريا	6هـ-12م	بجاية	إشبيلية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.409؛ قلائد الجمان في فرائد الشعراء، ج.7، ص.218.
عبد المحسن بن الربيع الجزائري	أبو محمد	6هـ-12م	جزائر بني مزغنة	الأندلس	ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.47.
محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني	أبو عبد الله	ت.601هـ-1205م	وهران	إشبيلية	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.161؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.339 وما بعدها؛ الذهبي، المستملح، ص.160.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين المذكورين في الجدول.

الملحق (15)

رحلة فقهاء مالكية الأندلس نحو المغرب الأوسط

الفقيـــــــــه	كنيتـــــه	وفاتــــــــه	أصلـــــه	المدن التي زارها	مصــــــادر ترجمتــــــــــــه
أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي يعرف بابن ميمون	أبو جعفر	400هـ-1010م	طليطلة	المسيلة	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.20 وما بعدها.
أحمد بن عبد الله بن ذكوان بن عبدوس بن ذكوان الأموي	أبو العباس	413هـ-1023م	جيان	وهران	القاضي عياض، المدارك، ج.7، ص.167؛ الصلة، الضبي، ابن سعيد الغرناطي؛ بوباية عبد القادر، وهران مدينة من الجزائر، ص. 66-67.
أحمد بن محمد بن يحي القرشي الأموي يعرف بابن الصقلي	لم يعثر عليها	حي 429هـ-1038م	صقلية	لم يعثر عليها	ابن بشكوال، الصلة، ق.1 ، ص.86.
أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ	أبو العباس	432هـ-1041م	إلبيرة	لم يعثر عليها	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.49.
عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي	لم يعثر عليها	432هـ-1041م	قرطبة	بجاية	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.26-27.
عمر بن عبيد الله بن زاهر	أبو حفص	440هـ-1049م	الأندلس	بونة	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص.398.
أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري	لم يعثر عليها	450هـ-1058م	قرطبة	قلعة بني حماد	ابن بشكوال، الصلة، ق.1، ص.59.
القاسم بن محمد بن سيد قومه الأندلسي البجائي	أبو محمد	ت.457هـ-1066م	الأندلس	بجاية	ابن الجزري، غاية النهاية، ج.2، ص.23.

محمد بن عمار الكلاعي	أبو عبد الله	حي 485هـ-1092م	ميورقة	بجاية- مصر	ابن العربي، ترتيب الرحلة، ص.193 وما بعدها؛ القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.159؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.327؛ المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.60.
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي والد القاضي ابن العربي	أبو بكر	493هـ-1100م	اشبيلية	بجاية-بونة-تلمسان-	انظر: ابن العربي، قانون التأويل وترتيب الرحلة.
محمد بن أغلب بن أبي الدوس	أبو بكر	511هـ-1118م	مرسيه	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.335-336؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س. 6، ص.134؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.5، ص.388.
محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري	أبو عبد الله	518هـ-1124م	سرقسطة	قلعة بني حماد	القاضي عياض، الغنية، ص.89.
سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي	أبو البحر	520هـ-1126م	بلنسية	قلعة بني حماد	القاضي عياض، الغنية، ص.205 وما بعدها.
عيسى بن خليفة بن مروان اللخمي المالكي	أبو موسى	531هـ- 1138م	سرقوسطة	تلمسان	السلفي، المعجم، ص.308.
أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري	أبو العباس	532هـ-1138م	بلنسية	قلعة حماد بجاية	الحميدي، البغية، ص.154؛ القاضي عياض، الغنية، ص.118؛ بشكوال، الصلة، ق.1، ص.78 رقم 76-77؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.43-44، المعجم ص.11 وما بعدها؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.129وما بعدها؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.201-202؛.

محمد بن الحسين بن أبي البقاء بن فاخر بن الحسين الأموي	أبو عبد الله	535هـ-1141م	اندة	تلمسان	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.171؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.356-357.
محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشر الأنصاري يعرف بالميورقي نزيل غرناطة	أبو بكر	حيا 537هـ-1143م	ميورقة	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.359، المعجم، ص.144؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.196؛ الذهبي، المستملح، ص.42، تاريخ الإسلام، ج.36، ص.450؛ المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.155.
علي بن محمد بن محمد بن شعيب الأشوني	أبو الحسن	537هـ-1143م	أشونية	جزائر بني مزغنة	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ق.1، ص.388 وما بعدها.
محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق	أبو جعفر	538هـ-1144م	سرقسطة	تلمسان	الأبار، التكملة، ج.1، ص.375،360؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.171؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.283؛ المنتوري، فهرس، ص.310؛ الذهبي، المستملح، ص.43، تاريخ الإسلام، ج.36، ص.476؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.96؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.255-256.
عبد الله بن محمد بن يحي بن فرج المعروف بالزهيري العبدري	أبو محمد	540هـ-1146م	المرية	قلعة حماد-بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.258، المعجم، ص.227؛ الذهبي، معرفة القراء، ج.2، ص.965، تاريخ الإسلام، ج.11، ص.729؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج.1، ص.407.
طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد الأنصاري	أبو بشر أبو الحسن	بعد 540هـ-1146م	دانية	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.273؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج. 2، ص.18.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري	أبو بكر	543هـ-1149	إشبيلية	بجاية-بونة- المشرق- تلمسان	انظر: ابن العربي، قانون التأويل وترتيب الرحلة.
يوسف بن عبد العزيز بن محمد بن رشد القيسي يعرف الجِقِلّة	أبو الوليد أبو الحجاج	544هـ-1150م	قرطبة	لم يعثر عليها	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.208.
محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف اللخمي	أبو بكر أبو عبد الله	544هـ-1150م	قرطبة	وهران	الضبي، البغية، ص.56؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.5-6؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.153؛ الذهبي، المستملح، ص.50، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج.2، ص.1021؛ تاريخ الإسلام، ج.11، ص.864. ابن الجزري، غاية النهاية، ج.2، ص.109.
محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الأموي مولاهم ابن غلام الفرس	أبو عبد الله	547هـ-1153م	دانية	بجاية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.6، ص.163 وما بعدها؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.10-11، المعجم، ص.164-165.
أحمد بن خميس بن معاوية بن نصرون الأزدي	أبو جعفر	548هـ-1154م	بلنسية	جزائر بني مزغنة	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.54؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.205.
عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي	أبو محمد أبو مروان	550هـ-1155م	إشبيلية	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.311؛ ابن الجزري، بغية الوعاة، ج.2، ص.127.
محمد بن محمد بن عبد الله ابن معاد اللخمي المعروف بالفلنقي	أبو بكر أبو عبد الله	553هـ-1158م	إشبيلية	قلعة حماد	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.20-21؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.264؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، مج.2، ص.1009، المستملح، ص.557-58؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.1، ص.115.

أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله مروي	أبو العباس	حيا 555هـ-1160م	تدمير	بجاية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.232؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.60، المعجم، ص.39-40؛
عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني	أبو محمد	557هـ-1162م	الأندلس	وهران	بوباية عبد القادر، وهران مدينة من الجزائر، ص.70.
علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني	أبو الحسن	569هـ-1174م	قرطبة	بجاية - تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.210؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ق.1، ص.150؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.2، ص.480؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج.1، ص.397-398.
أحمد بن علي بن محمد بن عيسى	أبو العباس	حيا 572هـ-1177م	دانية	بجاية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.323؛ ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.71.
يحي بن محمد بن الياس الأزدي	أبو زكريا	حيا 576هـ-1181م	الأندلس	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص. 180.
يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن مخلد	أبو الوليد	بعد580هـ-1185م	قرطبة	بسكرة	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.233-234؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.12، ص.925.
محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري يعرف بالخِذب	أبو بكر	580هـ-1185م	إشبيلية	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.56؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ق.2، ص.648 وما بعدها؛ الذهبي، المستملح، ص.79-80؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.2، ص.81؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.28؛ المنتوري، فهرسة،299.

عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي	أبو محمد	582هـ-1187م	إشبيلية	بجاية	الضبي، بغية الملتمس، ص.341؛ ابن غازي، الفهرس، ص. 105؛ ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.120-121؛ الذهبي، المستملح، ص.279-280؛ ابن فرحون، الديباج، ج.2، ص.59 وما بعدها، ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1 ص.378-379.
أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي	أبو جعفر	582هـ-1187م	قرطبة	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.76؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.7، ص.43؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.215-216؛ المنتوري، الفهرس، ص.315؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.1، ص.142.
الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري	أبو علي	585هـ-1189م	المِرية	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.212.
شعيب بن الحسين الأندلسي	أبو مدين	590هـ-1194م	إشبيلية	بجاية- تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.137-138؛ الذهبي، المستملح، ص.387-388؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص.530-531.
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث ابن عاصم ابن مضاء بن مهند بن عميرة اللخمي	أبو جعفر أبو العباس أبو القاسم	592هـ-1196م	قرطبة	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.79-80؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.1، ص.212 وما بعدها؛ ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.208 وما بعدها؛ المنتوري، الفهرسة، 346.
موسى بن علي بن غالب الاموي	أبو عمران	بعد597هـ-1201م	مالقة	تلمسان	ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.51-52.

علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن مؤمن الأنصاري الخزرجي	أبو الحسن	598هـ-1202م	قرطبة	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.221-222؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج.5، ص. 256وما بعدها؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.390-391؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص.482-483.
أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري يعرف بابن الصيقل	أبو جعفر أبو العباس	598هـ-1202م	لورقة	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.82.
أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي	أبو جعفر أبو العباس	599هـ-1203م	مرسيه	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.83-84؛ المنتوري، 348؛ المقري، نفح الطيب، ج.2، ص.381؛ المراكشي، الأعلام بمن حل بمراكش، ج.2، ص.102-103.
عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن سلمة المعروف بابن بربطير البلغي	أبو محمد	ق.6هـ-12م	بلغى	تلمسان	السلفي، المعجم، ص.206.
محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي	أبو بكر أبو عبد الله	600هـ-1204م	إشبيلية	تلمسان	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.367؛ ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.231؛ الذهبي، المستملح، ص.98، معرفة القراء الكبار، ج.3، ص.1127.
عبد الجبار بن حميدس الصقلي	لم يعثر عليه	ق.6هـ- 13م	الأندلس	بونة	السلفي، المعجم، ص.278.
يحي بن سعيد بن مسعود المقرئ	أبو زكريا	حيا 600هـ-1204م	قلنة	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.186؛ الذهبي، المستملح، ص.407؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.335.

عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة بن عمر اللخمي يعرف بابن الدباغ	أبو الأصبغ	حيا600هـ-1204م	مرسيه	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.97.
يحي بن محمد بن علي بن يحي القيسي يعرف بابن الاشبيلي	أبو الحسن	600هـ-1204م	قرطبة	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.179؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.5، ص.250.
أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرح الذهبي	أبو جعفر أبو العباس	601هـ-1205م	بلنسية	تلمسان	ابن فرحون، الديباج، ج.1، ص.218؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.366.
علي بن محمد بن خيّار	أبو الحسن	601هـ-1205م	بلنسية	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.247؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.164؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص.483.
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المكتب	أبو زيد	لم يعثر عليه	الشاطبة	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.31.
محمد بن أغلب بن أبي الدوس	أبو بكر	لم يعثر عليه	مرسيه	تلمسان	السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.57.
محمد بن يوسف القيسي	أبو عبد الله	لم يعثر عليه	المرية	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص.104.
فتح بن يحي بن سلمة بن مهدي المرادي	أبو نصر	لم يعثر عليه	الأندلس(بلنسية – اشبيلية)	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.61، الذهبي، معرفة القراء، مج.3، ص.11025.
يحي بن جرير	أبو زكريا	لم يعثر عليه	جيان أو البيرة	جزائر بني مزغنة	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.161.
عبد الرحمن بن يحي بن الحسن بن محمد القرشي الأموي	أبو القاسم	لم يعثر عليه	إشبيلية	بجاية	ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.34؛ الحميدي، الضبي، البغية، ص.324.

محمد بن محمد بن جعفر بن مشمتل المري	أبو عبد الله	لم يعثر عليه	المرية	بجاية	السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.221.
علي بن محمد بن عُمارة	لم يعثر عليها	لم يعثر عليها	بلنسية	بجاية	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.5، ص.374.
عبد الرحيم بن جعفر المزياني	لم يعثر عليها	لم يعثر عليها	لم يعثر عليها	تلمسان	ابن الأبار، التكملة، ج.1، ص.356-357 مع تر محمد بن الحسين بن أبي البقاء
عبد الله بن حرب الله بن عبد الصمد بن أحمد بن مالك بن بلال الأنصاري	أبو بكر أبو محمد	لم يعثر عليها	بلنسية	لا يوجد	ابن الأبار، التكملة، ج.6، ص.157؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.4، ص.190-191.
يحي بن محمد بن يحي بن علي القيسي القرطبي	أبو الحسن	لم يعثر عليها	قرطبة	تلمسان	ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.250.
عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة المعروف بابن الدباغ	أبو الأصبغ	لم يعثر عليها	أندة	تلمسان	ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.253.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء مالكية المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين المذكورين في الجدول.

الملحق (16)

رحلة فقهاء مالكية المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	المناطق التي رحل إليها	العلوم والوظائف	مصادره
عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون اللواتي	أبو محمد	524هـ-1130م	طنجة	تلمسان	القضاء	ابن الأبار، التكملة، ج.2، ص. 304؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص.155-156.
علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك الطنجي	أبو الحسن	539هـ-1145م	طنجة	تلمسان	حافظا- القضاء	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.177-179، ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.64، 154-155.
محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني يعرف بابن الزق	أبو عبد الله	564هـ-1169م	فاس	بجاية	اللغة العربية-أصول الفقه-علوم أخرى في مختلف المجالات	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.508، س.8، ق.1، ص.307؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص. 28.
عثمان بن عبد القيسي المشهور بالسلالجي	أبو عمرو	564هـ-1169م	المغرب الأقصى	بجاية	علم الكلام- أصول الفقه	ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج.2، ص. 458؛ رضا كحالة، ج.2، ص. 363.
عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي	أبو موسى	578هـ-1183م	المغرب الأقصى	تلمسان- بجاية	القضاء	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.59؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ص.254؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص. 59.
بدر بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن عبد الله	لم يعثر عليها	ت.قبل 600هـ-1204م	فاس	بجاية	لم يعثر عليها	ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ج.2، ص. 421.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء المغرب الأقصى الذين رحلوا إلى المغرب الأوسط في الجدول المذكور أعلاه.

الملحق (17)

رحلة فقهاء المشرق إلى المغرب الأوسط

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	المناطق التي رحل إليها	العلم والوظائف	مصادره
موسى بن عبد الله بن حسين بن علي ابن أبي جعفر	أبو بسام	486هـ-1093م	الكوفة	قلعة بني حماد	علم الكلام	ابن بشكوال، الصلة، ق.2، ص. 613؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ق.8، ص. 524؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.3، ص. 57.
يحي بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي الأصفهاني	أبو زكريا	608هـ-1212م	أصفهان دمشق	بجاية	أصول الفقه التصوف	التكملة، ج.4، ص. 196-197؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.409-410.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء المشارقة الذين رحلوا إلى المغرب الأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين المذكورين في الجدول.

الملحق (18)

الدينار المضروب في مدينة عز الإسلام (445هـ-1053م)[2612]



الوجه: لا إله إلاّ الله/محمد رسول الله/يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله

الظهر: ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه/بسم الله ضرب بمدينة عز الإسلام والقيروان سنة خمس وأربعين.

[2612]- صورة مأخوذة من متحف الفنون الإسلامية برقادة، القيروان، و(انظر أيضا: Abdeljaouad(L.), op, cit., p.159.

الملحق (19)

خطبة القاضي أبي عبد الله محمد بن جعفر الكفي سنة 440هـ-1048م لإعلان القطيعة الفاطميين بأمر من المعز بن باديس بلعن العبيديين في يوم عيد الفطر

"اللهمَّ ! والعَنِ الفسقة الكفار،[2613] المرائين[2614] الفجار، أعداء الدين. وأنصارَ الشياطين، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك. المتبعين غير سبيلك. والمبدلين لكتابك ! اللهم ! العنهم لعنا وبيلا، واخزهم خزيا عريضا طويلا ! اللهم! وإن مولانا وسيدنا[2615] أبا تمام[2616] المعز بن باديس بن المنصور القائم بدينك،[2617] والناصر لسنة نبيّك، والرافع للواء أولئك،[2618] يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك، مباينا[2619] لمن غيَّر الدين، وسلك غَيْرَ سبيل المرشدين[2620] المؤمنين:﴿ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"[2621] وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[2622] ، (هكذا ذكر بإسقاط "قل" وآخرها.[2623] من أول السورة وترك لكم دينكم ولي دين لتعلق الأمر بالمراد).[2624]

قال: وأمر الأمير أبو تميم المعز بن باديس للخطيب أن يسُبَّهم على منبر القيروان بأشنع من هذا السبِّ.[2625]

2613 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.277.
2614 - المارقين، نفسه.
2615 - مولانا وسيدنا، نفسه.
2616 - تميم، نفسه.
2617 - لدينك، نفسه.
2618 - أوليائك، نفسه.
2619 - مدافعا، نفسه.
2620 - الراشدين، نفسه.
2621 - توقف هنا نص ابن عذارى .
2622 - سورة الكافرون، الآية 1-2.
2623 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 278.
2624 - الدباغ، المصدر السابق، ج.3، ص.196-197.
2625 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 278.

الملحق (20) 1

ورقة من مصحف بخط الحاكم المعز بن باديس بخط يده[2626]



1- يقول عبد الله ووليه المعز لدينه

2- أشهد أن لا إله إلاّ الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وإن أفضل النّاس بعد رسول الله.

3- أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم من علي رضي الله عنهم أجمعين

4- اللهم العن بني عبيد أعدائك واعدا نبيك نفعنا الله ببغضهم

5- حبست هذا المصحف على جامع القيروان لوجه الله الكريم سبحانه

[2626] - صورة مأخوذة من متحف الفنون الإسلامية برقادة، القيروان.
أشار إبراهيم شبوح أنّ أحد المصاحف المُحبّسة بجامع القيروان كتبها بخط يده المعز بن باديس. أنظر: سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج.2، ج.2، نوفمبر 1956م، الهامش 3، ص.339.

2 (20)

ورقة من مصحف بخط فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن أحمد

حُبست سنة 295هـ- 908م[2627]



[2627] - الصورة مأخوذة من متحف الفنون الإسلامية برقادة بالقيروان، وانظر أيضا، عبد الجواد

أشار إبراهيم شبوح أنّ المصحف المُحبس بجامع القيروان لفضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد لعله أقدم وثيقة مؤرخة عنها. انظر: سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج.2، ج.2، نوفمبر 1956م، ص.339.

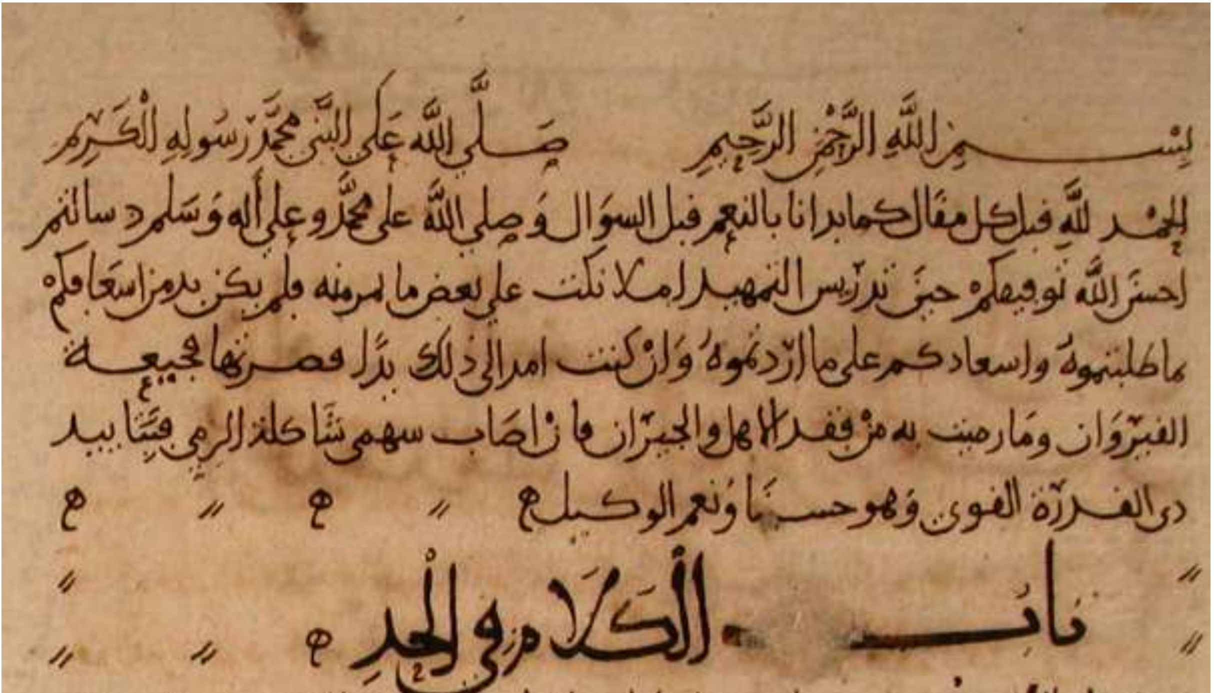
الملحق (21)

بداية مخطوط كتاب التسديد لعبد الجليل الديباجي



كتاب التسديد للفقيه الأجل القاضي أبي محمد عبد الجليل بن أبي بكر الربعي
في شرح تمهيد الإمام القاضي أبي بكر الطيب الباقلاني. وفيه رسالة

شهادة الفقيه عبد الجليل بن أبي بكر الديباجي القروي عن الفاجعة التي أصابت القيروان[2628]



بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على النبي محمد رسوله الكريم

الحمد لله قبل كل مقال كما بدأنا بالنعم قبل السؤال وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، سألتم أحسن الله توفيقكم حين تدريس التمهيد إملاء نلت على بعض ما يمر منه فلم يكن بد منى إسعافكم ما طلبتموه وإسعادكم على ما أردتموه فإن كنت أمد إلى ذلك بدا قصرتها فاجعة القيروان وما رميت به من فقد الأهل والجيران فإن أصاب سهمي شاكلة الرمي فبتأييد ذي القدرة القوي وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[2628] – الربعي(أبو محمد عبد الجليل بن أبي بكر القروي)، التسديد في شرح التمهيد لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، مخطوط بالمكتبة السليمانية، ضمن مجموع أصول الفقه تحت رقم يازمة باغشلر Yazma BaGislarar 1885 نسخت سنة 576هـ- 1181م ضمن مجموع من ظ.1 إلى و.93؛ سزكين، 609/1؛ رمضان شِشِ، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، دار الكتاب الجديد، 1400هـ-1980م، ص. 33-34.

الملحق(22)

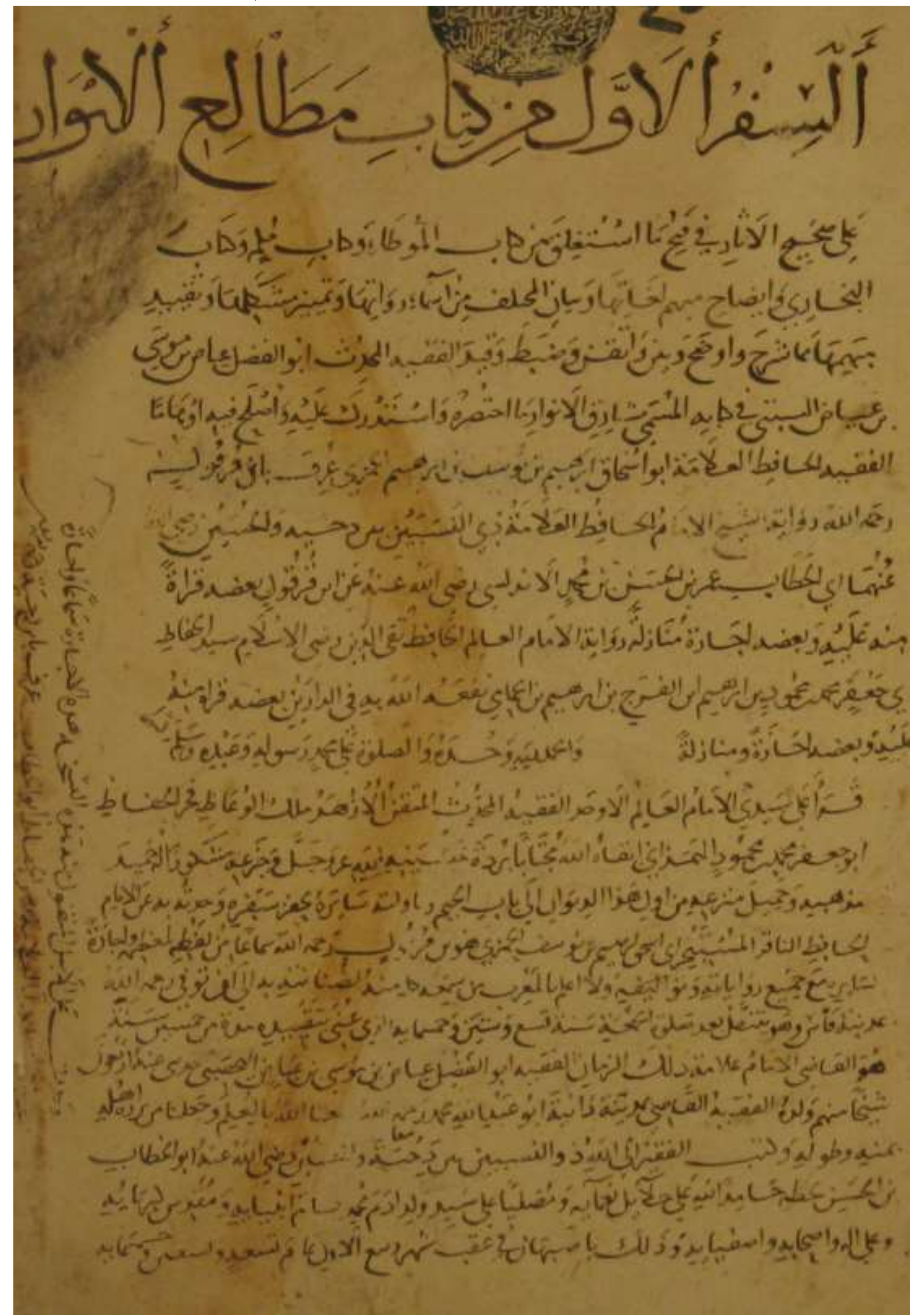
رحلة فقهاء مالكية افريقية نحو المغرب الأوسط

الفقيه	كنيته	وفاته	أصله	وجوده	مصادره
عبد الجليل أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي وبالصابوني	أبو القاسم	ق.5هـ- 11م	القيروان	قلعة بني حماد	ابن خير، الفهرسة، ص.392؛ ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.133؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.10، ص.304، المستملح، ص.287؛ المنتوري، الفهرسة، ص.268؛ ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج.2، ص.387.
يوسف بن محمد بن يوسف القيرواني المعروف بابن النحوي	أبو الفضل	513هـ-1119م	توزر	قلعة بني حماد	ابن الأبار، التكملة، ج.4، ص.225؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.2، ص.434 وما بعدها؛ الذهبي، المستملح، ص.427؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.2، ص.362؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.308؛ جذوة الإقتباس، ج.2، ص. 552-553.
محمد بن أبي فرج المازري المعروف بالذكي	أبو عبد الله	516هـ-1122م	مازر	قلعة بني حماد	القاضي عياض، المدارك، ج.8، ص.101-102؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج.3، ص. 203؛ القفطي، إنباه الرواة، ج.3، ص. 73-74؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج.1، ص.210؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج.1، ص.307.
علي بن عبد الله بن محبوب الطرابلسي	أبو الحسن	521هـ-1127م	طرابلس	قلعة بني حماد	السّلفي، المعجم، 272؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج.11، ص.371.
عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التوزري المشهور بابن عزرة	أبو حفص	حي 532هـ-1138م	توزر	قلعة بني حماد	الضبي، بغية الملتمس، ص. 354؛ ابن الأبار، التكملة، ج.3، ص.161، المعجم، ص.281 وما بعدها؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س.8، ق.1، ص.214-215؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق.4، ص.77.

الملاحظة: قد يفوق عدد فقهاء افريقية الذين رحلوا إلى المغرب الأوسط في الجدول المذكور أعلاه

الملحق: (23)

نص إجازة ابن قرقول لابن دحية الكلبي



السفر الأول من كتاب مطالع الأنوار

على صحيح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب

البخاري وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد

مهملها مما شرح وأوضح وبين وأتقن وضبط وقيد الفقيه المحدث أبو الفضل عياض بن موسى

بن عياض السبتي في كتابه المسمى مشارق الأنوار اختصره واستدرك عليه وأصلح فيه أوهاما

الفقيه الحافظ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم [illegible] يعرف بابن قرقول

السفر الأول من كتاب مطالع الأنوار

على صحيح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم والبخاري وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء ورواتها وتمييز مشكلها وتقييد مبهمها مما شرح وأوضح وبين وأتقن وضبط وقيد الفقيه المحدث أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي في كتابه المسمى مشارق الأنوار ما اختصره واستدرك عليه وأصلح فيه أوهامًا الفقيه الحافظ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي عرف بابن قرقول رحمه الله رواية الشيخ الإمام الحافظ العلامة ذِي النسبين بن دحية والحسين رضي الله عنهما أبي الخطاب عمر بن الحسن بن محمد الأندلسي رضي الله عنه عن ابن قرقول قراءةً منه عليه وبعضه إجازة مناولةً رواية الإمام العالم الحافظ تقي الدين رضي الإسلام سيد الحافظ أبي جعفر محمد بن محمود بن إبراهيم ابن الفرج بن إبراهيم بن الحمامي نفعه الله به في الدارين بعضه قراءةً منه عليه وبعضه إجازة ومنازلة[فراغ] والحمد لله وحده والصلاة على محمد رسوله وعبده وسلم.

قرأ على سيدي الإمام العالم الأوحد الفقيه المحدث المتقن الأزهر ملك الوعاظ فخر الحفاظ أبو جعفر محمد بن محمود الهمذاني أبقاه الله مجتابا الله عزوجل و[.....] مشكورا له حميد مذهبيه وجميل منزعه من أولى هذا الديوان إلى باب الجيم وناولته سائره بجفن سفره وحدته به عن الإمام الحافظ الناقر المستبحر أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي هو ابن قرقول رحمه الله سماعا من لفظه لمعظمه وإجازة لسايره مع جميع رواياته وتواليفه ولا أعلم بالمغرب من سمعه منه[.....] به إلى أن توفي رحمه الله بمدينة فاس وهو يتنقل بعد صلاة الجمعة سنة تسع وستين وخمسمائة الذي عني بتقييده مدة خمسين سنة هو القاضي الإمام علامة ذلك الزمان الفقيه أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي حدثني عنه أربعون شيخا منهم ولده الفقيه القاضي بمدينة دانية أبو عبد الله محمد رحمه الله نفعنا الله بالعلم وجعلنا من يروي أهله بمنّه وطوله وكتب الفقير إلى الله ذو النسبين بن دحية و[.....] رضي الله عنه أبو الخطاب بن الحسن بخطه حامدًا فيه على جلايل النعمانية ومصليا على سيد وَلَدِ آدم محمد ختام أنبيائه ومقدس كبريائه وعلى آله وأصحابه وأصفيائه وذلك بأصفهان في عقب شهر ربيع الأول عام تسعة وتسعين وخمسمائة

مكتوب في الحاشية: على الأصل المنقول منه هذه النسخة هذه الإجازة سماعًا وإجازة العلامة الحفاظ أبو الخطاب عرف بابن دحية رحمه الله.

الملحق: (24)

من نظم ابن حماد الصنهاجي كتب به من مرسيه إلى أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني شاكرا له على إجازة بعث بها إليه.

يا أيهــا الندب السري الأمجد   والعالــم الحبر الفقيـه الأوحـد
يا أيهــا البحر المحيط معارفــا   لا تنتهـــي، وفوائـــدا لا تنفذ
وصلت إجازتك المجيزة سيــدي   نحو الذي أنحـو إليــه وأقصد
إن الدراية و الروايـــة منتهـــى   أملـــي الذي أسعـى إليه وأحفد
لا زلت لـــي متفضلا فأجزتنـــي   بفوائد يفنـــى الزمـــان و تخلد
فجزاك عنـــا الله خـير جزائـــه   فجزاء مثلك عندنـــا لا يوجــد
ووددت لو أني لديك، و أين من   ظمـــان في البيد البـلاقع مورد؟
ولقــد لقيتـــك لقيـــة لكنهـــا   كانت كمـــا أغنى وهب مسهد
لم تشف لـــي كمدا وأنـى يشتفى   بزيـــارة الطيف المسهد مكمــد
فان استمرت بـــي الحيـاة ليـكم   حتمــا، وإلا فالمعـــاد الموعــد
لا زلتـــم فـــي عزة وسعــادة   مــا لاح فــي جنح الدجنـة فرقد[2629]

[2629] - انظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج. 8. ق1، ص.326.

الملحق (25)

نص كتاب الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني
يستجيز للفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسين الخشني بإجازة

يرغب إلى جلال الشيخ الأجل، الفقيه الزكي العالم الحافظ المفيد المتفنن العلامة الأكمل، بقية الجلة الفضلاء الأكابر أهل العلم أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الزكي الزاهد المرحوم أبي محمد عبد الحق بن سليمان أكرمهم الله برضاه، وحرس مجدهم وتولاه، معظم مقدارهم، وتوقيرهم إيثارهم، العارف بحقهم، العليم بتقديمهم وسبقهم، محمد بن محمد بن الحسين الخشني في الإنعام عليه بإجازة هذا البرنامج الذي تضمن ذكر أشياخه الجلة الفضلاء، رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين بحيث يحمل ذلك عنكم، ويتشرف بأخذه منكم، وفضلكم بذلك كله كفيل. وثوابكم عليه عند الله جزيل، والله يبقى ببركاتكم الانتفاع، ويحسن على أرجائكم الوقاع، أفضل سلام الله عزوجل وأوفى تحياته وأزكاها، وأعطرها عرفًا وأزكاها، يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته.

الرد على الطلب

أجبتك بأحسن تحية، وامتثالا لما جاء به خير البرية، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبته إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق أنك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أدبك، إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق أنّك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أدبك، إجابة عامة بشرطها فتلقَّها تلقى أمثالك، واعمل بحسابها عمل بحسابها عمل نظرائك، والعمل جمال العلم وخادم له ومرتبط به لمن أراد السعادة وسعى لها قال الله تعالى:" إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصّالح يرفعه"[2630] يرفعه مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها جعلنا الله وإياكم ممن استمع القول واتبع أجمله وممن ختم بالحسنى عمله.. آمين، قاله وكتبه حامدا مصليا على نبيه محمد بن عبد الحق بن سليمان في ذي الحجة عام ثلاثة وستمائة.
وقال الغبريني عن هذا الرد:" وكتب السائل عندي أبرع من جواب المجيب"[2631]

الملحق (26) 1

[2630] - سورة فاطر، الآية 10

[2631] - الغبريني، الدراية(ط. الجزائر)، ص.117؛ الحفناوي، المرجع السابق، ق.2، ص.489-490، عادل نويهض، أعلام، ص. 133.

نص كتاب العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني يستجيز
أبي يحي بن علي بن حسن حبوس الهمداني بإجازة

يرغب إلى الشيخ الفقيه الزكي المحصل الأفضل أبي عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الفاضل أبي محمد عبد الحق بن سليمان[اليعفري] أدام الله كرامته، وأبقى بركته، ووصل رفعته مجل[2632] قدره، ومؤثر بره، الراغب في بركات دعائه، وإلى الله تعالى في إطالة بقائه، يحي بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني في الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه – رضي الله عنه- وما سند عنه من قراءته ومسموعاته وإجازته ومناولاته وتآليفه في فنون العلم وما له من نثر ونظم منعما ومتفضلا عليه بالإسعاف بمطلوبه من ذلك والإجابة إليه والله عزوجل يعين على بره ويمتع ببركاته وبصالح دعائه والسلام الأتم الجزيل المبارك الحفي يخصه ورحمة الله تعالى وبركاته.

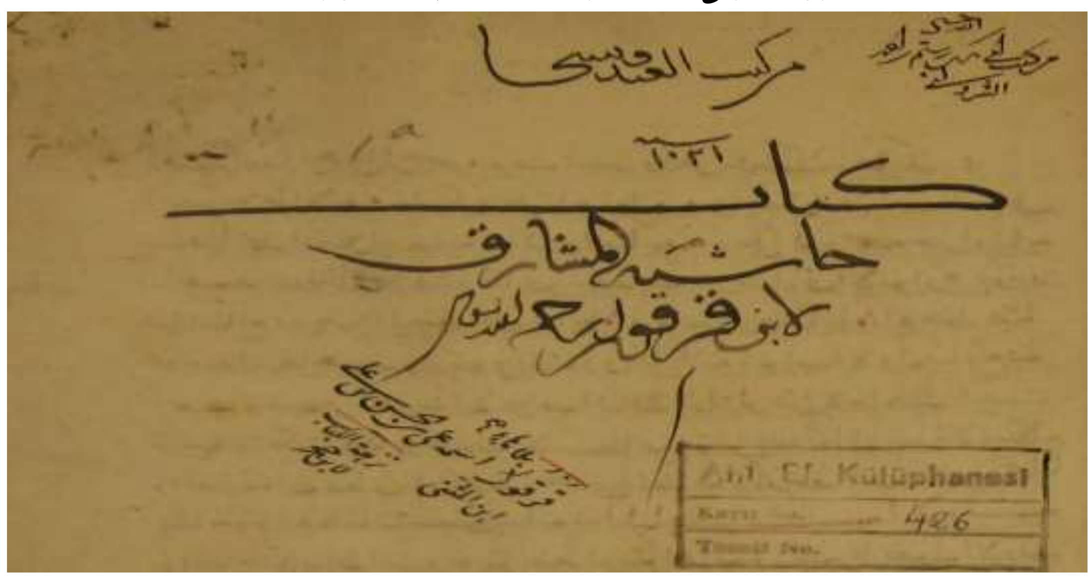
الرد على الطلب

فأجاب رحمه الله أجزت لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه، وأبحت لكم من ذلك ما طلبتموه، إجازة عامة على شروطها المعمول بها عند القائلين إذ أنتم أهل لذلك نفعكم الله ونفع بكم فلتستعمل نفسك ولتتوخَّ هديك في العمل بمقتضى ما علمك الله من ذلك أبلغكم الله أملكم، وختم بصالح عملنا وعملكم، قاله وكتبه حامدًا لله ومصليًا على نبيه محمد وعلى آله بتاريخ جمادى الأخرى من سنة عشرة وستمائة محمد بن عبد الحق بن سليمان.[2633]

[2632] في نسخة " محل"
[2633] الغبيريني، الدراية(ط.الجزائر)، ص. 118- 119.

الملحق: (26) 2

الورقة الأولى من مخطوط كتاب حاشية ابن قرقول[2634]



مخطوط كتاب الحاشية لابن قرقول الحمزي[2635]

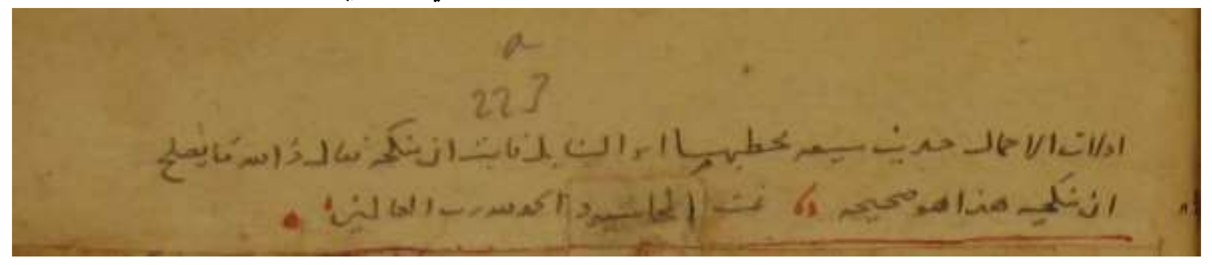
بسم الله الرحمن الرحيم. رب يسر واعن بلطفك وعونك
أحمد الله على الآية. واشكره على تتمة نعمايه. وأفضل صلاته وسلامه علي
سيدنا محمد أفضل أصفيائه وأكرم أنبيائه. وعلى أله وصحبه خير أوليائه
أما بعد فهذه حاشية ألحقتها بكتابي التهذيب من مشارق الأنوار هي محذوفة
من المطالع فهي خريدة لم نقف على أبوابها. ولا عدّ من خطّابها. حظرهَا
عظيم وَأمرهَا جسيم وَرتبها في المشارق على ثلاثة أبواب الأول فيما وقع فيه
تصحيفه وشبهه الثاني في الإعراب الثالث فيما نثر من الأحاديث فأحسنت

2634 - ابن قرقول الحمزي(أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد الله بن باديس الوهراني، ت.569هـ-1174م)، كتاب حاشية المشارق، مخطوط بالمكتبة السليمانية، رقمه عاطف أفندي ATiFAFENDI 426، و.1.

2635 - نفس المصدر، ظ.1.

ترتيبها وأحكمت تهذيبها حسب الاستطاعة. وإلى الله تعالى ابتهلُ بالاستكانة والضراعة أن يمدني بإسعافه ويحفّني بالطاقة وقدمت باب الإعراب اهتماما بشأنه. وإحكاما لتأسيس بنيانه. البـــــــــــــاب الأوّل

خاتمة مخطوط الحاشية لابن قرقول الوهراني الحمزي[2636]

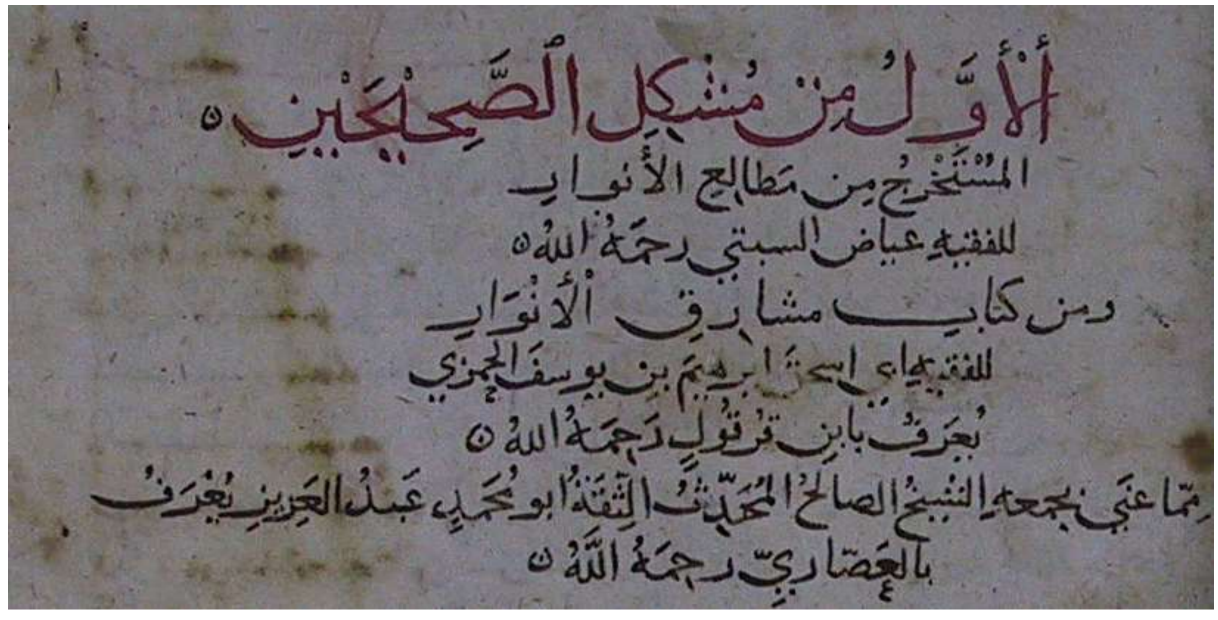


أولات الأحمال. حديث سبيعة يخطبها أبو السنابل فأبت أن تنكحه فقال:تالله ما يصلح أن تنكحيه. هذا هو صحيحه. تمت الحاشية والحمد لله ربي العالمين.

[2636] - ابن قرقول الحمزي(أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد الله بن باديس الوهراني، ت.569هـ-1174م)، كتاب حاشية المشارق، مخطوط بالمكتبة السليمانية، رقمه عاطف أفندي ATiFAFENDI 426، ظ.223.

الملحق: (27)

الورقة الأولى من مخطوط مشكل الصحيحين

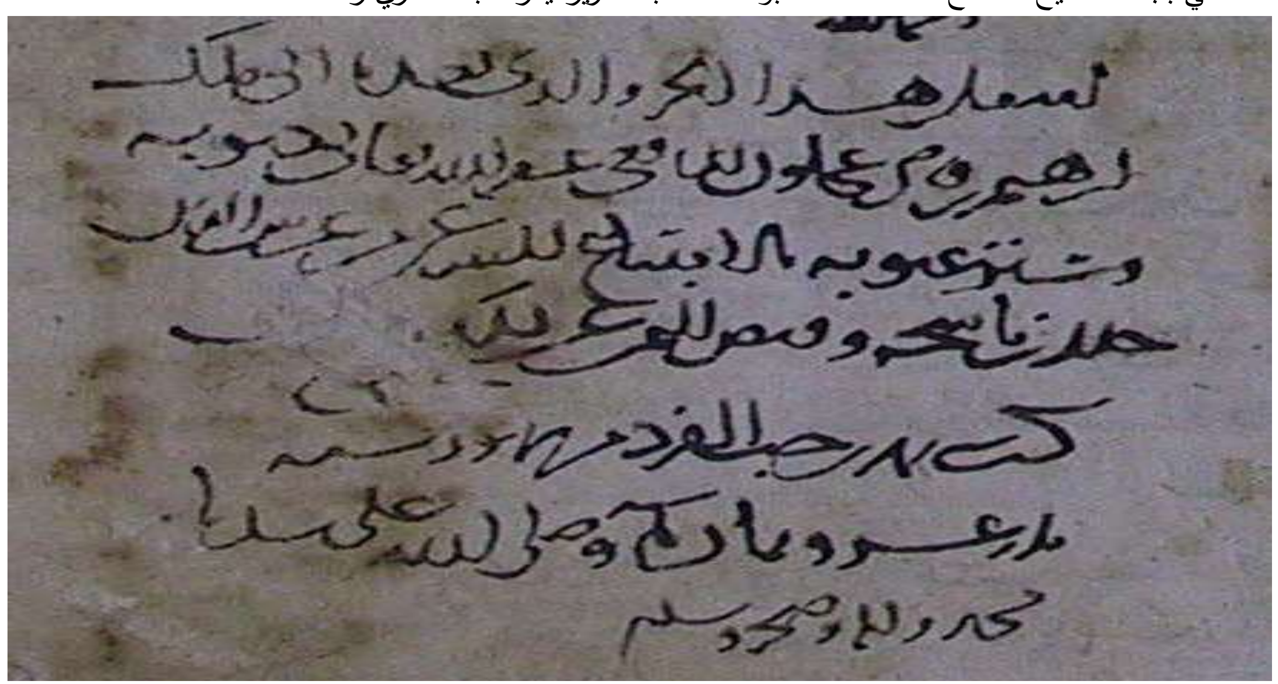


الأول من مشكل الصحيحين

المستخرج من مطالع الأنوار للفقيه عياض السبتي رحمه الله

ومن كتاب مشارق الأنوار للفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي يعرف بابن قرقول رحمه الله

مما عني بجمعه الشيخ الصالح المحدث الثقة أبو محمد عبد العزيز يعرف بالعصاري رحمه الله



الحمد لله انتقل هذا الجزء والذي بعده إلى ملك إبراهيم قاضي عجلون الشلفعي غفر الله تعالى ذنوبه وستر عيوبه بالابتياع الشرعي من غرس الدين خليل ابن ناسخه وقبض الثمن عن كل الكتاب في ضهر رجب الفرد من شهور سنة ثلاث عشر وثمان مئة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم الجزء الثاني وبتمامه ثم جميع الديوان وذلك في ليلة يسفر صباحها عن الثالث والعشرين من شهر الله المحرم سنة ثمان وخمسين وسبع مائة

علّقه لنفسه العبد المعترف بذنبه الراجي حسن ظنه بربه عمر بن خليل بن عمر بن عبد الراحم بن رمضان بن خضر بن خليل بن أبي الحسن التنوخي الطاي الشافعي بمدينة عجلون غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالتوبة والمغفرة وخاتمة الخير ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.[2637]

[2637] - العصاري(أبو محمد عبد العزيز)، **مشكل الصحيحين المستخرج من مطالع الأنوار للفقيه عياض السبتي رحمه الله ومن كتاب مشارق الأنوار للفقيه أبي إسحاق بن يوسف الحمزي ابن قرقول**، مخطوط بالمكتبة السليمانية رقمه فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPASA 334، بداية المخطوط ونهايته.

الملحق (28)

شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال الشيخ الإمام الفقيه الأفضل العالم
العامل ناصر الدين أبو علي منصور بن الشيخ الصالح
أبي العباس أحمد المشذالي رضي الله عنه ورحم سلفه
الحمد لله المصنفون أختلفت اراوهم فيما يبتدون به مصنفاتهم
على ما هو معلوم من تصانيفهم وقد بدا الشيخ ابو محمد بن أبي زيد
رحمه الله بحمد الله على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
كل امري ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو اقطع وفي رواية فهو
اجذم والأجذم الاقطع ومنه سيف جذما إذا كانت
قاطعة او اقتدا بالصحابة رضي الله عنهم حين الفوا المصحف
فجعلوا في أوله الحمد او تيمنا بذكر الله تعالى وكان ابتداوه بالثنا على
الله تعالى كمن يقدمه المستشفع قبل مسألته رجا أن يشفع بذلك في
قضا حاجته فإذا تقرر هذا فنقول الحمد والمدح لفظان معناهما
واحد وهو الثنا بذكر أوصاف الكمال والجلال والإنعام والإفضال
يقال حمدته على إنعامه وعلى شجاعته وعلمه وأما الشكر فإنما
هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

" قال الشيخ الإمام الفقيه الأفضل العالم العامل ناصر الدين أبو علي منصور بن الشيخ الصالح أبي العباس أحمد المشدالي رضي الله عنه ورَحِمَ سلفه الحمد لله المصنفون اختلفت آراؤهم فيما يبدؤون به مصنفاتهم على ماهو معلوم من تصانيفهم وقد بدأ الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو اقطع وفي رواية فهو أجدم، والأجدم الأقطع ومنه سيف جدما إذا كانت قاطعة أو اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حين ألقوا المصحف فجعلوا في أوله الحمد أو تيمنًا بذكر الله تعالى وكان ابتداؤه بالثناء على الله تعالى بحمديه المستشفع قبل مسئلته رجاءً أن يشفع بذاك في قضاء حاجته فإذا تقرر هذا فنقول الحمد والمدح لفظان معناهما واحد وهو الثناء بذكر أوصاف الكمال والجلال والانعام والافضال يقال حمدته على إنعامه وعلى سجاعته وعلمه، وأما الشكر فإنما هو في مقابلة الانعام والفرق بينهما فرق بين الخاص والعام ثم هذا العموم والخصوص هل هو عموم مطلقا أو خصوص مطلقا فكل شكر حمد لا ينعكس وذكر بعض العلماء ما يقتضي أن كل واحد منهما عام من وجه خاص من وجه لا من الحمد يكون باللسان وغيره ومنه قول القائل افادتكم النعما مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فإذا وجد الشكر باليد والضمير فقد وجد ولا حمد لما تقدم أن الحمد لا يكون إلا باللسان فكان أعم بهذا الاعتبار فإن وجد بالشكر...."[2638]

[2638] – المشدالي(أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي(ت.731هـ–1331م)، شرح عقيدة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 846، لوحة 1. (انظر: فهرس كوبريلي، ج.1، ص.414).

الملحق (29)

جواب أبي علي الحسن بن سلمون المسيلي
للقاضي يونس بن عبد الله الصفار بقرطبة
عن جائحة جنات الأحباس

" وسئل الفقهاء بقرطبة عن جائحة جنات الأحباس، إذا كانت عادة القضاء بها الإحسان فيها إلى متقبليها ومتقبلي أرضها، إذا تشكوا وضيعة أو جائحة استيلافا لهم، فقام متقبلو الأحباس عند القاضي يونس بن عبد الله الصفار، يسألونه الرفق بهم، والإحسان إليهم بالوضع عنهم، وأثبتوا عنده الموجب، وشاور في ذلك الفقهاء.
وأجاب أبو علي الحسن بن سلمون المسيلي: سيدي وولي ومن عصمه الله بتوفيقه. قرأت مخاطبتك، ورأيت هذه المسألة وهي مسألة من الاجتهاد، وما حكم به القضاة من مسائل الاجتهاد والرأي ولا يجوز نقضها عند أحد من أهل العلم، لكن سيدي يجزو لك أن تجتهد فيها وتحكم بعد اجتهادك بما تراه صلاحا مما يصلح الأحباس ويتنافس فيها، وإنما حبست لمرافق المسلمين، وأكثر متقبليها محاويج وسبيل الدور هذه السبيل، وفقك الله وأعظم أجرد، وأصلحنا الله وإياك برحمته والسلام على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته، قال بذلك الحسن بن سلمون.
قال القاضي أبو الأصبغ بن سهل رحمه الله قد قدمنا أن القاضي ابن بشير رحمه الله سعى عليه الفقهاء حتى عزله المعتمد، وكان محسودا لتبريره عليهم، وانتقاده لأجوبتهم واعتراضهم فيها، حتى ينصرفوا إلى ما يختاره من معانيها وقد كان بعضهم عنده لا يقبل شهادتهم في الباطن ولا يقضي بها إذا انفردت عن غيرها، فسببهم ذلك عداوة، وأضرموا مطالبته حتى أمكنتهم الفرصة بعزله، وولى صغار وشاورهم في العقدين المقوم بهما عنده على حسب ما ذكره في شواره ونصوا في مجاوبتهم إياه فعرضوا بابن بشير فيها، بل صرحوا إلا ابن خريش والمسيلي فالماء تدينا أو مصانعة وقدره من أقدارهم ظاهر والبو بينهم وبينه لائح خبرا وخبرا ﴿ والله يؤتي فضله من يشاء﴾ ولقد صدق الذي قال:
حَسَدُوا الفتى إذْ لمْ ينالُوا سَعْيه فالقومُ أعدا له وخصومُ
كم بين العقد الذي شوروا فيه والعقد المقوم به عند القاضي ابن بشير المؤرخ بسنة تسع وأربعمائة المتقدم الذكر . ولم قيم بهذا العقد الذي أفنوا فيه وشوروا فيه عند القاضي ابن بشر لمزقه، وما سمع شهادة فيه لفساده وبطلانه عن أن يوجب حكمًا، ولمشاورتهم فيه يعلم من منح أدنى شعبة من ميزان الشهود عنده فيه لا حظَّ له من العلم، ولا بصر له بالحكم واطراؤهم له بأنه قدوة في العلم، عالم بوجوه الصواب أدل دليل على المصانعة أو المشافهة له في الغفلة، وكلاهما خطة خسف، والدين نصيحة، فإن كانوا قد نظروا بعين الحقيقة من بطلانى ما شاورهم فيه فما لهم لم ينصحوه ويصرحوا له بأنه لا يسعه النظر في مثل ذلك ولا سماع شهادة فيه ليتجنب أمثاله، ويتوفى أسبابه، وان كان قد خفي عليهم فتلك التي تسْتَّك منها المسامع، والوجه الأول أولى بالتأويل عليهم فيه، فقد كانوا مشيخة وقتهم والمشار عليهم في عصرهم، والتقصير أغلب علينا والتبريز أقل شيء فينا. وفي أجوبتهم من الاختلال و الاضطراب في الألفاظ والمعاني ما لو ذهبت إلى تبيينه وكشفه وإظهار الصواب فيه لطال معه الكتاب، ووقع الإسهاب، والله يلهم من شاء من خلقه". [2639]

[2639] - الونشريسي، المعيار المعرب، ج.7، ص. 450- 451.

الملحق (30)

كتاب الفقيه أبي عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي
إلى عبد الله بن المظفر

أمّا ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فوجدته رجلاً جليلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم زمانه، ثم بدا له عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ثم تصرف بمحيّر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووسواس الشيطان، ثم شابها برأي الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل ينحو على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين. فلما عمل كتابه سمّاه إحياء علوم الدين عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية، وكان غير دريّ بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، سبكه بمذاهب الفلاسفة. ومعاني رسائل إخوان الصفاء، وهم قوم يرون النبوءة اكتسابا وليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل تخلق بمحاسن الأخلاق وجانب سفسافها، وساس نفسه حتى ملك قيادها، فلا تغلبه شهواته، ولا يقهره سوء أخلاقه؛ ثم ساس الخلق بتلك الأخلاق. وأنكروا أن يكون الله تعالى من أقر منهم بالصانع يبعث إلى الخلق رسولاً ويؤيده بالمعجزات حيل ومخاريق. ولقد شرف الله الإسلام وأوضح حجته وأقام برهانه وقطع عذر الخلائق بحججه الواضحة، وأدلته القاطعة الدامغة. وما من ينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة وآراء المنطقية إلا كمن يغسل الماء بالبول، ثم يسوق الكلام سوقًا يُرعد فيه ويبرق، ويمني ويشوّق، حتى إذا تشوّفت له النفوس، قال هذا من علم المعاملة وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز تسطيره في الكتاب؛ أو يقول وهذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في دين الله يستغل الموجود، ويكلف النفوس بالمفقود، فهو تشويش لِعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة. فإن كان الرجل يعتقد ما سطّره في كتابه لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله**!**

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنّار، فإنه إن ترك انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سُطر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياسًا على ما أحرقته الصحابة رضي الله عنهم من صحائف التي كان فيها اختلاف ألفاظ ونقص آي. ألا ترى أنهم لو لم يحرقوا تلك الصحائف وانتشرت في الخلق كل إنسان ما وقع منها إليه، وأوشك أن يختلفوا فيتقاتلوا ويتقاطعوا. وإني لعلى عزم أن أنفرد له فاستخرج جميع هفواته وأوضّح سقطاته وأبينها حرفًا حرفًا، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين، وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجل صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات، ولا يفهمون الإلهيات، ولا يعلمون حقائق الصفات، ولا يخبرون شياطين الإنس الذين انتدبوا للطعن في الدين وتوهين عمود الإسلام وتعطيل الصانع وإفساد المعجزات. فمن لم يكن عنده تمييز لهذه الأبواب من الذب عن دين الله تعالى ونصرة شريعته لم ينبغ له أن يقفو ما ليس له به علم، يمدح على غير علم ويذمّ على غير علم والسلام." [2640]

[2640] - الونشريسي، المعيار المعرب، ج.12، ص.186-187.

الملحق: (31) 1

رسالة فقهاء تلمسان إلى أبي زكريا القلعي وجوابه



النسخة الثانية (إسكوريال)

الزناتي(أبو زكريا يحي بن املول بن عشيرة الزناتي، 6هـ-12م)، الانتصار لأبي حامد الغزالي، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة العامة، الرباط، تحت رقم ك251 ، من ظ154 إلى ظ 169؛ كتاب انتصار الإمام الزناتي لأبي حامد محمد بن أحمد الغزالي لما في الإحياء من كلام سليم، مخطوط ضمن مجموع بمكتبة إسكوريال، تحت رقم Ms arab 1130 ، من و115 إلى ظ188.

الملحق (31) 2

جواب أبي الفضل ابن النحوي

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وللفقيه الإمام الفاضل الزكي أبي الفضل ابن النحوي رحمه الله مخاطبا لأهل تلمسان في مثل مجاوبة الزناتي.

جمع الله قلوبكم على التقوى حتى تقوى، ورفع مثواكم عن الدنيا التي هي أدنى إلى الأخرى التي هي أحرى، وعقد ألوية مساعيكم بالقيام في دينه، وجعل أوعية قلوبكم مجلوة بيقينة، وصهر ألسنتكم التي تلهجون بها من سيوفه الماضية، وأمكنتكم التي تحتلونها من خصومه المانعة الواقية، حتى لا تركنوا لمخايل الباطل العارضة في جهام الجهل على ظلام الظلم" فلا تهنوا وتدعوا إلى السّلم وأنتم الأعلون والله معكم، ولن يتركم أعمالكم"، " ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز" ، " إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نُداولها بين النّاس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين"، " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

وما جرى به القضاء في كتاب إحياء علوم [الدين] فقد سبق به العلم في أول التكوين، و(ذلك تقدير العزيز العليم" ، و[تدبير] القوي الحكيم. ونسأل الله تعلى تدارك العصاة الخاطئين بتوبة تُحيي منهم ما أماتته الذنوب، وترد إليهم عازب الرأي حتى تقر بصوابه القلوب. ولهذا الأمر ما بعده، والله لا يخلف وعده. والقوم قد زلت بهم القدم، وسيحيط بهم الندم" أفرأيت إن متَّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغْنى عنهم ما كانوا يُمتعون"، " ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب"، "وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب"، وحزب الله هم الغالبون، وحزب السلطان هم الخاسرون.

فيا إخوتي الذين رأيت بعين الخبرة جميل نياتكم وكريم طوياتهم، كونوا قداة الخلق، وأحيوا عادة الحق، وأضربوا بصارمة وجه مراغمه، "ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين" "بل الله مولاكم وهو خير الناصرين"، " وإنه لقول فصل وماهو بالهزل".

وقد بلغني ثبوتكم على دينكم، ومضاؤكم على يقينكم، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم، ومنقبة من الزمان الأقدم. والله يثبت على الحق أقدامكم، وينهض على عدوكم إقدامكم. ومتى استولت العامة في عماها ولم تزعها الخاصة بهداها انتشرت ظلم الباطل وغياباته في آفاق البلاد، وتعدت خدع الشيطان وغواياته إلى أوهام العباد، فحتم على المستضاء [به] أن يطلع على جهاتها ما يجلي لها الغاشي.

ولقد حضرتني من النصرة، ولزمتني بالغيبة والحضرة، مانحوت إليه حمدا، واستوليت عليه صاعدا. وأبو حامد الغزالي على الجملة والتفصيل، صاحب نقطة التحصيل ونكتة التوصيل. محمود المقال والفعال، ممدوح الجواب والسؤال. معروف المقدار في سائر الأقطار. قد أخذت تصانيفه بنواصي العباد، ووطنت دواوينه صياصي البلا، فتتابع التسليم لها، وتعاضد الإقرار بها. فبأي مبالاة تقع بمثاله العوام، وثفاية الهوام، الذين لم يصحبوا فريقه، ولم يسلكوا طريقه، ولم يتنقبوا في بلاده، ولا قاربوه في مراده ومراده، ولا قاموا إليه بسلطان، ولا نهضوا نحوه ببرهان. وقد وقعت على أحوالهم الهاجمة، فما رأيت بهجة تروق، ولا سمعت لهجة تفوق. وإنما هو انتحاء وانتحال، ومجال في محال. ومسألة واحدة من مسائلهم لم يحددوا إليها دليلا، ولم يأخذوا نحوها سبيلا، ولم يأتوا إليها من بابها، ولا نطوا بها سببا من أسبابها، بل لا تسمع إلا تشنيعا مهول، وتبشيعا مصولا، وأنفاسا مختلفة، وأقوالا متكلفة لا يخفى تلفيقها من جهات، ولا تأليفها عن ترديدات. لا فارس مشيح يرفع رأيه، ولا ممارس مليح يظهر آية...[2641]...

[2641] – محمد المغزاوي، المرجع السابق، ص.122 وما بعدها.

الملحق رقم (32)

رسالة التي كتبها ابن دفريز (حيا 547هـ- 1151م) من كتاب الدولة الحمادية للحاكم الحمادي يحي بن العزيز الحمادي لمّا فر من عسكر عبد المؤمن بن علي سنة 547هـ- 1151م

" كتبنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسرّ، رضي بالقسم وتسليمًا للقدر، وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النَّبي محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لا نجم بحر، وبعد: فإنه لمَّا أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا وضع، استفز أهل مولاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون، فكنّا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفرّ من صل خبيث إلى حيّة صماء، حتى بغت مكرهم، وأعجل عن التلافي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا إلى مظنة الأمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنّا نراه للمهم عدة، وأنتم في هذا الأمر من يليهم الخاطر، ويثنى عليه الخناصر".[2642]

[2642] – ابن عماد الإصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ج.17، ق.1، ص. 179.

الملحق (33) 1

الورقة الأولى من مخطوط البارع لابن أبي الرجال نسخة المكتبة الوطنية بالحامة.



" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، خالق الليل والنهار، وكاشف [بياض] وأمات و أحيا ذى الطول والإحسان، والعزّ والسلطان، الأول بلا ابتداء يعرف[بياض] والنجوم السائرة والسماء المضلة والأرض المقلّة الذي له في كل ما أدركته الإبصار واحد بربوبيّته وعلام دال على وحدانيته، وصلوات على محمد خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه وسلم عليه وعلى آله الطيبين تسليما كثيرًا هذا الكتاب جمعت فيه من معاني علم النجوم وغرايب أسرارها واخترته من كثير من علوم علمائها وأضفت عليه تجربتي وإن كانت صناعة النجوم أكبر وأعظم من أن يحاط بها أو يقدر العالم عن إيضاح جميعها...".[2643]

الملحق (33) 2

تحبيس السيد محمد بن حسن خوجة مخطوط "البارع لابن أبي الرجال" على ذريته



" الحمد لله حبس السيد محمد بن المرحوم حسن خوجة هذا الكتاب ابتداء على نفسه على مذهبه ثم بعد وفاته على ذريته وذرية ذريته من ذكور وإناث وشقيقه[...] عبد الرحمن من كانت فيهم أهلية أو في بعضهم فإن لم تكن أهلية فيكون النظر [...] هو لا يمنع من احتاج إلى القراءة فيه فإن انقرضوا في جمع النظر للحاج العلامة مفتي الحنفية ليوضع في خزانة مسجد كتشاوة لمن[...]فيه فتصل [...] وجه الله العظيم لا يوبع ولا يوهب ولا يرهن فمن سعى في تبديله أو تغييره، فالله حسبه [...] وسيقع الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون شهد عليه [...] وعرفه بن شيخ أواسط جمادى الثانية عام 1239 .

ومحلق به استدراك على

ذريته سواء كانت فيهم أهلية أم كلهم من [...] شيخ [...].[2644]

الملحق(33) 3

[2644] - ابن أبي الرجال، البارع في أحكام النجوم، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1516، الجزائر.

نهاية ورقة المخطوط البارع نسخة المكتبة الوطنية بالحامة



تم الجزء الثامن من كتاب البارع في أحكام النجوم وبتمامه كمل الكتاب البارع تأليف علي بن أبي الرجال فرغ من نسخ أصلها ليلة السبت بعد العشاء ليلة واحد وعشرين في شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وأربعة وتاريخ نسخة أصلها الذي هو بخط المصنف يوم الخميس الرابع والعشرين من جماذي الأخرى سنة خمسة عشر وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وهذه اتلنسخة كتبت من النسخة التي من النسخة التي نسخت من خط المؤلف وواقف الفراغ من كتابتها صبيحة يوم الجمعة الحادي والعشرين يوما من شهر الله رجب الاصب وهو الشهر السابع من سنة أربعة وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية وعلى آله أصحابه واهباره وأنصاره على يد الفقير الذليل الحقير المعترف بالذنب والتقصير أبي عمرو وعثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي القاسم المدني شهر ميدون الشريف الحسني غفر الله له ولوالده ولمشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات والحمد لله رب العالمين اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سنة 1174 كتبه الثاني 1197.

الملحق(33) 4

نسخة الثانية من مخطوط "البارع في أحكام النجوم" بمكتبة فهد بن عبد العزيز

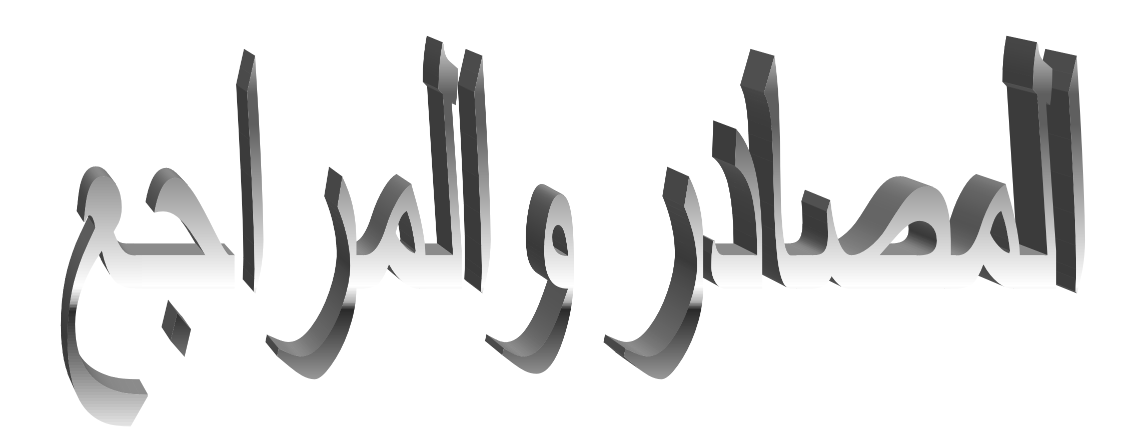


الملحق (33) 5

نهاية مخطوط البارع نسخة مكتبة مالك فهد بن عبد العزيز



1–ابن أبي الرجل، البارع في أحكام النجوم، مخطوط بمكتبة الملك فيصل، تحت رقم.707


المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر:

1- المصادر المخطوطة

-الإشبيلي(أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، ت.582هـ-1186م)، **الأحكام الكبرى**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم لا له لي LALELI 395.

ـــــــــــ **كتاب مختصر الأحكام الشرعية**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 399

- ابن حمادة(أبو عبد الله محمد بن حمادة الأندلسي)، رغبة الطالب ودليل الراغب (مختصر ترتيب المدارك)، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، مصر، تحت رقم 6097 تاريخ.

- الداني(الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي، ت.444هـ-1050م)، كتاب الإيماء في أطراف الحديث، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم فاضل أحمد باشا 253.

- الربعي(أبو محمد عبد الجليل بن أبي بكر القروي، حي سنة 478هـ-1085م)، كتاب **التسديد في شرح تمهيد الإمام القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني**، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية، تركيا، ضمن مجموع أصول الفقه تحت رقم يازمة باغشلر Yazma BaGislarar 1885-1 نسخت سنة 576هـ-1181م، ظ.1 إلى و.93.

- ـــــــــــ آية الوضوء وأجوبة الفقهاء عليها، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم يازمة باغشلر Yazma BaGislarar 1885-3، من و95 إلى ظ 99.

- الزناتي(أبو زكريا يحي بن املول بن عشيرة الزناتي، 6هـ-12م)، كتاب انتصار الإمام الزناتي لأبي حامد محمد بن أحمد الغزالي لما في الإحياء من كلام سليم، مخطوط ضمن مجموع بمكتبة إسكوريال، تحت رقم Ms arab 1130 ، من و115 إلى ظ188.

- ـــــــــــ الانتصار لأبي حامد الغزالي، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة العامة، الرباط، تحت رقم ك 251، من ظ154 إلى ظ 169.

- العصاري(أبو محمد عبد العزيز)، من مشكل الصحيحين المستخرج من مطالع الأنوار للفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي ومن كتاب مشارق الأنوار للفقيه عياض السبتي، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم فاضل أحمد FADILAHMEDPS 334

- ابن قرقول(أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله الوهراني الحمزي، ت.569هـ- 1173م)، **حاشية المشارق (تهذيب المطالع)**، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم عاطف أفندي 426 ATIFEFENDI.

- ـــــــــــ كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري، اختصره الفقيه الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي عرف بابن قرقول من كتاب مشارق الأنوار مما صنفه أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم موراد مولا MURADMOLLA 607.

– مجهول، **شرح قصيدة المنفرجة**، مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 1304

– مجهول، طبقات المفسرين، مخطوط بالمكتبة السليمانية، تحت رقم ولي الدين VELIYUDDINEF 427

– المشدالي، شرح عقيدة أبو محمد بن أبي زيد القيرواني، مخطوط بالمكتبة السليمانية تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMED PS 846

– الوهراني(علي بن عبد الله بن مبارك)، قصيدة في الفرق بين الزاي والدال (الظاء والضاء)، مخطوط بالمكتبة السليمانية ضمن مجموع، تحت رقم فاضل أحمد باشا FAZILAHMEDPS 1558-003.

ب- المصادر المطبوعة

– **ابن الأبار**(الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت.658هـ-1260م)

*__التكملة لكتاب الصلة__، تحقيق عبد السلام هراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، لبنان، 1415هـ- 1995م.

*__الحلّة السيراء في أشعار الأمراء__، حققه وعلق عليه، محمد عثمان، شركة النوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.

*__المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي__، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1429هـ- 2008م.

*__المقتضب من كتاب تحفة القادم__، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ- 1989م.

– **ابن الأثير**(أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري، ت. 630هـ-1233م)

*__أسد الغابة في معرفة الصّحابة__، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ-2012م.

*__الكامل في التاريخ__، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م.

– **إدريس**(عماد الدين، ت.872هـ-1468م)

*__تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار__، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ- 1985م.

– **الإدريسي**(عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس، ت.ق6هـ-12م)

*__المغرب العربي من نزهة المشتاق__، حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد حاج صادق، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1405هـ- 1983م.

– **الاشبيلي**(أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، ت.575هـ-1180م)

*__فهرسة ابن خير الإشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف__، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ- 1998م.

– **الإشبيلي البجائي**(أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي ، ت.582-1186م)

*__الأحكام الوسطى من حديث النبي صلى الله عليه وسلم__، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، 1416هـ-1995م.

*__تلقين الوليد الصغير__، تحقيق وتخريج وتقديم أبي الفضل بدر العمران الطبحي، دار الكتب العلمية،

بيروت، 1424هـ- 2003م.

***الجمع بين الصحيحين**، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، تق. الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م

- **الأشعري** (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت.330هـ-941م)

***مقالات الإسلاميين**، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط.2، 1405هـ- 1985م.

- **الإصطخري** (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت.346هـ -957م)

***مسالك وممالك**، تحقيق، ي، دي خويه، إصدارات فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، 1413هـ-1992م.

- **الأصفهاني**(أبو النعيم أحمد بن عبد الله، ت.430هـ-1039م)

***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الفكر والطباعة للنشر والتوزيع، 1416هـ-1996م.

- **الأصفهاني**(أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، ت.597هـ-1201م)

***خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي وآخرون، ط.3، الدار التونسية للنشر، تونس،1407-1986م.

- **ابن أبي أصيبعة**(أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي)

***عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- **الأوسي المراكشي**(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، ت.703هـ-1304م)

***الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، السفر الأوّل، القسم الأوّل تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، لبنان. بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، السفر الثامن من القسم الأوّل، تحقيق وتقديم وتعليق محمد ابن شريفة (1404هـ-1984م)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الخامس الجزء الأول تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، لبنان، 1385هـ- 1965م،السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1393هـ- 1973م.

- **البخاري**(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت.256هـ-870م)

* **صحيح البخاري**، طبعة جديدة ومضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1423هـ-2002م.

- **البراذعي**(أبو سعيد خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني، ت.4هـ-10م)

***التهذيب في اختصار المدونة**، دراسة وتحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ وراجعه أحمد علي الأزرق، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1420هـ-1999م.

- **البرزلي** (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي، ت.841هـ- 1438م)

***فتاوى البرزلي(جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 1423هـ- 2002م.

- **ابن بسام**(أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، ت.542هـ- 1148م)

***الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م.

- **ابن بشكوال** (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت. 578هـ-1182م)

*الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1429هـ- 2008.

- **ابن بطوطة**(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت.779هـ- 1377م)

***رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1417هـ- 1997م.

- **البغدادي**(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، ت.463هـ-1071م)

***تقييد العلم**، تحقيق سعد عبد الغفار علي، تقديم محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الاستقامة، 1426هـ-2008م.

***الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ-1983م.

***كتاب الكفاية في علم الرواية**، د.ت.

- **البغدادي**(عبد القادر بن طاهر بن محمد الإسفرائيني، ت.429-1038م)

***الفرق بين الفرق**، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط.2، المكتبة العصرية، بيروت، 1993م.

- **البكري**(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد، ت.487هـ-1094م)

***المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك**، نشره البارون دوسلان، الجزائر،1377هـ- 1957م.

***جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1387هـ- 1917م.

- **البيذق**(أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت.7هـ- 13م)

***أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

- **التادلي(أبو يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات، ت.617هـ-1220م)**

***التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.

- **التجاني**(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، ت. 8هـ- 14م)

***رحلة التجاني**، قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1401هـ-1981م.

- **التُّجيبي** (الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ت. 610هـ-1214م)

***البرنامج**، دراسة وتحقيق الحسن إ د السعيد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1432هـ- 2011م.

- **الترمذي**(أبو محمد بن عيسى، ت.279هـ-892م)

***الجامع الكبير**، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م

- **الثعالبي**(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي، ت.875هـ-1471م)

***تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق

عليه وخرّج أحاديثه علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، وشارك في التحقيق مجمع البحـوث الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميـــة وعضو لجنـــة المصحف بالأزهر الشريف، دار إحيــاء التــراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1418هـ-1997م.

- **ابن ثغري بردي**(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن ثغري بَردي الأتابكي(ت. 874هـ-1470م)

*__النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة__، قدّم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.

- **الجرجاني** (علي بن محمد الشريف، ت. 816هـ- 1413م)

*__كتاب التعريفات مع الفهرست__، مكتبة لبنان، بيروت، 1405هـ- 1985م.

- **ابن جبير(أبو الحسن محمد بن أحمد، ت.ق.6-12م).**

*__رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف ب: رحلة ابن جبير__(ط.2، طبعة جديدة ومنقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م.

- **ابن الجزري** (شمس الدين أبي الخير بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي، ت.833هـ-1430م)

*__غاية النهاية في طبقات القراء__، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب الذي عني بنشرها سنة 1932م ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1427هـ-2006م.

*__النشر في القراءات العشر__، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.

*__منجد المقرئين ومرشد الطالبين ويليه ثلاث ملاحق لأبي شامة وابن تيمية وابن حجر__، اعتنى به علي ابن محمد العمران، د. م. ت.

- **الجزنائي** (على، ت.766هـ-1365م)

*__جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس__، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1411هـ-1991م.

- **جلجل**(أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ت.377هـ-988م)

*__طبقات الأطباء والحكماء__، ويليه **تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين**، ت.298هـ-911م)، تحقيق فؤاد السيد، ط.2، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م.

- **الجوذري**(أبو علي منصور العزيز، ت. ق.4هـ-10م)

*__سيرة الأستاذ جوذر__، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.

- **ابن حبيب(عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي الأندلسي، ت.283هـ-896م)**

*__كتاب طب العرب__، تحقيق وتخريج وتقديم بدر العمراني الطنجي، دار ابن حزم، بيروت، 1428هـ-2007م.

- **ابن حزم**(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت.456هـ-1063م)

*__رسائل ابن حزم__، تحقيق إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.

- **أبو الحسن الصغير**(علي بن محمد بن عبد الحق)

*الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير**، رتب الكتاب وبوبه وذيله بأقوال العلماء ابن هلال إبراهيم بن هلال ت.903هـ-1498م، طبعة حجرية محفوظة بالمكتبة العامة بالرباط

*طوق الحمام في الألفة والألّاف**، ضبطه بالشكل وفسّر غامضه سعيد محمود عقيّل، دار الجيل، بيروت، 1417هـ- 1997م.

- **ابن حماد**(أبو عبد الله محمد بن علي، ت.628هـ-1231م)

*أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1981م.

- **الحموي** (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت.626هـ-1229م)

*معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1993م

*معجم البلدان**، ط3، دار صادر، بيروت، 1423هـ- 2007م.

- **الحميدي**(أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت.488هـ-1095م)

*جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1424هـ- 2008م.

ـــــــ تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م.

- **الحميري**(محمد بن عبد المنعم، ت.900هـ-1495م)

*الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1404هـ- 1984م.

- **ابن حوقل**(أبو القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ - 977م)

*صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1413هـ- 1992م.

- **ابن حيان القرطبي** (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان، ت.469هـ-1076م)

*المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، الدار العربية الكتاب، بيروت، لبنان، 1983م.

*المقتبس من أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1393هـ-1973م.

- **ابن خاقان**(الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، ت.529هـ- 1135م)

*مطمع الأنفس ومسرح التأنُّس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1403هـ- 1983م.

- **ابن خرداذبة**(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت.272هـ-885م)

*المسالك والممالك**، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت، 1988م

- **الخشني**(محمد بن الحارث، ت.361هـ-971م)

*أخبار الفقهاء والمحدثين**، درا و تح. ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م

- **ابن الخطيب**(لسان الدين، الوزير الغرناطي، ت.776-1375م)

*القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1384هـ- 1964م.

- **ابن خلدون**(عبد الرحمن، ت.808هـ-1406م)

*** تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1422هـ- 2000م.

- **ابن خلدون**(أبو زكريا يحي، ت. 737هـ-1337م)

***بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،** تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

- **ابن خلكان** (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت.681هـ- 1282م)

***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان،** طبعة جديدة منقحة ومصححة ومفهرسة تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي اعتنى به مكتب التحقيق أعدّ فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، دار الإحياء العربي، بيروت، 1430هـ- 2009م.

- **ابن خيثمة**(أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، ت.279هـ-892م)

***التاريخ الكبير(تاريخ ابن خيثمة)**، تح. صلاح بن فتحي هلل، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ-2004م

- **الداني**(الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي، ت.444هـ-1050م)

***الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات،** حققه وعلق عليه محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420هـ-1999م.

***المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، دراسة وتحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميّد إبراهيم بن سعيد الدوسري ومحمد بن سريع السريع، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ-2010م.

- **أبو داود**(سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت.275هـ-888م)

*** السنن،** حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، دمشق، 1430هـ-2009م.

- الداودي(أبو جعفر أحمد بن نصر، ت.402هـ-1012م)

***الأموال،** درا. وتح. محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، مركز الدراسات الفقهية، دار السلام، 1421هـ-2001م.

- **الداوودي**(شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت.945هـ-1539م)

***طبقات المفسرين،** راجع النسخة وضبط أعلامها نخبة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ- 1983م.

- **الدّباغ** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت.696هـ-1296م)

*معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت. 839هـ-1435م)، تحقيق الجزء الأوّل: إبراهيم شبوح، تونس، 1414 هـ-1993م، الجزء الثاني: تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ومحمد الماضور، الجزء الثالث: تحقيق محمد ماضور، الجزء الرّابع: تحقيق محمد المجدوب وعبد العزيز المجدوب.

- ابن دحية(ذو النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن (ت. 633هـ-1236م)

*المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع، لبنان، 1374هـ-1955م.

- الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.670هـ- 1271م)

*طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر،1394هـ- 1974م.

- الدمشقي(ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، ت.842هـ- 1438م)

*توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، حققه وعلق عليه محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

- ابن أبي دينار(محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني)

*المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، لبنان، 1414هـ- 1993م.

- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت.748هـ-1347م)

*الأمصار ذوات الآثار، أشرف على تحقيقه عبد القادر الأرناؤوط، وحققه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1405هـ-1985م.

*تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبط نصه وعلّق عليه بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ- 2003م.

*سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، وحقق ج.12 صالح السّمر، مؤسسة الرسالة، 1403هـ-1983م.

*المستملح من كتاب التكملة، حققه وضبط نصّه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ-2008م.

*معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار ألتي قولاچ، اسطنبول، 1416هـ-1995م.

- الرازي(أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت.395هـ-1005م)

*معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ- 2008م.

- الرشاطي(أبو محمد، ت.542هـ-1147م) و(ابن الخراط الإشبيلي، ت.581هـ-1185م)

*الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليومولينا وخاثينيو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

- ابن رشد(أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي، ت.520هـ- 1126م)

*البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، وضِمْنَهُ المستخرجة في الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي (ت.255هـ-869م)، تحقيق أحمد الحبابي، ط.2،

دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م.

***فتاوى ابن رشد**، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ- 1987م.

***مسائل أبي الوليد ابن رشد(الجد)**، تحقيق على ستة نسخ خطية مع دراسة عن المؤلف والكتاب، حققه محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، تطوان، 1993م.

***المقدمات الممهدات لبيا ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.

- **ابن رشد**(القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد، ت.595هـ- 1198م)

***فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق محمد عمارة، ط.3، دار المعارف، القاهرة، 1420هـ- 1999م.

- **ابن رشد**(أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري السبتي، ت.721هـ-1321م)

***ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور، الجزء الخامس، تقديم وتحقيق محمد الحبيب خوجة، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1408هـ- 1988م.

- **الرعيني**(أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي، ت.666هـ-1268م)

***برنامج شيوخ الرعيني**، حققه إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ-1962م.

- **الرعيني**(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب، ت.954هـ-1547م)

***مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ- 1995م.

- **الرقيق القيرواني**(إبراهيم بن القاسم، ت.417هـ-1026م)

***قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، 1990م.

- **الزبيدي**(أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، **ت.379هـ-989م**)

***طبقات النحويين واللغويين**، ط.2، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- **الزبيدي**(محمد مرتضى الحسيني، 816هـ-1413م)

***تاج العروس من جواهر القاموس**، تح. عبد العزيز مطر، ط.2، الكويت، 1414هـ- 1994م

- **ابن الزبير**(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي، ت.708هـ-1309م).

***كتاب صلة الصلة**، تحقيق عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، القسم الثالث 1413هـ-1993م القسم الرّابع 1414هـ-1994م؛ القسم الخامس مع ملحق من أعلام مفقودة 1416هـ- 1995م.

- **ابن أبي زرع** (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي حي 724هـ-1325م)

*الأنيس المطرب بروض القرطـاس في أخبـار ملـوك المغرب وتـاريخ مدينة فاس، راجعـه عبد الوهـاب بنمنصور، ط.2، الرباط، 1420هـ- 1999م.

- الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله، ت. 794هـ-1392م)

*البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 1427هـ-2006م.

- زروق(أحمد بن محمد البرنسي الفاسي، ت. 899هـ-1494م).

*شرح على متن الرسالة، دار الفكر، لبنان، 1402هـ-1982م.

- أبو زكريا (يحي بن أبي بكر)

*كتـاب السيّر المعروف بتاريخ أبي زكريـا، تحقيق إسمـاعيـل الـعربي، ط.3، ديوان الـمطبوعـات الجامعيـة، الجزائر، 1405هـ- 1984م.

- الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، حي سنة 532هـ-1138م)

*كتاب الجعرافية، تحقيق حاج صادق، دمشق، 1968م.

- زيري (عبد الله، ت.483هـ-1090م)

*مذكرات عبد الله، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال من النسخة الـوحيدة المحفوظة بجامع القرويين بفاس، دار المعارف، مصر، 1375هـ- 1955م.

- ابن سحنون(محمد بن سحنون بن سعيد، ت.256هـ-870م)

*كتاب آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي، مراجعة إبراهيم بن مراد، وزارة الثقافة والـمحافظـة على الـتراث الـمجمع التونسي للعلوم والآداب والـفنـون "بيت الحكمة"، تونس، 1432هـ- 2010م.

*كتاب الأجوبة، تحقيق حامد العلويني، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1432هـ- 2011م.

- السخاوي(شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت.902هـ-1497م)

*فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دراسة وتحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد ابن عبد الله بن فهيد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1426هـ-2005م.

- ابن سعيد الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى، ت.685هـ-1286م)

*رايات المبرزين وغايات المميزين، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1408هـ- 1987م.

- السكوني(أبو علي عمر، ت.717هـ-1317م)

*عيون المناظرات، تحقيق سعد أعراب مع مقدمة وفهارس، منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

- السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)

*كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري و محمد النـاصري، نشرته دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ- 1997م.

- السِّلفي(الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد، ت. 576هـ-1181م)

*معجم السَّفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعـة والـنشر والـتوزيع، لبنـان، 1414هـ-1992م.

*تراجم وأخبار أندلسية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985م.

- **السمعاني**(أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت.562هـ- 1166م)

*الأنســـاب، ج.1، ج.2، ج.3، ج.4، ج.5، ج.6 حقق نصوصهــا وعلق عليهــا عبد الرحمــن بن يحي

المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1400هـ- 1980م.

ج.7، ج.8، حقق وعلق عليهما محمد عوامة، 1396هـ- 1976م.

ج.9، حققه محمد عوامة ورياض مراد، 1401- 1981م

ج.10، تحقيق عبد الفتاح حلو، 1401هـ- 1981م.

ج.11، أشرف على هذا الجزء وحققه رياض مراد ومطيع الحافظ، 1405هـ- 1984م

ج.12، حققه ورجعه أكرم البوشي، 1404هـ- 1984م.

- **السملالي**(العباس بن إبراهيم قاضي مراكش)

*الإعلام بمن حل مراكش وأغمــات من الأعلام، ط.2؛ راجعــه عبد الوهاب ابن منصور، المملكــة المغربيــة،

الرباط، 1414هـ-1993م.

- **ابن سهل**(أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ت.486هـ-1093م)

*الإعلام بنوازل الأحكام (الأحكام الكبرى)، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، المملكة المغربية 1415هـ-1995م.

- **السّودوني**(أبو الفدا زين الدين قاسم بن قطلوبغا، ت.879هـ-1475م)

*تاج التراجم، تحقيق وتقديم محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، 1413هـ-1992م.

- **ابن سينا**(أبو علي الحسين بن علي بن سينا، ت.428هـ-1037م)

*القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضنّاوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ-1999م.

- **السيوطي**(الحافظ جلال الدين، ت. 911هـ-1505م)

*الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1418هـ- 1997م.

*بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط2، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1399هـ-1979م.

*تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، حققه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط2، مزيدة ومنقحــة، مكتبــة الكوثر، لبنان، 1415هـ-1996م.

*تزيين الممــالك بمناقب الإمــام مالك، تحقيق هشام بن محمد حيجر الحسنــي، دار الرشاد الحديثيــة، دار البيضاء، 1431هـ- 2010م.

*تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، المكتبة الثقافية، بيروت. د.ت.

*طبقات الحفاظ، راجع النسخــة وضبط أعلامها لجنـــة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميــة، بيروت، 1402هـ-1982م.

- **الشاطبي**(أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، ت.790هـ-1388م)

*فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان، ط.2، مطبعة الكواكب، تونس، 1406هـ-1985م.

- **الشافعي**(محمد بن إدريس المطلبي، ت.204هـ-819م)

*الرسالة، عن أصل بخط الربيع بن سلمان كتبه في حياة الشافعي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، لبنلن، 1358هـ-1939م.

- **أبو شامة**(شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، ت.665هـ-1267م)

*كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه وعلق عليه إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، 1418هـ- 1997م.

- **الشماخي**(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.928هـ-1521م)

*كتاب السيّر، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ-9م، تح. ودراسة محمد حسن، كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، د.ت.

- **الشهرستاني**(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت.548هـ-1153م)

*الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ-1998م.

- **الشوشاوي**(أبو الحسن بن علي بن طلحة الرجراجي ، ت.ق9هـ- ق.15م)

*الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة، تحقيق إدريس عزوزي، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1989م.

- **الشيرازي**(أبو إسحاق الشافعي، ت.479هـ- 1086م).

*طبقات الفقهاء، حققه إحسان عباس، دار رائد العربي، بيروت، 1390هـ- 1970م.

- **الشيزري**(لمحمد بن أحمد بن بسام المحتسب)

*نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ- 2003م.

- **ابن صاحب الصلاة**(عبد الملك، ت. 594هـ- 1198م)

*المنُّ بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، ط.4، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.

- **ابن الصغير** (حي القرن 3هـ-9م)

*أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ-1986م.

- **الصفدي**(صلاح الدين خليل بن أيبك، ت.764هـ-1367م)

*كتاب الوافي بالوفيات، طالعه يحي بن يحي الشافعي ابن أيبك الصفدي أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء أحمد أرناؤوط، وتركي مصطفى، دار الإحياء التراث العربي، لبنان، 1420هـ- 2000م.

- **ابن صلاح**(ألو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرُزَوري، ت.643هـ-1246م)

***علوم الحديث**، تحقيق وشرح نور الدين عستر، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، لبنان، د.ت.

- **الضبي**(أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ت.599هـ-1202م)

***بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1424هـ-2008م.

_____ تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- **ابن عطية**(أبو محمد عبد الحق المحاربي الأندلسي، ت.542هـ-1148م)

***فهرس**، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط.2، مزيدة ومنقحة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

- **ابن عبد البر**(أبو عمر يوسف النمري الأندلسي، ت.463هـ-1071م)

***الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، دار الفكر، لبنان، 1427هـ-2006م.

***الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء مالك بن أنس الأصبحي المدني، محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وعيون أخبارهم الشاهدة وإمامتهم وفضلهم في آدابهم وعلمهم**، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدّة ، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1417هـ-1997م.

***بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1981

***التقصي لما في الموطأ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم**، اعتنى به فيصل يوسف أحمد العلي والطاهر الأزهر خُذيري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1433هـ-2012م.

***التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق وتعليق وتصحيح مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد ابن عبد الكبير البكري، 1387هـ-1967م، الرباط.

***المسالك في شرح موطأ مالك**، تحقيق محمد بن الحسين سليماني وعائشة بنت الحسين سليماني، وقرأه وعلّق عليه، وقدّم له يوسف القرضاوي، نشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م

- **العبدري**(أبو عبد الله العبدري، ت.700هـ- 1300م)

***رحلة العبدري**، قدم لها وحققها علي إبراهيم كردي، وقدم لها أيضا شاكر فخام، ط.2، دار سعد الدين للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1426هـ- 2005م.

- **العجلي**(أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي، ت.261هـ-875م)

***معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، بترتيب الإمامين تقي الدين ابي الحسن علي ابن عبد الكافي السُّبْكي(ت.756هـ-1355م)، ونور الدين أبي الحسن على بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي(ت.807هـ-1404م) ، مع زيادات الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني(ت.852هـ-1448م)، دراسة وتحقيق عبد العليم عبد العظيم البَستوي، السعودية، 1404هـ-1984م.

- **ابن العديم**(كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت.660هـ-1262م)

***بغية الطلب في تاريخ حلب**، حققه وقدم له سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، د.ت.

- **ابن عذارى** (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ق.8هـ-14م)

***البيـــان المغرب في أخبـــــار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة، ج.1 وج.2 ، ج. س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافـــــة، بيروت، 1406هـ- 1983م، و ج.3، ط.2، 1400هـ- 1980م، ج.4، تحقيق

ومراجعـــة إحسان عباس، ط.3، 1406هـ- 1983م.

- **أبو العرب** (محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت.333هـ-945م)

***طبقـــات علمـاء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن شنب، ديوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر، 1427هـ-

2006م.

وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن الوافي، القاهرة، 1385هـ- 1965م.

***المحن**، تحقيق وهيب جبوري، ط.2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1408هـ-1988م.

- **ابن العربي**(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي، ت. 543هـ-1148م)

***ترتيب الرحلة للترغيب الملة** ضمن كتاب مع القاضي أبي بكر العربي، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1407هـ-1987م.

***عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترميذي**، وضـــع حواشيـــه الشيخ جمـــال مرعشلي، منشورات محمد علـــي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1997م.

***العواصم من القواصم**، تحقيق عمار طالبي ، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1997م.

***قانون التأويل**، دراسة وتحقيق محمد سليماني، ط.2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م.

***كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، درا. وتح. محمد عبد الله ولد كريم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

***المسالك في شرح موطأ مالك**، قرأه وعلّق عليه، حققه محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، تقديم يوسف القرضاوي، دار الغرب الإسلامي، 1428هـ-2007م.

- **ابن عساكر**(الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت. 571هـ-1176م)

***تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلهـــا**، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامـــة العمري، دار الـــفكر لـلـطباعـــة والـنشر والـتوزيـع، 1415هـ-1995م.

***تبيين كذب المفتـــري فيمـــا نسب إلى الإمـــام أبي الحسن الأشعري**، نشره حســام الدين المقدســـي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1347هـ-1928م.

***معجم الشيوخ**، قدم له شاكر الفحام، حققه ووضع فهارسه وفاء تقي الدين، سوريا، دار البشائر،1421هـ-2000م.

- **العسقلاني**(شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن علي بن حجر، ت.852هـ-1448م)

***تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبـة العلمية، لبنان، 1386هـ- 1967م.

*تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد، الهند، 1327هـ-1909م.
*فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة جديدة منقحة ومقابلة على طبعة بولاق والطبعة الأنصارية والطبعة السلفية التي حقَّق عدَّة أجزاء منها عبد العزيز بن باز ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض، دار الفيحاء دمشق، 1418هـ-1997م.
*المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقيق محمد شكور محمود الحاجي أمرير الميادينى، مؤسسة الرسالة، 1418هـ- 1998م.
- **ابن العماد الحنبلي**(شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي، ت.1089هـ-1678م)
*شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، وحققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، 1406هـ-1986م.
- **القاضي عياض**(عياض بن موسى بن عياض السبتي، ت. 544هـ-1149م)
*الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع، تحقيق السيد أحمد الصقر، نشرته دار التراث القاهرة والمكتبة العتيقة تونس، 1389هـ-1970م.
*تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م.
*ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط.2، وزارة الشؤون الدينية، المغرب.
- الجزء الأول، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، 1403- 1983م.
- الجزء الثاني، الجزء الثالث، الجزء الرابع، تحقيق عبد القادر الصّحراوي، 1403- 1983م.
- الجزء الخامس، تحقيق محمد بن شريفة، 1402هـ- 1982م
- الجزء السادس، الجزء السابع، تحقيق سعيد أحمد أعراب، 1402هـ- 1982م.
- الجزء الثامن، سعيد أعراب، 1403هـ- 1983م.
*الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير حرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م.
*شرح صحيح مسلم المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1419هـ-1998م.
*مشارق الأنوار على صحاح الآثار، طبع ونشر بالمكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، 1978م.
- **القاضي عياض وولده**
*مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط.2، مزيدة ومنقحة، 1997م.
- **الغبريني**(الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت.714هـ-1314م)
*عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن شنب، دار البصائر الجزائر، 1428هـ- 2007م.
ــــــ حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط.2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
- **الغرناطي**(أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع المازني القيسي الأندلسي، ت. 565هـ- 1169م)
*تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1413هـ-

1993م.

-**الغزالي**(أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ت. 505هـ-1111م)

*إ**حياء علوم الدين**، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت، 1432هـ-2011م.

- **الفارسي(أبو طاهر)**

*مناقب محرز بن خلف**، ترجمة وتحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1376هـ- 1956م.

- **الفاسي**(أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ت.603هـ-1207م)

*المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م.

- **أبو الفدا**(عماد الدين إسماعيل بن علي بن علي محمد بن عمر صاحب حماه، ت.732هـ-1331م)

*تقويم البلدان**، مكتبة المثنى، بغداد، دار الكتاب العربي اللبناني، 1256هـ-1840م

*كتاب المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت.

- **ابن فرحون**(المالكي، ت.799هـ-1397م)

*الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد بن الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.

- **ابن الفرضي** (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت.403هـ-1013م)

*تاريخ علماء الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.

- **ابن فضلان**(أحمد بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، ت. ق.4هـ-10م)

*رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921م**، تحقيق سامي الدّهان، دمشق، 1954م

- **القابسي**(أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، ت. 403هـ-1013م)

*الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية أحمد خالد، المكتبة التونسية للتوزيع، تونس، 1406هـ- 1986م.

*الملخص**، رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، حققه وعلّق عليه ونشره محمد علوي بن عباس المالكي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1425هـ- 2004م.

- **ابن القاضي**(أحمد المكناسي، ت.960هـ- 1025م)

*جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط،1392هـ- 1973م.

- **القالي**(أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ت.356هـ-967م)

*كتاب الأمالي**، ويليه"**الذيل والنوادر**" للمؤلف وكتاب" **التنبيه**" لأبي عبيد البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- **القرافي**(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس، ت.684هـ-1285م)

*شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، طبعة جديدة ومنقحة باعتناء مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ- 2004م.

- القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت.671هـ- 1273م)

*الجـــامع لأحكام القرآن والمبين لمـــا تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، د.ت.

- ابن قرقول(أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، ت.569هـ-1174م)

* مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح المبهم لغاتها وبيان المختلف من أسمـــاء رواتهـــا وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، تحقيق دار الفـــلاح، قطر، 1433هـ- 2012م.

- القزويني(الحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد ابن خليل الخليلي، ت.446هـ-1054م)

* كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث(من تجزئة السلفي)، دراسة وتحقيق وتخريج محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ-1989م.

- ابن القطان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، ت.628هـ- 1231م)

*نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط.2، درسه وقدّم له وحقّقه محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1432هـ- 2011م.

- القضاعي(أبو عبد الله محمد بن سلامة،454هـ-1062م)

*مسند الشهاب، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، 1405هـ-1985م.

- القِفْطي(الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف، ت.624هـ-1227م)

*أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات علي بيظون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ-2005م.

*أنباه الرواة على أنباء النحـــاة، تحقيق محمد أبـــو الفضل إبراهيم، دار الفـكر العربي، القـــاهرة، ومؤسسة الكتب الثقـــافية، بيروت، 1406هـ- 1986م.

- القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي، ت.821هـ- 1413م)

*الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1340هـ-1922م.

- ابن قنفد(أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت.810هـ-1407م)

*أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، د.ت.

*شرف الطالب في أسنـــى المطالب، تحقيق عبد العزيز صغير دخان، مكتبـة الرشد، المملكة السعوديـــة، 2003م.

*الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهـــاء والمؤلفين، حققه وعلّق عليه عـــادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ- 1983م.

- القيرواني(أبو علي الحسن بن رشيق، ت.463هـ-1071م)

*كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، 1424هـ-

2003م.
*أنموذج الزمـــان في شعر القيروان، جمعــه وحققــه محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، الدار التونسيــة للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ- 1986م.
- القيرواني(أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ت.386هـ-997م)
*الذب عن مذهب مالك، في غير شيء من أصولــه، وبعض مسـائل من فروعه، وكشف مـا لبَّس بــه بعض أهل الـخلاف، وجهله منى محـاج الأسلاف، دراسة وتحقيق محمد العلمي، نشر الرابطـة المحمدية للعلمـاء، المملكة المغربية، 1432هـ-2011م.
*الرسالة في فقــه الإمام مـــالك، ضبطه وصححـــه الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشــورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
*كتاب الجــامع في السنن والآداب والمغـــازي والتـاريخ، ط.2، حققه وقدّم لـــه وعلّق عليـــه محمد أبـــو الأجفـــان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرّسالة بيروت، والمكتبة العتيقة بتونس، 1403هـ- 1983م.
*النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد عبد العزيز الدبـــاغ، دار الغرب الإسلامي، 1999م.
- الكافيجي(محي الدين محمد بن سليمان، ت.879هـ-1475م)
*التسير في قواعد علم التفسير، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1419هـ-1998م
- ابن كثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، ت.774هـ-1372م)
*الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، شرح أحمد محمد شـاكر وتعليق ناصر الدين الألباني، مكتبــة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ- 1996م.
*البداية والنهاية، راجـــع نصه وضبطـــه وقدم له سهيل زكار، دار صـــادر، بيروت، 1426هـ-2005م.
- اللبلي(أبو جعفر الأندلسي، ت.691هـ-1292م)
*برنامج اللبلي، دراسة وتحقيق بوزياني بنعلي، فجيج، المغرب، 1432هـ-2011م.
- اللبيدي(أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت.440هـ- 1049م)
*منـــاقب أبو إسحـــاق الجبنيـــاني، تحقيق وترجمة هـــادي روجي إدريس، منشورات كليــة الآداب والعلـــوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1376هـ- 1956م.
- اللخمي(أبو الحسن اللخمي القيرواني، ت.478هـ- 1086م)
*التبصرة، تحقيق أحمد بن عبد الكـريم نجيب، منشـورات مركز نجبويه للمخطوطـــات وخدمة التراث، وزارة الأوقاف، قطر، ط.2، 1433هـ-2012م.
*فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي القيرواني، جمع وتحقيق وتقديـم حميد بن محمد لــحمر، دار المعرفــة، المغرب، د.ت.
- المازري(أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، ت. 536هـ- 1136م)
*فتاوى المــــازري، تقديـم وتحقيق الطـــاهر المعمـوري، الدار التونسية للنشر، والمركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1415هـ- 1994م.

*شرح التلقين، تح. محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م.

- ابن ماكولا(الأمير الحافظ، ت.475هـ- 1082م)

*الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، اعتنى بتصحيح والتعليق ج.1، ج.2، ج.3، ج.4 عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط.2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت. وج.7، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه نايف العباس، وج.8 رخيل ابن صالح بن وخيل اللحيداني، د. ت.

- الإمام مالك(أبو عبد الله بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث الأصبحي الحميري، ت.179هـ-795م)

*تفسير الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما، جمع وتحقيق وتقديم حميد بن محمد لحمر، ط.2 مزيدة ومنقحة، دار المعرفة، المغرب، 1427هـ- 2006م.

*قطعة من موطأ علي بن زياد التونسي العبسي ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، 1398هـ-1978م.

*المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ويليها مقدمات ابن رشد(ت. 520هـ-1126م)، دار الكتب العلمية، لبنان، 1415هـ-1994م.

*الموطأ رواية يحي بن يحي المصمودي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2003م.

- المالكي(أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت.474هـ-1082م)

*رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، من الفتح العربي إلى آخر سنة 300هـ، تحقيق حسن مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة، 1371هـ-1951م.

ــــــ تحقيق بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994م.

- المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد، ت.285هـ-898م)

*الكامل، تحقيق وتعليق وصنع فهارسه محمد أحمد الدالي، ط.3، مؤسسة الرسالة، 1997م.

- المتيجي(أبو علي ق.6هـ-12م)

*دلائل القبلة، تحقيق ودراسة عزرودي نصيرة منشورات مؤسسة الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، الجزائر،2017م.

- ابن مجاهد(أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، ت. 324هـ- 935م)

*كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط.2، 1431هـ-2010م.

- مجهول(كاتب مراكشي ت. ق6هـ- 12م)

*الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره وترجم قسم منه إلى فرنسية سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت.

- مجهول(ق8هـ- 14م)

*مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2004م.

- **المراكشي**(عبد الواحد، ت.625هـ-1228م)

***المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ- 1994م.

المزي(عبد الوهاب بن وهبان الحنفي، ت. 768هـ-1367م)

***أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار**، تح. أحمد بن فارس السّلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1425هـ-2004م.

مسلم(الإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري، ت.261هـ-874م)

***صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر** من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله β وفي طليعته غاية الابتهاج المقتفي أسانيد كتاب مسلم بن الحجاج للعلامة السيد محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، ت.1305هـ-1718م) دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1427هـ-2006م.

- **المقدسي**(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري، ت.387هـ-997م)

***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، حققه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ-1987م.

- **المقري**(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت.1041هـ-1632م)

***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت**، 1388هـ-1968م.

***أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحققه وعلّق عليه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ- 1942م.

***أزهار الرياض في أخبار عياض**، طبعة مزيدة ومنقحة، تحقيق علي عمر، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م

- **المقريزي**(تقي الدين بن علي، ت.845هـ- 1441م)

***اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1416هـ-1996م.

***كتاب السّلوك لمعرفة دول الملوك**، صححه مصطفى زيادة، القاهرة، د.ت.

- **المكناسي**(أحمد ابن القاضي، 960هـ- 1025م)

***جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام فاس**، دار المنصور، الرباط، 1392هـ-1973م.

- **المنتوري**(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، ت. 834هـ-1431م)

***فهرسة**، دراسة وتحقيق محمد بنشريفة، الرابطة المحمدية للعلماء مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث سلسلة التراجم والفهارس والتراجم والرحلات، المملكة المغربية، 1432هـ-2011 م.

- **المنذري**(زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، ت.656هـ-1258م)

* **التكملة لوفيات النّقلة**، ط.3، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، الرسالة، بيروت، 1405هـ-1984م.

- ابن منظور

* **لسان العرب**، دار المعرفة، د.ت.

- **النديم** (محمد بن إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق، ت. 380هـ-990م)
***الفِهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب**، تحقيق وتعليق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، 1437هـ- 2016م.
- **القاضي النعمان**(أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، كان حيا 363هـ- 974م)
***افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، شركة تونس للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1407هـ-1986م.
***دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت الرسول عليه وعليهم أفضل السلام**، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.
***كتاب المجالس والمسايرات**، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرون، ط.2 منقحة، إعداد محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1417هـ- 1997م.
***الهمة في أتباع الأئمة**، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، 2002م.
- **ابن نقطة** (أبو بكر محمد بن عبد الغني **البغدادي** الحنبلي، ت.629هـ-1232م)
***تكملة الإكمال**، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1408هـ-1987م.
- **النويري**(أحمد بن عبد الوهاب، ت.732هـ-1332م)
*** تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية والمغرب والأندلس- صقيلية واقريطش)(27-729هـ-647-1319م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، دار البيضاء، المغرب، د.ت.
- **الهذلي المغربي**(أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة ابن محمد بن عقيل، ت. 465هـ-1073م)
***الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، نشرته مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الكويت، 1428هـ- 2007م.
- **الهروي**(أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، ت.481هـ-1088م)
***ذم الكلام وأهله**، تحقيق ودراسة عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ت
- **الوادي آشي**(شمس الدين محمد بن جابر التونسي، ت.749هـ-1349م)
***برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، نشرته جامعة أم القرى المملكة السعودية، تونس 1401هـ-1981م.
- **الواقدي ابن سعد** (محمد بن منيع الهاشمي البصري، ت.230هـ-844م)
***الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ-2001م
- **الونشريسي**(أحمد بن يحي، ت. 914هـ- 1509م)
***المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1401هـ- 1981م.
-**الوهراني**(محمد بن محرز بن محمد الوهراني، 575هـ-1179م)

*الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، 1384هـ-1965م.
- اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، ت.768هـ-1366م)
*مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل بن المنصور، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، 1417هـ- 1997م.
-اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت.284هـ-898م)
*البلدان، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، 1388هـ- 1968م.

2- المراجع العربية والمعربة

- آل إسماعيل نبيل بن محمد إبراهيم، **علم القراءات- نشأته- أطواره- أثره في العلوم الشرعية**، تقديم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1998م.

- إحسان عباس، **أخبار وتراجم أندلسية**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1405هـ- 1985م.

- أحمد محمد سالم، **نقد الفقهاء لعلم الكلام**، دار الرؤية، مصر، 2008م.

- أسكان الحسين، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات، الرباط، 1425هـ- 2004م

- إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1400هـ- 1980م.

- أشباخ يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، وتقديم وتنويه سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006م.

- أعراب سعيد، **القراء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ- 1989م.

- ألفرّد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ-1981م.

- أماري ميخائيل، **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، جمعها وحققها المستشرق الإيطالي ميخائيل أماري، ليبسك، نشرته دار صادر، بيروت، 1274هـ- 1857م.

- الباروني(سليمان بن عبد الله باشا، ت. 1359هـ- 1940م)، **الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية**، القسم الثاني، ط.3، دار البعث، الجزائر، 1423هـ- 2002م.

- بحاز إبراهيم بكير، **القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ/715-909م)**، الياقوت، الأردن، 1423هـ- 2001م.

- بحاز إبراهيم بكير وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ- 2000م.

- البسام لطيفة بنت محمد، **الحياة العلمية في افريقية في عهد بني زيري**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1422هـ-2001م.

- بكر بن عبد الله أبو زيد وآخرون، **آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1434هـ-2013م.

- بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 1428هـ- 2007م.

- البوعبدلي المهدي، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

- بولطيف لخضر، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر، لبنان، 2009م.

- التادلي أحمد الصومعي، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب، المعارف الجديدة، الرباط، 1996م

- التازي عبد الهادي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ط.2، دار لنشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1421هـ- 2000م.

- الجراري عباس، **وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**، رمضان 1395هـ-1975م، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، دار الثقافة، الرباط، 1396هـ- 1976م.

- الجرمي إبراهيم محمد، **معجم علوم القرآن** (علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات)، دار القلم، دمشق، 1422هـ- 2001م.

- **جودت** عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ-1984م.

- الجودي(أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي القيرواني، ت.1373هـ-1943م)، **تاريخ قضاة القيروان**، تقديم وتحقيق أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، 1425هـ- 2004م.

- مرسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991م.

- الجيدي عمر، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، قسنطينة، الجزائر، 1424هـ- 2003م.

- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة المعارف، الرباط، 1340هـ-1922م وكمّل بمطبعة البلدية بفاس، 1345هـ-1927.

- حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، طبعة جديدة ومزيدة ومنقحة تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م.

ـــــــ **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، طبع باشتراك بيت الحكمة تونس ودار الغرب الإسلامي، لبنان، 1411هـ- 1990م.

ـــــــ **الإمام المازري**، منشورات البعث الثقافي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1955م.

- الحفناوي(أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي، ت.1334هـ-1906م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ت.

- ابن حمدة عبد المجيد، **ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري**، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1418هـ-1997م.

ـــــــــ **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، تونس، 1406هـ-1986م.

- حميتو عبد الهادي، **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ-2003م.

- حميتو عبد الهادي وأخرون، **الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1430هـ- 2009م.

- خرشفي إدريس، **جهود المحدثين المالكية في دراسة أمهات تب السنة سنن أبي داود نموذجا**، التراث المالكي في الغرب الإسلامي، جامعة الحسن الثاني -عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف، الرباط، 1998م.

- خلاف عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**، ط.2، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، 1414هـ- 1993م.

- خلدون بشير، **الحركة النقدية على أيام ابن الرشيق المسيلي**، طبعته وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

- الخيرآبادي محمد أبو الليث، **معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين فيه**، دار النفائس، الأردن، 1429-2009م.

- دخان عبد العزيز الصغير، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م.

- الدشراوي فرحات، **الخلافة الفاطمية في بالمغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

- الذهبي محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، من إصدارات الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الإشراف على الطباعة دار النوادر الكويتية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ-2010م.

- الركيتي مسعود، **قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1433هـ- 2012م.

- روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية** (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق.10إلى ق.12م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

-الزياني أبو القاسم ت.1249هـ-1833م، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، حققه وعلق عليه عبد الكريم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1412هـ-1991م.

- سالم يفوت، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 118، الرباط، 1426هـ- 2005م.

- السبكي محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف، **المختار من صحاح اللغة**، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، مصر، د.ت.

- سعد الغراب، **العامل الديني والهوية التونسية**، الدار التونسية للنشر، ط.2، تونس، 1411هـ- 1990 م

– سعدون عباس نصر الله، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405هـ– 1985م.

– السفياني إدريس، **الوثائق والأحكام بالمغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين**، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، الرباط، المغرب، 1433هـ– 2012م.

– الشاذلي بويحي، **الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري الدولة الصنهاجية 362–555هـ/972–1160م)**، نقله إلى العربية محمد العربي عبد الرزاق، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة"، تونس، 1999م.

– الشرقي منيرة بنت عبد الرحمن، **علماء الأندلس في القرنيين الرابع والخامس الهجريين دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1423هـ–2002م.

– شلبي هند، **القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العربية للكتاب، د.م.ن، 1403هـ–1983م.

– الشواط الحسين بن محمد، **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ–1991م.

– ضيف بشير، **مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا وهو تقييد لأهم وأشهر كتب المذهب المالكي المطبوع أو المخطوط– نظما ونثرا**، دار ابن حزم، لبنان، 1429هـ–2008م.

– الطالبي محمد، **الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة 184–296/800–909**، تحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، منشورات سوتيميدي، تونس، 2017م.

– طويل الطاهر، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس**، مطابع حسناوي، الجزائر، 2011م.

– ابن عاشور محمد الطاهر، **المحاضرات المغربيات**، جمع وإعداد عبد الكريم محمد، الدار التونسية للنشر، 1394هـ–1974م.

ـــــــــ **ومضات فكر**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.

– العبادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ت.

– ابن عزوز محمد، **علماء المغرب والأندلس في مجالس الحافظ أبي طاهر السلفي بالإسكندرية**، دار ابن حزم، مركز التراث الثقافي المغربي دار البيضاء، 1432هـ–2011م.

– عنان محمد عبد الله، **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطين**، مكتب الخانجي، القاهرة، 1417هـ–1997م.

– أبو العزم داود محمد، **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1406هـ–1985م.

– عمارة علاوة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر الغرب الإسلامي**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1430هـ– 2008م.

– ابن عميرة محمد، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

-عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ-1980م.

- الغرياني الصادق عبد الرحمن، **مدونة الفقه المالكي وأدلته**، مؤسسة الريان، لبنان، 1423-2002م.

- فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1403هـ- 1982م.

- قابة عبد الحكيم بن محمد الهادي، **القراءات القرآنية تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها**، إشراف ومراجعة وتقديم مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

- القاري لطف الله، **ريادة القيروان في تاريخ العلوم والتكنولوجيا**، وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20إلى 25 أفريل 2009 ضمن كتاب إشعاع القيروان عبر العصور، وزارة الثقافة، قرجاج، 2010م.

- قاسم علي سعد، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، ترتيبا واختصارا وتهذيبا واستدراكا وتوثيقا، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 1423هـ-2002م.

- القاضي عبد الفتاح بن عبد الغني، **البدور الزاهرة القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبة والدّرى"القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب**"، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

- الكاندهلوي(محمد زكريا المدني. ت.1402هـ-1981م)، **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**، اعتنى به وعلق عليه تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق،1424هـ-2003م، ج.1، ص.112.

- الكتاني (بدر الدين)، **دراسة عن كتاب الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه**، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، العدد الثاني، 1985.

- الكتاني(الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، ت.1274هـ-1345م)، **الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس**، 1307هـ-1889م.

ـــــــــ **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، كتب مقدمتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الكتاني، ط.3، مطبعة دار الفكر، دمشق، 1380هـ-1964م.

ـــــــــ **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1425هـ-2004م.

- الكتاني(عبد الكبير، ت.1345هـ-1927م)، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق على بن منتصر الكتاني، مكتبة الثقافة، الرباط، 2015م.

- **الكتاني**(محمد عبد الحي بن عبد الكبير، ت.1382هـ-1962م)، **تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب**، ضبط وتعليق أحمد شوقي بنبين وعبد القادر سعود، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 1434هـ-2013م.

- كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1376هـ-1957م.

- كراتشكوفسكي (اغناطيوس يوليانوفتش)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم وقام بمراجعته إيغور بليايف، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، 1377هـ- 1957م.

- كردي علي إبراهيم، **أدب الرِّحل في المغرب والأندلس**، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 1434هـ- 2013م.

- لحمر حميد بن محمد، **فتاوى الإمام ابن أبي زيد القيرواني (386هـ-996م**، دار اللطائف، القاهرة، 1434هـ-2012م.

- لوزري سعيدة، **المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره 3-5هـ/9-11م**، مج.4 ، نشر ضمن كتاب تنبيه الطالب، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015م.

- مجاني بوبة، **أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،1407هـ-1987م.

- المجدوب عبد العزيز، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، نشر وتوزيع دار سحنون ودار ابن حزم، بيروت، 1429هـ- 2008م.

- محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

- محمد أحمد عبد المولى، **القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1404هـ-1984م.

- محمد حسن، **القيروان في عيون الرّحالة**، المجمع التونسي للعلوم والآداب في الفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009م.

- محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، **المختار من صحاح اللغة**، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، مصر، د.ت.

- محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الرؤية للنشر والتوزيع، مصر، 1432هـ- 2010م.

- مخلوف(محمد بن محمد، ت. 1360هـ-1641م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق علي عمر، نشرته مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 1428هـ- 2007م.

- المراكشي(العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، ت.1378هـ-1959م)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعة عبد الوهاب بن منصور، 1419هـ-1998م.

- مرمول محمد الصالح، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1404هـ- 1984م.

- مصطفاي رشيد، **بجاية في عهد الحماديين**، مجلة الأصالة، السنة الأولى، ع. 1، محرم 1391هـ- مارس 1971م.

- العروسي محمد المطوي، سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، دار الكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.

- مناع القطان، **تاريخ التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.26، 1998م.

- ابن منصور آمنة، **المناظرة في الأندلس الأشكال والمضامين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ-2012م.

- ابن منصور عبد الوهاب، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ-1979م.

– مهدي دهيم، **جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية منطقة زواوة أنموذجا، المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية في العالم الإسلامي**، نظمه مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية المتخصصة، الرابطة المحمدية للعلماء أيام 26–27–28 جمادي الآخره 1434ه الموافق ل 7–8–9 ماي 2013م، مراكش، المغرب.

- موراني ميكلوش، **دراسات في المصادر الفقه الإسلامي:** نقله عن الألمانية مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ–1988م.

– موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م ،

ـــــــ المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ– 1984م.

ـــــــ الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، ط.2، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1412هـ–1991م.

– ابن ميلاد لطفي، **إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ–11م إلى مطلع القرن 10هـ–16م،** تقديم محمد حسن، تونس، 2011م.

الميلي(مبارك بن محمد)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م

– الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت.1315– 1895م)

*__كتاب الاستقصا__ لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، منشورات دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ– 1997م.

– النجار عبد المجيد، **المهدي بن تومرت(أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، 524هـ– 1129م)، حياته وآراؤه، وثورته الفكرية والاجتماعية، وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ– 1982م.

– نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1400هـ– 1980م.

ـــــــ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدم له حسن خالد مفتي لبنان، ط.3، نشرته مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1409هـ– 1988م.

– هارون عبد السلام، تحقيق النّصوص ونشرها، ط.7، مكتبة الخانجي، مصر، 1998م.

– هصام موسى، التّمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10–12م)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م.

– ابن هلال إبراهيم، **الدر النثير على أجوبة الحسن الصغير**، إبراهيم بن هلال، الطبعة الحجرية المحفوظة بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 2511 A، المغرب، د.ت.

– الهنتاتي نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5ه/11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 1425هـ–2004م.

- ولد ابَّاه محمد المختار، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، سلا، المملكة المغربية، 1422هـ- 2001م.

- الورثيلاني(سيدي الحسين بن محمد)، **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، نشرته مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ- 2008م.

3- كتب الفهارس

- أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس، **مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي**، دار الرشيد، العراق، 1982م.

- بروكلمان كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة حليم النجار، ط.5، جامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، اسطنبول سنة1370هـ- 1951م، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

ـــــــ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف محمد شرف الدين بالتقابا، دار الإحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

- بلوط الرضا قرة و بلوط أحمد طوران قرة، **معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطة والمطبوعة**، دار العقبة قيصرى، تركيا.

- حاجي خليفة أو الكاتب الجلبي(مصطفى بن عبد الله)، **كتاب كشف الظنون**، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجردًا عن الزيادات واللواحق من بعده وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول عليه وطبعها العبدان الفقيران إلى الله الغني محمد شرف الدين، مع مقدمة العلامة الحجة آية الله العظمى اليد شهاب الدين النجفي المرعشي، دار الإحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

- حساني مختار وقويدر بشار، مخطوطات أدرار، الجزائر، د.ت.

- الخيرأبادي محمد أبو ليث، **معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين**، دار النفائس، الأردن، 2009م.

- رمضان ششن، **فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي**، تقديم إحسان أوغلى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، إسطنبول، 1406هـ- 1986م.

ـــــــ **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1400هـ-1980م.

- سزكين فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، ترجمه محمود فهمي حجازي وراجعه عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1411هـ-1990م.

- شبوح إبراهيم، **سجل قديم لمكتبة جامع القيروان**، مجلة معهد المخطوطات العربية، تصدرها عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية وتعني بشؤون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها، شوال 1375هـ- ماي 1956م.

- ضيف بشير، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، مراجعة عثمان بدري، ط.2، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

- طاش كبرى زاده(أحمد بن مصطفى)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ- 1985م.

- العَلمي محمد، **الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي**، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، الرباط، 1433هـ- 2012م.

- فؤاد السيد، **المخطوطات العربية في العالم**" **نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت**"، مجلة معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية وتعني بشؤون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها، مصر، الربيع الثاني 1377هـ- نوفمبر 1957م.

- الموهوب أولحبيب، **فهرس المخطوطات الإسلامية ببجاية من إعداد جمال الدين مشهد مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي**، لندن، 2004م.

- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط- علوم القرآن** (مخطوطات القراءات)- منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط2، مزيدة ومنقحة، عمان، الأردن، 1994م.

- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، الحديث النبوي** وعلومه ورجاله، مؤسسة أهل البيت، المجمع الملكي، عمان، 1991م.

- فهارس مكتبات المملكة المغربية (الحسنية- المكتبة العامة- مكتبة القرويين).

- الكتاني(عبد الحي بن عبد الكبير)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، باعتناء إحسان عباس، ط.3، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1432هـ- 2011م.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط- علوم القرآن (مخطوطات القراءات)- منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط2، مزيدة ومنقحة، عمان، الأردن، 1415هـ-1994م.

بجاية، سلسلة"الفن والثقافة"، نصوص وصور وتصميم تنشرها وزارة الأخبار، الشركة الوطنية للنشر، مطبعة ألتاميرا-روتوبريس ش.م، مدريد، إسبانيا، ديسمبر 1970م.

- يوسف حسين، فهرس مكتبة زاوية علي بن عمر، دار التنوير، طولقة، الجزائر

4- الدراسات

-**الحاطب أحمد، التيارات الفكرية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطي**، أطروحة الدكتوراه، إشراف محمد حمام، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2003-2004.

- **بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296-362هـ/909-973م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1415هـ- 1995م.

- **بوعقادة عبد القادر المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد**، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1425هـ- 2004م.

ـــــــ الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنيين 7- 9هـ/ 13-15م، أطروحة دكتوراه العلوم في تخصص التاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري زوجة بن عميرة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1436هـ- 2015م.

- بونابي الطاهر، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1429-1430هـ/2008-2009م.

- حواله يوسف بن أحمد، **الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري"90/450هـ"**، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000م.

-خالدي عبد الحميد، **العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50-646هـ/670-1266م**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الوسيط، إشراف حساني مختار، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1428-1429هـ/2007-2008م.

- موسى إسماعيل، **الثعالبي، جامع الأمهات في أحكام العبادات**، دراسة وتحقيق، أطروحة دكتوراه في تخصص أصول الفقه، تحت إشراف كمال بوزيدي، جامعة الجزائر-1، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، 1430-1431هـ/2009-2010م.

- عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي، **الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل في القراءات الخمسين**، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" في التفسير وعلم القرآن، إشراف شعبان بن محمد بن إسماعيل، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، السعودية، 1428-1429هـ- 2008م.

- عبد الكـريـم عـزوق، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه إشراف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار، الجزائر، 1428هـ-1429هـ- 2007 - 2008م.

- عزرودي نصيرة، **تطور علم الفلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى**، أطروحة دكتوراه إشراف شخوم سعدي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس، 1436-1437هـ/2015-2016م، سيدي بلعباس.

5- المراجع باللغات الأجنبية:

- Abdeljaouad(L.)
-Les relation entre les Zirides et les Fatimides à la lumière des documents épigraphiques, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, juin 2016.

- Abdel-Magid(T.)
- consultation Juridique D'AL-IMĀM AL-MĀZARI **sur le cas des Musulmans vivant en Sicile sous L'autorité des normands,** Mélanges de L'université Saint-Joseph, T.L (V.II), Dar El-Machreq Sarl- Beyrouth (Liban), 1984.

-Alfred(B)
- La Religion Musulmane en Berbérie, Établissement et développement de l`Islam en Berbérie du VII[e] au XX[e] siècle, libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1938.

- Allaoua (A.)
- L'animation de la façade maritime du Maghreb central, Revue des Lettres et sciences Humains, N=° 2, 2005.
- Pouvoir, économie et société dans le Maghreb Hammadide, thèse de doctorat, Université Paris Sorbonne, 2002.
- Texte méconnu sur deux groupes hérétiques du Maghreb Médiéval, Arabica, T.L II, Fascicule 3, juillet, Brill, 2005.

-Bousquet(G.H.)
- Art″ **Malikiyya**″, et ″La Mudawwana″, T.VI, dans E.I ,T. VI.

- Brunschvig (R.)
**- Logique et droit dans l`islam**, dans L`Etudes d`islamologie, éditions G. P. Maisonneuve et larouse, Paris,1976.

- Charbonneau (M.A),
-Voyage Dans La Régence de Tunis, quatrième Série, T. XIX, 1852- 1858, Paris.

- De Mas Latrie(M. L.)
- traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de L'Afrique septentrionale au moyen Age, paris, 1868.

-Dewuhf(E.)
-note sur Ibn-Hammad et sur un mémoire de M. Cherbonneau, intitulé notice et extraits du Eunouan el-Diraïa fi mechaiekh Bidhaïa, Bougie, Revue africaine, Vol.7, le 15 octobre 1863.

- Feraud (L.C)
- Histoire Des villes de la province de Constantine, extrait du recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, Alger, Paris, 1869.

-Général (L. De Beylié)
- La Kalaa des Beni –Hammad une capitale Bèrbère de L'Afrique du nord au XI^{e} Siècle, Ernest Leroux Èditeur, Paris, 1909.

- George (M.)
- **Achir**, revue Africaine, Vol.63, Alger, 1922.

- Louis (P.)
-Maghrébins à Damas au VII/XIIIe siècle, dans le Bulletin D'études orientales T. XXVII, Damas, 1974.

-Golvin (L.)
- Le Magrib Central a L'époque Des Zirides, Recherches d'Archéologie et d'Histoire, Arts et métiers graphiques, Paris, 1957.
- Hammadide, Encyclopédie Berbère, C.22, Aix-en province, 2000.

- Idris (H. R.)
**- Deux juristes Kairouanais de l`èpoque Ziride : Ibn Abi Zaid Al- Qabisi X^e^- XI^e^**, annelles de l`institut d`études Orientales, Faculté des lettres de l`université d`Alger, 1954.
- La berbèrie orientale sous les Zirides, Du X au XII Siècle, Paris,1962.
- Essai sur la diffusion de l'aš'arisme en Ifriqiya, dans Cahier de Tunisie, II, 1953.
-Note sur l'identification du dédicataire d'Ibn Abi Zaid al-Qairawani, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, Tunis, T.I, 1953.
- Une des phases de la lutte du malikisme contre le shiisme sous les Zirides, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, 4e trimestre, N°= 16, Tunis, 1956.
- Sur le retour des Zirides à l'obédience fatimide, annales de l'institut des études orientales, Alger, T.XI, 1953.

- Launois (A.)
Influence Des Docteurs Malikites sur le Monnayage Ziride de Type Sunnite et sur celui des Almoravides, Dans Arabica, Revue d'études arabes, T., XI, 1964.

-Madelung(W.)
- Art "Ismailiyya" dans E.I, T
- Art "Rustumides" dans E.I, T.III.Art.

- Dewuhf (E.)
- **note sur Ibn-Hammad et sur un mémoire de M. Charbonneau**, intitulé notice et extraits du Eunouan el-Diraïa fi mechaiekh Bidhaīa, Bougie, le 15 octobre 1863.

-Rechel (A.)
-Viajeros de Occidente à Oriente Al-Andalus,y El Mediterraneo, Granada 1995, Al-Andalus Y El Méditerraneo, España, 1996. من كتاب

- Schacht (J.)
- Deux éditions inconnues du Muwatta, Dans Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida, Roma, 1956.
- **sur la transmission de la doctrine**, dans les écoles juridiques de l`Islam, dans Les annales de la faculté des lettres de l`université d`Alger, T. X, 1952.

- Talbi (M.)
-Chronique D`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, T. XXVI, 3em et 4em, trimestres, 1975.
- sur la transmission de la doctrine, dans les écoles juridiques de l`Islam, dans Les annales de la faculté des lettres de l`université d`Alger, 1952.
-Art **" Hammadides "** dans E.B, T.III.

-Vonderheyden,(M.)
- La Berberie Orientale sous la dynastie des Benou`L-Arlab (184-296 H/800-909), Libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927.

6- الدوريات والملتقيات

- آربيه راشيل، **رحالة من المغرب إلى المشرق**، ضمن كتاب الأندلس والبحر المتوسط، بحث مقدم من سحر عبد العزيز سالم، غرناطة، 1995م.
- أبو الأجفان محمد، **المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان**، بحوث الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ-2004م.
- إسماعيل العربي، **سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية**، مجلة الأصالة، العدد 19 السنة4، مارس- أفريل 1974- عدد خاص بجاية عبر العصور.
- أعراب سعد ، "**المرشدة**" ضمن أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، قرطاج 11-17 أفريل 1977، ضمن الكراسات التونسية، T.XXV, N. 103-104, 3=em et 4=em trimestres 1978
- بشاري لطيفة بن عميرة، **أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله بن عباس**، مجلة الدراسات التاريخية، يصدرها قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، العدد 13، 1433هـ-2011م.
- بنعبد الله عبد العزيز، **تاريخ التعليم الإسلامي**، مجلة دعوة الحق، وزارة العموم والأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، العدد1، السنة 4، جمادى الأولى 1380هـ-أكتوبر 1960م.
- ـــــــ **المغرب بين الإمامين البخاري ومسلم**"، مجلة دعوة الحق، العدد 240، ذو الحجة 1404هـ-سبتمبر 1984م، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب.
- بوباية عبد القادر، **وهران مدينة من الجزائر**، إنسانيات مجلة جزائرية في الأنثربولوجية والعلوم الاجتماعية، العدد 23-24، السنة 8، وهران، الجزائر، 2004م.
- بوتشيش عبد القادر، **علم النجوم والفلك والتنبؤ بأحداث المستقبل في بلاد الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين**، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
- ـــــــ **صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري: محاولة تفسير**، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
- بورويبة رشيد، **إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة**، مجلة الأصالة عدد خاص بجاية عبر العصور، العدد19، السنة4، 1974م.
- البوعبدلي المهدي، **اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث**، ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر من 08 إلى 12 ذو القعدة 1401هـ، 1-7 سبتمبر، 1401هـ-1981م.
- بوعقادة عبد القادر، **دور علماء الغرب الإسلامي في مجال التربية والتعليم**، التاريخ العربي مجلة علمية محكمة تعني بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 56، ربيع 1432هـ- 2011م.
- بولطيف لخضر، **ملامح المنظومة القيمة للمجتمع القلعي الحمادي منطلقات الفكر وأنماط السلوط**، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، أيام 9-10-11 أفريل 2007م، مسيلة. 2007م.

- بونار رابح، **علي بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني**، مجلة الأصالة العدد 6، جانفي 1972م.

- الترغي عبد الله المرابط، **درس تهذيب المدونة في الغرب الإسلامي على عهد المرابطين الأثر والتواصل**، ضمن أعمال الندوة لدولية الخاصة بدور المذهب المالكي في تجربة الوحدة المرابطية لدول الغرب الإسلامي الكبير، المنعقد أيام 7-8-9 ربيع الثاني 1431 الموافق 23-24-25مارس 2010م بقصر المؤتمرات لمدينة العيون، مطبعة البلابل، فاس، 2011م.

- التركي عبد المجيد، **الجدل الديني وكتابا الرسالة والجامع لابن أبي زيد القيرواني**، ضمن محاضرات ملتقى عبد الله بن أبي زيد القيرواني 24-25-26 شوال 1413هـ-16-17-18 أفريل 1993م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1994م.

- التمسماني محمد، **المدرسة المالكية الأصولية وإبداع المغاربة فيها**، التراث المالكي في الغرب الإسلامي، جامعة الحسن الثاني -عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف، الرباط، 1998م.

- التواتي بن التواتي، **الإمام مالك رائد مدرسة المدينة**، أعمال الملتقى الثالث للمذهب المالكي، 17-18 أفريل 1428هـ/ 2007م، دار الثقافة، عين الدفلى، الجزائر.

- جدلة إبراهيم، **القيروان والمجد الضائع**، ضمن إشعاع القيروان عبر العصور من وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل 2009م- 1430هـ، نشرته وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 1431هـ- 2010م.

- الجراري عباس، **أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي**، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 8، السنة 10، شعبان 1386هـ- ديسمبر 1966م، الرباط، المغرب.

ـــــــــ **لماذا لم يتشيع المغاربة؟**، الأكاديمية المغربية ، العدد 23، الرباط، 2006م.

- جعفر ماجد، **العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان** ، الحولية التونسية، العدد13، تونس، 1396هـ-1976م.

- جلاب حسن، **الفكر والأدب في عهد الموحدين**، مجلة دعوة الحق، العدد 249، رمضان 1405هـ- جوان، الرباط، 1985م.

- الجنحاني محمد الحبيب، **السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب**، مجلة الأصالة، السنة 6 رمضان- شوال 1393هـ، سبتمبر- أكتوبر 1977م، ع. 49-50، الجزائر).

ـــــــــ **الصراع الفاطمي الأموي في المغرب**، خلال القرن الرابع الهجري الأعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني ، قرطاج11-17 أفريل 1398هـ/1977م، الكراسات التونسية عدد خاص العدد 103-104، الثلاثي 3 و4، منشورا كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1978م.

- الجيدي عمر، **المذهب المالكي**، مجلة دعوة الحق، العدد، 226، الرباط، ديسمبر1403هـ- 1982م، المغرب.

ـــــــــ **محاربة المذهب المالكي في المغرب**، مجلة دعوة الحق، العدد 225، أكتوبر- نوفمبر، الرباط، 1403هـ/ 1982م

ـــــــــ **نظرات في تاريخ المذهب المالكي**، مجلة دعوة الحق، العدد 226، ديسمبر، الرباط، 1982م.

- حاجيات عبد الحميد، **إسهام المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية**، ضمن وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بمناسبة الاحتفالات بحلول القرن الخامس عشر الميلادي، جامعة دمشق، كلية الآداب، من 16إلى 22 جمادى الآخرة 1401هـ- من 20 إلى 26 نيسان1981م، سوريا.

ـــــــــــ **تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني حماد**، مجلة التاريخ تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، رقم 24، الجزائر، 1986م.

- الحسيسن عبد الهادي، **أبو محمد عبد الحق الإشبيلي 510-582هـ/116-1186م**، مجلة دعوة الحق، العدد7، السنة 24، الرباط، 1983م.

- حميتو عبد الهادي، **حياة أبي عمران الفاسي ومناقبه**، ضمن بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبي عمران الفاسي، الخميس 4 جمادي الأولى 1430هـ الموافق 30 أبريل 2009م، الرباط.

- خيسوس مريا، **محمد وعبد الرحمان في قرطبة**"، مجلة الأصالة، العدد45، السنة الخامسة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر جمادى الأولى 1397هـ ماي 1977م.

- الدباغ عبد الوهاب خليل، **أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة(399-422هـ-1009-1031م)**، مجلة الآفاق للثقافة والتراث، العدد 25-26، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ربيع الأوّل-جويلية، 1420هـ-1999م.

- الدردابي محمد، **كتاب الموطأ وأهميته بين المصادر المذاهب الفقهية**، ضمن ندوة أكاديمية" المذهب المالكي في المغرب من الموطأ إلى المدونة المنعقدة أيام 19-19-20 ربيع الأوّل 1429هـ الموافق 26-27-28 مارس 2008م، فاس، المملكة المغربية، مج1، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، 2010م.

- دهيم مهدي، جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية منطقة زواوة أنمودجا، الملتقى الأوّل للقراءات القرآنية في العالم، مراكش، المملكة المغربية، 1914م.

- ذنون طه عبد الواحد، **الإجازات العلمية الموقعة على مخطوطات التراث العربي**، بحث مقدم إلى مؤتمر المخطوطات الموقعة من تنظيم مكتبة الإسكندرية، مصر، 26-28 أفريل1426هـ-2005م.

- رستم محمد، **أول شرح مغربي لصحيح الأمام البخاري**، دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد 313، السنة 36، جمادى الأولى-جمادى الثانية 1416هـ-1995م.

- زمامة عبد القادر، **رحلة العبدري**، مجلة دعوة الحق، السنة 5، العدد 2، وزارة العموم والأوقاف، الرباط، 1961م.

- السيد عبد العزيز سالم، **التبادل الثقافي بين الإسكندرية والغرب الإسلامي في العصور الوسطى الإسلامية**، مجلة كلية الآداب بالإسكندرية، العدد 50، مجلد2، الإسكندرية، مصر، 1420هـ- 1999- 2000م.

- شخوم سعدي، **فتوى الإمام أبي زكريا الزّناتي في الانتصار لأبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، محكمة يصدرها مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، معسكر، العدد 3 رمضان/جوان 1437هـ-2016م.

- شرشار عبد القادر، **كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري**، مقال في مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 98 السنة 25، جمادي الأوّل 1426هـ- حزيران 2005م.

- الشريف محمد، **جغرافية التيارات المذهبية بالمغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن 4هـ-10م ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م.

- شُقور عبد السلام مختار، **المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية**، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، 2005م.

- شيخة جمعة، أبو عبد الله محمد بن حارث بن الأسد الخشني الإفريقي الأندلسي، أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني قرطاج: 11-17 أفريل 1977، الكراسات التونسية، العدد XXV رقم 103-104 ، تونس، 1978م.

- العبيدي مختار، **هل كان للقيروان بيت حكمة في القرن الثالث الهجري؟، ضمن إشعاع القيروان عبر العصور من وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20إلى 25 أفريل 2009م**- 1430هـ، نشرته وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 1431هـ- 2010م.

- عويس عبد الحليم، **بجاية الجزائرية وريثة القيروان وحاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون**، مجلة الدارة الفصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي مما له صلة بالجزيرة العربية، العدد3، السنة الثامنة، ربيع الثاني- جمادى الأول- جمادى الآخرة 1403هـ، جانفي – فيفري- مارس، الرياض، 1983م.

ـــــــــ **العلاقات بين بني حماد والمسيحيين**، مجلة الأصالة، العدد89- 90، السنة 10، صفر- ربيع الأول/ جانفي فيفري، 1401هـ-1981م.

- شُقور عبد السلام مختار ، **المناظرات والإنشادات في الرحلات المغاربية الحجازية**، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة بمناسبة عاصمة الثقافة الإسلامية ، 1426هـ- 2005م.

- ابن شنب محمد، **العلامة محمد أبو شنب**، مجلة المجمع العلمي العربي العراقي، العراق. د.ت.

- عمارة علاوة، **انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط(الجزائر) قراءة سوسيولوجية**، مجلة آفاق للثقافة والتراث، السنة.14، العدد. 56، دبي، ذو الحجة 1427هـ- جانفي 2007م.

ـــــــ **التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط**، دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعني بالدراسات الإسلامية والإنسانية رمضان 1429هـ سبتمبر 2008م، العدد 26، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.

ـــــــ **ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، العدد 21، شتاء 1422هـ- 2002م، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية.

ـــــــ **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**، مجلة التاريخ العربي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 32، الرباط، المملكة المغربية، خريف 1425هـ- 2004م.

ـــــــ **الحكم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي(395- 547هـ/1004- 1152م)**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 4، رمضان 1425هـ- أكتوبر 2004م.

ـــــــ **قلعة بني حماد نشأة وأفول حاضرة إسلامية**، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

ـــــــ **مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف في الجزائر الحمادية(395-547/1004-1152م) مقاربة سوسيولوجية**، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

ـــــــ **الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب**، في دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي،2008م.

- العلمي محمد، **رسائل ونصوص ملحقة بالجزأين الثاني والثالث من كتاب الذب من مذهب مالك**، مجلة مرآة التراث، العدد 3، ربيع الأول 1435هـ/ جانفي 2014م، الرباط.

- علوي مصطفى، **الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين (515- 668هـ/ 1161- 1269م)**، المقتطف مجلة دورية علمية ربع سنوية، السنة 3، العدد 6، أكتوبر 2011م- محرم 1433هـ.

- عيفة الحاج، **عوامل استقطاب المغاربة إلى بلاد الشام ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين**، مجلة دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، صفر1435هـ- ديسمبر 2013، الجزائر.

- الكتاني بدر الدين، **دراسة عن كتاب الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه**، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، العدد، 1985م.

- الكتاني يوسف، **ختمات صحيح البخاري**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، الرباط، العدد 240، ذو الحجة 1404هـ-سبتمبر 1984م.

- كولشن أكرم، **الحياة العلمية والثقافية في عهد المرابطين"المخطوطات الخاصة بالمذهب المالكي في عهد المرابطين الموجودة بتركيا"**، أعمال الندوة الدولية "دور المذهب المالكي في تجربة الوحدة المرابطية لدول المغرب الإسلامي الكبير، أيام 7-8-9 ربيع الثاني1431هـ الموافق 23-24-25 مارس 2010م، مطبعة البلابل، فاس، 2011م.

- لقبال موسى، **التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط**، مجلة الأصالة عدد خاص عن تاريخ منطقة الأوراس بمناسبة انعقاد الملتقى 12 للفكر الإسلامي، العدد 60-61، السنة 7 رمضان- شوال/أوت- سبتمبر، 1398هـ-1978م.

- **لوزري سعيدة، الفكر المالكي في مواجهة المد الشيعي ببلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م**، حولية المؤرخ، مجلة دورية محكمة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العددان 13-14 السداسي الثاني 2011م.

ـــــــ **المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره 3-5هـ/9-11م**، مج.4 ، نشر ضمن كتاب تنبيه الطالب، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015م.

ـــــــ **إسهامات عبد الحق الإشبيلي البجائي في علم الحديث**، مداخلة ألقيت في الملتقى المغاربي السابع حول التراث العربي المخطوط المحفوظ في الخزائن الوطنية وخزائن بلدان المغرب العربي بين الفهرسة والتحقيق والنشر، مخبر المخطوطات بالتنسيق مع قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، يومي 16 و17 مارس 2014م.

– مؤنس حسين، **الجغرافية والجغرافيون في الأندلس**، ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد مجلد 7-8، مدريد 1959-1960، مجلد11-12، مدريد، 1963-1964م.

– مجاني بوبة، **القيروان وفقهاء الدولة الحمادية**، ضمن كتاب إشعاع القيروان عبر العصور، وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل 2009، وزارة الثقافة، المجمع التونسي للعلوم "بيت الحكمة"، 2010م.

– محفوظ محمد، **الأذري أم الأزدي**، مجلة الفكر، العدد 3، شهر ديسمبر، تونس، 1971م.

– محمد حسن، **القيروان في عيون الرّحالة**، المجمع التونسي للعلوم والآداب في الفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009م.

– محمد عز الدين المعيار الإدريس، **أضواء على تفسير إمام دار الهجرة للقرآن الكريم**، دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد 285، السنة 32، محرم 1412هـ-أوت 1991م.

– محمد المختار اسكندر، **المفسرون الجزائريون عبر القرون، بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر**، ضمن ملتقى وطني في سيدي عقبة تحت عنوان" الأيام الدراسية للفتوحات الإسلامية للمغرب العربي ومساهمة الجزائر في التراث الإنساني، من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، د.ت.

– مشهد جمال الدين، **فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة ببجاية**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1425هـ- 2004م.

– مصطفاي رشيد، **بجاية في عهد الحماديين** ، مجلة الأصالة، السنة 1، العدد 1، محرم 1391هـ- مارس 1971م.

– معزوز عبد الحق، **جامع سيدي غانم معلم تاريخي من آثار الأولين، مجلة آثار**، يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، العدد8، 2009م.

– المعمودي الطاهر، **البعثات العلمية بين القيروان والمشرق خلال القرون الأولى**، ضمن كتاب ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بَينَ المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4-5- 6 ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 1995م.

– المغزاوي محمد، **فتوى أبي الفضل ابن النحوي حول كتاب علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي**، ضمن متنوعات محمد حجي، نشرت بمناسبة صدور كموسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ- 1998م.

– منجد صلاح الدين، **إجازات السماع في المخطوطات القديمة**، مجلة معهد المخطوطات العربية، كويت، 1375هـ- 1955م.

– المنوني محمد، **حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية مرورا بعصر المختصر الخليلي وشروحه ثم امتدادا إلى أواسط القرن 20**"، ضمن محاضرات ملتقى الإمام سحنون 7-8-9 جمادى الثانية 1412هـ-13-14-15 ديسمبر1991م، صدر عن مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1414هـ- 1993م.

- موراني ميكلوش، **مصادر جديدة حول رواية الكتب المدونة لسحنون بالقيروان**"، ضمن محاضرات الإمام سحنون 7-8-9 جمادى الثانية- 1412هـ 13-14-15 ديسمبر 1991م، صدر عن مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1414هـ- 1993م.

- ابن موسى محمد حسن، **المناظرات بين الإباضية الوهبية والفرق الأخرى ببلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين**، ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات جامعة محمد الخامس، 1429هـ-2008م.

- الهنتاتي نجم الدين، **الأحباس في إفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ- 12م**، الكراسات التونسية، العدد 174، الثلاثية الثالثة، 1996م.

ـــــــ **إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التوجه المذهبي بالغرب الإسلامي**، التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، بمساهمة من مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، العدد 55، دار البيضاء، المغرب، 1432هـ- 2011م.

ـــــــ **تطور موقف علماء المالكية بافريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم الأشعرية**، إيبلا مجلة معهد الآداب العربية، العدد 55، السنة 170، تونس، 1992م.

ـــــــ **النص القرآني وعلماء المالكية الأفارقة إلى منتصف القرنIX/V**، إيبلا مجلة معهد الآداب العربية، العدد 63، السنة 185، تونس، 2000م.

- وكاكا الحسين، **حول نزول القرآن على سبعة أحرف**، مجلة الأكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، العدد31، الرباط، 2014م.

ـــــــ **القرآن الكريم ومظاهر تنافس صحابة النبي في كتابته وجمعه**، مجلة الأكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، العدد 28، الرباط، 2011م.

- اليعلاوي محمد، **الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين**، ضمن كتاب ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بَينَ المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4-5- 6 ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان.

- يفوت سالم، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 118، الرباط، 2005م.

فهرس الموضوعات